# مَوسُوعة النَابُلسِي للعُلوم الإسلاَميّة

# العقيدة الإسلامية

## المحتويات

# الدرس 1-63: العقيدة أصل من أصول الدين – القوة الإدراكية.

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## العقيدة أصل من أصول الدين:

أيها الإخوة الكرام: وعدتكم في الدرس الماضي أن نبدأ موضوعات متعلقة بالعقيدة، والعقيدة تُعدّ من أصول الإسلام، الإسلام فيه أصول وفيه فروع، الفقه من الفروع, والعقيدة من الأصول، إذا صحت العقيدة صحّ العمل, وإذا فسدت فسد العمل، أي إذا اعتقدت أن الله تعالى قبض قبضة، وقال: هذه إلى الجنة ولا أبالي، وقبض قبضة وقال: هذه إلى النار ولا أبالي، والقضية انتهت، هذه العقيدة تُثَبِّط همة المؤمن.

طبعاً هذا الحديث له تفسير أيضاً، فالبحث في العقيدة مهم جداً بل هو خطير جداً، لا يعني هذا الكلام أنني الآن بعد اثنتي عشرة سنة من تدريسي أبحث معكم في موضوعات العقيدة، موضوعات العقيدة بحثناها مئات المرات، في الخطب، وفي التفسير، وفي الحديث، وفي السيرة، وفي الدروس، لكن بحثناها على شكل موضوعات متفرقة أما بحثها على شكل موضوعات متكاملة متتابعة هذا بدأناه الآن أول مرة.

## من عرف نفسه عرف ربه:

الموضوع الأول في العقيدة هناك موضوعات تمهيدية؛ ورد: **من عرف نفسه عرف ربه**، واليوم الحديث عن النفس, عن هذه التي بين جوانحنا، عن هذه التي في الصدور، والتي وصفها الله عز وجل فقال هي في الصدور، قال:

**وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (13)**

سورة الملك

وعن هذه النفس التي هي ذات الإنسان.

قبل كل شيء الإنسان مخلوق من نوع خاص، أي الكون كله ما في السماوات وما في الأرض مسخرٌ له, فإذا كان الكون كله مُسخَّراً له فأيهما أكرم عند الله الكون بأكمله أم هذا الإنسان الذي سُخر الكون كله من أجله؟ العقل يقول: المُسخَرُ له أكرم من الشيء المُسخَر، المُسخَرُ له أكرم من الشيء الذي سُخِّر له، فالإنسان كما قال الله عز وجل:

**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)**

سورة الإسراء

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)**

سورة الأحزاب

هذا الإنسان المُكرَّم زوَّده الله بوسائل التكريم.

## طرق تكريم الله للإنسان:

من وسائل التكريم هذه القوة الإدراكية، في الإنسان قوة إدراكية، هذا الحائط، هذه الطاولة، هذه الأدوات، هذه الأحجار، هذه لا تُدرك، أنت أيها الإنسان مميز، ومُفضّل، ومُكرَّم بهذه القوة الإدراكية.

مثلاً: مجتمع القرود منذ أن وجدوا على ظهر الأرض وحتى الآن، هل طرأ على حياتهم تطور؟ هل سكنوا في البيوت؟ هل اخترعوا أجهزة؟ هل نظموا مجتمعهم؟ القرد هو القرد، لا يتغير ولا يتبدل، ما هو الفرق الجوهري بين الإنسان والحيوان؟ هذه القوة الإدراكية، الإدراك.

الإنسان إذا عطّل إدراكه عطّل إنسانيته، أي إذا عطّل إدراكه جعل نفسه في صفّ الحيوان، هذا قول واحد، فالموضوع متشعب جداً أنا أريد أن يبقى في مجال واحد، اليوم درسنا هذه القوة الإدراكية التي خصّها الله للإنسان والتي يتميز بها عن سائر المخلوقات ولاسيما الحيوان، هذه القوة الإدراكية لها مشكلة، أنها عالة على العالم الخارجي والعالم الداخلي، فهذه القوة الإدراكية من دون عالم خارجي ومن دون عالم داخلي لا قيمة لها، تتعطل.

## نوافذ الإدراك:

العالم الخارجي؛ الله سبحانه وتعالى خلق لنا نوافذ تُطلّ عليه، فالبصر نافذة، والشم نافذة، والسمع نافذة، والذوق نافذة، والإحساس بالحرارة نافذة، والإحساس بالبرد نافذة، والإحساس بالضغط نافذة، الحواس، الأعصاب، السمع، البصر، الشم، الذوق، اللمس، هذه نوافذ القوة الإدراكية على العالم الخارجي، لو تخيلنا أن إنساناً أوتي من الذكاء ما لم يؤتَ أحد من العالمين وكان كفيف البصر، هل يستطيع أن يفهم ما هو اللون الأحمر؟ وما الفرق بينه وبين اللون الأخضر؟ وأيهما أجمل الأزرق أم البنفسجي؟ كلمة أبيض، أحمر, أصفر، أخضر, أزرق, بنفسجي، أسود، برتقالي، هذه كلمات لا معنى لها إطلاقاً، إذاً هذه القوة الإدراكية تستعين بهذه النوافذ، لذلك ربنا عز وجل قال:

**وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (171)**

**سورة البقرة**

القوة الإدراكية تحتاج إلى سمع وإلى بصر وإلى نطق، مادام أصم، أبكم، أعمى إذاً لا يعقل، هذه إشارة قرآنية، وقال تعالى:

**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (22)**

**سورة الأنفال**

هذا الذي خُلّق أصم قل له: أيهما أجمل صوت البلبل أم صوت الغراب؟ يقول لك: لا أعرف، ما نوع صوت البلبل؟ ما سمع صوت البلبل ولا صوت الغراب ولا صوت الشلال ولا صوت الرعد، إذاً مهما كان الذكاء متميزاً مادامت النوافذ المطلة على العالم الخارجي مغلقة فالإدراك منعدم.

## محدودية الحواس بقدر الله:

شيء آخر مهم جداً وهو أن هذه الحواس خلقها الله سبحانه وتعالى بقدَر، قال الله تعالى:

**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)**

**سورة القمر**

فأنت تُمسك هذا الكأس من الماء فتراه ماء صافياً، لو وضعت منه قطرة تحت مجهر لرأيت في هذه القطرة آلاف الحيوانات، الجراثيم، البكتريات، العُصيات، آلاف بل مئات الألوف إنك لو نظرت إلى قطرة ماء تحت المجهر لاستحال عليك أن تشرب هذا الماء، ماذا تستنتج؟ إن هذه القوة الإبصارية محدودة، تستطيع أن ترى بعد مئة متر، مئتين، بعد ذلك تقول: لا أرى شيئاً، طبيب العيون يضع لك لوحة على بعد أربعة أمتار، خمسة أمتار، حرف cهذه إلى أين فتحتها؟ تقول: هذه إلى هنا، لكن حرف كبير، هذه إلى فوق ، هذه تحت، كلما صغُر الحرف تأتي إلى مستوى تقول: لا أعرف، يقول لك: 10/8 – 10/7 – 3/ 10، 10/10، لكن لو صغرنا أيضاً لا تعرف، إذاً هذه القوة الإبصارية لها حدود: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وحدودها من تقدير عزيز، عليم، خبير، بصير، حكيم، لو زادت قوة الإبصار أكثر من ذلك لما رأينا في الأرض جَمالاً، لما رأينا وجهاً صبوحاً، تصوروا بعض الأماكن في أنعم جلد بشري مثل جبل كله مغارات ووهدان ونتوءات وشيء لا يُحتمل، عندما تمّ تكبير أنعم جلد بشري تحت مجهر يكبر 300000 مرة كان المنظر لا يُحتمل، لو أن هذه العين كانت قوة إبصارها أكثر مما هي عليه لما كان في الأرض جمال أبداً، ما أحبّ أحد أحداً، أعوذ بالله له وجه يكون نفس الناظر وجهه لا يُنظر إليه، فهذه قوة الإبصار محدودة، وهذه من نِعَم الله عز وجل.

الهواء فيه صور، من يرى تلك الصور؟ الدليل في أجهزة التلفاز يلتقط الصور، التي لا تستطيع عيناك أن تراها, الفضاء مليء بالصور، قوة الإبصار محدودة، الهواء مليء بالأصوات, البث الإذاعي في العالم العربي كم إذاعة فيه؟! كل هذه الإذاعات أمواجها الصوتية مبثوثة في الفضاء، لكن جهاز المذياع يلتقط هذه الموجات أما هذه الأذن فلا تستطيع ذلك، هذه من نِعمة لله عز وجل، لو الشخص يلتقط الموجات الإذاعية كلها، ليس بمزاجك، أخي لا أريد أن اسمع هذه الإذاعة، ليس بمزاجك، كلها يجب أن تسمعها، إنكليزي، تركي،

يجب أن تسمعها كلها، إذاعة لا تحب أن تسمعها، إجباري، الله عز وجل جعل هذه الأمواج الإذاعية لا تسمعها أنت.

## الحكمة الربانية في تحديد الأشياء:

شيء آخر؛ هذه الأصوات لو كان سوق النحاسين عندنا هنا هل يمكن أن يكون هناك درس علم؟ لا يوجد مجال، لو أن الإنسان يسمع كل الأصوات أصوات المعامل، أصوات الرعد بجنوب الكرة الأرضية، أمواج البحر المتلاطمة، الانفجارات، تفجير بعض القنابل، بعض المناورات العسكرية، لو كانت كل شيء على وجه الأرض الأمواج كأمواج الأثير لا تخمد هذه الأمواج، فالحياة مستحيلة بالأرض، كي تعرف معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ الموجة الصوتية عندما تضعف إلى أن تتلاشى هذه نعمة لا تقدر بثمن ، الدليل: هناك موجة لا تتلاشى, كيف بعثوا مركبة إلى المشتري بقيت هذه المركبة تسير بسرعة 40000كم في الساعة، ومع ذلك بُثّت صوراً للأرض، هذه الصور بُثّت على شكل أمواج، هذه الأمواج بقيت على حالتها، سعة الموجة لم تَقِل، إذاً الله قادر أن يخلق موجات تحافظ على سعتها، لو أن الموجات الصوتية التي في الأرض بقيت محافظة على سعتها لأصبحت الحياة في الأرض مستحيلة، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ وهكذا السمع، والبصر، والشم، الشم أيضاً محدود، لو أن الإنسان يشم الروائح الكريهة لمسافات بعيدة لو ماتت دابة بطريق درعا السكنى بالشام تصبح مستحيلة، لكن رب العالمين لحكمة بالغة هذه الروائح بعد مئتي متر، ثلاثمئة متر تنتهي، تكون راكب سيارة تشم رائحة جيفة تنزعج خمس دقائق تذهب الرائحة، معنى هذا انتهت الرائحة، إذاً يوجد محدودية للحواس.

## إنكار الأشياء غير المحسوسة أمر غير علمي:

أول شيء أن هذه القوة الإدراكية تحتاج إلى نوافذ تُطلّ على العالم الخارجي، هذه النوافذ لحكمة بالغة ولرحمة بالغة ولخبرة بالغة جعلها الله محدودة، لكن هنا بالعقيدة يوجد نقطة مهمة جداً؛ مادامت هذه الحواس محدودة مثلاً هناك أجهزة تطرد البعوض والذباب، كيف؟ تصدر أصواتاً تُزعج البعوض والذباب أما الإنسان لا يسمع هذه الأصوات، تسمى هذه الأصوات دون عتبة السمع، تجد ولا ذبابة، الآن هناك أجهزة حديثة جداً للقوارض، الذي عنده مستودعات فستق، مستودعات قلوبات هذه غالية جداً، حتى يضمن عدم

وجود أي قارض، يضع جهاز يُصدر صوتاً أنت لا تسمعه لكن القارض إذا سمعه هرب منه، هذه الأصوات التي دون عتبة السمع هل يجوز لعاقل إنكارها؟ لأنه لا يسمعها، هنا سؤال، هذه الأصوات التي تُصدرها هذه الأجهزة العاقل هل يستطيع إنكارها؟ لا بحجة أنه لا يسمعها، نقول له: إن حواسك محدودة، هذه النقطة التي أريد أن أصل إليها، علماء التوحيد قالوا: عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

أحياناً الآن يوجد أجهزة ترى في الليل في الظلام، وهناك أجهزة تلتقط الأصوات التي لا تسمعها أنت، هل بإمكانك أن تُنْكر هذه الأصوات؟ هناك أجهزة تكشفها، هل بإمكانك أنت أن تُنكر هذه الصور؟ هناك أجهزة تلتقطها، إذاً حواسنا محدودة، فإذا شخص قال: أنا لا أرى الله مثلاً أين هو؟ هذا هو الغباء وهذا هو الجهل بعينه، لأن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، لأن حواسنا محدودة لحكمة بالغة، إذاً من هذا نستنبط أن الشيء الذي لا تراه يمكن أن يكون موجوداً، ويمكن أن يكون وجوده أخطر من وجودك أنت، لكنك لا تراه, من يُنكر أن هناك قوة جذب بين الأرض والشمس؟ قولاً واحداً، هذا قانون التجاذب، قانون جاذبية، قانون مفروغ منه، هناك تجاذب بين الكتل المادية بحسب حجم الكتلة ومربع المسافة بينهما، فكلما كَبُرت الكتلة زاد الجذب، وكلما صَغُرت قلّ الجذب، وهناك علاقة بالمسافة، هل ترى بعينك هذه القوة؟ التي تجذب القمر إلى الأرض؟ لا تراها بعينك هل تنكرها؟ لا، فعدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، هذه حقيقة مُسلَّم بها.

قال: معلم أراد أن يبث الإلحاد في طلابه فقال: نحن لم نشاهد الخالق، فهو إذاً غير موجود، قال: قام طفل صغير فقال لهذا الأستاذ: نحن جميعاً أيها الأستاذ لم نر عقلك الذي تفكر به، إذاً أنت لا عقل لك، قياساً على هذه القاعدة الواهية العقل لا يُرى, تُرى آثاره، إذا إنسان مشى بالطريق من دون ثياب أين عقله؟ لا عقل له، الدليل تصرفاته، العقل هل يُرى بالعين؟ لا يُرى بالعين، لا يوجد رأس لا يوجد فيه دماغ، المجنون أليس له دماغ؟ بلى، أين عقله؟ العقل لا يُرى بالعين.

## العالم الداخلي:

شيء آخر في القوة الإدراكية، طبعاً يوجد موضوع ثان أنك أنت تُكوّن بعض الحقائق من عالمك الداخلي، لأن النفس تغضب وتفرح وتحزن وتخاف وتقلق وترجو وتستكبر، هذه المشاعر تُدركها أنت لا من طريق العالم الخارجي بل من طريق العالم الداخلي، فهناك نوافذ داخلية وهناك نوافذ خارجية، يوجد بيوت لها

نافذة على حديقة المنزل داخلية ونافذة على الطريق، فكذلك الإنسان له نوافذ تُطلّ على العالم الخارجي منها يُكوِّن مُدركاته، وله نوافذ تُطل على العالم الداخلي ومنها يُكوّن أحاسيسه.

## الخيال:

الآن الخيال؛ ما هو الخيال؟ القدرة على التصور، أحياناً الإنسان يتصور عنده بيت طابق واحد، أمامه يوجد مسبح ضمن حديقة مساحتها دونم، عنده صف على اليمين أشجار سرو، وهناك أشجار مثمرة كرز وأجاص ودراق وتفاح، وهناك مسبح، وهناك حديقة فيها ورود ورد بلدي وزنبق، هو لا يملك شيئاً، لا يوجد عنده ثمن بيت، لا يوجد معه ثمن قطعة إسمنت، ما هذا الخيال؟ قبل أن ينام تخيل بيتاً ممتازاً، فالخيال هو قدرة على التصور، قل لإنسان: تخيل لي مسكناً؟ يتخيل مسكناً له سقف وجدران وأرض، هل يستطيع إنسان أن يتخيل شيئاً غير موجود؟ الجواب لا، يتخيل حورية رأسها رأس امرأة وجسمها جسم سمكة، السمكة موجودة والمرأة موجودة لكنه هو ركّب، جمع بين امرأة وسمكة، فالخيال البشري لا يستطيع أن يخلق شيئاً من لا شيء، إنما يخلق شيئاً من شيء، يجمع، شخص تخيل شجرة تحمل زجاجات شراب، تخيل، هذه الزجاجة موجودة والنبات موجود، إنسان تخيل حيواناً مثلاً، طوله ثلاثون متراً، خيال، لأن هناك حوتاً طوله ثلاثون متراً، إذاً الخيال أيضاً مربوط بالواقع، لا يوجد عند إنسان القدرة على التخيل إلا من الواقع، أحياناً يتخيلون إنسان المريخ، رأس وجسم وأيدي وأرجل، يغير مكان العيون قليلاً، يُكبر الرأس قليلاً يعمله كرة مثلاً، يجعل لليدين مفاصل آلية، يقول لك: هذا إنسان المريخ.

هل يستطيع أن يتصور إنساناً من دون يدين؟ من دون قدمين؟ من دون رأس؟ من دون جذع؟ لا يستطيع.

## محدودية الخيال ليس دليلاً علمياً على رؤية الغيبيات:

هنا الآن توجد نقطة مهمة ثانية؛ إذا كنت لا تستطيع أن توجد صورة خيالية من لا شيء فكيف في إمكان الإنسان أن يتخيل الجنة ولم يرها؟ فالخوض في الغيبيات إذاً ليس من باب العقل:

**عن الله عز وجل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ).**

**صحيح البخاري**

فالخيال يجب ألا يجول في العالم الآخر، لأن الخيال لا يأتي إلا بشيء من شيء، أما هناك لم تر من هناك شيئاً، إذاً العلماء قالوا: نحن نكتفي بعالم الغيب بالخبر الصادق الذي ورد في كتاب الله فقط، أكثر لا تغير، فإذا كنت عاجزاً عن تخيل الجنة فهل تستطيع أن تتخيل ذات الله عز وجل؟ مستحيل، لذلك قيل: تفكروا في المخلوقات ولا تفكروا في الخالق فتهلكوا، لا تستطيع.

## العقل من آيات الله الدالة على عظمته:

عقلك مربوط بحواسك، وخيالك مربوط بالواقع، ولن تستطيع التجاوز، هذا الكلام أريد منه شيئاً مهماً جداً وهو أن العقل أو الفكر البشري حينما يعجز عن الوصول إلى شيء ليس هذا يعني أن الشيء غير موجود، لكن العقل الذي أُعطينا إياه ذو طاقات محدودة، ومحدودة لحكمة بالغة أرادها الله عز وجل، أحياناً ميزان مكتوب عليه: ثلاثون كيلو غرام، تريد أن تزن به سيارة؟! أخي ثبت لي إياه حتى أصعد عليه لأعرف كم وزن السيارة، فتلف الميزان، ما هذا النوع؟ هذا النوع سيئ، لا ليس سيئاً، هذا الميزان مخصص لوزن ثلاثين كيلو غرام، وليس لوزن لسيارة، فلما الإنسان يكلف عقله بشيء فوق طاقته ويخفق، الخطأ ليس في عقله وليس في الشيء، الخطأ في سوء استخدام العقل، هذه ناحية مهمة جداً.

العقل مربوط بالواقع، والواقع فيه زمان ومكان، مثلاً قل لإنسان: وقعت جريمة، يقول لك أين؟ ومتى؟ بشكل لا شعوري، هذا العقل البشري لا يوجد عنده إمكانية يتصور حدثاً إلا وله زمان إلا وله مكان, لكن الخالق ليس كمثله شيء، لا يُسأل عنه بأين هو؟ لأنه خالق المكان، ولا يُسأل عنه متى كان؟ لأنه خالق الزمان، فكلمة متى وأين في حق الله مستحيلة، هو الذي خلق الزمان والمكان، المكان والزمان من مخلوقاته، فمضى ثلاثون سنة، مليون سنة، مليار سنة، هذه لنا، أما في حقّ الله عز وجل الزمان صفر، لا زمان، هو لا يقيده زمان ولا مكان.

## محدودية العقل:

شيء آخر؛ الكون غير محدود, أما العقل يقول: لابد من أن يكون محدوداً، يجب أن ينتهي، أبعد مجرة توصلوا لها تبعد 18000 مليون سنة ضوئية, وقد يكون هناك مجرات أخرى، لكن بالنهاية الكون محدود، فالعقل كيف يستطيع أن يدرك اللامحدود وهو الله عز وجل؟ مستحيل، لذلك:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)**

سورة البقرة

يقول الإمام الشافعي: إن للعقل حدّاً ينتهي إليه كما أن للبصر حدّاً ينتهي إليه.

والإمام الغزالي يقول: لا تستبعد أيها المعتكف في عالم العقل أن يكون وراء العقل طور قد يظهر فيه ما لا يظهر في العقل.

هذا شيء فوق إمكان إدراكه، لكنه موجود، لأن العقل محدود، والعقل مرتبط بالمكان والزمان:

**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)**

سورة النمل

عرش بلقيس كيف جاء؟ تصور نفسك تريد أن تنقل عرشاً من اليمن إلى القدس، ألا تحتاج أول شيء إلى كونتينرات تضعه به؟ ألا تحتاج إلى شحن جوي؟ ألا تحتاج شاحنات للمطار؟ من المطار للطائرة، ألا تحتاج خمس أو ست ساعات؟ ﴿**قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ فهناك أشياء موجودة لكن العقل محدود، فالإنسان العاقل –كما قلت قبل قليل–عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود.

الفكر البشري محدود بالحواس، والحواس محدودة، تحده الحواس والحواس محدودة، وخياله يحده الواقع والواقع محدود، فأنَّى لهذا الفكر البشري المحدود بالحواس والحواس يحدُّها الواقع وأنّى لهذا الخيال البشري المحدود بالواقع والواقع محدود أن يدرك اللامحدود؟ إذاً معرفة الله لا تكون إلا من معرفة آثاره فقط،

معرفة الذات مستحيلة، معرفة الذات كما لو وضعت ورقة سيجارة أرق شيء في فرن صهر الحديد، وقلت: ماذا حلّ بها؟ من الوهج ذابت، من فوق، من بعد متر من إلقائك أصبحت بخاراً، طبعاً، فالإنسان عاجز عن معرفة ذات الله, **﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾** لذلك قيل: إذا ذُكر القضاء والقدر فأمسكوا.

لا تتعمق كثيراً، لا تتعمق بذات الله، كيف يعرف الله عز وجل؟ علمه كيف؟ أنا أقول: يعلم بلا كيف أفضل شيء, كلمة مختصرة مفيدة، يعلم بلا كيف، كيف يعرف ما سيكون؟ هناك أماكن خطرة في العقيدة ينبغي أن تقول:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

**سورة الإخلاص**

أنا أردت من هذا الكلام أن هناك موضوعات من اختصاص الفكر البشري، وهناك موضوعات أخرى فوق اختصاصهم، فينبغي عدم الخوض فيها أولاً، وإذا عجز الفكر عن إدراكها لا ينبغي أن ننكرها، لا، عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، هذا موضوع تمهيدي، القوة الإدراكية في الإنسان هذا مما كرم الله به الإنسان.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 2-63: عالم الغيب والشهادة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### من مصادر المعرفة في العقيدة الإسلامية التفريق بين عالم الشهادة وعالم الغيب:

أيها الإخوة المؤمنون؛ الموضوع الثاني من مواضيع العقيدة أن العالمَ غيبي ومشهود، العالم الذي خلقه الله عز وجل يُقسَم إلى قسمين، عالم غيبي وعالم مشهود، فكل شيء يقع تحت حواسنا فهو عالم مشهود، فالمرئيات عالم مشهود، المسموعات عالم مشهود، المشمومات عالم مشهود، كل شيء يقع تحت حواسنا الخمسة أو تُدركه حواسنا فهو عالم مشهود.

لكن هناك عالماً لا تدركه حواسنا ولكننا نستطيع أن نتبيّن أثره، مثلاً الكهرباء لا نستطيع أن نراها بالعين، ولكن حركة هذه المروحة أثر من آثار الكهرباء، حرارة المدفأة الكهربائية أثر من آثار الكهرباء، صوت المذياع أثر من آثار الكهرباء، فالكهرباء تبدو على شكل صوت، أو على شكل حرارة، أو على شكل تبريد، أو على شكل حركة، فنقول: إن الكهرباء لا تستطيع حواسنا أن تدركها لكننا نُدرك آثارها، وما دمنا قد أدركنا آثارها فإننا نحكم بوجودها.

إذاً هناك أشياء موجودة لا تستطيع حواسنا إدراكها لكن آثارها دالة عليها، هذا عالم آخر؛ غابت عنا ماهيتها، وظهرت لنا آثارها، فنحن نحكمُ بوجودها.

## الاستشهاد بأمثلة على آثار علم الغيب:

مثل آخر أوضح من ذلك؛ قطعتان من الحديد بقياس واحد، وحجم واحد، ووزن واحد، ولون واحد، وتشكيل واحد، هذه العين لن تستطيع التفريق بينهما، إحداهما مشحونة بقوة مغناطيسية والثانية غير مشحونة، إذا قربنا قطعة معدن صغيرة من القطعة المشحونة تجذبها، إذاً نحكم بوجود قوة في القطعة الثانية نحن بحواسنا الخمسة لا نستطيع أن ندرك هذه القوة، ولكن بجذب المعدن الصغير لها, نستنتج أن في هذه القطعة قوة قطعية الثبوت ولكننا لا نستطيع بحواسنا الخمسة أن ندركها، إذاً العالَم عالَم مشهود، وعالَم غيبي، ووجود العالم الغيبي ليس أقل من وجود العالم المشهود، بل ربما كان العام الغيبي أكثر وجوداً من العالم المشهود، فالحيوانات تتعامل مع العالم المشهود، لكن الإنسان بما أُوتي من فكر يستطيع أن يتعامل مع العالم الغيبي، لذلك قال ربنا عز وجل:

**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)**

**سورة البقرة**

أي الشيء الذي غاب عنهم يؤمنون به إيماناً يقينياً، وأنت إذا رأيت غديراً، الماء يدل على الغدير، والأقدام تدل على المسير، أفسماءٌ ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدُلّانِ على الحكيم الخبير؟!

## الإيمان بالله من دلائل آثار علم الغيب:

إذاً عندنا علم اسمه علم يقيني وهو علم استدلالي أنت من أثر الشيء تستنتج وجود الشيء، أي أقول لكم: إنك إذا رأيت مروحة تدور يقينك بوجود الكهرباء فيها بالمئة كم؟ مئة بالمئة، يقين قطعي مع أنك لم ترَها، فإذا كانت الكهرباء تحكم بوجودها قطعاً ومع أنك لم ترَها، وإذا كانت القوة مغناطيسية تحكم بوجودها قطعاً مع أنك لم ترها، وإذا كانت الروح، الروح أقرب شيء لنا من العالم الغيبي هو الروح.

الآن إذا نظرت إلى ميت، وزنه ثلاثة وسبعون كيلو غرام وثمانون غراماً مثلاً، لو أن روحه خرجت منه لا يقل وزنه ولا غرام، كان يرى بعينه، كان يسمع بأذنه، كان يتحرك، كان يفكر، كان يُحاكم، كان ينطق،

كان يفرح، كان يغضب، كان إنساناً تُحادثه، تجلس إليه، تؤنسه، يؤنسك، تسأله، يجيبك، يبثك همه، حزنه، فرحه، ألمه، فإذا هو جثة هامدة، لا يتحرك، لا يتكلم، لا يفكر، لا يقنع، لا يغضب، لا يرضى، لا يتألم، لا يحزن، لا يفرح، لا يهضم أمعاءه تقف، قلبه يقف، ما الذي فقده؟ هو الروح، من منا يستطيع أن يُنكِر وجود الروح؟ إذا أنكرنا وجود الروح أنكرنا وجودنا، ومع أن الروح موجودة بالبداهة في يقين كل منا لا نستطيع أن نلمسها بيدنا، ولا أن نراها، ولا أن نسمع صوتها، ولا أن نَشُمّ ريحها، لا صوت لها، ولا رائحة لها، ولا شكل لها، ومع ذلك هي موجودة.

إذاً العالم الغيبي موجود، عالم الغيب الذي لا تراه عينك موجود وجوداً صارخاً، أوله الروح، إذاً العالم عالم مشهود ندركه بحواسنا الخمسة، وعالم غيبي ندركه بعقولنا، إذاً الإيمان بالله هو إيمان تحقيقي، أي أنت تستطيع أن تصل إلى درجة من الإيمان اليقيني بالله عز وجل: عن عَامِرٍ أَوْ أَبِي عَامِرٍ أَوْ أَبِي مَالِكٍ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ فِيهِ أَصْحَابُهُ جَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلام فِي غَيْرِ صُورَتِهِ يَحْسِبُهُ رَجُلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ، ثُمَّ وَضَعَ جِبْرِيلُ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الإِسْلامُ؟ فَقَالَ: أَنْ تُسْلِمَ وَجْهَكَ لِلَّهِ وَأَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَسْلَمْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ آمَنْتُ؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: مَا الإِحْسَانُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ**، فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ، قَالَ: فَإِذَا فَعَلْتُ ذَلِكَ فَقَدْ أَحْسَنْتُ.

**أحمد في المسند: صحيح**

لشدة يقينك بوجوده كأنك تراه، **((فَإِنَّكَ إِنْ كُنْتَ لا تَرَاهُ فَهُوَ يَرَاكَ))** هذا الذي ينبغي أن نعرفه جميعاً، أن الإيمان بالغيب لا يعني أن تؤمن بشيء احتمالُ وجوده قليلٌ، هذا من ترهات الشياطين، يقول لك: فلان غيبي، يؤمن بالغيبيات، الملحدون الماديون الفُجّار إذا أرادوا أن ينتقصوا من إنسان مؤمن قالوا: غيبي، يؤمن بالغيبيات، مع أن الإيمان بالغيب هو إيمان بوجود الإنسان، ديكارت قال كلمة، قال: أنا أفكر فأنا موجود، استنتج حقيقة وجوده من تفكيره، فالإيمان بالغيبيات إيمان قوي، وإيمان متين، وإيمان صارخ.

هذا الذي أحبّ أن أقوله بادئ ذي بدء.

## من ارتقى إيمانه يرى الله في كل شيء:

عندنا شيء ثالث، إذا كانت الروح يستحيل علينا إدراك كُنهها، ويستحيل علينا إدراك كنه الكهرباء، ويستحيل علينا إدراك كُنْه القوة المغناطيسية، مع أننا جميعاً نوقن بوجودها، ونحكم بوجودها، فما قولك بوجود الله سبحانه وتعالى؟ أي هذا الكون كله دال عليه، أين الله؟ في كل شيء.

وفي كل شيء له آيةٌ          تدلُّ على أنه واحد

لبيد بن ربيعة

والله يا إخوان إذا الإنسان ارتقى إيمانه أي يرى الله في كل شيء، في كأس الماء، في الطفل الصغير، في العصفور، في الفاكهة، في حبة العنب، في جسمه، في سمعه، في بصره، في الشمس، في القمر، في النجوم، في السماوات، في الرياح، في الأمطار، في البحار، في الجبال، في الصحارى، في السهول، في كل شيء، حيثما وقعت عينه على شيء يرى الله مِن خلاله، من صممّهُ؟ من كوّنهُ؟ من خلقهُ؟ من برأه؟ من فطره؟ من..

أحياناً الإنسان يتعامى عن حقائق، ربنا عز وجل خلق بالأرض معدن الرصاص، من منا يفكر بقيمة هذا المعدن؟ الآن إذا أردنا تثبيت حديد بحجر ما الطريقة؟ تصور أنه لا يوجد عندنا رصاص، عندنا سور حجر يحتاج فوقه إلى سور حديد، كيفية طريقة تثبيت هذا الحديد بهذا الحجر، الرصاص يذوب بدرجة مئة، أي على موقد غاز عادي ضع رصاصاً بحوجلة حديدية تجده صار ماء، يُصب الرصاص في حفرة يوضع فيها وتد المعدن، بعد أن يبرد هذا المعدن من رابع المستحيلات، أنا مرة نظرت إلى حديقة، أُلغيت حديقة فجاؤوا بمناشير حديدية وقطعوا جذور السور الحديدي من الحجر، قلت: سبحان الله! قطع الحديد بالمنشار أهون عليهم من سحب هذا الجذر من مكانه في الحجر، ما السبب؟ لأن الرصاص إذا برد تمدد، حشوة الأسنان ترى المادة سوداء فيها رصاص، عندما يبرد يتمدد، الطبيب يحاول أن يعمل حفرات جانبية حتى الحشوة تدخل

بمكانها تتمدد فتعلق، ربنا عز وجل معنى هذا كون كامل، نحن بحاجة إلى معدن سهل الذوبان، يتمدد عند التبريد، كان الرصاص، ما هذه الحكمة البالغة؟

قال لي مهندس من يومين: هل تصدق أن مُعَامِل تمدد الحديد يساوي تماماً مُعَامل تمدد الإسمنت، لو اختلفا لما بقي بناء قائماً في مكانه، التمدد للحديد يساوي تمدد الإسمنت مئة بالمئة، هذا الحديد من أعطاه هذه القوة؟ الحديد فيه قوة تماسك وفيه قوة دفع، قوة التماسك يُعَبر عنها بالمتانة، بقوى الشد، وقوة الدفع يُعبَر عنها بشيء آخر وهي القساوة، فالإسمنت يتحمل قوى الضغط لكن الحديد يتحمل قوى الشد، يقول لك: إسمنت مسلح، أي الحديد يتحمل قوى الشد والإسمنت يتحمل قوى الضغط، من أعطى هذه المواد هذا التماسك؟

الماء متماسك لكن تماسك شكله متغير، أما شكل الحديد ثابت، فالإنسان يجب أن يفكر، هذه الأشياء تحيط به وآيات إذا نظرت إلى كل شيء ترى الله من خلال كل شيء، فالإنسان المؤمن يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، هذه ميزة المؤمن عن غير المؤمن.

## طريق الإيمان بالغيبيات هو الخبر الصادق:

الآن عندنا شيء اسمه: الإيمان بالملائكة، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالجنة، الإيمان بالنار، هذه أشياء من نوع ثالث، هذه أشياء وسيلةُ معرفتها الخبرُ الصادق فقط، فالإيمان بالله عز وجل إيمان تحقيقي، لكن الإيمان بالملائكة إيمان تصديقي، تقول لي: أخي أين الملائكة لا أشاهدهم؟ أين آثار الملائكة؟ هذه ليس لها آثار، الله سبحانه وتعالى أخبرنا عنهم، إذاً الخبر الصادق وحده هو الدليل القاطع على وجود الملائكة والجنة والنار وما إلى ذلك من عوالم الغيب البعيدة عن إدراك الحواس، هناك أشياء نحسها بحواسنا عالم الشهادة، هناك أشياء نُحس آثارها بحواسنا، إذاً نستدل على وجودها بحواسنا كالروح، كالكهرباء، كالمغناطيس، والله سبحانه وتعالى ترى آثاره، وهناك أشياء لا نستطيع أن نرى آثارها بحواسنا، هذه الأشياء طريقة معرفتها الخبر الصادق فقط.

إذا آمنت بالله إيماناً صحيحاً، وأخبرك عن الجنة، أخبرك عن النار، أخبرك عن الملائكة، أخبرك عن الجن، أخبرك عن الشياطين، فهذا هو الطريق الوحيد لمعرفة هذه الأشياء المُغيّبة عنا بكنهها وبآثارها،

هناك أشياء عينها موجودة، هناك أشياء آثارها موجودة، هناك أشياء لا عينها ولا آثارها بعيدة عنا، موجودة، إذاً هذه نعرفها بالخبر الصادق، فالوحي هو الطريق الوحيدة لتعريفنا بحقائق الأشياء الداخلة في عالم الغيب.

## أقسام عالم الغيب:

### 1- قسم مغيب يظهر عن طريق العلم واكتشافاته:

الآن عندنا أشياء؛ الإنسان لا يتفاجأ أيضاً عندنا بعالم الغيب قسمان؛ قسم استأثر الله بعلمه، وقسم ممكن أن ينتقل من عالَم الغيب إلى عالَم الشهادة، مَن منا يعرف وجه القمر الآخر؟ فلما وصلوا إلى سطح القمر، وهناك مرة هبطت المركبة على الوجه الآخر، والتقطوا صوراً له، فهذا المكان انتقل من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، هناك أشياء كثيرة تنتقل بحسب الاكتشافات العلمية، حسب التقدم العلمي، من عالم الغيب إلى عالم الشهادة، هذا لا يمنع أن نتفاجأ أحياناً بكشوفات كانت من قبل من عالم الغيب فأصبحت من عالم الشهود، قال الله تعالى:

**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (22)**

**سورة الحشر**

درسنا اليوم عالم الغيب والشهادة، وربنا عز وجل قال: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ وقال أيضاً:

**اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (8) عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (9)**

**سورة الرعد**

قد يكون هناك أشياء بالنسبة إلينا من عالم الغيب، الجن من عالم الغيب، الله أخبرنا بوجودهم، أما الجن بالنسبة إلى بعضهم بعضاً من عالم الشهادة، أشياء إذا قيست بالنسبة للإنسان مِن عالم الغيب، إذا قيست بالنسبة إلى الجن من عالم الشهود، ممكن نقسم بحثنا إلى أن العالم عالم مشهود، وعالم غيبي، والعالَم

الغيبي بعضه يمكن أن يصبح من عالم الشهود، وبعضه مما استأثر الله بعلمه، هو ما سيكون، ما هو كائن معروف، لكن ما سيكون هذا من العلم الذي لا يعلمه إلا الله قال تعالى:

**قُلْ** لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ **وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)

**سورة الأنعام**

## 2- قسم لا يعلمه إلا الله:

الغيب بمعنى ما سيكون هذا استأثر الله بعلمه فقط، قال الله عز وجل:

**قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (65)**

**سورة النمل**

وهو ممّا لا يعلمه إلا الله، عن عبد الله بن مسعود قال: **مَنْ أَتَى عَرَّافًا أو ساحراً أو كَاهِنًا فسأله فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ** بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

**صحيح الترغيب: صحيح موقوف**

كأنه حشر نفسه في مجال الله سبحانه وتعالى استأثر به، عالم الغيب بمعنى ما سيكون لا يعلمه إلا الله.

عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم المحدث: **مَن أتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عن شيءٍ، لَمْ تُقْبَلْ له صَلاةٌ أرْبَعِينَ لَيْلَةً.**

**صحيح مسلم**

ولا دعاء أربعين ليلة، إذاً عالم الغيب بعضه يمكن أن ينتقل إلى عالم الشهود، وبعضه الآخر مما استأثر الله بعلمه ولن يُطْلِع عليه أحداً إلا مَن اختارهم مِن بعض أنبيائه.

وفي درس قادم نتابع هذه الموضوعات إن شاء الله.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 3-63: أهمية العقيدة ودورها الخطير في حياة الإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## أسرار الله في مخلوقاته:

### 1- هداية الله للحيوان إلى طعامه وشرابه من دون تفكير منه:

أيها الإخوة الأكارم؛ الموضوع الثالث من موضوعات العقيدة أهمية العقيدة ودورها الخطير في حياة الإنسان.

بادئ ذي بدء نتحدث عن الحيوان، الحيوان تحكمه مجموعة من الدوافع والغرائز، أي الله عز وجل خلق في الحيوان دافعاً نحو الطعام ألا وهو الجوع، وخلق في الحيوان دافعاً نحو التناسل ألا وهو الجنس، فالحيوان تحكمه مجموعة دوافع ومجموعة غرائز، لكن الله سبحانه وتعالى لأنه لم يُكَلفه ولم يقبل الأمانة ولم يتنطح لها، جعل هذه الدوافع وتلك الغرائز منضبطة لمصلحته، فالحيوان قلّما يمرض، لا يأكل فوق حاجته أبداً، الحيوان يشرب الماء مصاً لا يَعُبه عباً، غريزته تأمره بهذه الطريقة، قال:

**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)**

سورة طه

سمّاها الأجانب غريزة، وسمّاها الله سبحانه وتعالى هداية، فالحيوان يقوم بأعمال بالغة التعقيد بشكل غريزي، عفوي، فطري من دون تَعَلُّم، فالحيوان زوده الله بدوافع، وزوده بغرائز، واسمها الإسلامي: هداية الله، وهذه الدافع وتلك الغرائز، مثلاً الدافع نحو الأنثى بأكثر الحيوانات ليس دائماً، في مواسم معينة، لئلا يَضُرّ

نفسه، طعامه من نوع واحد، أحدهم كان مدعواً في أحد أحياء دمشق، وكانت الدعوة على طعام اليقطين أكل يقطينة وشبع، من أجلنا هذه اللقمة، ترجوه أكلها حتى كاد أن ينفجر، راكب الدابة، وهو يمشي في الطريق، في مكان يوجد ماء رغبت أن تشرب الدابة، بعد أن شربت توقفت، قال لها: من أجلي، ترجاها، من أجل خاطري، فقال: والله هذه الدابة أعقلُ مني، هكذا قال، أي الحيوان غريزته لها حدود، إن كان الجنس، وإن كان الطعام، وإن كان الشراب، منضبطة لمصلحته، نرى الحيوان نراقبه إذا مَرِض يدع الطعام والشراب من تلقاء نفسه، يُعالج نفسه بحشائش يهديه الله إليها.

أحدهم راقب قطة مريضة، انطلقت إلى حشيشة على طرف النهر فأكلتها وكان فيها الشفاء، فالحيوان فيه مجموعة دوافع، مجموعة غرائز منضبطة فطرياً لمصلحته.

## 2- تكريم الله للإنسان بأن جعله صاحب إرادة وفكر:

الإنسان نوع آخر، الإنسان نوع مُكرم، الإنسان مجموعة دوافع سماها علماء النفس: حاجات، الحاجة نحو الطعام، الحاجة للطعام، الحاجة للشراب، الحاجة للتكاثر، الحاجة للإحساس بالأهمية، الحاجة للحركة، لو قيدنا إنساناً بسرير لا يعرف حاجة الحركة إلا من قُيّدت حركته، الإنسان فيه مجموعة حاجات، تسميها: دوافع، تسميها: شهوات، الأسماء كلها مؤداها واحد، دوافع، غرائز، حاجات، شهوات، لكن هذه الحاجات وتلك الدوافع وهذه الشهوات ليست منضبطة فطرياً، لأن الله عز وجل كَرّمه، أعطاه إرادة حُرّة، أعطاه فكراً، لما كان الإنسان مزوداً بفكر يهديه إلى الحق، ولمّا كان الإنسان مزوداً بحرية الاختيار، لحكمة بالغة جعل هذه الحاجات أو تلك الشهوات أو هذه الغرائز أو تلك الميول جعلها مفتوحة وليست محدودة، فالإنسان يستطيع أن يأكل متى شاء، وأن يتصل بالجنس الآخر في كل أشهر السنة، لا كبعض الحيوانات، لكن الانضباط هنا يجب أن ينبُعَ من قناعته ومن اختياره، فالآن تبدأ خطورة الإنسان.

## ابتلاء الله للإنسان بالشهوات وأعطاه الوسيلة على ضبطها:

الحيوان يمضي حياته في طمأنينة، وفي دعة، وفي سلامة، لأنه عملية غرائز منضبطة فطرياً، لاحظ الطائر كيف يشرب، لو أنه يطير طيراناً مستمراً ويَعُب الماء عباً لقتل نفسه، القطة تأخذ الماء على دفعات،

الفرس تمُصّ الماء مصّاً، لو دققت في الحيوانات في طعامها وشرابها، وفي طيرانها، في حركتها، منضبطة انضباطاً من أروع ما يكون، بحيث يُحَقِّق هذا الانضباط مصلحتها وسلامتها وطمأنينتها.

الإنسان غرائزه، وشهواته، وميوله ليس لها حدود، الوحش في الغابة إذا كان جائعاً يأكل فريسة، حينما يحسّ بالشبع يكف عن افتراس الحيوانات الأخرى، أما حبّ الإنسان للمال فليس له حدود، إذا غرق في الجنس قد ينتحر، انغماسه بالشهوات، حبه لجمع المال، حبه للاستعلاء لا حدود له، قد يستعلي على حساب حياة الناس أو على حساب فقرهم، فلذلك الإنسان شهواته غير منضبطة فطرياً، أوكل الله له ضبطها، هنا النقطة الدقيقة، أوكل الله له ضبط هذه الشهوات وأعطاه وسائل الضبط، إذا أوكلت لإنسان المحاسبة تعطيه وسائلها، دفاتر، آلات حاسبة، معلومات، يومية، فلما ربنا عز وجل أوكل للإنسان ضبط هذه الشهوات وهذه الميول والغرائز والحاجات، حينما أوكل الله للإنسان أعطاه وسائلها، وسائل هذا الضبط فكر سليم، وحرية اختيار، عبّر عنها بعض العلماء بالإرادة الحرة، الآن تأتي خطورة العقيدة من أن القناعة، أو المفهومات، أو العقائد هي التي تُحَرِّك هذه الطاقات، وتلك الشهوات، وتحرك السلوك، فإذا كانت المفهومات صحيحة كان السلوك صحيحاً، وإذا كانت المفهومات مغلوطة كان السلوك مغلوطاً، هذا الذي أُحِبّ أن أُرَكّز عليه، أي من أنت؟ أنت مجموعة مفهومات فإن كانت صحيحة عشت في سعادة، وانتقلت إلى حياة أبدية.

## نشأة المفاهيم عند الإنسان:

### 1- انتقال الطفل من المحسوسات إلى المجردات:

أقول لكم ما هي المفهومات؟ أحياناً الطفل الصغير يتعامل مع أمه، أي امرأة يراها في صورة يقول: هذه أمه، بأول مرحلة، أول مرحلة كل أنثى هي أمه، وكل رجل هو أبوه، عندئذ ينتقل لمرحلة ثانية، كل رجل عمه، وكل أنثى خالته، بعد مرحلة يتكون عنده مفهوم المرأة، أي كائن حيّ له خصائص معينة غير أمه وغير خالته وغير عمته وغير جارته، المرأة كائن، مفهوم المرأة، يقول: هذه امرأة، هذا رجل، هذه شجرة، هذه تفاحة، هذا خروف، هذا جبل، هذه المرحلة اسمها: انتقال الطفل من المحسوسات إلى المجردات، من المجسدات للمفاهيم.

## 2- تكوين المفهوم لديه:

أول علائم النضوج يتعامل الطفل بالمفاهيم، ثم يتكون لدى الطفل مفاهيم مُركّبة، أنّ النار تُحرق، صار عنده مفهوم أن النار تُحرق، هذا مفهوم، هذا من خلال إحساسه بالنار، مرة لمست يده المدفأة فاحترقت يده فعرف أن النار تحرق، مرة رأى النار لهيباً، مرة رآها جمراً، مرة رأى النار فحماً، مرة رآها مدفأة كهربائية احترقت يده، رآها لهيباً، يتكون عنده من مدفئة الكهرباء ومن مدفئة المازوت ومن بعض الأشياء الحارة أن النار شيء يُحرق، هذا المفهوم، هذا المفهوم يتوضع بخبراته العميقة، الآن إذا شاهد ناراً يبتعد عنها، هنا الآن دقة المعنى، لماذا ابتعد عن النار؟ لأنه يملك مفهوماً مركباً عن النار ، النار تُحرق يبتعد عنها، إذا قيل له: إن في هذا الطعام النفيس سُمّاً؟ لا يأكل، مع أنه جائع، تكوّن عنده مفهوم أن السم قاتل، كل واحد منا عنده آلاف ملايين المفاهيم، الحديد قاس، والنار تُحرق، والعقرب تلدغ، والحية تلدغ، وهذا الحيوان مؤذ، هذا نافع، اللحم يُؤكل، القشر لا يؤكل، مفهوم القشر عنده واضح هذا لا يؤكل، هذا للبهائم.

إذاً بالنهاية مجموعة المفاهيم أساسها حسي ثم إدراك ثم مفهوم، إحساس إدراك إن صحّ التعبير عقل، قال تعالى:

**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)**

سورة الأعراف

## الاستشهاد بأمثلة على مرحلة تكوين المفهوم عند الإنسان:

أول مرحلة الإحساس، الطفل الصغير يرى الحية، لو جئت برضيع عمره سنة ونصف ومرّ أمامه ثعبان كبير، يراه تنطبع صورته على شبكيته لكنه لا يخاف منه، لأنه لا يعرف ماذا يعني الثعبان؟ مفهوم الثعبان لم يتكون بعد عنده، في مرحلة لاحقة يكون بالمدرسة يشاهد الثعبان، أن هذا من الزواحف، وفيه سمّ قاتل، يتعلمها تعليماً، يكون مرة بحديقة حيوان يرى الثعبان، مرة يراه بصورة، مرة بزجاجة، مرة يسمع قصة، من الزجاجة والقصة والصورة وحديقة الحيوان والمدرسة يُكوّن مفهوماً عن الثعبان أنه حيوان من الزواحف لَدْغتُه

قاتلة، إذا شاهد ثعباناً فوراً يصيح ويرتعد ويركض، الآن صار عنده مفهوم، أولاً كان إحساساً، عندما كان عمره سنة ونصف كان إحساساً، أما الآن فصار عنده مفهوم الثعبان، هذا المفهوم هو الذي يُحَدّد سلوكه، هل هناك إنسان عنده ذرة عقل يشاهد ثعباناً ويبقى واقفاً؟ مستحيل، لأن المفهوم عنده أصبح واضحاً، هذا الحيوان مؤذٍ، لدْغتُه قاتلة مثلاً، طبعاً إما أن يقتله أو أن يهرب، أما يضطرب اضطراباً، أحد أسباب اضطرابه وجود مفهوم عنده.

## الفرق بين المؤمن وغيره هو تملكه العقائد الصحيحة الناتجة عن رؤية صحيحة:

الآن إذاً ما الذي يُحَرك سلوك الناس؟ طبعاً مفهوم الثعبان والعقرب أنا أبسط الأمور واضحة هذه، هذه الناس كلهم كافر مؤمن مستقيم منافق الثعبان يخاف منه أو يقتله، الآن ما الذي يُحَرِّك سلوك الناس؟ هناك إنسان عنده قناعة ثابتة أن إطلاق البصر يُسبب قطيعة مع الله عز وجل، وهذه القطيعة تَجر له متاعب لا حصر لها، سوف يكون أعمى لذلك يغضّ بصره، هذا الذي غضّ بصره ينطلق من مفهوم صحيح، وهذا الذي أطلق بصره ينطلق من مفهوم آخر يقول لك: هذه الحياة فترة محدودة، وأنا إن لم أمارس كل حظوظي النفسية فأنا إنسان غبي، فيجب أن أستغل هذه الحياة للاستمتاع لأقصى درجة بكل شيء جميل، فلذلك إذا سار في الطريق يُطْلِق بصره على أشده إلى كل وجه حسن، هذا ينطلق من مفهوم وهذا من مفهوم، يأتي المرابي يقول لك: أنا لا أُجَمد المال، هذا المال يجب أن ينمو، فإذا أقرضتُه يجب أن آخذ على هذا الإقراض فائدة، هذا المرابي ينطلق من مفهوم الربا، يأتي المؤمن يقول: المال مال الله، وهناك موت، وبعد الموت حساب، وهناك سعادة أبدية أو شقاء أبدي، يطيع الله عز وجل.

إذاً الآن أنا أؤكد لكم ما من إنسان على وجه الأرض يتحرك أي حركة صالحة أو طالحة، خيّرة أو شريرة، لمصلحته أو خلاف مصلحته، إلا وينطلق من مفهوم، الآن إذا استطعنا أن نُصَحح المفاهيم دخلنا الجنة، هذه هي، أنت الذي يحركك مفهوم، الآن سوف أسميها عقيدة، إذا المفهوم ترسخ، وتعمق، وانطلق إلى درجة تشبه الرؤية هذا المفهوم ينقلب إلى عقيدة، إذاً إذا صحت العقيدة صحّ العمل، وإذا صحّ العمل سَعِد الإنسان في الدنيا والآخرة.

أخطر شيء بالحياة العقيدة، هذا الذي يأكل الربا، أو هذا الذي يبيح لنفسه أن يفعل ما يشاء أو أن يعتدي على أعراض الناس، هذا ينطلق من مفهوم معين، مفهوم خاطئ، تسرّب إليه عن طريق إنسان مُضِل، أما هذا الذي يرى أن هناك إلهاً عظيماً بيده كل شيء، خَلَقَه في الدنيا ليستعدّ لحياة أبدية يدوم نعيمها، تراه ينضبط، إذاً الفرق الوحيد بين المؤمن وغير المؤمن هي هذه العقائد الصحيحة التي يملكها المؤمن، وتلك المفهومات الخاطئة التي يملكها الكافر.

## العقائد الإسلامية أساس نجاحها أنها درست واقع الإنسان التي فقدته الشرائع الأخرى:

إذا درسنا العقيدة الدينية فقد درسنا المُحَرك الذي يُحَركنا، لما إنسان مثلاً يغش، ينطلق من مفهوم أنني أنا عندي أولاد، والناس كلها يغشون، والغش لا يوجد به شيء، لأنه صار شيئاً عاماً، الزمن صعب يا أخي، وهناك شخص قال لي: حلال على الشاطر، هكذا قال لي، هذه آية أم حديث؟ لا آية ولا حديث، فتجد الغشاش ينطلق من مجموعة مفهومات كلها خاطئة، ظنون، خرافات، يأتي المؤمن يرى أن هناك إلهاً مطلّع على كل شيء، بيده كل شيء، فإذا استقام على أمره، في معاملة الخلق، بارك الله له في صحته، وفي أهله، وفي ماله، وفي دنياه، وفي شيخوخته، وفي موته، وفي الجنة، يستقيم، فعندما ترى رجلاً منحرفاً تأكدْ أنه يحمل مفهومات خاطئة، أي عقائد خاطئة، إذا وجدت إنساناً مستقيماً أي عقيدته صحيحة، إذاً أساس الاستقامة أنْ تملك عقيدة صحيحة، هناك إنسان فَهِمَ الآية الكريمة:

**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا (33)**

سورة الأحزاب

من الوقار، أي يجب أن تكون المرأة وقورة، أما الآية فلا تعني أن تبقى في البيت، لذلك أمر بناته أن يخرجن من البيت مثلاً، قل لي ماذا تعتقد أقل لك من أنت.

## حركة الإنسان تسير وفق معتقده:

درسنا اليوم أهمية العقيدة، هي التي تُحرك سلوكنا، في حياتنا اليومية، في حياتك الصحيّة إذا كان عندك قناعة معينة أن بذل الجهد ضروري، هناك شخص يظن أنه كلما استراح كان أحسن، من السيارة للبيت للمكتب، كله مريح، لا يوجد حركة، مصعد، سيارة، بيت مكيف، مكتب مكيف، لا يتحرك حركة، يتفاجأ هذا الإنسان أن معه مرضاً في القلب أو مرضاً في الشرايين، لكن متى تفاجأ؟ بعْد فوات الأوان، أما الذي يملك مفاهيم صحيحة أن القلب سلامته في بذل الجهد، في الحركة، في المشي، في الرياضة، في بذل الطاقة، فهذا الذي يصون قلبه يملك مفهوماً صحيحاً، إذاً أعدى أعداء الإنسان هو الجهل، أو أن تمتلك مفهومات خاطئة، إنْ بشأن الصحة، إن كان بشأن العلاقات الاجتماعية، إنسان أحياناً يحاسب بائع الخضار، يكون قد أخطأ معه هذا البائع بخمسة وعشرين ليرة، يبقى المشتري ساكتاً، ويظن نفسه ذكياً بهذه العملية، يبقى ساكتاً، يأتي مؤمن يكون قاطعاً عنه مسافة ثلاثين كيلو متراً بالسيارة يرجع لا يستطيع يقول لك: لا أقدر رأى أن هناك ديَّاناً لا يغفل ولا ينام، فكل حركاتك، حساباتك، تصرفاتك، أعمالك، سلوكك، عاداتك، أخي أنا أحبّ أن أنام حتى الساعة التاسعة، حتى أشبع نوماً، يرى أن النوم شيء ثمين، يأتي مؤمن عنده مفهوم أن الحياة محدودة كلها أيام معدودة، وهذه ساعة الصبح لا تعدلها أيّة ساعة، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ:

**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا.**

صحيح البخاري

رغم أنه نام متأخراً، والوقت متأخراً، ينزع عنه اللحاف، وينطلق من فراشه، وينطبق عليه قوله تعالى:

**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)**

سورة السجدة

لو أن إنساناً يحبّ النوم رأى إنساناً يستيقظ باكراً يتهمه بالجنون، وهذا الذي يحب أن يلقى الله عز وجل في صلاة الصبح أن يتصل بالله، أن يقف بين يديه، أن يناجيه، أن يدعو، أن يقرأ القرآن في هذا الوقت

المبارك، يرى النيام في هذا الوقت مجانين، هذا الذي نام لماذا ينام؟ ينطلق من مفهوم خاطئ، وهذا الذي استيقظ لماذا استيقظ؟ ينطلق من مفهوم صحيح.

## سرّ سعادة الإنسان وشقائه هو المفهوم أو المعتقد الذي يتملكه:

إذاً لو استطعنا ألا نُدخل إلى عقولنا إلا المفاهيم الصحيحة انتهت أمورنا كلها، انتهت كل مشكلاتنا، هذا الذي يكاد ينفجر حقداً أو غيظاً مَن الذي قهره؟ مفهوماته مغلوطة، المؤمن مُوحد، لا يرى مع الله أحداً، يرى يد الله فوق أيديهم، هذا الذي ضربه يرى يد الله فوق هذه اليد، هي التي أَذِنت وهي التي سمحت والله عادل، إذاً الذنب ذنبي، ترى المؤمن ليس عنده حقد تجاه أحد، يعلم علم اليقين أن كل شيء وقع لابد من أن يقع أول شيء، ووقع وَفق العدالة المطلقة، ووقع وفق الرحمة المطلقة، وفق اللطف، وفق الخبرة، وفق العلم، تنتهي.

## الاستشهاد بأمثلة على فساد الرؤية عند الإنسان نتيجة المفاهيم المغلوطة:

لذلك هذا التقديم أردت منه أن أُنْبئكم أن الذي يملك العقيدة الصحيحة هو الذي يُحَقق السعادة الأبدية، والذي ينطلق من عقائد زائغة أو مغلوطة.

رجل يقول لك مثلاً: يا أخي الله عز وجل لم يهدني بعد، حتى يهديني الله، هذه عقيدة خطيرة جداً، الله تعالى هداك وانتهى الأمر، خلق الكون وهداك به، بقي عليك الاستجابة، فكل إنسان يقول لك: حتى الله يهديني، عقيدته فاسدة، أخي يذهب الصالح بين قدمي العاصي، هذه عقيدة فاسدة، هناك آية قرآنية تقول:

**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)**

سورة الإسراء

أخي الولي الفلاني نظر بإنسان فاهتدى، هذه القصة غير صحيحة، هذه القصة كذب، لأنه:

**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)**

سورة القصص

هذه لرسول الله صلى الله عليه، رجل يقول لك: أخي سوف تأتيك دفعة أموال، ولك عدو يترصدك، هذا كلام فارغ:

**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)**

سورة الأنعام

لا يعلم الغيب إلا الله، إذا قرأ إنسان القرآن تُصحَّح مفاهيمه، أخي فلان شاهد الجن، كاذب، لماذا تكذب الناس؟ طبعاً:

**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)**

سورة الأعراف

انتهى الأمر، الله قال: الجن لا ترونهم أنتم، هم يرونكم من حيث لا ترونهم، فكل إنسان يدّعي أنه رأى الجن قل له: أنت كاذب، فالذي أريده أن يبحث الإنسان عن العقيدة الصحيحة، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

ابن عمر، دينَك دينَكَ، إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا.

## الحال الذي يعيشه الغرب نتيجة فقدهم للعقائد الصحيحة:

لذلك الآن بعض المجتمعات الغربية يحسون أن هناك حاجة ماسة إلى ما يسمى بالأيديولوجيات، أي العقائد، أي الإنسان الغربي إنسان بلا عقيدة، لا يوجد عنده قيم، لا يوجد عنده حلال وحرام، يفعل ما بدا له،

يفعل ما يشتهي، يحقق لذَّاته كلَّها من دون أيِّ قيدٍ، عندما لا يكون هناك قيود إطلاقاً هذا الإنسان ضاع، مبدأ اللذة نفسه انقلب إلى مبدأ الألم.

الحقيقة عندما يُطلق الإنسان لشهواته العنان من دون قيد ينتهي به الأمر إلى الشقاء، يُحس بتفاهته، فلذلك الآن العالم الغربي أدرك أن أخطر شيء يَفُت في عضد الناس هناك أنهم يفتقرون إلى عقيدة، تجد هناك وحشة، لا يوجد هدف، يسمونه: الهمود، أي امرأة ربت خمسة أولاد تنتظر من سنة إلى سنة أن تتلقى من أحدهم بطاقة تهنئة بعيدِ الميلاد فقط، تنتظر بطاقة تهنئة أما أن يزورها ابنها فهذا شيء مستحيل، مجتمع بلا عقيدة، هذا المجتمع من دون عقيدة مجتمع آخرته الدمار.

## مصادر العقيدة:

### 1- الحس المادي:

الآن عندنا سؤال دقيق؛ كيف تنتقل هذه المفهومات إلى مركزها في الحياة النفسية؟ سابقاً أكدت لكم أننا نحن أمام عالَم حسي، هذا العالم الحسي نُدركه بحواسنا، فأنت بالعين ترى الشمس، أنت بالأذن تسمع صوت الرعد، أنت بحاسة الشم تَشُم رائحة الأزهار، أنت بالجلد تُحِسّ بالحرارة، فهناك أشياء موجودة، الحواس تنقل لك ما في العالم الخارجي، هذا النقل المستمر ينتقل بعد ذلك إلى إدراك، وهذا الإدراك ينقلب إلى مفهوم، فإذا ترسخ هذا المفهوم ورافقته رؤية نفسية ينقلب إلى عقيدة، أول مصدر للعقيدة هو الأحاسيس المادية، فأنت تعتقد أن النار تُحرِق طبعاً، وتعتقد أن الماء سائل، من خلال حواسك، من خلال أحاسيسك اليومية عندك مجموعة عقائد لكن هذه العقائد مادية.

### 2- الدليل الاستدلالي:

هناك طريق آخر للعقيدة، طريق استدلالي، أي أنت من خلال الأثر تعرف المُؤَثِّر، ومن خلال الأقدام تعرف المسير، ومن خلال الماء تعرف الغدير، ومن خلال البعر تعرف البعير، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألاَ تَدُلان على الحكيم الخبير؟

أول طريق للعقيدة حسي، وأغلب الناس عندهم مجموعة مفاهيم صحيحة بديهية استنبطوها من حواسهم الخمس، اسأل مثلاً إنساناً أيهما أكبر هذه الآلة أم هذه الآلة؟ يقول لك: هذه الآلة، شيء بديهي، حتى إن بعضهم قال: المُسَلَّمات لا تحتاج إلى برهان لشدة وضوحها، أما الطريق الثاني طريق الإيمان بالغيب قال تعالى:

**الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3)**

سورة البقرة

أي أنت من خلال دوران هذه المروحة عندك علم يقيني بأن في هذه الأسلاك طاقة كهربائية، والدليل حركة هذه المروحة، وعندك دليل يقيني يبلغ يقينه مئة في المئة أن في هذه الأسلاك الأخرى طاقة كهربائية، والدليل تألق هذه المصابيح، وأن في هذه المسجلة بطارية، والدليل حركتها من دون مأخذ كهربائي، يقين قطعي، هناك أشياء كثيرة في حياتنا تبلغ درجة اليقين عن طريق الاستدلال، فالشيء التي تُدركه حواسك تعرفه من خلال الحواس، والشيء الذي لا تدركه الأبصار لكن له آثاراً تُدركها الحواس أنت تعرفه من خلال آثاره، فإذا شاهدت إنساناً ميتاً وإلى جانبه إنسان يغسله، في أيهما روح؟ بالذي يُغَسِل، الذي يتغسل لا يوجد فيه روح، ميت، أما الذي يُغَسله فيه روح قطعاً، والدليل حركته، لو كان الثاني ميتاً كان مثله، فلذلك هناك أشياء ندركها بفكرنا عن طريق الآثار المادية لها.

## 3- الأمور التي تتعلق بالغيب طريقها الخبر الصادق:

أما إذا كان الشيء مُغَيّباً عن حواسنا، مُغَيّباً ذاته وآثاره، ليس لمعرفته إلا طريق واحد وهو طريق الخبر الصادق، إذاً للعقيدة ثلاث قنوات تغذيها، قناة الحواس الخمس، وما يتبعها من إدراك ومفهوم ثم عقيدة.

الطريق الثاني طريق الاستدلال الفكري، وهذا الطريق لا يَقِلُّ في قوته وصحته عن الطريق الحسي، إنك تَقطع وتَجزِم بأن هناك إنساناً سار في هذا الطريق من آثار أقدامه، وأن الذي سار العرب تعرفه أنثى أم رجل، صغير أم كبير، فاقتفاء الآثار علم قائم بذاته.

أما إذا كان الشيء الذي تبحث عنه غائباً عنك، وكانت آثاره أيضاً غائبة عنك، لا سبيل إلى معرفته إلا عن طريق الخبر الصادق، فالخبر الصادق قناة، والاستدلال العقلي قناة، والإدراك الحسي قناة، من الإدراكات الحسية والاستدلالات العقلية وتصديق الأخبار الصادقة يتكون مجموعة مفاهيم، هذه المفاهيم مع الممارسة ومع الامتحان ومع التكرار تنقلب إلى عقائد، وبعبارة أخرى تنقلب إلى معقولات، قال تعالى: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾.

## صورة عملية التفكير في ذهن الإنسان:

الإحساس بالعين، الإدراك بالفكر، العقل بالقلب، تُحسّ بالعين، صورة الشيء، بالفكر تقول: هذه أفعى، عندك مفهوم الأفعى، فإذا لُدِغتَ بالأفعى مرة تكوّن عندك تجربة مرة، عندئذ تعقل خطرها، وتعقل أذاها، فالإحساس صورة والإدراك فكرة أما العقل فتجربة، ممكن تسميها: تجربة، ممكن تسميها: رؤية، لكن نوع من المعرفة لا يرقى إليها الشك، إن صحّ التعبير الإحساس إذا الشيء بقي في الإحساس أي العين رأته، أما إذا وصل إلى الدماغ أدركته، العين أحست به، والدماغ أدركه، والقلب عقله، إذا وصل الشيء إلى القلب فهذا أعلى درجات المعرفة.

## مراتب العلم:

عندنا شيء أحياناً مجموعة الأفكار ومجموعة المعتقدات يمكن أن تصنف إلى ثلاث درجات: الدرجة الأولى مرتبة اليقين، يوجد درجة مرتبة الظن، يوجد درجة مرتبة الشك.

هناك أشياء مشكوك بها، هناك أشياء يغلب الظن أنها صحيحة، هناك أشياء تقطع بأنها يقينية، فإذا كان ربنا عز وجل قال مثلاً:

**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ**

**دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)**

سورة المائدة

يوجد نص صريح قطعي واضح مُحْكَم، إذاً لا سبيل إلى إنكاره، هناك قضية لست متأكداً من صحتها، أي يوجد موضوعات بالفقه مثلاً، موضوعات يجوز تحديد النسل أو لا يجوز، هناك علماء استنبطوا هذا من آية معينة، هناك علماء رفضوا ذلك، هذا موضوع لم يُقطع به بعد، أما إذا إنسان تكلم لك عن الجن خرافات، وقال لك: اكتب هذه الكلمة وضعها في كأس ماء واشربها، تفهم الكتاب فوراً، تنجح وتأخذ علامة عالية، هذه خرافة، أي ممكن لأحدهم أن يأخذ حجاباً ويحمله يفهم كتاب الفيزياء فوراً وحده؟ هناك أشياء بمستوى الخرافات، هناك أشياء بمستوى الأفكار القابلة للتصديق، هناك أشياء بمستوى اليقينيات.

نحن إن شاء الله تعالى في درس قادم نُتابع موضوع العقيدة على مستوى أن هذا الخبر الصادق كيف يكون صادقاً؟ وما مقياس صدقه؟ لأن ربما تُبنى مجموعة كبيرة من عقائدنا على الأخبار الصادقة التي أخبرنا بها كتاب الله عزّ وجل، وأخبرنا بها النبي عليه الصلاة والسلام، في العقيدة قسم تحقيقي، وعندنا بالعقيدة قسم تصديقي، التحقيقي لا تُغني الأخبار الصادقة عن التحقق الذاتي، قال تعالى:

**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآَيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)**

سورة البقرة

فالتفكُر هو التحقق، فالإيمان بعضه تحقيقي، وبعضه تصديقي، وسوف نتابع هذا الموضوع في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس 4-63: اليقين الإخباري - الخبر الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### موقف الإنسان وحركته في الحياة وفق عقيدة يتمسك بها:

أيها الإخوة المؤمنون؛ بينت لكم في الدرس الماضي أن الإنسان حينما يتحرك في الحياة، حينما يفعل هذا الشيء أو لا يفعله، بكلمة أخرى مواقفه، الإنسان في حقيقته مجموعة مواقف، يقف من هذا الموضوع موقفاً معادياً، يقف من هذا الموضوع موقفاً مؤيداً، يمارس هذا الشيء، يمتنع عن هذا الشيء، هذه المواقف المتعددة المتنوعة المتباينة ما الذي يتحكم فيها؟ ما الذي يحركها؟ ما الذي يُسيرها؟ ما الذي يفرضها؟ شيء واحد خطير جداً في مصطلح الفقهاء: العقيدة، وفي مصطلح علماء النفس: المفاهيم، فإذا سرتم في الطريق وأنتم تركبون سيارة قد ترون إنساناً يجري في طرقات المدينة أو في طرقاتها الخارجية، أنت راكب في سيارة مستريح، إن كان الوقت بارداً أنت في جو معتدل، وإن كان الوقت حاراً في جوّ مكيف، وهذا يرتدي ثياباً خفيفةً ويجري، ما الذي يجعله يجري؟ طبعاً الجري في وقت باكر حيث البرد الشديد وحيث، هذا الجري لا يتوافق مع راحة الجسم، أن تبقى في الفراش تنعم بالدفء أطيب وأريح لهذا الجسم من أن تخرج وتجري، لماذا يجري؟ لأن في أعماقه مفهوماً أن الجري يُقوّي القلب، وأن الجري يدفع عنه الآفات، وأن الجري يُلَيّن الشرايين، وأن الجري يُقوّي العضلات، وأن الجري حسب تفكير بعض الناس يَمدّ في الحياة، إذاً هذا الذي يجري عنده مفهوم عن الجري هو الذي جعله يجري، وهذا الذي يمتنع عن هذه الأكلة لماذا امتنع عنها؟ لأن عنده قناعة أن هذا الطعام يُفسد عليه حياته، إذاً الذي تفعله أو الذي لا تفعله، مواقفك في الحياة المتعددة المتباينة المتناقضة المنوعة، مواقف التأييد من موضوع معين، مواقف المعارضة، الإقدام، الإحجام، الفعل، ردّ الفعل، عدم الفعل، هذا كله يُحرّكه العقيدة، فالمؤمن يقوم ويصلي، وقد يمتنع عن شيء نهاه الله عنه.

## مناط العقيدة في الإنسان هو العقل الذي مصبه في القلب:

بالدرس الماضي ذكرت لكم أن هذه العقيدة لها منافذ، هناك منافذ أو قنوات صحيحة تسلك منها الأفكار إلى هذه المنطقة العميقة في الإنسان التي إن صح التعبير نسميها منطقة العقل، وقد قال الله عز وجل:

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ **لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا** وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (179)

**سورة الأعراف**

ومنطقة العقل في الإنسان هي القلب، وقد بيّنت في درس سابق أن هناك إحساساً، وأن هناك إدراكاً، وأن هناك مفهوماً، وأن هناك عقلاً، إحساس إدراك مفهوم عقل، فأنت تُحسّ أن الشمس ساطعة، العين شبكية العين تتأثر بضوء الشمس، ينتقل هذا الإحساس إلى الدماغ، الدماغ عنده ذاكرة، هذه الذاكرة تُنبِئه أنَّ الشمس ساطعة، هذا ينتقل إلى المفهوم، مفهوم الشمس عنده واضح، ثم ينتقل إلى المنطقة العميقة في الإنسان وهي العقل، لذلك حينما يسير في الصيف تحت أشعة الشمس المُحرقة يأخذ معه مظلة، أو يضع على رأسه كتاباً يخاف ضربة الشمس بحسب المفاهيم.

## مصادر العقيدة الإسلامية:

في الدرس الماضي تحدثت عن أن هناك يقيناً حسياً وعن أن هناك يقيناً استدلالياً، وعن أن هناك يقيناً إخبارياً، اليقين الحسي؛ شيء واضح جداً حينما تحس أن هذه المدفأة مشتعلة، حرارتها تستيقن من خلالها أنها مشتعلة، أما الاستدلالي هذا ينفرد بالإنسان، الحيوان يتعامل مع المحسوسات، الحيوان يخاف بعينه، أما الإنسان المفكر يخاف بفكره، لذلك الطالب في واحد أيلول يدرس، لا يوجد فحص، لا يوجد شيء يدعو للدراسة، لكنه يتصوّر الامتحان قبل سنة، يتصوّر الموقف العصيب، توزيع الأسئلة، لا يدري كيف يجيب، النتيجة السيئة، صَغَاره عند الناس، تحطيم آماله في الحياة، إذاً يدرس، فدراسته مبنية على يقين استدلالي، فالشيء الذي تبحث عنه، إما أنه ظاهر لحواسك، فيقينك به يقين إحساسي، يقين حسي، وإما أنه غاب عنك وبقيت آثاره، فإذا بقيت آثاره فاليقين به يقين قطعي مئة بالمئة، لكنه يقين استدلالي، كما تستدل على أن في الأسلاك

كهرباء من تألق المصباح، وكما تستدل على أن في الأشرطة تياراً كهربائياً من حركة المروحة، وكما تستدل على أن الإنسان فيه روح من حركته، وكما تستدل على أن لهذا الكون خالقاً عظيماً من آثاره.

فالإيمان بالله إيمان تحقيقي، القناة الأولى اليقين الحسي عن طريق الحواس، القناة الثانية عن طريق الفكر، القناة الثالثة عن طريق الخبر الصحيح، والخبر الصحيح عند المسلم يرقى إلى مرتبة اليقين، بشرط أن يتحقق من صحته.

## الفرق بين المؤمن وغير المؤمن الرؤية الصحيحة:

الدرس اليوم عن القناة الثالثة التي تصل إلى منطقة العقيدة أو إلى القلب الذي هو مناط العقل، والقلب هو الذي يحرك الإنسان نحو اتّخاذ مواقف معينة من موضوعات معينة، والإنسان مجموعة مواقف، أي لو أن أي إنسان على وجه الأرض يملك عقلاً لحقيقة الزنا كما ملكه سيدنا يوسف لأحجم كما أحجم، سؤال آخر؛ لو أنّ أي إنسان على وجه الأرض رأى من نِعم الله ومن كمالات الله ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم لحَمِد الله كما يحمد النبي ربه، فالأزمة أزمة رؤية، أي الفطرة واحدة، هؤلاء البشر على تعددهم، واختلاف مشاربهم، وتنوع بيئاتهم، وأصولهم، وفروعهم، وأجناسهم، وعاداتهم، وتقاليدهم، إنهم جميعاً مفطورون فطرة واحدة، فلو أُتيح لأشقى الناس أن يرى ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم لحَمِدَ الله حمده، ولأحبّ الله حبه، ولكان ورعاً ورعه، ولعَمِلَ صالحات كما فعلها النبي صلى الله عليه وسلم، فالأزمة كلها أزمة معرفة، وأعدى أعداء الإنسان الجهل، وخير أصدقائه المعرفة، فإذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم، أي هؤلاء المنحرفون، هؤلاء الفُجّار، هؤلاء الكفار، هؤلاء الفسقة، هؤلاء الملحدون، هؤلاء لو رأوا ما رأى المؤمنون لكانوا مثلهم، الفرق بينهم وبين المؤمنين هي الرؤية، إما أن تملك رؤية صحيحة وإما ألا تملكها، فإذا ملكت هذه الرؤية سعدت وأسعدت، وإن لم تملكها شقيت وأشقيت.

على مستوى حياتنا الاجتماعية، هذا الذي يأكل مالاً حراماً، اغتصب مالاً لأيتام، لو أيقن أن الله سبحانه وتعالى لابدّ من أن يدمره وماله، لا يأكل هذا المال، فالذي يأكل إذاً أعمى، والذي لا يأكل مبصر، وقال الله عز وجل:

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)

سورة الحج

فأنا أقول دائماً: لا تحب أحداً، أحبّ نفسك، من باب التجاوز أو من باب الأفكار الغريبة كن أنانياً، أحبّ نفسك فإذا أحببتها تخاف عليها من العطب والهلاك، تسعى إلى سلامتها، تبتغي سعادتها، إذاً تستقيم على أمر الله، لو أنك أحببت نفسك حبّاً مبصراً لاستقمت على أمر الله، أبداً:

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا** لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)

سورة الروم

نحن جميعاً لنا فطرة واحدة، الخلافات بين البشر وبين الأفراد وبين الشعوب خلافات شكلية لا قيمة لها، يا داود ذكّر عبادي بإنعامي عليهم فإن النفوس جُبِلت على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، قانون.

## منطقة القلب أخطر منطقة في الإنسان:

أخطر منطقة في الإنسان منطقة القلب، الذي هو مناط العقيدة، إحساس، إدراك، عقل، العقل الذي مناطه القلب هو الذي يُحركك، هو الذي يجعلك تأكل أو لا تأكل، تمشي أو لا تمشي، تفعل أو لا تفعل، تقبض أو لا تقبض، تؤذي أو لا تؤذي، الذي يؤذي أعمى، لا يرى أن لهذا الذي يؤذيه رباً لن يفلت من يده، أعمى، أما المبصر يرى أن الله على كل شيء وكيل، الله وكيله، وسوف يدفع الثمن باهظاً، فالذي أرجوه وأرجو الله أن يتفضل به علينا هو هذه الرؤية الصحيحة، إذا رأيت رؤية صحيحة حُلّت كل المشكلات، وانتهى الأمر، فإن كان في القلب عمى وقع الإنسان في متاهات لا نهاية لها.

## إذا توصلت إلى معرفة الله استقمت على أمره:

بعض الآيات التي تؤكد أن لهذه العقيدة الراسخة التي مناطها في القلب مسالك، من هذه المسالك قوله تعالى:

**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (164)**

**سورة البقرة**

من أعطى هذا الماء قوة الدفع نحو الأعلى؟ أمسك بوعاء ماء واغمسه في بحرة يذهب جزء كبير جداً من وزنه، أين ضاع هذا الوزن؟ في الماء قوة تدفع نحو الأعلى، لولا هذه القوة لما كان هناك ملاحة بحرية إطلاقاً، هذه الملاحة البحرية التي تنفع الناس، وتنقل حاجاتهم وبضائعهم وغذاءهم وحديدهم، وكل ما يحتاجونه من قارة إلى قارة بفضل هذه القوة التي أودعها الله عز وجل في الماء، قوة الدفع نحو الأعلى.

﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**﴾ اختلاف الليل والنهار، هذا المحور المائل، ميل هذا المحور جعل هناك ليلاً، دوران الأرض حول نفسها جعل هناك ليلاً ونهاراً، لو أن المحور قائم على مستوي الدوران لما كان هناك اختلاف في طول الليل والنهار، النهار اثنتا عشرة ساعة، والليل كذلك إلى أبد الآبدين، ولولا ميل هذا المحور لما كان هناك فصول، فاختلاف الليل والنهار، اختلافه أي تعاقبه، أي دورة الأرض حول نفسها، واختلافه أي تباينه، ميل المحور من دورة الأرض حول نفسها ومن ميل المحور نشأ الليل والنهار، ونشأ اختلاف الليل والنهار، ونشأت الفصول، ﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ**﴾ دقق ﴿**لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ إذا عقلت أن هذه الآيات دالة على عظمة الله، وأن الله سبحانه وتعالى بيده كل شيء، وأنه لا معبود سِواه، استقمت على أمره:

**أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (8)**

**سورة الروم**

وَفِي الْأَرْضِ آَيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (20) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (21)

**سورة الذاريات**

وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)

**سورة الإسراء**

أكثر الآيات تنتهي بقوله تعالى: أفلا تعقلون، لعلكم تعقلون، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ**﴾ العين منفذ، والأذن منفذ، والقلب يعقِل الحقيقة.

## الخبر المتواتر من مسالك الخبر الصادق:

الآن طريق الخبر الصادق، المسلك الثالث هو مسلك الخبر الصادق الذي يصل إلى مستوى اليقين، الخبر الصادق نحن قد نوقن بوجود شيء ولا نراه، وليس له في حياتنا آثار، بلاد الصين، كلنا نوقن بوجودها، لكن أحدنا قد لا يراها، لم يرها من قبل، وليس لها في بلادنا دليل، أن هذه قطعة من الصين، لا يوجد دليل يُثبت أن هناك بلاداً اسمها الصين، لكن الأخبار الصادقة، تواتر الأخبار، تصريحات زعماء الصين، أحداث بالصين، زلزال في الصين، كل هذه الأنباء، كل هذه الأخبار، كل هذه وكالات الأنباء تنقل لك أشياء عن الصين، فأنت من هذه الأخبار المتواترة التي ينقلها الجمع عن الجمع توقن أن هناك بلاداً اسمها الصين، وكذلك الحرب العالمية الأولى، من منا رآها؟ لم يرها أحد، لكن سمعنا عنها، هذا السماع الكثير، تواتر الأخبار عنها هذا يؤكد لك أن هناك حرباً عالمية أولى وقعت فعلاً، فالأخبار المتواترة، ومعنى المتواترة أن الجمع الغفير نَقَل عن الجمع الغفير عن الجمع الغفير، ويستحيل عقلاً تواطؤ الناس كلهم على الكذب.

جالس في بيتك، قال لك أحدهم: في المكان الفلاني حريق، بعد ساعة قالَ لكَ شخص ثان، شخص ثالث، شخص رابع، هذا مثقف، هذا غير مثقف، هذا قريبك، هذا جارك، هذا بالطريق، هذا صديقك، هذا زميلك، هذا شخص لا تعرفه قال لك: هناك حريق، هؤلاء الجمع الغفير مع اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم

وألوان ثقافتهم وعقليتهم وأعمارهم ونواياهم وطيبهم، جميعاً قالوا لك: هناك حريق في المكان الفلاني، هذا اسمه: خبر متواتر، يستحيل عقلاً أن هؤلاء الجمع الغفير يتفقون على الكذب، فلذلك هذا المقياس الأول.

## حجة الخبر الصادق هو وصول الباحث إلى تصديق نبوة الرسول المؤيد من السماء:

الأخبار المتواترة تفيدنا العلم اليقيني بداهة، لأنه يستقر في نفوسنا وفي عقولنا أنه لا يمكن عقلاً أن تتفق على الكذب هذه الكثرة الكاثرة من المخبرين، فإذا أنكرنا الخبر الصادق أنكرنا التاريخ، يوجد رومان ويوجد يونان ويوجد كنعانيون، ويوجد آراميون، ويوجد فينيقيون، ويوجد بلاد بأمريكا، ويوجد هنود حمر وتواريخ وحروب، من أنكر الخبر الصادق فقد أنكر التاريخ، التاريخ يثبت بالتواتر وبالخبر الصادق، هذا على مستوى الأخبار العادية، لكن بما أنه ثبت لدينا عقلاً صدق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم فيما يُخبر به عن الله تعالى من أحكام ومن أمور الغيب، وأن خبره صلى الله عليه وسلم يُفيدنا العلم اليقيني قطعاً، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم مشهود له من قِبَل الله بلسان حال المعجزة التي يُجريها الله على يديه أنه صادق، أي لا يوجد إنسان بالأرض يُمسك العصا يلقيها فإذا هي ثعبان مبين، هذا العمل فوق طاقة البشر، فهذا الذي يفعلها إذاً هو رسول من خالق البشر، أيّده الله بهذه المعجزة، ومادام الله قد أيّده بهذه المعجزة إذاً خبره صادق، النبي عليه الصلاة والسلام المُؤيد بالمعجزة تُؤكد لنا أن هذا تأييد من الله لرسوله، وأن كلامه هو الخبر الصادق، وقد قال الله عز وجل:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

**سورة النجم**

فيجب عقلاً تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يُخبر به من أحكام الشريعة ومن أمور الغيب.

## القرآن الكريم من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام:

هناك عالم جيولوجي حينما سمع قولاً نُسِب إلى النبي عليه الصلاة والسلام كاد يصعق، بحسب علمه أن بلاد العرب من المستحاثات من بعض القرى التي كانت مغمورة بالرمال من بعض الآثار التي وجدوها في الربع الخالي، من دلائل يقينية، ثبت لديه أن بلاد العرب كانت جنات وأنهاراً:

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحداً يقبلها منه **وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً**، المروج هي الجنات والبساتين الخضراء.

**صحيح مسلم**

معنى ذلك أنها كانت، هذا الكلام الموجز كلمة **((تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً))** هو من خلال مستحاثات، من خلال تنقيبات، من خلال دراسات طويلة، من خلال بحوث، من خلال مطالعات وصل إلى أن هذه البلاد كانت فيما مضى بساتين وجناناً وأنهاراً، وبحسب حركات الأرض غير المشهورة ميل المحور هناك حركات عديدة شرحتها لكم قبل سنوات في درس سابق، هناك اثنتا عشر حركة للأرض، نعرف منها نحن دورتها حول نفسها وحول الشمس، أما هناك عشر حركات، فنجم القطب مثلاً، هذا بعد خمسة وعشرين ألف عام لا يكون هذا النجم نجم الشمال، سوف يكون هناك نجم آخر اسمه: النسر الواقع هو نجم القطب، لأن ميل المحور، لأن المحور المائل يدور دورة كاملة فيرسم مخروطاً في خمسة وعشرين ألف سنة، هذه حركة، ومستوي الأرض الذي تدور وفقه حول الشمس يدور دورة كاملة، وموضوعات معقدة جداً في درس ماض فيما أذكر فصلتها، هذه الحركات استنبط منها العلماء تحوّل خطوط المطر من مكان إلى مكان، فلما قال عليه الصلاة والسلام: **((تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً))** هذا مما يُثبت نبوة هذا النبي عليه الصلاة والسلام.

النبي عليه الصلاة والسلام ما رأى بطن الحوت، ما شرّح الحوت، لو أن هذا القرآن من عنده، لو أن الله عز وجل قال: فابتلعه الحوت، لسيدنا يونس، كلمة فابتلعه معنى هذا أن هذا الكتاب ليس كتاب الله عز وجل لأن مري الحوت لا يتسع لمرور إنسان، قال ربنا :

**فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ (142)**

**سورة الصافات**

لم يقل: فابتلعه، النبي عليه الصلاة والسلام ما رأى الحوت، ولا شرّح الحوت، ولا درس عن الحوت.

**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)**

**سورة العنكبوت**

اتّخذت تاء التأنيث لماذا؟ لأن التي تنسج البيت هي الأنثى، من منا أخذ العنكبوت وعرف الذكر من الأنثى؟ وعرف أن التي تنسج هي الأنثى؟ الآن العلماء عرفوها، بعد دراسات ومخابر وتشريح عرفوا أن الأنثى هي التي تنسج البيت، لو كان القرآن من عند الرسول هو كتَبَهُ كان يقول لك: لاتّخذ بيتاً، ينسى التاء، إذا نسي التاء لم يعد هذا القرآن الكريم قرآناً كريماً.

**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)**

**سورة النور**

ربنا عز وجل قال: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي**﴾ لم يقل الزاني والزانية، قال: ﴿**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا**﴾ معنى ذلك أن المرأة أقدر على الزنا من الرجل.

**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)**

**سورة المائدة**

معنى ذلك أن الرجل أقدر من المرأة على السرقة.

**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)**

**سورة الرحمن**

الله بدأ بالجن، لأن الجن أقدر على النفوذ في السماوات من الإنس.

**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)**

**سورة الإسراء**

بدأ بالإنس لأن الإنس أقدر على البيان والفصاحة من الجن، كلام إله.

**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)**

سورة الجمعة

بدأ الله بالتجارة وثنّى باللهو لأنه لا لهو بلا تجارة، أصحاب الدخل المحدود لا يستطيعون أن يفعلوا ما يفعل المترفون، فالتجارة أصل اللهو، ﴿**قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ**﴾ بدأ باللهو، لأن ترك صلاة الجمعة لِعلّة اللهو أفظع إثماً من تركها لعلة التجارة.

**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)**

**سورة التوبة**

هنا بدأ بالأب، قال تعالى:

**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ (14)**

**سورة آل عمران**

بدأ بالمرأة، قال تعالى:

**يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)**

**سورة عبس**

بدأ بالأخ، قال تعالى:

**يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11)**

**سورة المعارج**

بدأ بالابن، مرة بالابن، مرة بالأب، مرة بالزوجة، مرة بالأخ، قال: في موطن الاعتزاز الاجتماعي الأب يقع في الدرجة الأولى، أنا ابن فلان، ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ**﴾.

في موطن الشهوة بدأ بالمرأة، في موطن الفدية أغلى شيء الابن.

العلماء قالوا عنه كلمتان، لكن كلمتان خفيفتان في لفظيهما، عميقتان في مدلوليهما، قالوا: القرآن الكريم قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، أي إذا أنت قلت على ورقة: إذا قربت من البنزين ناراً فإنه يشتعل، بخط قلم رصاص، بخط سيئ، هذه الكلمة قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، تحب أن تجرب جرب، قرب عود كبريت من البنزين يلتهب فوراً، ينفجر.

## القرآن الكريم قطعي الثبوت قطعي الدلالة:

القرآن الكريم إذا كان هناك قوانين، إذا ربنا عز وجل قال:

**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا** وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)

**سورة البقرة**

قطعي الثبوت أنه كلام الله عز وجل، قطعي الدلالة على أنه لابدّ من أن يمحق الله الربا، أبداً قولاً واحداً، إذا قال ربنا عز وجل:

**إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9)**

**سورة الإسراء**

إيجاز، الإعجاز بالإيجاز، بحياتك الزوجية، بحياتك الأسرية، بحياتك الاجتماعية، بصحتك، بطعامك، بشرابك، ببيعك، بشرائك، بأي مكان تريد، ﴿**يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ ، إذا الله عز وجل قال:

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)

سورة النحل

قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، أي أنا لا أرى في الأرض كلها كتاباً يستحق أن يُقرأ كلمة كلمة، حرفاً حرفاً، حركة حركة، وأن تقرأ ما بين السطور، وأن تَعدّ هذا الكلام مفتاح السعادة ككتاب الله عز وجل، أبداً.

## حقيقة القرآن الكريم ساطعة في الكون:

قال لي أحدهم: أخذت أولادي على المستشفى، أكلوا فواكه قبل أوانها، قلت له: علّمهم القرآن؟ قال لي: ما علاقة القرآن بالموضوع؟ قلت: ربنا قال:

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ **كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ** وَآَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (141)

سورة الأنعام

﴿**إِذَا أَثْمَرَ**﴾ أي إذا إنسان أكل الثمر قبل أن يُثمر، قبل أن ينضج يضرّ نفسه، إشارات دقيقة، أحدهم يسير شعر بحرّ شديد، وجد ماء عذباً فراتاً بارداً شرب حتى شبع، يقتل نفسه، قال تعالى:

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ **إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ** فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (249)

سورة البقرة

هذه إشارة إذا بذل الإنسان جهداً كبيراً جداً يجب أن يشرب شربة قليلة جداً حتى يتوازن.

## كلام النبوة لا يتناقض مع العقل:

الآن يجب عقلاً تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما يُخبر به من أحكام الشريعة ومن أمور الغيب، والاعتقاد به اعتقاداً جازماً، باعتباره يفيد العلم اليقيني، سواء أخبر به في نص آية من كتاب الله عز وجل أو أَخبر به بكلام من عنده، لا فرق في ذلك مُطلقاً لأن الله في كتابه شَهِد له بأنه لا ينطق عن الهوى، أبداً، الذي جاء في القرآن أو الذي جاء في السنة كلاهما يرقى إلى مستوى اليقين.

## شرط الأخذ بالحديث:

### 1- الخبر المتواتر:

شخص وضّاع أحاديث، دجّال، عامل طريقة أنه هو ينام يرى رسول الله يقول له الحديث صحيح أم كذب، فجاء شخص ذكي امتحنه، قال له: هذان الحديثان انظر فيهما وغداً قل لنا ماذا يحصل معك؟ طبعاً الأحاديث من كتاب مكتوب عليه ضاد أي الحديث ضعيف، فهذا الدجال نام فقال له: هكذا قال لي رسول الله، قال لي: إنه ضعيف، رسول الله لا يقول: ضعيف، يقول: إما قلته أو لم أقله، نحن عندنا يوجد قوي ويوجد ضعيف أما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يوجد قوي، قلته أم لم أقله، فالمشكلة مع رسول الله سهلة جداً.

الصحابة الكرام الذين عاصروه الذي قاله رأوه بعينهم يقوله وانتهى الأمر، الذي قاله لا ينطق عن الهوى، أما المؤمن بعد أن انتقل النبي الكريم إلى الرفيق الأعلى، هنا أصبح مشكلة، فأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام الذين عاصروه ما كانوا يُفرقون قط في التسليم بما يبلغه النبي إليهم من أحكام وغيوب بين آية قرآنية يرويها وبين حديث يقوله من عنده، لأن كل أحاديثه تبيان لكتاب الله، القرآن موجز، والنبي صلى الله عليه وسلم فصّل، فكلامه تفسير، أخي رسول الله ما ترك تفسيراً؟ بلى ترك تفسيراً، أين هو؟ مطبوع؟ أحاديثه كلها تفسير لكتاب الله.

قال: وأما بالنسبة إلينا فحيث لم نسمع من النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة بل سمعنا ممن رووا عنه، والذين رووا عنه ليسوا بمعصومين، هنا يوجد نقطة دقيقة، وجدنا أنفسنا بحاجة إلى أن نُفَرّق بين ما نُقِل

لنا عن النبي بطريق متواتر يفيد العلم اليقيني وبين ما نُقل إلينا بطريق الآحاد الذي لم يبلغ مبلغ التواتر، هذه نقطة مهمة جداً، أي ما بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم من أحاديث متواترة، أي الجمع الغفير رواها عن الجمع الغفير، هذا النوع من الأحاديث وهي قليلة لا يرقى إليها الشك، إنها تبلغ درجة اليقين.

## 2- حديث الآحاد:

أما أكثر الأحاديث مروية بطريق الآحاد، أنا معقول أن رسول الله في بعض الأحاديث التي رواها الآحاد أنه سُحِر؟ إذا سُحر أين قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى﴾؟ في أثناء السحر ينطق عن الهوى، أين قوله تعالى؟

**قَالُوا** إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153)

سورة الشعراء

أين قوله تعالى؟

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ** وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** (67)

سورة المائدة

ثماني عشرة آية يَبْطل عملها إذا صدقنا أنه سُحِر، سحره مرويّ بحديث ليس متواتراً ولكن روي لنا بطريق الآحاد، حديث الآحاد لا قيمة له، لا نستطيع أن نُعَطل القرآن الكريم من أجل حديث رواه واحد، قد يكون غير موثوق، قد يكون أصابه تحريف، أشياء من هذا القبيل، فهنا نقطة دقيقة جداً، أما بالنسبة إلينا يجب أن نُفرّق بين ما نُقِل إلينا بطريق متواتر يفيد العلم اليقيني وبين ما نُقل إلينا بطريق الآحاد الذي لم يبلغ مبلغ التواتر، ولا يفيد العلم اليقيني، فكتاب الله عز وجل منقول إلينا بطريق التواتر، جمع عن جمع، وبعض الأحاديث الشريفة منقولة إلينا بطريق التواتر، وهناك أحاديث نَقَلها آحاد، وهذه الآحاد تُصَحح، ننظر إلى مضمونها، إلى متنها، هذا موضوع نأخذه إن شاء الله في وقت آخر، أكثر الأحاديث منقولة بطريق الآحاد فإن كانت صحيحة

أفادتنا غلبة الظن في صدق نقلها، ومن ثم أفادتنا غلبة الظن في العلم بمضمونها القطعي، صار عندنا قطعي الثبوت قطعي الدلالة، ظني الثبوت ظني الدلالة، قطعي الثبوت ظني الدلالة، ظني الثبوت ظني الدلالة.

أي أرقى درجة قطعي الثبوت وهو كتاب الله، التواتر قطعي الثبوت، بعده بدرجة ظني الثبوت، إذا كان حديثاً نُقل إلينا من طريق آحاد عن طريق صحابي واحد هذا الحديث ظني الثبوت ظني الدلالة، فإذا تناقض مع آيات كثيرة عندئذ نلجأ إلى التأويل، إلا لا نضحي، شخص ركب سيارة، السيارة واقفة، صعد فوجد العداد على المئة والعشرة، السيارة واقفة، لا يوجد صوت، لا يوجد حركة، لا يوجد هواء، الأشجار واقفة، البيت واقف، لا يوجد شيء، يوجد عنده مليون دليل ودليل على أنها واقفة، فإذا قال: لعلها تسير العداد على المئة والعشرة يكون مختلاً، عندك أدلة كبيرة جداً تؤكد أنها واقفة.

وسوف نتابع هذا الموضوع إن شاء الله تعالى في درس آخر.

اليوم درسنا الخبر الصادق، معنى الخبر الصادق، وكيف أن التواتر شرط أساسي ليكون الخبر الصادق قطعي الثبوت قطعي الدلالة، لا يكون الخبر الصادق قطعي الثبوت قطعي الدلالة كالعلم اليقيني إلا إذا كان متواتراً، وكتاب الله هو الخبر الصادق وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي نُقِلت إلينا بطريق التواتر هي الخبر الصادق، أما أحاديث الآحاد فهي ظنيّة الثبوت ظنية الدلالة، نبحث لها عن أدلة أخرى، أما إذا ضربت وتناقضت مع آيات أساسية فلابد من التأويل أو لابد من الرفض.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 5-63: مسالك العقيدة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### مسالك العقيدة:

أيها الإخوة المؤمنون؛ لازلنا في موضوع العقائد، ولازلنا في موضوع دقيق وهو أن الإنسان في تحركاته، وفي مواقفه، وفي حركاته وسكناته إنما ينطلق من قناعات، أو من مفاهيم، أو من معتقدات، وهذه العقيدة إن صح التعبير لها مسالك.

**المسلك الأول:** أن تتيقن عن طريق الحواس، وهذا هو اليقين الحسي، وقد تحدثنا عنه من قبل.

**والمسلك الثاني:** أن تتيقن عن طريق الاستدلال الفكري، اليقين الاستدلالي، أي إذا ظهرت ذات الشيء فالإدراك الحسي، وإذا غابت ذاته وبقيت آثاره فالاستدلال الفكري، فإذا غاب الشيء وغابت آثاره لابد من الخبر الصادق، والخبر الصادق مسلك ثالث من مسالك العقيدة، وقد ذكرنا أنه يستحيل على الجمع الغفير أن يتواطؤوا على الكذب، فإذا روى الجمع الغفير عن الجمع الغفير فهذا تواتر، والتواتر أحد مسالك اليقين.

### كيف تقنع الملحد بأن القرآن كتاب الله؟

يوجد نقطة دقيقة جداً في الدرس الماضي لم تكن واضحة وهي كيف نؤمن بالقرآن الكريم؟ هذا سؤال مهم، أي فيما بين المسلمين لا أحد يقول: هذا الكتاب ليس كتاب الله، لكنك لو جلست أمام ملحد وقال لك: أثبت لي أن هذا الكتاب هو كتاب الله؟ فيما بين المؤمنين وفي نطاق المسلمين هذا الطرح لا يُطرح، لذلك الإنسان مطمئن لكن لو جَمَعتك الصدف بإنسان ملحد وقال لك: أنا أؤمن بالواقع والمنطق، أثبت لي أن هذا

الكتاب كتاب الله؟ هنا المِحَك، إما أن تقول: والله هذا كتاب الله يا أخي، لا يكفي، قد تكون قانعاً بأنه كتاب الله، ولكنك لن تستطيع أن تُقْنع أحداً أنه كتاب الله إلا إذا ملكت الحجة والدليل.

أنت تقول: هذا كتاب الله، هل تملك الدليل؟ لذلك لابدّ من تَدَبُر هذا القرآن، إذا تدبرته، والموضوع بدأته في الدرس الماضي بشكل مختصر، إذا تدبرت هذا الكتاب توصلت إلى أنه يستحيل على بشر أن يصوغه، كان هذا الكتاب معجزة، إذا بدا لك إعجازه، إعجازه اللغوي، وإعجازه البياني، وإعجازه التشريعي، وإعجازه التاريخي، وإعجازه الرياضي، وإعجازه الحسابي، إذا بدا لك أنه كتاب معجز، وأن كائناً ما كان من البشر لا يستطيع أن يأتي به من عنده، إذاً هذا الذي أتى به هو رسول الله، مِن أين نستنبط أن هذا الكتاب هو كتاب الله؟ مِن إعجازه، وكيف نعرف إعجازه؟ مِن تدبره، لذلك قال الله سبحانه وتعالى:

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا (24)

**سورة محمد**

حينما قال الرسول في قوله تعالى:

وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآَنَ مَهْجُورًا (30)

**سورة الفرقان**

فسّر المفسّرون هذه الآية على وجوه عديدة، بعضهم فسرها أن هجر القرآن هو هجر سماعه، أو هجر تلاوته، أو هجر العمل به، أو هجر الاحتكام إليه، أو هجر تدبره، فإذا هجر الإنسان تدبر القرآن، وتلاه ليلاً نهاراً، قد يسأله سائل كلمة: هل معك دليل على أن هذا القرآن كلام الله؟ فإذا وقفت ساكتاً كأن أسفيناً دُكّ أو وُضِع في إيمانك، ما الدليل؟

## ينبغي على المسلم ألا يكون ساذجاً في فهم كتاب الله:

لذلك أن تصدق الناس في شيء قالوه لك من دون تحقق، من دون تَبَصُّر، من دون تعمق، هذا التصديق الساذج العفوي غير المُجهد، هذا التصديق لا يصمد أمام الشهوات، ولا يصمد أمام الضغوط، ولا أمام المغريات، لذلك ينتكس الإنسان، لماذا؟ لأن شخصاً زلزله، سأله سؤالاً زلزله، ما لم يُبنَ الإيمان على

بحث، وفهم، وتدبر، وعقل، ومناقشة، ومذاكرة، واستدلال، وتحقُّق، فإن الإيمان لا يصمد في الشدائد، في الرخاء لابأس، أما إذا ضُغِط عليك وقيل لك: افعل كذا وإلا، تقول له: أفعل، أما إذا كنت متأكداً وموقناً أن هذا القرآن كلام الله، وأنه قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، وأن الله إذا قال في القرآن:

**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)**

**سورة الحج**

تستطيع أن تواجه الجبال الراسيات بإيمانك بهذا الكتاب، إذا قرأت هذا الكتاب وتيقنت أنه كلام الله وقرأت قوله تعالى:

**قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128)**

**سورة الأعراف**

تبقى متفائلاً حينما ييأس الناس، لو أن اليأس أطبق على الناس جميعاً تبقى وحدك متفائلاً، هكذا قال الله لك، فالموضوع موضوع خطير جداً.

سؤال؛ هل تملك دليلاً على أن هذا القرآن كلام الله؟ إذا كنت بين المسلمين لا أحد يطرح عليك هذا السؤال، ولكنك إذا جلست إلى مُنْكِرٍ وقال لك: ما الدليل؟ هذا الكلام من كلام محمد؟ كان إنساناً عبقرياً فذّاً، استطاع أن يُوهِم الناس أنه من عند الله من السماء، وصاغه بأسلوبه البلاغي الرفيع، وهذا هو الأمر، كيف تَرُدّ عليه؟ فالإيمان يجب أن يُبنى على البحث العلمي، والتحقق والتدقيق، والمناقشة والحوار، القضية، أخطر قضية يواجهها المسلم في هذه الأيام، إذا كان هذا القرآن قطعي الثبوت قطعي الدلالة انتهى الأمر:

**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)**

**سورة الجاثية**

يصدق هذه الآية، مطمئن، له معاملة خاصة، مهما ضاقت الأمور له معاملة خاصة، مهما ضيّق الله على عباده الفجّار، يقول: أنا مؤمن، أنا وَعَدَني الله أن يعاملني معاملة خاصة، ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ أبداً، القضية قضية إيمان أن هذا الكلام من عند خالق

الأكوان، وأنّ زوال الكون أهون من عدم تحققه، فإذا ثبت لك أن هذا القرآن كلام الله، أي قطعي الثبوت، وإذا ثبت لك أن ما فيه قطعي الدلالة وأنك إذا قرأته بثَّ في نفسك الأمن والطمأنينة، انتهت، قطعت العلائق مع الخلق ووصلتها مع الحق، إذا تدبرت هذا القرآن درست ما فيه من تشريع، درست آيات المواريث، آيات الأحوال الشخصية، درست الآيات الكونية.

## آيات الله الكونية والتشريعية دليل على صدق القرآن:

اليوم سبحان الله! كنت مع أخ كريم، قال لي: فكرت في الليل وفي النهار فتأملت أنه لو أن الليل دائم، أو النهار دائم، لاستحالت الحياة على وجه الأرض، أولاً: هناك أسباب جغرافية، لو أن الليل دائم تصبح الأرض كوكباً جليدياً لا حياة عليه، ولو أنه نهار دائم لكانت الحرارة 350 درجة فوق الصفر، مستحيلة، لو تصورنا ليلاً دائماً بحرارة معتدلة، فوضى، هذا الآن انتهى من عمله، الثاني جاء لعنده أخي الآن ذهب، كان هنا موجوداً منذ اثنتي عشرة ساعة تعب فذهب، هذا يريد أن ينام والثاني يشتغل، لا يوجد حياة، أخي أنت كم عمرك؟ لا يوجد عمر، وُلِد وإلى الآن يعيش، لأنه لا يوجد أيام، أخي هذا عمره ثلاث وعشرون سنة وثمانية أشهر، قال الله عز وجل:

**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)**

سورة القصص

لو أن الليل سرمداً إلى يوم القيامة مَن إله غير الله يأتيكم بنهار؟

**وَمِنْ آَيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (37)**

سورة فُصّلت

**وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11)**

سورة النبأ

وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آَيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آَيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آَيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ **وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا (12)**

**سورة الإسراء**

قال تعالى:

**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)**

**سورة الفرقان**

جعل لك وقتاً لا يوجد فيه عمل للتأمل، للعبادة، للصلاة، وقت فيه نهار وفيه ضياء للعمل، أي إذا تدبرت آيات القرآن الكونية، والآيات التشريعية، وآيات الأحوال الشخصية، وآيات المواريث، وآيات التاريخ، وآيات الأخبار المستقبلية، إذا تدبرتها، إذا درست إعجازه اللغوي، إعجازه البياني، إعجازه الرياضي، إعجازه الحسابي، شيء لا يصدق، أن كلمة يوم مثلاً وَرَدَتْ ثلاثمئة وخمساً وستين مرة بالعد الدقيق، وأن كلمة شهر وردت اثنتي عشرة مرة، إذا تدبرت القرآن الكريم تيقنت أنه يستحيل على بشر أن يأتي به، إذاً هو من عند الله، وهذا الذي جاء به هو رسول الله.

إذاً الإيمان بالقرآن قبل الإيمان بالرسول، تؤمن بالقرآن عن طريق مضمونه، ثم تؤمن بالرسول عن طريق الاستنتاج، هذا الذي جاء بالعصا فإذا هي ثعبان مبين قطعاً رسول الله لأن هذا الشيء فوق طاقة البشر، هذا الذي أحيا الميت قطعاً رسول الله لأن هذا فوق طاقة البشر، هذا الذي جعل البحر طريقاً يبساً هو قطعاً رسول الله.

## مصادر التشريع القرآن وما صح عن النبي عليه الصلاة والسلام من الحديث:

إذاً إذا تأملت في كتاب الله، تأملت في مضامينه، تأملت في تشريعاته، تأملت في آياته، في أخباره، في آياته الكونية، في قوانينه توصلت إلى أنه كلام الله، لأن هذا فوق طاقة البشر، وهذا الذي جاء به هو رسول الله.

الآن يوجد عندنا شيء بالعقيدة مهم جداً، الآن تستنتج أن هذا الكتاب قطعي الثبوت قطعي الدلالة، وما قاله النبي الكريم صلى الله عليه وسلم بناءً على هذا كلامه أيضاً قطعي الثبوت قطعي الدلالة، لو أنك

عاصرت النبي صلى الله عليه وسلم، وسمعت من لسانه، من فمه، فهذا الذي قاله استناداً إلى كتاب الله قطعي الثبوت قطعي الدلالة، لأنه:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

**سورة النجم**

هناك وحيٌ متلوٌّ وهو القرآن الكريم ووحي غير متلو وهو السنة المطهرة، إذا التقيت مع النبي وسمعت من فمه حديثاً فهو أيضاً قطعي الثبوت قطعي الدلالة، إذاً يوجد عندنا مصدران إخباريان من أعلى مستوى، القرآن، وما صحّ عن النبي العدنان.

هذا بالنسبة إلى الذين سمعوا من النبي، أما بالنسبة إلينا فالأمر مختلف، القرآن تولى الله حفظه بنص القرآن:

**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)**

**سورة الحجر**

أما الحديث الشريف فهناك الصحيح، وهناك الضعيف، وهناك الحسن، وهناك الموضوع، هناك حديث صحَّ عن رسول الله، وهناك حديث لم يصح سنده إلى رسول الله.

الآن دخل علم الحديث، ليمحص ما روي عن رسول الله، هذا صحيح، هذا حسن، هذا ضعيف، هذا موضوع.

الآن لازلنا في موضوع المسلك الثالث من مسالك اليقين القطعي وهو مسلك الخبر الصحيح، أول خبر هو كلام الله، لأنه ثبت لدينا بعد التدبر وبعد التفهم أنه معجزة النبي عليه الصلاة والسلام، وأن الذي جاء به هو نبي ورسول، إذاً ما قاله القرآن فهو حق، وما قاله النبي فهو حق، أو الأصح ما صحّ أنه قاله النبي فهو حق.

## أقسام الحديث المتواتر:

### 1- التواتر اللفظي:

أما نحن علينا أن نُقسّم ما رُوي عن النبي إلى أقسام، أول قسم هو التواتر اللفظي، قال النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّه عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.

**صحيح البخاري**

هذا حديث متواتر تواتراً لفظياً، أي رواه الجمع الغفير، عن الجمع الغفير، عن الجمع الغفير، ويستحيل تواطؤ هؤلاء جميعاً على الكذب، لاختلاف اتجاهاتهم ومشاربهم وعصورهم وما شاكَلَ ذلك.

### 2- التواتر المعنوي:

أما إذا روى الحديث الشريف رجل واحد، فهذا الحديث الشريف اسمه: أحاديث الآحاد، أحاديث الآحاد لا ترقى إلى مرتبة قطعي الثبوت قطعي الدلالة، أحاديث الآحاد تُصَنف عند علماء الحديث ظنيّة الثبوت، ظنية الدلالة، لكن بعض الأحاديث التي رواها الآحاد رويت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقتها الأمة جميعاً بالقبول دون أن تُنكِر ذلك، فسمّى العلماء هذا النوع من الأحاديث التي رواها الآحاد والتي لم ينكرها أحد تواتراً معنوياً، فالتواتر المعنوي له حكم التواتر اللفظي، إذاً صار عندنا القرآن: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الأحاديث المتواترة باللفظ، والأحاديث المتواترة بالمعنى، هذه مصادر صحيحة يمكن أن نسلك بها إلى اليقين القطعي.

## حكم القرآن والسنة الصحيحة من حيث مفهوم التكفير:

### 1- من أنكر حجة القرآن والحديث المتواتر قطعي الدلالة والثبوت يعتبر كافراً بإجماع الأمة:

الآن مَن أنكر عقيدة قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، أي جاءت في كتاب الله، أو مَن أنكر حديثاً متواتراً قطعي الثبوت قطعي الدلالة، فهو كافر، إذا أنكرت شيئاً قاله الله عز وجل، إذا قلت: إذا قال الله عزَّ وجل:

**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)**

**سورة البقرة**

ليس من المعقول يا أخي، هذا عصر حديثٌ مبني على البنوك والفوائد، ليس معقولاً، هذا الكلام كفْر، إذا أنكرت آية قرآنية قطعية الثبوت قطعية الدلالة فهو كُفر صريح.

### 2- من أنكر حديثاً قطعي الدلالة ظني الثبوت أو العكس لا يعتبر كافراً بإجماع الأمة:

أما من أنكر شيئاً ورد في السنة المطهرة لكن رواه الآحاد، أي روى حديثاً قطعي الثبوت ظني الدلالة، أو ظني الثبوت قطعي الدلالة، أو ظني الثبوت ظني الدلالة، فهذا لا يُكَفّر جاحده، لأن هذا الشيء ظني وليس قطعياً، ما دام ظنياً لا يكفّر جاحده، إذا جاء الحديث الشريف، طبعاً نحن في المستقبل إن شاء الله مع كل تعريف من هذه التعريفات لنا جولات ولنا شواهد لكن مثلاً إذا جاء في الحديث الشريف عن طريق الآحاد، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ **لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ.**

**صحيح مسلم**

أنا لست مُلزماً أن آخذ هذا الحديث على ظاهره من أنك إذا لم تذنب أهلكك الله عز وجل، أنا عندئذ أضطر إلى التأويل حتى ينسجم هذا الأثر النبوي مع روح الدين، ومع روح الآيات القرآنية.

شيء آخر علينا أن نأتي ببعض الشواهد، قال تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)**

**سورة النحل**

أي ربنا عز وجل جعل الخبر الصادق مسلكاً أساسياً للعقيدة الصحيحة، في الدرس الماضي جئنا بآيات على مسلك الاستدلال العقلي، وعلى مسلك الإدراك الحسي، واليوم: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ هذا الخبر الصادق مسلك ثالث.

شاهد آخر:

**فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (94)**

**سورة يونس**

وهذه الآية شاهد على التواتر، ﴿**فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ إذا كان هؤلاء جميعاً تكلموا بكلام واحد فهذا الكلام الواحد أيضاً يرقى إلى مرتبة اليقين.

## حجة تصديق الأنبياء العصمة والمعجزة:

الآن حتمية الخبر الصادق، مِن أين تأتي حتمية الخبر الصادق؟ تأتي حتمية الخبر الصادق إذا ورد هذا الخبر على لسان النبي عليه الصلاة والسلام، لماذا نعتقد أنّه ورد على لسان النبي أنه صادق؟ لأن النبي عليه الصلاة والسلام مُؤيّد بالمعجزات، معصوم عن الكذب، يوجد عندنا دليلان، مؤيد بمعجزة وهي الكتاب، معصوم عن الكذب بنص الكتاب:

**قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153)**

**سورة الشعراء**

لسيدنا صالح.

**مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)**

**سورة الشعراء**

أنت بشر، خرجت من الجبل ناقة، جاء بآية لأنه مِن الصادقين، فالأنبياء لماذا نُصَدقهم؟ لأنهم مؤيدون بمعجزة، معصومون عن الكذب.

## دليل من القرآن جمع فيه اليقين الحسي والاستدلالي والإخباري:

**المسلك الأول:** كلام الأنبياء يرقى إلى مستوى الخبر الصادق، هناك شاهد دقيق جداً هذا الشاهد في المسلك الأول وهو الإدراك الحسي، والمسلك الثاني الاستدلال العقلي، والثالث الخبر اليقيني:

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ **أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (4)**

**سورة الأحقاف**

﴿**أَرُونِي**﴾ إدراكاً حسي، ﴿**أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ**﴾ هل هناك دليل على أنهم شركاء لله عز وجل؟ هذا المسلك الثاني، ﴿**اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ**﴾ هذه الأخبار ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ إما اليقين الحسي، أو اليقين الاستدلالي، أو اليقين الإخباري، جُمِعتْ كلها في هذه الآية.

## شروط صحة الخبر الصادق:

المسلك الثاني في حتمية الخبر الصادق، أن يُخبر به جمع من الناس يستحيل في مقياس العقل السليم اتفاقهم على الكذب، ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ من تعاريف القرآن الكريم: الكلام المعجز، المتعبد بتلاوته، الذي رواه الجمع الغفير عن الجمع الغفير.

الآن فيما سوى ذلك، فيما سوى التواتر وفيما سوى أقوال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كيف نرجح الخبر الصادق؟ وضع العلماء شرطين، الشرط الأول: العدالة، والشرط الثاني: الضبط أي الأهلية.

شرط العدالة العلماء رووا: "**من عاملَ الناس فلم يكذبهم، ووعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أخوَّتُه، وحرمت غيبته**" فإذا أخلف وعده، أو ظلمهم، أو كذبهم، حدثهم فلم يكذبهم، عاملَهم فلم يظلمهم، وعدهم فلم يخلفهم، فهو ممن كملت مروءته، وظهرت عدالته، ووجبت أُخوَّتُه، وحَرُمت غيبته، فإذا ظلمهم أو كذب عليهم أو أخلف وعده معهم فقد سقطت عدالته، هذا الإنسان لا يؤخذ منه شيئاً، صار كاذباً.

أما هناك أشياء كثيرة ذكرتها كثيراً، لو فعل الإنسان أحدها جُرِحت عدالته، أي روايته غير صادقة، مَن أكل في الطريق، مَن بال في الطريق، مَن مشى حافياً، من قاد برزوناً، أي بغلاً أو كلباً عقوراً خوّف الناس فيه، من أطلق لفرسه العِنان، أسرع في قيادة السيارة يفقد عدالته، تُجْرَح عدالته، من تنزّه في الطرقات تُجرح عدالته، من أكل لقمة من حرام تُجرح عدالته، من طفف بتمرة، وزن وخفّف الوزن مقدارَ تمرةٍ تُجرح عدالته، مَن علا صياحه في البيت حتى يسمعه مَن في الطريق تُجرح عدالته، من صَحِب الأراذل تُجرح عدالته، من كان حديثه عن النساء تُجرح عدالته، ثلاث وثلاثون نقطة، إذا فعل المسلم أحدها جُرِحت عدالته، فأصبحتْ روايته غير صادقة ولا تُقبل، شهادته غير صادقة، ويوجد عندنا صفة ثالثة غير متهم.

## ذكر مثال على صفة الراوي غير المتهم:

حدثني رجل صالح جداً مِن المؤمنين الطيبين الطاهرين، يسكن في بيت، وطلب أصحاب البيت منه بيتَهم، ليس بإمكانه أن يخرج منه، رفع الأجرة مرة، مرتين، ثلاثاً إلى أن بلغت الأجرة نصف راتبه، فأصحاب البيت اتفقوا مع أحد المحامين على تلفيق تهمة لهذا الرجل بالإفساد الأخلاقي، وفي قانون الإيجار هذه التهمة تُخلي المستأجر، فأقيمت عليه دعوى أنه كان يكشف عورته أمام جارته، والرجل كان يغض بصره عن محارم الله، ولا ينظر إلى امرأة في الطريق، هكذا إيمانه، فلما رُفِعت القضية إلى القاضي، طلب القاضي شاهداً، فالشاهد بنت صاحبة البيت، هذه متهمة بأنها تشهد لصالح أمها، هذه معروفة في القضاء، الأصول والفروع لا تُقبل شهادتهم، فلما جاءت بشاهدة ثانية، وهي طالبة تسكن عندهم، طالبة جامعية، وعرفت أن هناك تلفيقاً قالت: أنا أشهد معكم، فلما كان يوم الدعوى طلبها القاضي، فقالت: إنني أعرف هذا الرجل من سنوات عدة، إنه إذا لَمَحَنِي عن بُعْدِ خمسين متراً غضَّ بصره عني، فسقطت الدعوى، قد يكون شاهد له مصلحة يكذب

لمصلحة أبيه أو أخيه، فهنا عندنا عدالة وضبط وغير اتهام ألا يكون له مصلحة بالشهادة، لو أنه شهد بهذه الطريقة لكان لصالح أخيه أو أبيه أو زوجته.

## المسلم مظنة صلاح:

شروط صحة الخبر وصدق الخبر والاحتياطات العدالة وهي ألا يُعْهد على الراوي الكذب والمعصية، وكلكم يذكر القصة الشهيرة أن أحد رواة الحديث جاء من المدينة إلى البصرى ليُتابع أحد الرواة، فلما رآه يضع ثوبه هكذا موهماً فرسه أن فيه علفاً، فلما جاء الفرس إليه ليس في الثوب شيء، لم يكلمه وعاد إلى المدينة، مثل هذا الرجل لا يُقبل منه الحديث، لأنه دلّس على فرسه، مجروحة عدالته، إذا شخص مؤمن وعدالته صحيحة لو أكلت شطيرة في الطريق جُرحت عدالتك، شيء دقيق، معنى ذلك أن المسلم إنسان عظيم، المسلم مظنة صلاح، المسلم داعية إلى الله عز وجل.

## مراتب الأخبار الصحيحة:

### 1- النقل عن الوحي:

الآن هناك ست مراتب في الأخبار الصحيحة؛ المرتبة الأولى: أن تنقل عن الوحي، ولا يجوز أن ينقل عن الوحي إلا النبي حصراً، لا يوجد غير النبي أُوحِي إليه، من أنت؟ لا ينقل عن الوحي إلا النبي والنبي مؤيّد بالمعجزة، معصوم عن الكذب، انتهى الأمر، هذه أول مرتبة.

### 2- النقل عن الرسول:

المرتبة الثانية: أن تنقل عن الرسول، عقيدة أو أصلاً في الدين أو سورة في القرآن، وهذا لا يصح إلا بالتواتر اللفظي أو المعنوي، عقيدة يُكفَّر جاحدها، لا تصح إلا بالتواتر اللفظي أو المعنوي، تُكفّر إنساناً بخبر آحاد لا يجوز، لا يُكفّر جاحد عقيدة ما إلا إذا ثبتت بالتواتر اللفظي، هذه المرتبة الثانية.

### 3- درجة الاتهام بالزنا:

المرتبة الثالثة: الاتهام بالزنا، لا يصح إلا بأربعة شهود، قيل: قَذْفُ مُحْصَنَةٍ يَهْدِمُ عَمَلَ مَائَةِ سَنَةٍ.

ويبدو أن طبيعة النفوس ميَّالة إلى تصديق أخبار الزنا، لأنها ميَّالة إلى تصديق أخبار الزنا، ولأن في أخبار الزنا فضيحة كبيرة جداً، وتحطيماً لمعنويات الإنسان لذلك قيل: قَذْفُ مُحْصَنَةٍ يَهْدِمُ عَمَلَ مَائَةِ سَنَةٍ، والله سبحانه وتعالى ما قَبِل إلا أربعة شهداء:

**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4)**

**سورة النور**

حتى تُروَى قصة، والله أعلم بصحتها، لكن لها مغزى، أن مغسلة كانت تُغَسل ميتة، وقد اتهمتها بالزنا في قلبها، وفي أثناء التغسيل التصقت يدها بجسم الميتة، ولم تجدِ أية محاولة في رفعها عنها، حتى خُيّر أهل الميت بين قطع قطعة من جسد الميتة كي تنزع يدها أو قطع يد المرأة، إلى أن رُفِع الأمر إلى الإمام مالك وهو من أكابر التابعين، كان يقال: لا يُفتى ومالك في المدينة، فقال: هذه المرأة ربما اتهمت الميتة بالزنا فاجلدوها ثمانين جلدة، مع الضربة الثمانين رُفِعَت اليد عن جسدها، أي هذه إذا اتهمت إنساناً في قلبك، في القلب، لذلك: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ**﴾ إذا شخص هزّ قميصه الله لا ينجيه من العقاب، إذا تكلم القصة ثم قال: الله أعلم يا أخي وهزّ قميصه ما انتهت القضية، يجب أن يُقَام عليه حد البهتان: ﴿**ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾.

## 4- إثبات الحقوق بين الناس:

المرتبة الرابعة: الحقوق بين الناس، سند، دين، قضية، بيع بيت يلزمه شاهدا عدل:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ **فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ** مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ **أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى** وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى

أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

**سورة البقرة**

إذاً صار عندنا نقل الوحي من اختصاص الأنبياء المؤيدين بالمعجزة المعصومين عن الكذب، نقل أقوال الأنبياء فيما يتعلق بالمعتقدات والأصول تحتاج إلى تواتر لفظي ومعنوي، إثبات تهمة الزنا أربعة شهداء، إثبات الحقوق بين الناس هذه تحتاج إلى شاهدين، سند، بيع، شراء، حقوق، وصية، إرث، شاهدان، في الأمور العادية جداً شاهد واحد.

## 5- درجة الأخبار العادية:

قال: إنه حدث زلزال ومات فيه خمسة وثلاثين ألف شخص، أنت سمعت الخبر؟ نعم أنا سمعته بأذني، إذًا الخبر صحيح، إن كانوا خمسة وثلاثين أو أربعة وثلاثين لا يوجد حقوق هنا في النصف، يكفي شاهد واحد، أخي أنت سمعت؟ نعم، انتهى أنا سمعت، في الأمور غير العادية، أخبار جغرافية، كسوف، شروق مثلاً، زلزال، ضحايا، كارثة، نقل خبر، أخي أنت قرأت أنهم سيسمحون بالاستيراد؟ نعم، أنا قرأت بنفسي، هذا الخبر يكفي فيه شاهدٌ واحد، إذا كان شيء ليس له علاقة بالحقوق واحد.

## 6- درجة المصلحة:

أما يوجد حالة سادسة مِن أغرب الحالات، أحياناً يكون هؤلاء السائقون يركبون سياراتهم، السائق الزميل يؤشِّر له بتألقِ بالمصباح، انتبه هناك دورية في الأمام، يُصدقه رأساً، أخي أنت عندك عدالة وضبط؟ لا يوجد حاجة لذلك أبداً، إذا كانت القضية تمس مصلحة إنسان من دون تحقق ليكن كاذباً على كل حال خذ احتياطك أنت، أحياناً يأتي خبر أن هذه الطائرة فيها قنبلة يوقفون الرحلة كلها، خبر بالهاتف من دون تحقق، إذا كانت القضية لها علاقة بمصلحة الإنسان ما من حاجة ليتحقق أبداً، أي خبر لو كان من كاذب نصدقه ونأخذ احتياطاً.

## خلاصة الدرس:

صار عندنا ست مراتب، النقل عن الوحي يحتاج إلى نبوة وعصمة ومعجزة، والنقل عن النبي يحتاج إلى تواتر لفظي او معنوي، والاتهام بالزنا أربعة شهداء، والحقوق؛ بيع، شراء، سند، دين، قرض، وصية، شاهدان، والأخبار العادية تحتاج إلى شاهد واحد متّسم بالعدالة والضبط، وغير متهم.

أما إذا كان الأمر متعلقاً بمصلحة ما فأي إشارة ومضة من ضوء يأخذ الإنسان احتياطه، اعتبره خبراً وصدّقه وليس محتاجاً أن يسأل صاحبه عن كون الخبر صحيحاً وأنت عدل وضبط لا يوجد حاجة، إذا القضية متعلقة بمصلحة، يكفي أي إشارة الإنسان يأخذ احتياطه، هذه المراتب الستة التي يمكن أن تكون مُرتبة بحسب أهميتها.

صار عندنا اليوم ثلاثة مسالك للعقيدة الصحيحة؛ أول مسلك: اليقين الحسي، المسلك الثاني: اليقين الاستدلالي، المسلك الثالث: الخبر الصادق، وأخذنا التفصيلات كلها، شروط صحة الخبر: أن يرويه العدل الإنسان المتصف بالعدالة والضبط وغير متهم، وصحة الأخبار مسلسلة على ست مراتب أيضاً أخذناها، ثم أول درجة في الخبر الصادق القرآنُ الكريم، وحديث النبي صلى الله عليه وسلم المتواتر، وما رواه الجمع عن الجمع، هذا كله متعلق بالعقيدة، بقي علينا مسلك رابع وأخيراً، مسلك رابع وخامس، الرابع هو الإضاءة الفطرية والإشراق الروحي، هذا مسلك مهم جداً لكن له شروط، إذا كان بدون شروط صار هناك شطحات تسبب خللاً في الدين، أما إذا كان هناك شروط صعبة توافرت فهو مسلك رابع، يقول لك: أنا شعرت، أدركت، أشرق بنفسي هذا المعنى، هذا صحيح لكن ليس لكل الناس، هذا للدرس القادم إن شاء الله تعالى.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 6-63: المسلك الرابع في العقيدة: الإشراقة الروحية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الشيء الخطير في حياة الإنسان هو المعتقد الذي يسلكه:

أيها الإخوة المؤمنون؛ ملخص سريع لما مرّ بنا في الدروس السابقة، لأنه متعلق أشدّ التعلق بهذا الدرس.

تعلمون أن الإنسان في مواقفه وسلوكه وحركاته وسكناته وأعماله إنما ينطلق من عقيدة، بتعبير آخر من مفهوم، فلو أن الإنسان رأى ما يراه المُبصر لسلك سلوكه، ولو أن المُبصر فقد الرؤية لسلك سلوك الأعمى، بمثال بسيط، إنسان مبصر يمشي في الطريق، إن رأى حفرة حاد عنها، وإن رأى حجراً أزاحه عن الطريق، وإن رأى ماءً قذراً ابتعد عنه، لو أن هذا المُبصر فقد بصره ومشى في هذا الطريق لسلك سلوك الأعمى، ولو أن الأعمى رُدّ إليه بصره لسلك سلوك المُبصر، إذاً الشيء الخطر ليس في السلوك، ولكن في الاعتقاد، لأنك إذا اعتقدت أن هذا الشيء صالح ومفيد ونافع أقبلت عليه، وإذا اعتقدت أن هذا الشيء ضار لابتعدت عنه، فالمشكلة هي مشكلة رؤية وعدم رؤية.

## مسالك العقيدة:

كيف نتعرف إلى الحقيقة؟ وكيف نسمح للحقائق بأن تصل إلى مركز الاعتقاد منا؟ هناك ثلاثة طرق: الطريق تذكر وتُؤنث، تقول: هذا الطريق وهذه الطريق، إذاً لك أن تقول هناك ثلاثة طرق أو هناك ثلاث طرق.

الطريق الأول طريق اليقين الحسي، الشمس ساطعة والنار مشتعلة والمصباح متألق.

والطريق الثاني طريق الاستدلال العقلي، اليقين الاستدلالي، أنت تتأكد، أنت موقن بأن في الشريط طاقة كهربائية بسبب تألق المصباح، وأنت متأكد أن في هذا الإنسان روحاً لأنه يتحرك، وأن لهذا الكون إلهاً لأن هذه الصنعة تدل على الصانع، وهذا النظام يدل على المنظم، وهذا الوجود يدل على الموجد، هذا الطريق الثاني.

والطريق الثالث، قلنا في الدرس السابق: إذا ظهرت عين الشيء فطريق معرفته اليقين الحسي، فإذا غابت عينه وبقيت آثاره فطريق معرفته طريق الاستدلال العقلي، فإذا غاب الشيء وعينه وكان مُغَيّباً عنا كلياً هو وآثاره فطريق معرفته طريق الخبر الصحيح.

وقد تحدثنا في الدرس الماضي عن الخبر الصحيح، وعن مراتب الخبر الصحيح، والتواتر اللفظي، والتواتر المعنوي، وكيف أن الصحة على ست درجات: درجة الوحي، ودرجة الحديث الشريف، ودرجة الاتهام بالزنا، ودرجة الحقوق الثابتة بين البشر، ودرجة الأخبار العادية، ودرجة المصالح المرسلة، ست درجات.

وبيّنا أنَّ الذي ينقل الخبر يجب أن يكون عدلاً ضابطاً غير متهم، العدل صفة أخلاقية، والضبط صفة عقلية، وغير متهم ليس له مصلحة في هذه الشهادة أو تلك الرواية، هذا ملخص الدروس السابقة بشكل موجز سريع.

## المسلك الرابع هو الإشراق الروحي:

هناك مسلك اليقين الحسي، مسلك الاستدلال العقلي، مسلك الخبر الصحيح، الآن يوجد مسلك رابع هذا دقيق جداً وحساس، ولا ينبغي التوسع في استخدامه، هذا المسلك الرابع هو مسلك الإضاءة الفطرية والإشراق الروحي، أي الإنسان إذا صَفَت نفسه واقترب من الله عز وجل، إذا أقبل على الله، في هذا الإقبال يتجلّى الله بنوره فيكشف له بعض الحقائق، قال صلى الله عليه وسلم:

**عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ،** وَالصَّلاةُ نُورٌ، **وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا.**

**صحيح مسلم**

هذه رؤية القلب، هذه الرؤية لا تحتاج لا إلى اليقين الحسي، ولا إلى الاستدلالي العقلي، ولا إلى الخبر الصحيح، إنما هي إشراقة روحية، إنما هو نور الله يقذفه في قلب المؤمن، الإمام الغزالي رضي الله عنه يقول: التقوى نور يقذفه الله في القلب، بهذا النور ترى الحق حقاً والباطل باطلاً، قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ **وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ** وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)

**سورة البقرة**

**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ** وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ **وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (11)**

**سورة التغابن**

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ **وَكُلًّا آَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ (79)**

**سورة الأنبياء**

آيات كثيرة وأحاديث كثيرة تؤكد هذه الإشراقة الروحية وهذه الإضاءة الفطرية، إضاءة فطرية أو إشراق روحي أو نور الله عز وجل يُلقى في قلب المؤمن يكشف له الحقائق، أي إذا استقمت على أمر الله عز وجل استقامة تامة، وجاهدت نفسك وهواك، وبذلت كل ما تملك من أجل أن تتقرب إلى الله عز وجل، واتصلت

بالله اتصالاً صحيحاً، عندئذ يكافئك الله عز وجل بنور يقذفه في قلبك، بهذا النور ترى الحق حقاً والباطل باطلاً.

## ينبغي أن يكون ضابط الإشراق الروحي وفق الكتاب والسنة:

لكن هناك تحفظات على هذا المسلك الرابع، لأن هذا المسلك الرابع مشكلته أن هناك من الناس من يدّعيه بُطلاناً وزوراً، هذا المسلك إذا كان الاعتماد فيه على الفطرة السليمة، وفي الحدود التي يشترك بها، وبالتذوق عن طريقها كافة الناس أو أكثرهم فهو مسلك صادق النتائج قطعاً، أي أحياناً تقرأ كتباً لعلماء كثيرين تجد أن هناك حقائق مشتركة، هناك معارف موحدة قالوها جميعاً، ما تفسير ذلك؟ أنهم جميعاً أقبلوا على الله، وبإقبالهم العالي على الله عز وجل قذف الله في قلبهم النور فرأوا به الحقائق، فهناك تشابه في أقوال العلماء الصادقين الذين استنارت قلوبهم، فإذا كان هذا الكلام الذي يقوله من يدّعي أن نفسه الصافية الشفافة أدركت الحقائق، هذا الكلام إذا توافق مع إشراقات بقية العلماء فهو مقبول شرعاً، إذا شخص بساعة صفاء قال لك: والله الذي لا إله إلا هو رأيت الدنيا صغيرة لا قيمة لها، هذا الكلام قاله معظم العلماء، معظم المقربين قالوه، معظم الأتقياء قالوه، والله الذي لا إله إلا هو ما وجدت في الدنيا أثمن من أن تنال مرتبة رضاء الله عز وجل، كلام صحيح، مادام هذا الاشراق الروحي مُتَوافقاً مع الكتاب والسنة ومع أقوال العلماء الكبار الذي يتمتعون بمثل هذا الاشراق فهو إشراق صحيح معتمد.

أحياناً الإنسان يقول لك: يا أخي الزواج غيّر حياة، كلام صحيح، إذا مؤمن تزوج، قبل الزواج كان عفيفاً، غضّ بصره، بعد الزواج من لا شيء إلى كل شيء، الله وهبه نظير استقامته وعفته وغضّ بصره زوجة صالحة، مؤمنة، وفية، مُحِبة، صادقة، متواضعة، في خدمته، يقول لك: والله أخي الزواج غير حياة، تعال اسأل مؤمناً آخر، أيضاً مستقيم على أمر الله ومتزوج، نعم والله الزواج غير حياة.

**عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.**

**صحيح مسلم**

فالإنسان عندما يتزوج ويكون مؤمناً، وفي ساعة صفاء يرى أن الزواج شيء ثمين جداً في حياته، هذا كلام صحيح لأنه قاله معظم المؤمنين، أي هذه الإشراقة صحيحة لأنها مشتركة بين الناس، هذا المستوى المشترك هو إشراق صحيح.

## الفرق بين القناعة العقلية التي يؤمن بها الفرد وبين الإحساس القلبي بها:

أحياناً الإنسان عنده إحساس يفوق حدّ القناعة، لو فرضنا إنساناً معتقداً اعتقاداً جازماً أن الاستماع إلى الغناء حرام، فهو لا يستمع إلى الغناء، هذا ينطلق من عقيدة نُقلت له عن طريق الخبر الصحيح المتواتر، لكن إذا صَفَت نفسه، وأشرقت روحه، وكان في مركبة عامة وفُتح المذياع على الغناء يحسّ أنه متألم، أنه يمقت هذا الصوت، وهذه المعاني، وهذه الأنغام، أنه متضايق، هذا ارتقى إلى مرتبة الذوق، فإذا ارتقيت أكثر من ذلك انتقلت إلى مرتبة الرؤية، إنك ترى هؤلاء الذين يستمعون ويطربون ويهزون رؤوسهم إنهم خاسرون، شغلوا أنفسهم بالتافه، تعلقوا بحطام الدنيا، تعلقوا بزينتها، وهذه المعاني لا تروق لهم، فالإنسان ينتقل من درجة لدرجة، من درجة القناعة إلى درجة الذوق إلى درجة الرؤية، القناعة هي مرتبة الإسلام، والذوق مرتبة الإيمان، والرؤية مرتبة التقوى، إذا انتقل الإنسان إلى مرتبة التقوى فأنى له أن يُخَالف رؤيته.

## مرتبة الذوق والرؤية القلبية أقوى للانصياع لأوامر الشرع من القناعة التي تحكمها الأهواء:

قد يخالف الإنسان قناعته، أي دخلت على طبيب من مشاهير الأطباء في أمراض القلب، وأنا بحسب معلوماتي المتواضعة التي قرأتها من عدة مصادر بأن الدخان يُسَبب انسداداً في شرايين القلب، وهناك أخ صديق حدثني بأن شخصاً كان يدخن في النهار أربع علب دخان، الشرايين التاجية خمسة فروع، هذه الفروع الخمس سُدّت، ولما ذهب إلى بلد أجنبي بغية المعالجة اعتذرت الجهات الطبية العليا عن إجراء عملية له لعدم جدواها، لأن الشرايين الخمس مسدودة ومات هناك في هذا البلد الأجنبي، فأنا حينما أتيقن أن هذا الدخان يُسَبب انسداداً في شرايين القلب، كيف أدخن؟ إذاً الإنسان قد يخالف قناعته، قد تغلبه شهوته ويخالف قناعته، ولكنه إذا انتقل إلى مرتبة الذوق احتمال المخالفة صار أضعف، فإذا انتقل إلى مرتبة الرؤية يستحيل عليه أن يُخَالف رؤيته، أي أنت إذا صحن الطعام وجدت عليه حشرة تدعو إلى الاشمئزاز هل تأكل؟ لا تأكل، إذا كان الموضوع

قولاً، إذا قال لك أحدهم: مرت على هذا الصحن هذه الحشرة، قد تعدُّها مزحة أو قد تعدُّها حيلة من أجل ألا تأكل وقد تأكل، أما إذا رأيت هذه الحشرة الكريهة على صحن الطعام بعينك لا تأكل أبداً، أي الشيء الثابت أن الذي يرى لا يسلك سلوكاً مضاداً لرؤيته، لذلك الله سبحانه وتعالى يدعونا دائماً إلى التقوى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)**

**سورة آل عمران**

لأنك بالتقوى تنتقل إلى مرتبة الرؤية.

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)**

**سورة البقرة**

## المؤمن له نور يمشي به بين الناس:

دعته امرأة ذات منصب وجمال، سيدة القصر ، امرأة العزيز ، في أبهى زينتها، وغَلّقت الأبواب وهو شاب في ريعان الشباب، غير متزوج، وهو عبد لها عليه أن يأتمر بأمرها، وهي لن تفضحه لأن هذا ليس في مصلحتها، وزوجها ليس غيوراً، مرة ذكرت لكم اثني عشر سبباً يدعوه إلى أن يزني بها ومع ذلك قال: معاذ الله، لماذا قال: معاذ الله؟ لأنه في مرتبة الرؤية، لأنه رأى ما في هذا العمل من نتائج وخيمة، إنسان يمنع شيئاً ويتوعد من يفعله بكذا وكذا من عقوبات، ترى الناس جميعاً يمتنعون، لا يوجد معها لعبة أخي، لماذا تمتنع عن هذا العمل الذي مُنِع بنص القانون وقد ذُكِر بنص هذا القانون العقوبات الكبيرةِ جداً التي يتحملها مخالف هذه المادة؟ فالرؤية ليس بعد الرؤية معصية، هذا الشيء الذي أود أن أقوله لكم:

**أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (22)**

**سورة المُلك**

**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ** وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ **كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (122)**

**سورة الأنعام**

أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ **كَمَنْ هُوَ أَعْمَى** إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)

**سورة الرعد**

المؤمن له نور يمشي به بين الناس، إذاً هذه المرتبة مرتبة الإشراق الروحي، مرتبة الإضاءة الفطرية، هذه مرتبة تلي مرتبة الإيمان، إسلام يُحركه القناعات، إيمان يُحَركه الذوق، التقوى تُحَركها الرؤية:

وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)

**سورة الأنعام**

أؤكد لكم تأكيداً قاطعاً أنَّ المؤمن إذا تابع طريق الإيمان بكل جوارحه وصدق في معرفة الله فإن الله سبحانه وتعالى لابد من أن يُلقي في قلبه نوراً، هذا المسلك إذا كان معتمداً على الفطرة السليمة، وفي الحدود التي يشترك بها الناس جميعاً فهو مسلك صادق النتائج، وتقام به الحجة نظراً لتوافقه مع بقية الرؤى، ومع بقية الأذواق، سيدنا رسول الله، قال تعالى:

**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ** مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

**سورة الإسراء**

رؤية خاصة وليست عامة، لذلك هذه الرؤية خاصة.

## ينبغي على المسلم أن يكون حَذِراً من الذين يتلاعبون بأحكام الدين:

هذا بالنسبة إلي ما يدّعيه بعض الناس من إشراق روحي، ومن كشف رباني، ومن شفافية نفسية، هذا عندي يجب أن يُضبط بكتاب الله وسنة رسول الله، فإذا تجاوزه فهو من الشيطان، قولاً واحداً، أنا بدا لي أنني بعد أن بلغت هذه المرتبة رُفِعت عني التكاليف، أنت الشيطان يركبك، قل له: الشيطان يركبك، سيد الأنبياء ما ترك الصلاة، لا يوجد إنسان في الأرض يستطيع أن يزعم أنه رُفِع عنه التكليف إلا أن يكون هذا من الشيطان.

لذلك هذا المسلك خطر جداً، لأن أكثر الدجالين يأتون من هذا الباب، أنا حدثني قلبي عن ربي، من أنت؟ من أنت حتى يُحَدّثك قلبك عن ربك؟ أنت عندك وحي؟ أما إذا كان هذا الإشراق شيئاً من صُلب القرآن، من صُلب السنة، أي فيه إغناء لآيات كتاب الله هذا على العين والرأس، وكان صاحبه مستقيماً.

فأحبابنا اختاروا المحبة مذهباً　　　وما خالفوا في مذهب الحب شرعنا

علي بن محمّد بن وفا

أي أنا شخصياً إذا إنسان لا أجده مستقيماً، كل ما يدّعيه عن إشراقه الروحي لا أصدقه، لأن الله سبحانه وتعالى لا يتفضل على إنسان عاص بتجليّاته الرحمانية، مستحيل، هذه وساوس شيطانية، أما إذا رأيته ورعاً وملتزماً وعند أمر الله وعند نهيه، وعند الحلال تاركاً الحرام، ورأيت منه معنىً رفيع المستوى يتوافق مع كتاب الله، هذا المعنى الذي منّ الله به عليه على العين والرأس، أما إذا كان بالسلوك خلل، انحراف، تقصير، نظرات للنساء مُريبة، سماع للغناء، وبعد ذلك حدثني قلبي عن ربي، هذا دجّال، الله سبحانه وتعالى لا يُلقي نوره إلا في قلب كل عبد منيب، الإمام الشافعي فيما تروي كتب التاريخ أي في حدود الأشياء الهامشية جداً، فلم يستيقظ على قيام الليل، شكا ذلك إلى شيخه وكيع فقال الشافعي:

شكوت إلى وكيع سوءِ حفظي　　　فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأنبأني بــأن العلــم نــــور　　　ونور الله لا يهدى لعاصــي

الشافعي

وقد قيل: قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية، أنا في اعتقادي مستحيل أن يتجلى الله عز وجل بأنواره الكاشفة على قلب عبد عاص، هذا التجلي خاص بالمتقين، بالورعين، بالمستقيمين، بالملتزمين، فلذلك مقياس الاستقامة والورع يكشف الدجالين، إذا لم يكن هناك ورع، لا يوجد كلام متوافق مع روح هذا الكتاب الكريم والسنة المُطهرة هذا دجل في دجل.

## النص القطعي من أنكره يكفر أما الظني الاجتهادي فلا يكفر:

الآن هناك مرتبة بعد اليقين اسمها: غلبة الظن، أي رأيت دخاناً وراء جدار، رأيت جداراً وخلفه دخان يتصاعد من بعض ألسنة اللهب، فأنا أقول بحسب المنطق: لا دخان بلا نار، وقد لمحت عيني بعض ألسنة اللهب، هذا يقين قطعي، يقين استدلالي، لكن رأيت دخاناً، هذا الدخان أبيض غريب وأنا في مكان بعيد، هل هذا الدخان دخان نار أم دخان مبيد ترشه المحافظة في الطرقات؟ قد يغلب على ظنك أنه دخان نار، فهذه المرتبة ليست في مرتبة اليقين بل في مرتبة غلبة الظن، أي من بعيد يبدو أن هناك ماء، لكن ماء أم سراب؟ عيني تريني ماء، لكن حينما أقترب هذا الماء يتلاشى، إذاً هو سراب.

هناك مرتبة بمستوى الحس هي دون اليقين الحسي، وهناك مرتبة بالاستدلال العقلي هي دون اليقين العقلي، وهناك مرتبة بالأخبار هي دون اليقين الإخباري، قلنا لكم من قبل إن القرآن يحتل أعلى درجة، قطعي الثبوت، هناك نصوص ظنية الثبوت، قطعية الدلالة، هناك نصوص قطعية الثبوت ظنية الدلالة، هناك نصوص ظنية الدلالة ظنية الثبوت، أي من حيث الثبوت أو من حيث الدلالة هناك مرتبة دون اليقين هي مرتبة غلبة الظن، يوجد عندنا عقيدة مستنبطة من نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة من أنكرها فهو كافر، كل من يُنكر عقيدة ثبتت بنص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، إذا أنكر الإنسان هذه العقيدة فهو كافر، أما إذا أنكر عقيدة ظنيّة الدلالة أو ظنيّة الثبوت أو ظنيّة الثبوت والدلالة فهذا الإنسان لا يُكَفّر، موضوع خلافي، العلماء استنبطوا من أنه:

**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10)**

**سورة النجم**

وهو في السماء السابعة، أن العبد مؤلف من نفس ومن روح ومن جسد، إذاً النبي صلى الله عليه وسلم عرج إلى السماء بجسده، أغلب الظن هكذا، لكن هذا الاستنباط استنباط ظني وليس قطعياً، الاستنباط القطعي:

**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)**

**سورة النساء**

هذا استنباط قطعي، فمن أنكر هذه الحقيقة فهو كافر:

**وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)**

**سورة البقرة**

هذه آية، والآية قطعية الثبوت أنها من كتاب الله، وقطعية الدلالة أنها تأمرنا بالصلاة، فمن أنكر الصلاة فهو كافر، لكن: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾ والله أغلب الظن أن العبد المقصود به الإنسان بروحه ونفسه وجسده، لكن هذه العبارة لا تعني بالضرورة أنه عرج بالجسد، فمن أنكر عروجه بالجسد لا يُعدّ كافراً، أما هناك دليل يرقى إلى مستوى غلبة الظن أنه عرج بجسده والدليل غير القطعي: ﴿**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**﴾.

طبعاً ليس بصدد الأمثلة، الأمثلة كثيرة جداً، نحن الآن في الكليات، الكليات تقول: هناك عقائد لا تُلزم صاحبها بفعل ما، مثلاً: أنا أعتقد أن الصلاة فرض، هذه عقيدة جازمة، هذه العقيدة ينبغي أن ينتج عنها أن أُقيم الصلاة وأُصلي، فإن لم أُصلِ إنكاراً للعقيدة فأنا كافر، إذا لم يصلِّ الإنسان مُنكراً فريضة الصلاة فهو كافر، وإن لم يصلِّ تهاوناً فهو فاسق، هناك فرق بين من لم يصلّ إنكاراً وبين من لم يصلّ تهاوناً، أما إذا استنبط العلماء من بعض الآيات:

**أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (184)**

**سورة البقرة**

قال مفسرون: إن هناك لا محذوفة، لا يطيقونه، هذا استنباط ليس قطعياً، هناك من يفسر يطيقونه على الذين يطيقونه في السفر والمرض وأفطروا عليهم فدية، وهناك من يفسر على الذين لا يطيقونه هناك (لا) محذوفة فدية إذا أفطروا، هذا استدلال ليس قطعياً إنما هو استدلال ظني، إذاً الذي يُنكر الاستدلال الظني لا يُكفّر، لأنه قد يأتي شيء يؤكده أو شيء ينقضه.

## مجال النصوص ظنية الدلالة والثبوت أجاز العلماء العمل بها في فروع الدين:

قد رأينا أن مسالك الظنون الغالبة لا تؤدي إلى علم يقيني، ومن ثمَّ فلا يصح أن تتحول الظنون إلى عقائد جازمة راسخة غير قابلة للتعديل أو النسخ، بل تدخل في زاوية العلوم الظنية، ويُعتقد بها، ويُعمل بموجبها حتى يأتي ما يعدلها أو يُثبّتها.

فالإنسان يجب أن يعرف، هناك أشياء يجب أن يعتقد بها اعتقاداً جازماً، وما دام يعتقد بها اعتقاداً جازماً لأن أصلها نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة، هذا ينبغي أن ينطلق إلى تنفيذها، أما في العقائد التي يغلب الظن فيها فهو يعمل بها ما لم يظهر دليل على عكسها أو دليل ينقلها إلى مرتبة الأخبار اليقينية.

قال العلماء: والعمل بالظن الغالب في فروع الأحكام الشرعية وارد، أي أنت هناك حديث الآحاد، الحديث المتواتر باللفظ أو المعنى يرقى إلى مستوى النص القطعي الثبوت قطعي الدلالة، أما حديث الآحاد أي هذا يجعل الاعتقاد به ظني الثبوت أو ظني الدلالة، قال العلماء: وهذا المسلك يُكتفى به في إثبات فروع الأحكام الشرعية العملية، الأصول تحتاج إلى قطع في الثبوت والدلالة، أما الفروع مقبول أن نستخدم بها النصوص الفرعية ذات الظن الغالب.

## مراتب العلم:

بقي علينا طريق أخير مزيف وهو طريق الأوهام، وطريق الخرافات، وطريق الخزعبلات، وطريق السحر، وطريق العوام، وهذا الطريق فاسد فساداً قطعياً، لأن الإنسان إذا تحرك بموجبه هلك، يسمع الإنسان من العوام أن هذا الزوج لا يحب زوجته لأنها قد سحرته، عوضاً من أن يستقيم على أمر الله ويغض بصره

ويعاملها بالإحسان حتى تنشأ مودة يذهب إلى دجالين ليعطوه بعض المحاليل وبعض الأدوية وبعض الحُجب من أجل أن تحبه زوجته.

هذه مسالك كلها فيها أوهام وأباطيل، ويقول لك: إن الشيطان هو الذي وسوس لي، وهو الذي جرني إلى هذه المعصية، عندما يكون الإنسان كلامه بعيداً عن كلام الله فهو في بطل وفي ضلال.

دائماً وأبداً طابق بين كلامك وبين كلام الله عز وجل، صار عندنا طريق مزيف طريق الوساوس، طريق الخزعبلات، طريق الأوهام، طريق الشكوك، طريق العادات والتقاليد البالية التي ما أنزل الله بها من سلطان، هذه الطرق طرق خطرة في وصولها إلى مركز الاعتقاد.

إما أن الإنسان يسلك طريقاً مضحكاً في معالجته للأمور، هذا كله مبني على عقائد زائغة وأوهام وأباطيل وخزعبلات وترهات ما أنزل الله بها من سلطان، هذا كله لا يليق بالمؤمن أن يعتقد به، المؤمن يعتقد بما جاء في كتاب الله، وبما جاء فيما صحّ عن رسول الله.

ودائماً اجعل علاقتك مع الناس هذه العلاقة التالية؛ الذي ينقل لك خبراً ما اسأله عن الصحة، إن كنت ناقلاً فالصحة، والذي يبتدع لك نظرية ما اسأله عن الدليل، إن كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مبتدعاً فالدليل، يقول لك: يا أخي قال العالم الفلاني: إن القضية الفلانية حلال، شيء جميل، انظر الجاهل، هو قال؟ أعوذ بالله هو قال، وفي أي مجلس قالها؟ هل مطبوعة في كتابه؟ أين هي؟ تحقق، أكثر الدجاجلة يُعزون بعض المعاصي إلى فتاوى مزيفة قالها بعض العلماء، والعلماء منها بريئون، هل سمعته أنت هو يقول هذا؟ يقول لك: لا، هل قرأت هذا في كتابه؟ يقول لك: لا، اذهب إليه واسأله، إن كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مبتدعاً فالدليل.

أنا أرى أن الإنسان لا ينبغي له أن ينظر إلى زوجة أخيه، ما هذا الكلام؟ الناس كلهم هكذا، هذه نظريتي، قل له: ما الدليل؟ يأتيك بآية وهذا تفسيرها، انتهى الأمر، يأتيك بحديث صحيح، انتهى الأمر، تعامل مع الناس بهاتين الطريقتين، إذا نقل لك إنسان شيئاً قل له: ما برهان صحة هذا النقل؟ وإذا إنسان ادّعى شيئاً قل له: ما الدليل العقلي والنقلي؟ طالبه بالدليل النقلي حديثاً أو آية، وطالبه بالدليل العقلي، إذا قدّم لك دليلاً

عقليّاً ودليلاً نقلياً انتهى الأمر، وسوف ننتقل في درس قادم إن شاء الله إلى متابعة هذه الفصول من العقائد الإسلامية.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 7-63: تخزين العقيدة في العقل ومقارنة أي أمر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### السبب الرئيس في شقاء الإنسان هو الوسيلة التي اختارها لسعادته:

أيها الإخوة المؤمنون؛ هناك موضوع عن أعظم مطالب الإنسان في الحياة، الحقيقة لو أنك سألت أيَّ رجل أو أي إنسان على وجه الأرض كائناً من كان، مِن أي عرق، من أي جنس، من أي قوم، من أية ملّة، من أية نِحلة، من أي دين، أيّ إنسان سألته عن هدفه في هذه الحياة لقال لك: أنْ أسعدَ في هذه الحياة، هذا الجواب الجامع المانع المشترك بين جميع البشر على اختلاف أنواعهم، وألوانهم، وأجناسهم، ومِلَلهم، ونِحَلهم، مِن أين يأتي الخطأ إذاً؟ ما دام الهدف واحداً، مادام البشر جميعاً يتجهون نحو هدف واحد، وهو أن يسعدوا أنفسهم، من أين يأتي الخطأ؟ لماذا في الحياة أُناس يَشْقَون؟ لماذا في الحياة أناس مُعذَّبون؟ لماذا في الحياة أناس هالكون؟ ما دام هدفهم جميعاً هو السعادة، الجواب عن هذا السؤال: إنهم أخطؤوا في تصور الوسيلة التي تُفضي إلى هذه السعادة، من هنا جاء الخطأ.

### نموذج من البشر الذين أخطؤوا في اختيار الوسيلة:

الهدف واحد، والتصور مشترك، لكنهم أخطؤوا في اختيار الوسيلة التي توصلهم إلى هذه السعادة، بعض الناس رأى السعادة كل السعادة في جمع المال، كسب المال غير جمع المال، قد يكسب الإنسان مالاً ليحيا به، لأن المال كما قال الله عز وجل قِوام الحياة، جعله الله لنا فيه قياماً، كسبُ المال من أجل أن يُنْفِق على نفسه وعلى عياله، وأن يتقرب به إلى ربه، وأن يصون أهله عن التّطلع إلى غيره، هذا كسب المال، لكن

جمع المال كما قال عليه الصلاة والسلام، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: منهومان لا يشبعان؛ منهوم في علم لا يشبع، ومنهوم في دنيا لا يشبع.

صححه الحاكم ووافقه الذهبي، ورواه الدارمي موقوفاً عن الحسن بكماله

إذاً قد يتوهم أو يتصور الإنسان أن سعادته في جمع المال، يسعى إلى جمعه ليلاً نهاراً، سراً وعلانية، في كل أوقاته، كل خواطره، كل هواجسه، كل مشاعره، كل طاقاته، كل جهده، كل إمكاناته، كل تفكيره، ساحة نفسه ليس فيها إلا المال، يسعى ويُجَمّع من الأموال ما لا يحصى، وتأتيه المتاعب، والهموم، والأزمات إلى أن يكتشف في وقت متأخر وبعد فوات الأوان أن المال شيء ولكنه ليس كل شيء، بل ربما كان جمع المال سبباً للشقاء في الدنيا والآخرة، وعلى هذه الحقيقة ألف قصة وقصة تعرفونها جميعاً، هذا يُصاب بأمراض عضالة، هذا يُصاب بأزمات قلبية، هذا يُصاب بهمٍّ، هذا يقول لك: الدنيا أطبقت عليّ، هذا يقول لك: كاد قلبي يتفطّر من شدة الألم، له محضر ثمنه ستون مليوناً أُخذ منه، إذاً قد يتصور الإنسان أن سعادته في جمع المال فيسعى له ليلاً نهاراً يستهلك وقته كله، يستهلك شبابه، يستهلك عمره، ويكتشف بعد فوات الأوان وفي خريف العمر أن المال ليس كل شيء بل هو شيء، وربما كان جمعه سبباً لشقاوته وتعاسته.

## متى يكتشف الإنسان خطيئته؟

أيها الإخوة الأكارم؛ أنا والله أربأ بكم عن ان يكتشف أحدكم هذه الحقيقة في وقت متأخر، والله المال لو ملكت مال قارون لن يُسعدك إلا أن يشاء الله أن يسعدك، والله قد تخيم على بيت سعادة لو يعلمها الأغنياء لَتَخَلَّوا عن ثرواتهم كلها ليكونوا في مصاف هذا الذي أسعده الله، إذا الله عز وجل وهب السعادة لإنسان لا أحد في الكون يستطيع أن يسلبه إياها، قد يتوهم الإنسان السعادة في أن يكون له مركز مرموق، وهذا المركز المرموق إما أن يُحصّله بالقوة وإما أن يُحَصّله بالعلم، فيسعى لنيل اعلى الشهادات لا لشيء إلا لتدغدغ نفسه كلمة دكتور مثلاً، قد يسعى لمرتبة عاليةٍ عالية كي يشعر أنه فوق الناس، يتوهم أنه إذا نال هذه الشهادة العليا، وكتبها على مدخل بيته، ورحّب الناس بها، ونظروا له نظرة إكبار، وتبجيل، وتعظيم، روّى في نفسه حبّ العظمة، قد يصل إلى هذه المكانة المرموقة إما عن طريق القوة أو عن طريق العلم، لكنه يكتشف بعد فوات الأوان وفي خريف العمر أن الوجاهة زائلة وليست كل شيء، قد تكون شيئاً ولكنها ليست كل شيء، بل ربما

كان سعيه لهذه الوجاهة سبباً في شقاوته، كلمة "آه" يتلفظ بها الإنسان في خريف العمر وكأن نفسه تذوب فيها، ضَيّعت، عرفت بعد فوات الأوان، وقد يتوهم الإنسان السعادة في اقتناص الملذات من نادٍ ليلي إلى نادٍ ليلي، من سهرة حمراء إلى سهرة خضراء، من مكان إلى آخر، من فندق إلى فندق، من بلد إلى بلد، أموال طائلة وشباب وفير، فها هو ذا ينفق أمواله على ملذاته، ما قولكم أن هذا الذي يسعى للذته قد ينتحر في ربيع العمر؟ يكشف تفاهته، يكشف أن الإنسان إذا تَبِع لذته صار حقيراً، صار دنيئاً، صار تافهاً، صار هامشيّاً، صار نوعاً من الحيوان، كشفت بعض الدول التي قطعت مراحل واسعة في التصنيع وفي إحلال العلم والآلة محل الإنسان، كشفوا أن أثمن ما في الحياة هو الإنسان، وأننا من أجل أن نُحَقِق بعض الأهداف الحضارية نُضحي به، فإذا ضحينا به ضحينا بكل شيء، لذلك شعوب، أمم، أناس لا يعرفون شيئاً هم كالآلات يعملون ليأكلوا في مشارق الأرض ومغاربها، بهائم، أي أناس ليس بينهم وبين البهائم فرق أبداً، لا يعرفون إلا العمل المُضني، واقتناص اللذائذ كالبهائم، والاستمتاع بالطعام والشراب، ولا قيمة، ولا فكرة، ولا مبدأ، ولا هدف:

**أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (21)**

سورة النحل

**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا (44)**

سورة الفرقان

هذا الذي يسعى إلى اقتناص اللذات يكتشف بعد فوات الأوان وفي خريف العمر ان اقتناص اللذات ليس كل شيء بل هو شيء حقير، بل إنما كان اقتناصه لهذه اللذات سبباً لشقاوته في الدنيا والآخرة، أقول لكم كلاماً واضحاً كالشمس: ما من مخلوق، على شكل ضيق، ما من إنسان على وجه الأرض إلا ويسعى لسعادته، ولكن الخطأ الفاحش الكبير الفادح يتأتّى من سوء تصور الوسيلة المُفضية إلى هذه السعادة، إذا توهمتها في المال فأنت مخطئ، إذا توهمتها في القوة والعز والسلطان فأنت مخطئ، إذا توهمتها في اقتناص الملذات فأنت مخطئ، إذا توهمتها في الفن فأنت مخطئ، إذا توهمتها في السياحة فأنت مخطئ، وهذا الخطأ خطأ مصيري، خطأ لا يُصحح، خطأ لا يُعدّل، خطأ لا يتلافى، خطأ مدمر، خطأ يسبب شقاوةً إلى الأبد.

## المؤمن لم يتعثر في اختيار الطريق لأنه تعرّف إلى الله:

أما المؤمن هو كغيره من بني البشر يسعى لهذه السعادة، ولكنه عرف الطريقة الصحيحة الموصلة إليها، عرفها في معرفة الله، عرفها في طاعته، عرفها في القرب منه، لذلك خط المؤمن البياني في صعود دائم أبداً، بعد أن عرف الله مِن خير إلى خير، من سعادة إلى أكبر، من عقل إلى عقل، من رِفعة إلى رِفعة، من طمأنينة إلى أمن، أبداً خطه صاعد ولو جاء الموت، يأتي الموت ويتابع خطه البياني الصعود، وما الموت إلا نقطة على هذا الخط، لأنه تعرّف إلى الأبدي السرمدي، تعرّف إلى الحيّ الذي لا يموت، تعرّف إلى الذي سيكون معه إلى أبد الآبدين، تعرّف إلى الذات الكاملة، تعرّف إلى من بيده ملكوت كل شيء، تعرّف إلى مصدر الحق، مصدر الخير، مصدر الجمال، تعرّف إلى الله، كان الله ولم يكن معه شيء:

**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (27)**

سورة الرحمن

رجعوا وتركوك وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

## خط الإيمان:

### 1- الفرق بين المؤمن وغيره في الحياة:

الآن من المفارقات أن هذا المؤمن الذي سعد بربه قد يفتقر إلى المال، قد يكون دخله لا يكفيه إلى آخر الشهر، ومع ذلك هو أسعد السعداء، قد تكون في جسده علة مَرَضية مزمنة، ومع ذلك هو من السعداء، قد يكون ذا شأن يسير لا أحد يعرفه ومع ذلك فهو من أسعد السعداء، قد تكون حياته خشنة، ومع ذلك فهو مِن أسعد السعداء، ما هذه المفارقة؟ أي تملك المال وتشقى؟ تملك القوة وتشقى؟ تملك عزّ الدنيا وتشقى؟ تُمضي العمر كله في اللذائذ وتشقى؟ ويكون نصيبك من المال قليلاً وقد عرفت الله فتسعد، وقد يكون شأنك

في الحياة متواضعاً وتسعد؟ وقد تكون حياتك خشنة وتسعد؟ هذا هو سرّ الإيمان، هذا هو السر، ابن آدم اطلبني تجدني، فإذا وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتك فاتك كل شيء، وأنا أحبّ إليك من كل شيء.

### 2- لن تسعد إلا بمعرفة الله عن طريق دينه:

لذلك لن يتحقق مطلبكم جميعاً في الدنيا والآخرة إلا عن طريق الدين، لن يتحقق مطلبكم الأسمى وهو أن تسعدوا في الدنيا والآخرة إلا عن طريق معرفة الله، وعن طريق التقرب إليه، وعن طريق خدمة خلقه، وعن طريق محبته، وعن طريق التضحية بكل نفس ونفيس، وغال ورخيص من أجل هذا القرب، هذا ملخص الدين، أي الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الكبرى في الكون ولا حقيقة سواها:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**

سورة الأنبياء

وأيّ شيء يُقربك من الله فهو الحق، وأي شيء يُبعدك عن الله فهو باطل، صار الباطل له معنى آخر، أي شيء استهلك وقتك ومنعك من أن تكون مع الله في هذا الوقت فهو باطل، هذا الذي يجلس ويلعب النرد مع أصدقائه تسلية فقط، تمضية وقت هذا باطل، لأنك مخلوق لهدف ثمين، ها أنت ذا تستهلك الوقت في هدف تافهٍ لا جدوى منه.

أيها الإخوة الأكارم؛ أعظم مطالب الإنسان في هذه الدنيا السعادة، ووالله الذي لا إله إلا هو لن تبلغوها إلا عن طريق معرفة الله، يا رب ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟ والبطولة عند تلك الساعة الرهيبة التي يغادر فيها الإنسان الدنيا، قال تعالى:

**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26)**

سورة الفجر

## 1- عن طريق المصورة:

من أجل أن يبلغ هذا المطلب لابدّ من التعرّف على طبيعة تحرك الإنسان في الدنيا، وما الذي يؤثر في تحركاته، الموضوع الآن يتسم بطابع علمي، الموضوع الذي سوف نأخذ منه بعض اللمسات، نحن في حياتنا اليومية عندنا بصر، عندنا سمع، عندنا شم، عندنا ذوق، عندنا إحساس بالحرارة والبرودة والضغط والنعومة والخشونة بالجلد، فسمعُنا، وبصرُنا، وذوقُنا، وشمُّنا، وجلدنا ينقل لنا أحاسيس العالم الخارجي، والإنسان ينطوي على نفس، تفرح، تحزن، تغضب، تُحب، تبغض، تخاف، تتألم، تتشوق، تكره، هناك مشاعر داخلية وهناك أحاسيس خارجية، المشاعر الداخلية والأحاسيس الخارجية تنتقل إلى مركز في الدماغ تحب أن تسميه: مركز الإدراك، لك ذلك، العلماء القدامى سموه: المصورة، أي مكان تجميع الصور، عندنا صور بصرية، صور شمِّية، صور سمعية، صور داخلية، صور ذوقية، هذا المركز يتلقى صوراً خارجية وصور داخلية، هذا المكان اسمه المصورة.

## 2- الخيال:

المصورة مركز تجميع معلومات إن صح التعبير أرشيف، هذا المركز يرسل إلى مركز آخر وهو مركز التخيل، الذي اخترع الطائرة، أو اخترع السيارة، أو الذي كشف الكهرباء، أو كشف هذه المخترعات، هذا استعان بمصورته أو بمركز الإدراك وألّف من هذه التي يعرفها شيئاً جديداً، هذا هو التخيل، كيف يتخيل الإنسان؟ يأخذ من معلوماته، من مبصَراته، من مشموماته، من أذواقه، من أحاسيسه، من مشاعره الداخلية شيئاً جديداً، أي ليس هذا الجديد كلياً لكن مواده الأولية قديمة، لكن شكله جديد، فهذه المصورة أو هذا المركز مركز الإدراك بالتعريف الحديث، هذا المركز يُمِدُّ مركز التخيل بالمواد الأولية.

المهندس حينما يرسم بناء، يعمل في هذا الرسم عن طريق مركز المُخيلة، ما من إنسان يُبدع، الشاعر الذي ينظم الشعر، هذا المكان مركز المُخَيلة، يسمونه: الخيال الخلّاق، هناك خيال شعري، خيال فني، خيال

علمي، خيال فلسفي، الخيال أنواع، على كل يعتمد الخيال على المعلومات، والصور، والأحاسيس التي يتلقاها الإنسان من محيطه الخارجي ومحيطه الداخلي، وهذه الصور النفسية والحسية تُخَزّن أيضاً في الذاكرة.

## 3- التفكير:

عندنا مركز ثان في الدماغ الذاكرة، وقد تحدثت في مناسبات عدة عن الذاكرة، وكيف أنها تحتوي على مليون مليار معلومة الذاكرة، هذه المُدركات، أو هذه الصور، أو هذه المصورة، أو هذا الأرشيف بالتعبير العلمي، هذا ينتقل إلى مركز آخر اسمه: مركز البحث العلمي، أو يسمونه: التفكير، أي أنت سمعت قصة تفكر فيها هل هي صحيحة؟ يوجد عندك مقاييس، تقيسها ببعض المقاييس، إما مقاييس نقلية قرآنية، أو مقاييس عقلية، أو مقاييس واقعية، على كل إذا سمعت قصة، أو شاهدت مشهداً، أو رأيت ساحراً أمسك بسكين وأدخلها في بطنه، هذه صورة، لكن هذه الصورة نُقِلَت إلى مركز البحث العلمي، ليكون نَصْل السكين يدخل في مقبضها، قد تكون حيلة هذه، تُفكر، التفكير عملية تحليل وتركيب وقياس وتمحيص وتدقيق ودراسة المقدمات والنتائج.

### عملية تحليل البحث العلمي عن طريق التفكير:

مركز البحث العلمي يتناول هذه الصور وهذه المشاعر فيحللها ويركبها ويقيسها ويزينها إلى أن يفرزها، يفرزها إلى أربعة أنواع، أول نوع: الوهْم، أحياناً الإنسان يسمع قصة، يقول هذه كذب غير صحيحة، خرافة، خلط، خلال دقائق ما الذي حصل؟ الأذن نقلت الصوت، مركز الإدراك أدرك معنى القصة، مركز الإدراك نقلها إلى مركز البحث العلمي أي فكر فيها فقال لك: هذه خرافة، فهذا المركز مركز البحث العلمي يُمَحّص الصور والمشاعر، يُصنفها في اربعة تصانيف:

أول صنف: الوهم، الوهم لا أساس له من الصحة، أخي قال: يوجد دواء إذا الإنسان مات وشربه يحيا، نقول له: خلط، مركز البحث العلمي رفض هذه الفكرة، رفض هذا المبدأ، يوجد دواء يُضاعف العمر، يعيش الإنسان مئة وعشرين سنة فيه إذا شربه، ليس صحيحاً، مركز البحث العلمي يُصنف الأشياء تصنيفاً آخر، على مستوى الشك، الشك إذا كان برهان الإثبات في مستوى برهان النفي، شيء يُحيّر، هذه القصة من جهة صحيحة، من جهة غير صحيحة، هذه توضع في تصنيف الشك، الشك يُعاد النظر فيها، تُخزن في

الذاكرة ريثما يتمّ التحقق منها، ويوجد عندنا قسم ينتقل إلى مستوى غلبة الظن، أي أغلب الظن أنه صحيح، ويوجد عندنا قسم خطير جداً هو قسم اليقين، فالبحث العلمي أو مركز التفكير يُصَنف كل الصور، والمشاعر، والمشاهدات، والمسموعات، والمُبصَرات، والقصص، والأفكار، كل شيء وصلك يصنفه، وهْم، شك، غلبة الظن، اليقين، اليقين قطعي، غلبة الظن قريب من القطعي، الشك يُخزّن ريثما يُبَت فيه، أي يستوي نقضه مع إثباته، الوهم يُلغى، ومركز البحث العلمي يزود الذاكرة بنتائج بحوثه.

## التحصيل الحاصل من عملية التفكير أن العقل السليم لا يتعارض مع الدين:

إذاً صارت الذاكرة يوجد لها تغذيتان، تغذية من المصورة مركز الإدراك، وتغذية من مركز البحث العلمي، ومركز البحث العلمي يصنف هذه النتائج في ثلاثة أنواع؛ نوع اليقين، غلبة الظن، الشك، الشك يبحثه مرة ثانية إما أن يجعله مع الوهم فيرفضه وإما أن يجعله مع غلبة الظن فيقبله.

الآن مركز اليقين، هذا الذي توصلت إليه يقيناً ينطبق على الشرائع السماوية تماماً، هذا الحق الصحيح، هناك تطابق بين العلم وبين الدين، الذي جاء من السماء من خالق الكون ينطبق مع النتائج التي توصل إليها العقل عن طريق منهجه الصحيح، لذلك لابد من تطابق العلم والدين، وما عُهِدَ أن في كتاب الله كله حقيقة تُناقض حقيقة علمية، وما عُهِدَ في العلم الصحيح أن فيه شيئاً يُناقض كتاب الله، هنا حصل لقاء حتمي، بل إن مقياس العقل السليم تطابقه مع ما جاء في الشرع الحكيم، هذه خذها مني قاعدة، أي فكرة تقرؤها صحيحة إذا تطابقت مع آية كريمة، وباطلة إذا تناقضت معها، لو أنك قرأت مقالاً عن الربا، وأقنعك الكاتب أن الربا لا شيء فيه، ضروري لهذا المجتمع، والله عز وجل يقول:

**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)**

سورة البقرة

فهذه المقالة باطلة، لأن العقل لا يمكن أن يصل إلى نتيجة تُخَالِف الشرع الذي هو من عند خالق العقل، مستحيل، أنا مستحيل أن أعطيك قماشاً وأقول لك: هذه تسعة أمتار، ثم أعطيك مقياساً وأقول لك: قِسها

بهذا المقياس؟ فإذا هي ثمانية أمتار، أنا أعطي مقياساً ينقض كلامي؟ مستحيل، فربنا عز وجل كلامه القرآن، هل يُعقل بالمقياس الصحيح أن نصل إلى شيء مخالف لكتاب الله؟ هذا مستحيل.

## وظيفة اليقينيات والظنيات في العقل:

الآن مركز اليقين ينقلب بعد الرضا والتسليم وبعد الطمأنينة القلبية إلى عقيدة راسخة، انظر من أين مشينا؟ من المبصرات والمسموعات والمشمومات والمذوقات والمشاعر الداخلية إلى مركز الإدراك، من مركز الإدراك إلى الذاكرة، وإلى المُخيّلة، وإلى مركز البحث العلمي، وإلى مركز التنسيق، فرزنا هذه المعلومات، المواد الأولية إلى وهم رفضناه، وإلى شكّ أوقفناه، وإلى غلبة ظن اعتقدنا بها، وإلى يقين آمنا به، أما الشك لابد أن يُصنّف إما مع غلبة الظن أو مع الوهم، بقينا على شيئين، شيء جازم يقيني، وشيء يغلب عليه الظن، فالجازم هو العقيدة، والذي يغلب عليه الظن ينقلب إلى إرادة، طبعاً هو الذي يُوَجّه الإرادة، والإرادة تُوَجه السلوك، ما الذي يوجه الإرادة؟ الأشياء التي اعتقدت صحتها، الإرادة تُوَجه ماذا؟ السلوك، لماذا أطلق فلان بصره في الحرام؟ لأنه اعتقد خطأً أن هذا الشيء لا قيمة له، لماذا غضَّ فلان بصره؟ هذا انتقل إلى مركز غلبة الظن أو مركز اليقين، واليقين نُقل إلى الإرادة، والإرادة وَجّهت السلوك، فإذا هو يغض بصره.

لماذا يمتنع هذا الإنسان عن أكل المال الحرام؟ لأنه بمجمل بحثه العلمي وصل إلى أن هذا يُغْضِب الله، وفي غضب الله خسارة كبيرة في الدنيا والآخرة، هذا انتقل إلى مركز اليقين، واليقين إلى مركز الاعتقاد، والاعتقاد وجّه الإرادة، والإرادة وجّهت السلوك.

## دور العاطفة بأنها تحرك مشاعر الإنسان والعقل يقودها إلى المسار الصحيح:

الآن عندنا مركز آخر يُضْفِي على هذه المعتقدات حيوية ألا وهو مركز العواطف، الإنسان عقل وعاطفة، فبالعاطفة نغذي المعلومات، نشحنها بطاقة انفعالية، فالإنسان بالعاطفة يُضَاعف سلوكه، القناعات شيء، والعواطف شيء آخر، لذلك أحياناً أنت بحاجة إلى شيئين، إلى قناعة وإلى انفعال، انفعال الحب مع الله عز وجل هذا يُضَاعِف طاقتك في السير إليه، أحياناً يقول لك: هذه السيارة فيها توربو، أحياناً على السرعات

العالية يدخل جهاز جديد يعطيها طاقة كبيرة جداً، كذلك الإنسان إذا وصل إلى مراتب عليا تأتي العاطفة وتزيد حماسه وتُضَاعف طاقاته إلى الله عز وجل.

بعد هذا كله الآن يتحدد سلوكه، يتحدد كيف يكسب المال، يُحدد علاقاته مع الآخرين، يُحَدد علاقاته الخارجية، الداخلية، يُحدد مسارب انفعالاته، يُحدد أغراضه.

## إذا توصلت إلى المنهج الصحيح وفق تسلسل عملية التفكير حصلت على السعادة:

الآن كل الصحة، والسلامة، والسعادة بعد أن مرت الأمور بهذا الطريق، الذي أريد أن أقوله لكم: هذا موضوع دقيق جداً، وقد لا يكون هذا المكان ملائماً للتعمق فيه، ولكن أَخْذُ القليل –كما يقول سيدنا علي رضي الله عنه–خير من ترك الكثير، أي أنت سعيد بقدر ما تسلك هذه المعلومات المسار الصحيح، دع في بالك هذه الفكرة، هذه السيارة تستمتع بها إذا سلك البنزين مسلكاً صحيحاً من المستودع إلى المواسير المحكمة إلى جهاز الاحتراق، ينفجر في المكان المناسب، يُحَرّك البيستونات، تنقلب هذه الحركة إلى حركة دائرية، تُدير العجلات تنقلك من مكان إلى آخر، تستمتع بالسيارة إذا سار البنزين في مكانه الطبيعي، فإذا خرج البنزين عن مكانه الطبيعي، وجاءته شرارة واحترق كان الدمار.

هذه المعلومات إذا سارت وفق المنهج الصحيح، من الحواس إلى المصورة، إلى المخيلة، إلى الذاكرة، إلى مركز البحث العلمي، إلى مركز التنسيق العلمي، إلى اليقينيات، إلى غلبة الظن، إلى الإرادة، إلى السلوك، إذًا أنت في طريق الجنة، تَسَعَد وتُسعد.

## ينبغي على المسلم أن يكون حذراً من تلقي المعلومات الخاطئة:

الذي أريده منكم ألا تسمحوا لمراكز الدماغ أن تأتيها معلومات مغلوطة، أو أن تعطلوا مركز البحث العلمي أي مركز التفكير، أو أن تُحِلّوا عقيدة في محل اليقين وهي عقيدة خرافية، أي مثلاً إنسان سمع أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يدع أمته تدخل النار، هكذا ببساطة، بسذاجة، الشفاعة لها معنى قيّم، ومعنى سامٍ، أما على معناها الساذج، المعنى السوقي للشفاعة أن النبي صلى الله عليه وسلم لن يدع أحداً من أمته يدخل

النار، ويُصِرّ على الله عز وجل بأنه لا يدخل الجنة إلا إذا دخلت أمته معه، ربنا عز وجل يفض المشكلة ويقول له: أدخلهم وانتهى، ادخلوا وأريحونا، هذه إذا اعتقد بها اعتقادًا راسخاً، وضعها مكان اليقينيات لن يعمل شيئاً أبداً، جلس، أكل مالاً حراماً، نظر إلى النساء، فعل.. أخي نحن أمة محمد مرحومة، اللهم صلِّ عليه، يصلي عليه زوراً، يصلي عليه من أجل أن يُمنِّيَ نفسه أنه لن يدخل إلى النار، هذه الفكرة لو أن الإنسان وضع هذه الفكرة بمحل اليقينيات، واليقين وَجّه سلوكه، وبدأ يأكل المال الحرام ويتساهل بأحكام الشرع ولا يبالي اعتقاداً منه بأن النبي عليه الصلاة والسلام لن يدخل الجنة إلا ويدخله معه، وانتهى الأمر، إذا اعتقدت أنك أنت ليس لك اختيار، شقي شقي، سعيد سعيد، منته أمرك، يا أخي لماذا لا تصلي؟ الله ما أراد أن أصلي، هذه مشيئته، يقول له: كله شغل سيدك، هذه إذا كانت الفكرة وضعها مكان اليقينيات، وحرّكت سلوكه سوف يخرب بيته، مشى بطريق الضلال.

## الفكر أثمن شيء في الكون وهبه الله للإنسان:

أخطر شيء، هل يوضع مثلاً في صندوق الحديد قمامة؟ لا يجوز، هنا يضع عملات، يضع ذهباً، لا تقولوا: عملات، يضع ذهباً، يضع أشياء ثمينة، أساوراً، أما تضع قمامة في صندوق الحديد؟ هذا ليس وارداً، هذا مركز اليقين مركز خاص، مركز اليقين بضاعته اليقينيات، فإذا كان هناك خرافات كانت في هذا المركز ما الذي يحصل؟ يحدث خلل في السلوك.

دائماً الإنسان مادام الله عز وجل وهبه هذا الفكر، إن الله عز وجل وهبنا أثمن شيء في الكون وهو الفكر، مرة قرأت في كتاب، أنه إذا الله عز وجل خلق الإنسان شقياً من الأزل، وكتب عليه أن يكون شقياً، فسيأتي إلى الدنيا، فلو أطاع الله انقلب علم الله جهلاً، إذاً هذا يجب أن يبقى عاصياً، هكذا شاء الله له، ثم يموت كافراً، ويستحق الخلود في النار، قال: وهذا محض العدل لماذا؟ أنا لفت نظري هذا التعليق، وهذا محض العدل، قال: لأن الله عز وجل لا أحد يسأله، إذا انتفت المسؤولية هل ينقلب الظلم عدلاً؟ الله أعطاك مركز بحث علمي، أعطاك مركز تفكير حر، لا تقبل قصة غير صحيحة، قِسها بمقياس القرآن.

قرأت مقالة أن النحل مهمته الأولى ليست إنتاج العسل، بل مهمته الأولى تلقيح الأزهار، وإنتاج العسل شيء ثانوي، أنا إلى حدّ ما قَبِلت هذه الفكرة، إلى أن قرأت قوله تعالى:

**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)**

سورة النحل

معنى هذا الأصل إنتاج العسل، القرآن مقياس دقيق جداً، أي في البيع، في الشراء، في الزواج، في الطلاق، في كل شيء، الأصل كتاب الله، فلما الإنسان يسمح لمراكز عقيدته أن يدخل إليها خرافات، أشياء باطلة، أفكار غير صحيحة، أنك أخي إذا أنت نظرت فلا إثم عليك، أنت متزوج، أنت مُحْصَن، ثم إذا شاهدت الجمال قل: سبحان الله، تزدد قرباً من الله إذا تأملت هذا الجمال، شيء جميل؟! هكذا هناك أفكار تأتي للإنسان فيسير في طريق الهاوية، فلذلك الإنسان يجب أن يُمَحص عقيدته، الخطأ في السلوك سهل لأن الإصلاح سهل، أما الخطأ في العقيدة فمدمر لأن صاحبه لا يُفَكر في إصلاح خطئه، يظن أنه على حق وهو على باطل، الخطأ في السلوك سهل أما في العقيدة فخطر جداً، فهذا الذي سوف نتابعه إن شاء الله في درس قادم.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس 8-63: الأحكام العقلية المستنبطة من العقل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### على الإنسان أن يصل إلى المفهوم الصحيح المفضي إلى سعادته:

الدرس الماضي كان حول المطلب الأسمى لكل إنسان، بينت لكم في الدرس الماضي أن كل إنسان على وجه الأرض يبتغي السلامة والسعادة، من أين يأتي الشقاء إذاً؟ من الخطأ في تصور الطريق المؤدي إلى السعادة، إذاً المؤمن يبتغي كغيره السعادة لكنه أصاب الهدف، أصاب الطريق الصحيح إليها فسعد في الدنيا والآخرة، وبينت لكم أيضاً أن الإنسان حينما يتلقى من العالم الخارجي هذه الصور، الصور الحسية، الصور البصرية، السمعية، الشمية، الذوقية، الصور اللمسية، وحينما يتلقى من عالمه الداخلي المشاعر الإحساس بالخوف، بالغضب، بالرجاء، بالحزن، بالانقباض، بالانشراح، هذه الصور الخارجية والداخلية، أو هذه الصور الحسية والشعورية تجتمع في مكان هو المُصَوِّرة أو مركز الإدراك، مركز الإدراك يعطي نسخة من هذه الصور إلى المُخَيّلة، الإنسان حينما يبدع يحتاج إلى مواد أولية للإبداع، وتعطى نسخة أخرى إلى الذاكرة، ونسخة ثالثة إلى مركز البحث العلمي أو مركز التفكير والمحاكمة، الإنسان بحسب مقاييسه يُحَاكم، يوازن، يقيس، يقبل، يرفض، يعترض، يتحفظ، هناك مركز للمحاكمة أو مركز للتفكير، هذه الصور الكثيرة من خلال هذا المركز تصنف إلى أربعة أصناف:

الوهم: وهو الشيء الباطل يلقيه جانباً.

والشك: تساوت أدلة تأييده مع أدلة نقضه، يوضع في مكان مؤقتاً كي يُبَت في أمره.

وغلبة الظن: ما يغلب على ظنك أنه صحيح.

واليقين، اليقين وغلبة الظن تحتلان مركزهما في العقيدة، والعقيدة هي التي تُوَجه الإرادة، والإرادة تُوَجِّه السلوك، إذاً هذا الذي يُجري محاكمة صحيحة فيأخذ ما صح، ويدع ما بَطل، وينقل هذه المفاهيم إلى مركز العقيدة، ومركز العقيدة ينقله إلى الإرادة، والإرادة إلى السلوك، وهكذا استقام الإنسان على أمر الله لأن عقيدته صحيحة.

إذا اعتقد الإنسان أن الجنة ليست بالعمل إنما بالأمل، إذا اعتقد الإنسان أن الله عز وجل لن يُحَاسب الناس على أعمالهم، إذا اعتقد الإنسان أن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول بعض السذج يأخذ العُصاة مهما كانت معصيتهم فيدخلهم الجنة، إذا اعتقد الإنسان هذا الاعتقاد وهو خطأ، وضعه في مركز اليقين، نتج عنه سلوك منحرف، إذاً ترون معي كم هي خطيرةِ العقيدة، من كانت عقيدته صحيحة صحّ عمله، ومن كانت عقيدته فاسدة فَسد عمله، فالاعتقاد الصحيح هو الشيء الأول في الدين، لذلك قيل:

**إنَّ هذا العِلمَ دِينٌ، فانظُروا عمَّن تأخُذون دينَكم.**

**شعيب الأرناؤوط** : **تخريج العواصم والقواصم:** خلاصة حكم المحدث : **لا يصح في المرفوع**

**ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، لذلك حضور هذا المجلس مهم جداً، الإنسان إذا صحت عقيدته صحّ عمله، سَعِد في الدنيا والآخرة، لذلك كان طلب العلم فرض عين على كل مسلم، لست مخيراً، لا ينبغي أن تحضر الدرس من قبيل أنك فارغ، اليوم لا يوجد عندك شيء، الوقت شتاء، لا يوجد شيء، السهرة في المسجد أولى، ليس من هذا القبيل، من نوع آخر، لابد من حضور مجلس العلم، لأنك بالعلم تعرف الله عز وجل، وإذا عرفت الله سعدت به.**

## الأحكام العقلية:

### 1- جائز الوجود:

اليوم درسنا في موضوع الأحكام العقلية والأحكام العادية، أي أرجو أن تصبروا عليّ قليلاً لأن الدرس دقيق، وسوف أُبَسط الأمر بقدر ما أستطيع.

الأحكام العقلية، عندنا أحكام عادية، أي أنت في كل حياتك أَلِفت أن النار تحرق، فإذا رأيت النار حكمت عليها بأنها لابدّ من أن تحرق، هذا الحكم أنت استنبطته من العادة، من التجربة، ولكن العقل له أحكام

خاصة، العقل مُستقل بأحكامه، كيف يحكم العقل؟ قال العلماء: كل ما يتصوره الفكر لا يخلو أن يكون واحداً من الأقسام التالية، بمعنى أي شيء تتصوره، أي شيء يخطُر على بالك، أية قضية، أية قصة، أي حدث، أية فكرة، أي طرح، أي شيء تتصوره لابد من أن يكون ضمن الأقسام التالية:

القسم الأول: هو ما يقبل العقل إمكان وجوده وإمكان عدمه، فلان الفلاني موجود، وكان من الممكن أن يكون غير موجود، القسم الأول ما يقبل العقل إمكان وجوده وإمكان عدمه، هذه الورود الآن موجودة، ويمكن أن تكون غير موجودة، هذا الكأس من الماء موجود، ويمكن أن يكون غير موجود، فإذا نظرت إلى كأس الماء تقول: يمكن أن يوجد والعقل يقبل ألا يوجد، لو أن الذي قدّم هذا الكأس لم يقدمه أو نسي أن يقدمه فهناك قسم يسمى: جائز الوجود، أي يجوز أن يوجد ويجوز ألا يوجد، الإنسان جائز الوجود:

**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)**

**سورة الإنسان**

الإنسان جائز الوجود، جبل قاسيون جائز الوجود، وُجِد، ولو أن الله عز وجل وضعه في مكان آخر لم يوجد، لو أن هذا الالتواء الذي صنعه الله لم يصنعه هذا الجبل لم يوجد، كانت دمشق أرضاً منبسطة، فكل شيء تقع عليه عينك من باب جائز الوجود، لأنَّ الله خلقه، الذي خلقهُ خلقه وكان من الممكن ألا يخلقه، واضحة؟

جائز الوجود هو ما يقبل العقل إمكان وجوده وإمكان عدمه، وهذا القسم يُسمى: جائز الوجود، أو ممكن الوجود عقلاً، لأن وجوده أو عدمه ليس واجباً ولا مستحيلاً، ليس واجب الوجود وليس مستحيل الوجود، إنه جائز الوجود، إذاً أنت من هذا القسم، نقول لكم دائماً: هناك نعمة الإيجاد، أي الله عز وجل تفضّل علينا وخلقنا، ولو أن مشيئته لم تتعلق بخلقنا لم نُخلَق، ولم نكن نحن في هذا المسجد، من هو فلان الفلاني؟ شاءت إرادة الله عز وجل أن يوجد، ولو لم تشأ لم يكن، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، كان الله ولم يكن معه شيء، فالذي وُجِد بعده وُجِد بمشيئته، فالذي وجد وجد، وهذا الذي وُجِد كان من الممكن ألا يوجد فهو جائز الوجود.

## 2- مستحيل الوجود:

عندنا قسم ثاني هو ما يوجب العقل عدمه، أيْ مستحيل أن يوجد، بشكل مبسط مستحيل أن يكون هذا الحرم منيراً بهذا الضوء ومعتماً في الوقت نفسه، مستحيل، إذا قلت: هناك نور، فليس هناك ظلمة، وإذا قلت: هناك ظلمة، فليس هناك نور، لأن النور والظلام نقيضان لا يجتمعان في مكان واحد، وفي زمان واحد، وفي جهة واحدة، وفي حالة واحدة، فإن اجتماعهما مستحيل، إنَّ وجود أحدهما ينقض وجود الآخر.

فلان عالم جاهل، مستحيل، العقل يرفض هذا الطرح، العالم لا يكون جاهلاً والجاهل لا يكون عالماً، أما عالم بعلمٍ جاهل بعلم فهذا بحث آخر، أنا أقول من جهة واحدة، وفي وقت واحد، وفي مكان واحد، وفي صفة واحدة الشيء لا يقبل نقيضه، العلماء فرّقوا بين الشيئين المتعاكسين والشيئين المتناقضين، الشيئان المتناقضان أحدهما ينقض وجود الآخر، والشيئان المتعاكسان كالأبيض والأسود، ممكن، الأبيض والأسود لونان متعاكسان يجتمعان، فالشيئان المتعاكسان يجتمعان لكن الشيئين المتناقضين لا يجتمعان، أحدهما ينقض وجود الآخر، إلى الآن واضح الأمر؟

الشيء الثاني ما يوجب العقل عَدَمه، ولا يُجيز إمكان وجوده في أية حالة من الحالات التي يتصورها الذهن، وهذا القسم يسمى: مستحيل الوجود عقلاً.

والإنسان أحياناً يقول لك: مستحيل، أخي فلان قال لك: كنت والله أنا في حلب، والتقيت مع رفيقك فلان، مستحيل، كان عندي في الأمس يسهر في البيت، أنت لا تقبل يكون إنسان في ليلة واحدة في دمشق وفي حلب، تقول له: أنت كذاب، كان عندي البارحة يسهر كيف تقول كان معك في حلب؟ العقل ضابط، يضبط الأمور، هذا مستحيل عقلاً.

## 3- واجب الوجود:

والقسم الثالث ما يوجب العقل وجوده ولا يُجيز إمكان انعدامه في أيّة حالة من الحالات التي يتصورها الذهن، وهذا القسم يسمى واجب الوجود عقلاً، فالقضية مُبسّطة جداً، جائز الوجود، مستحيل الوجود، واجب الوجود، هناك أشياء واجبة الوجود، هناك أشياء مستحيلة الوجود، هناك أشياء جائزة الوجود، طبعاً هذه معلومات نظرية إليكم الأمثلة.

## أمثلة على حكم العقل الجائز الوجود:

أمثلة على جائز الوجود، نحن البشر موجودون على سطح الأرض بشكل واقعي، ولكن العقل يرى أنه كان من الممكن ألا نكون موجودين، فوجودنا إذاً أمر ممكن عقلاً لا واجباً، ومعنى ممكن أي يجوز أن نوجد، ويجوز ألا نوجد، العقل يقبل وجودنا وعدم وجودنا، سيدنا علي رضي الله عنه قال عن الله عز وجل: علِم ما كان، وعلِم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، هل فهمتم آخر واحدة؟ وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، هذا جائز الوجود، أنت لك دخل محدود، من بيتك إلى المسجد، لابأس، أما ربنا يعرف لو أعطاك مبلغاً ضخماً جداً لا تعرف أين تصير؟ بالجوامع أم بالملاهي، لا نعرف، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، لذلك قال الإمام الغزالي: ليس في الإمكان أبدع مما كان.

بل إن تفسير هذا القول ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني، هذا الذي أعطاك الله عز وجل أبدع ما يكون، لأنه عَلِم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، هذه نعمة الإيجاد، النار مُحرقة هكذا صممها الله عز وجل، ولو صممها غير محرقة لكانت، فالنار مُحرقة، هذا حكم جائز الوجود، اللهُ عز وجل هو الخالق، هو الذي أعطاها هذه الصفة، فلو شاء في لحظة ما أن يسلبها هذه الصفة لكان ذلك:

**قُلْنَا** يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)

**سورة الأنبياء**

أخي هل القرآن فيه خرافات؟ لا، ليس فيه خرافات، لو كنت مفكراً أنت الذي أعطى النار القدرة على الإحراق هو الله عز وجل، الذي أعطى يسلب، فكما أنه من الممكن أن تكون النار مُحرقة، من الممكن أيضاً أن تكون النار غير محرقة، فصفة الحرق في النار من نوع جائز الوجود وليس من نوع واجب الوجود، هذا مثل ثان.

الأحياء الذين نشاهدهم إذا ماتوا لا يعودون إلى الحياة، بكل حياتنا ما سمعنا أنَّ إنساناً بعدما مات ودفنوه سمعوا صوتاً في القبر، فتحوه فوجدوه حياً، أرجعوه إلى بيته وانتهى الأمر، هذا لم يحصل، بعدما مات يرجع من القبر؟ ما سبق أن صارت، لكن هذه الظاهرة من نوع جائز الوجود، الذي وهبه الحياة سلبه الحياة، والذي سلبه الحياة من الممكن أن يهبه الحياة مرة ثانية، من هنا كانت معجزة سيدنا عيسى إحياء الموتى،

المؤمن بسيط جداً، على الله شيء يسير جداً، وهبه الحياة، سلبه الحياة، وهبه الحياة مرة ثانية، فأن يعُود الميت حياً هذا شيء جائز الوجود، هذه القضية تُطرح على الشكل التالي، الذي وهبه الحياة سلبه إياها، والذي سلبه إياها وهبه إياها.

اجتياز الإنسان المسافات البعيدة في أقطار الأرض أو السماء بطرفة عين أمر ممكن عقلاً، بحسب معطيات الأرض تحتاج إلى سيارة كي تنقلك إلى حلب، أو تحتاج إلى طائرة، والإنسان ركب مركبة سرعتها 40000 كم/ سا، أسرع مركبة التي ذهب بها إلى القمر، الطائرات الراقية جداً السريعة أعتقد 1200 أو 1300كم/سا، يمكن أسرع من الصوت أكثر من ذلك، الصواريخ أسرع، أما هذه المركبة التي ركِبها الإنسان إلى القمر سرعتها 40000 كم/سا، لو أن هناك قدرة تنقل الإنسان إلى القمر في ثانية لكان هذا ممكنًا عقلاً، إذاً حينما أُسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من مكة إلى بيت المقدس في لمح البصر، هذا الشيء ممكن عقلاً بشرط وجود قوة تنقله بهذه السرعة، كيف كان أجدادنا يستحيل عليهم فهم أن ينتقل الإنسان؟ الآن من دمشق إلى المدينة المنورة أو إلى جدة في ساعتين، هذه القصة قبل ألف سنة مستحيلة، فلما توافرت للإنسان طائرة تسير بسرعة عالية جداً صار الشيء مقبولاً الآن، هذا تشالنجر الذي احترق اسمه: المتحدي، كان يطوف حول الأرض دورات عديدة وركّاب هذا الطائرة يرون الأرض كما ترونها على الخارطة، العلم تقدم.

إذاً لو أن الله عز وجل بقدرته نقل هذا النبي الكريم من مكة إلى بيت المقدس في لمح البصر، هذا شيء جائز عقلاً، جائز الوجود، أي ما دام هناك قدرة تُوفِّر له هذا النقل السريع إذاً ممكن.

الشيء الآن يبدو لكم مستحيلاً، جبل بكامله لو أنه زُحزِح عن مكانه وارتفع فوقف في السماء هذا مستحيل؟ لا، جائز، الذي هي الأرض بقبضته:

**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)**

**سورة فاطر**

**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)**

**سورة الزُمر**

الذي يحمل الأرض ومن عليها قادر أن يحمل جبلاً في السماء، حتى أن تقول: هذا الجبل قاسيون هل يعقل أن يزحزح عن مكانه ويرتفع إلى قبة السماء؟ ممكن عقلاً، لأن الذي يحمل الأرض هو الله عزّ وجل، وهو على كل شيء قدير.

انقلاب الجماد إلى حيوان أمر ممكن عقلاً، لأن هذه المادة شيء يقودنا إلى موضوع في الكيمياء، المواد كلها مُركبة أساسها العناصر، العناصر بسيطة، عندنا بالكيمياء مئة وستة عناصر، أي هيدروجين، أوكسجين، الحديد، النحاس، القصدير، الألمنيوم، اليورانيوم، مئة وستة عناصر، هذا العنصر جزئياته مؤلف من ذرات، والذرة عبارة عن نواة يوجد حولها كهارب، أول مدار فيه كهروب واحد، المدار الثاني اثنان، وهكذا، ثمانية مدارات أعتقد، فالفرق بين عنصر غازي وعنصر صلب كهروب واحد، فإن ربنا عز وجل أعطى البحر أمراً أن كن جماداً، ربنا عزّ وجل أجرى تعديلاً طفيفاً، أضاف كهروباً حول النواة فانقلب البحر جماداً، شيء سهل على الله كثيراً، كما أمر سيدنا موسى:

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا **إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)**

**سورة طه**

فَأَلْقَى عَصَاهُ **فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32)**

**سورة الأعراف**

**فَأَلْقَاهَا** فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20) قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى (21)

**سورة طه**

على الله عز وجل سهل جداً لأنه تعديل بسيط، كن فيكون، فأن تكن العصا أفعى والأفعى عصاً، وأن ينقلب البحر جماداً طريقاً يبساً أمر ممكن، جائز الوجود، لأن الله عز وجل على كل شيء قدير، معنى جائز الوجود العقلُ يقبل وجوده ويقبل عدم الوجود.

## الأشياء لا تُفعل بذاتها إنما تفعل بمشيئة الله:

كاستنباط أخير، وهكذا كل موجود سوى الله تعالى فوجوده وصفاته وكذلك انعدامه وانعدام صفاته أمر ممكن عقلاً وليس شيء منه في حكم العقل بواجب في العقل ولا مستحيل، ممكن، الشيء وجوده وصفاته، وانعدامه وانعدام صفاته، أي إذا إنسان اشترى بيتاً في الطابق الثاني عشر، فرح به، ودفع ثمنه مليوني ليرة، وكساه كسوة درجة أولى، وظنّ نفسه أنه مستقر فيه، هذا الحديد الصلب ثبات صفاته بيد الله عز وجل، بأي لحظة الله عز وجل يأمر الحديد أن تخلى عن صفات القساوة فيقع البيت، فإذا أنت كنت ساكناً في بيت بالطابق الثاني عشر أو الحادي عشر أو الخامس أو السادس، هذا البيت قائم بالله عز وجل، لكن ربنا عز وجل من أجل استقرار الحياة ثبت أشياء، أعطى الأشياء صفات ثابتة، أما هذه الصفات في أي لحظة الله عز وجل يسلب الحديد قسوته، ينهار البناء، يسلب الأرض استقرارها، تنهدم الأبنية، حتى وجود بيتك بقدرة الله قائم، أخي والله وضعنا سبعة أكياس إسمنت للسقف، أمكن، بعلم التوحيد هذا كلام فيه سخف، عندما ربنا عز وجل يسلب الإسمنت تماسكه، والحديد متانته، ينهار البناء، لكن ربنا من أجل انتظام الحياة ثبت صفات الأشياء، هذا التثبيت بمشيئته، في أي لحظة يسلب الشيء صفاته، لذلك قال علماء التوحيد: الأشياء لا تفعل بذاتها إنما تفعل بمشيئة الله.

أي هذا الدواء فعّال إذا شاء الله، وليس فعالاً إذا لم يشأ، فشيء ظاهري إنسان يأخذ دواء يشفى، الثاني يستعمل الدواء نفسه لا يشفى، يا رب ما القصة؟ عندما أعطى الله هذا الدواء شفاء التسكين أو صفات البرء سمح لهذه الصفات أن تفعل فعلها وهنا لم يسمح، لذلك: عَنْ جَابِرٍ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ فَإِذَا أُصابَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.**

**صحيح مسلم**

الشفاء يحتاج إلى إذن من الله، أي الدواء لا يستطيع أن يشفي إلا إذا سمح الله له، أي الصفات الفعالة في الدواء هذه الصفات لا تفعل فعلها إلا إذا شاء الله سبحانه وتعالى، هذا هو التوحيد، لذلك الإنسان بالتوحيد ترتاح نفسه، الأشياء كلها بيد الله، الأشخاص كلهم بيد الله، الخيّرون كلهم بيد الله، الشريرون كلهم بيد الله، إلى أن يشاء الله، ماذا قال سيدنا إبراهيم؟

**وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ** وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا **أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (80)**

**سورة الأنعام**

**مِنْ دُونِهِ** فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)

**سورة هود**

هذا هو التوحيد.

## أمثلة على حكم العقل المستحيل الوجود:

الآن المستحيل عقلاً، كخلاصة لما سبق كل شيء موجود سوى الله عز وجل وجوده وصفاته، وانعدامه وانعدام صفاته، أمر ممكن عقلاً ليس واجباً وليس مستحيلاً.

الآن أمثلة على المستحيل عقلاً وجوده، الشيء الواحد من جهة واحدة، وفي مكان واحد، وفي زمان واحد، وفي صفة واحدة، يستحيل في حكم العقل أن يكون موجوداً ومعدوماً في الوقت نفسه، عالم جاهل لا يمكن، مظلمة منيرة، إما أن تكون مُظْلمة وإما أن تكون مُنيرة، موجود وغير موجود، مستحيل، الشيء الواحد من جهة واحدة، وفي وقت واحد، وفي مكان واحد، وفي صفة واحدة يستحيل وجوده وعدم وجوده، هذا مستحيل، إذا اختلف الزمن ممكن، موجود اليوم غائب البارحة، ممكن، إذا اختلف المكان ممكن، موجود في دمشق غائب في حلب، ممكن، إذا اختلف الشخص؛ فلان موجود في الشام، وفلان في حلب موجود، ممكن، إذا اختلفت الجهة أو اختلف المكان أو اختلف الزمان أو اختلفت الصفة، ممكن يجتمع النقيضان، فلان عالم بالطب جاهل بالدين، ممكن، الصفة اختلفت، أما بالطب وبالذات شخص واحد وبالطب وبوقت واحد وبزمان واحد وبمكان واحد عالم جاهل مستحيل، هذا مثال على المستحيل عقلاً وجوده.

العقل لا يقبل أن يكون الجزء أكبر من الكل، لأنه جزء، إنسان راتبه ألف ليرة، صرف منه أجرة البيت دفعها منه الأجرة خمسة آلاف، هذه مستحيلة، كيف دفعها من الألف؟ هذه مستحيل، طبعاً هذه أشياء بديهية، الأطفال يرفضونها، هذا المستحيل عقلاً، الجزء لا يكون أكبر من الكُل، إلا إذا تديّن ثمن أجرة البيت.

الدجال له عين عمياء، هذه العين العمياء عمياء، أما أن تكون عمياء وبصيرة في وقت واحد هذا شيء مستحيل، لكن يوجد شخص رياضي قال: الأعور نصف أعمى، صح، والأعور نصف بصير، صح، كتب نصف أعمى صورة نصف بصير مخرج، مادام هناك قاسم مشترك بينهما، قسم على النصف كان الأعمى كالبصير، هذه مستحيلة، هذه أغلوطة رياضية، أما الأعور نصف أعمى، هذه العين إما أنها عمياء أو مُبصرة، أما عمياء مبصرة فهذا مستحيل أيضاً عقلاً.

يوجد شاعر بشار بن برد فذهب إلى خياط خاط له ثوباً، أي هو قباء، انزعج من الخياطة لا هو بالطويل ولا هو بالقصير، فقال هذا الشاعر لهذا الخياط والله لأهجونك في بيت لا تدري أمدح هو أم ذم، فالخياط كان أعور، فقال هذا الشاعر:

خَاطَ لي زَيْدٌ قِبَاء ليتَ عينيه سِوَاء

**بشار بن برد**

أي لا تعرف مدح ليتهما مبصرتان، أو ليتهما عمياوان.

إذاً من القواعد الفلسفية في المستحيل عقلاً أنه يستحيل عقلاً اجتماع النقيضين في شيء واحد وزمان واحد، هذه لها تطبيقات مهمة جداً، مثلاً بالقضاء إذا كان المتهم أثبت للقاضي أنه في وقت وقوع الجريمة كان خارج القطر مثلاً، انتهى براءة، مستحيل عقلاً أن يكون الإنسان في دمشق وفي باريس في وقت واحد، مستحيل، فإذا أثبت المتهم أنه في وقت وقوع الجريمة كان خارج القطر، أنا أعرف متهماً وقت التهمة كان عند موظف في بلد آخر، فالمحقق اتصل بالموظف: هل كان فلان عندك يوم كذا الساعة كذا؟ قال له: نعم، فأطلق سراحه، لأنه عقل، مستحيل عقلاً أن يكون في مكانين بآن واحد، فيستحيل عقلاً اجتماع النقيضين في شيء واحد وزمان واحد.

ومستحيل عقلاً ترجيح أحد المتساويين تساوياً تاماً على الآخر من غير مرجِّح، إذا كان كأسان بالوزن نفسه، والشكل نفسه، واللون نفسه، والصفاء نفسه، أن تقول: هذه أحسن من هذه، هذا مستحيل عقلاً،

مستحيل تُرجح شيئين متساويين تساوياً تاماً دون سبب، وهناك شيء أيضاً مستحيل وهو مهم جداً، مستحيل توقف وجود الشيء على وجود نفسه، هذه دقيقة تتوضح بمثل، كأن تقول: والله لا أدخل الدار حتى آخذ منك ألف درهم، ثم تقول: ووالله لا آخذ منك ألف درهم حتى أكون داخل الدار، لا تصير، لا تدخل هذه الدار إلا إذا قبضت ألف درهم، ولا تقبضها إلا داخل الدار، هذه مستحيلة.

فقال هذا: علقنا دخول الدار على أخذ الدراهم، ثم علقنا أخذ الدراهم على كوننا في داخل الدار، فأصبحت القضية مستحيلة الحل، صحيح لا تقسم، ومقسوم لا تأكل، وكُل حتى تشبع، هذا شيء مستحيل:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

الحسين بن منصور الحلاج

مستحيل سوف يبتل بالماء، سوف أغرق بالماء، لأني مكتوف، هذا الجبر والعياذ بالله، عقيدة الجبر عقيدة خطرة، خلقه شقياً، وقدّر عليه أن يرتكب كل المعاصي، فارتكبها تنفيذاً لأمر الله، فلما ارتكبها حاسبه لم ارتكبتها؟ وأدخله النار خالداً مخلّداً، من كان يظن بالله ذلك فهو لا يعرف الله إطلاقاً.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

الحسين بن منصور الحلاج

أي هذه المعصية لن تتركها إلا إذا شاء الله، والله عز وجل لم يشأ لك أن تتركها، فلماذا فعلتها؟ من هذا النوع تماماً، هذا الشيء مستحيل عقلاً، لن تقلع عن المعصية إلا إذا شاء الله، والله عز وجل لم يشأ أن تقلع عنها، ثم تحاسب لماذا فعلتها؟ هذه مستحيلة عقلاً، ليسَ له ذنب.

الشيء لا يمكن أن يوجد نفسه ما لم يكن موجوداً، لأن الإيجاد يحتاج إلى قوة موجدة، ولا يمكن أن يكون موجوداً حتى يوجد نفسه، فتوقف وجود الشيء المعدوم على وجود نفسه هذا مستحيل عقلاً، هذا الكون العظيم كيف أخي؟ أوجد نفسه، قبله كان في عدم، العدم شيء سلبي كيف أوجد نفسه؟ هو كان موجوداً سابقاً حتى أوجد نفسه؟ ما كان موجوداً سابقاً، لو كان موجوداً قبل أن يكون موجود معقول، لكن كان في عدم قبله، كيف كان معدوماً ثم صار موجوداً؟ إذا قلت: هو أوجد نفسه، معنى هذا الموجد موجود قبل الشيء الذي أوجده، هذا شيء مستحيل عقلاً.

هناك مثل آخر يضربوه أيضاً واضح، فكلمة ضرب مثلاً لها ستة تقاليب باللغة، ضرب، رضب، برض، ضبر، ربض، بضر، هذه الحروف ضع الضاد أولاً ثم الراء والباء، ثم ضع الضاد والباء والراء، ثم ضع الراء الضاد الباء، وهكذا ست تقاليب، يستحيل عقلاً أن توجد احتمالاً سابعاً، مستحيل، ستة احتمالات، يوجد ستة تقاليب، هذا المستحيل الوجود، طبعاً في الدروس القدمة سوف نضرب أمثلة كثيرة وسوف نصل إلى جوهر الموضوع، الآن كمقدمات لا نزال نحن.

## أمثلة على حكم العقل الواجب الوجود:

بقي علينا، تحدثنا عن جائز الوجود، وعن مستحيل الوجود، بقي علينا واجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، واجب الوجود، أي وجوبه واجد، ووجوده واجب، ينحصر وجوب الوجود في الخالق جلّ وعلا، وفي صفاته العلية، أي العقل لا يقبل هذا الكون من دون خالق، فوجوده واجب ليس مستحيلاً وليس ممكناً، واجب الوجود، أوضح من ذلك، أنت تشاهد هذه المسجلة، لا توجد قوة في الأرض تقنعك أنها وحدها صارت مسجلة، يوجد مهندسون، شركة عمرها حوالي ثلاثين سنة أو أربعين سنة، فيها مئتا مهندس، بحوث يومية، تحسينات، إضافات حتى صارت، انظر إلى السيارة لابدّ لها من مصنع، كل شيء لابد له من خالق، وكل مُنَظَّم لابد له من مُنظِّم.

أوضح مثل، كان هناك مقالم خشب قديماً، مصنوعة من الخشب، لو جئت بقطعة حطب وضعتها على الطاولة، كم سنة أو كم شهراً أو كم قرناً تنقلب هذه القطعة من الحطب إلى مقلمة؟ الجواب: ولو بقيت مليار مليار سنة يبقى الحطب حطباً إلى أن تأتي يد وتصنعها، إذاً كل صنعة لابدّ لها من صانع، كل مُنَظَّم لابُد له من مُنظِّم، كل شيء لابُد له من خالق، الآن إذا اقترن النظام مع الحركة لابد له من مُسَيّر، مثلاً وجدت سيارة واقفة فوراً تنتقل للمعمل، تصوّر معملاً مساحته عشرة آلاف دونم، قسم للحديد، قسم للتجميع، خط سير، قسم للعجلات، قسم للأجهزة الكهربائية، قسم للمحرك، مكان إدارة، مكان تجريب، مكان خبرات، مكان بحوث، خط السير، تجميع الأدوات، سمعت السيارة من يعلم كم مجموع القطع بالسيارة؟ رقم كبير، أي أعداد كبيرة جداً، فكل عدد له مستودعه، له تصميمه، له ترتيب دقيق، هذه السيارة لابُد لها من صانع، لكنك إذا رأيت سيارة تسير في الطريق بحكمة، الإشارة حمراء توقفت، مرَّ طفلٌ أمامَها، أطلق السائق البوق، عند الانعطاف السرعة

خفت، وجدت حفرة حادت عنها، أنت تجلس بمكان عال، ماذا تحكم؟ أن في هذه السيارة سائقاً، لا يمكن، لأنه حركة مع نظام، النظام فقط يريد صانعاً، أما حركة ونظام تحتاج إلى مسيّر، لا يمكن، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ الأرض تسير على خط سير دقيق جداً لا تحيد عنه قيد أنملة، من الذي يُمسكها أن تزول؟ هو الله سبحانه وتعالى، ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ الآن إذا كان قطار خرج عن سكته، قاطرة حديثة كبيرة جداً وزنها مثلاً –هناك أوزان كبيرة–أربعون طناً، خمسون طن وزن المقطورة، هذه حديثة، فإذا خرجت عن السكة تحتاج إلى رافعات ضخمة جداً كي تعيدها إلى السكة، فهذه الأرض لو أنها خرجت عن مسارها من الذي يستطيع أن يُعيدها إلى مسارها؟ الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي من يستطيع أن يمسكها مِن بعده؟ الله سبحانه وتعالى، فينحصر وجوب الوجود في الخالق جلّ وعلا وفي صفاته العلية، وقد قام الدليل العقلي على أن وجود الخالق العظيم واجب، وأنه يستحيل عدمه، لأن العقل لا يُجيز بحال أن يكون العدم هو أصل الوجود.

أي لا شيء من لا شيء، كل شيء من كل شيء، لا شيء من لا شيء، إذ لو كان الأصل العدم لاستحال أن يتحول العدم إلى وجود، بما فيه من ذوات، وصفات، وقوى، وهذا كله له تفصيلات دقيقة جداً نأخذها في مكانها حين الحديث عن أسماء الله الحسنى وعن أولى أسمائه وهو أنه موجود.

هذا كله عن الأحكام العقلية، جائز الوجود، مستحيل الوجود، واجب الوجود، واجب الوجود الله سبحانه وتعالى، والكون كله جائز الوجود، وهناك قواعد مستحيلة الوجود كأن يكون الجزء أكبر من الكل، والشيء ونقيضه، والشيء وعدمه، تحدثنا عنها.

## الأحكام العادية:

### الفرق بين حكم العادة وحكم العقل:

الآن عندنا الأحكام العادية، أي أنت من خلال حياتك اليومية أَلِفْتَ أن النار تُحرق، فإذا حكمتَ على النار بأنها تحرق فهذا حكم عادي وليس حكماً عقلياً، مستنبط من التجربة، فأحكام البشر هذا الميت لن يعود، حكم عادي، هذا البحر لن ينقلب إلى يبس، حكم عادي، هذه النار لابد من أن تحرق، حكم عادي، وهذه الأحكام العادية مستنبطة من التجربة، لكن الأحكام العقلية مستنبطة من بنية العقل.

في الأمور العادية نحكم على الشيء بحسب العادة لا بحسب المنطق، فهناك أشياء مستحيلة في حكم العادة لا في حكم العقل، أي مستحيل أن يعود الميت حياً، هذه في حكم العادة، لكن لو أن النبي بإذن الله لمسَ الميت فعاد ينطق هذا ممكن في حكم العقل، مستحيل في حُكم العادة، وهناك واجب في حكم العادة وهو ضد المستحيل، أي حينما تعطف هذا الكأس ينصب الماء على الطاولة، هذا واجب بحكم العادة لكن ممكن ألا ينصب عقلاً، فموضوع العادة نحن كل حياتنا اليومية أحكامها مأخوذة من العادة، فممكن، غير ممكن، واجب، مستحيل، هذه بحكم العادة، ولكنك إذا تلوت كتاب الله وقرأت قوله تعالى:

**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)**

**سورة آل عمران**

و: **﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾**.

**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا** مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)

**سورة الإسراء**

يا سارية، الجَبلَ الجبلَ، هذه كلها أشياء ممكنة عقلاً، ولكنها في حُكم العادة المألوفة مستحيلة.

## الغاية من الدرس الوصول إلى هذه الأسئلة:

### 1- ما هو الهدف من خلق الإنسان؟

إن شاء الله في درس قادم ننتقل إلى موضوع آخر هو أن في حياة كل منا أسئلة كبرى مُلحة جداً، الإنسان حيال هذه الأسئلة إما أن يستغني عن الإجابة عنها فيعيش حائراً ضائعاً متردداً قلقاً، وإما أن يبقى حائراً في الإجابة عنها، أن تشغله، وإما أن يعرف الجواب فيسعد بحياته وآخرته.

سؤال؛ لماذا خلقني الله عز وجل؟ هذا أكبر سؤال، لماذا أنت مخلوق؟ تجلس في مجلس علم، تعرف لماذا أنت مخلوق، تجلس مع أناس في سهرة، سبحان الله! الله خلقنا للعذاب، يقول لك أيضاً: سبحان الله! هذا هدف إلهي؟ تُخلق للعذاب فقط؟ يقول: لا أحد مسرور سبحان الله! كل واحد يأتيه همّ يغمره غمراً، لا أحد مرتاح، لا راحة لإنسان، عجيب، هذا السؤال المهم، لماذا أنت موجود؟ هل هناك إنسان يعمل عملاً مهما كان تافهاً بلا غرض؟ بلا هدف؟ أنا حينما أزيح الكأس لي هدف، حينما أقلب الصفحة لي هدف، مهما بدا لكم العمل تافهاً لابد من هدف كبير، وهذا الخالق العظيم هل خلَقَنا بلا هدف؟

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)**

**سورة المؤمنون**

**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)**

**سورة القيامة**

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)**

**سورة الأنبياء**

هذا السؤال الأول.

## 2- ما أثمن شيء في هذه الحياة؟

السؤال الثاني؛ ما أهم شيء على وجه الأرض؟ انظر إلى الناس:

**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4)**

**سورة الليل**

لو فرضنا شارعاً مزدحماً في الصباح الساعة الثامنة والنصف، عملت حاجزاً وسألت ألف شخص: أنت إلى أين ذاهبٌ؟ والله ذاهب لأشتري، أنت؟ ذاهب لأفرغ بيتاً، أنت؟ ذاهب أجري معاملة زواج، ، أنت؟ ذاهب لأؤذي فلاناً، أنت؟ ذاهب لشراء أغراض، أنت؟ ذاهب إلى الطبيب، أنت؟ ذهاب لإخراج جواز سفر، أريد أن أسافر، لو سألت ألف إنسان كل شخص يمشي باتجاه، سؤال، ما هو أثمن اتجاه في الحياة؟ تجمع مالاً؟

تعمر بيوت؟ ترفه نفسك؟ تعمل سياحة حول العالم؟ يكون لك مورد ضخم جداً؟ تتزوج أجمل امرأة؟ يكون لك أولاد ثمانية أطباء وثمانية مهندسين، ما هو الهدف من خلق الإنسان؟ ما هو الهدف شيء وما هو أجدى شيء في الحياة سؤال ثان؟

## 3- ماذا بعد الموت؟

شيء ثالث؛ ماذا بعد الموت؟ كل يوم أربعون حالة وفاة في الشام، يوجد حوالي عشر نعوات والباقي دراويش على المئذنة، يوجد عشر نعوات على الجدران، هذا إلى أين راح؟ تكلمنا اليوم صباحاً في بعض البلاد العربية بلاد النفط، هناك عبارة على الجواز تثير الفزع في النفس، تأشيرة خروج بلا عودة، تعرفون الإنسان حينما يموت يعطوه تأشيرة خروج بلا عودة، ترك البيت وخرج، غرفة نوم، له مكتب خاص في بيته، مكتبة ضخمة، سيارته على الباب، حاجاته الشخصية، خزانته، معه دفتر شيكات، رصيده في البنك، حساباته، مكتبه بالتجارة، أضابير، أين هو الآن؟ تحت التراب، أعطوه تأشيرة خروج بلا عودة.

## إذا توصلت إلى معرفة هذه الأسئلة سلكت سبيل السعادة في الدنيا والآخرة:

نحن عندنا ثلاثة أسئلة؛ أول سؤال: لماذا نحن هنا؟ لماذا نحن موجودون على وجه الأرض؟ عبثاً؟ لا، سدى؟ لا، لعب؟ لا، لا عبثاً ولا سدى ولا لعباً، إذا عرفت الهدف الكبير الذي خلقه الله من أجلك فأنت أسعد الناس، هذه واحدة، وإذا عرفت ما هو أثمن شيء في الأرض.

**قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (103) الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (104)**

**سورة الكهف**

يحسب نفسه أنه منتصر، والله أنا هذه الأرض أخذتها بثلاثين ألفاً، اليوم ثمنها ثلاثة وعشرين مليوناً، ضحكته لآخر وجهه، هل تعتقد أنك منتصر بهذه العملية؟ هل تعتقد أنك رابح؟ ليسَ لكَ إلا ما أكلت، صحن الفاصوليا الظهر ليس لك غيره الذي أكلته في المنزل، ونصف تفاحة، وإذا أثقلت في الطعام عندك ألف ألف شيء متعب في صحتك.

فعَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقْرَأُ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ قَالَ يَقُولُ: ابْنُ آدَمَ مَالِي مَالِي قَالَ: **وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلا مَا أَكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ أَوْ لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ.**

**صحيح مسلم**

**وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطن عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، يستيقظ قبل الشموس ويعود بعد أنصاف الليالي، يذهب وأولاده نائمون ويعود وأولاده نائمون، يقول لك: العمل عبادة، يضفي عليه طابع العبادة، وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطنّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي ، وكنت عندي مذموماً، قال تعالى:**

**وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)**

سورة العصر

إذا تستطيع أن تعرف لماذا أنت موجود؟ وما هو أثمن شيء في حياتك؟ وماذا بعد الموت؟ انتهت كل مشاكلك، ثلاثة أسئلة، لماذا أنت مخلوق؟ وما هو أثمن شيء؟ يقول لك أحدهم: ما استطعت أن آتي، لماذا؟ جاءنا ضيف استحييت منه، عُرِفت قيمة الدرس عندك، قيمة الدرس كله يعادل لا تستحي من ضيف، أما لو أنت تعرف لماذا الله خلقك في الدنيا؟ وهذا المجلس مجلس علم ويسهم في تعريفك بمهمتك بالحياة، تقول له: والله أنا مدعو لعشاء دسم تذهب معي؟ عندنا دعوة على العشاء دسمة، عزيمة فاخرة، خذه معك، ادخل إلى الجامع هذا هو العشاء، إذا جاءك ضيف قبل الدرس اعمل له مزحة أحضره إلى الدرس معك، تكون أنت انتهيت من الإحراج وأحضرته معك إلى الدرس، أما لأتفه سبب تترك الدرس لا يجوز، لماذا أنت هنا؟ وماذا تفعل هنا؟ وماذا بعد هنا؟ هذه أسئلة ثلاث، لماذا أنت هنا؟ وماذا يجب أن تفعل هنا؟ وماذا بعد هنا؟ إذا تمكّنت من أن تعلم إجابة هذه الأسئلة فقد سعدت في الدنيا والآخرة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 9-63: لماذا خلق الله الإنسان؟ وما هي مهمته الرئيسة؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### أسئلة تدور في فلك الإنسان:

### 1- لماذا خلقنا الله عز وجل؟

أيها الإخوة المؤمنون؛ وصلنا في موضوع العقائد إلى أن هناك أسئلة ثلاث، لو تمكّن الإنسان من الإجابة عنها إجابة صحيحة لحلت كل مشكلاته ولسعد في الدنيا والآخرة.

السؤال الأول: لماذا خلقنا الله عز وجل؟ هذا اكبر سؤال لأنه ما من إنسان عاقل على وجه الأرض يعمل عملاً من دون هدف، فلو تساءلنا ما هو الهدف الكبير الذي خلقنا الله من أجله؟ إذا أرسلك أبوك إلى بلد أجنبي من أجل أن تدرس، إذا عرفت الهدف من إرساله إليك، والتفت إلى الدراسة، حققت الهدف من هذه البعثة، فرضيت وأرضيت، وإذا أرسلك أبوك إلى بلد أجنبي من أجل الدراسة فظننت أنه قد أرسلك من أجل اللهو فقد شقيت وأشقيت، معرفة الهدف الكبير من خلق الإنسان شيء مهم جداً، لأن الناس كما ترون يسعون في متاهات ويمشون في طرق مسدودة، ما هي الطرق المسدودة؟ أي طريق ينتهي بالموت، طريق المال ينتهي بالموت، طريق الشهرة ينتهي بالموت، طريق العلو في الأرض ينتهي بالموت، طريق الشهوات ينتهي بالموت، إذاً هذه الطرق الشتى المتعددة التي يمشي بها الناس كلها تنتهي بالموت، هذه الطرق كلها مسدودة، عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به.

## 2- ما هو الهدف من الخلق؟

السؤال الثاني: أما وقد خُلِقنا على وجه هذه الأرض، ما هو أثمن شيء فيها؟ طبعاً هذا السؤال له علاقة بالسؤال الأول، إذا عرفت الهدف الذي من أجله خُلِقت تعرف ما أثمن شيء على وجه الأرض، أي سؤالان لسؤال واحد، وإذا عرفت لأي شيء خُلِقت، وما أثمن شيء تفعله في الدنيا، لا شكّ أنك تعرف إلى أين المصير.

هذه الأسئلة الثلاث التي طرحتها في الدرس الماضي أحاول وبالله التوفيق توضيحها، الله سبحانه وتعالى الذات الكاملة، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن، إذ لم يقبلها بنو تميم. قالوا: قد قبلنا يا رسول الله . قالوا: جئناك نسألك عن هذا الأمر . قال: **كان الله ولم يكن شيء غيره**، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض.

**صحيح البخاري**

**((كان الله))** هذه كان تامة إعرابها فعل ماض تام، ليست ناقصة، لا تعني كان هذه أنه كان في الماضي تعني أنه وُجِدَ ولا يزال، "اتق الله حيثما كنت" بمعنى حيثما وجدت، **(( كان الله ولم يكن معه شيء ))** والكون كله حادث، أي مشيئة الله سبحانه وتعالى اقتضت خلق الكون، فلماذا خلق الله هذا الكون؟ لو لم تعرف لماذا خلق الله هذا الكون، لو تأملت في ملكوت السماوات والأرض لعرفت أن لهذا الكون إلهاً عظيماً، ابحث أنت عن هدف يليق بجلال الله عز وجل، أي حينما يُبنى بناء ضخم جداً أتظن هذا البناء أنشئ لهدف سخيف؟ بناء ضخم جداً مزود بكل وسائل الراحة لا يُعقَل أن يكون هذا البناء إنما أنشئ لهدف سخيف، لو لم تعرف ما الهدف الكون يُنْبِئك أن وراء خلق هذا الكون هدفاً عظيماً.

الشيء الأساسي أن الله سبحانه وتعالى لا تدركه الأبصار ، لا يُرى بالحواس، ولكن كل هذا الكون، مجراته التي يُقدّرها العلماء الآن بمليون مليون، وكل مجرة يُقَدّر العلماء أن فيها مليون مليون نجم على حدّ تقريبي، وأن من النجوم ما يزيد عن حجم شمسنا بملايين المرات، وأن نجم قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، وأن مجرتنا التي نحن فيها يزيد طولها عن مئة وخمسين ألف سنة ضوئية، وأن بيننا وبين القمر ثانية ضوئية واحدة، أي هذا الكون يُجسّد قدرة الله، يُجسد علم الله، يُجسد خبرة الله، يُجسد غنى الله عز

وجل، هذا الكون دليل على وجود خالق عظيم له أسماء حسنى، فما قولك في هدف يليق بجلال الله عز وجل؟ هل خلقنا ليعذبنا؟ أمحتاج هو أن يعذبنا؟ إذا عذبناه ماذا يستفيد؟ عن أبي ذر الغفاري عَنِ النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى، أنَّهُ قالَ: يا عِبادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَمُوا، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ ضالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ جائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ عارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبادِي، **لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قامُوا في صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ**، يا عِبادِي، إنَّما هي أَعْمالُكُمْ أُحْصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها، **فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ.**

**صحيح مسلم**

ذلك لأن عطائي كلام وأخذي كلام.

## 3 . هل يليق بالله أن يخلقنا ليعذبنا؟

هل يليق به أن يخلقنا ليعذبنا؟ هل يليق به أن يخلقنا عبثاً بلا هدف؟ أيفعلها إنسان عاقل؟ هل يليق به أن يخلق سماوات وأراضين ومجرات وكواكب وشمساً وقمراً ونجوماً وليلاً ونهاراً ثم تكون حياتنا قصيرة لا تزيد عن ستين عاماً نصفها في الإعداد لها؟ نصفها بالضبط إلى أن يستطيع الإنسان الزواج والسكنى في بيت مستقل، وتأمين حاجاته، تأمين دخل معقول بالثلاثينات، الآن صار بالأربعينات، بالخامسة والخمسين صار معه أزمة قلبية، بالثامنة والخمسين نعوته على الجدران، لا تستحق ذلك، أيعقل أن يكون كل هذا الكون لأجل سنوات محدودة؟ أيقبله عاقل؟ لماذا خلقنا الله عز وجل؟ لابد من هدف يتناسب مع كماله، لابد من هدف

يتناسب مع جلاله، لابد من هدف يتناسب مع قوته، هو القوي، لذلك ربنا عز وجل أجاب عن هذا السؤال في آيتين واضحتين وفي آيات كثيرة، قبل أن يجيب نفى ما يتوهمه بعض الناس، قال تعالى:

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)**

**سورة المؤمنون**

مستحيل خالق عظيم، الآن أي دولة تبني بناء يكلفها ثلاثة عشر مليار، يستغرق البناء عشرين سنة، ثم تأتي الأجهزة الحديثة تكسره وتهدمه بلا سبب؟ لماذا بنيتم هذا البناء؟ لا لشيء، هكذا، أتفعلها دولة على وجه الأرض؟ بناء ضخم، يكلفها مئات الملايين تجهزه بكل شيء تدفئة وتكييف وتبريد وأثاث بعد أن ينتهي يُدَمّر لماذا؟ ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾ نفى الله أيضاً ما يتوهمه بعض الناس من أن الله عز وجل خلق الكون وهو يلعب:

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)**

**سورة الدخان**

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا** ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا **فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27)**

**سورة ص**

هذا ظنّ الكفار وحدهم، أيُعقل أن يُخلق الإنسان ولا يسأل عن أعماله؟ القوي قوي، والضعيف ضعيف، والغني غني، والفقير فقير، والصحيح صحيح، والمريض مريض، وهكذا، هذا عمّر خمساً وثمانين سنة، وهذا ثماني عشرة سنة، مات بحادث، لماذا؟ هكذا، ما السبب؟ هذا لم يهنأ بحياته، ما تزوج، ما سكن في بيت، ما عمل سياحة، هذا أكل وشرب وعاش سنوات طويلة وتمتع بالصحة، وتمتع بالطعام والشراب، وكل شيء، لماذا هذا يولد ابن غني كل شيء متوافر أمامه وهذا لا يُحصّل قوت يومه؟ لو لم يكن هناك دار آخرة سؤال كبير يوجد بالحياة قوي ويوجد ضعيف، يوجد طويل العمر، ويوجد قصير العمر، يوجد صحيح، يوجد مريض، يوجد غني، يوجد فقير، قال تعالى:

**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)**

**سورة القيامة**

لا، خلقه غنياً ولا يسأله عن هذا المال كيف جمعه، وكيف أنفقه، خلقه فقيراً ولا يسأله لمَ لم يصبر؟ لمَ لم يعرف؟ ﴿**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى**﴾ ربنا عز وجل نفى أن يخلق السماوات والأرض إلا بالحق، نفى أن يخلقها عبثاً، نفى أن يكون لخلقها لاعباً، نفى أن يخلقها سدىً، نفى أن يُتْرِكَ الإنسان سدى، هذا كله نفاه الله عز وجل وأثبت قوله تعالى، وقال:

**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)**

**سورة الذاريات**

## الهدف من العبادة:

إذاً الهدف هو العبادة، لو عرفنا معنى العبادة، العبادة أن تعرفه فتطيعه فتسعد بقربه، ذات ثلاثة حدود، الله عز وجل قال: العبادة هي الهدف من خلق الكون أو من خلق الإنسان والجن، العبادة أن تعرفه وأن تطيعه وأن تسعد بقربه، آية أوضح من هذه الآية:

**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ **وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)**

سورة هود

إذاً الإنسان مخلوق للسعادة، لا تظنون هذا كلاماً، هذه حقائق، إذا عرفت أنك خلقت من أجل أن يُسعدك الله عز وجل شعرت بالراحة، شعرت بالرَّوح، شعرت بالتفاؤل، شعرت بأنك مكرم، شعرت بأن الله عز وجل تفضّل عليك بإيجادك، شعرت أن هناك نعمة هي نعمة الإيجاد، قد يقول قائل: الناس كلهم معذبون، يوجد مجاعات، يوجد زلازل، يوجد فيضانات، يوجد شحّ، يوجد قحط، يوجد قهر، يوجد حروب، يوجد براكين، يوجد صواعق، الإجابة عن هذا السؤال يا أستاذ تقول: إن الله خلقنا للسعادة، خلقنا ليُسعدنا، خلقنا لنسعد، لنعبده، لنعرفه، لنطيعه، لنسعد بقربه، هذا كلام جيد، مقبول ويتناسب مع جلال الله.

## ما الحكمة من وجود المصائب في الأرض؟

هناك سؤال آخر ما بال الناس أشقياء؟ على المستوى المادي الفقراء هم الأكثرون، المعذبون هم الأكثرون، الجواب:

إن السيارة لماذا صنعت؟ من أجل أن تسير، فما بال الشركة الصانعة قد زودتها بالمكابح؟ أليست المكابح تتناقض مع حركتها؟ الجواب:

إن استعمال المكابح ضروري لسلامتها، صُنعت لتسير والمكبح يوقفها ولكنه يوقفها في الوقت المناسب، من أجل ألا تُدَمّر صاحبها، فكما أن الله سبحانه وتعالى خلقنا ليُسعدنا من أجل هذه السعادة بالذات خلق الله عز وجل المصائب، خلقها لمهمة ثانية تاه عنها، ضلَّ عنها، تلهّى بالدنيا، تأتي المصائب لتُذكره بالمهمة الكبرى التي خُلِق من أجلها، إذاً هذا ملخص كل مصيبة تقع على وجه الأرض:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآَخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآَخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (38) إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا **وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39)**

**سورة التوبة**

﴿**إِلَّا تَنْفِرُوا**﴾ إما أن تنفر وإما أن تُعذَّب، إما أن تُحقق الهدف الذي خُلقت من أجله وإما أن يُضّيق الله عليك حباً بك، إذاً يجب أن نتيقن يقيناً قطعياً لاشك فيه أن نعمة الإيجاد نعمة كبرى، لأنه أوجدك كي يسعدك.

## العبث في الكون لا يتناسب مع جلال الله وقوته:

ولكن يأتي سؤال آخر أهي السعادة في الدنيا؟ الجواب: نعم ولا.

الآن ندخل في موضوع ثان، ربنا عز وجل خلق الخلائق كلها دفعة واحدة، ما من شيء تقع عليه عينك إلا وقد خلقه الله عز وجل مع غيره في وقت واحد سماه العلماء: عالم الأزل، والله سبحانه وتعالى في هذا العالم عَرَض عليهم عطاءً لامحدوداً، لكن هذا العطاء اللامحدود اللامتناهي، الأبدي السرمدي الذي لا

يُوصف له ثمن، أي إما أن تقبل منصباً ليس له دخل محدود، يُعطى هذا المنصب صاحبه كالقضاة في بريطانيا شيكاً مفتوحاً، أيّ رقم تكتبه تقبضه، مهما كَبُر هذا الرقم تأخذه، ولكن هذا المنصب الرفيع يحتاج إلى دراسة طويلة، وإما أن ترضَى أن تأخذ قوت يومك من دون أن تكون مسؤولاً أو مُكرماً، أي يوجد عرضان؛ عرض مغري جداً لكن يحتاج إلى جهد وفيه مسؤولية، أي الطيار يقبض راتباً ضخماً جداً، لكن مقابل هذا الراتب الضخم جداً هو في الجو مسؤول، أية غلطة يرتكبها يموت هو وركابه معه، لكن يوجد أعمال في الأرض راتبها محدود، لأن صاحبها ليس مسؤولاً كمسؤولية الطيار، وليس يقع في خطر لو سها كما يقع الطيار لو سها، فربنا عز وجل عرض على الخلائق عرضاً مغرياً:

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)**

**سورة الأحزاب**

أي جرى عرض على الخلائق، خَيَّرَ الله عز وجل هذه الخلائق بين أن تكون مخلوقات تسعد بالله سعادة محدودة، لماذا محدودة؟

مثل آخر: ممكن أنا لو فرضنا أن أحدهم والده من كبار الأغنياء، هذا الأب الغني ممكن أن يُطعِم ابنه أطيب طعام، يسكنه في قصر، يزوجه أجمل امرأة، ممكن أن يهيئ له طائرة خاصة، سيارة خاصة، يختاً في البحر خاصاً، ينتهي هنا عطاء الأب، يعطيه مالاً، يعطيه بيتاً، يعطيه مركباً وطيئاً، يعطيه زوجة، لكن متعة العلم هذه تُعطى أم تُؤخذ؟ هذه تؤخذ، لو أن ابناً لرجل مليونير طلب من أبيه أن يجعله رئيساً لجامعة راقية، يقول له: هذه لا، هذه بجهدك، متعة العلم لابد من أن تُحصّلها أنت، فكذلك ربنا عز وجل يعطي، والإنسان قد يأخذ من عطاء الله، أما ربنا عز وجل يعطي عطاءً يتناسب مع طاقة احتمال هذا المُعطى، أنت عندك عشرة إنش ماء، عندك نبتة صغيرة، لو صببت هذا الماء عليها لسحقتها، أما حينما تقوى هذه النبتة وتكبر تأخذ ماءً كما تشاء.

أردت من هذا الكلام أن أوضح لكم أن الله سبحانه وتعالى عرض على الخلائق في عالم الأزل عرضاً مُغرياً جداً، عرض أن يسعدوا سعادة أبدية سرمدية لا محدودة مقابل أن يأتوا إلى الدنيا، في الدنيا يجب أن يبذلوا هم من أجله، من أجل أن يعطيهم عطاءً غير محدود لابد من أن يأتي هذا المخلوق إلى مكان، وهذا

المخلوق مزوّد بشهوات، يُزوّده الله بشهوة المال، وشهوة العلو، وشهوة الجنس، هذه الشهوات يزودها الله عز وجل لهذا المخلوق، ويأمره أن يُنفِذ منها ما يتوافق مع شرع الله عز وجل:

**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)**

**سورة الليل**

**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)**

**سورة النازعات**

## مستلزمات الأمانة:

### 1- تزويد الإنسان بالعقل والشهوة:

أولاً: من مستلزمات الأمانة أن يكون هذا المخلوق مزوّداً بشهوات، من مستلزمات الأمانة أن يكون هناك كون يُجسِّد أسماء الله الحسنى، من مستلزمات هذه الأمانة أن يكون هناك فكر يستطيع أن يستدل على الله عز وجل من خلال الكون، من مستلزمات هذه الأمانة أن يكون حرّاً في اختيار ما يريد، فحرية الاختيار مع الفكر مع الكون مع الشهوات، أربعة عوامل تجعل من هذا الإنسان أكرم مخلوق على وجه الأرض، فكر موجود، شهوات، قال الله تعالى:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ (14)**

**سورة آل عمران**

### 2- لن تُقبل على الله إلا إذا آثرت رضاه على شهوتك:

ما الذي يحدث؟ الله عز وجل تسعد به إذا أقبلت عليه، ولن تستطيع أن تُقبل عليه إلا إذا كان لك ثقة أنه راضٍ عنك، وكيف يرضَى عنك؟ إذا آثرت جانبه في كل شيء، أعطاك شهوة النساء، فإذا غضضت بصرك عن امرأة لا تحلّ لك ارتقيت إلى الله عزّ وجل، فإذا تزوجت امرأة وفق ما شرع لك ارتقيت إلى الله عز

وجل، زوّدك بحبّ المال فإذا كسبته من طريق مشروع ارتقيت إلى الله عز وجل، فإذا تركت المال الحرام ارتقيت إلى الله عز وجل، لولا هذه الشهوات لن تستطيع أن تُقبل على الله أبداً، بترك ما حرّم الله عليك وأخذ ما أحلّ لك، بالترك والأخذ ترقى.

إذاً أنت في دنيا هدفها الأول أن تعمل أعمالاً تستطيع أن تُقبل بها على الله إلى الأبد في الجنة، أي إذا آثرت جانب الله عزَّ وجل كان لك عمل تلقى الله به، إذا استقمت في بيعك وشرائك، إذا نصحت المسلمين، إذا كنت محسناً، إذا كنت ورعاً، إذا آثرت ما يبقى على ما يفنى، إن كان لك عمل صالح بما في هذه الكلمة من معان، أي استقامة وعمل طيب فيه خدمة للناس، هذا العمل الذي تفعله باختيارك، بمحض اختيارك من دون إجبار أو إغراء أو إكراه، هذا العمل الصالح يُؤهلك أن تُقبل على الله في الجنة إلى الأبد.

مثل بسيط؛ هل يستطيع أن يدخل مجند على أعلى رتبة في الجيش من دون أذن؟ والله مستحيلة، يحتاج إلى شهر حتى يصل إليه، يحتاج إلى طلب لأعلى منه للعريف وللرقيب وللمساعد وللملازم وهكذا، لكن إذا كان هذا اللواء الشهير له ابن يسبح في مسبح وأشرف على الغرق، وهذا المجند ألقى بنفسه في هذه البحرة وأنقذه، وخاطر بحياته من أجل ابن هذا الضابط، وعرف الأب ما فعل هذا الجندي مع ابنه، ألا يستطيع هذا المجند أن يدخل على هذا الضابط متى شاء من دون إذن؟ ولله المثل الأعلى، الله عز وجل غني عنّا ولكن بعثك إلى الدنيا، قال لك: هذا مال، هل تستطيع أن تنفق المال من أجلي؟ سأزودك بشهوات هل تغض بصرك من أجلي؟ هل تختار هذه المرأة الصالحة ذات الجمال المتوسط على امرأة جميلة جداً لكنها فاسقة أيهما تختار؟ هل تختار هذا الدخل المشروع على دخل كبير كبير من طريق غير مشروع؟

## سرّ الحياة:

أتمنى أن أوضح لكم سرّ الحياة، جاء بك إلى الدنيا وزودك بالشهوات وقال: أقرضني من مالك، عاون أخاك، اضبط شهواتك من أجلي، ابذل من أجلي، إذا فعلت واستقمت وبذلت وقدمت وكنت ورعاً تحسّ أنه راضٍ عنك، بهذا الإحساس تُقبل عليه، فإذا أقبلت عليه سعدت إلى الأبد بقربه، هذا هو الهدف من مجيئك إلى الدنيا، كيف تسعد به؟ بالإقبال عليه، تسعد به إذا أقبلت عليه، مثلاً قال تعالى:

**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)**

**سورة الكهف**

إذا طرقت باب شخص مهم ومعك هدية، الهدية شفيع لك، خلقنا ليُسعدنا، جاء بنا إلى الدنيا كي نتأهل لهذه السعادة، ما هي الأهلية فيها؟ أن تبذل مما أعطاك الله، لذلك قيل: اللهم إنّا نسألك موجبات رحمتك.

والله لا أتمكن من توضيح أكثر مما وضحت، أي نحن في حياةٍ؛ فرصة لسعادة أبدية، هذه الفرصة نملكها، يكفي أن تغض بصرك، يكفي أن تنفق مالك، يكفي أن تمضي وقتك في طاعة الله، هذه الجلسة تُعرض عليكم يوم القيامة شريطاً مسجلاً، أنت في هذا اليوم أصدقاؤك ذهبوا إلى دور اللهو، أمضوا وقتهم في اللعب بالنرد، في المزاح الرخيص، في الحديث عن النساء، أمضوه يتابعون مسلسلاً رخيصاً، وأنت حضرت إلى المسجد كي تعرف الله عز وجل، هذا الذي يرقى بك، أنت في الدنيا من أجل البذل:

وَالْعَصْرِ (1) إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (2) إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ (3)

**سورة العصر**

زواجك لله، إنجاب الأولاد لله، عملك لله، خدمتك لله، نومك لله، أن تجلس مع أولادك لله، أن تُؤنس زوجتك لله، هذه بالنهاية، أنت جئت إلى الدنيا من أجل أن تفعل شيئاً يرضى الله به عنك، من أجل أن تُقْبِل عليه في الدار الآخرة بعمل يصلح للعرض عليه.

## من عرف الله عرف عظمته:

طبعاً هذا العمل كيف تستقيم؟ هنا عندنا سلسلة، كيف تعرفه؟ بالتفكر في الكون، إذا فكرت بنفسك، بجسمك، كيف كنت من ماء مهين، أصبحت إنساناً سوياً، فكّرت بطعامك، بشرابك، بثيابك، بزوجتك، بأولادك، بأسرتك، فكّرت بالجبل، بالقمر، بالشمس، بالنجوم، بالكواكب، بالأمطار، بالرياح، بالثلوج، بالوديان، بالسهول، بالصحاري، بالبحار، بالأسماك، بالأطيار، فكّرت، لابد من أن تعرف الله عز وجل، إذا عرفته عرفت عظمته،

وإذا عرفت عظمته تولّد في نفسك خشية منه، هذه الخشية تحملك على أن تستقيم على أمره، إذا استقمت على أمره وأقبلت عليه سعدت بهذا القرب، عملت الصالحات لمزيد من هذا القرب.

أي الدنيا كلها لا تعدل عند الله جناح بعوضة إلا العمل الصالح، قال تعالى:

**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ** وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (114)

**سورة النساء**

إذاً خلقك ليسعدك سعادة أبدية سرمدية لا متناهية، لكن هذه السعادة لها ثمن، جاء بك إلى الدنيا من أجل أن تتأهل لهذه السـعادة، طبيعة التأهيل أن تفكر في الآيات الكونية من أجل أن تعرفه، أن تسـتقيم على أمره، أن تعمل الصالحات تقرباً له، أن تقبل عليه، هذا هو التأهيل، لذلك إذا خلت حياتنا من علم وعمل ودعوة وصـبر فلا جدوى منها: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾ من علم وعمل ودعوة وصبر، قال تعالى:

**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (1)**

**سورة التكاثر**

التكاثر انحرف بكم عن هدفكم: ﴿**أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ * حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ * كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ أنكم خلقتم لغير هذا، لغير جمع المال: ﴿**ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾.

## ينبغي على الإنسان ألا ينسى الهدف الذي خُلِق من أجله:

مرة إمبراطور اليابان كان اسمه الميكادو، أرسل سبعة طلاب في بداية النهضة اليابانية إلى أوروبا وأمريكا للدراسة، هؤلاء كانوا في بلد اليابان كان بلداً متخلفاً، فلما وُجِدوا في بلاد في مدن كبرى فيها فتن، وفيها أشياء جميلة، وفيها أشياء رخيصة، فانغمسوا في الملذات الرخيصة وقصّروا في تحصيل العلم ولم ينجحوا، وعادوا إلى اليابان فأعدمهم الميكادو، أرسلهم لمهمة محددة فنسوها وانغمسوا في شيء آخر، حينما عادوا أعدمهم، الإنسان أُرسِل إلى الدنيا لمهمة محددة فإذا عرفها ونفّذها وكان في مستواها سَعِد في الدنيا والآخرة،

وإذا تغافل عنها أو جهلها أو عمل عملاً يتناقض معها، حينما يموت يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصُعِقوا، صيحة الندم:

**يَقُولُ** يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (24) فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (26)

**سورة الفجر**

**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا (29)**

**سورة الفرقان**

هذا الكلام أنا أسميه كلاماً خطيراً يضعك أمام مسؤولياتك، يقول لك: أنت مخلوق في هذه الدنيا من أجل أن تهيئ نفسك لسعادة أبدية، فإن لم تفعل فلك الشقاء الأبدي، خُلِقتَ للسعادة وجئت إلى الدنيا من أجل أن تؤهل نفسك لسعادة الأبد، في جنة عرضها السماوات والأرض.

## نموذج من الصحابة صدقوا في طلب الحقيقة فتوصلوا لها فانظر إلى مآلهم:

البارحة في خطبة الجمعة ذكرت أن سيدنا سعد بن الربيع، النبي عليه الصلاة والسلام بعد أن انتهت معركة أحد تفقّد أصحابه صلى الله عليه وسلم فقال: ما فعل سعد بن الربيع؟ فلم يجبه أحد، فقال لأصحابه: ابحثوا عنه، أفي الأحياء هو أم في الأموات؟ أحد الأصحاب الكرام وكان أنصارياً توجّه نحو ساحة المعركة ليتفقده بين القتلى إذا به يراه وفيه رمق أخير، فقال له: يا سعد إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرني أن أبحث عنك أفي الأحياء انت أم في الأموات؟ تصوروا شخصاً يموت بجرح بليغ ينزف دماً، وعلى وشك مفارقة الدنيا فيقول هذا الجريح المحتضر يقول: أبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أني في الأموات، أنا انتهيت، وأقرئه السلام وقل له: جزاك الله عنا خير ما جزى نبياً عن أمته، وأقرئ قومي السلام وقل لهم: لا عذر لكم عند الله إذا خُلِص إلى نبيكم وفيكم عين تطرُف، ولم يزل هذا الصحابي الذي ندبه النبي واقفاً حتى فارق الحياة، وعاد إلى النبي فأخبره بالخبر فبكى حتى اخضلّت لحيته بالدموع.

المهم التعليق على القصة؛ هذا إنسان جريح، هذا إنسان على وشك الموت، وهو شاب، ما هذه السعادة التي غمرت قلبه؟ لأنه حقق الهدف الذي من أجله خُلِق، آمن بالنبي، أطاع الله عز وجل، بذل أثمن ما يملكه وهي نفسه.

فلما أحدنا يعرف مهمته ويكون بمستواها والله الذي لا إله إلا هو لا يُحْزِنه شيء، قرأت عن الصّدّيق رضي الله عنه كلمة لا زالت ترن في أذني، وصفه الواصفون فقالوا: ما ندم على شيء فاته من الدنيا قط، إذا شخص ذهب ليعقد صفقة تجارية في بلد، واشترى بضاعة بمئات الملايين ومتوقع أن يبيعها بألوف الملايين، وحقق ربحاً كبيراً، ولم يتغدَّ وصارت الساعة السادسة لا يوجد أي مطعم الكل أغلق، ويستطيع أن يأكل أفخر طعام لأن معه مالاً، لكن المطاعم أغلقت، أما الصفقة فيها ربح بمئات الملايين، هل يتألم؟ هدفه تحقق، يمكن أن يأكل في الفندق شطيرة، يأكل جبنة، لأن هدفه الكبير تحقق ويعيش بنشوة الربح الكبير، فالمؤمن حينما يعرف مهمته في الدنيا وهو في مستواها وهو في طريقها يسعد سعادة والله الدنيا كلها لا تُرضيه إذا أقبلت ولا تسخطه إذا أدبرت، هكذا قيل: إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، ومنزل ترح لا منزل فرح، فمن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء.

## الموت بداية لحياة جديدة:

إذا إنسان راكب سيارة ليست له من جهة إلى جهة، خمس دقائق فوجد المقعد غير مريح، هل يتألم؟ كلها خمس دقائق، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَنْكِبِي فَقَالَ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ.

**صحيح البخاري**

الدُّنيا جِيفةٌ طُلَّابُها كلابٌ، تصور إنساناً بلغ الأوج في المال، بثانية واحدة يصبح من أهل الآخرة، أخي هذا البناء كله لي، ما شاء الله، إذا كان قلبك يدق فهو لك وإن توقف فهو ليس لك، هذه ورقة الطابو أي القلب يدق، إذا إنسان وكّل وكالة، وأراد أن ينفذها، أخي اذهب هل الموكل ميت أم على قيد الحياة؟ تحتاج الوكالة الآن إلى قيد نفوس، لايزال حياً حتى تفرغ لك إذا معك وكالة، فمعنى الحياة إذا لم يعرف الإنسان مهمته منها قضية خطيرة جداً، الطريق مسدود، طريق المال مسدود ينتهي بالموت، طريق العلو في الأرض ينتهي

بالموت، طريق الشهوة ينتهي بالموت، كل شيء ينتهي بالموت، والموت قريب جداً أقرب إلى أحدنا من ظله، من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت، والموت ليس نهاية، هنا الخطورة، يتوهم الناس أنه النهاية، يا لطيف إنه بداية، الموت بداية الحياة الأبدية، تفضل، يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا، ﴿**يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي**﴾ خلقك ليسعدك أعلى سعادة:

**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)**

**سورة الإسراء**

أنت ممن تحمّل الأمانة، ممن تنطحت لها، ممن قلت: أنا لها يا رب، جاء بك إلى الدنيا من أجل هدف واحد أن تُؤهل نفسك لهذه السعادة الأدبية، هذا ضيّع وقته بالمال، هذا ضيّع وقته بمشكلات الحياة، هذا ضيّع وقته بتحقيق أهداف أرضية محدودة، هذا ضيّع وقته بالسخف، هذا قضى حياته بالخصومات، هذا قضى حياته بأشياء لا قيمة لها، سبحان الله! قال تعالى:

**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى(4)**

**سورة الليل**

يوجد سعي واحد صحيح أن يكون سعيك لمعرفة الله عز وجل، أصل الدين معرفته، فأنت في الدنيا من أجل مهمة خطيرة جداً، فالمؤمن صار طعامه متعلقاً بهذه المهمة، زواجه يريد امرأة صالحة، هو الآن مخلوق للاستقامة والعمل الصالح، فإذا اختار امرأة سيئة فاسقة لا تُرضي الله يكون هذا الزواج مِعولاً هدّمَ سعادته الروحية، فدخل زواجك وعملك، كسبك للمال، أنت مخلوق بحياة من أجل أن تعرف الله، فأي عمل يمتص وقتك كله ترفضه، أنا لي مهمة كبيرة جداً.

## المؤمن الذي عرف الله لا يضيع آخرته بدنياه:

أيها الإخوة اسمعوا هذا الكلام؛ إذا عُرِض عليك عمل في الشهر مئة ألف، شرط أن يكون الدوام ثماني عشرة ساعة، ليس لك إلا ست ساعات نوم من الساعة العاشرة وحتى السادسة فرضاً صباحاً، وبالشهر

مئة ألف، وعمل آخر دخله ألف وخمسمئة بالشهر لكن الدوام ثماني ساعات، تستطيع أن تحضر مجلس علم، تصلي الصبح حاضراً، تقرأ القرآن، تُفكّر، تذكر، تدعو إلى الله، طبعاً أهل الأرض كلهم يقولون لك: خذ الوظيفة التي راتبها مئة ألف، أما المؤمنون فيقولون لك: خذ الوظيفة ذات الألف والخمسمئة، لأنك خُلقت لهدف كبير، هذا الدخل الكبير في الحقيقة خسارة، يأتي الإنسان يوم القيامة مفلساً، أما الحياة بعد الموت: قالَ اللَّهُ تَبارَكَ وتَعالَى: **أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ، ما لا عَيْنٌ رَأَتْ، ولا أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولا خَطَرَ علَى قَلْبِ بَشَرٍ** . قالَ أبو هُرَيْرَةَ : اقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ : {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: 17].

**متفق عليه**

واكربتاه يا أبت، قال: لا كرب على أبيك بعد اليوم، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه، إن المؤمن ينتقل من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة كما ينتقل الطفل من ضيق الرحم إلى سعة الدنيا.

**قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (26) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (27)**

**سورة يس**

تجد شخصاً ميتاً تقول: مسكين مات، والله الذي لا إله إلا هو المسكين من يقول مسكين وهو ضال، هذا المسكين، إن كان هذا الميت مؤمناً فالمسكين الذي يقول عنه مسكين، حقق الهدف، النبي الكريم شاهد جنازه فقال: عن أبي قتادة أنَّ رسولَ اللَّهِ صلَّى اللَّه عليه وسلم **مرَّ عليْهِ جنازةٌ فقالَ: مستريحٌ ومستراحٌ منْهُ، فقالوا: ما المستريحُ وما المستراحُ منْهُ؟ قالَ: العبدُ المؤمنُ يستريحُ من نصَبِ الدُّنيا** وأذاها والعبدُ الفاجرُ يستريحُ منْهُ العبادُ والبلادُ والشَّجرُ والدَّوابُّ.

**متفق عليه**

فلما الإنسان يتوضح له الهدف، والمهمة في الأرض، عندئذ قد لا ينام الليل: عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**». قَالَ: فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَنْ أَبِي؟ قَالَ: «فُلَانٌ». فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ {لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ}.

**صحيح البخاري**

إذا دخل أحد الطلاب إلى الامتحان قيل له نكتة لا يضحك، جربها، إذا كان الامتحان مهماً، المادة صعبة، والتخرّج متوقف عليها، وليس هو متأكداً من تحضيره لهذه المادة ومقدرته فيها أضحكه، لا يضحك، أو شخص سوف يتحاكم مازحه، لا يضحك معك، هول الموقف، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا**». ثُمَّ قَرَأَ «{كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ} وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: {وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي} –إِلَى قَوْلِهِ– {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}».

**صحيح البخاري**

قالت السيدة عائشة: أيرى بعضنا بعضاً؟ استغربت معقول حفاة عراة؟! قال: يا أم المؤمنين الأمر أفظع من أن يعنيهم ذلك، لهول الموقف.

## خلاصة الدرس:

السؤال الأول: خُلقنا لنسعد، والثاني: نحن الآن في مهمة، إذا كنا معذبين فمعنى ذلك أننا نحن قد ابتعدنا عن الهدف الذي خُلقنا الله من أجله، هذا التفسير الدقيق والبسيط والواضح، **((فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه))** فإذا كنت مسروراً معنى هذا أنك أنت على الطريق الصحيح، وإن كنت غير مسرور فمعنى ذلك أنك ابتعدت فربنا عز وجل برحمته وحرصه سخّرَ لك شيئاً يُلفت نظرك، فالمصائب كلها هدفها أن تعود إلى جادة الصواب، هذا هو الضلال، وهذا هو الهدى.

طبعاً نحن هذا الدرس مقدمة، لكن أن تعرف لماذا خُلقت، وما أثمن شيء في الأرض، مثلاً؛ إنسان لسبب تافه يقول لك: لم يكن معي وقت لآتي إلى المسجد، وجدت نفسي أشعر بالبرد، والمطر يهطل، سآتي في الأيام القادمة، هذا كلام يعني أنك لا تعرف قيمة هذا المجلس، أحياناً يعصي الإنسان ربه لسبب تافه، والله استحييت أن أقوم لأصلي، لا تعرف أنت لماذا خلقك الله في الدنيا، لذلك الإنسان إذا عرف المهمة هان عليه كل شيء، إذا عرفت لماذا خُلقت وما أثمن ما في الدنيا هان عليك كل شيء، عندئذ تقول كما قالت رابعة:

فليتك تحلو والحياة مريــرة         وليتك ترضى والأنام غضـاب
وليت الذي بيني وبينك عامر         وبيني وبين العالمين خــراب

رابعة العدوية

## الصحابة عرفوا رحلتهم في الدنيا وحذروا من أي منزلق يحجبهم عن ربهم:

صحابي جليل رأى باباً مفتوحاً وهو ماشٍ بالطريق فحانت منه نظرة للداخل فإذا امرأة في البيت، كَبُر عليه ذنبه، عَظُمت عليه هذه المخالفة، خاف من أن يلقى النبي ويُنزل الله فيه وحياً فهام على وجهه في الجبال، تفقّده النبي صلى الله عليه وسلم أين فلاناً؟ حتى ندب أناساً يبحثون عنه، كلف سيدنا علياً بهذه المهمة، التقى به في أحد شِعَاب مكة وهو يبكي، فخفف عنه وجاء به إلى النبي، هذا الصحابي قال له: بشرط أن تأخذني إلى النبي في عقب صلاة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم يكون مسروراً جداً، فجاء به في عقب صلاة، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما قصتك؟ قال له: ذنبي عظيم، فقال صلى الله عليه وسلم: أكبر من الجبال؟ قال له: أكبر من الأرض؟ قال له: أكبر من السماء؟ قال له: أكبر، أنا أخذت موعظة كم كان الذنب عندهم عظيماً؟ من علامات المنافق أن الذنب عنده كالذبابة يدفعها، ماذا عملنا؟ هل خربت الدنيا؟ نظرنا إليها ماذا حدث؟ المنافق هكذا، المنافق ذنبه عليه سهل جداً أما المؤمن يعظم عليه ذنبه، حتى قال له صلى الله عليه وسلم: أكبر من عفو الله؟ قال: لا، عفو الله أكبر، العبرة من القصة أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفوا المهمة، ورأوا أن أي مخالفة أو أي معصية تعيق هذه المهمة، تحجبهم عن مهمتهم.

طبعاً هذه الموضوعات لنا عودة لها في ثنيات هذا البحث الذي سوف نأخذه في دروس قادمة إن شاء الله.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 10-63: مصطلحات القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## مصطلحات القرآن الكريم:

### ا ـ الإسلام:

أيها الإخوة المؤمنون؛ وصلنا في موضوع العقيدة إلى الإجابة عن ثلاثة أسئلة؛ الأول: لماذا خلقنا الله سبحانه وتعالى؟ ولماذا جاء بنا إلى الدنيا؟ وماذا بعد الدنيا؟ لماذا خُلِقنا هنا؟ وماذا يجب أن نعمل هنا؟ وماذا بعد هنا؟ وقد أجبت عن هذه الأسئلة بالقدر الذي سمح الله به في الدرس الماضي.

واليوم ننتقل إلى بعض المصطلحات التي يكثُر ورودها في القرآن الكريم، لأن معرفة حدود المصطلحات جزءِ من العقيدة، أي ما تعريف الإسلام؟ ما تعريف الإيمان؟ ما تعريف التقوى؟ ما تعريف الإحسان؟ ما تعريف الفقه؟ الفجور؟ النفاق؟ الكفر؟ العمى عمى القلب؟ الإساءة؟ الذنب؟ الخطيئة؟ المعصية؟ السيئة؟ ما غفران الذنب وما تكفير السيئة؟ وما تصحيح الخطيئة؟ هذه مصطلحات لابدّ من أن يعرفها المسلم بشكل واضح. ف

أولاً: الإسلام، هناك انتماء للإسلام صوريٌّ وهناك انتماء حقيقي، كل المسلمين في شتى بقاع الأرض يقولون عن أنفسهم إنهم مسلمون، هذا انتماء صوري، كمن يرتدي ثوباً أبيض ويضع على عينيه نظّارة، ويضع على أذنيه سمّاعة، وهو لا يقرأ ولا يكتب، هل هذا طبيب؟ هذا انتماء صوري إلى الطب؟ الطبيب رجل أمضى

عشرين أو ثلاثين عاماً في دراسة الطب، أن يرتدي الإنسان ثوباً، وأن يضع نظارة، وأن يضع على أذنيه سماعة، ليس هذا هو الطب، هذا انتماء صوري والانتماء الحقيقي شيء آخر.

كلّ يدّعي وصلاً بليلى          وليلى لا تقرُّ لهم بذاكا

أبو العتاهية

فبين أن تدّعي أنك مسلم شيء، وبين أن تكون مسلماً حقيقة شيء آخر.

أيها الإخوة الأكارم؛ بشكل مختصر المسلم بحسب ما ورد في القرآن الكريم ينقاد إلى أوامر الله بالتمام والكمال، جملةً وتفصيلاً، معنى أنه مسلم أي استسلم لهذا الأمر وانقاد له، فهذا المسلم كيف يستسلم؟ لابد من أن يسبق الإسلام قناعة فكرية، تحدثنا عنها في الأسابيع الماضية، إذا الفكرة انتقلت من الأذن إلى الدماغ، أخذت مكانها في البحث العلمي، صُنِفت مع اليقينيات أو مع غلبة الظن، ثم انقلبت إلى إرادة، والإرادة إلى السلوك، هذا هو الإسلام.

الإسلام انقياد تام لأوامر الله عز وجل، وهذا الانقياد التام لابد من أن تسبقه قناعة، مثلاً لمّا يبلغ الطبيب المريض بأن هذا الطابق الرابع يضرُّ صحته، بما أن كلام الطبيب مقنع، بما أن المريض يخشى على نفسه تفاقم المرض، مع أنه بيت جميل أمضى في كسوته سنوات طويلة، وأمضى في تزيينه أيضاً جهداً كبيراً ومالاً وفيراً تراه في اليوم التالي يَعرضه للبيع ليشتري طابقاً أرضياً يتوافق مع صحته، إذاً إذا حصلت القناعة انقلبت إلى سلوك، وما لم يكن الإنسان منقاداً لأوامر الله فأغلب الظن أنه لن يقنع بها بعد، هذا الذي يأكل المال الحرام لن يقنع أن الله عز وجل لابد من أن يقصِمه، لابد من أن يفجعه بماله، لابد من أن يذهب المال وصاحبه، لو قنعت لأحجمت، لكنك لم تقنع، لم تصل هذه الفكرة إلى مركز اليقين، لم تصل هذه الفكرة إلى غلبة الظن، ولا إلى قطعية الثبوت، ولا إلى قطعية الدلالة.

إذاً الإسلام انقياد كامل شامل دقيق لأوامر الدين جملةً وتفصيلاً، ظاهراً وباطناً، في الرخاء وفي الشدة، في الصحة والمرض، في القوة والضعف، قبل الزواج وبعد الزواج، قبل الاستقرار وبعد الاستقرار، قبل

أن يكون في هذا العمل وبعد أن يكون في هذا العمل، هذا هو الإسلام، الإسلام انقياد لأوامر الدين، يسبق الإسلام قناعة فكرية صحيحة، عقيدة صحيحة.

## 2- الإيمان:

ماذا بعد الإسلام؟

**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)**

سورة الحجرات

بَعْد الإسلام الإيمان، الإسلام سلوك أما الإيمان وجهة إلى الله عزّ وجل، مَن استسلم لأوامر الله وانقاد إلى تشريعه لابد من أن يحصل له اتصال بالله عز وجل، هذا الاتصال هو الإيمان، يُمسي الرجل مؤمناً ويصبح كافراً أي أمسى متصلاً وقع في شهوة فانقطع عن الله عز وجل فصار كافراً، الإسلام انقياد أما الإيمان وجهة.

## 3- الفسق:

يقابل الإسلام الفسق، أيّ خروج عن أوامر الشرع، أي انحراف عما أمر الله، أي انتهاك لِما نهى الله عنه، أيّ تجاوز هو فسق.

بالمناسبة أنا أُردد هذه الفكرة كثيراً، بين أن تظن أن أوامر الله ضمانات لسلامتك وبين أن تظنها حدّاً لحريتك، شتان بين النظرتين، وشتان بين الفكرتين، وما أبعد الثرى عن الثريا! إن رأيت على عمودِ الكهرباء لوحة كُتِب عليها: خطر الموت، هذه اللوحة تعني ضمان سلامتك، إن رأيتها حدّاً لحريتك فهذا هو الضلال المبين، إنها ضمان لسلامتك، فأوامر الشرع ضمان لسلامتك.

والوقت أيها الإخوة لا يتسع لضرب الأمثلة التي لا تُعدّ ولا تحصى، إنسان قال لي: إن زوجتي تخونني منذ سنتين وأنا لا أدري، تقصيت الأسباب، فإذا هو السبب، له جار زاره مرة، فارتأى هذا الجاهل أن

يجلس هو وجاره وزوجته معاً، الفصل شتاء والغرفة دافئة، تعاليْ يا أم فلان اجلسي معنا هذا مثل أخيك، لأنه جاهل، فدفع الثمن أن له خمسة أولاد منها وقد خانته مع هذا الجار، الإسلام لا يوجد فيه حلّ وسط، أي المُشرّع هو الله عز وجل، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (53)**

سورة الأحزاب

أنا متأكد أنه ما من مأساة تقع على وجه الأرض في أي مكان في بلاد العالم إلا وراء المأساة معصية، وما من معصية إلا وراءها جهل، جهل معصية مأساة، يقول لك رجل المباحث الجنائية: في أية جريمة ابحث عن المرأة، لابد من امرأة وراء هذه الجريمة، لابد من علاقة خارج العلاقة التي سمح الله بها، فالإسلام انقياد تام لأوامر الشرع، أما الفسق فخروج عن هذا الأمر، إن كان خروجاً بالمال، بكسب المال، أو بإنفاق المال، هلاك المال وهلاك صاحبه معه نتيجة حتمية لهذا الكسب الحرام، وإن كانت المخالفة في العلاقات مع النساء أية علاقة ليست وفق الشرع لابد من أن تنتهي بكارثة، بمشكلة، بضياع أولاد، فالإسلام انقياد والفسق خروج عن هذا الأمر، وهذا الأمر ليس اعتباطياً، ليس عشوائياً، ليس متعنتاً، إنه أمر ينطلق من العلم، والخبرة، والواقع، والحقيقة، والحكمة، إما أن تكون مع أوامر الدين فأنت في سلام، وإما أن تشذّ عنها فتحمل الثمن الباهظ، يا رسول الله عظني وأوجز؟ فقال النبي الكريم: قل آمنت بالله ثم استقم، قال: أريد أخف من ذلك؟ هذه ثقيلة قليلاً، قال: إذاً فاستعد للبلاء.

الذي خلق المنطق هو الله، والذي خلق هذا الكون الذي تحكمه قوانين بالغة الدقة هو الله، ألا ينبغي أن يكون دينه فيه قوانين بالغة الدقة؟ كيف أن القوانين البالغة الدقة تحكُم المادة والطاقة، يقول لك: كيمياء، فيزياء، كيمياء نووية، فيزياء كيميائية، فلك، هذا الكون تحكمه قوانين دقيقة لأنه من خلق الله، وهذا الدين من عند الله، والله واحد.

فالذي جعل لهذا الكون قوانين بالغة الدقة لابد من أن يكون في دينه علاقات بالغة الدقة، أتمنى عليكم أن تكون هذه الفكرة واضحة عندكم.

العلاقة بين الطاعة وبين نتائجها علاقة علمية، والعلاقة بين المعصية ونتائجها علاقة علمية، أي إذا وضع الإنسان إصبعه على مدفأة مشتعلة تحترق الإصبع، احتراق الإصبع جزاء أم نتيجة؟ نتيجة، نتيجة حتمية لمقدمة هي وضع الإصبع على المدفأة، ليس عقاباً، نتيجة، وأي مشكلة تنشأ في حياة الإنسان الحقيقة ليست عقاباً إنما هي نتيجة حتمية لمقدمة من صنع يديك، يداك أوكتا وفوك نفخ، إنسان نفخ قُربة نفخها بفمه وربطها بيديه وركب عليها في الماء، ولا يُحْسِن السباحة، في وسط النهر لم يكن النفخ كثيراً ولا الربط محكماً انفلت الهواء وكاد يغرق فقال له أحدهم: يداك أوكتا وفوك نفخ، هذا من صنعك، قال تعالى:

**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)**

سورة النحل

## العلاقة المترابطة بين مصطلحي الإسلام والفسق:

موضوع الإسلام موضوع مصيري، إما أن تطبقه فتسلم، قال تعالى:

**وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (25)**

سورة يونس

وإما أن تخرج عنه فتدفع الثمن، أبداً، حينما يغفل سائق السيارة عن الطريق ماذا يحدث؟ هل تستطيع أن تلوم الشركة الصانعة للسيارة؟ هل يجوز أن يفعلوا هكذا بالناس؟ السائق نائم ماذا أصنع لك؟ حينما يغفل الإنسان عن الطريق يتدهور، وحينما يغفل الإنسان عن الله عز وجل لابد من أن يسقط، فالإسلام انصياع لأوامر الله، هذه الأوامر واقعية، أي الذي خلق النفس الإنسانية أدرى بها، قال لك: غضَّ بصرك، فإذا أردت أن تهتدي بهدي آخر، بتشريع آخر، بنصيحة إنسان فاسق، أخي انظر إلى الجمال وسبّح الخالق، هذا كلام شيطاني، أما الرحمن فيقول:

**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30)**

سورة النور

تدفع الثمن، افعل ما شئت، قال الله تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)**

سورة فُصلّت

من باب التهديد، افعل ما شئت، الإسلام انقياد، الفسق خروج، الإسلام تسبقه قناعة فكرية، اعتقاد صحيح، الفسق يسبقه اعتقاد فاسد، لماذا كان درس العقيدة؟ لأن الاعتقاد الصحيح يؤدي إلى الإسلام، والاعتقاد الفاسد يؤدي إلى الفسق، إذا الإنسان اعتقد أنّه ليس هناك حساب دقيق يوم القيامة، إذا اعتقد بسذاجة أن الحسنة بعشرة أمثالها، فإذا فعل تسع سيئات وحسنة يتعادلون، كأنه فَهِم القضية قضية أرقام تعادل ثلاثة واحد، خمسة ستة، ثم كانوا تعادلاً، تسع سيئات، أو عشر سيئات وحسنة، الحسنة بعشرة قالوا عشرة بعشرة فصاروا تعادلاً، الاعتقاد الفاسد يسبب فسقاً، والاعتقاد الصحيح يسبب إسلاماً.

بالمناسبة الاعتقاد الفاسد أي كل شيء يأتيك عن طريق السماع، أنت ما كلفت نفسك أن تبحث فيه، لا دققت ولا تحققت، ولا صدقت ولا كذبت، إنما جاءتك هذه العقائد من إنسان، من صديق، من أخ، من مدرّس، من خطيب أحياناً، تراكمت عندك اعتقادات بعضها صحيح، بعضها غير صحيح، لمّا أنت عطلت تفكيرك وما بحثت فيها، وما درستها، وما قيّمتها، وما دققت فيها، ترسبت في اللاوعي، إذا أنت سمعت من شخصين أو ثلاثة أو أربعة أنه مهما الإنسان فعل ذنوباً: عن أنس بن مالك قال : **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أمتي.**

صحيح أبي داود والترمذي وأحمد

الله عز وجل يوم القيامة يقول للنبي الكريم قم اشفع تشفع وأدخل أمتك الجنة، وانتهى الأمر، هذه إذا سمعتها من اثنين أو ثلاثة وما دققت فيها، ما حققت، ما محّصت، ما سألت، ما درست، قبلتها، هذه العقيدة

الزائغة هذه تنقلب كسب مال حرام، أخي نحن أمة مرحومة، عندي أولاد، هذه العقيدة تحملك على الفسق، على النظر إلى النساء، على انتهاك الحرمات، ظناً منك أن القضية في النهاية محسومة، ما دام أنا لي انتماء لهذه الأمة ولهذا النبي فأنا سوف يشفع لي النبي عليه الصلاة والسلام، وتأخذ الحديث على ظاهره من دون أن تفهم حقيقته، وبواعثه ومؤداه، ((**شفاعتي لأهلِ الكبائرِ مِن أمتي**)) وتكون عندئذ الطامة الكبرى.

فالذي يتأتى إليك من دون دراسة، من دون بحث، من دون تفكير، من دون تدقيق، تسمعه من الناس، وتعطل فكرك مقابله، هذه العقيدة الفاسدة، قد يكون فيها متناقضات، سمعت مرة أن شخصاً يُعلِّم تلاميذه، قال له: سيدي أنا اشتريت حليباً ولم أبع، ما استفتحت، فلما خلطته بالماء استفتحت وبعت، قال له: صح يا ولدي، هؤلاء الناس كل مالهم حرام، هذا صح يا ولدي خرب بيته، هذا جاهل، المال صار مالاً حراماً، لما أنت بعت شيئاً مغشوشاً كسبت مالاً حراماً، كيف تعللت؟ أن الناس مالهم حرام فإذا لم تغشهم لا يشترون منك، ما هذا الكلام؟ هذا كلام فاسد، هذا كلام خلاف الدين، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهم عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلا فَقَالَ يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ مَا هَذَا قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ ثُمَّ قَالَ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا.**

صحيح مسلم

من غشّ ليس من غشنا، لو غششت مجوسياً، لو غششت ملحداً، لو غششت كافراً، مشركاً، ليس منا، ليس من غشنا، من غشّ، من غشّ حيواناً ليس منا.

## 4- الكفر:

إذاً العقيدة الصحيحة تفضي إلى الإسلام، العقيدة الفاسدة تؤدي إلى الفسق، الآن بعد الإسلام هناك وجهة إلى الله هي الإيمان، بعد الفسق يوجد إعراض عن الله عز وجل هو الكفر، قال تعالى:

**وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54)**

سورة التوبة

كافر يصلي، معنى هذا له معاص، له انحرافات، مقطوع عن الله عز وجل، ما دام فاسقاً فهو مقطوع، ما دام مقطوعاً فهو مُعْرِض، مُعرِض كافر، أبداً، هذا هو مفهوم الكفر، الإعراض عن الله عز وجل بسبب المعصية، معصية، انقطاع، إعراض، كفر.

فالفسق مظهر سلوكي للكفر، الكفر مظهر نفسي للفسق، شيئان مثل العملة لها وجهان: الوجه الأول فسق الثاني كفر، المعصية تُسَبّب الكفر والطاعة تُسبّب الإيمان، الإيمان إقبال الكفر إعراض، الإسلام انقياد الفسق معصية، الإسلام يحتاج إلى عقيدة صحيحة الفسق يُبنى على عقيدة فاسدة، لا بد من أن يُحب بعضهما بعضاً، لا يمكن، لقاء المؤمنين في طريق الإيمان حتمي، قطعاً قولاً واحداً، لا يمكن لمؤمن أن يعادي مؤمناً قال تعالى:

**وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (63)**

سورة الأنفال

هذا العداء بين بعض المسلمين هو عداء له تفسير، إما أنهم جميعاً منحرفون فعِداء مصالح، تصبح عداوة كار، أخي لماذا فلان يتكلم على فلان؟ لأنها صارت عداوة كار، لم يعد موضوع إيمان واستقامة ووجهة إلى الله، هؤلاء زبائن إذا كثروا زبائن الأول يغار منه الثاني يتكلم عليه، يتهمه بعقيدته، يتهمه بكلامه، إذا لم يكن هناك إيمان صار هناك زبائن وصار هناك عداوة كار، وصار هناك حسد وبغضاء وضغينة، أما إذا هناك إيمان صحيح هناك لقاء، هناك محبة، هناك مودة، ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ أي هذا الذي أُلح عليه في العقيدة مهم جداً، ترون معي أن العقيدة الصحيحة لابد من أن تنتهي بصاحبها إلى أن يكون مسلماً حقاً، وإذا كنت مسلماً حقاً لابد من أن تكون في المستقبل مؤمناً حقاً، وإذا كنت مؤمناً حقاً لابد من أن تنتقل إلى التقوى، وإذا كنت متقياً لابد من أن تكون محسناً، وإذا كنت محسناً لابد من أن تدخل الجنة.

عقيدة صحيحة، إسلام صحيح، إيمان صحيح، تقوى، إحسان، جنة عرضها السماوات والأرض، عقيدة زائغة يُبنى عليها الفسق والفجور، إذا كان إنسان قال لك قصة أن القضية ليست بالعمل، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

**قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا : وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : لَا، وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ.**

صحيح البخاري

حديث عظيم لكن أحياناً يُساء فهمه، يُوَجه توجيهاً خاطئاً، حديث صحيح رواه البخاري إلا أن بعض الناس يُسيئون فهم هذا الحديث فيفهمون من هذا أن الجنة ليست بالعمل، أنا أضرب مثلاً دائماً بهذا المعنى، إذا وعَد الأب ابنه بدراجة ثمينة إذا نجح، فهذا الابن إذا خرج من المدرسة آخر يوم ومعه الجلاء أنه ناجح، إذا توجّه إلى بائع الدراجات، وأعطاه الجلاء، هل يعطيه بائع الدراجات دراجة؟ هكذا قال لي أبي، ها قد نجحت، يقول له: اذهب وأعطني ثمن الدراجة، إلا أن يدفع الأب ثمنها، هذا معنى إلا أن يتغمدني الله برحمته، الجنة بفضل الله لكن هذا الفضل مبني على عمل الإنسان، هناك تكامل لا يوجد تعارض.

ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم، الأب لا يدفع ثمن هذه الدراجة إذا كان الابن راسباً، وإذا الابن نجح لن يأخذ هذه الدراجة إلا إذا دفع الأب ثمنها، ليس هناك، هناك تكامل في الأفكار.

**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)**

سورة النحل

**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)**

سورة الحجر

الجنة بالعمل وبرحمة الله سبحانه وتعالى، هذا هو التوفيق بين القرآن والحديث، التوفيق يحتاج إلى علم عميق، أما على ظاهر الحديث أُلغي العمل، أخي لا تُغَلب نفسك القضية ليست بالعمل، نحن أمة محمد مرحومة، يعمل الفسق، والفجور، ويأكل المال الحرام، ويسهر مع نساء أجنبيات لا يحللن له، يعمل سياحات، يذهب إلى أماكن رخيصة، يسبح على سواحل البحار بأماكن موبوءة، يدخل شوارع منحطة في بعض الدول الجنبية يقول لك: أنا فقط أطلع إطلاعاً، أخونا بالله يطّلع فقط لأنه يعرف القضية ليست بالعمل بل بالأمل بقيت:

**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)**

سورة النساء

آية واضحة كالشمس: ﴿**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ**﴾ سلسلة؛ عقيدة صحيحة، إسلام صحيح، إيمان صحيح، عقيدة فاسدة، فسق، كفر.

## الإيمان وجهة إلى الله بصحبة رسول الله:

الآن بعد الإيمان، الإيمان وجهة إلى الله بصحبة رسول الله، بصحبة نائب رسول الله عليه الصلاة والسلام، من ينوب عنه في تبليغ الناس الحق.

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ (119)**

سورة التوبة

كن معهم.

**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (28)**

سورة الكهف

التقِ مع إنسان ليس له مجلس علم، يُحلل بعض المعاصي، يتهاون ببعض العبادات، يفتي لنفسه، يتساهل بأشياء لابد من الأخذ منها بعزم، يتشدد بأشياء لا قيمة لها، لأنه ضائع.

## من لوازم الإيمان:

### 1 ـ التقوى:

التقوى أن تنتقل من مرتبة الذوق إلى مرتبة الرؤية، التقوى أن تنظر بنور الله، وأن تنطق بتوفيق الله، في القرآن الكريم مئتا آية تتحدث عن التقوى، التقوى نور يقذفه الله في القلب، قال الله:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29)**

سورة الأنفال

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآَمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (28)**

سورة الحديد

التقوى بشكل مبسط، إنسان يقود سيارته في الليل، مصابيح متألقة من أعلى مستوى يقول لك: لمبات غاز مع بروجكترين، واضح الطريق وضوح الشمس، أما إذا انطفأ هذا الضوء فجأة، والظلام دامس، والمنعطفات كثيرة، على جوانب الطريق وديان سحيقة فالحادث حتمي، عَنْ أَبِي مَالِكٍ الأَشْعَرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالصَّلاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ.**

صحيح مسلم

فكل إنسان مقطوع عن الله أعمى، قال تعالى:

**يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ (46)**

سورة الحج

بعد التقوى لا يوجد معصية، حينما ترى حشرة مؤذية تدعو إلى الاشمئزاز فوق صحن الطعام لا تأكله أبداً، إذا رأيت أما إن لم ترَ فإنك تأكل، إذا رأيت لن تعصي الله أبداً:

عن عبد الرحمن بن سمرة: **ما ضرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ.**

حسن: الترمذي

عن أبي هريرة: إنَّ اللَّهَ اطَّلعَ على أَهلِ بدرٍ فقالَ: **اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لَكم.**

المباركفوري :تحفة الأحوذي: حكم المحدث: صحيح

انتهى بلغوا التقوى أي أصبحوا يرون الحقيقة:

**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (75)**

سورة الأنعام

**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)**

سورة النجم

إذا بلغت مرتبة التقوى، والله الذي لا إله إلا هو لو ملّكوك الأرض بأكملها –دقق بالكلمة–كل الشركات الضخمة بالعالم ملكك، وكل الأساطيل التجارية في البحر والبر والجو ملكك، وكل البنوك، وكل الفنادق، وكل أسواق الذهب، وكل الأرصدة ملكك، وفقدت التقوى فأنت أكبر خاسر، وإذا بلغت مرتبة التقوى، ورأيت الحق حقاً، والباطل باطلاً، رأيت كل شيء، رأيت ملكوت السماوات والأرض، رأيت الله في كل شيء، رأيت حقيقة الدنيا، رأيت حقيقة ما قبل الدنيا، ما بعد الدنيا، رأيت الأبدية، عندئذ تعرف أن المؤمن أسعد إنسان على وجه الأرض.

الناس نيام، هذه ساعة الموت ساعة رهيبة جداً، ساعة يعرف الإنسان فيها أنه في جنة يدوم نعيمها أو في نار لا ينفذ عذابها، هذه التقوى، أن ترى الحقيقة، أن تملك رؤية صحيحة، لذلك من الصعب على التقي أن يغلط، لا لأنه معصوم، الأنبياء معصومون، كيف هم معصومون؟ يتصور الإنسان هذا المعنى خاطئاً، أن الله عز وجل منعهم من المعصية، جيد، يا رب امنعني أنا أيضاً من المعصية، ما دامت القضية بيدك امنع

الناس كلهم من المعاصي وأَرِحْهُم وأغلق جهنم أفضل لهم، ليست هذه هي العصمة، العصمة الأنبياء بإقبال إلى الله مستمر، هذا الاتصال المستمر فيه استنارة مستمرة، وما دام هناك استنارة مستمرة لن يقع الإنسان بمعصية، هنا صارت العصمة معناها دقيق جداً أي أنت بحكم فطرتك لن تقبل الأذى لنفسك.

## 5- المعصية:

إنسان يقود سيارة ملكه، دفع ثمنها ويرتفع ثمنها، إن وجد حفرة ينزل فيها؟ إذا نزل فيها يحتاج كم ألف تصليح، إذا الحفرة عميقة وعريضة، ينزل بها في اختياره؟ مستحيل، لا يوجد إنسان على وجه الأرض والسيارة تكون ملك له طبعاً والضوء شديد والحفرة واضحة ينزل فيها باختياره؟ فمن أين جاءت عصمة الأنبياء؟ من اتصالهم الدائم بالله عز وجل:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه يُحَدِّثُ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ قَالَ: **جَاءَهُ ثَلاثَةُ نَفَرٍ قَبْلَ أَنْ يُوحَى إِلَيْهِ وَهُوَ نَائِمٌ فِي مَسْجِدِ الْحَرَامِ فَقَالَ أَوَّلُهُمْ: أَيُّهُمْ هُوَ؟ فَقَالَ أَوْسَطُهُمْ: هُوَ خَيْرُهُمْ، وَقَالَ آخِرُهُمْ: خُذُوا خَيْرَهُمْ، فَكَانَتْ تِلْكَ، فَلَمْ يَرَهُمْ حَتَّى جَاءُوا لَيْلَةً أُخْرَى فِيمَا يَرَى قَلْبُهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَائِمَةٌ عَيْنَاهُ وَلا يَنَامُ قَلْبُهُ، وَكَذَلِكَ الأَنْبِيَاءُ تَنَامُ أَعْيُنُهُمْ وَلا تَنَامُ قُلُوبُهُمْ، فَتَوَلَّاهُ جِبْرِيلُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ.**

صحيح البخاري

اتصال دائم، استنارة دائمة، صحوة دائمة، يقظة دائمة، حفظ، من أين تأتي المعصية؟ من ساعة غفلة، والعوام لهم دعوة أحبُّها يقولون: "الله يجيرنا من ساعة الغفلة" عندما تقول هذا الدعاء يتصور أحدهم أنه فجأة صار معه حادث، ولكن ليس هذا هو القصد، ساعة الغفلة عن الله، الله يجيرنا من ساعة الغفلة عن الله، لأن في هذه الساعة التي نحن فيها غافلون لابد من أن نخطئ، قد يُطلّق الإنسان زوجته في ساعة الغفلة، وقد يزني الإنسان في ساعة الغفلة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ السَّارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**».

صحيح البخاري

مادام مؤمناً فهو متصل، مقبل، مادام مقطوعاً يزني، ولا يكذب الإنسان في ساعة الغفلة، إذاً هذه هي الرؤية لذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾ معنى هذا التقوى غير الإيمان، الإيمان مرتبة، قال تعالى:

**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (3)**

سورة المنافقون

معنى الإيمان إذا قال لك إنسان: أنا مؤمن، الله يثبتك، كلام صحيح، أنا مؤمن، الإيمان مُعرَّض للكفر، يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، أما إذا بلغ مرتبة التقوى، هنا: ((**اعملوا ما شئتُم فقد غفرتُ لَكم**))، ((**ما ضرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليومِ**)) هذه التقوى، ﴿**وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**﴾ عقيدة صحيحة، إسلام صحيح، إيمان، تقوى، إذا نظرت بنور الله ماذا ترى؟ ترى أن الدنيا خُلِقْت فيها من أجل ان تعمل صالحاً يسعدك في الأبد.

## 2- الإحسان:

كيف يكون لك مقعد صدق عند مليك مقتدر؟ كيف تستطيع أن تنظر إلى وجه الله في الآخرة؟ بوجه أبيض أساسه العمل الصالح فمرتبة الإحسان تأتي بعد التقوى، أي هي النتيجة الحتمية للتقوى، رأيت الحق حقا والباطل باطلاً، رأيت حقيقة الدنيا فجعلت الإحسان إلى الخلق دَيْدَنَك، يقابل الكفر عمى، التقوى بعد الإيمان، العمى بعد الكفر، بعد أن كفر أي أعرض، أعرض لأنه فسق، فسق لأنه اعتقد اعتقاداً فاسداً، فسق، كفر، أصيب بالعمى، فلما أصيب بالعمى، شهواته يقظى يريد أن يأكل وحده، وأن يسكن في البيوت وحده، وأن يتنعم وحده، فحينما كان أعمى أخذ ما له وما ليس له، وقع في الإساءة، الإساءة قبْلها يوجد عمى، والعمى قبله يوجد كفر، والكفر قبله يوجد فسق، والفسق قبله يوجد عقيدة فاسدة.

عقيدة صحيحة، إسلام، إيمان، رؤية، إحسان، الإحسان يقابله إساءة، الكافر مسيء أبداً، كيفما تحرك، كيفما تكلم، إن لم يكن مسيئاً شعر أن هذا اليوم غير طبيعي، هناك شخص يحب الأذى كثيراً، يقول: اليوم ليس طبيعياً، ما عملنا كثيراً، لم نؤذ أحداً، إذا لم يؤذ يكون غير طبيعي، من بعده عن الله عز وجل يحب أن يؤكد ذاته بالأذى، أنا موجود، أنا أستطيع أن أؤذي، لذلك إذا أردت أن تعرف مقامك عند الله فانظر فيم

استعملك؟ ما نوع عملك؟ أهذا العمل مبني على خدمة الناس أم على إيقاع الأذى بهم؟ هذه المصطلحات ضرورية، الكفر إعراض، ممكن يكون هناك شخص حضر مجالس علم لسنوات طويلة، وغلبته نفسه فوقع في معصية، هذه المعصية قادته إلى الكفر، معنى الكفر البعد عن الله عز وجل، في آخر الزمان نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، فالعنوهن لأنهم ملعونات، الكفر لعن، لعنهم الله أي أبعدهم عنه، لفسقهم وفجورهم.

الإحسان مبني على الرؤية، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: **كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟ قَالَ: الإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَبِلِقَائِهِ وَرُسُلِهِ وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟ قَالَ: الإِسْلامُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَتُقِيمَ الصَّلاةَ وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ.**

صحيح البخاري

النبي الكريم سئل: ((**مَا الإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**)) فالإحسان أساسه التقوى، والتقوى أساسها الإيمان، والإيمان أساسه الإسلام، وأساس كل شيء العقيدة الصحيحة.

## 6- النفاق:

الآن ما هو النفاق؟ هناك مصطلحات جانبية أما تلك فأساسيات، خطان متوازيان، عقيدة صحيحة فاسدة، إسلام فسق، إيمان كفر، رؤية تقوى عمى، إحسان إساءة، جنة نار.

النفاق باطنه كفر وظاهره إسلام، أي إنسان كافر وُجِد في بيئته مسلمة، فمن أجل تحقيق مصالحه يتزيَّا بزي المسلمين، يحج معهم ليقال عنه: الحاج فلان، لينصب على الناس بأموالهم، يصلي رياء، يصوم رياءً، فالنفاق حالة هي كفر، إن المنافقين هم الكافرون، لكن يوجد كفر مغلف بغلاف إسلامي، هذا سببه رجل كافر موجود ببلد مسلم، يجوز في بعض البلاد العربية الإسلامية الصلاة إجباري، يقوم ويصلي لأنه يوجد عصا، قال لي: أكلت ضربة بالخيزرانة إلى الآن وأنا أعاني من ألم ظهري، كانت عنده في مكة فوراً أغلق المحل، قال لي: أذن المغرب، قلت له: هيا، أنا أعجبني هذا الاهتمام بالصلاة، قال لي: لا تظن من أجل الصلاة والله أكلت ضرباً، أعانني الله، طبعاً إذا إنسان يكره الصلاة وإذا ما صلى يأكل ضرباً بالعصا هذا

النفاق، يخرج من هذه البلاد إلى أوروبا له سهرات حمراء لا يعلمها إلا الله، هذا النفاق، المظهر إسلامي المخبر كفر، ازدواجية، موقف حقيقي، قال تعالى:

**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15)**

سورة البقرة

﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا**﴾ والله مثل الدين لا يوجد سبحان الله! أنا أحياناً أنام أشاهد منامات حلوة يا أخي، أنا البارحة كنت صائماً يوم الاثنين وعلق بين أسناني سمسمة هل هذه تفطر؟ نكشتها وأكلتها، ما هذا الورع؟! يكون له خمسون معصية، ﴿**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ*اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾.

فالنفاق حالة كفر مغلفة بغلاف ديني، بسبب وجود كافر في بيئة يُطَبّق الإسلام فيها بالقهر، لذلك قال الله تعالى:

**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)**

سورة البقرة

جاء شخص من الحجاز في الصيف إلى الشام، صلّى في مسجد، لفت نظره ظاهرة أنا لم أنتبه لها إطلاقاً، قال: الدليل أن كل هؤلاء المصلين يصلون باختيارهم أنه في أثناء الصلاة كان هناك بائع يبيع ويصيح على بضاعته في أثناء الصلاة، إذاً كل هؤلاء الذين هم في المسجد قد دخلوا باختيارهم وطواعية، هذه الظاهرة نحن قد لا ننتبه إليها، فالنفاق أن يكون الإنسان كافراً في بلد يُطَبّق فيه الدين قهراً، فإما يُطبق الدين خوفاً أو طمعاً، إما تُغريه مصالحه فيطبق بعض مظاهر الدين أو تُخيفه العقوبات الرادعة فيلتزم خوفاً من أن يقع العقاب به، هذا المنافق، ألا إن المنافقين هم الكافرون، بل:

**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا (145)**

سورة النساء

لماذا؟ كافر، لا، في الدرك الأسفل، إذا كان هناك طالب ترك المدرسة نهائياً، أما طالب داوم حتى البكالوريا، صار ينجح بأساليب ملتوية، ينجح بالغش، لا يدرس إطلاقاً، وجوده مع جو علمي، كل رفاقه صاروا أطباء ومهندسين وهو بقي وراء الناس، هو دخل إلى المدارس، وأضاع وقته، وأمضى وقتاً طويلاً في المدارس، هذا ألمه وندمه أشد من الذي ترك المدرسة نهائياً، عاش مع طلاب، دخلوا عليه مدرسين، سمع، قرأ، لكن ما اهتم نجح بالغش ثم ترك الدراسة، ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾.

## 7- الفجور:

مَن هو الفاجر؟ الفاجر هو فاسق يتباهى بفسقه، أي الذي يُفطر في رمضان في الطريق هذا ليس فاسقاً لكنه فاجر، يقول لك: البارحة فعلت كذا وكذا، فاجر، الفاجر هو الذي يُعلن معصيته أي يفتخر بمعصيته، لذلك قيل: لا غيبة للفاجر، أنت تتكلم عنه؟ هو يتكلم عن نفسه، إذا إنسان فسق وستر نفسه، هذه هي القاعدة، إذا ابتليتم بالمعاصي فاستتروا، أما إذا افتخر بالمعصية صار فاجراً لم يعد له غيبة، انتهى، لو تكلمت عنه لا يوجد مانع، بالعكس تكلم عنه، اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس.

## 8- الإلحاد:

الملحد غير الكافر، الكافر، الله عز وجل قال على الشيطان:

**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)**

سورة الكهف

معنى هذا الشيطان فسق عن أمر ربه، وقال عنه الله عز وجل كافراً، وقال بآيات أخرى:

**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82)**

سورة ص

إذاً هذا الشيطان آمن بوجود الله وآمن بعزته ومع ذلك هو عند الله كافر، بل أَكْفَرُ الكفار، وعند الله فاسق.

إذاً الإلحاد إنكار وجود الله عز وجل، الكفر إعراض أما الإلحاد فإنكار، قد يكون الطالب وراء مقعده والأستاذ أمامه ملء سمعه وبصره وهو لا ينتبه إليه، ولا يقبض كلامه، ويتلهى عنه، هذا الطالب يكفر بأستاذه مع أن أستاذه أمامه يراه رأي العين، ويسمع صوته، ويرى صورته، فالكفر إعراض أما الإلحاد فإنكار، هناك إنكار للذات وهناك إنكار للصفات، إذا قال لك أحدهم: أين رحمة الله؟ هناك مجاعات بإفريقيا، هذا يُنكر رحمته، من أنكر رحمته فهو ملحد بأسمائه، من أنكر حكمته، يقول لك: سبحان الله! الله يعطي الحلاوة للذي ليس له أضراس، هذه كلمة خطيرة جداً، أنت بهذا تشك في حكمة الله عز وجل، إنكار الحكمة، إنكار الرحمة، إنكار العلم الله لا يعلم، هذا إلحاد بالأسماء.

علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، إلحاد في الأسماء أن تقول: لا يعلم، أو لا يرحم، أو ليس هناك حكمة، ليس هناك عدل، قبضة إلى الجنة ولا أبالي، وقبضة إلى النار ولا أبالي، لا على التعيين، وقفوا الطلاب في الباحة قال: الذين على اليمين ناجحون وهؤلاء راسبون، هم يحتاجون إلى فحص، الذين بجانب الجدار هؤلاء راسبون وهؤلاء ناجحون، هذا إنكار لحكمته.

الحديث له تفسير آخر أما هذا المعنى الذي يأخذه الناس من ظاهر الحديث، ويعدونه أنه لا يوجد قاعدة فأنا قد أكون بالقبضة التي إلى النار، ما من داع لأن أعمل، القضية منته أمرها، السعيد سعيد والشقي شقي، وانتهى الأمر، فالإلحاد بذاته أن تنكر وجوده، والإلحاد بصفاته أن تُنكر أسماءه، رحمته، علمه، عدالته وهكذا.

## خلاصة الدرس:

صار عندنا إلحاد، وفجور، ونفاق، وصار عندنا الآن نأخذ المصطلحات الجانبية، الأساسية عرفناها بدءاً من العقيدة الصحيحة فالفاسدة، الإسلام فالفسوق، الإيمان فالكفر، التقوى فالعمى، الإحسان فالإساءة، الجنة فالنار.

كيف أن الإسلام قطعي والفسق نسبي، وكيف أن الكفر إعراض عن الله وليس إنكاراً لوجود الله، وكيف أن النفاق موقف مزدوج باطنه فيه الكفر وظاهره فيه الإسلام، كيف أن الإلحاد في الأسماء أو بالصفات، هذه المصطلحات جزء أساسي من عقيدة المسلم:

**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آَمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (14)**

سورة الحجرات

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)**

سورة النساء

أي هذا المؤمن إيماناً شكلياً يدّعي انه مؤمن، يتوهم أنه مؤمن، عليه أن يؤمن إيماناً حقيقياً، آمن إيماناً حقيقياً:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102)**

سورة آل عمران

مرتبة أعلى، اتّقى، التقوى درجات، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ثم الإحسان ثم الجنة.

إن شاء الله هذا آخر درس في المقدمات، وفي الدرس القادم ندخل في صُلب موضوعات العقيدة وهي الحديث في الإلهيات، أي الإيمان بوجوده، أسماء الذات، أسماء الصفات، أسماء الأفعال، أسماؤه الحسنى اسماً اسْماً، حالةً حَالةً، هذا نأخذه في الدرس القادم، في هذه الدروس العدة التي مرت بنا كلها مقدمات لموضوع العقيدة، الدرس القادم ندخل في صلب العقيدة، عرفنا لماذا خُلقنا، لماذا نحن على هذه الأرض، ماذا بعد هذه

الأرض، قبل ذلك عرفنا الإنسان مما يتألف وما مقومات وجوده، عرفنا كيف يفكر، كيف يدرك، كيف يعتقد اعتقاداً صحيحاً، ما هي مسالك العقيدة الصحيحة، اليقين الإخباري، اليقين الحسي، اليقين الاستدلالي، اليقين الإشراقي، هذا كله درسناه، الذي أتمناه عليكم أن ترجعوا إن كنتم قد كتبتم شيئاً أو أن تتذاكروا بهذه الموضوعات وسوف نبدأ في الدرس القادم إن شاء الله بالإلهيات.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 11-63: الإيمان بالله عن طريق الفطرة وعن طريق الأدلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## إذا وجِد ريب أو شكّ في معتقدك الإيماني فأنت لست مؤمناً:

أيها الإخوة الأكارم؛ وصلنا إلى صميم بحث العقيدة، وهو الإيمان بالله.

بادئ ذي بدء ربنا سبحانه وتعالى يقول:

**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)**

**سورة الحجرات**

فهذا الذي في نفسه ريب ليس مؤمناً، ليس في الإيمان حلّ وسط، إما أنك مؤمن إيماناً يقينياً قطعياً، لو أن أهل الأرض كلّهم كفروا لا تكفر، وإما أن يكون في هذا الإيمان ريب أو شكّ أو تردد فهذا ليس بإيمان، والدليل القاطع قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**﴾ فلو أنهم ارتابوا فقدوا صفة الإيمان.

## دليل الفطرة والبداهة من أدلة الإيمان بالله:

بادئ ذي بدء، الإنسان بفطرته التي فطره الله عليها مؤمن بالله، اليوم درسُنا مُقَسّم إلى قسمين: الإيمان بالله عن طريق الفطرة، والإيمان بالله عن طريق الدليل.

الفطرة كأنها مرآة صافية، صقيلة، نظيفة، ينطبع عليها الشيء الذي أمامها، هكذا طبيعة المرآة، المرآة تعكس ما أمامها، فلو أن دخاناً كثيفاً طمسها، غيَّر صفاءها، غيّر قابليتها للانعكاس، عندئذٍ يأتي الدليل،

فالإيمان بالله عز وجل يمكن أن يكون عن طريق الفطرة السليمة، ويمكن أن يكون عن طريق الدليل العقلي والبرهان العلمي.

نبدأ بالفطرة، نحن في دروس سابقة بيّنا أن مسالك اليقين أربعة مسالك، اليقين الحسي، واليقين الاستدلالي، واليقين الإخباري، ويقين الفطرة الإشراقي.

## ظهور إيمان الفطرة عند الشدائد:

الإنسان أي إنسان، كبير، صغير، متعلم، جاهل، غني، فقير، قوي، ضعيف، مدني، ريفي، عبقري، غبي، بحسب فطرته مؤمن بأنه لا إله إلا الله، مؤمن بالله إيمان بالفطرة، كيف يبدو هذا؟ لو ركب البحر إنسان ملحد وإلحاده عميق، أي يوجد عنده ألف دليل ودليل بحسب تصوره الأخرق على أنه لا إله، لو ركب هذا الملحد البحر، وصارت الأمواج كالجبال، وأصبحت السفينة تتهاوى بين الأمواج كريشة في مهب الريح عندئذٍ يلتجئ هذا الملحد إلى الله عز وجل، وهذا وقع، طائرة تُقِلّ بضعة خبراء لا يؤمنون بالله، يُنكرون وجوده، فلما وقعت في عدة جيوب هوائية، وظنّ هؤلاء الخبراء أن الطائرة على وشك السقوط دعوا الله مخلصين، فالإنسان مؤمن بالفطرة، لكن وهو في سلام، وهو في بحبوحة، وهو في غنى، وهو في أوج قوته يكابر.

شخص قال لي: أنا نشأت في بيئة تُنكر وجود الله عز وجل إنكاراً كلياً، عملت عند شخصٍ في حرفة، هذا الشخص أيضاً يُنْكر وجود الله، أي أوحى إليّ أو نقل إليّ أنه لا إله وافعل ما تشاء، والحياة اقتناص للذَّات، قال لي: وهكذا فعلت، ولم أغادر معصيةً إلا وارتكبتها، وعملت في التجارة فربحت مئات الألوف، وتزوجت، وسافرت إلى بعض الدول، وفعلت فيها من كل أنواع المعاصي، هكذا قال لي، فجأةً – والقصة طويلة–صودرت بضاعته، بقي بلا دخل، عليه دين، صار أصحاب الدين يطالبونه بقسوة، مرض أولاده وزوجته، ليس معه ثمن الدواء فضلاً عن ثمن الغذاء، ضاقت عليه الدنيا، ضاقت، قال لي: أصابتني مصائب لو أنها نزلت على جبلٍ لهدَّته، قال لي: ما شعرت في أحد الأيام إلا وأنا داخل إلى المسجد لأصلي، هذه الفطرة وصلّى.

إنسان آخر هذا عقيدته أنه لا إله، وله أعمال مخزية جداً، عنده بنت صغيرة في سنّ الورود مرضت مرضاً شديداً، هذا المرض جعله يُنْفِق كل ما يملك، إلى أن قال له أحد الأطباء: لا تنتظر أن تعيش هذه الفتاة،

دعها كي تموت، قال: فكنت آخذها معي إلى عملي خشية أن تموت في غيابي لشدة تعلقه بها، وهو يُصرّ على أنه لا إله، وارتفعت حرارتها وبقيت في الأربعين، ولم يترك طبيب أطفال إلا وزاره، ولم يترك دواءً إلا واستعمله، وهذه الحرارة لا تنخفض، إلى أن همس في أذنه أحد كبار أطباء الأطفال: إن هذا المرض نادر الوقوع، وإن هذه الحرارة لن تنخفض إلا عند الموت، قال: في أحد الأيام قلت لزوجتي: سخني لي الماء لأغتسل، وفيما يقول: لم يغتسل في حياته ولا مرة، كان يتغسل ولكن لم يكن يغتسل، فاغتسل ووقف ليصلي، سأل زوجته: ماذا تقرؤون في الصلاة؟ لا يعرف الفاتحة، تقول زوجته: بقي واقفاً نصف ساعةٍ يبكي في الصلاة ويقول: يا رب إما أن تأخذها أو أن تأخذني أو أن تشفيها، ضيّق الله عليه فظهرت فطرته، أين الإلحاد؟ أين دعواك العريضة أنه لا إله؟ بقي يصلي نصف ساعة، أجهش بالبكاء، وما أن سلّم من صلاته حتى رأى قد انخفضت حرارتها، وبدأت تتحرك بعد أن تصلبت عضلاتها، الله عز وجل يُضيّق.

أقول لكم هذه الكلمة، ما من إنسانٍ يُنْكِر وجود الله عز و جل، إلا وهذا قوله يوم القيامة:

**ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا** وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (23) انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ **وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)**

**سورة الأنعام**

حينما أنكروا كانوا كذابين، كانوا يُكَابرون، كانوا يركبون رؤوسهم، كانوا يُبالغون، الإنسان لا ينبغي أن يأتي في الشدة عليه أن يأتي في الرخاء، والبطولة أن تأتي إليه وأنت معافى، وأنت في أوجك، أوج صحتك، وقوتك، ومالك، وفراغك، لا أن تأتيه بعد شدةٍ بالغة تنهدُّ لها الجبال.

## اضطراب الإنسان وشعوره بالراحة النفسية دليل على الفطرة بين جوانحه:

أيها الإخوة المؤمنون؛ الإنسان مؤمن بالفطرة، وحينما يؤمن ترتاح نفسه، هذا الدليل، وحينما يُنْكر تضطرب نفسه، ويختلّ توازنه، ويضجر، ويسقم، ويسأم، وحينما لا يؤمن ترون منه ردود فعلٍ قاسية جداً لأسبابٍ تافهةٍ، وهذا دليل اضطرابه، أي هذا الذي لا يؤمن ويُنكر ويلحد وينحرف، أتفه سبب يجعله ينفجر، وهذا عند علماء النفس دليل اضطرابه الداخلي لأنه خالف الفطرة، أي هذا المحرك لا يعمل إلا بالوقود، بالبنزين، فلو وضعت فيه ماءً، أو وقوداً من نوع آخر، لظهرت أصوات ولاضطرب ولتوقف، تحسّ أن الوضع

غير طبيعي، فالإنسان مؤمن بالفطرة، لا تفهموا من هذا الكلام أنه ليس هناك أدلة، هناك مليون دليل ودليل على وجود الله، ولكن قبل أن نستعرض هذه الأدلة العلمية والبراهين العقلية نودّ أن نُلْفِت النظر إلى أن الإنسان مؤمن بالفطرة.

## الاستشهاد بأقوال العلماء حول موضوع الفطرة:

مثلاً قال العلماء: الطفل حينما يولد يملك منعكساً اسمه: منعكس المص، منعكس المص عملية بالغة التعقيد، الآن وُلِدَ هذا الطفل، لو أنه بعد الولادة بساعة واحدة وضعته أمه على ثديها لالتقم الثدي، ولأحكم إغلاق فمه على الثدي، ولسحب الحليب، هذه عملية معقّدة، كيف خُلِقت هذه الفطرة؟ أي هذا الطفل بالفطرة يُتقن المص، يتقن لا يعرف، يتقن إتقاناً كاملاً، حينما كنا في الجامعة درسونا في علم نفس الطفولة أن الإنسان حينما يولَد يولد مزوداً بمنعكس المص، تزويد كامل، طبعاً الحيوان لأنه ليس مكلفاً، ولم يخلق الله له فكراً، مزوداً بمئة منعكس، ترى فرخ البط عوّام كما يقولون، والطائر يطير، وكل حيوان حينما يولد مزود بمئات المنعكسات، هذه يسميها العلماء: الغريزة، آلية معقدة جداً ولكنها جاهزة من دون تَعَلُّم، هذه الفطرة.

بالنسبة إلينا كبشر أطفالنا حديثو الولادة مزودون بمنعكس المص، وهذا المنعكس ليس له تفسير إلا الفطرة، أي بفطرة هذا الطفل المولود يعرف أن يلتقم ثدي أمه، وأن يمصّ منه الحليب، هذا من أدلة الفطرة.

دليل آخر؛ شعور الأم بعاطفةٍ جياشةٍ نحو ابنها، من دون أن تعلم ما قيمة هذه العاطفة، لولا هذه العاطفة لما كنا نحن.

## الفطرة لا تحتاج إلى براهين وأدلة لأنها من المُسلّمات:

قصة رمزية تروى، سيدنا موسى رأى امرأة تخبز خبزاً في تنور، وكلما وضعت رغيف خبز في التنور ابنها على الطرف الأيمن تلتفت نحوه وتُقبّله، من شدة عطفها وحنانها، فعجب هذا النبي الكريم، الله سبحانه وتعالى أعطاه درساً نزع الرحمة من قلبها، فلما بكى ألقته في التنور، بالفطرة أية أم؛ جاهلة، متعلمة، كافرة، زنديقة، مومس، بغي، أية أم تحب ابنها بالفطرة، هذه فطرة، قال تعالى:

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)**

**سورة الروم**

يا داود ذكِّر العباد بإحساني إليهم، فإن النفوس جبلت على حُبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، بالفطرة ، فبالفطرة يلتقم الطفل ثدي أمه، بالفطرة تُحسّ الأم بعاطفة جياشةٍ نحو ابنها، بالفطرة يُحبّ الإنسان من أحسن إليه، أي لو أن له أخاً من أم وأب، وهذا الأخ أساء إليه، وشخص لا ينتمي له بأي صلة، من طرف الدنيا الآخر لو أحسن إليه لأحبه، قال لي شخص: وقعت في عجز مالي في عملي التجاري، أي أفلس، ضاقت بي الدنيا، صرت أهيم على وجهي في الطرقات، فالتقيت بتاجر في طرف من أطراف البلاد البعيدة، وهذا التاجر ليس من ديني، من دين آخر، فقام هذا التاجر وأعطاني بضاعة بما قيمتها خمسين ألف ليرة، وقال: خذ هذه البضاعة وبعها وحينما تُحسّ أنك وقفت على قدميك ادفع لي الثمن، فقال لي: والله أحس أن قلبي يَتَفَطر حباً له، سبحان الله! هذه الفطرة، أخوه النسبي ما أنجده، أقرباؤه، جيرانه، أهله، أما هذا الإنسان في بلد بعيد عَلِم بحالته وأمدّه بهذه البضاعة كي يقف على قدميه وهو من دين غير دينه فأحبه.

لا تعجبوا كيف فتح المسلمون البلاد؟ فتحوها بأخلاقهم الكاملة، فحينما كانوا مُثُلاً عليا في الخلق الكريم أهل البلاد دلوهم على الطرقات، هناك جبال معقدة جداً، العرب تجاوزوا الجبال في إسبانيا وفي شمال أفريقيا وفي شرق آسيا، جبال وعرة جداً، لو أن أهل البلاد أبغضوهم لكانت هذه البلاد في حِصن حصين، ولكنهم لكمالاتهم ورحمتهم وعدالتهم فُتحت لهم القلوب قبل أن تُفتَح لهم البلاد، فالذي أعانهم على فتحها أبناء البلاد المفتوحة نفسها، هذه الفطرة.

فالأم تشعر بعاطفة نحو ابنها من دون أن تعرف قيمة هذه العاطفة، لولا هذه العاطفة لما كنا نحن أحياء، حينما أرى طفلاً أمه تعتني به، أبوه يأتي مساء بكل حاجاته، يكدح الأب ويسعى ويجهد ويتحمل المخاطر والمسؤوليات ويغامر إلى أن يأتي مساءً بكل حاجات البيت، حينما يرى ابنه في دفءٍ، ويرتدي ثياباً جديدةً نظيفة، وحينما يأكل ما يشتهي، يُحسّ الأب بسعادةٍ لا توصف، هذه الفطرة.

لو نحن حللنا هذه الفطرة لعرفنا أنه لولا هذا العطف لما استمرت الحياة، لانتهت الحياة، هذا إدراك عقلي، تحليل، لكن الأب يحُس بهذه العاطفة من دون أن يبحث في تحليلاتها ومدلولاتها، هذه الفطرة، من منا

يُنكر ما في نفس الأم من عطف؟ شيء ثابت، ما الدليل؟ لا يوجد دليل، إحساسها بهذه العاطفة هو الدليل، إحساسها هو الفطرة، الإحساس الفطري لا يحتاج إلى دليل، غنيّ عن الدليل، بديهيّ، يسميها الناس: المُسَلّمات، المُسلّمات هي مبادئ لا تحتاج إلى براهين، الكل أكبر من الجزء برهن عليها؟ والله مثل الشمس واضحة، هذه مُسلّمة، الكل أكبر من الجزء، هذه مُسلّمة.

جميع الناس مدفوعون بدافع من فطرتهم إلى كسب قوت يومهم، تجد دافعاً خفياً، عندما الإنسان يفتح محلاً ينطلق المحل ترتاح نفسه، أمّن طعامه، إذا الموسم طيب والقمحات كثر تجد الفلاح مسروراً، أمّن المؤونة، كل إنسان، قيل: إذا أحرزت النفس قُوتها اطمأنت، بالفطرة، تجد الإنسان ينطلق، هذا يفتح مكتب ديكور، هذا مكتب مثلاً مكتب عقاري، هذا يعمل وساطة، هذا يشتري أراض، هذا يعمل معملاً، هذا يفتح محلاً تجارياً، هذا يسافر يحضر بضاعة، كل الناس مدفوعون بدافع من فطرتهم إلى كسب الرزق.

## واقع الناس أكبر دليل على حقيقة الفطرة في بحثهم عن الرزق أو الإحساس بالجوع:

الإحساس بالجوع هل لك أن تُنكره؟ برهن عليه؟ أخي أنا جائع ما الدليل؟ أريد الدليل العقلي؟ أي دليل هذا؟ أنا جائع وكفى، إحساسي بالجوع صارخ، فالإحساس بالجوع فطرة، طبعاً هناك بحث آخر، قيمة الطعام في حياتنا، في توليد الطاقة، في توليد الحرارة، قيمة الطعام في تأمين الفيتامينات والمعادن، الطعام منه مرمم، منه مولّد للطاقة، بحوث طويلة، كتب مؤلفة، آلاف الصفحات، هذا الجائع في غنى عن كل هذه البحوث.

شخص له ابن درس فلسفة في أوروبا بعدما جاء بعد سبع سنوات، طبعاً معه دكتوراه بالفلسفة، طبعاً أحضروا فروجين ليأكلوا، الأب والأم وهذا الشاب الذي عاد من سفره، فقال هذا الشاب لأمه وأبيه: أنا بدراستي العميقة الآن أستطيع أن أبرهن لكم أن هذين الفروجين هم ثلاثة وليسا اثنين، فالأب ذكي بدافع الفطرة، قال له: سآكل أنا واحداً وأمك واحداً آخر وكُلْ أنت الثالث، اثنان اثنان مهما فلسفتهم هما اثنان.

دافع الفطرة أوضح شيء الشعور بالجوع، أخي ما الدليل على أنك جائع؟ لا يوجد دليل، جائع وكفى، إحساسي بالجوع أكبر دليل، فنحن لا نقول هذا الكلام لأنه ليس هناك أدلة على وجود الله، لا والله، هناك مليون الأدلة، لكن أحبّ أن أؤكد لكم قبل كل شيء أنك كإنسان بفطرتك مؤمن بالله، وحينما لا تؤمن

تصور مرآةً كانت صقيلةً نظيفةً ذات قابليةٍ للانعكاس عالية جداً، جاءها دخان كثيف من شمعةٍ فطمست معالمها، طمست شفافيتها، طمست انعكاسها، الآن عندئذٍ نحتاج إلى دليل، لو أن هذه المرآة صافية لا نحتاج إلى دليل.

أحياناً الإنسان يحبّ أن يأكل شيئاً حامضاً، يكون عنده نسب الكلس عالية، والكلس لا يذوب إلا بالحموض، يشتهي سلطة فيها حمض زائد ما السبب؟ أحياناً يشتهي أن يأكل برتقالة حامضة، أحياناً ترى فتيات يأكلن الليمون، الإنسان يجوز أن يشمئز من أكل الليمون، تجد البنت تأكل الليمون بكل سرور، تقطعه وتأكله مع الملح، ما هو تفسير هذا الشيء؟ عندها رغبة جامحة لأكل الليمون، السبب هو وجود مواد كلسية زائدة لديها، هذه المواد الزائدة ربنا عزّ وجل لحكمةٍ بالغة يخلق في الإنسان دافعاً نحو الحمض، أحياناً يشتهي الإنسان أن يأكل الموالح، يكون عنده نقص بالملح، أحياناً يشتهي أن يأكل طعاماً حلواً في الشتاء، يكون عنده نقص بالطاقة، رغبة الإنسان بأنواع الطعام مبنية على حاجات، هناك علماء أتوا بعشرة أطفالٍ وضعوهم في مختبر، وضعوهم أمام ألوانٍ منوعة من الطعام، وعشرة أطفالٍ آخرين تولّى خبراء في التغذية إطعامهم، أي كله مدروس بالحريرات، بالمواد البروتينية، والدهنية، والسكرية، والفيتامينات، والمعادن، وأشباه المعادن، قوائم بالفواكه، واللحوم، فكانت نتيجة الأطفال الذين أكلوا وفق رغبتهم الخاصة أن نموهم كان أحسن، لأن هذه الرغبة الخاصة مبنية على حاجة داخلية، حينما تشتهي الطعوم الحامضة يكون عندك كلس زائد، حينما تشتهي الموالح يكون عندك نقص في الملح، حينما تشرب الماء يكون هناك نقص بالماء بالجسم، شرب الماء الزائد دليل نقص في الماء، فهذا أيضاً إحساس بالفطرة، إذاً شعورنا بالعواطف والأحاسيس هذه كلها من الفطرة ولا برهان عليها، إحساسنا وحده هو الدليل.

## الشعور الفطري مشترك بين جميع الخلائق:

الشعور الفطري إحساس بين جميع الخلائق المُدرِكة على اختلاف نزعاتها، ومستوياتها، وثقافاتها في البيئات البدائية، وفي المدن المتحضرة، وفي منتديات المثقفين، وفي قاعات العلوم والفنون والمختبرات، إنه شعور مشترك بين جميع الناس، يقوم في نفس الطفل الصغير، والإنسان البدائي، والإنسان المتحضر، والجاهل،

والعالم، والباحث، والفيلسوف، والعبقري، والفنان، والخبير في المعمل، كل هؤلاء يشعرون أن الله حقّ، أنه القوة القابضة على ناصية كل شيء، العالمة بكل شيء، الحكيمة المُريدة التي لا شك فيها.

قرأت كلمةً لأكبر عالمٍ في الذرة، هذا العالم اكتشف أحدث نظرية حتى الآن، اسمها النظرية النسبية هو اينشتاين، قال هذا العالم: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوةً هي أقوى ما تكون، عليمةً هي أعلم ما تكون، حكيمةً هي أحكم ما تكون، هو إنسان حيّ ولكنه ميت.

## الأدلة القرآنية تؤكد حقيقة الفطرة في الإنسان:

الآن بعض الآيات التي تؤكد هذه الحقائق:

**قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (10)**

**سورة إبراهيم**

أي هو الذي فطر السماوات والأرض، فطرها على أن تؤمن به، قال تعالى:

**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (44)**

**سورة الإسراء**

لذلك الذي فطر السماوات والأرض فطرها على أنها تؤمن به، بدافعٍ من بنيتها وخلقها، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾.

## الفطرة موجودة حتى في النبات دليل ذلك ظاهرة نموها:

يوجد نقطة دقيقة جداً أتمنى عليكم أن تكونوا في مستواها، النبات أوضح شيء، ترى نبتةً يقال لك: هذه النبتة تحتاج إلى سقيا في الأسبوع مرة، فلو أكثرت عليها الماء تموت، هذه النبتة تحتاج ثلاث مراتٍ سقيا أسبوعياً، فلو أكثرت عليها الماء تموت، هذه النبتة في الشهر مرة، هذه النبتة نبات صالون، تزدهر في الغرف،

هذه النبتة لا تزدهر إلا في أشعة الشمس، لو جلست مع صاحب حدائق لديه خبرات عالمية، يعرف طباع كل نبتة، الشمس، هذه النبتة تحتاج إلى ظل، إلى شمس مبرقعة، يضعون أحياناً بعض الأقمشة الخفيفة في البيت البلاستيكي، هذه تحتاج إلى ظلّ، هذه تحتاج إلى ضوء، هذا تنمو في البيوت في الغرف، هذه تحتاج إلى سقيا كثيرة، هذا النبات لا ينمو إلا في الماء، الزنبق، يجب أن يغمر في الماء، هذه تغمر، بعض النباتات بالشهر مرة، وإلا تموت.

إذاً ربنا عزّ يوجد بخلق النبات شيئان، يوجد شيء ظاهر لعينك، أي طولها، ألوان أوراقها، شكل أوراقها، نوع أزهارها، هذا شيء ظاهر، هناك أشياء تكتشفها مع الأيام، طباعها، طباعها هي الفطرة التي فطرها الله عليها، طباع النبات، حاجته للماء، حاجته للهواء، للشمس، للإضاءة، للحموضة، للرطوبة، أي أشياء دقيقة جداً، هذا النبات يُزهر خلال أسبوعين في السنة، هذا النبات خلال شهر، هذا النبات دائم الخضرة، هذا النبات تسقط أوراقه، هذا النبات أزهاره فوّاحة، هذا النبات أزهاره ليست لها رائحة، هذا النبات أوراق أزهاره كثيفة، يقول لك: مطبقة، هذا النبات أوراقه مبعثرة، أي طباع، ﴿ **فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ كما أن النبات له طباع، النبات شيء واضح، مثلاً بعض النباتات إن لم تعطشها لا تنمو، الباذنجان، يحتاج إلى تعطيش، إلى أن يزبل، بعد أن يزبل تعطيه الماء فينمو، الرز يحتاج إلى غمر بالماء، طبعاً هذه خبرة الفلاح، كل نبات يعرف طباعه، فالتفاح ينمو في المرتفعات، والحمضيات في السواحل، الحمضيات لا تنمو بالرياح، إذاً تحتاج إلى مصدات رياح، طباع، هذا النبات هكذا، هذا النبات ينمو في إفريقيا يحتاج إلى حر شديد، رطوبة عالية، هذا النبات ينمو في الصحراء، أشواك، الشوكيات كلها صحراوية، هذا النبات قطبي، هناك نبات ينمو في قاع البحر، في الأنهار، هذه هي الفطرة.

## انحراف الفطرة وموتها:

كل مخلوق غير النواحي المادية طباعه، حاجاته، أطواره، تطوراته، هي الفطرة، فالإنسان مفطور على حبّ الكمال، فطرة، صفحة بيضاء، هكذا فُطر، مفطور على حبّ الإحسان، خُلِق ضعيفاً، خُلق عجولاً، خُلق هلوعاً، هذه فطرته قال تعالى: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ أما هذه الفطرة قد تنطمس، الشهوات أذا انغمس الإنسان

فيها تطمس الفطرة، هناك حالات نادرة، هناك وحوش بشرية، هناك امرأة في فرنسا لها ولد، أغلقت عليه البيت وسافرت إلى عند صديقتها إلى أن مات بعد أسبوعين جوعاً وعطشاً، أمه، هناك حالات نادرة، هذه تشوهت فطرتها، هناك إنسان دخل لبعض القرى ذبح امرأته وأولاده الخمس، هذه فطرة مُشوهة، هناك حالات نادرة جداً، الفطرة التي فطر الله الناس عليها تتشوه.

هذا موضوع الفطرة موضوع طويل، لكن الإنسان من دون تعقيدات ببنيته النفسية، بطبيعة خلقه، بطريقة خلقه، بفطرته التي فطره الله عليها مؤمن بالله، الأصل أنه مؤمن فإذا كفر أو إذا أنكر أو إذا ألحد اضطربت نفسه، واختلّ توازنه، وقست ردوده، وأصبح مريضاً، هناك أشخاص ليسوا في مستشفى المجانين لكنهم قريبون جداً من الجنون، أي عنيف إلى درجة يُطلّق امرأته لسببٍ تافه، هذا مجنون، يفصم الشركة مع شريكه لأتفه سبب، يقتل إنساناً لأن بقرته دخلت إلى أرضه وأكلت بعض الحشائش، هذه واقعة لكنها حالات نادرة.

## الإيمان الله عن طريق الدليل:

### 1- الكون بما فيه:

الآن القسم الثاني من الدرس؛ إذا تركنا الفطرة جانباً كان البحث العلمي بما فيه من استدلالٍ نظري واختبارٍ وتجربة سبيلاً إلى التعرف على حقيقة وجود الخالق جلّ وعلا، الآن دعونا من الفطرة، دعونا من الإحساس الفطري بوجود الله، وأوضح مثل له إذا ركب الإنسان المُلحد في باخرة أو طائرة، وشعر أن هذه الطائرة أو أن هذه الباخرة في خطر محقق، عندئذ انظر له ماذا يقول، هذا يقول بالإنكليزي: My God، هذا يقول: ilwhym، كل شخص يدعو الله بلغته ويرجوه ويتوسل إليه، استيقظت فطرته.

أول شيء هناك نقطة مهمة جداً في الموضوع؛ هذا الدين من عند الله، الله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء، هذه المجرات هذه الأرض والشمس والقمر والبحار والسماوات والأسماك والأطيار والنباتات والحيوانات، أي شيء مبني على علم بالغ، مثلاً البعوضة إذا وقعت على يد إنسان يقتلها، ولا يشعر بشيءٍ إطلاقاً، لا بتأنيب الضمير، ولا بوخز ضمير، ولا بشعور أنه قتل قتيلاً، ولا بأنه ارتكب إثماً، ولا بأنه ارتكب معصيةً، ولا بأنه أزهق نفساً من غير سبب، لتفاهتها على الخلق، ومع ذلك هذه البعوضة فيها جهاز رادار،

وفيها جهاز تحليل دم، وفيها جهاز تمييع دم، وفيها جهاز تخدير، وفيها جناح يرف أربعة آلاف رفه في الثانية، وفيها ثلاثة قلوب، وفيها محاجم، وفيها مخالب، وفيها ذكاء، البعوضة ذكية تختبئ وراء الستار، وراء السرير، إذا استيقظت وأشعلت المصباح أين هي هذه البعوضة؟ تعرف أنك غضبت منها، وأنك تهُمّ أن تقتلها تختبئ في مكانٍ لا تراها فيه، هذه البعوضة فيها علم.

الحوت ألا يوجد فيه علم؟ كم وزنه؟ مئة وثلاثون طناً، طوله ثلاثون إلى أربعين متراً، فيه خمسون طناً دهناً، خمسون طناً لحماً، ثلاثون طناً عظماً تقريباً، يخرج منه تسعون برميلاً زيتاً، إذا أراد أن يتناول وجبة خفيفة يأكل أربعة طن، يرضع صغيره ثلاثمئة كيلو حليب بالوجبة الواحدة، أي زجاجة إرضاع، ثلاث وجبات ألف كيلو، طن حليب، باليوم الواحد يرضع صغيره طن من الحليب، بلا علم مبني الحوت؟

العصفور ألا يوجد عنده علم؟ قرأت في مجلةٍ عن الطيران أن أعظم طائرة اخترعت حتى الآن وفيها كونكورد لا ترقى إلى مستوى الطير أبداً، الطير لا يوجد فيه علم؟ اركب طائرة الآن، أربعمئة راكب يجلسون، كأنهم في مدينة، أكل، شرب، حاجات، مقاعد وثيرة، على ارتفاع أربعين ألف قدم، الطيران في الليل، كم ساعة موجود أمام الطيار؟ الرادار قليل؟ الطائرة تُسيّر ذاتياً، تُرسم لها خطة، الطائرة ليس فيها علم؟ الطائر أعظم من الطائرة، فيه علم، البحار أليس فيها علم؟ هذه السحب، هذه الأمطار، هذه الجبال، هذه المعادن، أشباه المعادن، خصائص المعادن، الحقيقة إذا قلت: علم الله عز وجل، الفيزياء علم الله، أحياناً تجد كتاباً في آخره ثماني صفحات مراجع بخطّ صغير، يكونون ثمانمئة مرجع، فقط الفيزياء الكهربائية فقط، الكهرباء في الفيزياء، أو الصوت، أو الحرارة، أحياناً تجد الفيزياء النووية، الكيمياء الفيزيائية، الكيمياء العضوية، الكيمياء اللاعضوية، هذه علوم الله، الإنسان ماذا فعل؟ كشف، لم يفعل شيئاً، الفلك علم الله، الطب علم الله عز وجل، الحيوانات علم الله، الأسماك، الأطيار، كل شيءٍ اكتشفه العلم إنما هو من علم الله:

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**

**سورة الإسراء**

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)**

**سورة البقرة**

لو أنك ذهبت إلى مكتبة غنية يمكن أن تجد مئة ألف مجلد متعلقة فقط بهذا الجسم، تجد كتاباً ستة أجزاء عن القلب، أصغر حرف، كل جزء ثمانمئة صفحة عن القلب، والله تصفحت كتاباً عن القلب منذ يومين يحس الإنسان بدهشة، شيء من الصعب أن يفهمه، عن القلب، عن الرئتين، وعن الدماغ، وعن العضلات، وعن العظام، هذا علم الله، سؤال: هذا علم الله وهذا دين الله، أيعقل أن يكون دين الله فيه خطأ؟ فيه تناقض؟ فيه أشياء غير معقولة؟ مستحيل، هذا خلق الله وهذا دين الله، هذا خلق الله وهذا كلام الله.

## 2- العلم:

لابد من تناسبٍ بين خلق الله و بين كلام الله، دقة بالغة في كلامه، في تشريعه، في أنبيائه، في قرآنه، فالنقطة الدقيقة التي أُريد أن أقولها أن الحقيقة لا تخشى البحث أبداً، أي مهما تقدّم العلم بعد ألفي سنة، عام ألفين، عام خمسة آلاف، لن يكتشف العلم حقيقةً تُعَارض القرآن الكريم، مستحيل، لأن هذا كلامه وهذا خلقه، غير معقول، شيء من سابع المستحيلات أن يكتشف العلم شيئاً مناقضاً للدين، أبداً، كلما تقدّم العلم ازداد قُرباً من الدين.

التقيت مع طبيبٍ جراح، قال لي: كلما وجدت جرحاً إنتانياً مستعصياً شفاؤه أضع له العسل، قال لي: هكذا درسنا في بريطانيا، العسل يوضع في الجرح، في الجروح الإنتانية التي لا يرجى شفاؤها، قال لي: خلال يومين تكون منتهية، سبحان الله!

**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)**

**سورة النحل**

عندئذٍ أدركت أن العسل إلى أن يكون دواءً أقرب منه إلى أن يكون غذاءً، بل إن العسل كما وُصِف من قِبل بعض العلماء صيدلية كاملة، فالحقيقة لا تخشى البحث، لا تخف أن تقرأ مقالةً في مجلةٍ تنقض آيةً قرآنية، لن يكون هذا، لا تخف، لأن خالق الكون هذا كلامه، وليس يعقل أن يكون في كلامه شيء مناقض لخلقه، فالعنوان أعجبني: الحقيقة لا تخشى البحث.

أنت إذا كنت تُعَرّف الناس بالله قل لهم: اقرؤوا ما شئتم، اذهبوا أينما تشاؤون، ناقشوا من تشاؤون، يبقى الحق حقاً والباطل باطلاً، أخي يوجد مقالةٍ قرأتها لم أنم الليل، لماذا؟ قال: إنهم عرفوا نوع الجنين، هكذا بهذه البساطة، الحقيقة لا تخشى البحث، والله وجدنا جمجمة هي الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد معنى هذا أن نظرية داروين صحيحة، كله كلام فارغ، هذا الذي لا يقرأ مشكلته مشكلة، أخطر إنسانٍ في المجتمع هو نصف العالم، أخذ شهادة فظن نفسه عالماً، الجهل مفيد لأن صاحبه متواضع، يتعلم، والعلم مفيد، ولكن الشيء الخطر أن تتعلم شيئاً وتغيب عنك أشياء، أن تظن نفسك عالماً وأنت لست كذلك، قرأ في البكالوريا أن هناك نظرية داروين أن الإنسان أصله قرد فعلق ذلك بذهنه، الدين غيبي، خرافي، يقول: يوجد آدم بالدين، هنا الإنسان أصله قرد، أما أنا الآن والله من جديد بدأت أؤمن بهذه النظرية، لكن معكوسة، هذا الإنسان كان إنساناً صار قرداً، أي مسخ الآن، إذا كان الإنسان همه بطنه، وهمّه شهوته، وليس عنده أية قيمة، والله مُسخ قرداً، فأنا آمنت بها لكن مؤخراً بشكلٍ معكوس، كان إنساناً فأصبح قرداً.

فالحقيقة لا تخشى البحث، لا تخف ولو ذهبت إلى عواصم الكفر، ولو التقيت مع أكبر العلماء لا تخش على إيمانك، لا يوجد وقت للإفاضة بهذه الموضوعات، علماء كبار، من كبار الملاحدة حينما قرؤوا بعض آيات القرآن قالوا: هذا الكلام من فوق، من عند جهةٍ فوق الكون، واضح تماماً، العلم اكتشف الآن أن بلاد العرب كانت في القرون السحيقة بساتين وأنهاراً، كيف عرفوا ذلك؟ من المستحاثات، يوجد مدن بكاملها في الربع الخالي مدفونة تحت الرمال، جذوع أشجارٍ ضخمة، مستحاثات متحجرة، رسوبيات أنهار، والعلم أيضاً بحسب معطياته الحديثة يتنبأ أن خطوط المطر تنتقل إلى أن تغدو بلاد العرب بساتين وأنهاراً، العالم الجيولوجي الذي قرأ هذا الحديث الشريف أسلم على أثره، قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْمَالُ، وَيَفِيضَ، حَتَّى يَخْرُجَ الرَّجُلُ بِزَكَاةِ مَالِهِ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهَا مِنْهُ، **وَحَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا.**

**صحيح مسلم**

أي يوجد بالقرآن إشاراتٍ كلما تقدم العلم اكتشف بعضها، إلا أن الإمام علي كرّم الله وجهه قال: "**في القرآن الكريم آيات لم تفسر بعد**" العلم كلما تقدم يفسرها، إذاً هذه الملاحظة الحقيقة لا تخشى البحث، ديننا دين معقول، دين مبني على العلم، لأن الخالق عليم وهذا دينه، ففيه علم، فلا يظن أحدنا أنه إذا تناقش مع كافر فسينهار أمامه، بالعكس، لو أن لك إيماناً قوياً لا تخشى به أن تواجه أحداً على وجه الأرض.

## إذا تعارضت حقيقة من العلم مع القرآن كيف تفسر هذه الظاهرة؟

لكن يوجد ملاحظة، لو أنك واجهت حقيقةً أو واجهت شيئاً في العلم يُناقض شيئاً في الدين، كيف تفسر هذه الظاهرة؟ هناك ثلاثة تفسيرات:

### 1- أن يكون البحث العلمي تحت ضوء التجربة ولم يصل إلى الحقيقة:

الأول؛ إما أن البحث العلمي لم يصل إلى مرحلة الحقيقة، هناك نظرية، فنظرية داروين نظرية لم تنقلب إلى حقيقة، إذاً يمكن أن تُخالف هذه النظرية ما جاء في كتاب الله لأنها نظرية لم تثبت بعد، بل إن أهل العلم في أوروبا أنكروها وتجاوزوها والآن يسخرون ممن يتكلمون بها، فالذي يقول بها الآن أقول له كلمة واحدة: مع احترامي لك معلوماتك قديمة جداً، أهل العلم في أوروبا سخروا ممن يدّعيها، فإذا كان هناك تناقض بين العلم وبين الدين فلأن البحث العلمي لم يصل بعد إلى مرحلة الحقيقة بل بقي في حيز النظرية.

### 2- أن يكون المنقول عن الدين غير صحيح:

أو أن المنقول عن الدين غير صحيح، مثلاً هناك مئتا ألف حديث موضوع، لو أنك قرأت حديثاً موضوعاً بأي كتابٍ أو قرأت حديثاً ضعيفاً وناقض حقيقةً علميةً، لا نفعل شيئاً، هذا الحديث موضوع أو ضعيف، قد تكون نسبة هذه الحديث ليست صحيحة، فالحديث الموضوع قد يناقض العلم، إذا كان الحديث موضوعاً.

## 3- أن نسيء فهم الدين بحيث يتعارض الفهم مع العلم:

أو هناك شيء ثالث أنه وقع الإنسان في خطأ في تفسير الحديث، إما أن يكون الحديث موضوعاً، وإما أن نُسيء فهم الحديث، وإما أن تكون مرحلة البحث العلمي لا تزال في حيّز النظرية، هذه التفسيرات الثلاث التي يمكن أن تُفسر بها التناقضات أحياناً بين العلم والدين.

## لا يمكن أن يوجد تناقض بين العلم والدين مهما تقدم العلم واكتشافاته:

أما الحقائق المقطوع بها في الدين، والنتائج التي يتوصل إليها العلم بطرقه اليقينية القاطعة فإن بينهما تمام التوافق ولابدّ من أن يلتقيا على نقطةٍ من الحقيقة واحدة، ولأن الحق لا يتعدد قطعاً في الأمور الاعتقادية، ولا في الكائنات الثابتة، أي إذا أنت رسمت خطاً مستقيماً بين نقطتين، وأردت أن ترسم بين هاتين النقطتين خطاً مستقيماً ثانياً لابد من أن ينطبق على الأول تمام الانطباق، تصور نقطتين؛ الخط الأول رسمته، الثاني سيأتي فوقه تماماً، إذا كان أول خط هو العلم الثاني هو الدين لابد من تطابقٍ كامل، أما إذا كان أول خط لم يمس النقطة الثانية أي كان منحرفاً والخط الثاني مسّ النقطة الثانية تجد فرقاً بينهما، تجد أحدهما لم يمر من هاتين النقطتين.

## ينبغي على المسلم ألا يدافع عن الدين بنفي حقيقة علمية ثابتة فيه:

آخر الدرس، في عهد الغزالي هناك علماء درسوا وجدوا أن الكسوف والخسوف مبنيان على قاعدة وقانون، الآن يقول لك: بعد يوم ثلاثة وعشرين من الشهر الفلاني، الساعة الثامنة في الليل يُخسف القمر، هذا علم، يوجد دورة حول الأرض، ودورة حول القمر، إذا وقع القمر بين الأرض والشمس كان الكسوف، وإذا وقعت الأرض بين الشمس والقمر كان الخسوف، ففي عهد الغزالي اكتشف العلماء قانوناً للخسوف والكسوف فلما أذاعوا به قام عليهم رجال الدين واتهموهم بالزندقة والكفر، فجاء العالم الغزالي الباحث البحر المُنقّب فردّ عليهم وقال: "ومن ظن أن المناظرة في إبطال هذا العلم –معرفة الكسوف والخسوف–من الدين فقد جنى على الدين، وضعّف أمره، فإن هذه الأمور تقوم عليها براهين هندسية وحسابية لا تُبقي معها ريباً، فمن يطّلع عليها ويتحقق أدلّتها إذا قيل له إن هذا خلاف الشرع لم يرتب فيه وإنما يرتب في الشرع".

إذا قلت لشخص بأوروبا إن هناك عالماً في بعض البلاد الإسلامية يُنكر أن تكون الأرض كروية، هل يشك بعلمه أم يشك بالدين؟ يشك بالدين طبعاً، إذا قلت له: العالم الإسلامي الكبير يُنكر أن تكون الأرض كروية، مرة نشروا في مجلةٍ في جريدة ببعض الدول الأجنبية، كتبوا: فلان العالم الفلاني يقول: الأرض مسطحة في عام 1975، إذا قرأ الناس هذا الخبر بخطّ عريض وقد ذهبوا إلى القمر ورأوا الأرض بأم أعينهم كرةً، وصوّروها، والمجلات العلمية طافحة بصور الأرض وهي كرة، والأقمار الصناعية تُصور كل دقيقةٍ الأرض كرة، وهناك من رآها كرة، فإذا قرأت في مجلة أن العالم الفلاني يقول الأرض مسطحة هل تشك في الدين أم تشك في العلم؟ لا، لا أشك بالدين.

فالإمام الغزالي يقول: إن هذا الذي يطلّع على هذه الحقائق إن قيل له بجهل إنها خِلاف الشرع إنما يرتاب في الدين ولا يرتاب في هذه الحقائق، وعندئذٍ يكون كمن طعن في الدين، فلا تتسرع لأن العلم لا يناقض الدين أبداً، لا تنف شيئاً ثابتاً علمياً أنت دفاعاً عن الدين، الدين لا ينقضه، النبي عليه الصلاة والسلام لما توفي ابنه إبراهيم الصحابة لشدة فزعهم وحزنهم كسفت الشمس وقتها صدفة، فقال الصحابة: لقد كسفت الشمس لموت إبراهيم، فقال عليه الصلاة والسلام وهو العالم المُدقّق: عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم **إن الشمس والقمر لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته ولكنهما آيتان من آيات الله** فإذا رأيتموها فصلوا.

**صحيح البخاري**

ليس لها علاقة، هذه آية كونية، خسوفها آية، النقطة هنا مهمة جداً، لا تخش، لا تدافع عن الدين بردّ الحقائق العلمية الصحيحة، إن هذه الحقيقة تتوافق مع الدين، مثلاً : أنا أقول: إن هناك زلزالاً، الزلزال له تفسيرات، حركة بباطن الأرض، القشرة اهتزت، تفسيرها معقد جداً، وأنا أقول: الزلزال من الله عز وجل، هذا كلام صحيح، لا يمنع أن يكون للزلزال تفسيرٌ علمي جيولوجي وتفسير ديني، التفسيران يتوافقان، يتكاملان، أي هذا الزلزال سببه اضطراب الأرض، ومُسبب السبب هو الله عز وجل، قضية سهلة جداً، بالعكس رائعة، متكاملة، اضطراب القشرة الرضية سبب للزلزال، ومسبب هذا السبب ربّ السماوات والأرض، فإذا قلت: إن هذا الزلزال أصاب قريةً فأهلكها لأنها فاسدة، هذا كلام صحيح، هذا كلام ديني، وإذا قلت: إن الزلزال هو اضطراب في القشرة الأرضية وانزياح الطبقات عن بعضها، وتسرب بعض المائع الناري إلى الطبقات العليا، وخروجها من

بركان أيضاً صحيح، هذا العلم لا يتناقض مع الدين إطلاقاً بالعكس يلتقيان، يتكاملان، انطلاقاً من هذا إذا مرض للإنسان ولد عليه أن يأخذه إلى الطبيب، يشتري الدواء، يعطيه إياه، ثم يتوكل على رب الأرباب، اعقلها وتوكل:

**قال رجل: يا رسول الله أعقلها وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ قال: اعقلها وتوكل.**

**الترمذي عن أنس**

هذا هو الدين.

فلذلك اطمئنوا، لن تُكتشف حقيقةٌ علميةٌ حتى نهاية الحياة تُناقض ما في القرآن، لأن هذا القرآن كلامه، وهذا الكون خلقه، ولا يعقل أن يكون في كلامه تناقض أو في كلامه ما يُناقض خلقه.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 12-63: تتمة درس الإيمان بالله عن طريق الفطرة والأدلة

**بسم الله الرحمن الرحيم**

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## أدلة الإيمان بالله:

### 1- دليل الفطرة:

أيها الإخوة الأكارم؛ لازلنا في موضوع العقائد، ولازلنا في موضوع الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وقد بينت لكم في الدرس الماضي أن الأدلة على الإيمان بالله عز وجل نوعان؛ دليل فطري: أي أن الله سبحانه وتعالى فطر الأنفس على الإيمان به، فإذا آمنت استقرت واطمأنت وارتاحت وسعدت، وإذا كفرت اضطربت وضاقت عليها الأرض بما رحبت ومرضت وظهرت عليها أعراض الإعراض، الأعراض: الكِبر، والقسوة، واللؤم، والأنانية، والاستعلاء، هذه أعراض الإعراض، فإذا آمنت اطمأنت، إذا أعرضت اضطربت، قال تعالى:

**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا** وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124)

**سورة طه**

## قوانين تحكم الفطرة:

### 1. النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها:

قيل: ما بال الملوك والأغنياء؟ فأجاب المفسرون: المعيشة الضنك ضيق القلب، هذا البرهان الفطري، الإنسان بالفطرة مؤمن بالله.

البارحة بدرس السبت الذي يُعقد بعد العشاء سألت الإخوة الأكارم سؤالاً إبداعياً، قلت لهم: ابحثوا لي عن بعض القوانين التي تحكم النفس؟ أنا قلت واحداً في الدرس الماضي أن النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها، أية نفس، أي إنسان، أي مخلوق من أي جنس، من أي عرق، من أي لون، من أي بيئة، هذه النفوس جُبِلت على حبّ من أحسن إليها، قيل: بالبر يُستعبد الحر، عجبت لمن يشتري العبيد بماله ليُعتقهم، لِمَ لا يشتري الأحرار بمعروفه؟ المعروف آسر، هذا قانون أن النفوس جُبِلت على حب من أحسن إليها، أي إذا أردت أن يحبك الناس أحسن إليهم، إذا أردت أن تُوَجه الناس أحسن إليهم قبل أن توجههم، فإذا أحسنت إليهم قبل أن توجههم وقع توجيهك في قلوبهم كوقع السحر، فإذا أسأت إليهم ثم وجهتهم كرهوا هذا التوجيه ولو أنه على حق، أي الزوج القاسي على زوجته لو أمرها بالصلاة، لو أمرها بالاستقامة إنها تكره الصلاة من أجله، من أجل بخله، إنها تكره الصلاة من أجل قسوته في كلامه معها، هذا القانون مهم جداً، إذا أردت أن يُحبك الناس فأحسن إليهم، إذا أردت أن يحبك أولادك فأحسن إليهم، يا بني أنا نشأت عصامياً، الأب مقتدر، وأحواله المادية جيدة جداً، وابنه يتألم لا يجد بيتاً، ولا يجد جداراً، لا يوجد معه مهر، لا يوجد معه، أنا نشأت عصامي، يا أخي وقتك غير وقته، وقتك كان مليون بيت للأجرة موجودين، الآن لا يوجد أي بيت للأجرة، تريد ابنك يحبك؟ أحسن إليه، تريد أن يحبك خادمك؟ أحسن إليه، تريد أنت كرئيس دائرة أن يحبك الموظف؟ أكرمه، يا داود ذكّر عبادي بإحساني إليهم فإنَّ النفوس جُبلت على حُبّ من أحسن إليها، أتحب أن تُوَجه الناس إلى الله؟ أحسن لهم قبل أن تُوَجههم، لذلك قيل: بُعثت بمداراة الناس، رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس، هذا قانون.

## 2- النفس تستعظم من فاقها في صفة هي فيها:

هناك قانون آخر؛ النفس تستعظم من فاقها في صفة هي فيها، أي من يُعَظِّم الطبيب الجرّاح؟ الطبيب، من يُعَظّم التاجر الكبير؟ التاجر الصغير، من يُعَظّم العالِم؟ من كان في درب العلم، لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل، هذا قانون ثان، أي إذا أردت أن تسيطر في بيتك فكن أفضل من زوجتك، قاعدة، قال تعالى:

**الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا (34)**

**سورة النساء**

أي لن تخضع لك الزوجة إلا إذا فقتها، في الورع، في التقى، في الكمال، في العلم، في الفهم، في الذوق، فإذا كنت أقل منها لن تخضع لك، أي عمل قيادي، لو أنك مدير مدرسة إن لم يكن علمك يغطي كل من عندك من المعلمين لن تستطيع أن تقودهم، مدير مستشفى إن لم يكن علمك يفوق كل علم الأطباء الذين عندك لن تستطيع أن تقودهم، النفس لا تخضع إلا لمن فاقها، في موضوع ما ، بالعلم أو بالخبرة أو بالتجارة أو فيما شاكل ذلك، إذاً هذا قانون ثان، هذه كلها أشياء فطرية.

## 2- الدليل العقلي الذي يحتاجه العالم كأداة له في حواره مع الآخرين:

تحدثنا عن بعض الأدلة كمنعكس المص، هذا المنعكس فطري مئة بالمئة، وحبّ الأم لابنها فطري، اندفاع الناس لكسب الرزق شيء فطري، وقلنا إن الفطرة تشبه المرآة مرآة صافية، تعكس الحقيقة، فإذا أصابها الهباب والدخان والفحم حتى انطمست عندئذ نحتاج إلى الدليل العقلي، لكن قلت البارحة: الدليل العقلي يحتاجه الداعية إلى الله، العابد قد يكتفي بالدليل الفطري، مطمئن إلى وجود الله وإلى أسمائه الحسنى، العابد يكفيه الدليل الفطري، لكن العالم لا يكفيه الدليل الفطري، لا لنفسه ولكن للآخرين، كيف يُعَلمهم؟ كيف يرد على شُبُهاتهم؟ كيف ينهض بهم؟ كيف يصلح أحوالهم؟ العلم هو الأساس، إن الله عالم يحبُ كل عالم، لَعالم واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد، إذا أردت الدنيا فعليك بالعلم، وإذا أردت الآخرة فعليك بالعلم، وإذا أردتهما معاً فعليك بالعلم.

## كيف نرد على الشبهات حول مسألة وجود الله؟

النقطة الأولى أنّا الآن نحن بحاجة إلى دليل عقلي لوجود الله لسببين؛ إما لأن الفطرة قد انطمست معالمها، الشهوات والمشاغل، والشبهات والنظريات الهدّامة، والمذاهب الوضعية، والمذاهب الإلحادية في

الأرض، هذا كله طمس دليل الفطرة، إذاً نحن بحاجة ماسة إلى دليل العقل، أو أنك إذا أردت أن تُعَلّم الناس الإحساس الفطري لا يَصلُح للنقل، الدليل: أنت تحس بالجوع تقول لإنسان: أنا جائع، يقول لك: ما الدليل؟ لا يوجد معه دليل، والله جائع، والله أكاد أموت جوعاً، يقول لك: هات لي الدليل العقلي؟ لا يوجد دليل، الإحساس الفطري لا يُنقل، هذه مشكلته، هو مريح وسهل لكن لا يُنقل للآخرين، الإحساس الفطري لا يعرفه إلا صاحبه، فإذا أردت أن تنقل للناس إيمانك بالله أنت بحاجة إلى الدليل العقلي، إذاً طلب العلم فريضة، لابدّ من أن تعرف الله بالفطرة وبالعقل، لأنك بالعقل تُقيم الحجة، قد يسألك طفلك في الصف السابع: يا بابا ما الدليل على وجود الله؟ أنت تصلي وتصوم وتحج إن لم تملك الجواب المناسب فإن ابنك يتزلزل، أنت بحاجة ماسة إلى الدليل العقلي.

## ينبغي على المؤمن الذي توصل إلى الحقيقة ألا يخشى مجادلة الآخرين له:

ولكن وأنا في طريقي إليكم جاءتني خواطر أنني حينما أبحث معكم أيها الإخوة الأكارم الأدلة العقلية على وجود الله كمن اشترى بيتاً، وسكن فيه، ثم يبحث عن الدليل عن أن هذا الذي يسكنه بيت، وأن هذا البيت بيته، أي أنتم تجاوزتم هذا الموضوع، هذا الذي عرف الله، واستقام على أمره، وأقبل عليه، وأحسّ بوجوده، وسعد بقربه، وتجلى الله على قلبه، ورأى من الله معاملة تأخذ بالألباب، هذا الإنسان عرف الله، حينما أقيم له الدليل على وجوده كأني أرجع به إلى الوراء، طالب بالجامعة في السنة الثانية من الجامعة ، فرع اللغة العربية، أقول له: الكلمة اسم وفعل وحرف، هذا مستوى الصف الرابع الابتدائي، تجاوز هذا، ومع ذلك لابد من متابعة الموضوع أولاً بأول ومرحلة مرحلة وباباً باباً.

أتمنى عليكم هذه الفكرة الأساسية أن الحقيقة لا تخشى البحث، أي إيمانك يجب أن يكون خاضعاً للتداول، لو عرضته على إنسان ملحد يجب أن تُقيم عليه الحجة، لن يظهر في المستقبل ولا إلى يوم القيامة حقيقة علمية تُناقض آية قرآنية، هذا دين الله، الحقيقة لا تخشى البحث، أي أنت إذا حللت مسألة رياضية حلاً صحيحاً، وفق القوانين المستخرجة من المُسَلّمات، لا تخشى أن يطلّع أحد على هذه الورقة، يطّلع، أما إذا كان بالحل تدليس، رقم ليس له أصل، يوجد خطأ بالجمع، جاء الجواب صدفة موافق للمعطيات، هذا الحل لا ترغب أن تَعْرِض هذه الورقة على إنسان، أخي أنا نجحت ومزقت الورقة، وانتهى الأمر، أخذت العلامة التي تريدها

وليس راغباً أن يطّلع أحد على هذا الحل أن فيه أخطاء، فيه تدليس، فيه صدف، الحل فيه تزوير، من الذي لا يخشى أن يطّلع أحد على مسألته؟ من كان واثقاً بصحتها، مثلاً: تقول أنت في التعليمات أن هذا شراب برتقال طبيعي، ثم منكهات، هذا الذي قدم البرتقال الطبيعي لا يخشى التحليل، لكن الذي وضع منكهات البرتقال مع حموض كيماوية وقال: عصير طبيعي، هذا يخشى أن تؤخذ عينة من هذا الشراب إلى التحليل، لأن التحليل سوق يفضحه، سوف يخزيه، أنت يجب أن تتأكد أنك على حق، والحق لا يخشى البحث.

## الدين الذي يُبنى على العادات والموروثات البيئية البعيدة عن ضوء العلم يذل معتنقه:

لا يوجد عندنا نحن شيء مضمر، الدين واضح، لا يوجد عندنا مجالس مغلقة، الأبواب مفتحة، تفضل اسمع،لا يوجد عندنا شيء نضمره ولا نُظهره، معنى هذا ليس ديناً، هذا ليس دين الله عز وجل دين الله لا يخشى البحث، لا يخشى الاطّلاع، ليطّلع عليه كل الناس، ليطّلع عليه أعداء الإسلام، دين الله حق، صدق، وضوح، إشراق مئة بالمئة، الحقيقة لا تخشى البحث، لا يوجد عندنا شيء بالإسلام غير قابل للتداول، كل حقائقه قابلة للتداول، كل حقائقه قابلة للنشر، كل حقائقه مُعدة للتصدير.

مثلاً الدين البوذي، البقرة إله، البقرة مقدسة، روث البقر، هذا إذا سافر أحدهم إلى أوروبا وهو هندي يستحيي أن يعرض ديانته على الناس هناك، يستحيي لأنها غير منطقية، فيها خرافة، فيها نجاسة، فيها وهم، فيها ضلال، إنسان يأخذ روث البقر النجس ويضعه على جبينه بأيام الأعياد، بقرة تقطع الطريق ثلاث ساعات، تدخل البقرة إلى حانوت البقّال تأكل ما لذّ وطاب والشعب جياع، البقرة تدفن دفناً بمراسم مقدسة والإنسان يُحرق حرقاً! إذا إنسان له دين بوذي وذهب إلى أوروبا يستحيي أن يعرض دينه على هؤلاء، لكن المسلم في أي مكان، في أي زمان، في أي عصر، في أي مصر، في أي إقليم، في أي ظرف، مع أي إنسان، دين الله حق، صدق، واضح، لذلك هذه الفكرة أتمنى أن تكون عندكم واضحة، الحق لا يخشى البحث، لأنك لو بحثت عنه لآمنت به، لو حللته لازددت به إيماناً، هذا الحق، أما الباطل فتخشى أن يسألك الناس عن هذا الموضوع، لأن فيه إحراجاً، فيه مواقف محرجة، هذه النقطة دقيقة، قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو السُّلَمِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ الْعِرْبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ **قَالَ: قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى**

**الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إلا هَالِكٌ**، وَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ.

**صحيح ابن ماجه**

## الفرق بين دين الإسلام وبين الديانات الأرضية عند البحث والتدقيق العلمي:

أكبر غلطة يرتكبها المسلمون هي أنهم حينما يقرؤون في كتب الغربيين هجوماً على الديانة النصرانية، يظنون أن ما ينطبق على الدين النصراني ينطبق على الدين الإسلامي، لا، هنا حق، هنا صدق، هنا وضوح، أما أن يبيع رجل الدين قِطعاً في الجنة بصكوك يوقعها هو، هذه من قال بها؟ هذه غير مقبولة، يقول لك: خذوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم، من قال لك: إنني أستطيع أن أستمع إلى إنسان لا يطبق ما يقول؟ هذا الذي لا يُطبق ما يقول ساقط في نظري، وانتهى الأمر، إذاً خذوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم هذه مرفوضة، غير منطقية، يا أيها الرجل الذي تعظنا إذا كنت أنت لست قادراً على أن تطبق ما تقول نحن أكثر ضعفاً منك، أنت الفهمان، القدوة، تخالف كلامك، أنا أطبقه؟ لا أطبقه، مستحيل، هذه المقولة غلط.

مقولة ثانية؛ الإيمان فوق العقل، لأن العقل منطقي أما يوجد أشياء بالإيمان غير منطقية، فقالوا: الإيمان فوق العقل، هذه ليست صحيحة، هذه الطروحات لا تقف على قدميها في المناقشة، هذه الأفكار مرفوضة، غير مقبولة، لذلك في بعض الأديان تخشى البحث، على المناقشة والبحث والتمحيص والتدقيق والتحليل تنهار، بعض المذاهب في البحث والتحليل والتنقيب والدراسة والسؤال والجواب تنهار، لكن الإسلام لأنه دين الله، خالق الكون وهذا دينه، كيف أن الكون مبني على علم دقيقٍ دقيق كذلك الدين مبني على علم دقيق دقيق، لذلك إذا الإنسان مسلم، وإيمانه صحيح، وإيمانه جيد لا يخشى البحث، اعرض إيمانك على الناس كلهم من يقل بالإسلام لا يوجد شيء يقال وشيء لا يقال، كل شيء في الإسلام يقال، لا يوجد شيء مضمور، الحقيقة لا تخشى البحث، الحق لا يخشى البحث، اعرضه على أي الناس، هذا الذي جعل بعض كبار المفكرين في فرنسا يؤمنون بالله وبالإسلام، ويسلمون، هذا الذي جعل أعداء الدين أحياناً يسلمون، لأنهم إنما يخضعون للحق.

مايكل هارت هذا نذر على نفسه أن يقرأ تاريخ زعماء العالم قاطبةً، أراد أن يختار من هؤلاء الزعماء مئة، نخبة النخبة، ورتبهم بحسب خمسة مقاييس؛ قوة التأثير، واتساع رقعة التأثير، وامتداد زمن التأثير، فكان النبي عليه الصلاة والسلام في مقدمة هؤلاء لأسباب موضوعية بحتة، هو ليس مسلماً لكنه اضطر وفق مقاييسه أن يجعل النبي عليه الصلاة والسلام في رأس المئة الأوائل، لكنني علقت على هذا الكتاب، هو اختار مقياس قوة التأثير، واتساع رقعة التأثير، وامتداد زمن التأثير، لكنه لو أضاف إلى هذه المقاييس الثلاث نوع التأثير لحذف من هؤلاء المئة سبعين، هتلر رقمه اثنان وخمسون مثلاً من عظماء العالم، خلّف مأساة يزيد عدد المصابين فيها عن خمسين مليون قتيل، عمل حرب عالمية ثانية كانت النتيجة خمسين مليون قتيل، وكل قتيل يوجد وراءه خمسة أي مئتان وخمسون مليون منكوب في العالم، يجب أن يجعل المقياس عمق التأثير، واتساع رقعة التأثير، وامتداد التأثير، ونوع التأثير، يوجد نوع إيجابي، نافع، وهناك نوع ضار، إذا شخص ارتكب جريمة شنعاء في البلد، وفي اليوم التالي نشرت الصحف هذه الجريمة، يقفز ويشتهر، هل هذه الشهرة إيجابية أم سلبية؟ سلبية، هل هذه الشهرة مشكورة؟ لا، مذمومة، هل هذه الشهرة مقياس للعظمة؟ لا والله، مقياس للجريمة هذه الشهرة، فلذلك الحقيقة لا تخشى البحث، في الكون مبدأ واحد وهو الحق، إن كنت معه فهنيئاً لك، وإن كنت على خلافه فالويل لك، من لم يكن مؤمناً حقاً فهو كافر حقاً، لا يوجد حلّ وسط.

## الباطل لا أثر له في الوجود مهما تنوعت أساليبه:

الاعتقاد، الباطل أنواع، أنا أعتقد أكثر من مليون باطل يوجد بالأرض، الباطل الاعتقادي أنواع، يقول لك: النظرية الذرائعية، باطل، أي أن تصل إلى أي هدف بأية وسيلة، ولو كانت ساقطة، مثلاً؛ امرأة مضطرة إلى دخل كبير باعت شرفها، هذه وفق النظرية الذرائعية عملها صحيح، إنها توصلت إلى هدفها، بصرف النظر عن نوع الوسيلة، هذه نظرية باطلة، والنظرية الإلحادية باطلة، والنظرية الوجودية باطلة، أي أنت يجب أن تعيش لحظة وجودك.

شخص واقف في مكان ما، وجد أمامه طعاماً نفيساً ليس له فأكله، استطاع أن يروي شهوته من أي طريق، بأي ثمن، بالحق، بالباطل، بالخير، بالشر، يجوز، لا يجوز، مسموح، غير مسموح، هذا الشيء تقره الأديان، لا تُقِره، زنا، زواج، لا، هذا الذي يقتنص اللذة من أية طريق هذا وجودي، فالوجودية باطلة،

والذرائعية باطلة، الوصول للهدف بأية وسيلة، باطلة، وإنكار الوجود باطل، واعتبار الإنسان كتلة جنس فقط كما يقول فرويد باطلة، والإنسان اقتصادي فقط باطلة، والإنسان اجتماعي فقط باطلة، فالباطل الاعتقادي مليون نوع، والباطل السلوكي مليار، مليون نادٍ من النوادي في العالم كلها مبنية على الباطل، لكن كل هذه الأنواع من الباطل تجمعها صفة واحدة، عندما ربنا يصف يحير العقول، وصفه جامع مانع قال:

**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ** إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)

**سورة الإسراء**

كل أنواع الباطل الاعتقادية والسلوكية والاجتماعية، الباطل في العادات، الباطل في التقاليد، مثلاً إذا كنت أنت إنساناً متمدناً راقياً، متطوراً، تفكيرك مفتوح، كنت بسهرةٍ وصار هناك رقص يجب أن تعير زوجتك لصديقك، وتستعير زوجته ترقص معها، هذا باطل، هذا ليس عقيدة، هذا سلوك، سلوك باطل، ويجب أن تفعل أشياء لا ترضي لا الذوق العام ولا الله عز وجل، فربنا عز وجل جمع كل أنواع الباطل الاعتقادي والسلوكي، باطل العادات، باطل التقاليد، باطل النظم الوضعية، باطل التشريعات الوضعية، قال: **﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾.**

## نموذج من الصحابة الذين اتبعوا الحق وبين معارضيه الذين اتبعوا الباطل:

هنيئاً لمن كان مع الحق لأنه مع الثوابت، التعامل مع الله عزّ وجل مريح جداً، فتعاملك مع الله هو تعامل مع قيم ثابتة، وعده مئة بالمئة، أحياناً الإنسان يفاجئك يقول لك: ما وعدتني؟ أنا بنيت على وعدك بعت بيتي من أجل وعدك، تقول له: والله ما قدرت، أو أن إنساناً ينقلب عليك فجأة من صديق إلى عدو، فالتعامل مع الأشخاص خطر، فيه مقامرة وفيه مغامرة، لكن التعامل مع الله عزّ وجل فيه طمأنينة:

**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ** وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ **فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)**

**سورة التوبة**

خطر في بالي مثل البارحة وفق القرآن؛ هذا أبو لهب وأبو جهل هما زعيما الكفر في مكة المكرمة، مضى على موتهم ألف وأربعمئة عام، والعام ثلاثمئة وخمسة وستون يوماً، فربنا عزّ وجل قال:

النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)

**سورة غافر**

اضرب ألف وأربعمئة ضرب ثلاثمئة وخمسة وستين ضرب اثنين، ﴿غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ خذ الرقم والخير للأمام، ولا نزال في الدنيا، ولم تَقُم بعد يوم القيامة، خُذ سيدنا الصّدّيق، سيدنا عمر، هؤلاء الصحابة الكرام، القبر روضة من رياض الجنة، اذهب إلى قبر النبي عليه الصلاة والسلام ثم قل أنت: لماذا أنا سعيد؟ لماذا أنا مغموس في سعادة لا توصف؟ لأنك شارفت بعض حضرته الثنية، أي روائح، أي أنت وقفت أمام المقام لاشك أن هذه النفس الطاهرة فاحت عليك روائحها الطيبة، كيف أصحابه الذين افتدوه بأرواحهم؟

## الحق واحد لا يتعدد من أجل ذلك لا يخشى البحث:

إذاً أيها الإخوة؛ الحقيقة لا تخشى البحث، أنت فقط آمن الإيمان الصحيح، لا يوجد إنسان، قرأت كلمة لأينشتاين هذا الذي اكتشف أخطر نظرية في الفيزياء، النظرية النسبية، هذه النظرية معقدة جداً، مؤداها أن الشيء إذا سار بسرعة الضوء صار ضوءاً، والضوء شيء حجمه لا نهائي، وكتلته صفر، هذه النظرية تقول: إنك إذا سرت مع الضوء أصبحت ضوءاً فإذا سبقت الضوء تراجع الزمن، هذا الدرس، أنتم أجسام عاكسة للضوء، هذه الإضاءة، يخرج منا موجات ضوئية للفضاء الخارجي، لو تمكّن واحد من البشر أن يسير مع هذه الموجات، لو سار معها مليون سنة، هذا المنظر هو هو لا يتغير، هذه الصورة بُثت للفضاء، وسار مع هذه الصورة، الصورة تبقى مستمرة، فإذا سار الإنسان مع الضوء توقف الزمن، فإذا سبق الضوء رأى من كان قبلنا في هذا المكان، قبل أن يُبنى هذا المسجد ماذا كان فيه؟ لذلك يوجد نظريات تبدو نوعاً من الخيال، لو تمكّن الإنسان أن يطير إلى الفضاء الخارجي بسرعة تفوق سرعة الضوء، وتمكّن أن يلتقط الموجات الضوئية التي أرسلتها الأرض يمكنه أن يرى موقعة القادسية، وموقعة بدر، وموقعة الخندق، إذا الإنسان سار أسرع من الضوء يتراجع الزمن نحو الوراء، فإذا سار مع الضوء توقف الزمن، فإذا قصّر عن الضوء تراخى الزمن، شيء معقد جداً، هذا العالم الكبير الفيزيائي يقول: كل إنسان لا يرى في هذا الكون قوة هي أقوى ما تكون، عليمة هي أعلم ما تكون، حكيمة هي أحكم ما تكون، رحيمة هي أرحم ما تكون، هو إنسان حيّ ولكنه ميت.

والله الذي لا إله إلا هو لو انخلع الإنسان من إيمانه لأصبح كالبهيمة، وبعضهم قال: لولا العلماء لأصبح الناس كالبهائم، هناك كل إنسان يعاملك كأنه بهيمة، فظاظة على تلبّد بالحس، على تجاوز لقدره، على أنانية، على إساءة مقصودة وغير مقصودة، على شعور بالفوق، فالحقيقة لا تخشى البحث، الحق لا يخشى البحث.

مثلاً إذا قلت: الأرض كروية، هل تخشى بهذه المقولة أحداً؟ مصورة، صوّرت ورآها الناس بأم أعينهم كرة، هل تخشى أن تقول لعالم في دولة أجنبية أخي الأرض كروية ولا تقل لأحد؟ هذه حقيقة صارخة، هذه مسلّم بها، بديهية، يجب أن يصل إيمانك بالإسلام إلى مستوى إيمانك بأن الأرض كرة، هذه الحقيقة صارخة، مُسلّم بها، مقطوع بصحتها، لا تخشى البحث، لا تخف، قل: الأرض كرة، الذي يقول الأرض مسطحة، الآن في عام ستة وثمانين هناك علماء يُصرون على أن الأرض مسطحة، منبسطة، هل تخشى أفكارهم البحث؟ تخشى، نُقِلت بعض أفكارهم في صحف أجنبية فما كان من قُراء هذه الصحف إلا أنهم سخروا، إذا قال الإنسان: الأرض مسطحة، منبسطة، هذا ليس حقاً بل باطلاً، والباطل يخشى البحث لأنه مع البحث يسقط.

إذا كان لدينا قطعة ذهب مطلية بماء الذهب وهي تنك، هذه القطعة هل تخشى الحك؟ طبعاً، إياك، يوجد ألماس أمريكي، ألماس صناعي، قريب جداً جداً من الألماس الطبيعي، لكن هذا الخاتم يلبس فقط في المناسبات، أما لو أن المرأة استعملته بالجلي، هذا البريق يخف، فهذا الخاتم الذي فيه ألماس مزور يخشى الاستعمال، لأنه على الاستعمال ينكشف، أما الألماس الطبيعي هل يخشى الاستعمال؟ لا يخشى، الذهب الطبيعي لا يخشى، أخي حكه حكه لا تخاف، هذه نقطة دقيقة، الحقيقة لا تخشى البحث، أكثرت من الحديث عنها لأنني أحب أن تكون عندكم الفكرة واضحة، إذا كنت على حق لا تخف، لا تخف ورب الكعبة.

## سعة صدر الإنسان للنقاش المنصف البريء:

العنوان الذي بعده: سعة صدر الإنسان للنقاش المنصف البريء، ربنا عزّ وجل قال:

**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ** وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)

**سورة سبأ**

انظر إلى هذا الطرح الموضوعي، أي الحق واحد، إما نحن على الحق وأنتم على الباطل، أو أنتم على الحق ونحن على الباطل، والمناقشة بيننا، مرة كان لي عمل إداري بالتعليم فكان الموظفون الذين معي لي معهم كلمة مشهورة، إما أن أقنعك أو أن تقنعني، العلاقة علمية، الحق رائدنا جميعاً، أعطيك أمراً إما أن تقنعني أنه خطأ فأتراجع عنه أو أن أقنعك أنه صحيح فيجب أن تأخذ به بالدقة والتمام، ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْفِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ لا يوجد حلّ ثالث، إما على الحق وإما على الباطل، لأن الحق واحد، لا يوجد حقان، هناك قاضٍ جاءه متخاصمان، تكلم الأول كلاماً منطقياً قال له: الحق معك، ثم تكلم الثاني فقال له أيضاً: معك حق شيء منطقي، يظهر أن زوجته كانت معه فقالت له: يا فلان ما هذا الحكم؟ قال لها: والله معك حق أنت أيضاً، كم حق؟ صاروا ثلاثة، الحق واحد، إما معي وإما معك، ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ انظر إلى هذه الموضوعية، ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾.

## بعض الإرشادات والتوجيهات للداعي إلى الله:

### 1- ينبغي لحامل الرسالة أن يكون كلامه ليناً سهلاً بعيداً عن القسوة والفظاظة:

الآية الثانية:

**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)**

**سورة النحل**

لو أن الحق معك لا تكن فظاً بنقل الحق، كن لطيفاً، ليس القصد أن تُحطمه، القصد أن تأخذ بيده، ليس القصد أن تُشَهر بجهله، القصد أن تُعلمه، لذلك حتى لو دعوت إلى الحق يجب أن تدعو إليه باللطف والإحسان، ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾.

ربنا عزّ وجل قال:

**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**

**سورة آل عمران**

انقل الإنسان نقلة نقلة، تعطيه قائمة بكل المحرمات دفعة واحدة وهو واقع فيها كلها؟ يراها صعبة لا أريد هذا الدين، عرفه بالله أولاً، اتركه هو ومعاصيه، تكلم له واحدة فقط، أي من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف.

## 2- على حامل الرسالة أن يكون متمتعاً بالعلم والذكاء والحكمة:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (8)

**سورة الحج**

لا يوجد عنده علم، ولا يوجد عنده قلب مستنير، ولا يوجد عنده فهم لكتاب الله واضح، والله شيء جميل، آية رائعة، إما أن تكون عالماً، أو أن تكون ذا قلب مستنير، أو أن تملك تفسيراً صحيحاً لكتاب الله، ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ إذا أردت أن تجادل فبالعلم أو بالهدى أو بالكتاب المنير، وإذا أردت أن تجادل فبالتي هي أحسن.

## 3- ألا يبين للمعرض أثناء الحوار أنه على باطل وهو على حق وإنما يتبع الحجة والبرهان

إذا أردت أن تجادل لا تقل: أنا على حق وأنت على باطل، يقول لك: لا، أنا على حق، يا أخي إما أنا أو أنت على خطأ، أو أنا أو أنت على صح، دعنا نتناقش، آداب المجادلة، ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي**﴾ افرض نفسك أنت على باطل، أو على حق، أخي نحن رائدنا المنطق، رائدنا الحقيقة، رائدنا الدليل العقلي، الدليل النقلي، رائدنا البيّنة، البرهان هذا رائدنا، فأنا سأطرح فكرة إما أن تثبتها أنت أو أن ترفضها، هذا أول أدب.

لا تقل: أنا على حق وأنت على باطل، الأدب الثاني: بالحكمة والموعظة الحسنة، دخل رجل لعند ملك فقال له: سأعظك وأغلظ عليك؟ قال له: ولِمَ الغلظة يا أخي؟ إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني، أرسل موسى إلى فرعون، أنت مثل موسى؟ هل أنت نبي؟  هل أنا مثل فرعون؟ لا أقل، إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شرّ مني، أرسل موسى إلى فرعون، فقال له:

**فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى (44)**

**سورة طه**

ليناً لا تحتاج إلى غلظة، تحتاج إلى نعومة، تحتاج إلى رقة، ﴿**وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾ النبي صلى الله عليه وسلم زار صحابياً في ظاهر المدينة، فلما جلس النبي الكريم هناك صحابي سأل عنه اسمه مالك بن الدخيشن، قال: أين مالك؟ فقال رجل: نافق مالك، هذا منافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا، ما معنى لا؟ ليس منافقاً، هو فعلاً منافق، قال له الثاني: إنه يُبغض الله ورسوله، قال له: لا، قال له: إن حديثه في المنافقين؟  قال له: لا، ما معنى لا؟ إذا قال النبي: ليس منافقاً وهو منافق، شك أصحابه بتقييمه، وإذا سكت، معنى ذلك أنه أقرهم على تقييمهم، فلو بلغ هذا المنافق أنه سكت فسكوته إقرار، قطعه عنه، قال: لا، يفهمها أصحابه لا تقولوا هذا الكلام، ويفهمها مالك بن الدخيشن أنه ليس منافقاً، وفعلاً بعد فترة عاد إلى النبي وحَسُن إسلامه وتاب إليه، هناك لطف، قال: لا، لو قال: فعلاً منافق، لو سكت أو لو قال: ليس منافقاً، هو يعرف نفسه أنه منافق، كلمة لا تحتمل أنه ليس منافقاً، وتحتمل أنه لا تقولوا ذلك، ثم قال: لا إله إلا الله بحقها دخل الجنة، هذه ليس له علاقة بها، كأنه أوهمهم أنه يقول لا إله إلا الله، شيء لطيف جداً.

أولاً: لا تفرض نفسك على حق أمام المناقش، قل له: أخي الحق رائدنا، أنا على حق أو أنت، أنا على باطل أو أنت، ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾.

الشيء الثاني: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾.

والشيء الثالث: ﴿**وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتَابٍ مُنِيرٍ**﴾ أنت بحاجة ماسة إلى علم وإلى هدىً وإلى كتاب منير.

## البحث العلمي يفضي بصاحبه إلى الإيمان بالله:

الآن البحث العلمي الصرف يُفضي إلى الإيمان بالله، أي إذا كان هناك إنسان لم يخطر في باله أن يؤمن بالله عزّ وجل، الإيمان بالله خارج اهتمامه، مثلاً يحضّر دكتوراه في الطب في دولة أجنبية، عندما يُطالع هذه الحقائق العلمية المذهلة يجد نفسه بشكل لا شعوري وهو يؤمن بالله العظيم، فالحقيقة وحدها تنقلك إلى الإيمان بالله شئت أم أبيت، أحببت أم كرهت، هذا ما قاله سفيان الثوري: طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله، أي إذا درس إنسان الإسلام حتى يرد عليه يعلق فيسلم، إذا درسه من أجل أن يرد عليه، من أجل أن يكشف التناقضات فيه إذا درسه يؤمن، وهذا ما حصل لكبار أعداء الإسلام، كيف أسلموا؟ درسوه ليردوا عليه لأنه حق انصاعوا له.

العنوان الذي بعده: البحث العلمي المجرد يوصل إلى الإيمان بالله، شيء طبيعي، الدليل:

**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)**

**سورة آل عمران**

من الذي شهد؟ الله، ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ**﴾ أي أولو العلم يشهدون أنه لا إله إلا الله وأنه قائم بالقسط، شيء طبيعي.

## لا يخشى الله إلا العلماء الراسخين في العلم:

**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)**

**سورة فاطر**

هنا أدق، هنا العلماء ينقلهم علمهم لا إلى الإيمان بالله فقط بل إلى خشيته، أي إذا أحدهم عرف أن هذا مفاعل نووي، وله إشعاعات قاتلة، فإذا عرف أن هذا المفاعل خطر هل يعتقد أنه خطير ويقف أمامه أم يبتعد؟ يبتعد، إذا عرف أخطار هذا المفاعل، وهذا الإشعاع النووي لا يكتفي أن يعرف بل معرفته تحمله على أن يبتعد، هناك أدوية زراعية خطرة جداً، البائع لا يُسمَح له أن يبيعها إلا بعد أن يأخذ تصريحاً خطياً من

الشاري بحسن استخدامه، هناك رجل اشترى هذا المبيد وحله بوعاء، ورشّ به الشجر، وغسل الوعاء خمسة وجوه وطبخ فيه وأكل هو وزوجته وأولاده الخمسة فماتوا كلهم، فإذا عرفت بالضبط خطورة هذا الدواء، هل تعرف فقط أنه خطر؟ فقط؟ هل تكتفي بالمعرفة فقط أم تطبق استعمالات الدواء مئة في المئة؟ انظر المعرفة اليقينية تنقلك حتماً إلى التطبيق، ماذا قال ربنا؟ ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ فالعلماء وحدهم ليس فقط آمنوا به بل إنهم يخشونه، إذا عرفت أن هذا الدواء خطر جداً، وقعت حادثة حقيقية فلاح وزوجته وخمسة أولاد ماتوا جميعاً، أكلوا من وعاء بعد أن غسلوه جيداً خمس مرات، هذا السم قتلهم جميعاً، فإذا عرفت سمية هذا الدواء، معرفتك تعني تطبيق استعماله مئة في المئة، هذه: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾.

ثم ربنا عزّ وجل قال:

**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)**

**سورة الزُمر**

بحثت أنا بنفسي عن حالتين حادتين، إذا كنت جائعاً جوعاً شديداً، موضوع في مكان فيه أنفس أنواع اللحم المشوي، مع كل أنواع المقبلات، وبمكان فطيسة، رائحتها تفوح منها إلى اثنين كيلو متر أنا أقول لك: هل يستوي هذا الطعام وهذا الطعام؟ إنه ليس فرقاً بين لحم وأرز بفول، أو بين لحم ضأن ولحم جمل، ليس هذا الفرق، يا ليت هذا هو الفرق، ليس الفرق بين مجدرة وبين لحم، لا، الفرق بين لحم من أنفس أنواع اللحم وبين فطيسة منذ شهرين ميتة، ورائحتها منتشرة ومنفوخة، ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ**﴾ لا يستوون، لذلك قالوا: رتبة العلم أعلى المراتب.

## العلماء أحياء ما بقي الدهر وكذلك كل مؤمن مخلص في إيمانه لله:

دخلت مرة على الطلاب سألتهم سؤالاً؟ قلت لهم: إذا أجابني أحدكم عن هذا السؤال فسوف أمنحه علامة تامة باللغة العربية، من يذكر لي اسم تاجر واحد عاش سنة ألف وثمانمئة وعشر بالشام؟ تاجر أي أقصد غنياً، صمتوا، تركتهم خمس دقائق ما عرفوا، قلت لهم: وأنا لا أعرف مثلكم، مات خُزّان المال وهم أحياء والعلماء باقون ما بقي الدهر.

كم مرة يُذكر سيدنا عمر بالعالم الإسلامي باليوم؟ كم مرة تقول: الإمام الشافعي؟ كم مرة ذكر في اليوم في العالم الإسلامي الإمام الشافعي؟ والله ملايين المرات، يقول الإمام الشافعي كذا وكذا، يقول الإمام أبو حنيفة كذا وكذا، يقول سيدنا عمر كذا وكذا، قال سيدنا الصديق كذا وكذا، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، أمّا خُزّان المال انتهوا، هذا الكلام مقصود به فقط أصحاب الأموال غير المؤمنين، أما المؤمن فله ذكر حسن وعطر، لأن المال قوة، العلم قوة، والمال قوة، هناك إنسان بماله يهدي الناس، بماله يرقى إلى سابع سماء، كلما ذكرت كلمة مال أقصد به أصحاب المال غير المؤمنين، الذين رأوا المال كل شيء، أما المؤمن تشتهي والله أن تكون مثله غنياً لتواضعه، وسخائه، وكرمه، وإرسال ماله إلى الدار الآخرة قبله من أجل أن يسرّه اللحاق به، إذا إنسان بعث كل ماله إلى جهة من الجهات بقي عليه أن يلحق بماله، شيء ممتع جداً، أرصدة مجمدة بالغة مبالغ طائلة، أما إذا قال له: اترك مالك وغادر، يقول لك: سوف أموت، فعلاً، فمن دفع ماله أمامه سرّه اللحاق به، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)**

**سورة المجادلة**

الله سبحانه وتعالى يرفع العالم به درجات، سبحان الله! أحياناً تجد شخصاً مثلاً لا تعرف من أين أصله لكنه صار عالماً، له مكانة كبيرة، علمه يرفعه، شخص يكون غير معروف أو ليس له هذا النسب العالي، لكن لأنه صار عالماً علمه رفعه.

لا تقل أصلي وفصلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل

**ابن الوردي**

الذي حصّله من علم، يجوز أنت لا تصدق أن الإمام البخاري لم يكن عربياً، كان من بخارى، علماء كبار جداً ملء السمع والبصر لم يكونوا عرباً، ما الذي رفعهم في نظر العرب أنفسهم؟ علمهم، قيل: ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ولكن من تكلم العربية فهو عربي، مقياس العروبة من تكلم العربية فهو عربي، لأنه أحبّ هذه الأمة، حبه لها دفعه إلى تعلّم لغتها لأنها لغة القرآن، هذا مقياس النبي، مقياسه بالنسب

القومي: من تكلم العربية فهو عربي، ومقياسه بالنسب الحقيقي: أنا جد كل تقي ولو كان عبداً حبشياً، أجمل شيء الإسلام، ليس فيه تفرقة، وليس فيه طبقية، وليس فيه عرقية، مبدأ واحد:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13)**

**سورة الحجرات**

سلمان منا آل البيت.

**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1)**

**سورة المسد**

**عمه.**

وسلمان منا آل البيت.

## ينبغي على المسلم أن يكون حريصاً على معتقداته فلا يتبع ما ليس له به علم:

الله عزّ وجل نهى عن اتباع ما لا علم لك ، قال:

**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)**

**سورة الإسراء**

الإنسان يؤمن بعقيدة من دون تحقق، من دون تثبت، من دون تدبر، من دون سؤال، أخي إنَّ فلاناً قال لي: هذه لا شيء فيها، أنت قلت له: ما الدليل؟ اسمعوا مني هذا الكلام، قال العلماء كلمة مشهورة: إذا كنت ناقلاً فالصحة، وإذا كنت مدعياً فالدليل، عود نفسك إذا قال لك أحدهم: إن الموضوع الفلاني كذا وكذا، فاسأله ما الدليل؟ دليل عقلي أو دليل نقلي، آية، حديث متواتر أو حديث صحيح، ليس حديثاً ضعيفاً، موضوع، آحاد، تحدثنا عن هذا سابقاً.

حديث متواتر تواتر لفظي أو تواتر معنوي أي تلقته الأمة بالقبول جيلاً عن جيل، تواتر لفظي أو تواتر معنوي، أما أحاديث آحاد أو حديث ضعيف أو حديث موضوع فهذا ليس من الدين، هات الدليل العقلي

أو الدليل النقلي؟ هذا إذا كان مبتدعاً، أنا رأيي هكذا، لابأس، من أنت؟ ما حجمك؟ كل إنسان يؤخذ منه ويُردّ عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء، لأنه هناك وحي، هناك معجزة، ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين والرأس، وما جاءنا من سواه فهم رجال ونحن رجال، عوّد نفسك أي إنسان أدلى إليك بمعلومات، بتوجيه، بحكم،عوّد نفسك قل له: ما الدليل؟ إذا قال لك: قال عليه الصلاة والسلام، قل له: هل هذا الحديث صحيح؟ متأكد منه؟

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 13-63: الوصول للإيمان بالله بالأدلة الفلسفية

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الأدلة الفلسفية على وجود الله:

#### 1- دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ وصلنا في موضوعات العقائد إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى، وبيّنا في الدرس الماضي أن للإيمان بالله أدلة فطرية وأدلة عقلية، وأن الدليل الفطري يتعلق بصاحبه، وأن الدليل الفطري لا يُنقَل، وأن العابد قد يكتفي بالدليل الفطري، بينما العالم إذا أراد تعليم الناس لابد له من دليل عقلي، أو أن الفطرة التي انطمست وذهب صفاؤها وانمحت خصائصها لابد لها من دليل عقلي، وهناك أدلة فلسفية، وهناك أدلة علمية، والشيء العجيب أن الأدلة متنوعة جداً، فالإنسان البسيط يرى دليلاً بسيطاً، والفيلسوف يرى دليلاً فلسفياً، والعبقري يرى دليلاً بالغ التعقيد، وكل إنسان في هذه الأرض يجد دليلاً قاطعاً كافياً مقنعاً بحسب مستواه، سأطلعكم على نموذجين من الأدلة، على كل الدليل الفلسفي يحتاج إلى دقة، وإلى متابعة، وأرجو الله عزّ وجل أن يعينني على تبسيط الأمور.

فالدليل الأول على وجود الخالق سبحانه وتعالى اسمه: دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم، فالأصل في الخالق الوجود، فوجوده واجب، والأصل في الكون-ومعنى كلمة كون أي ما سوى الله-العدم، الأصل في الخالق الوجود، فوجوده واجب، نحن قبل هذا الدرس تحدثنا عن واجب الوجود، وعن مستحيل الوجود، وعن جائز الوجود، فالخالق واجب الوجود، الأصل في الخالق أنه واجب الوجود، والأصل في الكون العدم، فوجوده مستحيل؟ لا، ممكن، جائز، الكون وجوده جائز، أي كان الكون وكان من الممكن ألا يكون،

كان وكان من الممكن ألا يكون، فوجود الكون جائز، ولا يمكن أن يكون السبب في إيجاد الممكن إلا واجب الوجود، طبعاً هذه النتيجة لكن لها تفصيلات كثيرة، لا تظنوا أن هذا الكلام ليس عليه برهان، الأصل في الخالق أنه واجب الوجود، والأصل في الكون أنه جائز الوجود، ولا يُعقل أن يكون سبب الممكن جائز الوجود، لابد من أن يكون سبب الممكن واجب الوجود.

التفصيل؛ لا يشك عاقل في الدنيا بأن الوجود يُقابله العدم، هذا الكأس موجود يقابله شيء واحد ألا يكون موجوداً، الوجود يُقابله العدم، وأنه لا ثالث بين الوجود والعدم، لا يوجد حالة ثالثة، موجود أو غير موجود، لكن لا يوجد بالفلسفة أو بالأشياء المنطقية موجود نوعاً ما، موجود تقريباً، موجود مجاملةً، موجود أو غير موجود، هذا في الأصل، ولا ثالث وراء الوجود والعدم، الآن هذان الشيئان الوجود والعدم إذا وُجِد أحدهما انتفى الآخر، فماذا نسمي هذين الشيئين؟ متناقضان، أي أن وجود أحدهما ينقض وجود الآخر، إذا وُجِد أحدهما انتفى وجود الآخر، فإذا انتفى وجود أحدهما وجد الآخر.

## هل الأصل وجود الله أم عدم وجوده؟

الآن عندنا سؤال: أيهما الأصل هل الوجود الذي يقابله العدم العام هو الأصل أم العدم العام هو الأصل؟ أي قبل كل شيء الأصل وجود أم عدم؟ هذا سؤال مهم قبل كل شيء، لا، ليس في الكون، الأصل وجود أم عدم؟ إذا قلنا: عدم، فكيف جاء الوجود من عدم؟ مستحيل عقلاً، وللإجابة عن هذه التساؤلات لابد من أن نسلك مسلك افتراض أن أحدهما هو الأصل، مناقشة، ثم ننظر ماذا ينتج من كل فرضية؟ فلنفترض جدلاً أن الأصل لكل ما يخطر في الفكر وجوده هو العدم، كل شيء خطر على بالك أنه موجود الأصل هو العدم، ومعنى العدم نفي ذات ما يخطر في بالك، ونفي صفاته، فلا ذات، ولا قوة، ولا إرادة، ولا علم، ولا حياة، ولا أي شيء، هذا معنى عدم، وبحسب هذا الافتراض نتساءل: كيف استطاع العدم وهو الأصل أن يتحول إلى وجود؟ هذا مستحيل عقلاً، بيت فارغ ليس فيه شيء، تأتيه الساعة الثانية ظهراً فإذا فيه مائدة عليها ما لذّ وطاب، مستحيل، البيت فيه عدم، والعدم لا يمكن أن يتحول إلى وجود، ألسنا نشعر بوجود أنفسنا؟ ديكارت قال: "أنا أفكر فأنا موجود" أي إذا شخص شكَّ في الوجود لن يستطيع أن يشكَّ في وجود نفسه، أنا موجود، ألسنا نشعر بوجود أنفسنا؟ ألسنا نرى بأم أعيننا موجودات كثيرة من حولنا؟ والعدم معناه كما عرّفناه هو النفي

العام لكل ما يخطر ببالك، إذاً هناك شيء موجود، أنت موجود، والجبال موجودة، بيتك، زوجتك، أولادك، حانوتك، الطريق، البحر، الجبل، البادية، هذه أشياء تحسّ بوجودها إحساساً، هي موجودة، قال: فكيف يأتي من هذا العدم العام؟ نحن فرضنا الأصل أن هناك عدم عام، فكيف يأتي من هذا العدم العام ذوات وصفات وقوى تنطلق بنفسها من العدم إلى الوجود وانطلاقها لا يكون إلا بقوة؟

## آيات الله في الكون:

البارحة يوم الجمعة تحدثنا عن الشمس، أن هذه الشمس مضى على اتّقادها خمسة آلاف مليون عام، ولن تنطفئ قبل خمسة آلاف مليون عام، إذاّ نحن على مستوى التجربة اليومية الموقد عندنا في البيت إذا فرغت منه الطاقة ينطفئ، منذ خمسة آلاف مليون عام والشمس متّقدة، تصل حرارتها إلى عشرين مليون درجة في المركز، ينطلق من سطحها ألسنة لهب يزيد طولها عن نصف مليون كيلو متر، عشرون ألف مليار طن من الفحم الحجري لو أحرقتها لعادلت ما تُنتجه الشمس من طاقة حرارية في الثانية الواحدة، شيء موجود، لو انطفأت الشمس فجأة لانخفضت الحرارة في الأرض إلى ثلاثمئة وخمسين درجة تحت الصفر، انعدام الحرارة والنور والدفء كافيان للقضاء على كل أنواع الحياة، هذا شيء موجود، يقول لك: الشيء كالشمس الساطعة، الشمس ساطعة، فهذا الوجود لا يعقل أن يكون من عدم، هذا شيء مستحيل عقلاً، فهناك ذوات وصفات وقوى تنطلق بنفسها من العدم، وانطلاقها لا يكون إلا بقوة.

هذه الأرض تزن لا أدري كم من آلاف ملايين الأطنان، تنطلق بسرعة قدرها ثلاثين كيلو متر في الثانية، تحريك الأرض يحتاج إلى طاقة كتحريك السيارة يحتاج إلى طاقة، وكلما زاد وزن السيارة استهلكت وقوداً أكثر، الشمس تنطلق بسرعة مئتين وخمسين كيلو متر في الثانية، الشمس مع المجموعة الشمسية حول مركز المجرة، مجرتنا تنطلق بسرعة مئتين وأربعين ألف كيلو متر في الثانية أي تقترب سرعتها من سرعة الضوء، ما هذا؟ يوجد عندنا ذوات، يوجد عندنا صفات، يوجد عندنا قوى، أشياء موجودة، إنه من المستحيل بداهة أن يتحول العدم بنفسه إلى وجود، أو أن يُوجِدَ العدم أي شيء، العدم لا يوجد، والوجود لن يكون من عدم، هذه بديهية، هذه من بديهيات العقل، كأن تقول: الكل أكبر من الجزء.

## آيات الله في خلق الإنسان:

### 1 . العين:

هذه العقائد أصلها في القرآن، قال تعالى:

أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)

سورة الطور

والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت دليلاً على وجود الله، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ مئة وثلاثون مليون عُصية في شبكية العين، العصب البصري أربعمئة ألف عصب بصري ينطلق من العين إلى الدماغ.

### 2 . الشعر:

مئتان وخمسون ألف شعرة، لكل شعرة شريان ووريد وعصب وعضلة وغدة صبغية وغدة دهنية، ما هذا؟

### 3 . الدماغ:

خمسة وثلاثون مليون عصارة هاضمة في المعدة، الطريق الذي يسلكه الدم في الكليتين طوله مئة كيلومتر، هذه أشياء بديهية في الطب، لا تظنوا أن هذه الأرقام مبالغ بها، أشياء بديهية، الدماغ أربعة عشر مليار خلية سمراء على قشرة الدماغ تستند إلى مئة وأربعين مليار خلية استنادية، لعام ثلاثة وثمانين لم تُعرف وظيفتها بعد.

## 4 . الأذن:

أنت إذا كنت في الطريق تمشي واستمعت إلى بوق سيارة وانحرفت نحو اليمين هل تصدق أن هناك جهازاً في الدماغ بالغ التعقيد حسب تفاضل وصول صوت البوق إلى الأذنين، التفاضل، فإذا كان التفاضل واحداً على ألف وستمئة وخمسين جزءاً من الثانية عرف هذا الجهاز أين جهة السيارة فأعطى أمراً للعضلات أن تنطلق في الطريق المعاكس.

## 5 . جهاز توازن السوائل وجهاز الضبط الحراري:

جهاز وما أكثر الأجهزة من ضعفنا ومن محدودة علمنا نظن سذاجة أنه يوجد عندنا جهاز الدوران، وجهاز الهضم، وجهاز التصفية، وجهاز البول، وجهاز التناسل، وهذه الأجهزة مع أن هناك عشرات الأجهزة التي لا نعرفها إلا إذا فقدناها، مثلاً؛ يوجد بالإنسان جهاز اسمه: جهاز توازن السوائل، مركزه بالكظر، لو اختلّ هذا الجهاز لأمضى الإنسان يومه كله في شرب الماء وطرحه، يشرب بالنهار عشرين صفيحة ماء ويخرجهم، لو اختلّ هذا الجهاز، يوجد جهاز آخر جهاز الضبط الحراري، لو اختلّ هذا الجهاز نضع إنساناً في غرفة ذات حرارة منخفضة، تنخفض حرارته، نحن مصنفون مع الكائنات ذات الحرارة الثابتة، أنت حرارتك سبع وثلاثون، تجلس في مكان درجة حرارته عشرون فتشعر بالبرد، أو خمسة عشر فتشعر بالبرد، يوجد طاقة عندك تُولِّد الحرارة، هذا الجهاز إذا تعطل تصبح حرارة الجسم مساوية لحرارة المحيط فإما أن تُؤَمّن لهذا الإنسان درجة سبعاً وثلاثين دائمة في الطريق وفي السيارة وفي المكتب أو يموت، وهذا مرض وقع: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾.

## 6 . البويضة والحيوان المنوي:

يوجد أشياء والله الذي لا إله إلا هو لا أقول لكم من آيات متعلقة بالإنسان إلا من نوع الآيات العريضة جداً، لكن كلما تقدم العلم كشف أشياء لا تُصدق، قال: هذا الحيوان المنوي حينما ينطلق باتجاه البويضة كيف يدخل هذا الحيوان إلى البويضة؟ كيف؟ سؤال؛ البويضة عبارة عن جدار خارجي، وسائل داخلي،

ونواة، البويضة أكبر خلية في الإنسان، خلية، لها غلاف، هيولى، نواة، كيف يخترق هذا الحيوان المنوي جدار البويضة؟ كيف؟ بعد الفحص الالكتروني يوجد عندنا مجهر عادي لم نر فيه شيء، هناك مجاهر الكترونية، هذه المجاهر تُكبر ثلاثمئة ألف مرة، رقم كبير جداً، ظهر في رأس هذا الحيوان غشاء رقيق جداً يحدث سائلاً إذا لامس جدار الخلية أذابها ودخل الحيوان، هذا السائل مصدره الزبيب واللفت، قال: مادة نبيلة جداً، هذا السائل موجود في العين وفي رأس كل حيوان منوي، كلما تقدم العلم يصل إلى دقائق لا تصدق، الحيوانات المنوية تُصنع في الخصية على تسع عشرة مرحلة، ثم تذهب إلى التخزين، وفي التخزين تُحسَّن نوعيتها، أي أشعر أنا الذي أقوله لكم من آيات هذه آيات عرفها العلماء قبل عشرين أو ثلاثين عاماً، وأصبحت من المُسلّمات البديهيات، ولكن العلم اليوم يكتشف دقائق يكاد العقل لا يُصَدقها، هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ أي إذا دخل شخص إلى سيارة موديل ستة وثمانين، أليس لها مصنع؟ أليس لها مهندسون؟ ألا يوجد مهندس صمم شكلها الخارجي؟ قوامها؟ خطوطها؟ يا ترى خطوط منحنية أم خطوط مستقيمة زوايا حادة؟ ألا يوجد مهندس صمم ألوانها ألوان دقيقة جداً؟ ألا يوجد مهندس صمم فرشها من الداخل؟ ألا يوجد مهندس صمم المحرك؟ تصوّر معمل السيارات عبارة عن مدينة بأكملها، كل جناح يوجد فيه مئات المهندسين، نوابغ المهندسين، الإنسان أعقد، أعقد آلة على وجه الأرض هو الإنسان: **﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾** هذا الخلق المُعقد من عدم؟ مستحيل.

## 7 . اللطخة الصفراء :

أحدث بحث في العين أن اللطخة الصفراء أو النقطة التي ترى فيها العين، هذه اللطخة الصفراء عبارة عن دائرة ونوية في الوسط، إذا وقع خيال الشيء المرئي، طبعاً عندنا عدسة، وعندنا جسم، وعندنا لوحة، بشيء مبسط لو جئت بعدسة وأتيت بشمعة وفي غرفة مظلمة ووضعت وراء العدسة لوحة من الورق المقوى، وحركتها يميناً ويساراً إلى أن ينطبع على هذه اللوحة شكل الشمعة المشتعلة مقلوبة وصغيرة، هذا المكان اسمه: مِحرق العدسة، أحيانا يوجد مع الإنسان مكبر يضعه في أشعة الشمس إلى أن يرى على الورق لطخة حادة الضوء، بعد دقائق يحترق الورق، هذا المكان اسمه: مِحرق العدسة، أي الضوء يأتي على شكل حُزم متوازية فإذا دخل الضوء في وسط شفاف انكسر الضوء فالتقت هذه الحزم على مكان محدد، هذا المكان اسمه:

المحرق، فمنظر الجبل خطوط من الضوء مستقيمة تدخل إلى العين عن طريق العدسة، ينكسر الضوء فيجتمع في نقطة حساسة جداً هي الشبكية، وبالذات اللطخة الصفراء، هنا، فنحن إذا أردنا توضيح القضية نأتي بعدسة وفي غرفة مظلمة نشعل شمعة نضعها أمام العدسة، نأتي بورق مقوى خلف العدسة، نحرك هذا الورق إلى أن نرى بعيننا رسم شمعة صغيرة مقلوبة على هذا الورق، لو حركت الورق سنتمتراً واحداً تتلاشى الصورة، أو أصبحت غير دقيقة، لو قربتها سنتمتراً آخر أيضاً تتلاشى، هذا المكان الدقيق هو محرق العدسة، الآن لو حركت الشمعة التي أمامها تتلاشى، نحن كيف نرى؟ الأشياء متحركة واللوحة ثابتة هذا شيء معجز، كيف نرى؟ قال: هذه اللوحة الثابتة فيها دائرة حساسة جداً، لها مركز ولها محيط، فإذا جاء خيال الشيء المرئي قبل الشبكية مركز الدائرة تحسس بوجود خيال لم ينطبق على الشبكية فأعطى أمراً إلى الدماغ والدماغ يأمر الجسم البلوري المرن بالاحديداب قليلاً حتى يأتي الخيال على الشبكية، فإذا جاء الخيال بعد الشبكية الآن المحيط لهذه اللطخة الصفراء يتحسس بهذا الخيال الذي وقع وراء الشبكية، ويعطي أمراً إلى الدماغ بأن يجعل الجسم البلوري ممطوطاً هكذا إلى أن يقع الخيال على الشبكية، هذه العملية من أعقد عمليات الجسم، سماها العلماء:عملية المطابقة، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ هكذا من دون شيء؟!

والله يا إخوان؛ يوجد آيات بجسم الإنسان فقط لو تأمل بها الإنسان لذاب من الله خجلاً، العظم، خلايا العظم تنمو، شيء عجيب، هذا الطفل الصغير عظم فخذه هكذا طوله، وعظم ساقه هكذا، ينمو، إلى أي حدّ ينمو؟ من الذي يأمره أن يقف؟ هذه القضية لا حلّ لها في علم الطب.

## 8 . العظم:

مرة قال طبيب كلاماً مضحكاً، قال: كأن هناك خطاً وهمياً بالفضاء، فهذا العظم ينمو في حدوده، فإذا بلغ هذا الخط توقف عن النمو، شيء مضحك، أي خط هذا؟ تنمو الأسنان وتقف عند حد، تنمو عظام الفخذ وتقف عند حدها، من أسماء الله المانع، لو أن هذا النمو مستمر هناك مرض اسمه: مرض العملقة، مئة وثمانون، مئة وتسعون، مئتان وعشرة، مئتان وخمسة عشر، أريد أن أقف، لا يوجد، طالع، ربنا عز وجل مرض خطير جداً، هذا تفسير العلماء كيف العظم يقف عند حد، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾.

مئتان وخمسون مليون حيوان منوي ينطلقون باتجاه البويضة من أجل حيوان منوي واحد حينما يصطدم بجدار البويضة يتمزق الغشاء فتسيل المادة التي تحته، هذه المادة تُذيب جدار البويضة، يدخل منها الحيوان، ما هذا؟

لا الوقت يسمح لنا لنفصل ولا المكان مهيأ للتفصيل، نحتاج إلى لوحات، نحتاج بعض الشرائح، بعض السلايدات، أشياء دقيقة جداً، لكن أعطيكم بعض الأمثلة هذه الآية: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ**﴾.

## 9 . جهاز التوازن في الأذن الداخلية:

تجد ابناً، أمسك ابنك على حضنك أَمِله تجده يميل، لماذا؟ سؤال دقيق؛ أمسك الآن عصا أَمِلها تقع، لماذا العصا إذا تركتها تميل تقع؟ هذا سؤال مهم جداً، قال: بالأذن الداخلية يوجد ثلاث قنوات كالأقواس، كقناطر المساجد، وهي نصف دائرية، فيها سائل، وفي القسم العلوي من هذه القنوات أشعار، فإذا مال الإنسان هكذا، باعتبار السائل أفقي، سطحه أفقي دائماً، إذا كان نصف قوس أملته يأتي السائل إلى منطقة أعلى هنا فيلامس هذه الأشعار فتُبلّغ الدماغ أن التوازن اختل يعطي أمراً، وهذه الدراجة أساساً، لولا جهاز التوازن في الأذن الداخلية لما أمكن للإنسان أن يركب دراجة، لو مالت الميل يتتابع إلى أن فتقع، أما عندما يميل سنتمتراً واحداً يصحح المقود، باستمرار يوجد توازن، جهاز التوازن قليل بالدماغ؟

الطبيب أحياناً عندما تلتهب الأذن الداخلية عند الإنسان، يختل جهاز التوازن يمشي مُباعداً بين قدميه حتى يتخذ سطح استناد واسع، فالطبيب يعلم أن هذا معه التهاب في أذنه الداخلية من عرجته، ألا يقولون: عرج الجمل من شفته، هذه صحيحة، من أذنه عرج، قال تعالى: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**﴾.

## 10 . البروستات:

هذه البروستات والله شيء لا يصدق، البروستات غدة تقف على مفترق الطرق، يأتي طريق الخصيتين ويأتي طريق الحالبين يصبان في مجرى واحد، عند هذا المجرى تأتي البروستات، هذه البروستات إذا كان مجرى البول مفتوحاً هذا البول مادة حامضية، لا أحد يذوقه يقول: أكيد حامضية، فيه حمض البول،

هذه المادة الحامضية إذا استمرت تسير في هذه المجاري الحساسة فإنها تلتهب، فوظيفة البروستات أن تفرز مادة قلوية تتعادل مع المادة الحامضية في البول من أجل أن يبقى مجرى البول سليماً، أيضاً لها دور ثان، إذا فُتِح طريق الحالبين يُغلق طريق الخصيتين إغلاقاً محكماً، فإذا فُتِح طريق الخصيتين المجرى فيه بول والبول مادة نجسة، تقوم هذه الغدة بإفراز مادة مطهرة ثم مادة معطرة ثم مادة سكرية، وتُغلق مجرى البول، هذه تعمل ثمانين سنة فتحاً وإغلاقاً وإفرازاً، مواد قلوية ومطهرة ومعطرة وسكرية، ولا تكف عن العمل.

## 11 . البلعوم:

البلعوم قليل؟ ثمانون سنة، إذا أردت أن تأكل يُغلَق جهاز الرغامى بإحكام، تريد أن تقول يُغلق جهاز الهضم بإحكام، لسان المزمار، والله الذي لا إله إلا هو لو أمضيت عاماً لا أقول إلا الأشياء البديهية في الإنسان، أما الدقائق والله ينتهي العمر ولا تنتهي، انظر هذه الآية ما أجملها! ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ**﴾ ألا يوجد إله خلقهم؟

## الأصل هو الوجود والأصل لا يتطلب في حكم العقل سبباً ولا تعليلاً:

ماذا فعل الزوج؟ ماذا فعلت المرأة؟ قال تعالى:

**أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ (59)**

**سورة الواقعة**

قال: هذه الآية دليل على أن الشيء الموجود لا يمكن أن يكون من العدم، مستحيل، يوجد عقل أول مصمم، يوجد قدرة، يوجد حكمة، يوجد علم، يوجد خبرة، يوجد أسماء حسنى، أي هل انتقلوا من العدم إلى الوجود من غير خالق أم هل كانوا هم الخالقين لأنفسهم؟ وهكذا لو كان العدم هو الأصل العام لم يوجد شيء، إذا قلنا: إن العدم هو الأصل إذاً لم يوجد شيء، لا شيء، نحن بهذا نفينا أن يكون الأصل هو العدم، ولذلك كان علينا أن نفهم حتماً أن الأصل هو الوجود، الأصل أن هناك شيئاً موجوداً، وبهذا الدليل ثبت بشكل عقلي قاطع أنه لا يصح أن يكون العدم هو الأصل، وحيث كان الأمر كذلك فقد ثبت بشكل عقلي قاطع أيضاً أن

الأصل هو الوجود، لأن الوجود كما سبق نقيض العدم ولا شيء بينهما، أي هذا دليل قاطع، ليس مقنعاً، هناك دليل قنعت؟ نوعاً ما، لا، دليل قاطع، أي قطعي الثبوت.

ثم نقول: إن ما كان هو الأصل بين شيئين متناقضين لا يحتاج وجوده إلى تفسير أو تعليل، التفسير والتعليل، ومن أين أتى؟ ومن خلقه؟ للشيء ممكن الوجود، أما واجب الوجود فلا يقال من أين جاء لأنه هو الأصل، هو الأول، كلمة من خلقه، من أين جاء؟ ماذا كان قبله؟ كل هذا الكلام لا يصح بحق واجب الوجود، أما يصح بحقّ ممكن الوجود، الذي كان من الممكن ألا يكون أو كان، هذا يقال له: من أين جاء؟ وبهذا الاستدلال ظهر لدينا بوضوح شيئان: أن الأصل هو الوجود، وأن الأصل لا يتطلب في حكم العقل سبباً ولا تعليلاً أكثر من أن يُقال إنه هو الأصل.

## 2- إذا كان الوجود هو الأصل لا محالة فهل يمكن أن يكون لهذا الأصل بداية؟

المرحلة الثانية من الدليل، هذا الدليل مؤلف من أربع مراحل، المرحلة الثانية من الدليل، إذا كان الوجود هو الأصل لا محالة فهل يمكن أن يكون لهذا الأصل بداية؟ وهل يمكن أن يلحقه العدم؟ تقول أنت: هو الأول والآخر، هذه الكلمة دقيقة، لها أبعاد كبيرة جداً، الله سبحانه وتعالى لا شيء قبله ولا شيء بعده، إذا كان هناك شيء قبله صار ممكن الوجود، وإذا كان هناك شيء بعده صار ممكن الوجود، أما هو واجب الوجود، لا شيء قبله ولا شيء بعده، وللإجابة عن هذا التساؤل نقول: إنما كان وجوده هو الأصل لا يصح عقلاً أن يكون لوجوده بداية، لأن ما كان لوجوده بداية فلابد أن يحتاج في وجوده إلى سبب أوجده، مادام له بداية معنى هذا هناك سبب أوجده، أي لم يعد واجب الوجود صار جائز الوجود، صار مخلوقاً، لم يعد خالقاً، لا يحق، لا يصلح بحقّ الخالق أن تقول: ما الذي كان قبله؟ لو أن شيئاً كان قبله هو الذي أوجده، وإنما كان وجوده هو الأصل لا يمكن أن يلحقه العدم، لأن كل زمن لاحق نفرض أن يطرأ فيه العدم على ما أصله الوجود، نحن وجودنا ممكن، أين فلان؟ مات، أما ربنا عزّ وجل فهو الحي الباقي على الدوام، لا شيء قبله ولا شيء بعده، ولا يزال الوجود هو الأصل، ولا سبب لأن يطرأ عليه العدم أبداً، لأنه لا يطرأ العدم على أي موجود من الموجودات إلا بوصف أن يكون العدم فيه هو الأصل.

إذا الشيء الأصل فيه هو العدم، له بداية وله نهاية، له سبب أوجده وله سبب أنهاه، هو الذي أنهى، فهل يُنتظر زوال السبب حتى يعود إلى أصله؟ وقد ثبت لدينا أن العدم من حيث هو مستحيل أن يكون هو الأصل العام ضد الوجود، ولذلك يستحيل عقلاً أن يطرأ العدم على وجود عَلِمنا أنه هو الأصل، واضحة؟ الذات الإلهية لا شيء قبلها ولا شيء بعدها، لا شيء هو سبب في وجودها ولا شيء ينهي وجودها، ولهذا قال الله عزّ وجل:

**وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا (58)**

**سورة الفرقان**

هنيئاً لمن كانت علاقته مع الحي الذي لا يموت حسنة، عبدي رجعوا وتركوك، أول ليلة في القبر، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبقَ لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت، لا يوجد غيري، تحب الزوجة أحبها لكنها فانية، تحب المحل في أوجه أسواق دمشق، ذو ثلاثة مستويات، مكتب جملة، بيع مفرق، مستودع في الأسفل، مجهز بشكل كامل، أحبه لكنه لا يدوم، تحب مزرعة مزروعة بالتفاح والكرز والدراق، وفيها مسبح، وفيها ورود، وفيها بيت قرميد، وشيء فخم، وكله حجر منحوت، ومدخل للسيارات، ومدخل للضيوف، أحبها لكنها لا تدوم، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت:

عن سهل بن سعد أنه جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد **عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه،** وأعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل وعزه استغناؤه عن الناس .

رواه الطبراني رواه الحاكم في المستدرك وقال :صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد والألباني في السلسلة الصحيحة

ولم يبق لك إلا أنا، عندما أشاهد جنازة أقول في نفسي: هنيئاً له أو الويل له، إذا عرف الحي الباقي على الدوام، الذي كل شيء هالك إلا وجهه، إذا كان يعرفه، كان يطيعه، كان يصلي، كان يدعوه، كان يستقيم على أمره، كان يتعرف عليه في الدنيا، يحضر مجالس علم، هنيئاً له، وإذا شخص مات وهو لا يعرف الحي الباقي على الدوام، كل هذه اللذائذ انقطع عنها دفعة واحدة.

## 3- الأصل في الأشياء العدم ويحتاج في وجوده إلى مسبب الوجود:

المرحلة الثالثة من الدليل، أنا أخشى أن تكون هذه الموضوعات فوق مستوى الإخوة الحاضرين، هو موضوع فلسفي، لكن أنا أجهد إن شاء الله أن أبسطها بحيث تبدو واضحة، لكن هذا دليل قوي، موضوع الوجود والعدم هذا أقوى الأدلة، أول شخص يقول لك: أنت مؤمن بالله؟ طبعاً، من خلق الله عز وجل؟ هذا الجواب، هذا السؤال يقال لممكن الوجود، أما واجب الوجود سؤال ثان، الأصل في الكون العدم أم الوجود؟ إذا قلت: عدم، العدم لا يُعقل أن يوجد شيئاً، والشيء لا يُعقل أن يوجد من تلقاء نفسه، إذاً الأصل هو الوجود، والآن فلنلق نظرة على الموجودات التي تقع تحت إدراكنا الحسي في هذا الكون الكبير لنرى هل تنطبق عليها فعلاً الحقيقة الأولى وهي أن الأصل فيها لذاتها الوجود، أو ينطبق عليها ضدها وهي أن الأصل فيها العدم، أي هذا الكون بأكمله أصله العدم أم الوجود؟ سؤال دقيق لا تتسرعوا، الكون أصله العدم، كان الله ولم يكن معه شيء، ألم يقل العلماء: إن الشمس مضى على تألقها خمسة آلاف مليون سنة، إذاً ما كانت موجودة سابقاً، والأرض كانت في عصور مطيرة وهناك قارات ملتصقة مع بعضها، هكذا قال علماء الجيولوجيا؟ الأصل في الكون العدم، الكون يسمونه حادثاً أي حدث ولم يكن من قبل، الكون حادث.

إذاً فلنلق نظرة على الموجودات التي تقع تحت إدراكنا الحسي في هذا الكون الكبير لنرى هل تنطبق عليها فعلاً الحقيقة الأولى وهي أن الأصل فيها الوجود أو ينطبق عليها ضدها وهي أن الأصل فيها العدم؟ هنا تبدو لنا الحقيقة أننا لم نكن ثم كنا، ونحن صنف ممتاز التكوين:

**لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4)**

**سورة التين**

وأن أشياء كثيرة كانت في طي العدم، هذا المجلس كله بكل من فيه أغلب الظن عام ألف وثمانمئة وخمسين، هل كان واحد منا موجوداً؟ من فلان؟ لا يعرف، اسأل إنساناً عاش عام ألف وثمانمئة وخمسين وقل له: هل تعرف فلاناً؟ من فلان؟ من؟

**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)**

**سورة الإنسان**

افتح كتاباً، أنا عندي جريدة طبعت عام ألف وتسعمئة وثلاثين، كلما تأملتها يوم صُفت حروفها وبيعت في الأسواق واشتراها الناس أنا لم أكن موجوداً في ذلك الوقت، ﴿**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا**﴾ فمن موت إلى حياة، من حياة إلى موت، من تغييرات في الأشكال والصور، إذا شخص عنده هوية قديمة فلينظر إليها هكذا كان؟ بالخامسة عشرة له صورة، بالسابعة عشرة، بالعشرين، بالخامسة والعشرين، بالثلاثين، بالخمسين، تجده صار في وضع ثان، في تطور مستمر.

وكل ذلك لا يُعلُّل في عقولنا وفق قوانين هذا الكون الثابتة إلا بالأسباب المؤثرة، التي تحمل هذه التغييرات الكثيرة المتعاقبة، ومن هذه الأسباب ما نشاهده وما نستنتجه استنتاجاً، ولا نزال نتسلسل مع الأسباب حتى نصل إلى مسبب الأسباب.

في هذا الكون تغييرات باستمرار، شيء يولد، شيء يموت، رياح تهب، أعاصير تهب، بحار تهيج، براكين تثور، أشخاص يولدون، أشخاص يموتون، لماذا وُلِد هذا؟ هناك سبب، يوجد تلقيح، يوجد جنين، من خلق الأب؟ سبب آخر، إلى أن تصل إلى مسبب الأسباب وهو رب الأرباب، فلو كان الأصل في هذه الموجودات المعروضة على حواسنا هو الوجود لن تكون هذه الموجودات عُرضة للتحول والتغيير والزيادة والنقص، والبناء والفناء، ولم تحتج صور وجوداتها إلى أسباب ومؤثرات، لو كنا نحن في الأصل موجودين لما طرأ علينا تغيير، مادام طرأ تغيير، كبرنا، اختلّ نظام الهرمونات، ضعفنا ثم توفانا الله عزّ وجل، إذاً نحن الأصل فينا العدم ونحن مخلوقون، فنحن وجودنا يحتاج إلى سبب موجد، وهذا مبدأ السببية، له دليل خاص نأخذه في المستقبل إن شاء الله.

وحيث كان الأصل في جميع الأشياء الموجودة هو العدم وجب عقلاً أن يكون لها سبب مؤثر نقلها من العدم إلى الوجود في مرحلة وجودها الأول، ولا يزال هذا السبب يؤثر باستمرار في جميع صور تغييراتها المتقنة الحكيمة، وقال الله تعالى:

**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**

**سورة الإنسان**

## خلاصة الأدلة:

آخر مرحلة في هذا الدليل، علمنا من المراحل السابقة الحقائق الثلاثة التالية: أن الوجود من حيث هو يجب عقلاً أن يكون هو الأصل، هذه واضحة.

وأن ما كان وجوده هو الأصل استحال أن يكون له ابتداء، واستحال أن يطرأ عليه العدم.

وأن هذه الأشياء الكونية المعروضة على حواسنا ومداركنا والتي نحن جزء منها، الأصل فيها العدم، ويحتاج وجودها إلى سبب موجد، واضحة.

وهنا نقول حيث اجتمعت لدينا هذه الحقائق الثلاثة التي لا مفر منها، ولا محيد عنها، فلابد لنا من التوفيق بينها بشكل تقبله العقول قبولاً تاماً من غير اعتراض، وذلك لا يكون إلا وفق صورة واحدة لا ثانية لها وهي–الآن النتيجة–: لابد عقلاً من وجود موجد عظيم، وجوده هو الأصل في الكائنات، وعدمه مستحيل لذا يُسمى: وجود الوجود، هو الله سبحانه وتعالى.

ثانياً: هذا الكون المشاهد بما فيه من أرض وسماوات، ونجوم ومجرات، وجامد ونبات، وأحياء وأموات، الأصل فيه العدم، ولابد لإخراجه من العدم إلى الوجود من سبب موجد، هذه الثانية.

ثالثاً: لا يكون السبب الموجد للكون بجميع ما فيه إلا موجوداً عظيماً وجوده هو الأصل وهو واجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى.

أي الأصل الوجود، والوجود ليس له أول ولا نهاية، ونحن الأصل أننا العدم، وجودنا يحتاج إلى مُوجد، وهذا الموجد يجب أن يكون عظيماً.

## ينبغي على السائل حينما يطرح السؤال أن يكون دقيقاً في طرحه:

الخاتمة؛ وبهذه الطريقة من الاستدلال يسقط نهائياً تساؤل المتسائلين كيف وُجِد الله سبحانه وتعالى؟ لأن هذا التساؤل لا يعتمد لا على منطق، ولا على عقل، ذلك أن مثل هذا التساؤل إنما يرد في موجود ثبتت قوانينه وصفاته أن الأصل فيه هو العدم، فهو يحتاج إلى موجد حتى يوجده ويبدعه من العدم، أما الموجود الذي يجب عقلاً أن يكون في الأصل موجوداً لا يجوز عليه العدم فلا يمكن أن يتعرض وجوده إلى مثل هذا

التساؤل بحال من الأحوال، وإيراد التساؤل من هذا النوع يتنافى مع الحقيقة العلمية الثابتة وهي أن الأصل فيه هو الوجود، هذا الدليل.

اغفروا لي إن كان الموضوع معقداً أو صعباً أو مجرداً أو فلسفياً، لكنه دليل قوي، إذا عرفت واجب الوجود، والأصل في الخالق هو الوجود، والأصل في المخلوق هو العدم، تعرف كيف تجيب.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 14-63: الإيمان بالله عن طريق دليل الإمكان في الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## خلاصة الأدلة السابقة على وجود الله:

أيها الإخوة الأكارم؛ في الدرس الماضي تحدثنا عن دليل عقلي على وجود الله سبحانه وتعالى، وكان هذا الدليل العقلي تحت عنوان: الوجود والعدم، وكيف أن الخالق واجب الوجود، وكيف أن المخلوقات ممكنة الوجود، وكيف أن العدم لا ينتج عنه وجود، وأن الوجود ممكن الوجود لا يكون سبباً في خلق نفسه، هذا ملخص للدليل الأول دليل الإلزام العقلي بين الوجود والعدم، سبحان الله! درس طويل وربما كان صعباً كيف أن الله سبحانه وتعالى جلّ في علاه لخصه في آية واحدة، أحياناً لا يلتفت الإنسان أو لا ينتبه الإنسان لأبعاد الآية، كل هذا الكلام الذي تكلمنا به في الدرس الماضي، وكادت رؤوسنا تصاب بالصُّداع في موضوع الوجود والعدم، قال تعالى في آية واحدة:

**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (35)**

**سورة الطور**

كل الدرس بهذه الآية: ﴿**خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ**﴾ أي لا يمكن أن يكون سبب الوجود هو العدم، لا شيء من العدم، العدم لا يمكن أن يكون سبباً للوجود، ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**﴾ ممكن الوجود لا يكون سبباً من خلق ذاته، ﴿**أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ**﴾ آية واحدة، وأما أن الله سبحانه وتعالى ليس له بداية وليس له نهاية، لا شيء قبله ولا شيء بعده، هو الأول والآخر، ففي قوله تعالى:

**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ(1)اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3)**

**سورة الإخلاص**

لم يكن من أب ولم يكن له ولد.

**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)**

**سورة القصص**

هذا كلام الله رب العالمين فيه إيجاز وإعجاز، وكيف أن ما سوى الله ولاسيما الإنسان سبقه عدم، ممكن الوجود سبقه عدم.

**هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (1)**

**سورة الإنسان**

هذا كله في الدرس الماضي.

## الدليل على وجود الله دليل الإمكان في الكون:

درسنا اليوم دليل ثان ولكنه أسهل وأوضح، هذا الدليل اسمه: دليل الإمكان في الكون، كل شيء تقع عليه عينك، أو كل شيء تدركه بحسك، أو كل شيء تستنبطه بعقلك، كل شيء كان من الممكن أن يكون على غير ما كان، أي أنت عندما تضع السكر في كأس الشاي تضع فيها ملعقة ونصف، ممكن أن تضع فيها ملعقتين، ممكن أن تضع فيها ثلاث ملاعق، ممكن أن تضع فيها ملعقة واحدة، نصف ملعقة، لكنك اخترت هذا المقدار الدقيق، يبدو أن هذا المقدار الدقيق من السكر مقدار يتناسب مع ذوقك، فلابد من مُرجح، لابد من مخصص، يمكن أن يوضع في هذا الكأس مقادير متفاوتة من السكر، إذا قُدِم لك كأس من الشاي وتذوقته فإذا فيه سكر بما يتناسب مع الذوق السليم، لا هي كالقطر كما يقولون، ولا هي قليلة السكر، إذاً هذا الذي وضع السكر بهذا المقدار الدقيق في تقدير دقيق، يوجد مقدّر، سمّاه العلماء: مُخَصِصاً، يوجد مخصص.

هذه الثريا كان من الممكن أن تلامس الأرض، سهل، نُطيل السلسلة، وكان من الممكن أن تكون في السقف، وكان من الممكن أن تكون في الثلث الأول أو في الثلث الثاني، وكان الممكن أن تكون قبيل

الأرض بثلاثين سنتمتر، لكن الذي وضعها بهذا المقدار اسمه: المخصص، أي يتمتع بذوق سليم لا هي في السقف يضيع ضوءها، ولا هي تُسَبّب ارتباكاً في الحركة في المسجد، فهذا الارتفاع مناسب، نقول: هذا الارتفاع مناسب، وكان من الممكن أن تكون بغير هذا الارتفاع، لكن مخصصاً حكيماً خصصها بهذا الارتفاع، هذه أمثلة من واقعنا.

خلق الإنسان، كان من الممكن أن تكون عينا المرء في ظهره، أو في قمة رأسه، أو في خلف رأسه، أو في يديه، أو في بطنه، أو في قدميه، لكن الذي خلق العين وضعها في أنسب مكان، وفي أحكم مكان، فوضع العين في هذا المكان يحتاج إلى مُخَصص، يحتاج إلى حكيم.

في الدرس الماضي فهمنا أن هناك خالقاً واجب الوجود، ومخلوقاً ممكن الوجود، واجب الوجود لا يحتاج إلى موجد، ولا يُنهي حياته كائن، هذا فهمناه في الدرس الماضي، الآن هذا الوجود، انظر إلى خلق الإنسان، انظر إلى عينيه، إلى أذنيه، إلى أنفه، لماذا الأذنان ولم تكن أذناً واحدة؟ لماذا التعاريج في الصيوان؟ لماذا فتحة الأُذن أضيق من الخنصر؟ لماذا القناة متعرجة؟ لماذا الصملاخ؟ لماذا الأشعار؟ لماذا العين في هذا المكان؟ لماذا الحواجب؟ لماذا الأجفان؟ لماذا الرموش؟ لماذا الدموع؟ لماذا الشبكية؟ لماذا القزحية؟ لماذا القرنية؟ لماذا الخلط المائي؟ الخلط الزجاجي؟ الجسم البلوري؟ العصب البصري لماذا؟ كان من الممكن أن نرى الأبيض والأسود فقط كما هي عين بعض الحيوانات، إنما نرى بالألوان الطبيعية، من الذي خصص العين بهذا؟ الحقيقة يوجد آية قرآنية تؤكد هذا المعنى:

**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)**

**سورة الإنفطار**

كان من الممكن أن يمشي الإنسان على أربع، كان من الممكن أن يأكل الإنسان طعاماً واحداً طوال حياته، كان من الممكن أن يعيش وحده بلا زوجة، وأن يأتيه الأولاد كما هي بعض الكائنات تتوالد توالداً فردياً، بعض النباتات تتوالد توالداً فردياً، يقول لك: الخيار مؤنث، لا يحتاج الخيار إلى تلقيح، المتحول الزحاري ينقسم انقساماً لا يحتاج إلى مزاوجة وتلقيح، كان من الممكن أن يعيش الإنسان وحده، أي الممكنات لا تُعدّ ولا تحصى، كان من الممكن أن تكون التفاحة صلبة كالصخر، تحتاج مطحنة بحص تعمل لك كأساً من العصير، مستحيلة، كان من الممكن يمكن تنتهي أعمارنا كلها ولا تنتهي عبارة كان من الممكن، من الذي جعل ما هو

عليه كما هو عليه؟ يوجد مخصص، لمجرد أن ترى هذه الثريا بارتفاع مناسب، تتصور الذي ركبها يتمتع بذوق وبحكمة، لمجرد أن يُقَدّم لك كأس الشاي بحلاوة طبيعية مناسبة لذوقك تعرف أن الذي قدم لك هذا الكأس يتمتع بذوق مرهف، فهذا الدليل بالكون، هذا الكون ممكن الوجود على هذا الشكل وعلى أي شكل آخر، ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾.

## وجود الأشياء وفق نظام منسق دليل على يد حكيم فاطر مدبر عليم:

كان من الممكن أن يكون النهار سرمداً إلى يوم القيامة، ممكن، وكان من الممكن أن يكون الليل سرمداً إلى يوم القيامة، وكان من الممكن أن يكون الصيف سرمداً إلى يوم القيامة، والشتاء كذلك، والربيع كذلك، والخريف كذلك، كان من الممكن أن تكون حرارة الأرض في طوال أيام العام صفراً، ممكن، كان من الممكن أن تكون حرارة الإنسان متبدلة كبعض الحيوانات وفق المحيط الخارجي، كان من الممكن أن يكون للإنسان أربع معدات يجتر طعامه كالحيوانات المجترة، ﴿**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ**﴾ من الذي جعل الكون على ما هو عليه؟ لابدّ من مخصص.

أحياناً هذه الطاولة لو أنها بعيدة إلى هنا غير مناسبة، لو أنها هنا غير مناسبة، لو أنها بهذا الارتفاع غير مناسبة، لو أنها بهذا غير مناسبة، فالذي أعطى ارتفاعها وأبعادها وحجمها يتمتع بحكمة، الشمس كان من الممكن أن تكون أبعد مما هي عليه الآن أو أقرب، أكبر، لو أن الأرض أكبر لكانت الجاذبية أكبر، لكان وزننا أكبر، أحدنا لو وُجِدَ على بعض الكواكب لكان وزنه ثلاثة طن ونصف بالضبط، على حسب الجاذبية، وأحدنا لو انتقل إلى القمر ينخفض وزنه ستة أمثال، ستون كيلو في الأرض عشرة في القمر، كان من الممكن، من الذي جعل الممكن بهذا الوضع المناسب؟ لابد من خالق أوجده، لابُد من خالق حكيم أوجده على هذا الوضع، كان من الممكن أن أرى إلى مترين فقط، الخالق غير حكيم، أو كان من الممكن أن أسمع الأصوات التي لا يزيد بُعدها عن عشرة أمتار فقط، ليس هذا من الحكمة في شيء، فلذلك هذا الدليل، فالعقل لا يمنع من أن نتخذ صوراً غير الصور التي نحن عليها، وشكلاً غير الشكل الذي نحن عليه، وحداً غير الحد الذي نحن عليه، فنكون أكبر أو أصغر أو على تركيب آخر، أحياناً –هناك أمراض عافانا الله وإياكم منها– الإنسان لا يرتدي أي ثياب، مرض بدماغه لا يمكن أن يقبل ثوباً، لو وضعت عليه الدثر يمزقها خيطاً خيطاً،

وينام بلا ثياب، ويموت من البرد، ويأكل برازه، ممكن، هذه حالات موجودة أن الإنسان يأكل برازه ويموت من شدة البرد:

**وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ (67)**

**سورة يس**

كان من الممكن أن يُخْلق الإنسان بلا ذاكرة، بلا مخيلة، بلا مصورة، بلا محاكمة، بلا تفكير، بلا سمع، بلا بصر، بلا نطق، ممكن كائن لا يتكلم.

**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4)**

**سورة الرحمن**

أي هذا البحث رائع جداً، كل شيء هذا الكأس له حجم، ممكن نضع على الطاولة كأساً حجمه ثلاثة صفيحات؟ ليس معقولاً، ممكن نضع ملعقة صغيرة من الماء؟ ليس معقولاً، هذا الحجم الذي صنع الكأس يتمتع بذوق وبحكمة جعله يتناسب مع حاجة الإنسان، مادام ممكن أن يكون أكبر، أو أصغر، فالذي جعله بهذا الحجم حكيم، هل هناك عقلياً ما يمنع أن يكون الكأس كبيراً؟ لا، ممكن، يصير قالباً كبيراً، هل هناك ما يمنع أن يكون الكأس صغيراً؟ لا، ممكن، لماذا كان هذا الكأس بهذا الحجم؟ لأن الذي صنعه يتمتع بحكمة، جعله بحجم يتناسب مع حاجة الإنسان.

صار معنا هل ممكن أن تُعزي أن ترد هذه الأوضاع الدقيقة الحكيمة في الكون بدءاً من المجرات وانتهاءً بالمجموعة الشمسية والشمس والقمر والجبال والأرض والسهول والصحارى، حجم الأرض إلى حجم البحر، فيه حكمة بالغة، لولا هذا الحجم الذي يزيد عن حجم الأرض بخمسة أمثال لما نبت النبات على سطح الأرض، لولا الرياح لما هطل المطر، لولا الشمس لما تبخر البحر، لولا الجبال لما سالت الأنهار، لولا النبات لما عاش الحيوان، لولا الحيوان لما عاش الإنسان، لولا البكتريات الكائنات الدقيقة لما كانت التربة صالحة لنمو النبات، هذه البكتريات تأخذ بعض المواد تحللها إلى أسمدة، لولا الديدان لما نبت النبات، هذه كلمة "لولا"، مرة طيار قال لي: يوجد مجموعة أجهزة إذا تعطل أحد هذه الأجهزة تسقط الطائرة، قلت: كيف ذلك؟ قال: جهاز تسخين الأجنحة لو تعطل هذا الجهاز لتراكم الثلج على الأجنحة لأن حرارة الجو خارج الطائرة خمسون تحت

الصفر، والجو مشبع ببخار الماء، تتشكل طبقة ثلج فريزر على الأجنحة تُغَير انسياب الأجنحة فتسقط الطائرة، شيء جميل، قال: وإذا تعطل جهاز ضخ الهواء في الطائرة، لأن الهواء في الطائرة مضغوط ثمانية أضعاف، من أجل أن يكون ضغط الجو داخل الطائرة مساوياً للضغط الجوي على سطح الأرض، لو تعطل جهاز ضغط الهواء لوجب أن يهبط الطيار بطائرته خلال دقائق وإلا تنفجر الشرايين في رؤوس الركاب.

إذاً كم جهاز موضوع في الطائرة من أجل ان تراها تطير سالمةً؟ أليست هذه الطائرة؟ قال لي: الأجنحة؛ لو أن الوقود في الأجنحة سائباً، ومالت على جناحها الأيمن لوقعت فوراً، فلابد من حواجز تمنع انسياب الوقود إلى أطراف الطائرة، بالعكس في الطائرات الحديثة مضخات تضخ البنزين إلى الجهة المعاكسة إذا مالت الطائرة، هذه الطائرة تُقِلّ ثلاثمئة راكب، فيها من الأجهزة وفيها من التقدير وفيها من الخبرة وفيها من التخطيط ومن التصميم ومن الاحتياط ما يأخذ بالألباب.

## دائرة الكون تجري لوحدها مصادفة من دون مسبب:

هذه الأرض التي تطير في الجو من دون صوت، من دون ضجيج، مثلاً لو لم يكن هناك خالق للكون، الشمس هذا مكانها والأرض تدور حول الشمس، لكن مدار الرض ليس دائرياً إنه مدار بيضوي إهليلجي، وفي المدار الإهليلجي بعد قصير وبعد طويل، وبحسب قانون الجاذبية، لو أن الأرض وصلت إلى البعد الأدنى بحُكم أن المسافة قلت، الشمس تجذبها، الأرض عاقلة يا أخي؟ من الذي أعلم الأرض أن هذه المنطقة حينما تَقِل المسافة بين الأرض والشمس الشمس تجذب الأرض؟ إذاً على الأرض أن تدرس قوانين الحركة، لابد من أن تزيد من سرعتها زيادة ينشأ عنها قوة نابذة تكافئ القوة الجاذبة، إذاً هذا المكان من الذي أعلمها؟ من الذي أمرها؟ أُمرت أن تزيد من سرعتها، لو أنها زادت من سرعتها فجأة لانهدم كل ما عليها، جميع المدن، جميع الأبراج، جميع الجبال، جميع الأبنية تنهدم لو أن الأرض رفعت من سرعتها فجأة، أو أنها خفضت من هذه السرعة فجأة بحسب مبدأ العطالة، مبدأ العطالة يقول: الجسم المادي يرفض تغيير وضعه، فإن كان ساكناً يرفض الحركة، وإن كان متحركاً يرفض السكون، قف في سيارة عامة وليوقفها السائق فجأة تهوي إلى الأمام لماذا؟ لأنها وقفت لكن جسمك رفض أن يقف فتابع مسيره فوقعت فوق واحد، وإذا كنت تركب سيارة وأقلعت

تُحسّ أن مقعدها الخلفي يدفعك نحو الأمام لماذا؟ لست أنت، أنت دافع أجرة تريد أن تصل إلى بلدك، لكن جسمك يرفض الحركة، فلما رفض الحركة جاءه المقعد يدفعه من الخلف، هذا أكبر دليل.

أي شيء؛ الماء لا طعم له ولا لون له ولا رائحة له، كان من الممكن أن يكون له طعم ولون ورائحة، وكان من الممكن أن يكون لزجاً كالقطر، تفضل غسّل بالماء، أخي أريد أن أنظف يدي من الماء، لا يُحتمل، هذه السيولة، كان من الممكن ألا يتبخر إلا في درجة مئة، طوال العام الماء في الشوارع، فإذا انسكب مع الشخص دلو من الماء في بيته يبقى دائماً، الماء يتبخر بدرجة أربع عشرة، الماء إذا برد يزداد حجمه، كان من الممكن ألا يزداد حجمه، إذاً تتجمد البحار، ينعدم التبخر، ينعدم المطر، يموت النبات، يموت الحيوان، يموت الإنسان، كان من الممكن.

من الذي جعل الماء على ما هو عليه والهواء على ما هو عليه؟ لو كان الهواء سبعين بالمئة أوكسجين، كل الأرض تصبح حرائق، من قال يجب أن يكون الأوكسجين بنسبة تسعة وعشرين بالمئة؟ من قال ذلك؟ من المخصص؟ من المرجح؟ هو الحكيم، إذاً لا يمكن أن يُفسر كل شيء في الأرض قد أخذ وضعه الصحيح بلا زيادة ولا نقصان، النبات كان من الممكن أن تكون حبة العنب بحجم البطيخ، تفضل كُلها هذه، وكان من الممكن أن يكون البطيخ بحكم العنب، نصفها قشر، تقسمها فتكون ميلمتراً مكعباً، كان من الممكن أن يكون المشمش بحجم البطيخ، إذا فتحت هي هشة وماؤها كثير مستحيل تأكلها، كان من الممكن أن تكون البرتقالة بلا حزوز، تحتاج إلى مريلة من أجل ان تأكل برتقالة، من الذي جعل البرتقال بهذا الوضع الدقيق؟ يوجد حزوز ناشفة والحز داخله يوجد أكياس، انظر كم كيس، تجدها مبرغلة، كل قطعة كيس مربوط بخيط، والخيط موصول إلى مصدر النبات، كله كان من الممكن، كان من الممكن أن ينضج القمح كنضج التوت بالتدريج، عملية الحصاد تصبح انتحاراً بطيئاً، تمسك السنبلة فتجدها لم تنضج فتتركها تذهب إلى الثانية، مستحيل، القمح ينضج دفعة واحدة، العدس دفعة واحدة، الحمص كذلك، الشعير كذلك، لكن لو أن المشمش نضج دفعة واحدة ماذا نستفيد منه؟ لو أن البطيخ ينضج في الثامن والعشرين من شهر آب، ينضج البطيخ في كل أنحاء القطر، هل تستطيع أن تأكل في اليوم مئة بطيخة؟

الأسرة تأكل بالصيف حوالي خمسين بطيخة تقريباً، إن لم يكن مئة فهي تأكل خمسين تقريباً، لو كان في يوم واحد معنى هذا يجب أن تأكل في اليوم مئة بطيخة، هذا مبدأ، هذا طريق لمعرفة الله عزّ وجل،

كل شيء فكر به، طول الإنسان، مادام يأكل ينمو، فالطفل يأكل ويطول، لو كان هذا مبدأً ثابتاً، أي كلما أكلت ازددنا طولاً، يجب كل فترة أن ترفع السقف وتهد البيت، لا، ربنا عزّ وجل من أسمائه الجامع والمانع، يعطي أمراً لهذا العظم فيقف عند هذا الحد، انتهى الأمر.

الأسنان كذلك، كان من الممكن أن الأمواج الصوتية تبقى على قوتها كالأمواج الكهرطيسية، ألا تبث الإذاعة أمواجاً كهرطيسية فنتلقاها من أطراف الدنيا؟ إذاً الموجة الكهرطيسية لا تضعف، بالعكس بثوا رسائل إلى المشتري، المركبة الفضائية بقيت تسير في الفضاء الخارجي بسرعة أربعين ألف كيلو متر بالساعة ست سنوات إلى أن وصلت، وحينما وصلت إلى هناك بثت رسائل كهرطيسية، إذاً هذه الموجة لحكمة بالغة لا تضعف، أما الصوت العادي فيضعف، يمكن إذا سار شخص في الطريق فإنه لا يسمع هذا الدرس، لو كان يسمعه، لو كنت تسمع كل معامل العالم، وكل الشلالات بالعالم، وكل أسواق النحاسين بالعالم تسمعها، وتسمع كل ضجيج المعامل، إقلاع الطائرات كله، صوت أمواج البحر جميعه، يموت الإنسان، انظر إلى الهدوء، يتخامد رحمة بنا.

كان من الممكن ألا تنسى شيئاً، إذا وقف شخص موقفاً أحمق مزرياً يموت من قهره، طوال حياته يتذكر هذا الموقف، لكن من رحمة الله بنا أنه ينسى ذلك بعد أسبوع، إذا إنسان تكلم كلمة غير مناسبة، فيها وقاحة، أو فيها لؤم، أو فيها جهل، أو فيها حمق، أو سؤال خشن، قال أي إنسان: ركبت انترفون داخلي بغرفة الضيوف، هكذا خطط لنفسه يجلس، اصنعوا لنا قهوة، يسمعه في البيت يعملون له قهوة، وعمله معاكس أيضاً، فعنده ضيوف ذهب إلى أهله، ما كانوا يذهبوا، لا يوجد أغلظ من هكذا، منقول الصوت إلى غرفة الضيوف، شهر لا تذهب هذه من باله، وقعت، قريب لي عامل حاله يعمل بالكهرباء ركب إنترفون معاكس، دخل إلى عند زوجته سبّ الضيوف، لا يوجد أغلظ من هؤلاء، لا يتحركون، ونسي الجهاز مفتوحاً، لولا النسيان الإنسان يموت من قهره، كان من الممكن ألا تنسى، النسيان نعمة، والنسيان المطلق مشكلة أيضاً، تتذكر، فهذا البرهان كل شيء خُلِقت به آخذ وضعاً دقيقاً دقيقاً لو زاد درجة اختل، لو نقص درجة اختل.

## الأدلة من الكتاب على لفت نظر الناس لبصمات الخالق في الكون:

الآن اسمعوا الأدلة من كتاب الله:

**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ (71) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (72)**

**سورة القصص**

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ **إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (19)**

**سورة إبراهيم**

بالحق، بالتقدير الدقيق، أي بُعد الشمس عن الأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، بالحق، لو أن هذه المسافة زادت لمات الناس برداً، لو أنها نقصت لمات الناس احتراقاً، لو أن الشمس إذا أشرقت تكون متألقة كما هي في وقت الظهيرة، إذا أشرقت الشمس قرص بلون الذهب، مريح للعين، من جعلها وهي في الأفق ذات أشعة خفيفة فإذا صعدت إلى كبد السماء توهجت؟ من؟ الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ* قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ بالوضع المناسب، لو كان للشخص ابن صغير له أخلاق الكبار، يحقد مثلاً، إذا أردت أن تؤدبه مرة واحدة لا يكلمك مدة شهرين، الطفل له بنية خاصة تؤدبه بعد دقيقتين تراه يضحك، لولا هذه البنية لما أمكن أن تربيه، أما الكبير إذا كلمته كلاماً قاسياً يبقى شهرين لا يكلمك، يمكن ستة أشهر، سنتين، أما الصغير فيتحمل، لأنك تريد أن تربيه، إن لم يكن عنده نضج كاف وعنده حقد فهذه مشكلة، أما الله فجعله بريئاً، صافياً، ذاتياً، سريع النسيان، سريع التحول، بنية الطفل النفسية تناسب سنه.

لو أن المرأة مُفكِّرة تفكيراً مجرداً، جئت بعد الظهر فلم تجد طبخاً لكنها تقرأ بحثاً في الفلسفة، تعال انظر إلى هذه النظرية يا زوجي، أين الطبخ؟ لا يوجد طبخ، الله عزّ وجل أعطاها عاطفة، أعطاها إمكانات، أعطاها طريقة في التفكير تتناسب مع وظيفتها كامرأة، جعل عاطفتها تغلب على كل شيء، لأن بين يديها أطفالاً، كيف تربيهم؟ كيف تهبط إلى مستواهم؟ ما من قلب في الأرض أوسع من قلب الأم، أحياناً الأب يضيق ذرعاً بابنه، الأم تحتمله، لها ميزات لا يستطيع الرجل أن يلحقها بميزاتها، وكذلك الرجل له ميزات، لو وضعناها

قاضية، حرام أن نعدم فلاناً، يكون مجرماً، مشكلة، الله عزّ وجل ركّبَ بالمرأة صفات، إمكانات، بنية خاصة، عواطف معينة، طريقة في التفكير خاصة، طريقة في التعامل، طريقة في الانفعال تتناسب مع وظيفتها كأم وهي أقدس وظيفة على وجه الأرض، فإذا نافست المرأة الرجل خسرت السباق مرتين، خسرت السباق وخسرت أنوثتها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ لو أن البيضة يلزمها مفتاح سردين، لا يوجد معك مفتاح، انظر البيضة ما أجملها، ضربة خفيفة على طرف الصحن تتكسر، تضع خمسمئة بيضة بالسلة لا تتكسر، من أعطاها هذا الشكل المتين؟ من جعل بالصوص بمنقاره ينشأ نتوء مدبب، هذا النتوء يكسر به البيضة ثم يتلاشى، شيء لا يصدق، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾.

أمسك عنقود العنب شده تجده أصبح كالماء في يدك لينقطع معك، ويدك تصبح كلها ماء، اعمله بالعكس هكذا يُقطع معك، تصميم، بالشد لا يقطع أما بطريقة معاكسة للأرض، من أعطاه هذا الشيء؟ قال لي صديق: الدراقة قبل أن تنضج لا تنقطع معك، إذا نضجت أمسكها بيدك تنزل، ماذا يحدث في ذنبها؟ قبل يومين لا تقطع، إذا نضجت فقط أمسكها تصبح في يدك، يوجد تصميم، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ من نوع آخر، هذه كان من الممكن.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (30)

**سورة المُلك**

الله عز وجل، كان من الممكن ألا تنزل الأمطار إطلاقاً، هذا البيت سعره ثلاثة وعشرون مليوناً، لو لم يكن هناك ماء لا يساوي مليوناً، لا يساوي خمسمئة ألف، قال لي شخص: بيع المتر بثلاثة آلاف دون كسوة، السعر هبط للألف والخمسمئة بسبب قلة المياه في بعض المناطق، لما الماء قلّ السعر هبط، ما قيمة البيت الفخم بلا ماء؟ لا قيمة له، قال تعالى:

أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (63) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (64) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65)

**سورة الواقعة**

جبل قاسيون كله أشجار لكن لا يوجد ثمار، كان من الممكن أن تكون كل أشجار الأرض هكذا تفضل، أشجار خَضِرة نَضِرة جميلة ذات أوراق برّاقة لامعة، وارفة الظلال، جذوع لكن لا يوجد ثمار، كان من الممكن، قال تعالى:

**لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ (65)**

**سورة الواقعة**

**أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ (68) أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ (69) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ (70)**

**سورة الواقعة**

ممكن جداً أن يكون ماء المطر مالحاً، ماء كثير لكن بحاجة إلى تصفية، تأتي بإبريق شاي في البيت وتغليه، بساعة ونصف تصفي كأس شاي، تشربها، ممكن، كل الماء مالح، ما الحل؟ الآن صار هناك وحدات تصفية، كل لتر يكلف أربعاً وعشرين ليرةِ سوري، عشرون لتراً، أربع وعشرون بعشرة خمسمئة ليرة الصفيحة، لو أن ماء المطر كان ملحاً أجاجاً، الله جعله عذباً فراتاً:

**وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا (53)**

**سورة الفرقان**

## نواميس الكون تدل على وجود يد إلهية وحِكَم المصادفة تتناقض مع الحقيقة المشاهدة

إذاً غير الخالق، كل شيء مخلوق بحكمة بالغة، هذه الحكمة لا يُعقل أن تُرَد إلى المصادفة، مستحيل كله جاء صدفة؟! قال أحد العلماء: إذا آمنت بأن هذا الكون من نتاج المصادفة كمن يؤمن بأن قاموساً –قاموس لاروس من أدق القواميس الفرنسية عبارة عن ألفي صفحة، مع صور ملونة على الأبجدية، ثمانون ألف مادة، كل مادة أُسر، الأفعال، ضبط الأفعال، المصادر، الأسماء، المذكر، المؤنث، المصطلحات، حرف دقيق–قال: من يؤمن أن هذا الكون من نتاج الصدفة كمن يؤمن أن هناك لغماً وضِع في مطبعة، بعد الانفجار صدر قاموس لاروس، هذه الحروف نضدت وحدها، جاءت على شكل مواد ومعلومات وتسلسل ومنطق وصياغة وتجليد وورق وألوان وصور وحدها، مستحيل.

إذاً أن تَرُدّ هذه الأوضاع الحكيمة في كل شيء، كل شيء حكيم، كل شيء يدل على الحكيم، أن تَرُد كل هذه الأوضاع الممكنة المناسبة الحكيمة إلى المصادفة هذا شيء لا يقبله عقل، مثلاً يمكن أن تضع في كيس عشر ورقات، من الواحد للعشرة، فإذا مددت يدك وسحبت ورقة احتمال أن تكون الورقة ذات الرقم واحد ممكن تكون عشرة، ممكن تسعة، ثمانية، سبعة، ستة، خمسة، من أجل أن تمسك بالورقة ذات الرقم واحد، الاحتمال واحد من عشرة، من أجل ان يكون الاحتمال واحد اثنين، ممكن أن تمد يدك مئة مرة تكون بحالة واحدة واحد ثم اثنان، واضحة عندكم؟ من أجل أن تأخذ الرقم ثلاثة بعدها، واحد من ألف، أي إذا إنسان وضع في كيس عشر ورقات؛ واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، احتمال أن يسحب هذه الأوراق تباعاً الاحتمال واحد من عشرة آلاف مليون، أي عشرة آلاف مليون حالة حالة واحدة ممكن تستخرجهم بالتسلسل، هذه الصدفة.

قرأت في كتاب "الله يتجلّى في عصر العلم" إن ذرة واحدة من الحمض الأميني لا يمكن أن تكون صدفة إلا مع احتمال أن عشرة أضعاف الكون، لأن تركيب الحمض الأميني معقد جداً، له مجسمات بالمدارس مثل درج المئذنة، معقد إلى درجة متناهية، ذرة من الحمض الأميني أي عشرة أمثال الكون لا يكفي احتمالات لخلق ذرة واحدة من هذا الحمض، مستحيل.

إذاً هذه الحكمة هل تُعزى صدفة؟ مستحيل، إذا كان كل ذلك من الممكنات فلابد أن يكون وضعها القائم فعلاً ممكناً أيضاً، لأن أحد الاحتمالات المقابلة للصورة المفروضة إذا كان ممكناً فلابد له من مخصص قد خصصه بهذه الدرجة، إذ الأصل في جميع الممكنات العدم، ولا تخرج من العدم إلى الوجود إلا بموجد قادر حكيم وهو الله سبحانه وتعالى.

لا أدري إن كان هناك غموض بالموضوع، واضح؟ أي كل شيء مخلوق أمامك له درجة مناسبة، من الذي جعله بهذه الدرجة؟ لابد من حكيم، خالق حكيم، الخالق أوجده، أما الحكيم فجعله بهذا القدر الدقيق، هناك فرق الخالق أوجده أما الحكيم فجعله بهذا القدر الدقيق الذي لا يزيد ولا ينقص، فكّر بكل شيء، فكّر بكل شيء تستعمله، آخذاً وضعاً كاملاً، من جعله بهذا الوضع الحكيم؟ الحكيم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 15-63: الوصول للإيمان بالله: دليل التغير والسببية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الدليل الثالث على وجود الله سبحانه وتعالى دليل التغير والسببية:

أيها الإخوة الأكارم؛ الدليل الثالث على وجود الله سبحانه وتعالى دليل التغير والسببية، أبسط شيء تلاحظونه أن هذه البقرة تأكل الحشيش فنأخذ منها الحليب، بشكل أو بآخر هذا الحشيش الأخضر تحوَّل في بطنها أو تغيّرَ إلى حليب، وهذه الدجاجة تأكل كل شيء، تعطينا بيضاً ذا نسبة عالية من الغذاء.

قال بعضهم: الكون كله يَحِقّ لنا أن نسميه عالم المتغيرات، كل شيء فيه يتغير، فهناك تغيرات مستمرة في المواد الكيماوية، هناك تغيرات مستمرة في الصفات الفيزيائية، هناك تغيرات مستمرة في البذور، البذور تصبح أشجاراً، والأشجار تصبح هشيماً، والهشيم يتحلل إلى عناصره الكيميائية والفيزيائية، هناك حركة دائبة في الكون، كل جرم في الفضاء يتغير من مكان إلى مكان، يسير وفق فلك، هناك حركة في الذرات، هناك حركة في المجرات، هناك حركة في عالم الفيزياء، في عالم الكيمياء، في عالم النبات، في عالم الحيوان، في عالم الأرض، هناك حركة دائبة في البحار، مدّ وجذر، هناك حركة دائبة في الرياح، هناك حركة دائبة في الأمطار، هناك تغيرات مستمرة في كل شيء خلقه الله سبحانه وتعالى.

الصوت يتغير ويصبح كهرباء، والكهرباء تصبح أمواجاً في الفضاء الخارجي، والأمواج تنقلب إلى صوت في أجهزة الاستقبال، الصورة تصبح كهرباء، والكهرباء تصبح موجات ثم تُستقبل في جهاز الرائي، الماء يتبخر يصبح سحاباً يُعصر فينقلب إلى ماء، كان ملحاً أُجاجاً صار عذباً فراتاً، الفحم يتغير يصبح ماساً، تحت

ضغط شديد وحرارة مرتفعة ينقلب الفحم الأسود إلى ماس، هناك تعاقب الليل والنهار، طلوع الشمس والقمر، حركات تبدلات تغييرات مستمرة دائبة.

أي أبسط شيء هذا الكأس إذا نقلته من هذا المكان إلى هذا المكان، هذا تغيّر، الكأس كان هنا انعدم وجوده هنا بعد أن كان، ثم أُحدِث مكانه هنا بعد أن لم يكن، هذا أبسط شيء، أي أبسط أنواع التغير نقل شيء من مكان إلى مكان.

فقبل أن نصل إلى الأدلة عالم المتغيرات، الطفل يكون نقطة من ماء مهين، ذرة، حيوان منوي دخل في بويضة، يتغير ينقسم إلى آلاف المرات وهو في طريقه إلى الرحم، بالرحم تظهر وريقات وريقة باطنية؛ الأحشاء، وريقة خارجية؛ الدماغ، ثم يتشكل هذا الطفل شيئاً فشيئاً إلى أن يصبح كائناً، ذو سمع وبصر، ودماغ وأعصاب، وعضلات ومعدة وأمعاء، وكبد ورئتين، وكليتين وعظام، ثم يكبر ويكبر ويكبر ثم يشيخ ثم يموت، بعد خمسين سنة، ثلاثين، خمس، عشر، يصبح تراباً، كيف كان تراباً في الأصل؟ كيف تحوّل الغذاء إلى دم؟ والدم إلى نطف والنطف تحولت إلى كائن حيّ والكائن نما ثم شاخ ثم مات ثم تحلل إلى تراب؟ هل هناك من يعترض على هذا؟

كل ما في الكون يتغير من حال إلى حال، لكن هناك تغييرات بسيطة، وهناك تغييرات بالغة التعقيد، فنقل هذا الكأس من هذا المكان إلى هذا المكان هذا أبسط أنواع التغيير.

## الأشياء التي نراها في الكون لا يمكن أن تكون من دون مُغيّر:

لكن تحويل الحشيش إلى حليب، لو اجتمع الناس جميعاً، لو اجتمعت معامل الأرض، لو اجتمع علماء الأرض على تحويل قطعة حشيش ضمامة حشيش إلى كأس حليب هذا فوق طاقتهم، لو اجتمع علماء الأرض على تحويل حفنة من القذر إلى بيضة، هذا شيء فوق التصور، لو اجتمع علماء الأرض على تحويل هذا الطعام إلى دم والدم إلى نطفة والنطفة إلى كائن هذا شيء مستحيل، فنحن في تغير دائم.

هذا الكأس كان موجوداً في هذا المكان فانتقل إلى هذا المكان، انعدم وجوده بعد أن كان، حدث وجوده بعد أن لم يكن، هذا التغيير لابد له من مُغير، أبسط مثل لو إنسان معه ألف ليرة ذهب وضعهم في

صرة في صندوق داخل صندوق حديدي، جاء مرة فتح الصندوق الداخلي لم يجد هذه الصرة، بحث، ودقق، وسأل، واستطلع، وكان مرة عند صديق له تاجر أيضاً فتح هذا الصديق صندوقه فإذا بهذه الصرة داخل صندوقه، فادّعى للقاضي أن هذا الرجل قد أخذ مالي، فقال هذا الرجل: يا سيدي القاضي إن هذه الصرة من النقود رأيتها تمشي وحدها إلى أن دخلت إلى دكاني، فتح لها باب الصندوق فدخلت ثم أُغلق، إذا أردت أن تُصدق أن هذا الكأس تحرك من هذا المكان إلى هذا المكان من دون مغير، من دون سبب، فكمن يصدق أن هذه الصرة من الذهب انتقلت وحدها، من الذي فتح لها الباب الخارجي؟ فُتِح وحده، من الذي فتح لها الباب الداخلي؟ فُتِح وحده، كيف انتقلت؟ على أي شيء مشت؟ من حركها؟ من دفعها؟ من ساقها إلى هذه الدكان؟ من فتح لها باب الدكان؟ من فتح لها باب الصندوق؟ من فتح لها الصندوق الداخلي؟ كل شيء يتغير لابد له من مُغَيِّر، هذا دليل ثالث؛ الشمس كانت تشرق من هذا المكان فانحرفت زاويتها إلى هذا المكان، من غَيَّر موقع شروقها؟ هناك تغيير، الأرض كان النهار طويلاً في الصيف فصار قصيراً، كانت الشمس في الصيف عمودية فأصبحت مائلة، كان القمر بدراً فصار محاقاً، كان الماء ملحاً أجاجاً فصار عذباً فراتاً، كان الماء في البحر فصار في السحب ثم أصبح في الأرض ثم دخل إلى جوف الأرض ثم أصبح ينابيع وأنهاراً، عالم المتغيرات، كانت بذرة فصارت فسيلة، ثم شجرة، أورقت، أزهرت، أثمرت، قَطفت ثمارها، هذه التفاحة التي تأكلها بربك من أين جاءت؟ من التراب، يقول لك: سمدنا الأرض، وضعنا لها السماد الفلاني، والسماد الفلاني، والأرض حمراء تربتها فيها مواد حديدية، تأكل هذه التفاحة من هذا التراب، قال تعالى:

**وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ** يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ **إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (4)**

**سورة الرعد**

فهذا التبدل وهذا التغير وهذا التحول وهذا التطور لابد له من مُغيّر، ومن مُحوّل، ومن مُطوّر، لابد له، أما أن يحدث شيء بلا سبب فهذا من رابع المستحيلات.

## رُكِّب العقل في تكوينه على مبدأ السببية:

لذلك ربنا سبحانه تعالى ركّب في هذا العقل ثلاثة مبادئ، أول هذه المبادئ مبدأ السببية، أوضحه بالمثل التالي، أي لو أن أحدنا أراد أن يمضي أسبوعاً في بعض الأماكن الجميلة في الصيف، أغلق بابه، أغلق النوافذ، أغلق الباب الخارجي، قطع الكهرباء، قطع الماء، أغلق اسطوانة الغاز، أي أخذ احتياطات كافية، وذهب إلى نزهته، بعد أن عاد رأى مصباح الكهرباء متألقاً قبل أن يدخل البيت لماذا يصفر لونه؟ لماذا ترتعد فرائصه؟ لماذا يقول: لقد سُرقنا؟ لماذا؟ ماذا رأى؟ رأى ضوءاً مشتعلاً، قد تقول له زوجته الساذجة: لماذا أنت مضطرب؟ يقول لها: انظري الضوء متألق، تقول له: أطفئه، أتألقه أقلقك؟ أطفئه، لأن عقله رُكّب على مبدأ السببية لابد من شخص دخل إلى المنزل، ولابد لهذا الشخص من أنه وصل الكهرباء، وتألق هذا المصباح أثر من آثار وصل الكهرباء، ودخول رجل إلى هذا المنزل، هذا مبدأ السببية، أنت لا يمكن أن تفهم شيئاً من دون أن له سبباً، لا يعقل أن تفهم شيئاً بلا سبب.

الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه طُلِب منه أن يجتمع مع بعض الملاحدة في عصره، فكان الاجتماع على ضفة من ضفاف دجلة في بغداد أو في البصرة، فتأخر عن حضوره للموعد، فلما سألوه عن سبب التأخر قال: والله لم أجد قارباً أركبه، انتظرت ساعة فإذا بعض الأشجار تصبح منبطحة ثم تُشقّ فإذا هي ألواح، هذه الألواح تراكمت على بعضها حتى أصبحت زورقاً فركبت فيه ووصلت إليكم، فقالوا: أتهزأ بنا يا إمام؟ قال: اهزؤوا من أنفسكم لم تقبلوا قارباً صُنِع وحده بلا سبب.

إذاً مبدأ السببية أن كل متغير لابدّ له من مُغير، وكل متحول لابد له من مُحوِّل، إذا كان البراد عندك على المئة والعشرة، والمأخذ مئتان وعشرون، تقول: أين المحول؟ كيف تحوّلت الكهرباء من مئتين وعشرين إلى مئة وعشرة؟ تحتاج إلى محول، فكل مُتغير يحتاج إلى مُغير، كل متحول يحتاج إلى مُحوّل، كل متطور يحتاج إلى مُطوّر، كل متحرك يحتاج إلى محرك، هذا هو مبدأ السببية، لا شيء يكون من تلقاء ذاته، والأرض وما فيها، والسماء وما فيها، والبحار وما فيها، وجو الأرض وما فيها، فيه أشياء متحولة متغيرة متبدلة بشكل مستمر:

**إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (86)**

**سورة الحِجر**

## الاستشهاد بأمثلة من الواقع على مبدأ السببية:

دائماً هناك مخلوقات، هذه الشجرة تنمو، وهذا النبات يذبل، وهذه الوردة تتفتح، وهذا المطر يهطل، وهذا الطفل يكبر، إذاً الشيء الأساسي لنأخذ أبسط هذه التغييرات نقل هذا الكأس من هذا المكان إلى هذا المكان، انعدم وجوده بعد أن كان، وحَدَثَ وجوده بعد أن لم يكن، شيء حادث لابد له من مُحْدِث، شيء انعدم لابد له من مُغَيّر أعدم وجوده هنا، فهذا هو السبب الثالث الداعي إلى الإيمان بوجود الخالق.

النطفة في رحم المرأة كيف أصبحت عظاماً؟

**ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آَخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (14)**

**سورة المؤمنون**

ثم كسونا اللحم جلداً، ونبت من الجلد أشعار، وفي كل شعرة غدة دهنية وغدة صبغية وعضلة وشريان ووريد وعصب، في كل شعرة غدة دهنية وغدة صبغية وعضلة يقول لك: وقف شعر بدني، ما الذي أوقفه؟ عضلات، غدة دهنية وغدة صبغية وعضلة وشريان ووريد وعصب، وفي رأس الإنسان مئتان وخمسون ألف شعرة تقريباً، هذه أشعار الرأس، والعضلات؛ عضلات مُبسطة، عضلات مخططة، عضلات ملساء، عضلات إرادية، عضلات لا إرادية، والشرايين؛ شرايين داخلية لخطورتها، والأوردة خارجية، الشرايين حمراء والأوردة زرقاء، وهناك دسامات، وشرايين الأرجل لها دسامات لِئلا يعود الدم بفعل الجاذبية إلى الأسفل، والدوالي ارتخاء هذه الدسامات، إذا ارتخت هذه الدسامات يُصاب الإنسان بِعُقد زرقاء في رجليه، هذه الدوالي، والقلب وتجاويفه، والرئتان، والأمعاء، والمعدة، والبنكرياس، والصفراء، والكبد، والكظر، والنخامية، والدرقية، وهذه الغدد التي تأخذ بالألباب، والكبد له خمسة آلاف وظيفة في أحدث بحث، خمسة آلاف وظيفة، كلها متغيرات، كيف أخذت الصفراء مادتها من الدم؟ كيف تحوّل هذا الغذاء إلى دم؟ والدم أعطى البنكرياس، وأعطى الصفراء،

وأعطى الدرقية، وأعطى النخامية، وأعطى الكظر، كيف يعطي؟ يعطي كل غدة ما تحتاج، هذه تحتاج إلى بوتاس، هذه تحتاج إلى كالسيوم، هذه فوسفور، فهذه التغييرات لابد لها من مُغيّر.

على مستوى البيت ممكن تحضر سبع بيضات، وكأس سكر، وكأسين من الطحين، ومعلقة فانيليا، تتركهم على الطاولة وتنتظر ألم يصيروا كاتو؟ لا، لن يصيروا كاتو، إذا لم تأتي سيدة البيت تخفق البيضات وتضع الطحين والسكر والفانيليا وتضعهم في فرن لن يصيروا كاتو، تحوّل هذه المواد الأولية إلى قطعة حلوى يحتاج إلى صانع، أحضر قطعة حطب، ضعها على الطاولة قل: متى تصبح مقلمة لأقلام ابني؟ لا تصبح إلى أن يأتي صانع فيجعل منها مقلمة، لا يوجد مانع المواد الأولية الآن صعبة التأمين، أمّن الإسمنت والحديد والبلاط والدهان، وأمّن الخشب، وأمّن كل ما يحتاجه البناء، وضع الرمل والإسمنت والحديد والبلاط واتركهم لنرى، سوف نتركهم سنة هل يصبحون بيتاً؟ هذا التفكير السليم، سنتان، خمس سنوات، مئة سنة، ليس لن يصيروا بل لن تجدهم.

هذا الواقع، لا شيء يحدث بلا شيء، هذا هو مبدأ السببية، مبدأ السببية أن شيئاً لا يكون بلا سبب، هذا التغير يحتاج إلى سبب، وهذا إلى سبب، وهذا إلى سبب، لو رسمنا التغيرات على شكل أمواج، فكل صعود يحتاج إلى سبب، وكل هبوط يحتاج إلى سبب، الصعود سبب، الهبوط سبب، إذا مثلنا التغيرات في الكون بهذه الأمواج، كل صعود له سبب، وكل هبوط له سبب، إلى أن تصل إلى سبب أولي واجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، هو مسبب الأسباب، هذا ملخص الدليل الثالث على وجود الله سبحانه وتعالى، اسمه: دليل التغير والسببية.

## الحركة الدائمة في الكون دليل على القدرة الإلهية الحكيمة الكاملة:

إن من المُسلّم به أن كل هذه التغييرات الكونية لابد لها قطعاً وليس ظناً من سبب حقيقي، هذا السبب الحقيقي كامل القدرة، لأن في هذه التغييرات قدرة لا توصف، تحريك الأرض كم يحتاج؟ تحريك سيارة وزنها خمسمئة كيلوغرام يقول لك: تعمل ثلاثمئة بالصفيحة، إذا كانت السيارة طناً ونصف، يقول لك: مئة بالصفيحة، المدرعة خمسون طناً تعمل خمسة وعشرين كيلو غرام بالصفيحة، الطائرة ليست دفعاً إنما حملاً،

هذه الطائرة سبعمئة وسبعة وأربعون، وزنها مئة وخمسون طناً بالضبط فارغة، ووزن وقودها مئة وخمسون طناً، تصور، تتسع لمئة وخمسين طناً من الوقود، تستهلكها في سبع عشرة ساعة، تصور السيارة معقول يكون وزن الوقود بقدر وزنها؟ مستحيل، لأن الوقود يدفعها دفعاً، لكن الوقود في الطائرة يحملها حملاً ويدفعها، إذاً هذه أرقام دقيقة، طائرة وزنها مئة وخمسون طناً، وقودها وزنه مئة وخمسون طناً، تُستهلك في رحلة طويلة أي من دمشق إلى أمريكا، تستهلك هذه الطائرة بقدر وزنها وقوداً، هذا هو التحريك، التحريك يحتاج إلى طاقة، لذلك وَجَب أن يكون المُغير كامل القدرة، هذه الأرض كم وزنها؟ إذا الإنسان سافر إلى حلب مثلاً، وإذا كان عنده كرة أرضية، رأى عليها حجم سوريا لن يكون حجم سوريا أكثر من سنتمتر واحد، أي ما قطع إلى اثنين ميليمتر من هذه الكرة، هذه الكرة كم حجمها؟ كم وزنها؟ من يحركها من مكان لآخر؟ كم مرة تحركت؟ يقول لك: تشرق الشمس في الثالث والعشرين من شهر شباط مثلاً الساعة السادسة وسبع دقائق، معنى هذا حركة منتظمة، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا** وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)

**سورة فاطر**

كل كوكب يسير على مساره الطبيعي دون أن يحيد عنه، هذا دليل أن كل تغيير لابد له من مُغيّر، والمسبب الأول لكل هذه الأسباب هو الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، فإن من المُسلّم به أن كل هذه التغييرات الكونية لابد لها قطعاً من سبب حقيقي كامل القدرة صدرت عنه هذه القوى الكونية الكبرى، وتمت بخلقه هذه التغييرات الكونية الهائلة، والحوادث العجيبة، وهو كامل الحياة، أيضاً دبت عنه صورة الحياة في الأجساد الحية، وكامل العلم، صدرت عنه العقول القابلة للعلم، وكامل الحكمة، صدر عنه كل أمر متقن مُحكم، إلى غير ذلك من صفات الكمال الإلهية، يوجد بهذه التغييرات حكمة، إذاً كامل الحكمة، يوجد قدرة، إذاً الله عز وجل كامل القدرة، يوجد لطف، كامل اللطف، أي صفة تكشفها في خلق الله منبعها من ذات الله.

## الأدلة الواردة في الكتاب على مبدأ السببية:

أحياناً هذا الدليل يقابله دليل آخر إن شاء الله نوسع فيه التفصيل في درس قادم وهو دليل الغائية، اليوم دليلنا التغير والسببية، في درس قادم كل شيء له غاية، ما من شيء يوضع مثلاً حينما ترى قطعة حديد خلف سيارة الشحن، على الأرض، إياك أن تظن أن السائق نسيها سائبة، كان عليه أن يرفعها، لا، يجب أن تبقى هكذا، من أجل ان تمتص الصواعق لو حدثت، ما من شيء تراه عينك إلا وله غاية، هذا إن شاء الله نُوسع فيه التفصيل في درس قادم.

سيدنا إبراهيم:

فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا **قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِينَ (76)**

**سورة الأنعام**

من جاء بالليل بعد أن كان النهار؟ لابد من مُغيّر: ﴿**فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآَفِلِين* فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ**﴾ أيضاً رفض أن يكون القمر بعد أن أفل هو ربه: ﴿ **فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ* إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا**﴾ هو رأى هناك تغير، يوجد ليل، يوجد نهار، يوجد شروق، يوجد غروب، يوجد حركة، لابد لهذا التغير من مُغيّر، هذه الآية تدلنا على هذه المراحل التي تطورت من حال إلى حال، مثلاً:

وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ **وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (11)**

**سورة فاطر**

آية أخرى تُؤكد مبدأ السببية والتغيّر:

**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (44) وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (45)**

**سورة فاطر**

كانت ماء فصارت دابة.

إذاً هذه الآيات التي جاءت دليلاً على سبب التغير والسببية، وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يُتاح لنا في درس قادم أن نتابع هذه الأدلة، أي ما أجمل أن يجتمع في قلب المؤمن الدليل الفطري مع الدليل العقلي، إنه بالدليل العقلي يستطيع أن يُعلِّم الآخرين، يُعلِّم أبناءه، لو أن ابنك جاءك بشبهة، يا بابا من خلق الله مثلاً؟ هذا الكلام عندك الأدلة الكافية على ردّ هذه الشبهة.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 16-63: الوصول للإيمان بالله دليل الإتقان في الكون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### دليل الإتقان في الكون هو الدليل الرابع على وجود الخالق سبحانه وتعالى:

أيها الإخوة الأكارم؛ اليوم درسنا في العقائد الدليل الرابع على وجود الخالق سبحانه وتعالى، وهذا الدليل عنوانه: دليل الإتقان في الكون، أي أنت إذا تفحصت آلة من الآلات إن كانت مؤلفةً من عشر قطع فما فوق لابد مع تَفَحُّص هذه الآلة أن تجد خللاً طفيفاً في بعض القطع، أما إذا تفحصتها ملياً قطعة قطعة، لولباً لولباً، صماماً صماماً، فلم تجد خللاً ولا خطأ في التركيب، ولا في التشغيل، لابد أن تكتشف أن وراء هذه الآلة صانعاً حكيماً مُتقناً.

ما من صناعة ترونها أنتم إلا وفيها سقط، إن كان على مستوى آلات، إن كان على مستوى أقمشة، إن كان على مستوى صناعات خفيفة أو ثقيلة، لابد من خلل، لابد من خطأ، لابد من تقصير، لابد من زيادة، لكنك إذا رأيت شيئاً لم تكتشف ولا غلطة ولا خللاً ولا اضطراباً بل إتقاناً ما بعده إتقان تحسّ أنك معجب إعجاباً لا حدود له بصانع هذه الآلة، عندئذ لا تعتقد أن لهذه الآلة صانعاً فحسب، بل لهذه الآلة صانعاً من أعلى درجة، مستواه في الصناعة عالٍ جداً، ذوقه رفيع جداً، دقته في التركيب بالغة جداً، حصافته في التشغيل عالية المستوى، فربنا عز وجل يقول في القرآن الكريم:

**وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (88)**

سورة النمل

قال تعالى:

**الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3)**

سورة الملك

أي بعضهم فسر هذه الآية أنه ما ترى في خلق الرحمن من اختلاف، لا، هناك اختلاف، النملة كالحوت؟ الذرة كالمجرة؟ هناك اختلاف كبير في الحجوم، في الأشكال، في الألوان، في الوظائف، في المنشأ، في النهاية، ما أوسع التفاوت في خلق الله عز وجل عز وجل؟! فكيف يقول الله عز وجل: ﴿**ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾ كيف؟ فسّر هذه الآية المفسرون بأن مستوى الصنعة من أعلى درجة في الإتقان، فإتقان النملة كإتقان الحوت، وإتقان الذرة كإتقان المجرة، وإتقان العصفور كإتقان الحشرة، ولا ترى في خلق الله عز وجل خلقاً مستوى الإتقان فيه من الدرجة الثانية.

أي معملٍ يقول لك: هذه البضاعة من الدرجة الأولى، هذه نخب ثانٍ، هذه بضاعة تجارية، هذه سقط، ما من صناعة إلا ولها درجات، أما أن الله سبحانه وتعالى كل شيء خلقه في الكون، وفي الأفلاك، وفي المجرات، وفي الكواكب، وفي الأقمار، وفي الشموس، وفي الأرض، وفي باطن الأرض، والذي على سطح الأرض، في عالم الأسماك، في عالم الأطيار، في عالم الحيوانات، في عالم النباتات، في عالم الإنسان، في عالم الجن، في عالم الملائكة قال الله: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾ كل خلق الله عز وجل درجة الإتقان فيه أعلى درجة، وكل هذه المخلوقات من مستوى واحد من حيث الإتقان.

أي إنسان يمشي في الطريق، يسمع بوق سيارة ينحرف نحو اليمين، هل تصدق أن في دماغك جهازاً من أعقد الأجهزة؟ إن هذا الجهاز يقيس زمن وصول الصوتين إلى الأذنين، يقيس تفاوت وصول الصوتين إلى الأذنين، فإذا عرف أن الصوت وصل إلى هذه الأذن قبل هذه الأذن اكتشف هذا الجهاز في المخ أن السيارة من على يمينك، لذلك ينحرف هذا الإنسان على اليسار.

أبسط شيء من يصدق أنك لن تستطيع أن تقف على قدميك والدليل؛ إذا مات الإنسان هل بإمكان أهله أن يجعلوه واقفاً؟ لا يستطيعون، لو نظرت إلى هيكل إنسان في بعض المحلات التجارية انظر إلى قاعدته،

سبعون سنتمتراً من أجل أن يبقى هذا التمثال واقفاً، نموذج بائعي الألبسة من أجل أن ينتصب هذا الإنسان لابد من قاعدة واسعة جداً، فكيف يقف الإنسان على قدميه؟ لابد من جهاز للتوازن في الأذن الوسطى، ثلاث قنوات فيها سائل، فيها أشعار، فإذا مال الإنسان بقي السائل أفقياً في سطحه، فإذا مال الإنسان هكذا ارتفع السائل هنا لامس الأشعار، أعطى إشارة إلى الدماغ أن هناك ميلان قد حصل، عندئذ يُصحح الإنسان وقفته، ولولا هذا الجهاز لما استطاع الإنسان أن يركب دراجة أبداً، التوازن مستمر كلما مال لجهة عدّل وقفته أو استقامته إلى الجهة الثانية.

خلق الإنسان؛ أي هذه القناة الدمعية من الدقة بحيث يصعُب تصورّها، ومع ذلك تُصرّف فائض الدمع إلى الأنف، الأنف بحاجة إلى رطوبة دائمة، لأن الأنف عبارة عن سطوح متداخلة، محاطة بطبقة لزجة، تحتاج إلى ترطيب دائم من أجل أن تصطاد الأجسام الغريبة العالقة في الهواء، أي أعلى جهاز تصفية في الأنف، سطوح متداخلة، مطلية بمادة مخاطية، مُرطَّبة بدمع العين، فيها أشعار، وشرايين وهذه المنطقة ذات عضلات بحيث تتوسع إذا بردت، فإذا برد الطقس ترى الأنف أحمر قانياً بدليل توسع الشرايين من أجل رفع درجة الحرارة، من أجل أن تأخذ الهواء من هنا بحرارة تعادل الصفر، ويصل إلى أول القصبتين بحرارة تساوي ثمان وثلاثين درجة بمسافة قصيرة، أرقى جهاز تسخين.

## خلق الإنسان يؤكد على أن هناك صانعاً حكيماً:

هذا الدماغ، إتقانه إلى أقصى الحدود، أي أربعة عشر مليار خلية سمراء للمحاكمة، والتخيّل، والتصور، والذاكرة، ومركز السمع، ومركز البصر، ومركز الحركة، ومركز التوازن، ومركز، ومركز، أي عالم قائم بذاته، هناك عمى يصيب الإنسان، عمى في الدماغ، العين سليمة مئة في المئة، لكن مركز الرؤية في الدماغ يتعطل، أربعة عشر مليار خلية سمراء في الدماغ تستند إلى مئة وأربعين مليار خلية استنادية لم تُعرف وظيفتها بعد، والشيء المدهش أن خلايا الدماغ بل إن الخلايا القشرية في الدماغ مُستعصية على مرض السرطان، لم يسجل الطب حتى الآن حالة ورم خبيث في هذه المنطقة، لأن هذه المنطقة منطقة المحاكمة والتفكّر، فربنا سبحانه وتعالى كرّمها وشرّفها وحصّنها.

هذا الدماغ حساس إلى درجة قصوى، إذاً لابد من أن يُحاط بسائل، هذا السائل يقيه الصدمات، فأية صدمة تصيبه إن هذه الصدمة تُوزّع على مُجمل مساحته، إذاً لو أن صدمة قُدرت بخمسة كيلو في المكان المحدد وُزّعت على كامل السطح لأصبحت غرامين، انتهى، من جعل هذا الترتيب؟ من جعل هذه الرقبة تدور مئة وسبعين درجة؟ أي أدق زاوية الدوران، من جعل هذا الدماغ في هذه الحجرة المُحصّنة؟ ومن جعل هذه الحجرة ذات مفاصل مُكسّرة ثابتة؟ لو أن هناك صدمة عنيفة أصابت الدماغ، هناك مجال لتداخل هذه السطوح أقل من ميلي واحد، هذا المجال يمتص الصدمة، ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

من جعل هذه العين وفيها هذه الأعصاب مئة وثلاثون مليار عصّية ومخروط في شبكية العين؟ ومن جعل شبكية العين تتحسس بالخيالات التي تقع قبلها فتُرسل إلى الدماغ أمراً إشعاراً بذلك؟ الدماغ يرسل أمراً إلى الجسم البلوري بالانضغاط حتى يقع الخيال على الشبكية من أجل أن تكون الرؤية صحيحة، فإذا وقع الخيال خلف الشبكية أعطت أمراً إشعاراً آخر للدماغ بحيث يأمر الجسم البلوري بالتطاول كي يقع الخيال على الشبكية، من أتقن هذا الصنع؟ الله سبحانه وتعالى.

من جعل هذه الأشعار –كما قلت لكم في درس سابق–لكل شعرة شريان ووريد وعصب وعضلة وغدة دهنية وغدة صبغية؟ من جعل هذه المعدة؟ لو تفحصت الجهاز الهضمي، وموضوع الرغامى، لسان المزمار، هذا اللسان يعمل ثمانين عاماً إذا أردت التنفس يُغْلَق المريء إغلاقاً محكماً، وإذا أردت الأكل تُغلق القصبة إغلاقاً محكماً، من دون أن تشعر، من جعل هذا اللسان جهازاً للذوق؟ جهازاً للنطق؟ جهاز للهضم؟ له وظيفة هضمية، وله وظيفة نطقية، وله وظيفة متعلقة بالذوق، حاسة خامسة، ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

من جعل هذا المفصل في هذا المكان بالذات؟ من جعل هذا المفصل إنسياً وجعل مفصل الركبة وحشياً؟ من جعل كذلك؟ من جعل هذه العظام الثمانية بحيث تتحرك اليد في كل الاتجاهات؟ من جعل هذه الأصابع؟ من جعل هذا الجلد مخططاً تماماً كي تمسك به كل شيء؟ أداة اللقط لها خطوط، كذلك الأصابع، من جعل هذه الأظافر؟ من ألغى أعصاب الحس من الأظافر كي تقصها في البيت من دون مستشفى من دون عملية جراحية من دون تخدير؟ من ألغى أعصاب الحس من الشعر؟ من جعل أعصاب الحس في نقي العظام بحيث لو كُسِرت لكان الألم لا يُطاق؟ وهذا الألم وحده نصف العلاج، شدة الألم تجعلك تُبقي العظم المكسور

على وضعه، هذا هو العلاج، الألم الوقائي، من جعل في الأسنان أعصاباً حسيّة بحيث لو أن نخراً أصاب بعض الأسنان لا تنام الليل من أجل أن تبادر إلى معالجته وإلا يظل النخر قائماً فيه إلى أن تأكله مع الطعام وتفقد أسنانك كلها؟ من جعل هذا الجلد؟ من جعل هذه العضلات؟ ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾.

هذا النخاع الشوكي خطير جداً أودعه الله داخل العمود الفقري، وهذا الرحم خطير جداً أودعه الله داخل الحوض، وهذا القلب خطير جداً أودعه الله داخل القفص الصدري، ومعامل الكريات الحمراء خطيرة جداً أودعها الله داخل العظم في نقي العظام، هذا صُنْع الإنسان.

من جعل هذه الكلية يسير فيها الدم في اليوم والليلة مئة كيلو متر؟ فيها مليون نفرون، أطوالهم عشرون كيلو متر، يمر الدم كله في الكليتين في اليوم خمس مرات، من أعطاك؟ من جعل هذه المثانة؟ من جعل هذه الأجهزة؟ من جعل هذه الأمعاء طويلة ثمانية أمتار؟ لماذا؟ من أجل أن تبقى مستريحاً في عملك ساعات طويلة، لو أن الأمعاء طولها عبارة عن متر أو مترين إنك محتاج إلى أن تذهب إلى بيت الخلاء في كل ربع ساعة، كل نصف ساعة تحتاج أن تعمل زيارة، لكن هذه الأمعاء الطويلة تجعلك في عملك، في احتفالك، في مكانك، في مسجدك، تمضي ساعات طويلة وأنت معافى مستريح، ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

هل طرأ على خلق الإنسان تعديل منذ أن خلقه؟ هذا الكبد الذي يقوم بخمسة آلاف وظيفة في أحدث البحوث العلمية من منّا يستطيع مثلاً أن يُحوّل المواد الدسمة؟ هذا في خلق الإنسان، من جعل هذا العظم لو كُسِر بعد أن نامت الخلايا وهجعت ثلاثين عاماً تستيقظ وتُرمم نفسها بنفسها؟ من؟ الله سبحانه وتعالى، هذا خلق الإنسان ومثله خلق الحيوان.

هذا الصوص الذي يُخلّق داخل البيضة قبل أن يخرج منها يظهر له نتوء مدبب على منقاره يُعينه على كسر البيضة، فإذا كسرها تلاشى هذا النتوء، من؟ من جعل الماء إذا تجمد يزداد حجمه؟ من؟ لولا هذه الظاهرة لما كنّا نحن الآن، لما بقي على وجه الأرض حياة، أي الإتقان، الدرس اليوم ليس الحكمة؛ الإتقان.

أحياناً تجد سيارة أو آلة إتقانها عجيب، يقول لك: المبيعات لسنة محجوزة، عليها إقبال شديد لدقة الإتقان، فربنا عز وجل ما من مصنع للسيارات إلا ويُعدّل، التعديل دليل نقص، كل عام يُضيف تحسينات لم

تكن موجودة، يُمتِّن بعض الأماكن، يُقوّي بعض المناطق الضعيفة، يختبرها، يختبر سرعتها، يختبر ثباتها على الأرض، يزيد، يُقَلّل، يُمتّن، يقوّي، يضيف زيادات، هذه التعديلات دليل النقص، لكن ربنا عز وجل خَلْقُ الإنسان متقن إتقاناً بالغ الدقة، الطفل الصغير حينما يلد يجد ثديين، حليباً ساخناً في الشتاء، بارداً في الصيف، مُعيراً تعييراً يومياً، فيه مناعة الأم الكاملة، يسهل هضمه، فيه مواد قاتلة للجراثيم، البحث عن حليب الأم لا يُصدّق لشدة العناية بها الإنسان، لذلك قال العلماء: هذا الدليل اسمه: دليل الإتقان أو دليل العناية، أي إذا دخلت إلى بيت ووجدت إتقاناً في بنائه و إتقاناً في تزيينه، وإتقاناً في أثاثه، وإتقاناً في فرشه، هذا الإتقان ألا يلفت النظر؟ إتقاناً ما بعده إتقان، ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾.

## العلاقة المتباينة بين اسم الخالق واسم العزيز وأثرهما في الكون:

لو جلست إلى مائدة ورأيت الطعام قد وُضِع بأطباق من نوع واحد، والأطباق موزعة توزيعاً مناسباً، في كل طرف من أطراف الطاولة طبق، وأطباق أخرى فارغة بعضها عميق، بعضها مسطح، أدوات الطعام، المنديل، الزهور، كل شيء من أعلى درجة، ألا تعتقد أن هناك مُصمماً لهذا الطعام وضعه بهذا الشكل وقد دخل مدرسة لفني تقديم الطعام؟ أي نحن بحياتنا اليومية نستنتج دائماً استنتاجات تُلفت النظر، هذه الاستنتاجات متعلقة بأن لكل شيء متقنٍ، نحن أول شيء كنا نريد خالقاً، الخالق موجود لكن خالق له أسماء حسنى أي صنعته من الإتقان بحيث لا تستطيع أن تأخذ عليه شيئاً، يلتقي اسم الخالق مع اسم العزيز، معنى العزيز لا يُنال جانبه، لو أنك تفحصت شيئاً ورأيت فيه عيباً وقلت: انظر، تجد الصانع ينكمش، يتضاءل، يخجل، يعتذر لك، لكنك إذا تفحصت غرفة نوم، فتحت أبوابها، نظرت إلى داخلها، فتحت الدروج، وجدت إتقاناً منقطع النظير، وهو يتأملك الذي صنعها، تقول له: أعطاك الله العافية، ولا كلمة، لكن لو وجدت فيها عقدة، لو وجدت مُفصّلة بدون برغي، لو الباب لم يطبق أو طبق ولكن يوجد فرق، أو طبق مع ضغط شديد، أو وجدت الألوان مختلفة، أو داخل الدروج ما صبغها لك، تنزعج، تأخذ عليه مأخذاً.

فلذلك عندما تكون الصنعة متقنة إلى أقصى الحدود تسكت، إتقان صنعته يُسكت الألسنة، لذلك هو عزيز لا يُنال جانبه، لا يستطيع أحد أن يأخذ على صنعته مأخذاً، ولا انتقاداً، ولا غلطة، كل الذي خلقه عين الكمال، ليس في الإمكان أبدع مما كان.

## ضرب نوع من الأمثلة على صنع الله في الكون:

أحياناً ترى الهر في المنزل، انظر إلى جماله، انظر إلى عضلاته، تجد أن له شاربين، هناك سيارات شاحنة، تجعل في مقدمتها قضباناً مائلة تنتهي بضوء في الليل من أجل أخذ مجال للسير، حتى لو أنّ أحداً واجهها ليلاً يحدد له حجماً أكبر من حجمها، يتلافاها، هذا القط أو هذا الهر يمشي في الظلام يحتاج إلى مُشعرات، فهذه الشوارب التي له الطويلة إنها مشعرات له، يعرف ما الذي أمامه، ما الذي على جانبه، ما الذي على جانبه الثاني، شاربا الهر آية من آيات الله عز وجل.

الفصّة مثلاً، لو ربنا عز وجل جعلها تنبت فإذا عُرفت انتهت مثل الفول أو مثل أي نبات آخر، لم يعد اقتصادي، قال: هذه الفصّة تحصدها ست مرات، إذاً اقتصادية، هناك إتقان، حدثني أخ كريم يعمل في الزراعة وهو مختص بالمراعي، قال لي: بعض النباتات الرعوية، الثمرة مركبة على حلزون مُفرّغ، فإذا هبت الريح يدور هذا الحلزون في الأرض، ينغرس في الأرض، فإذا انغرس أفرغت الثمرة بذورها في هذا الحلزون فنزلت هذه البذور إلى باطن الأرض، أي زراعة إلهية من دون أن تشعر، هناك بذور طائرة لها أجنحة تنتقل من قارة إلى قارة، ﴿صنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي عالم النبات شيء لا يصدق، ربنا عز وجل قال:

**وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (99)**

سورة الأنعام

أنواع الأخشاب، حدثني أخ نجار، قال لي: عندنا مئة نوع أعرفها، الذي عنده طقم ستيل، هذا الخشب أساسه زان، لو صُنِعت النوافذ من هذا الخشب لما صلُحت، لأن هذا الخشب كأن الله عز وجل صممه لداخل البيوت، فإذا واجه المطر والشمس تفسخ وفسد، لا يصلح، الله عز وجل خلق نوعاً خاصاً للنوافذ الخارجية، هذا النوع لا يتأثر لا بالماء ولا بالرطوبة ولا بالهواء ولا بالشمس، فخشب النوافذ من نوع، وخشب الأثاث من نوع، وخشب أقلام الرصاص والكبريت من نوع لين جداً، وهناك خشب يستعمل استعمالات متعددة، وهناك خشب

جميل جداً لونه أبيض فيه عروق جميلة للأبواب الخارجية، وهناك خشب للآلات يمتص الصدمات، حدثني شخص قال لي: معمل أحضر مجموعة آلات ركّبها على قواعد إسمنتية بعدما ركبها الخيط يقطع، ليس لها حل، أحضر خبيراً، اثنين، ثلاثة، الآلة جديدة والقاعدة الإسمنتية جيدة، والخيط يقطع المكوك، أحضروا خبيراً دارساً في دولة أجنبية طلب أربعين ألف لتركيب عشر آلات، نزع هذه القواعد الإسمنتية، قلعها وأحضر خشب توت، وضع لكل آلة قاعدة من خشب التوت، درسوا هناك أن خشب التوت له ألياف متينة ومرنة تمتص الصدمات، فكل آلة نسيجية يجب أن توضع على قاعدة من خشب التوت، بعدما ركب الآلات أخذ على هذه الفكرة أربعين ألف ليرة، طبعاً المعمل دفع ثمن الخشب، لكنه ارتاح للفكرة، من صمم هذا الخشب من أجل هذه المهمة؟ والله الذي لا إله إلا هو أشعر لو أمضينا مئة عام في الحديث عن وجه الإتقان في خلق الله ما اكتفينا، مئة عام، ماء البحر، الأسماك، السمك جعل الله عز وجل له أنبوباً مفرّغاً من الهواء تحت الحراشف، هذا جهاز الضغط، السمكة تعرف في أية لحظة أين هي من البحر، على أي ارتفاع أو على أي عمق، فكلما غاصت في أعماق البحر زاد ضغط المياه على هذا الأنبوب، جهاز يُشْعر بمدى بعدها عن سطح البحر، السمكة متقنة جداً، كيف تستطيع هذه السمكة أن تطفو؟ وكيف تستطيع أن تغوص في أعماق البحر؟ إنها تُصنّع الهواء من معدتها، وتملأ به أكياساً فتطفو، تُفرّغ الهواء فتسقط، والغواصة حينما صنعها الإنسان قلّد بها السمكة، من جعل لها هذه الزعانف؟ لها ثلاث وظائف؛ أداة توازن، الزعانف تجعلها متوازنة، والزعانف تُعينها على توجيه الدفة الأخيرة، بحركة الزعنفة الأخيرة تتجه السمكة، والزعنفة أيضاً أداة دفع كالمحرك تماماً، أداة دفع وتوجيه وتوازن، إذا تأمل الإنسان السمك، تأمل الفواكه، تأمل الثمار، تأمل الأشجار، يجد إتقاناً ما بعده إتقان.

الشيء الذي يُلفت النظر أن ربنا عز وجل خلق التفاح، يوجد ثلاثمئة نوع من التفاح، هذا منتهى الإكرام، منتهى الإتقان، نوع صغير سكري، نوع كبير شتوي، نوع أحمر اللون، نوع لونه الأحمر أشدّ دكانة من الأول، نوع لونه أصفر، نوع هش، نوع صلب، نوع حلو المذاق، نوع فيه حموضة قليلة، نوع يُعمّر طويلاً، أنواع منوّعة، العنب كم نوع؟ لذلك: ﴿ما تَرَى فِي خلْقِ الرَّحْمنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ ليس هناك صنعة فحسب بل هناك صنعة متقنة إلى أعلى درجة في الإتقان، هذا الإتقان دليل وجود الله عز وجل ودليل أسمائه الحسنى.

هذا الأنف تحسسه تجد العظم ينتهي هنا، هذا القسم غضروفي، لو كانت الصنعة غير متقنة كله عظم، كم إنسان يتحطم أنفه؟ يمكن بالمئة تسعة وتسعون، شخص ما انتبه مادام منطقة بارزة ومدببة وصلبة تنكسر فوراً، الله خلق لك أنفاً ثلثاه عظم، آخر ثلث غضروف، أثناء السجود الإنسان اصطدم بشيء، كوشوك، ليس حديداً، أحدث طريقة مقدمة السيارة صنعوها من الكوشوك أي يمتص الصدمات، ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾، ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

أي عقولنا ترفض رفضاً قطعياً أن يكون هذا الإتقان بلا إلهٍ عظيم، عالمٍ، حكيم، خبير، عليم، غني، قدير، رحيم، متقنٍ، لا تقبل.

## الأدلة الواردة في الكتاب في بيان صنع الله في مخلوقاته:

### 1- تفسير معاني الآية وربطها بالواقع:

الآية الثانية:

**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6)**

سورة النبأ

أحياناً يوجد أماكن بالقطر اسمها: وعر، اللجاة في الجنوب الشرقي، وهناك مجموعة أماكن في بعض المحافظات كلها صخر، لو أن الأرض كلها هكذا نموت من الجوع، الله عز وجل لحكمة بالغة ترك بعض الأماكن صخرية، انظر أيها الإنسان لو أن أرضك كلها هكذا تموت جوعاً، تجد صخراً يسمونها: الوعر، لا تصلح لشيء إلا للبنيان، تبني عليها، فربنا عزّ وجل قال:

**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8)**

سورة النبأ

ذكراً وأنثى، لو أن الله خلق كل الناس ذكوراً، أول شيء هل نبقى نحن موجودين إلى الآن؟ ينتهي النوع البشري، جهاز التناسل جهاز حفظ بقاء النوع، لولا التزاوج لما بقي الإنسان، لانتهى منذ آلاف القرون، ﴿**وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا**﴾ لو جعل المرأة غير محببة، الله عزّ وجل جعلَ هناك ميلاً طبيعياً، قال الله:

**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)**

سورة آل عمران

لولا هذا الميل الطبيعي لما تزوج أحد، يصبح الزواج عبئاً، لولا هذا الشيء الذي أودعه الله في قلب الرجل، لولا هذا الميل الطبيعي الذي خلقه الله في قلب الرجل لما تزوّج إنسان:

**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9)**

سورة النبأ

من الذي جعل النوم؟ يقول لك: تعبت، عملت اثنتي عشرة ساعة، نمت ثماني ساعات فاستيقظت مثل الحصان، صحيح، هذه الأعصاب الخلية العصبية عبارة عن نواة واستطالة تتصل باستطالة ثانية وهكذا، الخلايا العصبية عند النوم تتباعد، فالسيالة العصبية الكهربائية إذا سارت تجد الطريق مقطوعاً، هذا النوم، الله عز وجل جعلَ ترتيباً رائعاً جداً، لو كان المنبه قوياً جداً إذا وجد إنسان ساقية ماء لا يمكنه قطعها، إذا كان يتبعه عدو يقطعها، إذا كان هناك خوف شديد يقفز، يقول لك: والله استطعت، هذا الصوت إن كان مزعجاً جداً عندئذٍ هذه السيالة تقفز فيصحو الإنسان، ألم أقل لك: النوم موت؟ على الأصوات الخفيفة لا يستيقظ، أما يستيقظ الإنسان على الصوت القوي ولو أنه قد نام الآن، اليقظة تقترب هذه الأعصاب تصحو، تتباعد تنام:

**وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10)**

سورة النبأ

الليل ستر.

**وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا(11)**

سورة النبأ

للعمل.

**وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا(12)**

سورة النبأ

سبع سماوات طباقاً.

**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا(13)**

سورة النبأ

يا أخي بردنا، هل تعلم ما معنى البرد أساساً؟ البرد المطلق ثلاثمئة وخمسون تحت الصفر، لو لم يكن هناك شمس لكانت الحرارة ثلاثمئة وخمسين تحت الصفر، إذا كانت الحرارة صفراً فمعنى ذلك أن هناك شمساً، سبعون درجة تحت الصفر في القطبين، معنى هذا يوجد شمس، لولا الشمس ثلاثمئة وخمسون تحت الصفر:

**وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16)**

سورة النبأ

## 2- الآية الثانية عن صنع الله وبيان دلائله في خلق الإنسان:

آية ثالثة:

**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (17)**

سورة عبس

ما الذي جعله يكفر؟

**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (18) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19)**

سورة عبس

حيوان منوي واحد من ثلاثمئة مليون حيوان، باللقاء الزوجي حيوان من ثلاثمئة مليون حيوان، هذا الحيوان له رأس مدبب، وله عنق، وله ذيل حلزوني، يمشي بالساعة عشرة سنتمتر، حيوان خلية، رأس مدبب، وعنق، وذيل، الذيل يعينه على الحركة، هذا الرأس المدبب فيه مادة برأس الرأس مغطاة بغشاء رقيق جداً، إذا لامس هذا الحيوان البويضة يتمزق الغشاء، وتخرج هذه المادة من رأسه فتزيل جدار البويضة، تدخل إلى الداخل، مجرد أن دخل الحيوان يغلق الباب، انتهى الأمر، ثلاثمئة مليون لم يعد له عمل، اكتفينا مع السلامة، البويضة تحتاج إلى حيوان منوي واحد، الآن تنقسم البيضة الملقحة حوالي عشرة آلاف قسم في طريقها من المبيض إلى الرحم، أما الحكمة البالغة الإتقان لو أن هذا الانقسام يرافقه زيادة في الحجم لعلقت منه في الطريق، لأن الطريق ضيق بين البويضة وبين الرحم عبارة عن حبل، لو أدخلت كرة ضمن نربيش ماء تعلق في الوسط لا تمشي إذا كان حجمها كبيراً، فالله عز وجل هذه البويضة الملقحة تنقسم عشرة آلاف قسم محافظةً على حجمها لأنه لو زاد حجمها لوقفت في الطريق وسدت الطريق، ﴿**قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ* مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ أنت وشهاداتك، ومكانتك، وذكاؤك، ومؤلفاتك، ومكانتك الاجتماعية، ودماغك، وأعصابك، وعضلاتك، وأجهزتك، والغدة النخامية، والغدة الدرقية، والكظران، والكليتان، والقلب، والشرايين، والدسامات، والدماغ من أي شيء خلقه؟

**مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (19) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20)**

سورة عبس

من أخذ قياسات صحيحة؟ لو كان عظم الحوض أضيق من حجم الرأس، ماذا تفعل بنفسك؟ تخرج، لا يوجد خروج، القياسات صحيحة تماماً، لو كان حجم الرأس أو حجم الكتفين، لاحظ الطفل سبحان الله! حجم رأسه بعرض كتفيه تماماً، ضع مسطرة تجد رأسه بعرض كتفيه تماماً، تصميمه خاص للخروج، بعد الخروج تعرض أكتافه، بعدئذ تأخذ الأكتاف أبعادها الحقيقية، لو كان الرأس كبيراً والأكتاف عريضة كيف الخروج؟ لا

يستطيع، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ من جعل المرأة تفرز مادة هرمونية تُحرك الحوض، عظم الحوض بالمرأة يتحرك، يتوسع، يأخذ وضعاً خاصاً أثناء الولادة، عملية ميكانيكية معقدة، من يحركها؟ قال: هرمون، ينطلق هرمون فيؤثر على عظام الحوض فتتوسع، من الذي أعطى الأمر قبل ساعتين لينقلب الطفل؟ يكون وضعه رأسه نحو الأعلى يأتي أمر هرموني يقلب يصبح رأسه نحو الأسفل، إذا لم يقلب العملية قيصرية إجباري، من الذي جعل الجنين يقلب وهذا الغشاء الرقيق الذي يُغلف الطفل يتمزق؟ يقول لك: تمزق الغشاء الذي يحوي ماء الرأس، من جعل عظم الحوض يتسع؟ يأتي الرحم يفعل تقلصات مع ألم، لو لم يكن هناك ألم، أين ولدت؟ بالطريق ولدت، بالباص ولدت، يوجد ألم تسرع إلى البيت مباشرة، آلام المخاض ضرورية جداً من أجل أن تكون الأمور منتظمة، تصير بالبيوت، يأتي هذا الضغط الخفيف الضغط الخفيف، بين الطلقتين نصف ساعة، مازال الوقت باكراً تحتاج عشر ساعات حتى تولد، ربع ساعة صاروا معنى هذا قريب، هناك تزامن، تزامن دقيق، نصف ساعة، خمس وعشرون دقيقة، عشرون دقيقة، خمس عشرة، عشر دقائق، ثم تتلاحق، ثم تلد المرأة، قال: الرحم أقوى عضلة في النوع البشري، لو أن الطريق أمام الطفل مفتوح لقُذف الطفل اثني عشر متراً، ضغطة الرحم على الطفل لو كان الطريق مفتوحاً لألقته بعد اثني عشر متراً، تقلصات متزامنة، لطيفة إلى أن يخرج الطفل، وإذا بالرحم يتقلص تقلصاً مفاجئاً، ويصبح كالصخر تماماً لماذا؟ لأن ما يقرب من مئة ألف شريان تتقطع، لو بقي مرخياً تموت المرأة من النزيف فوراً، هذا الرحم ينكمش تأتي القابلة تجس الرحم فإذا هو كالصخر، الولادة سليمة، إذا كان مرخياً على المستشفى، فوراً، لأن المرأة تموت، قال الأطباء: للرحم تقلصان، واحد متزامن لطيف، والثاني عنيف وقاس، لو انعكس التقلصان لماتت الأم مع ابنها، تأتي طلقة قاسية هذه الأخيرة تخنقه فوراً، تسحقه، تطحنه طحناً، ثم تقلص لطيف تنزف المرأة وتموت، لو انعكست الآية لماتت الأم وابنها:

**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21)**

سورة عبس

ثم يموت الإنسان، على القبر، غرفة نومه كلفته ثمانية وسبعون ألفاً، ثم إلى مقبرة الباب الصغير، بلاطه رخام، على التراب، لا بلاط ولا نعل، يضعون نعل سيراميك لأنه رقيق وأجمل، ولا يأخذ مسافة، انظر

إلى القبر كيف يصير؟ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ إذا ما كانت الجوخة كبون لا يلبسها، قماش خام أسمر لا يوجد غيره بالأخير، هذا آخر شيء:

**ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (20) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (21) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (22) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (23)**

سورة عبس

حتى الآن لم يستقم؟ حتى الآن لم يعرف الله عز وجل؟ ما طبّق أمره؟ ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ من أوجه تفسيرات هذه الآية أنها استفهامية، ﴿لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ إلى الآن ما صلّى؟ من أجل أن تعرفه:

**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24)**

سورة عبس

أنا أقول لكم: الطعام يكفي.

**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (24) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (25)**

سورة عبس

الأمطار:

**ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (26)**

سورة عبس

الأرض شُقت فخرج منها النبات.

**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)**

سورة عبس

المحاصيل:

**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28)**

سورة عيس

هذه الفواكه.

**فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (27)وَعِنَبًا وَقَضْبًا (28) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (29) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (30)**

سورة عيس

هذه الأزهار، محاصيل تقتات بها، وفواكه تتفكه بها، وأزهار تُمَتع عينيك بها، إلى الآن لا تصلي؟ معنى هذا أنك دابة، والله الدواب أشرف.

**وَفَاكِهَةً وَأَبًّا(31)**

سورة عيس

قال لي أحدهم: كيف أن القمح مادة أساسية جداً بحياة الإنسان، ساق القمح أي التبن مادة أساسية جداً لعلف الحيوان، أي علاقتنا بالقمح كعلاقة الحيوان بالتبن تماماً.

**مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (32)**

سورة عيس

## 3 ـ آيات الله المنيرة في الكون تدعو الإنسان إلى التفكر فيها:

آية رابعة:

**تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا (61)**

سورة الفرقان

هذه الشمس علّقها الله لك ساعة، يدب عقرباها إلى قيام الساعة، علّقها الله لك مناراً، علّقها الله لك مدفأة، إذا أنت أحضرت مدفأة للبيت كله ترى نفسك فيها، تكفي، هذه حديثة جداً، أوتوماتيك، ما قولك بمدفأة

للأرض كلها؟ خمس قارات والبحار، هذه الشمس مدفأة، هل يُمكن أن تأتي ببلورة نيون تضعها بغرفة واحدة تضيء البيت كله؟ غير معقول، لا تستطيع، الله جعل الشمس مصباحاً للأرض كلها، وساعة، مدفأة، ومصباح، وساعة، وجهاز تعقيم لكل الأرض: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ والقمر لطيف.

**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا (62)**

سورة الفرقان

الليل قصير ثم طويل، الليل مظلم، النهار مشمس، الليل ساكن، النهار فيه ضجيج، ﴿خِلْفَةً﴾ متفاوتان، ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ هذه الآيات التي ذكرتها والله لا تعادل شيئاً، ماذا أقول؟ لو بقينا بالإنسان لا ننتهي، بالحيوان لا ننتهي، بالنبات لا ننتهي، الأوراق النباتية؛ خلايا الأوراق النباتية تتقارب في الصيف لتمنع التبخر، تتباعد في الشتاء، لو فحصنا ورقة نبات أخضر تحت ميكروسكوب نجد أن الخلايا تتباعد في الشتاء، تتقارب في الصيف، أي في عصر الجفاف تحافظ الورقة على اخضرارها وعلى مائها عن طريق تقارب الخلايا، وفي الشتاء رطوبة وافرة، تتباعد من أجل التجديد، هل تعلم ذلك؟ أي حفظتَ شيئاً، وغابت عنك أشياء.

أنا ما أمكنني إلا أن أحضر بعض الآيات التي حضرتني والله ارتجالاً، من خلق الله، من النبات، من الحيوان، من خلق السماوات والأرض، من خلق الإنسان، لكن العلم حرف والتكرار ألف، ما أردت من هذه الآيات أن أجعلها حصراً، هي أمثلة والواحد منّا يُفكر، لا يتمتع كما تتمتع البهائم، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ (12)**

سورة محمد

تمتع بهيمي، أما الإنسان فإنه يفكر في كل شيء.

الشمسُ والبدرُ من أنوار حكمتهِ، والبرُ والبحرُ فيضٌ من عطاياه، الطيرُ سبّحهُ، والزرعُ قدّسهُ، والموجُ كبّرهُ، والحوتُ ناجاهُ، والنملُ تحتَ الصخور الصُّمِّ مجدّهُ، والنحلُ يهتِفُ حمداً في خلاياه. أي النحل؛ هناك نحلة مهمتها الحراسة، لا تستطيع أن تدخل نحلة إلى الخلية إلا بعد أن تعطيها كلمة السر، فإذا عرفته دخلت وإلا قُتلت، لذلك لو كان مليون نحلة بالربيع لا يمكن أن تذهب نحلة إلى غير خليتها، ما هذا النظام؟

هناك نحلات منظفات، عاملات في البلدية عندهم بالنحل، هذه النحلات مهمتها أن تنظف الخلية، فكل شيء غريب تأخذه تلقيه خارج الخلية، أما لو دخلت فأرة للخلية مثلاً لا تستطيع أن تحركها، تفرز عليها مادة شمعية تمنع تفسخها، هذا عمل النحلات المنظفات، هناك نحلات حارسات، هناك نحلات للتهوية يقفن على طرفي الخلية، يغلقن الأبواب أثناء البرد، يهوين بأجنحتهن أثناء الحر، ينشأ تيار داخل الخلية، هناك نحلات من أجل صنع العسل، هات لي بلاطين يبلطون هذا الجامع، يبدأ واحد من هنا وواحد من هنا يجتمعان على بلاطة نظامية، مستحيلة، يظهر عندنا غلاقة في الوسط، لا تصح، لا يوجد عنده إمكانية البلاط، تحتاج قياسات دقيقة جداً، أنا مرة شاهدت المتحلق الجنوبي –المحلق أي للتحليق بالجو، صوابه المتحلق–لما قطع طريق الميدان القديم، أو الحديث، هذان الطريقان أو الثلاثة كورنيش الميدان تجد الدعامتين على طرفي الطريق، هذه تظنونها صارت صدفة، هناك حسابات دقيقة من أول طريق المطار لآخر طريق المطار، حتى حكموا هاتين الدعامتين على طرفي الطريق وإلا تصبح في المنتصف الدعامة، مادام هناك مسافات بينية موحدة بين الدعامات، فالنحلة مجموعة نحلات تبني الشمع، وأشكال مسدسة نظامية تلتقي في الوسط على شكل مسدس نظامي، هذه فوق طاقة البشر.

النحلة الملكة تكون حاملاً، هناك مجموعة أماكن للوضع، تدخل لهذا المكان فتضع ملكة ثانية، هُنا تضع ذكراً، هنا تضع عاملة، تعرف الملكة الحامل سلفاً نوع الجنين، الآن إذا أحضرنا فتاة وقمنا بتدريسها الطب النسائي والولادة بالذات، وأتاها زوج، وحملت، وعلى مشارف الولادة، هل تعلم هذه الدكتورة ماذا في بطنِها؟ دكتورة، لا تعرف، أمّا هذه الملكة فتعرف نوع المولود، تضعه في مكانه المناسب، ثم بعد ذلك هذه النحلة قال: كل نقطة من الرحيق مأخوذة من ألف ومئة زهرة، وكل مئة غرام من الرحيق مأخوذة من مليون

زهرة، وكيلو العسل الواحد هو محصلة طيران أربعمئة ألف كيلو متر، أي حول الأرض بعشر مرات، أي كيلو العسل ليس غالياً على هذا الجهد المبذول، هذا ليسَ ثمنه، هذا ثمن العناية بالنحلات فقط.

النحلة تحمل رحيقاً ثلثي وزنها، الشاحنة ما وزنها؟ ثلثا وزنها حمولة، هذه واحدة، سرعتها خمسة وستون كيلو متراً في الساعة هذه النحلة مثل السيارة، وهي طبعاً فارغة، أمّا مُحمّلة فسرعتها خمسة وثلاثون، تعمل النحلة رقصة تُعْلم النحلات إن كان المكان بعيداً أو قريباً، هناك رقصة على بُعد خمسة كيلومتر، هناك رقصة على بعد عشرين كيلومتر تقوم بتنبيههم الرحلة طويلة، هذا رقص النحل، أي للنحلة نظام تعجز عنه المجتمعات البشرية المتقدمة، إبرة الملكة لا تلدغُ بها الإنسان أبداً لكنها تلدغُ ملكة أخرى نافستها على قيادة هذه الخلية، نظام ما بعده نظام، يوجد نحلات وصيفات، مهمتها تأمين الغذاء للملكة، تأخذ غبار الطلع وتقوم بعجنهِ برحيق الأزهار وتقدمه وجبات غذائية دسمة جداً للملكة طعام خاص، ما هذا؟ ﴿**صنْعَ اللَّه الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شيْءٍ**﴾.

وعالم النمل فيه أشياء عجيبة جداً، وعالم الحشرات فيه أشياء عجيبة، وعالم الجراثيم فيه أشياء عجيبة، وأعماق البحار فيه كائنات لا يعلمُها إلا الله، مليون نوع من السمك يوجد بالبحر، وعالم الأطيار هذا الطائر يقطع سبعة عشر ألف كيلو متر رحلته، هناك طيور تُهاجر من أمريكا الشمالية إلى أمريكا الجنوبية تقطع سبعة عشر ألف كيلو متر، تطير ستاً وثمانين ساعة طيران من دون توقف، أحضر لي أعظم طائرة في العالم هل تطير ستاً وثمانين ساعة من دون توقف؟ يقول لك: تعبنا جداً عشر ساعات حتى وصلنا إلى نيويورك، تعبنا جداً عشر ساعات أخونا بالله، وهذا الطير يطير ستاً وثمانين ساعة من دون توقف، ما هذا؟ الحمام بحث طويل جداً مرة عملت عنه خطبة في جامع الجسر، شيء يأخذ بالألباب: ﴿**صنْعَ اللَّه الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شيْءٍ**﴾ والله أشعر أنني ما قدمت شيئاً، ولم أقدر أن أقدم شيئاً من عظمة الله عزّ وجل، لكن العلم حرف والتكرار ألف، كل واحد لوحده يُفكر أيضاً.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 17-63: الوصول إلى أسماء الله الحسنى من خلال الكون

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الإنسان بعقله يتوصل إلى معرفة أسماء الله الحسنى من خلال علمه وقدرته في الكون:

أيها الإخوة الأكارم؛ أنهينا في الدرس الماضي الأدلة الأربع على وجود الله سبحانه وتعالى، هو واجب الوجود، وواجب الوجود لِما نرى في الكون من ممكنات، وحكمته عالية في الذي خلقه، وواجب الوجود لِما نرى في الكون من إتقان بليغ، هذا كله وقفنا عنده وقفة سريعة في الدروس الماضية.

واليوم ننتقل إلى صفات الله سبحانه وتعالى وأسمائه، قبل الحديث عن أسماء الله الحسنى وعن صفاته، لاشك أنكم إذا دخلتم إلى بيت، وكان هذا البيت غاية في الإتقان، غابة في التناسب، غاية في التزيين، غاية في الأناقة، غاية في الفخامة، لابد من أن تستنبط أن الذي صممه، والذي بناه، والذي كساه، والذي زينه، والذي فرشه، والذي رتبه ونسّقه غاية في الذوق.

فنحن في الدروس الماضية استنتجنا من هذا الكون أنه لابد من وجود خالق له، لأن للخلق خالقاً، ولكل نظام مُنَظِّم، ولكل صنعة صانع، ولكل صنعة متقنة صانع متقن، ولكل سير مُسيّر، اليوم قبل البدء بأسماء الله الحسنى لا بد من أن نقف عند فكرة واحدة، وهي أن الإنسان بإمكانه أن يستنتج مِن خلق السماوات والأرض فضلاً عن حقيقة الوجود لا بد من أن يستنتج من خلق السماوات والأرض أسماء الله الحسنى أو صفاته العليا، فإذا علمتم مثلاً أن الأرض تدور حول الشمس بسرعة ثلاثين كيلو متراً في الثانية الواحدة، وأنّ الأرض بقاراتها الخمس، وبحارها، ومحيطاتها، وجبالها، وسهولها، كلها محمولة في الفضاء، وكلها تجري حول فَلَك ما، لابد من أن تستنبط أن الذي يُحركه، والذي بيده:

**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (67)**

**سورة الزمر**

لابد وأنه قدير، فالقدرة واضحة، إذا علمت أن الشمس تكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرّة، وأنّ الشمس متألقة منذ خمسة آلاف مليون عام، وأن بين الشمس والأرض مئة وستة وخمسين مليون كيلومتر، وأنّ هناك نجوماً تتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، وأن في الكون مليون مليون مجرّة، وأن في كل مجرّة مليون مليون كوكب، وأن بعض المجرات تبعد عن الأرض ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، وأن الضوء يمشي في الثانية الواحدة ثلاثمئة ألف كيلو متر، فكم يمشي في الدقيقة؟ كم يمشي في الساعة؟ كم يمشي في اليوم؟ كم يمشي في العام؟ هذه المجرة بُعدُها عنّا ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، من هذه الأرقام والحقائق التي أصبحت بديهية في هذه الأزمان تستنبط أن الله سبحانه وتعالى قوي، من النظام الدقيق الذي تسير عليه تستنتج أن الله سبحانه وتعالى عالم.

إذا رأيت آلة ضخمة يزيد حجمها عن حجم هذا المسجد، يوجد آلات عملاقة آلات حفر، هل يُعقل أن تصدق أن دكاناً في بعض أسواق دمشق صَنَعتها؟ مصنع هذه الآلة الضخمة هل تقبله أن يكون دكاناً في بعض الأزقة في دمشق؟ لابد من أن يكون معمل هذه الآلة يحتل آلافاً مؤلفة من الأمتار المكعبة، لابد من أن يكون في هذا المعمل عدد كبير جداً من المهندسين، لابد من أن يكون في هذا المعمل خبرات متراكمة منذ عشرات السنين، لابد من أن يكون في هذا المعمل مواد أولية ثمنها مئات الملايين، مواد أولية، على كوادر فنية، على مهندسين، على تصاميم، على أجهزة عالية الدقة، نظام إداري دقيق، هذه الآلة لابد لها من معمل، فهذه الأرض وما فيها، هذه المخلوقات وما تمتاز به من دقة متناهية لابُدَّ –طبعاً في الدروس الماضية– من خالقٍ خلقها.

## صفات الله العليا تتجلى في الكون منها:

### 1- العلم والقدرة:

أما اليوم ما صفات هذا الخالق؟ يجب أن يتصف بالعلم، لأن الكون مبني على علمٍ متناهٍ من الدقة، لو أخذتم جسم الإنسان هو أعقد آلة في الكون، العين وحدها فيها علم لا ينقضي، طبعاً نحنُ هُنا في هذا المسجد نتكلّم حقائق مُبسّطة جداً أما ما قولكم لو رأيتم في بعض المكتبات عشرين أو ثلاثين أو خمسين مجلداً بأصغر حرف وأرق ورق وأغلظ حجم كلها عن القلب؟ وكتب أخرى عن العين، إذا شخص درس بدولة متفوقة في هذه العلوم، درس العين فقط يبقى سنوات طويلة يقول لك: هناك مئتا كتاب، أخذنا أسماء هذه الكتب كمراجع عن العين، أنا أعتقد أكثر من ذلك أي آلاف عن العين، كتب، الذي اختص في الأذن والحنجرة والأنف، كتب مطولة عن الأذن، المُختص بالأوردة، بالشرايين، بالأوعية طبيب أوعية، طبيب بولية، جهاز البول وحدهُ عالمٌ قائِمٌ بذاته، طبيب القلب، طبيب العصبي المختص بالأمراض العصبية، يكفي لو لم تقرؤوا يكفي أن تذهبوا إلى بعض المكتبات الحديثة، وتلقوا نظرة على بعض الموضوعات، هذه الكُتب التي في المكتبات إنما هي عِلمُ الله عزّ وجل، كشوفات، الإنسان كشف بعض الحقائق سجلها في الكتاب، الإنسان ما خلق هذه الحقائق، كشفها، فرقٌ كبير بينَ أن يكشِفَها الإنسان وبينَ أن يخلِقَها، الله هو الذي خلقها والإنسان كَشَفَها، وكلما زِدنا في العلم تعمقاً زاد علمنا بجهلنا، وقال بعض العلماء: لم تبتل بعد أقدامنا ببحر المعرفة.

أنا أريد أن نبقى في جسم الإنسان، لو يُتاح لكَ أن تذهب إلى مكتبة وتنظر ماذا كُتِبَ عن العين، ماذا كُتِبَ عن اليد، ماذا كُتِب عن بعض الأمراض، ماذا كُتِب عن الكليتين، ماذا كُتِب عن أمراض جهاز الهضم، أمراض الكبد، أمراض الحساسية، أمراض المفاصل، طبيب مختص بالمفاصل، الأربطة والمواد الزلالية، والمواد الزيتية، والغلاف الغضروفي، وحركة المفصل.

طبيب العظام اختصاص مستقل، أي إن أتيح لك أن تقرأ أو أن تطّلع على نشرة لأطباء دمشق مثلاً تُلاحظ اختصاصاتهم، طبيب نسائي، موضوع الولادة والرحم عالم قائم بذاته، أطباء من أعلى مستوى يدرسون عشرات السنين، طبيب أطفال، الطفولة عالم قائم بذاته، طبيب أمراض عصبية، طبيب أمراض عقلية،

طبيب عظام، طبيب هضمي، طبيب في الغدد الصُّم مستقل، طبيب في الأنف والأذن والحنجرة، طبيب للعيون، طبيب أسنان، إذا كان طبيب الأسنان في مكتبته مئة كتاب عن الأسنان، هذا علمُ الله عزّ وجل، اللهُ سبحانهُ وتعالى سَمَحَ للإنسان أن يعرِفَ بعضَ الحقائق، عرفها فألّفَها في كتاب فهذا علمُ الله عزّ وجل.

لو انتقلتَ إلى علم الفيزياء، لو وقع تحت يدكَ كتاب في اللغة الأجنبية تجد ثلاثين صفحة عن المراجع، كُل صفحة يوجد فيها أربعون أو خمسون اسماً لكتاب ، هذه فيزياء، الحرارة باب كبير، الضوء باب كبير، الحركة باب كبير، الصوت باب كبير، الكهرباء باب كبير، الفيزياء النووية موضوع مستقل، الكيمياء العضوية، الكيمياء اللاعضوية، الكيمياء المعدنية، الكيمياء الفيزيائية، أي أبوابٌ لا تُغلق، فإذا ذهبتَ إلى موضوعات الفلك شيء لا يُصدق، فإذا انتقلت إلى عالم النبات، كم كتاب يوجد؟ إذا انتقلتَ إلى عالم الحيوان، إلى عالم الأطيار، إلى عالم الأسماك ، كم نوع من السمك؟ بُنية السمكة، أنواع الأسماك ، بحسب حجومِها، بحسب وظائِفِها، بحسب توحشِها، بحسب نموها، بحسب أسرها.

النباتات التي تنمو في البحار، بحث قائم بذاته، النباتات النهرية، الأسماك النهرية، أسماك المياه المالحة، الهلاميات، الرخويات، هذه كُلّها عناوين، كل علمٍ تَوصّل إليه الإنسان إنما هو علم الله عز وجل، هذا علمُ الله، كشفه الإنسان، فإذا ظنّ أنه عالم فهو جاهل، هذا علمُ الله:

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**

**سورة الإسراء**

فكل ما في الكون ينطق بعلم الله، كل ما في الكون ينطق بقدرة الله، أرض بحجمها إذا دخلت الذي تعرفون في ثقب أسود في الفضاء الخارجي يصبح حجمها كالبيضة بالوزن نفسه، عشرة آلاف مليون مليون مليون طن، أي عشرة أمامها ستة وعشرون صفراً وزن الأرض، هذه الأرض إذا دخلت في ثقب أسود من ثقوب الفضاء انضغطت فصار حجمها كالبيضة تماماً بالوزن نفسه، هذه قدرة الله عزّ وجل.

## 2- الحكمة واللطف:

كل شيء ينطق بقدرة الله، كل شيء ينطق بحكمة الله، الحكمة هذه الأشياء الممكنة، الله عز وجل اختار هذا الممكن من بين مجموعة كبرى من الممكنات، هذه حكمة الله، لطفُ الله عز وجل، الهواء، بينما هو يحمل طائرة وزنها يقدر بمئة وخمسين طناً، فيها عشرون طناً ركاب، ومئة وخمسون طناً وقود، ثلاثمئة وعشرون طناً يحملها الهواء، إذا هو بيننا تمشي من خلاله، فالهواء دليل على لطف الله عز وجل، الهواء لطيف، شيء مخيف إذا تحرك اقتلع مدناً بأكملها، مدن، هناك أعاصير تهب في بعض بلاد أمريكا لا يبقى من المدينة شيء، عندي صور، مدينة بأكملها تصبح أثراً بعد عين، قرأت قصة في بعض المجلات أن رجلاً عنده بيت فخم فيلا، وأمام هذا البيت سيارته، كان مسافراً، عاد إلى بلدته وقد أصابها الإعصار فلم يجد من بيته وسيارته إلا المحرك على بعد خمسة عشر كيلومتراً، طبعاً يعرف رقمه، هذا الهواء إذا هبّ دمّر كل شيء، فإذا سكن شيء لطيف بيننا، لا يُعيق الرؤية، لو فرضنا بناء ثلاثين أو أربعين طابقاً يحتاج إلى أعمدة، ادخل إلى الطابق الأرضي كل خمسة أمتار يوجد دعامات، ضلع هذه الدعامة نصف متر، تجد هذه الدعامات تعيق الرؤية، هل تستطيع أن تحمل بناء شامخاً على أعمدة تمشي من خلالها؟ هذا شيء فوق طاقة البشر، هذه هي الجاذبية:

**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآَيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (2)**

**سورة الرعد**

هناك عمدٌ ولكنكم لا ترونها، هذه العمد لا ترونها أنتم، هي موجودة، حتى إن بعض العلماء قال: القمر مرتبط بالأرض بجاذبية، لو مُثّلت بحبل فولاذي مضفور من أمتن أنواع الحبال لكان قطره خمسين كيلومتراً، هذا الحبل يُمثّل انجذاب القمر إلى الأرض، وأما انجذاب الأرض إلى الشمس، لو أنّ هذه الانجذابات كانت مُمَثلة بحبال فولاذية، لا ترى في السماء شيئاً، كلها شبكة من الحبال، هذه الحبال موجودة لكنك لا تراها، لطيفة، تطير عبرها، هناك تجاذب بين الكواكب، وأنت تمشي بين هذه القوى المتجاذبة، هذا لطف إلهي.

الماء لطيف جداً، الماء لا لون له، لا طعم له، لا رائحة له، ينساب، هناك صفة النفوذ، إذا كان هناك شق بالإبريق لشدة دقته لا يُقاس، كل ربع ساعة ينقط نقطة، شديد النفوذ، من أشد السوائل نفوذاً الماء،

يكاد ينفذ في أماكن لا تُرى، يقول لك: ينش، نفوذه شديد، تبخره سريع، الماء دليل لطف، وإذا ربنا عزّ وجل أراد أن يقلع سن الطفل مباشرةً من دون طبيب أسنان، ليس بحاجة إلى إبرة مخدر، لا يحتاج أن يبكي الطفل، أثناء الطعام يكتشف أن سنه في فمه، درس العلماء موضوع السن فوجدوا أنه يذوب من جذره بالتسلسل إلى أن يبقى معلقاً على نقطة إذا جاءه ضغط يسير ينقلع، هذا قلع السن عن طريق الله مباشرة، هل يوجد ألطف من ذلك؟ يحتاج إلى بنج؟ يحتاج إلى إبرة؟ يحتاج أن يمسك الأب يدي ابنه والابن يبكي؟ هذا لطف الله عز وجل.

إذا أراد أحدهم أن يُعطرك بعطر مشايخي، تبقى يومين منزعجاً، أمسك وردة هذا عطر إلهي، شمَّها، لا يوجد ألطف من هذا، إذا أحببت أن تأكل قطعة حلوى من صنع الإنسان يقول لك ثقيلة على المعدة، كُلْ برتقالة أو كُل تفاحة، شيء خفيف، هناك تصميم لطيف، بنية الفاكهة، نوع سُكرِها، قِوامُها، نوعُ المواد فيها، غايةٌ في اللُطف.

## إذا أعطى الله أدهش:

في الكون أدلة كثيرة على لطف الله، وعلى علمه يوجد أدلة، وعلى قوته يوجد أدلة، وعلى غِناه، إذا أعطى أدهش، شاهدت مرة قمحة واحدة أنبتت سبع عشرة سنبلة، عددنا بعض السنابل وجدناها خمسين قمحة، أي ألف وسبعمئة وخمسون قمحة من قمحة واحدة، إذا أعطى أدهش، كريم، غرام البذور ينتج طناً، أي مليون ضعف، غرام البذور بعض بذور الخضراوات إنتاجها مليون ضعف، إذا أعطى أدهش، من حين لآخر ربنا عزّ وجل يُضاعف الفاكهة أضعافاً مضاعفة، قد يضمن الضمّان المشمش بخمس ليرات ليبيعه بعشر، إذا به يضطر لبيعه بليرة ونصف، ما السبب؟ لأن الكمية خمسة أضعاف الكمية المعقولة، سنة الكرز، سنة المشمش، سنة يقول لك: الدراق هبطَ سعره، بائعو الفواكه ينزعجون إذا هَبَطَ السعر، يعتبرون ذلك إهانة للفاكهة، هذا الكيلو قيمته عشر ليرات يُباع بليرتين، أليس من العيب أن يُباع بليرتين؟! أمّا المؤمن فيفرح إذا هبط السعر ليأكُلَ عِبادُ الله من هذه الفاكهة، إذا أعطى الله عزّ وجل أدهش، حاجة القطر إلى البطاطا مئة وخمسون ألف طن، بينما كان الإنتاج السنة الماضية ثلاثمئة وخمسين ألف طن، صار يباع الكيلو بالسوق بخمسة وثلاثين قرشاً سورياً، من حين لآخر يعطي الله عز وجل أمثلة، كريم، قال الله:

**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (21)**

**سورة الحجر**

كل شيء عندنا خزائنه، أمطار؛ قرأت في بعض النشرات، حتى الآن مضى شهران من الشتاء، أكثر المناطق معدل الأمطار فيها حوالي مئتين وخمسة وعشرين مليمتر تقريباً نازل، مقابل ثلاثة عشر مليمتر نزلت في العام الماضي، خمسة عشر، عشرين، قالوا: لم يعد هناك هطول للمطر، سنوات عجاف، قالوا: خطوط المطر انتقلت، قالوا: تصحُّر، قالوا: جفاف، كل الأقوال ذهبت أدراج الرياح، جاءت الأمطار، جاءت الثلوج، أبكر سنة جاء بها الثلج هذا العام، في وقت مبكر جداً، إذا أعطى أدهش، كريم، غني، لطيف، رحيم.

## 3- الرحمة:

هل أقول لكَ كيف تكشف رحمته؟ من رحمة الأم، ليس هناك من رجل إلا في حياته أم، إما زوجته أم لأولاده، أو أمه، فلينظر إلى الأم كيف تعطف على أولادها، هذه مسحة من رحمة الله بالإنسان.

عن عمرَ بنِ الخطاب قَالَ: قَدِمَ رسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَبْيٍ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَى، إِذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْزَقَتْهُ بِبطْنِها، فَأَرْضَعَتْهُ، فقَالَ رسُولُ اللَّه ﷺ : **أَتُرَوْنَ هَذِهِ المَرْأَةَ طارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟ قُلْنَا: لا وَاللَّهِ، فقَالَ: للَّهُ أَرْحَمُ بِعِبادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا.**

**متفقٌ عليه.**

هذه رحمة الأم.

## 4- العدل:

الله عز وجل عادل، لو سألت بعض القضاة، لو قرأت كتباً تتعلق ببعض الجرائم تحسّ أن الذي هدانا إلى المجرم هو الله عز وجل، أي على أبسط سبب، على أتفه سبب ألقي القبض على المجرمَ، هذه عدالة السماء، الله سبحانه وتعالى عادل، الذي أريد أن أقوله: إن الكون إضافة إلى أنه دليل قطعي على وجود الله عز وجل هو دليل أيضاً على صفاته وأسمائه، فكما أنك إذا رأيت ناقلة نفط كبيرة تتسع لمليون طن –الآن يوجد

حوالي مليون طن هذا أحدث رقم–لا تقول: قاعدة صُنعها في نبع بردى مثلاً هل تصدق أن هذه ناقلة النفط التي تتسع لمليون طن صُنعت في نبع بردى بهذه البحيرة الصغيرة؟ مستحيلة، لابد من قاعدة ضخمة، كم طن حديد فيها؟ كم مهندس؟ كم من الحديد الأطنان فيها؟ يُقال: إن المحرّك الذي يحرك دفتها تعادل قدرته ألفي حصان، تحريك الدفة فقط، رأيت مرة صورة للدفة شيء لا يوصف، السماكة حوالي ثلاثة أرباع المتر، وصفيحة كبيرة جداً وراء فرّاش كبير بألوف الأحصنة من أجل أن تسير، ومع ذلك مثل هذه الناقلة تحطمت في بحر الشمال إثر عاصفة من عواصف البحار، وغرقت، وتلوث البحر بالنفط، من حين لآخر الله عز وجل مهما صنعتم باخرة شامخة عاصفة واحدة تُحَطمها.

كل ما أريد أن أقوله في هذا الدرس هو أنك تستطيع أن تصل إلى أسماء الله الحسنى من خلال الكون، وأنك إذا فكرت في كل شيء حولك ترى رحمة الله.

## 5– الجمال:

انظر إلى طفلك الصغير ترى أن به مسحة من جمال الله عز وجل، تجلّى الله عليه باسم الجميل، انظر إلى الوردة الجميلة، هذه الأزهار أخذت مسحة من جمال الله، فمن أسماء الله عز وجل إن الله جميل يحب الجمال فعلاً، هذا الجبل الأخضر، هذا اللون الأزرق للبحر من أعطاه هذه الدرجة؟ تأمل في بعض الأزهار، ألوانها، من يُقدّرُ هذا الشيء؟ صانعو الأصبغة، خبراء الأصبغة، يقول لك: أنا أستاذي في الألوان الطبيعة، أما الذي علَّم المهندس أن يضع الألوان المناسبة فهو الله سبحانه وتعالى.

انظر إلى فراشة، انظر إلى بعض النباتات، انظر إلى اللون الأصفر للتفاح كيف يوشح بخد أحمر؟ هذا المنظر، انظر إلى لون الكرز، انظر إلى لون الخيار هذا اللون الأخضر اللمّاع، الأخضر الداكن، كُل شيء أمامك له ألوان جميلة جداً، كثير من اللوحات الزيتية كالفواكه، الفاكهة ذات منظر رائع جداً، انظر إلى لون البطيخ الأحمر كم هو جميل، هذه كلها مخلوقات تجلّى الله عليها باسم الجميل.

أحياناً يقول لكَ: منطقة جميلة؛ بحار، بحر، جزيرة خضراء، سماء زرقاء، أشجار خضراء، أزهار حمراء، صوت الشلال ترتاح له، لكنك إذا دخلت إلى معمل لا تتحمل صوت الآلات، فقد يكون صوت الشلال أكثر صخباً لكنَّ هذا الصوت من تصميم الله عز وجل.

انظر إلى زغردة العصافير صباحاً، انظر إلى صوت الشحرور، تحسّ أن الله جميل، انظر إلى شجرة تسمى الصنوبريات لا تشبع من النظر إلى شجر السرو، شيء جميل، هناك أشجار سرو متطاولة، هناك أشجار سرو كوكبية، هناك أشجار سرو على شكل صفائح، شيء جميل جداً، ماذا أقول؟ كل ما في الكون ينطق بأسمائه الحسنى.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

لبيد بن ربيعة

السعيد من نَفَذَ من خلال هذه الآيات إلى خالق الأرض والسماوات، السعيد من عرف الله من خلال هذه الآيات.

وسوف نبدأ في الدرس القادم إن شاء الله بأسماء الله الحسنى اسماً اسماً ونوضح مدلولاته، ونضرب عليه الأمثلة، والله ولي التوفيق.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 18-63: أسماء الله الحسنى: اسم الله الأعظم

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## أدلة أهل العلم القائلين بأن اسم الله هو اسم الله الأعظم:

### 1- خصوصية هذا الاسم من بين أسمائه:

أيها الإخوة المؤمنون؛ اسم الله الأعظم هو الله، وحول هذا الموضوع مباحث كثيرة، وبحوث كثيرة، البحث جمعه بحوث ومباحث، والبحوث أولى، فهذا الاسم كما قال علماء التوحيد: عَلَمٌ على الذات أو عَلَمٌ على واجب الوجود، وإن أعظم الأسماء هي قولنا "الله"، واحتج القائلون بأن "الله" هي اسم الله الأعظم لوجوه عديدة، الأول: أن هذا الاسم ما أُطلق على غير الله، فإن العرب كانوا يسمون الأوثان: آلهة، إلا هذا الاسم، فإنهم ما كانوا يطلقونه على غير الله سبحانه وتعالى، والدليل قوله تعالى:

**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61)**

**سورة العنكبوت**

فكلمة الله تعني عندهم خالق السماوات والأرض، وما سُمِّي أحدٌ على وجه الأرض بهذا الاسم حتى ولا الآلهة التي زُعِمت من دون الله لم تسمَّ بهذا الاسم أبداً، وقال تعالى:

**رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (65)**

**سورة مريم**

أي هل هناك من يُسمى بهذا الاسم؟ ولما كان هذا الاسم في الاختصاص بالله تعالى على هذا الوجه وجب أن يكون أشرف الأسماء كلها، فاسم الله هو اسم الله الأعظم، الجامع لكل الأسماء الحسنى، والصفات العظمى، الجامع للكمالات كلها، المنزّه عن النقائص كلها، عَلَمٌ على الذات واجب الوجود.

## 2- الأصل في الأسماء الحسنى هو اسم الله وجميع الأسماء مضافة إليه:

الحجة الثانية وهي أن كلمة الله هي اسم الله الأعظم أن هذا الاسم هو الأصل في أسماء الله سبحانه وتعالى، وسائر الأسماء، الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، وجميع الأسماء مضافة إليه، قال تعالى:

**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)**

سورة الأعراف

﴿**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**﴾ الأسماء الحسنى أُضيفت إلى الله سبحانه وتعالى، فأضاف سائر الأسماء إليه، ولا محالة في أن الموصوف أشرف من الصفة، ولأنه يُقال: الرحمن الرحيم، الملك القدوس، كلها أسماء لله تعالى، ولا يُقال: الله اسم الرحمن الرحيم، بل الرحمن الرحيم اسم الله، فدلّ على أن هذا الاسم هو الأصل.

شيء آخر قال تعالى:

**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)**

سورة الإسراء

خصص هذين الاسمين بالذكر: ﴿**قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ وذلك يدل على أنهما أشرف من غيرهما، ثم إن اسم الله أشرف من اسم الرحمن، والدليل بأنه قدمه في الذكر: ﴿**قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ**﴾ وأما ثانياً فلأن اسم الرحمن يدل على كمال الرحمة، ولا يدل على كمال القهر والغلبة والعظمة والقدس والعزة، بينما اسم الله سبحانه وتعالى يدل على كل هذه المعاني، اسم الذات الأعظم الجامع لكل الأسماء الحسنى.

هذا الاسم من عجائبه أنه كلما أسقطت منه حرفاً فالحروف الباقية اسم من أسماء الله، كتب فعل ماضٍ، احذف الكاف تب لا معنى لها، سقط احذف السين قط، معنى آخر، أما الله كلما حذفت منه حرفاً الباقي اسم من أسماء الله الحسنى، كيف؟ لو حذفت الهمزة قال تعالى:

**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189)**

**سورة آل عمران**

**هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (7)**

**سورة المنافقون**

فإن أسقطت اللام الأولى بقي له، وهو أيضاً من صفات الله تعالى:

**لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (63)**

**سورة الزمر**

**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)**

**سورة القصص**

فإن أسقطت اللام.

**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)**

**سورة الإخلاص**

هو، أي إن حذفت الهمزة بقي (لله)، إن حذفت الهمزة واللام الأولى بقي (له)، إن حذفت الهمزة واللام الأولى واللام الثانية بقيت الهاء، هذه من خصائص هذا الاسم العظيم.

الآن لو أنّ الكافر قال: لا إله إلا هو، لم يصح إسلامه، لا يصح إسلامه إلا إذا قال: "لا إله إلا الله" لأنه إذا قال: لا إله إلا هو قد يُضمر معبوده الوثني، فيجب أن يقول: لا إله إلا الله، إذاً الله اسم الذات الأعظم، والله سبحانه وتعالى قال:

**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (19)**

**سورة محمد**

لم يقل: "لا إله إلا هو": ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ**﴾ وقال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا مَنَعُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ** إِلَّا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

**متفق عليه**

## 3- قدسية هذا الاسم وشرفه من بين أسمائه:

الحجة الثالثة بأن كلمة الله هي اسم الله الأعظم قوله تعالى:

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آَبَاؤُكُمْ **قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (91)**

**سورة الأنعام**

فإن الله أمر عبده بالإعراض عن كل ما سِوى الله، والإقبال بالكلية على عبادته، بأن ذكر هذا الاسم فدلّ على أن هذا الاسم أشرف الأسماء كلها، أحياناً يشتد النقاش حول الدنيا، وحول موضوعات كثيرة، نقاشات، ومحاورات، ومشاحنات، وحظوظ، وأهواء، ومصالح، واتجاهات، وانقسامات، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ أي في الكون شيئان، ما سوى الله لغوٌ باطل: ﴿**قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ**﴾ والله سبحانه وتعالى يقول:

**فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ (79)**

**سورة النمل**

من خصائص هذا الاسم الذي هو اسم الذات الأعظم أن هذا الاسم إذا دخل عليه النداء، أن كل اسم إذا دخل عليه النداء أُسقطت عنه الألف واللام، تقول: يا رحمن، يا رحيم، لا تقول: يا الرحمن، ما قالها أحد، يا السميع، يا البصير، يا سميع، يا بصير، يا رحمن، يا رحيم، إلا اسم الله الأعظم تقول: يا الله، فالألف

واللام في هذا الاسم صار كالجزء الذاتي منه، فلا جرم أنه لا يسقط حالة النداء، وفيه إشارة لطيفة وذلك أن الألف واللام للتعريف فعدم سقوطهما عن هذا الاسم يدل على أن هذه المعرفة لا تزول عنه أبداً، قال له: يا إمام، متى كان الله؟ أجابه: ومتى لم يكن؟! فالألف واللام؛ ألف التعريف ولام التعريف لا تسقطان عن هذا الاسم إطلاقاً لأنه أظهر ما في الوجود، ظهر في كل شيء وما خلا منه شيء.

## 4- عجز العقل البشري عن معرفة كنه هذا الاسم:

الحجة الرابعة: أن الأصح عند أكثر العلماء أن كُنه هذا الاسم لا سبيل للعقل إلى معرفة كيفية اشتقاقه، وثبت أن كنه الحق سبحانه وتعالى لا سبيل للعقل إلى معرفته، كما أن ذات الله لا يستطيع أحد أن يعرفها، أن يعرف كنهها، قيل: تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذاته فتهلكوا، كذلك قرب هذا الاسم من أي فعل يُشتق، لا أحد من العلماء يعرف ذلك، إذاً هذا هو الاسم الأعظم الذي يأخذ خصائص الذات الإلهية.

## 5- يُعد أول آية في القرآن الكريم:

الحجة الخامسة: أن أول آية في القرآن الكريم هي قوله تعالى:

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (1)**

**سورة الفاتحة**

على قول بعض العلماء، وعلى قول الباقين هي قوله تعالى:

**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)**

**سورة الفاتحة**

وهذا الاسم الأعظم مذكور في هاتين الآيتين اللتين تعدان أول آيتين في كتاب الله.

## 6- يُعدّ آخر اسم من الأسماء المذكورة في القرآن الكريم :

الحجة السادسة: كما أنه أول الأسماء المذكورة في القرآن الكريم هذا الاسم فذلك هو آخر الأسماء المذكورة في القرآن الكريم:

**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3)**

**سورة الناس**

آخر اسم ورد في كتاب الله ﴿**إِلَهِ النَّاسِ**﴾.

## 7- شمولية هذا الاسم:

الحجة السابعة: أن لفظ الإله على قول كثير من العلماء مشتق من العبادة على ما سيأتي بيانه، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون هذا الاسم أعظم الأسماء، لأن العبادة غاية التواضع والخضوع، وذلك لا يحصل إلا إذا كان المعبود في غاية الجلالة والعظمة.

وجّه بعض العلماء هذا الاسم على أنَّه مشتق من العبادة، والذي يستحق العبادة وتمام الخضوع والانقياد لاشك أنه في غاية الكمالات كلها، إذاً كأن اسم الله جلّ وعلا جمع كل المحامد، وجمع كل الأسماء الحسنى والصفات العظمى، هذا من قبيل الحديث عن أن الله سبحانه وتعالى اسم الله الأعظم.

## رأي بعض العلماء بأن اسم الله لا يخصص وإنما عظمة الاسم بحسب حالة الداعي إليه:

لكن بعض العلماء يقول: الله سبحانه وتعالى كلّ لا يتجزأ، ولا يتبعض، فالاسم الذي يدلُّ عليه يدل عليه كله، إذاً اسم الله الأعظم ليس في الكلمات بل في حالة الداعي، أي إذا شعرت أنه لا إله إلا الله بأي اسم ناديته فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم، لو أن المرء يعتمد على زيد من الناس، وعلى عبيد، وثقته بماله، وثقته بقوته، وله علاقات مع بعض الأشخاص، واثق من مكانته، فإذا دعا الله عز وجل باسم الله الأعظم وقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم برحمتك أستغيث، هو لم ينادِ ربه باسمه الأعظم، لا ينادي المنادي ربه باسمه الأعظم إلا إذا كان الله عند المنادي هو أعظم كل شيء، فهذا المعنى أعمق، فالقضية ليست في الكلمات، القضية أنك

إذا كان مشركاً بالله عز وجل، ولك اتّكال على غير الله، ولك اعتماد على ما سِواه، فإنك لن يستطيع أن تناديه باسمه الأعظم مادمت مشركاً به، أما إذا أخلصت لله العبادة، وأخلصت له التوكل، وأقبلت عليه، فبأي اسم تناديه فهذا الاسم هو اسم الله الأعظم لأنك رأيت في قلبك أن الله أعظم من كل شيء.

## لا يعرف الله إلا الله:

هذا التوجيه جيد جداً، الإنسان حينما تكون حالته مع الله عز وجل، حالة الإخلاص، وحالة التعظيم، وحالة الإكبار، وقال: الله أكبر من كل قلبه، فهو بهذه الحالة قد نادى ربه باسمه الأعظم، وسوف نتابع في دروس قادمة إن شاء الله تعالى أسماء الله الحسنى واحداً واحداً، ولكن مع الأمثلة، هذا الاسم لأنه علمٌ على الذات، والحديث عن الذات أي مستحيل، يستحيل علينا أن نتعرف إلى ذات الله، نتعرف إلى أسمائه الحسنى، وإلى صفاته العظمى من خلال خلقه، فالنبي عليه الصلاة والسلام نهانا عن أن نفكر في ذات الله، لا أحد يستطيع أن يعرف كنه الله عز وجل، لأنه:

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ **وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ** وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)

**سورة البقرة**

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي** وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)

**سورة الإسراء**

مثل بسيط جداً؛ إذا ألقيت ورقة رقيقة جداً من هذا الورق الذي تُلفُّ به اللفائف، الدخان، إذا ألقيت هذه الورقة في فرن لصهر الحديد، بعد أن ألقيتها بساعة أو بأكثر قلت: ماذا حلّ بها؟ ما معنى ماذا حلّ بها؟ هي من الوهج العلوي تلاشت، أي الإنسان إذا أراد أن يفكر في ذات الله يهلك، وهذا منهي عنه إذا جاءته مثل هذه الخواطر: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾.

## باب التفكر في مخلوقات الله:

لكن باب التفكر في مخلوقات الله لا حدود له، كلما وجدت آية فكّر بها، وتأمّل دقة الصنع، وتأمّل حكمة الله، وتأمّل لطفه، وتأمّل قدرته، وتأمّل غناه، وتأمّل رحمته، وتأمّل غناه، وتأمّل سعته، الله الواسع، قال أحد العارفين: والله يا رب، لو تشابهت ورقتا زيتون لما سميت الواسع.

الإنسان في أيام الخريف يمشي في البستان تسقط ورقة، هل هناك جهة في الكون تستطيع إحصاء الساعة الأولى من يوم الخميس 14 تموز عام 1947 مثلاً كم ورقة سقطت من الأشجار بالأرض كلها؟ بغابات إفريقيا، بغابات الأمازون، ربنا عز وجل قال:

**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)**

**سورة الأنعام**

كلام ربنا عز وجل: ﴿**وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إلا يَعْلَمُهَا**﴾ لاحظ نفسك قد يأتيك خاطر من الخواطر لا يُرضي الله عز وجل، لو أنك تابعته وكنت عند الله أثيراً تأتيك العقوبة مباشرة، أحياناً يكون الإنسان ماشياً في الطريق قد يصطدم بشيء، قيل: ما من عثرة ولا اختلاج عرق ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم وما يعفو الله أكثر.

## الله لا يحده زمان ولا مكان ولا تحيز لشخص دون آخر:

هنا يوجد سؤال بسيط؛ ماذا تتوهم أو تظن أن الله عز وجل معك دائماً، هل تنسى أنه مع غيرك أيضاً؟ مع أي إنسان في الأرض، إنسان ساكن في ألاسكا، إنسان في الأرجنتين، إنسان في أستراليا، إنسان في الغابات، فقط مع الإنسان؟ ومع الحيوانات كلها، قيل: لا تُقتل البهائم إلا بغفلة، صياد بغابة يطلق بندقيته يموت هذا العصفور بالذات، هذا العصفور بالذات موته بقضاء وقدر، النبات؟ نمو النبات؟ حركات الأحياء الدقيقة في باطن التربة؟ تحت التراب كم حيوان؟ مرة اطّلعت على صورة مكعب من التراب كم حيوان فيه؟

ديدان الأرض، البكتريات، الجرذ، الفئران، الأفاعي، هذه كلها تعيش داخل التربة لوظائف مهمة جداً، أي الإنسان والحيوان والنبات والأرض:

**إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (41)**

**سورة فاطر**

أي شيء إذا تفكر الإنسان كيف أن الله سبحانه وتعالى مع كل مخلوق، سميع لقوله، عليم بحاله، ناظر لنفسه، مُطّلع على قلبه، يعلم سره وما يخفى عنه، ذلكم الله رب العالمين، هذا هو الذي يستحق العبادة وحده، لا معبود إلا سواه، لا معبود إلا الله، أي ليس في الكون جهة تستحق أن تعبدها، وأن تُفني عمرك من أجلها، وأن تمضي شبابك كله في طاعتها إلا الله سبحانه وتعالى، لذلك أندم الناس من باع آخرته بدنيا غيره، بدنياه خاسر، أما بدنيا غيره أشد خسارة، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ.**

**صحيح البخاري**

نحن الآن إن شاء الله في الدرس القادم وفيما بعد مُقبلون على تعلُّم أسماء الله الحسنى، أن تذكرها فقط ليس هذا هو المقصود، أمر الله سبحانه وتعالى أسمى من ذلك، أسمى من أن يكون أمراً لفظياً، أو ذكراً أجوف لا معنى له، ولكن المقصود أن تعرف حقيقة هذه الأسماء، وعلامَ تدل هذه الأسماء؟ وما معنى قولك: الله رحيم؟ ما معنى قولك: الله رحمن؟ ما الفرق بين أن يكون الله رحمن أو رحيماً؟ ما معنى المانع الجامع؟ الضار النافع؟ الخافض الرافع؟ المعز المُذل؟ المعطي؟ هذه كلها أسماء لله سبحانه وتعالى حسنى، في خمس آيات في كتاب الله، ورد أن أسماء الله تعالى كلها حسنى، أسماؤه حسنى وصفاته عظمى.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 19-63: الإيمان بالملائكة: صفاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### أصول العقيدة ينبغي على المسلم أن يؤمن بها بالضرورة:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع عشر من دروس العقيدة، إن شاء الله تعالى سوف نجعل دراسة أسماء الله الحسنى على شكل تفكُّر في آيات الله، ففي دروس قادمة إن شاء الله تعالى نخصص كل شهر لاسم من أسماء الله الحسنى، نكلفكم التفكر في آيات الله الدالة على هذا الاسم بالذات، شيء مهم جداً أن يتعرف المؤمن إلى أسماء الله الحسنى، إلى اسم القدير، إذا أُلقيت عليكم بضع كلمات أو درس حول اسم القدير هذا شيء يُنسى:

مَنْ أَخَذَ البلادَ بغيرِ حربٍ          يهونُ عليهِ تَسليم البلادِ

محمود سامي البارودي

أريد في موضوع أسماء الله الحسنى أن يُسهم كل واحد منكم في التعرف إليها من خلال استقراء آيات الكون، هذه طريقة مثلى في ترسيخ معرفتكم لأسماء الله الحسنى.

رأيتم قبل درسين أو أكثر، أو في درس السبت في درس المذاكرة، سألت الإخوة الحاضرين عن اسم اللطيف فجاءتني والله آيات من الكون تدل على هذا الاسم شيء يبعث في النفس الغبطة، بعضهم قال لي: المطر، أي حجم حبة المطر دليل اسم اللطيف، بعضهم قال لي: الهواء، بعضهم قال لي: حركة السحاب، هناك أدلة كثيرة، فإن شاء الله تعالى أسماء الله الحسنى لن أجعلها درساً طارئاً تُتلى بعض أفكاره عليكم إلقاءً،

لكنني آثرت أن أجعلها استقراءً، أي أنتم تُسهمون في التعرف لأسماء الله الحسنى عن طريق التفكر في ملكوت السماوات والأرض، وهذه الطريقة أنا قانع بأنها أكثر جدوى من أية طريقة أخرى فيها إلقاء، والمستمع يأخذ دور التلقي، فإن شاء الله تعالى في دروس قادمة نخصص كل درس أو كل شهر بحسب الغنى الذي تُبْدونه في إيراد الآيات الدالة على اسم من أسماء الله الحسنى.

واليوم ننتقل إلى ركن آخر من أركان الإيمان ألا وهو الإيمان بالملائكة، تعلمون أن أركان الإيمانِ الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، هذه أركان الإيمان، في دروس سابقة أنهينا موضوع الإيمان بوجود الله، أما الإيمان بأسمائه الحسنى سنأخذها تباعاً، وننتقل اليوم إلى الإيمان بالملائكة.

بالمناسبة هناك اصطلاح لعلماء الأصول وهو أن هناك عقائد يجب أن نؤمن بها بالضرورة، فهناك قائمة للعقائد التـي ينبغي أن نؤمن بها بالضرورة، فمن لم يؤمن بأحدها فهو كافر قولاً واحداً، وهناك عقائد من ردّها أو من قبلها لا يُكّفر، فنحن الآن في صدد العقائد التي على المسلم أن يؤمن بها بالضرورة، فالإيمان بالله أساس أركان الإيمان كلها.

## مسلك الإيمان بالغيبيات هو اليقين الإخباري:

لا تنسوا أيضاً أن هناك إيماناً تحقيقياً، وأن هناك إيماناً تصديقياً، وهذا فصلته في دروس سابقة، كيف أن هناك مسلكاً لليقين عن طريق الحواس الخمس، هذا كأس ماء أمسكه بيدي، وأراه بعيني، وأتذوقه بفمي، وأنظر إليه، وإذا صببته أسمع صوت خرير الماء، فالإيمان بهذا الكأس إيمان حسي، وقد أؤمن بأن في الأسلاك التي في هذا المسجد كهرباء، والدليل تألق المصابيح، فيقيني بوجود الكهرباء في الأسلاك يقين استدلالي قطعي، هذا تحدثنا عنه سابقاً، لكن الشيء إذا غاب عني وغابت عني آثاره كالملائكة وكالجن وكاليوم الآخر وكعالم الأزل هذه المُغيبات ليس للإيمان بها إلا مسلك واحد ألا وهو مسلك اليقين الإخباري، إذاً نحن اليوم في صدد الإيمان بالملائكة نسلك سلوك اليقين الإخباري، لكنكم تذكرون أنه في الإيمان بالله عز وجل

سلكنا سلوك الاستدلال العقلي، قلنا الدليل الأول، والدليل الثاني، والدليل الثالث، والدليل الرابع، في الإيمان بالله سلكنا مسلك اليقين الاستدلالي، وفي الإيمان بالملائكة سنسلك مسلك اليقين الإخباري.

وعلماء الأصول قالوا: يجب أن نبقى في حدود النص، فأي زيادة أو أي مبالغة أو أي تحليل أو أي إضافة هذا يعد ظنياً وليس قطعياً، الشيء القطعي هو الذي أخبر الله عنه، وأخبر عنه النبي بالنص، أما أن تقول: هناك ملك اسمه كذا، لم يرد هذا الاسم في كتاب الله، قال تعالى:

**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)**

سورة الزُخرف

إذاً سيدنا مالك يجب أن تؤمن به بشكل قطعي لأن اسمه ورد في النص، إذاً نحن في الإيمان بالملائكة إيماننا بالملائكة من نوع الإيمان التصديقي بعد أن آمنا بالله.

## الإيمان بالملائكة من أركان العقيدة الإسلامية:

إذاً ها هو ذا ربنا سبحانه وتعالى يُخبرنا، إذاً الإيمان بالملائكة من الإيمان بالكليات التي يجب أن نؤمن بها بالضرورة، فمن أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بالملائكة، قال تعالى في صفة عقيدة المؤمنين، ما من فكرة ألقيها عليكم اليوم إلا مأخوذة من آية قرآنية حصراً:

**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)**

سورة البقرة

وقد قال الله تعالى مُثْبتاً ضلال من يكفر بالملائكة:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)**

سورة النساء

الإيمان بالملائكة ركن أساسي في الإيمان، وإنكار الملائكة أحد أبواب الكفر، وقد جاء الحديث عن الملائكة في القرآن الكريم في مناسبات مختلفة، في نحو خمس وسبعين آية في ثلاث وثلاثين سورة، الملائكة وردت في كتاب الله في خمس وسبعين آية، وفي ثلاث وثلاثين سورة، كما جاء في أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام طائفة كثيرة فيها ذكر للملائكة، فالحديث المشهور الذي يرويه سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه المتضمن أسئلة جبريل عليه السلام للرسول صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، هذا حديث مشهور: **حَدَّثَنِي أَبِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ، شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي عَنِ الإِسلامِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإِسلامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِيمَانِ؟ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، قَالَ: صَدَقْتَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الإِحْسَانِ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، قَالَ: فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا؟ قَالَ: أَنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ، قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا ثُمَّ قَالَ لِي: يَا عُمَرُ أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟ قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ.**

صحيح مسلم

النبي عليه الصلاة والسلام قال حينما شكاه سيدنا حنظلة الذي رآه الصديق في الطريق يبكي، **كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَوَعَظَنَا، فَذَكَّرَ النَّارَ، قالَ: ثُمَّ جِئْتُ إلى البَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلَاعَبْتُ**

**المَرْأَةَ، قالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذلكَ له، فَقالَ: وَأَنَا قدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ما تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَافَقَ حَنْظَلَةُ فَقالَ: مَهْ فَحَدَّثْتُهُ بالحَديثِ، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ما فَعَلَ، فَقالَ: يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ولو كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كما تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ، حتَّى تُسَلِّمَ علَيْكُم في الطُّرُقِ. وفي رواية: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَذَكَّرَنَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَديثِهِمَا.**

صحيح مسلم

ولكن يا حنظلة أنتم ساعة وساعة، أما نحن معاشر الأنبياء فتنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا، إذاً المؤمن لو شقّت نفسه، وأقبل على الله عز وجل، وأخلص لله، ربما شاهد الملائكة، فمن أنكر وجود الملائكة فهو منكر لكلام الله ورسوله كافر لا محالة، إذ لا مجال للتأويل، فالنصوص واضحة، صريحة، قاطعة، والعلم بوجود الملائكة مما هو معلوم من الدين بالضرورة عند جميع المسلمين.

## الحكمة الربانية التي ألزم الله عباده المؤمنين بها هي الإيمان بالملائكة دون رؤيتهم:

الآن سؤال؛ ما الحكمة من أن الله عز وجل أخبرنا بوجودهم وبوجوب الإيمان بهم؟ ما الحكمة؟ شيء لا نراه، ليس لهم آثار، ولا نراهم، ولا نسمع أصواتهم، لماذا ألزمنا الله عز وجل أن نؤمن بوجودهم؟ هذا سؤال، الحقيقة لأن لهم وظائف خطيرة جداً متعلقة بنا، فالإيمان بوجود الملائكة إيمان يقتضي الاستقامة وإليكم بعض التفصيلات:

أولاً: الله سبحانه وتعالى من رحمته وحرصه على إسعاد خلقه أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، من بني جلدتهم من البشر، ولكن هؤلاء الرسل كيف يُبَلِّغون رسالات الله؟ الملائكة هم الوسطاء، هم رسل الله إلى رسل الله، الملائكة رسل الرسل، عن طريق الملائكة بلّغ الله رسله وأنبياءه ما ينبغي أن يبلغوه لنا، فقد تقول: كيف عرف النبي عليه الصلاة والسلام رسالات الله؟ من الذي أخبره؟ من أنزل عليه الكتاب؟ هناك حلقة مفرغة، هو بشر، إذاً حينما تؤمن بأن الله عز وجل جعل الملائكة وسطاء بينه وبين رسله عندئذ تكتمل الحلقة عندك، فقال تعالى في سورة النحل في الدرس الماضي:

**يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (2)**

سورة النحل

بالروح أي بالكتاب، بالقرآن.

## وظائف الملائكة:

إذاً أول وظيفة للملائكة أنهم رسل إلى رسل الله سبحانه وتعالى، وهناك وظائف أخرى كنفخ الروح في الأجنة، مراقبة أعمال البشر، المحافظة عليهم، قبض أرواحهم، تعاملنا كله مع الملائكة، وحيث كان لهم هذه العلاقة بنا في كثير من أمور حياتنا ومعاشنا وأعمالنا، يُضاف إلى ذلك ابتلاء الله لنا بالإيمان بمخلوقات غيبية عنا يخبرنا بها، أخبرنا الله بوجودهم، وكلفنا أن نؤمن بهم، لأنهم رسلُ رسل الله، ولأنهم يقومون بوظائف كثيرة متعلقة بنا كنفخ الروح في الأجنة، مراقبة أعمالنا، وحفظنا من كل شر، وقبض أرواحنا، وتسجيل كل هفواتنا وحركاتنا وسكناتنا، إذاً أخبرنا الله عنهم وكلفنا أن نؤمن بهم إيماناً غيبياً، مسلكه اليقين الإخباري.

لا نستطيع أن نعرف من حقيقة الملائكة إلا ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأننا بحسب العادة لا نتصل بهم عن طريق الحس اتصالاً يفيد العلم اليقيني حتى تتكشف لنا حقيقتهم، ونحدد تكوينهم، وحسبنا في العقيدة أن نقتصر على ما وردت به النصوص دون أن نجري وراء التكهنات.

## صفات الملائكة:

### 1- الصفة النورانية التي خُلِقوا عليها:

من صفاتهم أنهم مخلوقون من نور، الإنسان مُركّب من طين، خُلِق من طين، وخُلِق الجن من نار، وخُلِقت الملائكة من نور، ما الدليل؟

**عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: خُلِقَتِ الْمَلائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ.**

صحيح مسلم

هذا الدليل، أجسام نورانية، لأن النبي عليه الصلاة والسلام أخبرنا بذلك.

## 2 ـ يرونا ولا نراهم:

الملائكة يكونون معنا ولا نراهم، فقد كان جبريل عليه السلام ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يراه جلساء النبي، النبي وحده يراه:

**قَالَ أَبُو سَلَمَةَ إِنَّ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا يَا عَائِشَ هَذَا جِبْرِيلُ يُقْرِئُكِ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: وَعَلَيْهِ السَّلامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ تَرَى مَا لا أَرَى، تُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

متفق عليه

وهو يرى ما لا أرى، لكن هناك حديثاً لم يبلغ درجة الصحة أي يعطينا فكرة، فقد ورد أن السيدة خديجة رضي الله عنها كانت تمتحن نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم بإماطة الخمار عن رأسها، فإذا كشفت شعرها هدأت حالة الرسول، وإذا غطت شعرها عادت إليه الحالة لعلمها بأن الملك جبريل لا يدخل بيتاً فيه امرأة مكشوفة الرأس، لذلك قالت له لما حسرت عن رأسها: هل تراه؟ قال: لا، قالت: يا بن عمي أثبت وأبشر فو الله إنه لملك وما هذا بشيطان، لذلك المرأة إذا قامت لتصلي عليها أن تغطي شعرها حسب السنة.

## 3- القدرة على التمثل:

الصفة الثالثة: الملائكة قادرون على التمثل بأمثال الأشياء، والتشكل بالأشكال الجسمانية، فقد ثبت بالقرآن الكريم وبالأحاديث الصحيحة أن جبريل عليه السلام كان يأتي إلى مجلس رسول الله أو غيره كما يلي أولاً: على صورة إنسان مجهول: ((**بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا طلع عليه رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فسأل النبي عليه الصلاة والسلام عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عنها بالتفصيل، وأخيراً**

**بعد أن انصرف قال عليه الصلاة والسلام لأصحابه: أتدرون من السائل؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)).**

إذاً أول صفة أنهم من نور، والثانية أنهم يروننا ولا نراهم، الصفة الثالثة أن الملائكة قد تتمثل بأشخاص، وكما في قصة نزول جبريل على مريم، وقد انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً وتمثّل لها بشراً سوياً:

**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (16) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (17) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (18) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (19)**

سورة مريم

روحنا أي جبريل، وقد يتمثل الملك على صورة إنسان معلوم، فكثيراً ما كان يأتي مجلس رسول الله أي جبريل على صورة دُحية الكلبي أحد أصحاب رسول الله، وكان رجلاً وسيماً أي جميلاً، إما أن يأتي على شكل رجل مجهول، أو على شكل رجل معلوم، وطبعاً هناك أدلة كثيرة منها قصة ضيف إبراهيم، قال تعالى:

**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ (24) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ (25) فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (26) فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ (27)**

سورة الذاريات

﴿**دَخَلُوا عَلَيْهِ**﴾ أي الملائكة، بالمناسبة الملائكة لا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتناسلون، ولا يتناكحون، ولا يتزاوجون.

**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (28)**

سورة الذاريات

وقصة ثانية:

**وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ (77)**

سورة هود

جاؤوا على شكل غلمان مرد جميلي الصورة.

**وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ (78)**

سورة هود

مع سيدنا لوط جاؤوا على شكل شباب حسان الصورة، مُرد، ومنها قصة الملكين الذين تسوّرا المحراب على داود عليه السلام في صورة رجلين متخاصمين:

**وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ (21) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ (22)**

سورة ص

هذه قصة ثالثة، إذاً الصفة الثالثة أنهم قادرون على التشكل بأشكال بشرية معروفة أو غير معروفة.

## 4- القدرات الخارقة التي امتازوا بها:

الصفة الرابعة: ومن صفاتهم أن لهم قدرات خارقة، فقد ثبت للملائكة في القرآن الكريم والسنة المطهرة قدرات عجيبة لإقدار الله لهم، فمنهم على قلة عددهم يحملون العرش، عرش الرحمن، قال تعالى في سورة الحاقة:

**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)**

سورة الحاقة

وفي الحديث الشريف: **عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةِ عَامٍ.**

إسناده صحيح كما قال الذهبي والهيثمي، وصححه الألباني

ومنهم من ينفخ نفخة يُصعق لها من في السماوات والأرض، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله تعالى في سورة الزمر:

**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)**

سورة الزمر

وفي الحديث الشريف: **عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: كَيْفَ أَنْعَمُ –بالدنيا– وَصَاحِبُ الصُّورِ قَدِ الْتَقَمَ الصُّورَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ وَأَصْغَى سَمْعَهُ يَنْتَظِرُ مَتَى يُؤْمَرُ؟**

ابن حبان عن أبي سعيد الخدري في موارد الظمآن في زوائد ابن حبان للهيثمي

**عن سَهْلِ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ بِإِصْبَعَيْهِ هَكَذَا، بِالْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ: «بُعِثْتُ وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ».**

صحيح البخاري

أي بعثة النبي عليه الصلاة والسلام من أشراط الساعة، رسل سيدنا لوط وهم ملائكة قلبوا أرض قومه عاليها سافلها دفعة واحدة، هذه أعمال خارقة:

**فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (82)**

سورة هود

## 5- الطاعة لله تعالى:

من صفاتهم أيضاً الطاعة لله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)**

سورة التحريم

دقيقة الآية، أي لا يعصون، وإذا أُمِروا يبادرون.

## 6 ـ لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يتعبون فيها:

من صفاتهم أيضاً أنهم لا يستكبرون عن عبادته، ولا يتعبون فيها، وأنهم يسبحون ربهم دائماً من غير انقطاع:

**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (19) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (20)**

سورة الأنبياء

﴿**وَمَنْ عِنْدَهُ**﴾ أي الملائكة، ﴿**وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ**﴾ لا يملون.

**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)**

سورة البقرة

لا تنسوا أن الإنسان إذا آمن يفوق الملائكة، لا تنسوا أنكم إذا آمنتم فُقْتُم الملائكة، رُكّب الملك من عقل بلا شهوة، وركّب الحيوان من شهوة بلا عقل، وركّب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان، مع عظمة هؤلاء الملائكة إذا آمنتم واستقمتم، وضحيتم والتزمتم، وبذلتم وأخلصتم، وأقبلتم وارتقيتم، إنكم تفوقون الملائكة لأن الله أودع فيكم شهوات، أودع فيكم حبّ النساء، حبّ المال، حبّ العلو، قال تعالى:

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)**

سورة الأحزاب

الملائكة والجبال والسماوات والأراضين وسائر المخلوقات خافوا ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾.

## 7 ـ لا يعملون إلا بأمر الله:

أيضاً من صفاتهم أنهم لا يعملون إلا بأمره أبداً:

**لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27)**

سورة الأنبياء

منفذون، طائعون، لا يفترون عن التسبيح.

## 8- مقربون إلى الله تعالى ومكرمون:

من صفاتهم أيضاً أنهم مقربون إلى الله تعالى ومكرمون:

**إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (206)**

سورة الأعراف

**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26)**

سورة الأنبياء

هؤلاء ليسوا بناته، إنهم عباد له مكرمون: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾.

## 9 ـ لا يتناكحون ولا يتناسلون:

من صفاتهم أنهم لا يتناكحون، ولا يتناسلون، ولكنهم عباد الرحمن، مخلوقون لله من دون وساطة، الله عز وجل خلقهم دفعة واحدة، نحن بنو البشر خُلقنا من بعضنا بعضاً، فلان ابن فلان ابن فلان، يُخلق إنسان، يموت إنسان، هكذا سنة الخلق، لكن الله سبحانه وتعالى لحكمة أرادها مع الملائكة خلقهم دُفعة واحدة،

لا يوجد تناسل عندهم، ولا يوجد تزاوج، ولا تناكح، ولا طعام، ولا شراب، وقد ذمَّ الله الكافرين الذين جعلوا الملائكة إناثاً وتوعدهم بكتابة شهادتهم الكاذبة وسؤالهم يوم القيامة عن افتراءاتهم قال تعالى:

**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (19)**

سورة الزخرف

## 10- تخصيص طائفة منهم كرسل لتبليغ الشرائع للأنبياء:

من صفاتهم أيضاً أن الله سبحانه وتعالى جعل منهم الرسل للقيام بتبليغ الشرائع للأنبياء، أو للقيام بمهام أخرى، قال تعالى:

**الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1)**

سورة فاطر

من صفاتهم أيضاً تلاحظون ليس هناك فكرة إلا بالقرآن الكريم حصراً، لأن الإيمان بالملائكة إيمان إخباري، مسلك الإيمان بهم اليقين الإخباري، لذلك لا يوجد أية كلمة من عندنا، أية كلمة مأخوذة من آية أو من حديث صحيح.

## 11- القدرة على الصعود والهبوط من غير الخضوع لقوانين الجاذبية:

من صفاتهم أنهم قادرون على الصعود والهبوط بين السماوات والأرض من غير تأثر بجاذبية أو تصادم:

**تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (4)**

سورة المعارج

والروح هنا سيدنا جبريل.

## 12 ـ الخوف من الله تعالى وإن كانوا لا يعصونه:

من صفاتهم الخوف من الله تعالى وإن كانوا لا يعصونه، وعلى عبادة الله يقيمون، قال تعالى:

**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (13)**

سورة الرعد

يسبحونه خوفاً منه أيضاً.

**وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (49) يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (50)**

سورة النحل

هذه من صفاتهم أيضاً.

## 13 ـ مخلوقون قبل السلالة البشرية:

من صفاتهم أيضاً أنهم مخلوقون قبل هذه السلالة من البشر، هم أسبق منا خلقاً، عندنا دليل، قال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ يوجد سؤال الآن: كيف توقع الملائكة أن بني البشر مفسدون في الأرض يسفكون الدماء؟ قاسوا على الجن، الجن خُلقوا قبل الملائكة، والإنس خُلقوا بعد الملائكة، فالملائكة قاسوا على الجن.

## كرامة طالب العلم عند الله:

**عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلَّهِ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ: فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى**

**السَّمَاءِ الدُّنْيَا، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ مِنْهُمْ مَا يَقُولُ عِبَادِي قَالُوا يَقُولُونَ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ.**

صحيح البخاري

أي إذا ذكرتم الله عز وجل لعل الله سبحانه وتعالى يرسل لهذه المجالس ملائكة يحفون طالبي العلم:

**عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من سلك طريقًا يطلبُ فيه علمًا، سلك اللهُ به طريقًا من طرقِ الجنةِ، وإنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنحتَها رضًا لطالبِ العلمِ، وإنَّ العالِمَ ليستغفرُ له من في السماواتِ ومن في الأرضِ ، والحيتانُ في جوفِ الماءِ، وإنَّ فضلَ العالمِ على العابدِ كفضلِ القمرِ ليلةَ البدرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثُوا دينارًا ولا درهمًا، ورَّثُوا العلمَ فمن أخذَه أخذ بحظٍّ وافرٍ.**

صحيح أبي داود

أحياناً تتيسر أموره، يتوفق، ينشرح صدره، تنحل مشكلاته، أي كأن الله عز وجل جعل الملائكة رسلاً يكافئون طلبة العلم.

## رؤية النبي لجبريل عليه السلام:

في الصحاح:

**قُلتُ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يا أُمَّتَاهْ، هلْ رَأَى مُحَمَّدٌ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رَبَّهُ؟ فَقالَتْ: لقَدْ قَفَّ شَعَرِي ممَّا قُلْتَ، أيْنَ أنْتَ مِن ثَلَاثٍ مَن حَدَّثَكَهُنَّ فقَدْ كَذَبَ: مَن حَدَّثَكَ أنَّ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عليه وسلَّم رَأَى رَبَّهُ فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: {لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام: 103]، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: 51]. ومَن حَدَّثَكَ أنَّه يَعْلَمُ ما في غَدٍ فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: {وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا} [لقمان: 34]. ومَن حَدَّثَكَ أنَّه كَتَمَ فقَدْ كَذَبَ، ثُمَّ قَرَأَتْ: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: 67] الآيَةَ، ولَكِنَّهُ رَأَى جِبْرِيلَ عليه السَّلَامُ في صُورَتِهِ مَرَّتَيْنِ.**

صحيح البخاري

**عن عائشة رضي الله عنها: مَن زعم أن محمدًا رأى ربَّه فقد أعظم، ولكن قد رأى جبريل في صورته وخلقه سادٌّ ما بين الأُفق.**

صحيح البخاري

هل الأفق قليل؟ مرةِ يوم عُرِج به إلى السماء:

**وَلَقَدْ رَآَهُ نَزْلَةً أُخْرَى (13)**

سورة النجم

ومرة كما يُقال في أسفل مكة بمكان اسمه أجياد، الآن إلى جانب الحرم يوجد مستشفى تسمى أجياد، هكذا تروي الأخبار أن النبي عليه الصلاة والسلام رأى جبريل مرتين؛ مرة في سدرة المنتهى وقد سدّ الأفق ومرة في أسفل مكة والله أعلم.

## من أيقن أن هناك ملائكة تحصي أعماله ينضبط ويستقيم:

سوف نتابع أعداد الملائكة، وأصنافهم، ووظائفهم في الدرس القادم، وكل هذه المعلومات مأخوذة كما ترون وكما تسمعون من كتاب الله تعالى:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)**

سورة النساء

نحن آمنا بالله إيماناً تحقيقياً، يلزم عن إيماننا هذا أن نؤمن بما أخبرنا به، هكذا أخبرنا الله سبحانه وتعالى، فإذا اجتهدتم، لعل الله عز وجل يريكم ما تنقلب هذه العقيدة إلى واقع والله أعلم.

أي إذا شخص جالس مع شخص بغرفة، هل يقدر أن يعمل عملاً منافياً للحشمة مثلاً؟ يصدر ريحاً مثلاً إذا كان مع شخص يجلس في فندق، هل يقدر أن يضع يده في أنفه يخجل أليس كذلك؟ إذا تيقنتم أن معكم ملائكة، يُحصون عليكم حركاتكم، وسكناتكم، وأقوالكم، وألفاظكم، ومزاحكم، وكل شيء، الإيمان بوجود

ملائكة يكتبون؛ ملك على الكتف اليمين يكتب الحسنات، وملك آخر يكتب السيئات، وسوف نرى ذلك في الدرس القادم، إذا تيقنتم أن هناك ملائكة يُحصون عليكم أنفاسكم، وحركاتكم، وسكناتكم، وأعمالكم في سركم وجهركم، فإن هذا الإيمان ربما يُعين على الانضباط أكثر، وإن كان الله سبحانه وتعالى معكم، يا موسى أتحب أن أجلس معك؟ فصُعِق سيدنا موسى، قال: كيف ذلك يا رب؟ قال: أما علمت أنني جليس من ذكرني؟ وحيثما التمسني عبدي وجدني؟

**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)**

سورة الحديد

من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله، ألم تقرؤوا قوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)**

سورة النساء

والله إذا قلنا لك: أنت مراقب، لا تنام الليل، تتجمد، فكيف وأن الله سبحانه وتعالى الذي يعلم السر وأخفى عليك رقيب؟

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 20-63: الإيمان بالملائكة: أصناف الملائكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## أعداد الملائكة:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس العشرين من دروس العقيدة الإسلامية.

وصلنا في الدرس الماضي في موضوع الملائكة إلى أعداد الملائكة، فالملائكة لا تُحصى أعدادها، وهناك ما يثبت ذلك، فقد قال الله سبحانه وتعالى:

**ومَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ومَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ويَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا ولَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والْمُؤْمِنُونَ ولِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ والْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو ومَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)**

سورة المدثر

فالملائكة من جنود الله عز وجل، ومن جنود الله عز وجل الكائنات الدقيقة التي لا تُرى بالعين، قد تأتي هذه الجنود فتضع الرجل في القبر، فهذه من جنود الله عز وجل، على كل الملائكة من جنود الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**ومَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُو**﴾ هذا النفي والاستثناء المقصود به أن أعداد الملائكة لا تُعدّ ولا تحصى، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: **وعن أَبِي ذَرٍّ قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: إِنّي أَرى ما لا تَرَونَ، أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، ما فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا ومَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تَعَالى، والله**

**لَو تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، و لَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، ومَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، و لَخَرَجْتُمْ إِلى الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلى اللَّه تَعَالَى.**

رواه الترمذي وقالَ: حديثٌ حسنٌ

أي هذه السماوات ما فيها موضع قدم إلا وفيه –في هذا الموضع–ملك ساجد أو راكع.

## مشاهد من الفضاء الخارجي:

السماوات كما تعلمون المسافات بين النجوم يصعب على العقل تصورها، أي الفضاء الخارجي شيء لا يُصدَّق، بين المجرات مسافات شاسعة الله سبحانه وتعالى ذكرها في كتابه الكريم قال:

**فَلَا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ(75) وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ(76)**

سورة الواقعة

إذا كان أقرب نجم للأرض عدا المجموعة الشمسية يبعد عنا أربعة آلاف سنة ضوئية، أي إذا ظهر منه ضوء إلى أن يصل الضوء إلينا يحتاج إلى أربعة آلاف عام، ضوء القمر يصل إلينا في ثانية واحدة، ضوء الشمس في ثماني دقائق، المجموعة الشمسية ثلاث عشرة ساعة، نجم القطب أقرب نجم إلى الأرض عدا المجموعة الشمسية، يحتاج ضوءه إلى أربعة آلاف سنة ضوئية، لو أن هناك طريقاً إليه وركبنا سيارة لاستغرقت الرحلة أكثر من سبع وعشرين مليون مليون سنة، هذا أقرب نجم، أبعد نجم اكتُشف حديثاً ثلاثة عشر ألف مليون سنة ضوئية، هذا أبعد نجم اكتشف حديثاً، ومعنى ثلاثة عشر ألف مليون سنة أي ضوء هذا النجم كان قد تألق والنجم في هذا المكان ومضى على تألقه ثلاثة عشر ألف مليون سنة، والآن وصل إلينا، الآن أين هذا النجم؟ لا ندري، يوم كان في هذه الجهة وأصدر ضوءه استغرق ضوءه حتى يصل إلينا ثلاثة عشرة ألف مليون سنة، أين هو الآن؟ لا ندري، هذه المجرات سرعاتها تقترب من سرعة الضوء، أي هذه المجرات تقطع في الثانية الواحدة مئتين وأربعين ألف كيلومتر، في الثانية الواحدة، وكانت في هذه الجهة قبل ثلاثة عشر ألف مليون سنة فأين هي الآن؟ إذا كانت تقطع في كل ثانية مئتين وأربعين ألف كيلومتر، وقد مضى على تحركها ثلاثة عشر ألف مليون سنة، فأين هي الآن؟ ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُومِ * وإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**﴾ لو

تعلمون، لو تدرسون، لو تطّلعون على حقائق الفلك، لو تُوضع هذه الحقائق بين أيديكم لخشعتم لله عز وجل، لذلك يقول الله عزّ وجل:

**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)**

سورة فاطر

العلماء وحدهم يخشون الله، أي كن عالماً حتى تخشى الله، ولن تخشاه إلا إذا كنت عالماً، ولا يستخف بأوامر هذا الدين إلا الغبي الجاهل الأحمق، ((أطّت)) أي صوتت لكثرة الملائكة، أي مثلاً لو أن غرفة أرضيتها من الخشب، وجلس في هذه الغرفة ما يزيد عن طاقة استيعابها، سمعت لهذا الخشب صوتاً، صوت الخشب دليل أنها تحمل فوق طاقتها، فمعنى ((أطّت)) أي صوتت لكثرة الملائكة، ((أطت السماء وحُقّ لها أن تئط ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع)).

الآن أصناف الملائكة، أعدادهم إذاً ما في هذه السماوات، وما في هذا الفضاء الخارجي موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع.

## أصناف الملائكة:

### 1- جبريل عليه السلام ووظيفته:

أما أصنافها ووظائفها فقد جاء في النصوص الشرعية أن الملائكة أصناف، وكما قلت لكم في الدرس الماضي إن هذا الموضوع له مصدر واحد هو كتاب الله وما صحّ من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نستطيع أن نزيد على النصوص شيئاً، لا إضافة، ولا تحليلاً، ولا تفخيماً، ولا حذفاً أبداً، هذا الموضوع مسلك الإيمان به مسلك الخبر الصادق، والخبر الصادق هو القرآن الكريم لأنه قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، يضاف إلى القرآن الكريم ما صحّ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهناك الصنف الأول أكابر الملائكة، ومن أكابر الملائكة سيدنا جبريل وميكائيل، وفي التنويه بهما قال الله تعالى:

**مَنْ كَانَ عَدُوا لِلَّهِ ومَلَائِكَتِهِ ورُسُلِهِ وجِبْرِيلَ ومِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُو لِلْكَافِرِينَ (98)**

سورة البقرة

ورد اسم سيدنا جبريل واسم سيدنا ميكال أو ميكائيل، أما جبريل عليه السلام فهو صاحب الوحي إلى الأنبياء والرسل عليهم السلام، وفي التنويه بوظيفته هذه وأمانته قال الله تعالى في سورة الشعراء:

**وإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193)**

سورة الشعراء

بماذا وُصِف؟ بالأمانة.

**عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ (194)**

سورة الشعراء

فسيدنا جبريل من أسمائه في كتاب الله أنه أمين وحي السماء، من أسمائه أنه الروح وهذا الروح أمين، ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ* عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ** ﴾ وقد بيّن الله سبحانه وتعالى أفضليته، إذ شرّفه فخصه بالذكر، وقدمه في الترتيب على سائر الملائكة، وجعله ناصراً لرسوله في معرض تهذيب نساء الرسول إذا تظاهرن عليه:

**إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ (4)**

سورة التحريم

الله سبحانه وتعالى وجبريل وصالح المؤمنين كما يُقال في تفسير هذه الآية أبوبكر وعمر ﴿**وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ كل هؤلاء ليقفوا في وجه كيد النساء، قال الله:

**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)**

سورة يوسف

﴿**وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ**﴾ خالق السماوات والأرض ﴿**وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ**﴾ ما هذا الكيد يا رب؟ لذلك لما ربنا وصف كيد الشيطان قال:

**الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)**

سورة النساء

فلما وصف كيد النساء قال: ﴿**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**﴾ نعوذ بالله من كيد النساء، أحياناً امرأة واحدة تسبب خصومات وقطيعة بين عشر أسر، وقد تودي إلى الطلاق، وقد تودي إلى الجريمة، والخبراء في الجرائم يقولون: في كل جريمة فتش عن المرأة، طبعاً هذا استنباط جانبي، الحديث عن الملائكة، أما الحديث عن كيد النساء موضوع جانبي.

وسمّاه الله روح القدس، والقدس خُلاصة الطهارة وأصلها وسرّها، شيء مقدس، طاهر، نقي، وذلك تكريماً له، فقال تعالى في سورة البقرة:

**وَلَقَدْ آَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)**

سورة البقرة

ومدحه الله سبحانه تعالى في ست صفات –سيدنا جبريل–معروضة في كتاب الله فقال في سورة التكوير:

**إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (19) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ (20) مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (21)**

سورة التكوير

فهو رسول وفي هذا اصطفاء، وهو كريم وفي هذا تشريف، وهو ذو قوة وهو مكين أي ذو مكانة، وهو مُطاع بين الملائكة، لذلك قال بعض العلماء: إنّ جبريل رئيس الملائكة، والجان رئيس الجن، ومما يدل على رياسته–لك أن تقول: رئاسته ورياسته، رئاسته على التحقيق، ورياسته على التخفيف وعلى التسهيل–أنه أمين في تبليغ رسالات ربه القولية والعملية، هذا عن سيدنا جبريل.

## 2- ميكائيل وإسرافيل ووظيفتهما:

أما ميكائيل أو ميكال فقد ورد أنه صاحب أرزاق العباد الموكل بها، ومن جُملة أكابر الملائكة الذين وردت بهم الأخبار إسرافيل، أما إسرافيل فقد ورد أنه صاحب الصور:

**يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (18)**

سورة النبأ

الذي ينفخ فيه بأمر الله النفخة الأولى فيهلك من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، استثناهم من الموت بهذه النفخة، لأن الله يتولى قبض أرواحهم بدون وساطة في نفخة الصور، ثم ينفخ فيه النفخة الثانية فيبعث كل المخلوقات إلى الحياة بعد الموت، هذه وظيفة سيدنا إسرافيل، قال تعالى:

**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)**

سورة الزُمر

الصور طبعاً البوق، من دون تشبيه أو من دون تجسيد لا نعلم، الله عز وجل قال الصور، ومعنى الصور البوق، والبوق كما قال العلماء: مخلوق أعدّه الله ليكون به النفخ لإهلاك الأحياء في السماوات والأرض عند قيام الساعة.

## 3- عزرائيل ووظيفته:

أما عزرائيل فهو ملك الموت، لا بنص كتاب الله ولكن كما جاء في بعض الأخبار المأثورة، أي كلمة عزرائيل لم تَرِد حتى في الأحاديث الصحيحة، وردت في الأخبار المأثورة، لكن عزرائيل اسمه شائع جداً بين الناس لشدة علاقتهم به، أي بعض الروايات بعد أن يُهلِك الله سبحانه وتعالى من في السماوات والأرض تنفيذاً لقوله تعالى:

**وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (88)**

سورة القصص

فعزرائيل يأمره بقبض أرواح كل مخلوق، ولا يبقى إلا هو، فيقول الله سبحانه وتعالى: مُت يا ملك الموت، فيذوق طعم الموت، فيقول: والله لو أعلم أن هذا طعم الموت ما تمنيت أن تكون هذه وظيفتي، لأن سبحان الله! كما قال عليه الصلاة والسلام:

**عَنْ عَائِشَةَ ﵂: أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ: إِنَّ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّيَ فِي بَيْتِي وَفِي يَوْمِي وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي وَأَنَّ اللَّهَ جَمَعَ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ عِنْدَ مَوْتِهِ، دَخَلَ عَلَيَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَبِيَدِهِ السِّوَاكُ وَأَنَا مُسْنِدَةٌ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَرَأَيْتُهُ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَعَرَفْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ السِّوَاكَ فَقُلْتُ: آخُذُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَتَنَاوَلْتُهُ فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: أُلَيِّنُهُ لَكَ؟ فَأَشَارَ بِرَأْسِهِ أَنْ نَعَمْ، فَلَيَّنْتُهُ، فَأَمَرَّهُ وَبَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ -يَشُكُّ عُمَرُ- فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ». ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى» حَتَّى قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.**

صحيح البخاري

أعاذنا الله منها.

## 4- حملة العرش:

من أصناف الملائكة أيضاً حملة العرش، ليس معنا إلا هذه الآية:

**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (16) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (17)**

سورة الحاقة

لا تستبعدوا هناك آيات لا ندري تفسيرها إلا بعد الموت، أي كيف يحمل هؤلاء عرش الله عز وجل؟ الله أعلم، هكذا ورد في القرآن الكريم.

## 5- الحافون حول العرش:

صنف آخر هم الحافون، الحملة شيء، والحافون حوله شيء آخر، قال تعالى:

**وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (75)**

سورة الزُمر

## 6- ملائكة الجنة:

من أصناف الملائكة أيضاً ملائكة الجنة، ففي وصف أهل الجنة قال الله تعالى في سورةِ الرعد:

**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (23) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (24)**

سورة الرعد

## 7- ملائكة النار:

من أصناف الملائكة أيضاً ملائكة النار، واسمهم الزبانية، فقد وصف الله تعالى سقر مبيناً أن المشرفين على العذاب فيها تسعة عشر من الملائكة فقال تعالى:

**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26)**

سورة المُدثّر

هذا الذي:

**إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (18) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (19) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (20) ثُمَّ نَظَرَ (21) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (22) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (23) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (24) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (25) سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (26) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (27) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (28) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (29) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (30) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (31)**

سورة المُدثّر

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)**

سورة التحريم

طبعاً ملائكة النار غلاظ شداد، السجان يكون ناعماً؟ لا، ينتقون شخصاً منظره مخيف، ويده قوية، وقوته العضلية شديدة، وقلبه قاس، هذا يصلح للسجن، أما أن يختاروا إنساناً لطيفاً، رقيق القلب، حساس المشاعر، مستحيل، فربنا قال: ﴿**عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾.

وفي تسمية ملائكة التعذيب بالزبانية ورد هذا في قوله تعالى:

**كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعَنْ بِالنَّاصِيَةِ (15) نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ (16) فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ (17) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ (18) كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ (19)**

سورة العلق

رئيس ملائكة النار وخازنها اسمه مالك، العوام يقولون: من هالك لمالك لقبّاض الأرواح، والدليل على ذلك من قوله تعالى:

**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (77)**

سورة الزُخرف

أجمل وصف أو أدق وصف أن من كان في النار:

**إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا (74)**

سورة طه

لا يموت فيستريح ولا يحيا فيسعد، ﴿**لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا**﴾، ﴿**يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ**﴾.

## 8- صنف من الملائكة موكلون ببني آدم ولكل واحد حسب وظيفته:

الآن هناك من أصناف الملائكة صنف موكل ببني آدم، وهؤلاء أصناف؛ منهم الموكلون بنفخ الأرواح في الأجنة، هذا صنف، ومنهم الموكلون بمراقبة أعمال المكلفين، وحفظها، وإحصائها، وتسجيلها، وكتابتها في صحف الأعمال، وعندهم القدرة على علم جميع ما يفعله الناس من خير أو شر فيحصونه إحصاء تاماً، دونما غفلة عن شيء منه أو نسيان لشيء منه، قال تعالى:

**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)**

سورة ق

﴿**الْمُتَلَقِّيَانِ**﴾ الملكان.

الحركة، السكنة، اللفظة، الكذب، الفحش، المزاح الرخيص، الغيبة، النميمة، الاستهزاء، السخرية، الكبر: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ لكن العلماء نهوا عن أن يسأل الإنسان كيف يكتبون؟ كيف يُسجلون؟ هذا شيء في علم الله سبحانه وتعالى، الذي يعنينا أنهم يكتبون، أي يوم القيامة يأتي الإنسان وكتابه فيه كل كبيرة وصغيرة:

**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)**

سورة الكهف

في آية أخرى:

**كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ (9) وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)**

سورة الانفطار

هذه المسجلة تسجل كل صوت، لكنها لا تعلم أن هذا الكلام حق أو باطل، خير أو شر، فالملائكة ليسوا كائنات يتلقفون أعمال الإنسان من دون فهم، لا، هم يعلمون أن هذا العمل خيّر وهذا العمل شرير، هذا العمل يُرضي الله وهذا العمل يُسخط الله، هذا العمل يرضى الله عنه وهذا العمل يُسخط الله، يعلمون، لذلك جاء في بعض الأحاديث الشريفة أن الله عز وجل رحمة بعباده جعل الملك الذي على الكتف الأيمن أميراً على الملك الذي على الكتف الأيسر، فإذا فعل الإنسان سيئة لا يستطيع ملك الشمال أن يُسجل إلا بأمر من ملك اليمين، ملك اليمين ينتظر لعله يتوب، لعله يندم، لعله يُراجع نفسه، لعله يُصلح، لعله يتألم، إذا فعل الإنسان الشر، وأصرّ عليه، وافتخر به، ولم يتب منه، ولم يندم عليه، عندئذ يأمر ملك اليمين ملك الشمال أن يكتب عليه هذا العمل:

**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)**

سورة يس

أما الآية دقيقة جداً ﴿**وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ**﴾ كيف ذلك؟ رجل زنا، الزنا كُتِب عليه بعد أن يزني ودون أن يتوب، ودون أن يستغفر، بعد أن يفعل هذه المعصية يُكتب عليه هذا العمل، هذا معنى قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا**﴾ إذاً: ﴿**وَآَثَارَهُمْ**﴾ هذه الفتاة التي أصبحت زانية، أعادت الكرة فأصبحت مومساً، أنجبت أولاداً بالحرام فجعلتهم يفعلون فعلها، لو تتبعت ما أتى من هذه الزانية لألف عام قادمة قد يكون هناك خمسة آلاف مومس جاء من هذه الزانية، هذه آثار الزنا، فيكتب على الزاني الأول فعله والآثار المترتبة

على فعله، هذا الذي طلّق هذه المرأة طلقها ظلماً فكفرت بربها لأنها حنقت على زوجها الذي يصلي، يصلي وطلقها لسبب تافه فحنقت عليه، حينما حنقت عليه تركت الصلاة، لأنها جاهلة، عندئذ خرجت عن طريق الحق، فعلت ما فعلت، كل الذنوب التي ترتكبها هذه المرأة وذريتها إلى يوم القيامة في صحيفة الذي طلقها ظلماً.

إن الطلاق يهتز له عرش الرحمن، فالإنسان قبل أن يُطلق يجب أن يعد للمليون، للمئة مليون، ولا سيما إن كان له أولاد من هذه الزوجة، والله الذي لا إله إلا هو هذه الآية تقصم الظهر، ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ**﴾ أي حينما كُلفت بتصليح هذه السيارة، لم تعتن بضبط أجزائها، أعطيتها لصاحبها يركب مع أهله وأولاده وزوجته تدهورت به، مات الزوج وماتت الزوجة، وبقي أولاد صغار، الأولاد الصغار لا معيل لهم، لا مربّ لهم، نشؤوا منحرفين، من يُصدّق أنَّ هذا الذي أهمل تصليح السيارة سيُحاسب عن هذهِ الآثار؟ ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ**﴾ إنسان أرسل ابنه إلى بلاد الأجانب ليتعلّم اللغة الأجنبية، الأصول أن يجلس في غرفة عند أسرة، هذه الأسرة متفلتة من الأصول، أي موضوع الزنا سهل عِندهم، فذهب إلى هذه البلاد وعاد يُتقن اللغة الإنكليزية لكنهُ عادَ زانياً، الله عزَّ وجل يُريهِ يومَ القيامة أنَّ هذا الابن الزاني كيف اختار امرأةً زانية؟ وكيف أنجبَ منها ذُريّةً سيئة فاسدة؟ وكيفَ أنَّ كُل الانحراف بسبب أنه أرسله ليُتقن اللغة الأجنبية فيُحاسب عن كُل هذا الفساد، فهذه الآية دقيقة جداً: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوتَى ونَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وآثَارَهُمْ**﴾.

### 9- صنف من الملائكة موكلون ببني آدم يحفظونهم من كل شر:

ومن أصناف الملائكة الموكلين ببني آدم المعقبات الحفظة، الذين يحفظون الناس بأمر الله من شرّ كل ذي شر خفي أو ظاهر، أي طريق خطر، أنت تقول: أنا احترت، اخترت هذا الطريق، هناك ملك ألهمك أن تسير بهذا الطريق، أحياناً إنسان شرير يُصرف عنك، هناك ملك صرفه عنك، أحياناً تنسى الكهرباء مفتوحة، والكهرباء مقطوعة، لو أنها جاءت في الليل لأحرقت المحل، بعد أن خرجت خمسين متراً تعود إلى المحل لتطفئ الكهرباء من الذي أرجعك إلى المحل؟ الملائكة، والدليل قوله تعالى:

**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)**

سورة الرعد

حياة كُل واحد منا إذا كان طاهراً مؤمناً مستقيماً يحس أن الله عزّ وجل نجّاه من آلاف الورطات، من آلاف المشكلات، إبريق شاي على الطاولة، يخطر في بالي أن أدفعه للداخل، يكون الابن يده على الإبريق سيشده، لما دفعته إلى الداخل سلم، كان صار مع ابني مشكلة كبيرة جداً، ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ وهؤلاء الصغار الملائكة يحفظونهم بأمر الله، قد يقعون مئة مرة على الأرض، تسمع صون جمجمته مثل الطنين، يقف لا شيء فيه: ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ أحدهم أخبرني أن ابنه الصغير وقع من مقعد الجلوس إلى الأرض على السجادة مسافة أربعين سنتمتراً، صار عنده خرّاج في الدماغ، وفُتحت الجمجمة، وكلفته عشرات الألوف، وقلق، أي الله عز وجل إذا كان حفظ فإنه يحفظ.

أي إن للإنسان ملائكة يتعقبونه لا يفارقونه بل يُرافِقونَهُ في جميع الجهات، من بين يديه ومن خلفه، يحفظونه من المخاطر الظاهرة والخفية بأمر الله، وضمن حدود قضاء الله وقدره.

أحدهم يقول لك: كنت أقود سيارتي على الطريق فنمت، رأيت مناماً والسرعة كانت مئة وعشرين، بعدها صحا لا يزال على الطريق، من أيقظه؟ ﴿**يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ من هذا القبيل هناك ملايين القصص، هذه الآية دقيقة جداً، وهذه الآية تبث المحبة في قلبنا تجاه الله عز وجل: ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ**﴾ للإنسان ﴿**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ومِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾ لما الإنسان يسافر هناك دعاء للسفر: "اللهم أنت الرفيق في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد"، أنت مسافر، زوجتك أرسلت ابنك يحضر خبزاً، يا ترى بالطريق يوجد سيارات، يوجد أشرار، يوجد عتاة، من يحفظه في الطريق؟ الله سبحانه وتعالى، أرسلت ابنتك الصغيرة إلى المدرسة في الصف الأول، لا يوجد عندها وعي، قد تأتي سيارة مُسرعة، قد تقطع الطريق بشكل غافل، من يحفظها؟ الله سبحانه وتعالى، فإذا الإنسان سافر وقرأ الدعاء: "اللهم أنت الرفيق في السفر، والخليفة في الأهل والمال والولد"، الله سبحانه وتعالى يتفضل ويحفظ لك أولادك وزوجتك، سافر واطمأن، الله سبحانه وتعالى:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)**

سورة البقرة

والملائكة يحفظون هؤلاء لأنك دعوت الله قبل أن تسافر.

## 10 - الموكلون ببني آدم ملائكة الموت:

ومن هؤلاء الموكلون ببني آدم ملائكة الموت، قال تعالى:

**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (61)**

سورة الأنعام

هؤلاء الرسل سبحان الله! يأتون إلى المؤمن بأجمل صورة، شخص على فِراش الموت وأولاده من حوله قال لهم: قبّلوا يد عمّكم، أين عمهم؟ لا يوجد أحد، أحبّ الناس إليه أخوه فجاءه ملك الموت بصورة أخيه، أحياناً يأتي ملك الموت بصورة صاحب حميم، بأجمل صورة، هؤلاء الرسل، وقد يأتي ملك الموت بأبشع صورة، قد يأتي على شكل ثعبان أقرع، أو على شكل مخلوق مخيف، شخص طرقَ الباب على صديقه، سمع صُراخاً وعويلاً فتوقّع أنّ الشخص ميتٌ، يموت فغادر، بعدما غادر فُتِحَ الباب تفضل، استغرب! دخل لِعنده وجدهُ يرتجف فسألهُ: خيراً؟ قال له: هل تُشاهد هذه الطاقة خرج منها واحد مُخيف، ذو قرون، وجهه كبير، أسود، أظافرهُ طويلة، كان يريد أن يخنقني، طبعاً هذا ملك الموت.

إنسان يُخبر الإطفائية حريقة، أين الحريقة؟ لا يوجد شيء، جاؤوا الملائكة، فرسل الموت يأتون للمؤمن بأبهى صورة، شخص مشلول بالفراش، توفي بعد ذلك، شاهده ابنه بالمنام، قال له: يا أبت ما فعل الله بك؟ قال له: لما كنت أنا مريضاً الذي آلمني منكم جاء اثنان حركوني شفوني أنتم بكيتم، أنا لم يعد بي شيء، عندما كنت مريضاً كنتم ساكتين ولما شفيت بكيتم؟ اثنان بشكل ممرضين أو طبيبين عالجوه علاجاً خفيفاً، قال لهم: من دون إبر، خاف أن يكون هناك إبر، لا، لا يوجد إبر، معالجة خفيفة ومشى معهم وذهب للنزهة، طبعاً

عندما يكون الإنسان قد قضى حياته بالطاعة، بضبط نفسه، بغض بصره، بتحرير دخله، بالإحسان إلى الناس، بذكر الله، يستحق أن يموت ميتة يشتهيها كل إنسان، ينقلب القبر روضة من رياض الجنة، وفي آية أخرى:

**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)**

سورة السجدة

رسلنا الملائكة، وملك الموت رئيس ملائكة الموت كما رود في الأخبار أو في الآثار سيدنا عزرائيل.

من تفسيرات بعض الآيات:

**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2)**

سورة النازعات

النازعات ملائكة الموت ينزعون أرواح الكفار نزعاً، والناشطات ملائكة الموت يأخذون أرواح المؤمنين أخذاً نشطاً، وبعضهم قال: هناك ملائكة موكلون بأمور أخرى.

من تفسيرات هذه الآية:

**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا (1) فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا (2) فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا (3)**

سورة الصافات

**وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (1) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (2) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (3) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (4)**

سورة الذاريات

من بعض تفسيرات هذه الآيات أنها الملائكة، ولها تفسير آخر أنها آيات كونية، على كل هناك مهمات أخرى لا يعلمها إلا الله.

## خلاصة الدرس:

ملخص هذا الفصل: الملائكة مخلوقات مُغيبة عنا، لا نراها، ذات أجسام نورانية لطيفة، لا نراهم في الحالات العادية، في الحالات غير عادية نراهم، قادرون على التشكل بالأشكال الجسمانية المختلفة المرئية لنا، ذوو قدرات خارقة، قال الله:

**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39)**

سورة النمل

هذا الجني.

**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ (40)**

سورة النمل

﴿**قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ**﴾ الملك، عرش الملكة بلقيس ينتقل من اليمن إلى القدس قبل أن يرتدّ إليك طرفك؟! أخي والله البضاعة شحنت، صار لها شهر، طبعاً، لأنها باخرة، تحتاج إلى شهر، شهر شحن البضاعة، وشهر استلامها، وشهر تخليصها، قال له: ﴿**أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ**﴾ فالملائكة ذوو قدرات خارقة لا حصر لهم، مقربون إلى الله تعالى، مقربون إلى الله تعالى، طائعون له، لا يعصونه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لا يتناكحون، لا يتناسلون، لا يأكلون، لا يشربون، إنما هم عباد مكرمون يحملون رسالات ربهم في العالمين، ويؤدون وظائفهم في الأكوان بحسب مجرى الأقدار، لا يوجد لهم رأي خاص، بحسب مجرى الأقدار، يحفظونه بقضاء الله وقدره، ملائكة العذاب يعذبونه بقضاء الله وقدره، ليس لهم انفصال عن أوامر الله عز وجل، يُنفذون أوامر الله بحذافيرها، على مراد الله العزيز الجبار.

بهذا ينتهي موضوع الملائكة وسوف ننتقل في الدرس القادم إلى موضوع الجن، والاعتقاد بوجودهم.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 21-63: الإيمان بالجن

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## مسلك الإيمان بالجن هو الخبر الصادق:

أيها الإخوة الأكارم؛ مع الدرس الحادي والعشرين من دروس العقيدة، أنهينا في الدرس الماضي موضوع الإيمان بالملائكة، واليوم ننتقل إلى موضوع آخر هو الإيمان بالجن، والمسلمون يا أيها الإخوة المسلمون؛ المسلمون كلهم يعتقدون بوجود مخلوقات غيبيّة عنا، جميعاً، لا نراها بحواسنا في الحالات العادية اسمها: الجن، لأن الله سبحانه وتعالى في قرآنه الكريم، والنبي عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف قد أخبرا بوجودهم بشكل قاطع لا يحتمل التأويل.

في القرآن والسنة إشارات واضحة ونصوص صريحة لا تحتمل التأويل تُلزمنا أن نؤمن بالجن، هذه المخلوقات الغيبية لا نُحسّ بها، إلا أن وجودها من الأمور الممكنة عقلاً، تحدثنا في دروس سابقة كيف أن الأشياء من زاوية العقل، هناك أشياء موجودة ممكنة الوجود، وهناك أشياء مستحيلة الوجود، وهناك واجب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى، كل شيء سوى الله ممكن الوجود، لكن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود، هناك ممكن الوجود عقلاً، وهناك مستحيل الوجود عادة، أي بحسب العادة النار تُحرق، فإذا قلت: النار لا تحرق، هذا الكلام مستحيل بحسب العادة، لكن بحسب العقل الذي خلقها تُحرق قد يمنع عنها الإحراق، فوجود مخلوقات غيبية عنا لا نُحس بها من الأمور الممكنة عقلاً، فلا يكون إنكار المنكر لها إلا تكذيباً للخبر الصادق، طبعاً كما قلنا مراراً وتكراراً الإيمان بالملائكة، والإيمان بالجن، والإيمان باليوم الآخر، هذه كلها مغيبات، مسلك الإيمان بها مسلك الخبر الصادق، لكن الإيمان بالله استدلال عقلي يقيني قطعي، فهناك إيمان تحقيقي، وهناك إيمان تصديقي، فالإيمان بالملائكة والإيمان بالجن من نوع الإيمان التصديقي، لأن الله سبحانه وتعالى:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا (87)**

**سورة النساء**

أخبرنا في كتابه والنبي صاحب المعجزة المُصدَّق أيضاً أخبرنا بحديثه الشريف أن هناك مخلوقات لا نراها بأعيننا لكنها موجودة.

## الاستشهاد بأمثلة لتوضيح الفهم:

إذا أردتم ما يشبه هذا في حياتنا، هناك أشياء كثيرة، فهذا الجو فيه بث إذاعي، من منكم يُشاهِد البث الإذاعي؟ لا يُشاهَد، لكنك إذا جئت بجهاز لاقط وأدرته تسمع صوت البث الإذاعي، فإذا قلت: أنا لأني لا أرى البث الإذاعي أُنكر وجوده هذا كلام فيه حمق، لأن عدم الوجدان لا يدل على عدم الوجود، مادام هذا الشيء موجوداً، ولكن الحواس لا تراه لقصورها، ماذا ترى في هذا الكأس؟ ترى ماء صافياً عذباً زلالاً، لو أتيح لأحدكم أن يضع نقطة من هذا الماء تحت مجهر، أو ميكروسكوب، أو مجهر الكتروني، لرأى العجب العجاب، لرأى في هذه النقطة كائنات، ومخلوقات، وأحياء لا يعلمها إلا الله، قال: لو أدخلنا مبضع جراح على الصاد الموصد وهو من أرقى أنواع الأجهزة المُطَهِرة لبقي عليه في المليمتر مربع لا أدري كم من الجراثيم، وهو في الصاد الموصد، في أشد الأجهزة تطويراً، فالحواس قاصرة، وفي هذا الجو أيضاً بثّ من الصور، لو أنك أدرت جهاز اللاقط لاقط الصور الرائي لرأيت البث، هل بإمكانك أن تنكر البث الإذاعي لأنك لا تراه؟ كذلك الجن مخلوقات، ليس بالإمكان أن تقول: هي غير موجودة لأني لا أراها، نقول لك: إن حواسك محدودة، إن حواسك المحدودة ليست مقياساً للإيمان بالجن، ولكن الإيمان بالجن دليلها كلام الله سبحانه وتعالى، وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام، ومسلك الإيمان بها مسلك الخبر الصادق.

## الأدلة الواردة في الكتاب والسنة بوجوب الاعتقاد بالجن:

طبعاً كما تعوّدنا جميعاً ليس هناك فكرة تُقال في هذا المكان إلا مع الدليل، هكذا المؤمن، إذا كنت مبتدعاً فالدليل، وإذا كنت ناقلاً فالصحة، هذه قاعدة بين العلماء مضطردة، إذا كنت مبتدعاً، والله أنا رأيي في الموضوع الفلاني كذا وكذا، جميل، ما الدليل؟ هل عندك دليل من آية قرآنية أو حديث صحيح عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم؟ أو هل عندك إجماع من العلماء حول موضوع ما؟ أو هل عندك قياس؟ إذا كنت مبتدعاً فالدليل وإذا كنت ناقلاً فالصحة، إذا كنت ناقلاً ما دليل صحة هذا القول؟ فلان قال كذا وكذا، أسمعت من فِمهِ؟ لا والله، أقرأت كتاباً له؟ لا والله، أجلست في مجلسه؟ لا والله، هذا كلام مردود، لو تتبع الناس أو لو سلك الناس المسلك العلمي في النقل لكنا بحالة غير هذه الحالة، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ (6)**

سورة الحجرات

في كل علاقاتكم الاجتماعية لو كان الأخ المؤمن واعياً لدرجة أنه لا يقبل كلاماً عن فلان إلا بالدليل، أسمعت بأذنك منه؟ لا والله، أقرأت كتاباً له؟ لا، إذاً هذا الكلام مرفوض إلى أن يثبت الدليل على صحته، هكذا المؤمن، فكما عودناكم وكما تعودنا وكما هي حال العلماء الأجلاء لا فكرة تُلقى من دون دليل، فالإيمان بالجن مأخوذ من قوله تعالى:

**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (57)**

سورة الذاريات

إذاً الجن ورد ذكرهم صراحة في القرآن الكريم.

## علة تقديم الجن على الإنس والإنس على الجن في القرآن الكريم:

قال ربنا سبحانه وتعالى:

**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)**

سورة الرحمن

إشارة لطيفة، لماذا قدّم الله سبحانه وتعالى الجن على الإنس في قوله تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ**﴾ لأن خلق الجن سبق خلق الإنس، أما لماذا قدّم الله سبحانه وتعالى الجنّ على الإنس

في هذه الآية الثانية؟ ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ لأن الجن أقدر من الإنس على خرق السماوات والأرض:

**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)**

سورة الإسراء

فلماذا هنا قدّم الله الإنس على الجن؟ لأن الإنس أقدر من الجن على صياغة الكلام، ما من تقديم، ما من تأخير، ما من حركة، ما من كلمة، ما من حرف، ما من ترتيب في كتاب الله إلا وينطوي على معنى دقيقٍ.

## الإيمان بالجن من مستلزمات العقيدة الإسلامية:

قال العلماء: القرآن الكريم تَعرّض لذكر الجن فيه في أربعين آية، هذه الأربعون آية مجموعة في عشر سور، فالإيمان بالجن إذاً من مُسلّمات العقيدة الإسلامية، طبعاً أنا أُركز على كلمة الجن لأن هناك فِرقاً ضالة في شرقي آسيا تنفي وجود الجن، كما خصّص الله سبحانه وتعالى سورة كاملة ذكر فيها قصة نفرٍ منهم استمعوا للقرآن الكريم من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، طبعاً قصدت بالفرقة الضّالة التي تؤمن أن النبي عليه الصلاة والسلام ليس آخر الأنبياء، أي هذه الفرق ليست من الإسلام في شيء، في أقاصي شرقي آسيا موجودة ولها في أوروبا أيضاً نشاط تنفي أن يكون النبي آخر الأنبياء، بل إن هناك نبياً بعده، وتنفي أن يكون هناك جنّ وتفسر خاتم الأنبياء بأنه مُصدِّق الأنبياء وليس آخرهم، إلى ما هنالك، فالإيمان بالجن من مستلزمات العقيدة الإسلامية، هؤلاء الجن الذين استمعوا إلى القرآن الكريم من تلاوة النبي عليه الصلاة والسلام قال الله في هذا:

**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآَنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ**

**وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ (30) يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآَمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (31)**

**سورة الأحقاف**

إذاً فريق من الجن استمع للقرآن الكريم من فم النبي عليه الصلاة والسلام، وهذا موقفه.

## عقيدة الناس بالجن:

عقيدة الناس بالجن؛ يقول المؤلف: إن أكثر أهل الملل والنِحل وخصوصاً أتباع الأنبياء معتقدون بوجود الجن، باعتبار أن الأنبياء وهم صادقون بلا مِرْية قد أخبروا بوجودهم، ولا يتِمّ إيمان المؤمن بالله إلا بأن يُصدّق بجميع ما يخبر به رسوله، هذه نقطة دقيقة، أي أنت ليس لك خيار، هذا الحديث يعجبك، وهذا لا يعجبك، هذا الحديث تراه بعينك، هذا لا ترى آثاره، هذا الذي يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ليس مؤمناً، وقد قرّع الله اليهود لأنهم آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، فإذا آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكل الذي صحّ أنه قاله ما هو إلا وحي يوحى من عند الله سبحانه وتعالى.

## كيف نؤمن بوجود الجن؟

من باب المنطق كيف نؤمن بوجود الجن؟ لدينا حالتان: إما أن نؤمن بوجودهم بحواسنا كما يؤمن أحدنا بوجود أخيه أمامه، يراه بعينه، يسمع صوته، يصافحه، حاسة اللمس، وحاسة السمع، وحاسة البصر، يسمع كلامه فيعي مضمونه، وإما أن يسلك في الإيمان بالجن مسلك الخبر الصادق، فنحن كما قلنا لابد من الخبر الصادق في الإيمان بموضوع الجن.

الجن كالملائكة ليسوا ملائكة، كالملائكة، لا نعرف من حقيقتهم إلا ما جاءنا عن طريق الخبر الصادق أي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأننا لا نتصل بهم عن طريق الحس اتصالاً يفيد العلم اليقيني حتى نعرف تكوينهم، وحسبنا أن نقتصر على ما وردت به النصوص.

## صفات الجن:

### 1- هم صنف غير صنف الملائكة فهم مخلوقون من مارج من نار:

ما الذي جاءت به النصوص عن الإيمان بالجن؟

أنهم أولاً صنف غير صنف الملائكة، فهم مخلوقات سفلية وليسوا مخلوقات علوية، الملائكة مخلوقات علوية، بينما الجن مخلوقات سفلية، مخلوقون من مارجٍ من نار أي من أخلاط نارٍ صافية، وفي بيان عنصر خلقهم قال الله تعالى:

**خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ (14) وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ (15)**

**سورة الرحمن**

وفي احتجاج إبليس على ربه حينما أمره بالسجود لآدم قال فيما يحكيه الله عنه في سورة الأعراف:

**قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (12)**

**سورة الأعراف**

فأولاً: الجن مخلوقون من النار، بدليل آيتين قرآنيتين.

### 2- مخلوقون قبل الإنس:

ثانياً: إنهم مخلوقون قبل الإنس والدليل على ذلك قوله تعالى:

**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (26) وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (27)**

**سورة الحجر**

كل فكرة والدليل، وفي قصة أمر إبليس بالسجود لآدم واستكبار إبليس وقول الله في حقه:

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا **إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (50)

**سورة الكهف**

دلالة واضحة على أن الجن مخلوقون قبل الإنس.

## 3- هم كالبشر يتناسلون ولهم ذرية:

شيء آخر؛ الملائكة لا يتناسلون كما قلنا، لا يتزاوجون، لا يتناكحون، لا يتناسلون، الجن عكس ذلك، فالجن يتناسلون ولهم ذرية، والدليل على ذلك؟ قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلاً**﴾ إذاً الجن يتناكحون ويتناسلون ولهم ذرية.

وأقّر الله سبحانه وتعالى ما ذكره النفر من الجن الذين استمعوا القرآن من الرسول عليه الصلاة والسلام حين ذكروا أنّ للجن رجالاً، ومتى كان فيهم رجال ففيهم نساء، ذلك يقتضي التناسل، قال تعالى:

**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6)**

**سورة الجن**

هذا دليل على أنهم يتناكحون ويتناسلون، منهم الرجال ومنهم الإناث.

## 4 – من شأنهم أنهم يروننا ولا نراهم:

من شأنهم أنهم يروننا من حيث لا نراهم، والدليل قوله تعالى:

**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا** إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)

**سورة الأعراف**

﴿**إِنَّهُ يَرَاكُمْ**﴾ على إبليس، على الشيطان.

## 5- هم مخلوقات قابلة للعلم والمعرفة وذات إرادة واختيار:

إذاً الجن صنف غير الملائكة، مخلوقون من نار، وأنهم مخلوقون قبل الإنس، وأنهم يتناسلون ولهم ذرية، وأنهم من شأنهم ألا نراهم، يروننا ولا نراهم، هناك شيء مهم جداً هؤلاء الجن مخلوقات قابلة للعلم والمعرفة، ذوو إرادة واختيار كالإنسان، فهم مكلفون مثلنا بالإيمان والعبادة، منهيون عن الكفر والعصيان، فكثير من خطابات التكليف والتحدي في القرآن الكريم يجمع الله فيها بين الجن والإنس، قال تعالى في سورة الذاريات: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإنسَ إلا لِيَعْبُدُونِ*مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**﴾ أي علّة خلق الإنس والجن العبادة، في أدق تعريفات العبادة طاعة تسبقها معرفة وتعقبها سعادة، لا عبادة بلا معرفة، ولا سعادة بلا عبادة، ولا عبادة بلا سعادة، أدق تعريفات العبادة أنها طاعة لله، انقياد كلي لأوامر الله، هذا الانقياد لا يكون إلا بعد معرفة الله:

**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (28)**

**سورة فاطر**

وإذا كان فلابد من أن يتبعه سعادة لا توصف، وقال تعالى:

**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (130)**

**سورة الأنعام**

وقال تعالى: ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً**﴾.

## 6- الجن قسمان؛ مؤمن وكافر:

بالمناسبة، لأن الملائكة غير مكلفين بالأمانة، جميعاً عباد مُكْرَمون طائعون لله عز وجل، الملائكة جميعاً صنف واحد، لكن الجن قسمان، مؤمنون وكافرون، وهذا تابع لما منحهم الله به من إرادة واختيار، الذي

اختار من الجن أن يكون مؤمناً آمن، والذي اختار أن يكون كافراً كفر، فبعضهم مؤمن وبعضهم كافر بحسب اختيارهم، فالكافرون من الجن هم الشياطين، أي حيثما وردت كلمة "شياطين" إذا ربنا قال:

**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)**

**سورة الأنعام**

أي الكفار من الإنس والكفار من الجن، أما إبليس فإبليس واحد، أما الشياطين فمن ذريته، إبليس هو الذي رفض أن يسجد لآدم، أي إبليس أصل الجن، هم جنود الشيطان الأول إبليس اللعين الذي كان أول من عصى أمر ربه من الجن، وأول من كفر بنعمة الله منهم، ما الدليل على أن هناك مؤمنين وكافرين؟ قال تعالى:

**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآَنًا عَجَبًا (1) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآَمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (2)**

**سورة الجن**

إذا فريق من الجن آمنوا بالله: ﴿**وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ وفي الآية الرابعة:

**وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (4)**

**سورة الجن**

من سفيههم؟ إبليس اللعين، ﴿**وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا**﴾ أي أقرب المخلوقات للبشر الجن من حيث التكليف والاختيار والإرادة، وأنهم حملوا الأمانة، وأنهم مكلفون بالإيمان، منهم مؤمنون، منهم كفار، يتزاوجون، أقرب المخلوقات للإنس الجن:

**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا (14) وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (15)**

**سورة الجن**

هذا قول الجن، أحياناً يتصور أو يتوهم الإنسان أن كلمة قاسط أي إنسان عادل، لا، القاسط هو الظالم، والمُسقط هو العادل، سأل الحجاج مرة شخصاً رآه في الطريق قال له: من أنت؟ قال له: أنا فلان، قال له: أنا الحجاج فما قولك فيّ؟ قال له: أنت قاسط عادل، فقال الحجاج لأصحابه: هل تدرون ماذا قال لي؟ ظنّوه يمدحه، قال له: أنت قاسط عادل، قال لهم: قال لي: أنت ظالمٌ كافر، قالوا: كيف ذلك؟ قال:

**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ** ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (1)

**سورة الأنعام**

فالذي عدل عن الإيمان إلى الكفر فهو عادل، وأما قاسط: ﴿**وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾ فلذلك هنا القاسطون أي الظالمون ﴿**وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا**﴾.

## 7 - يحشرون يوم القيامة ويحاسبون على أعمالهم:

سابعاً: إن هؤلاء الجن يُحشرون يوم القيامة، ويحاسبون على أعمالهم، فيثابون ويعاقبون، قال تعالى:

**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (128)**

**سورة الأنعام**

وقال الله تعالى مُقرراً عقوبة الكافرين من الجن في سورة هود:

**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ** وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)

**سورة هود**

هنا يوجد استنباط لطيف؛ لن تكون العقوبة إلا بعد مخالفة ناشئة عن تكليف، ولن يكون التكليف إلا بعد الاختيار، الإنسان مخير إذاً يُكلّف، يُخالف إذاً يعاقب، يوجد سلسلة.

## 8- لهم قدرات كبيرة ومهارات صناعية فائقة:

ثامناً: لهم قدرات كبيرة ومهارات خطيرة، فقد سخر الله لسليمان الجن يقومون له بأعمال البناء والغوص في البحار، والأعمال الصناعية الكبرى كالجفان الكبيرة، والقدور الراسية، والأعمال الفنية كالتماثيل والصور، وقد كانت جائزة ثم حُرِّمت في الإسلام إلى غير ذلك من أعمال كبيرة مختلفة، قال تعالى:

**فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ (36) وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ (37)**

**سورة ص**

لهم قدرات كبيرة جداً، وقال تعالى حكاية لقول أحد الجن من جنود سليمان الذين سخرهم الله له، حين قال الجنيّ لسليمان: أنا آتيك بعرش بلقيس قبل أن تقوم من مقامك:

**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39)**

**سورة النمل**

عرش ملكة بكامله ينتقل من اليمن إلى بيت المقدس قبل أن تقوم من مقامك، إنسان يجلس نصف ساعة يقوم ليقضي حاجة، يقوم ليأكل، قبل أن تقوم من مقامك، إذاً للجن قدرات كبيرة جداً، قال تعالى:

يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ **اعْمَلُوا آَلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ (13)**

**سورة سبأ**

## 9- كانوا قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام:

تاسعاً: إنهم كانوا قبل بعثة النبي عليه الصلاة والسلام يسترقون السمع من أفواه الملائكة من السماء، الملائكة في السماء موكلون بأعمال كبيرة جداً مرت بنا في الدرس الماضي، فكان هؤلاء الجن يسترقون السمع من أفواه الملائكة في السماء وينقلونها إلى قرنائهم من الإنس في الأرض، وقد ذكر ابن عباس رضي الله عنه أنّه قال: كان الجن يقصدون السماء في الفترة بين عيسى ومحمد فيستمعون أخبار السماء ويُلقونها إلى

الكهنة، فلما بعث الله محمداً عليه الصلاة والسلام حُرست السماء، وحيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت الشهب عليهم، ما الدليل؟

**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9)**

**سورة الجن**

أي كان الجن يسترقون السمع، ويتلقفون بعض الأخبار التي تعني أهل الأرض من الملائكة، فإذا ألقاها هؤلاء للكهان توهم الناس أن الكهان يعلمون الغيب، مثلاً: إذا كنت جالساً في بيت، ووجدت ورقة على الطاولة لصاحب البيت أن هناك موعداً في الساعة الخامسة سيأتي فلان لعندي، على مفكرته، خرج من الغرفة، وجدت هناك مفكرة على الطاولة قلبتها وجدت يوجد موعد الساعة الخامسة، الساعة الآن الرابعة، جلست، هناك أشخاص كثيرون قاعدون في الغرفة الساعة الخامسة طُرق الباب فقلت لواحد: أنا أعلم من بالباب، فلان، قال لك: كيف علمت؟ قال: أنا أعلم، الآن ترى، فلما فُتِح الباب دخل فلان، هذا إذا كان ساذجاً توهم أنك تعلم الغيب، لكنك استرقت من هذه المفكرة التي على الطاولة هذا الموعد، وعرفت اسم الذي سيطرق الباب الساعة الخامسة، فلما طُرق الباب قُلت: فلان بالباب، هذا ليس من علم الغيب في شيء، إنما هو استراق للسمع.

فيبدو من خلال هذه الآية أن الشياطين كانوا يصعدون إلى السماء، ويسترقون السمع، ويتلقفون بعض أخبار أهل الأرض من الملائكة فيلقونها في آذان الكهان الذين يتعاونون معهم على إضلال البشر، لذلك الكاهن يتوهم الساذج المُغفل غير الديّن أنه يعلم الغيب، فلما جاءت بعثة النبي عليه الصلاة والسلام ضُرب حصارٌ على الجن لئلا يُتَقوّل عليه الأقاويل، ولئلا يتوهم أتباع النبي عليه الصلاة والسلام أن الجنّ لهم علاقة بموضوع الرسالة، قال تعالى: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا*وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعْ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا**﴾ كما تلاحظون ليس هناك فكرة تُقال إلا مدعومة بآية أو حديث.

## 10- هم يأكلون أكلاً لا نعلم كيفيته ولا ماهيته:

عاشراً: إنهم يأكلون أكلاً لا نعلم كيفيته، ولا ماهيته، وإن الله قد جعل زادهم في العظام وغيرها، كما جاء في بعض الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## 11- الجن لهم قدرة على التشكل بالأشكال الجسمية:

الجن لهم قدرة على التشكل بالأشكال الجسمية التي يمكن أن نراها بحسب استعداداتنا البشرية، فقد جاء في طائفة من الأخبار أن ظهور الجن أحياناً بشكل غير اعتيادي يتشكل بشكل أو بآخر ورد في هذا بعض الأخبار.

## علاقة الجن بالإنسان:

الموضوع المهم الذي يعني جميع المؤمنين، ما علاقة الجن بنا؟ هذه صفاتهم، آمنا بوجودهم وعرفنا صفاتهم، لكن هل للجن تأثير علينا؟ هذا أكبر سؤال، وإنّ مثل هذا السؤال يأتيني مراراً وتكراراً، فلان مسحور، فلان يخاوي الجن، فلان سنأخذه إلى هذا الشيخ ليفكّ عنه السحر، هذا الكلام الطويل المعقد الذي أضلّ الناس وضلوا به إن شاء الله سيُخصص له درس كامل في الدرس التالي.

هل للجن تأثير على الإنس؟ هل للشياطين سلطان على الإنس في عقائدهم وإرادتهم وأعمالهم؟ هل يُلقي الجن للإنس علوماً وأخباراً؟ هل يعلم الجن الغيب؟ لا يوجد موضوع يثير حماس الناس وفضولهم وشغفهم كعلاقتنا بالجن، لأن الإنسان الساذج كلما ارتكب معصية يقول لك: الله يلعن إبليس، لماذا؟ لا دخل له، العن نفسك لا تلعن إبليس، إذا كان لإبليس سلطان عليك معك الحق بهذه اللعنة، فإن لم يكن له عليك سلطان فهذا اللعن لا معنى له، أنت المقصر، أنت العاصي، فلذلك موضوع علاقة الجن بالإنس، علاقتهم بأمر الغيب، هل لهم تأثير على أجسامنا؟ هل لهم سلطان على إرادتنا؟ على أعمالنا؟ على أقوالنا؟ هل يتعاون الجن مع الإنس؟ هل كل من يتعاون معهم فاسق أو كافر أم هناك أناس طيبون يتعاونون؟ هذا كله سأجيب عنه إن شاء الله تعالى بشكل مفصل في الدرس القادم ليكون هذا الدرس حاسماً في ردّ كل الشبهات، والافتراءات،

والظنون، والأخيلة، والأوهام، والخرافات التي تستأثر على عقل الناس، وتجعلهم يعتقدون بالله اعتقاداً فاسداً يثبط عزائمهم ويصرفهم عن طريق الحق.

المشكلة إياكم أن تظنوا أنها صغيرة، قد تجد مثقفاً يقول لك: والله زارني شخص يحمل شهادة عليا قال لي: أنا مسحور أريد أن أذهب لأفك السحر عند فلان، ما هذا الكلام يا أخي؟ هناك حالات مثقف ودارس يقول لك: فلان سحروه، فلان يفكون له السحر، فلان الجن تعاونه، في ضرب مندل، أحياناً شخص يفقد شيء يعمل مندلاً، هذه عليها قصة، في الدرس القادم إن شاء الله، موضوع المندل، موضوع هذه مخاوية، وهذه متزوجة جني، هذه المعلومات كلها لا يوجد بيت، لا يوجد أسرة، لا يوجد شخص إلا ويحمل ركاماً، قصص كثيرة من هذه القصص، إما أنه معطل فكره أو إنه مصدقها أو مكذبها من دون بينة، يا أخي شاهدته بعيني، على كل هذا إن شاء الله تعالى لأهميته أنا جعلت القسم الأول من الجن مع موضوعات سهلة جداً، أي صفاتهم وردت فيها آيات صريحة واضحة كالشمس، لكن علاقتهم بنا موضوع خطير جداً، هذا الدرس القادم إن شاء الله تعالى يكون رداً حاسماً على كل تساؤل، أحياناً شخص يأتيني من مدينة أو من قرية بعيدة عن دمشق ليسألني هذا السؤال: إن فلاناً سحروه يا أخي، فلان سُحِر، كيف نفعل؟ أنفك عنه السحر عند بعض المشايخ؟ يسمونهم أيضاً مشايخ، هذا خطر كبير، يسمون من يتعامل مع الجن لإضلال البشر شيخاً أيضاً، الشيخ الفلاني مخاوٍ، مخاوٍ أي يتعامل مع الجن على إضلال البشر.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 22-63: علاقة الجن بالإنسان - هل لهم تأثير عليهم؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### ما نصّ عليه علماء الأصول في بعض العقائد يجب على المسلم أن يتعلمه بالضرورة:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثاني والعشرين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى موضوعات دقيقة منها هل للجن تأثير في أجسام الإنس؟ وهل يُلقِي الجن للإنس علوماً وأخباراً غيبية؟ وهل للشياطين سلطان على الإنس في عقائدهم وإرادتهم وأعمالهم؟ كما قلت لكم من قبل أيها الإخوة الأكارم؛ هناك مجموعة من العقائد يجب أن يعلمها المسلم بالضرورة، لأنه إذا جهلها انحرفت عقيدته، وإذا انحرفت عقيدته انحرف سلوكه، وإذا انحرف سلوكه شقي في الدنيا والآخرة.

فمعرفة بعض العقائد التي نصّ عليها علماء الأصول فرض واجب على كل مسلم، هناك معلومات معرفتها تُعدّ فرض كفاية، التبحر مثلاً في علم المواريث، هذا فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الكل، لكن معرفة الإيمان بالله تحقيقاً، والإيمان بأسمائه الحسنى، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالجن، والإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب، والإيمان بالقضاء والقدر، هذه عقائد يجب أن تُعلم بالضرورة، وهي فرض عين على كل مسلم.

توضيح دقيق؛ لو أنّ إنساناً اشترى سيارة، يجب أن يعرف أنه إذا تألق الضوء الأحمر في لوحة العدادات لابدّ من أن يقف فوراً ليُضيف زيتاً إلى المحرك وإلا يحترق المحرك، هذه المعلومات يجب أن يعرفها كل من يقود سيارة، لكن نوع الخلائط التي استُخدمت في صناعة المحرك هذه ليست لكل من يركب السيارة،

هذه للذين يتخصصون في صناعة السيارات، فهناك علوم يجب أن يعلمها كل إنسان مسلم، ولا عذر له في جهلها، وإذا جهلها زاغت عقيدته فانحرف سلوكه فشقي في الدنيا والآخرة.

إذاً موضوع الجن من العقائد التي يجب أن تُعلَم بالضرورة، لأنك إذا توهمت أن هذا فلان يعرف الغيب، وأن هذا الشيخ مثلاً يطّلع على ما سيكون، وأنه قال لك افعل كذا وكذا، إنك تمشي في متاهات لا أساس لها من الصحة.

## مدى علاقة الجن بالإنس:

### 1- الشيطان لا يستطيع أن يؤثر على الإنسان إلا إذا خضع له واعتبره شريكاً مع الله:

فالسؤال اليوم، مدى علاقة الجن بالإنس؟ أولاً: إن يكن لخبثاء الجن، مرّ معنا من قبل أن من الجن من هم مؤمنون، ومنهم من هم كافرون، قال تعالى:

**وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا (11)**

سورة الجن

إن يكن لخُبثاء الجن بعض التأثير الجسمي على أحدٍ من الإنس فإنما يؤثرون على من يستكين بأوهامه وتخيلاته لسلطانهم، لا يستطيعون أن يؤثروا على أحد إلا إذا استكان لهم، وخضع لهم، واتبعهم، واعتقد بهم، وأشركهم مع الله عز وجل، هذا الذي يفعل ذلك يتحمل تأثيرات الجن، فكل من يستكين بأوهامه لهم، كل من يتخيل أنهم بيدهم نفعه أو ضره، كل من يخضع لسلطانهم من ذكر أو أنثى يتعرض لمسّهم وتخبطاتهم، لاستعاذته بهم، والتماسه نفعهم، أو استخدامهم للإضرار بأعدائه من إخوانه من الإنس، هذه الحالات محددة.

### 2- من أراد أن يستخدم الجن ليضر الناس لا يقع شرهم وكيدهم إلا عليه:

من أراد أن يستخدم الجنّ ليضرّ بهم إخوانه من الإنس، أو من التمس النفع عندهم، أو من استعاذ بهم، أو من خضع لسلطانهم، أو من اعتقد بهم، أو من استكان بأوهامه لهم، هذا الإنسان بالذات يدفع ثمن

جهله، وثمن شركه، وثمن ضلاله، إذاً قد يتعرضون له بالأذى؟ فقد علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام أن نستعيذ بالله من همزات الشياطين، هكذا علمنا النبي، ومن حضورهم، ومن ذلك ما رواه أبو داود والترمذي **عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ غَضَبِهِ، وَعِقَابِهِ، وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَنْ يَحْضُرُونِ فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ.**

صحيح الترمذي

إذا وجد ابنه في الليل بكى بكاءً شديداً فجأة فليستعذ بالله من همزات الشياطين، هذا هو السلاح الفعّال، هذا هو السلاح المُجدي، ومنه ما رواه أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح **عن زيد بن الأرقم قال عليه الصلاة والسلام: إِنَّ هَذِهِ الْحُشُوشَ مُحْتَضَرَةٌ، فَإِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْخَلاءَ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ.**

أبو داود وابن ماجه بإسناد صحيح

الحشوش أي مكان قضاء الحاجات، محتضرة أي يحضرها الشياطين، هذا دعاء مأثور عن النبي عليه الصلاة والسلام، أعوذ بالله من الخبث ومن الخبائث.

الفكرة الأولى أن الشياطين ليس لهم سلطان على الإنسان إلا إذا اعتقد بهم الإنس، أو أشركهم مع الله، خضع لسلطانهم، توهّم أنهم ينفعونه أو يضرونه، ابتغى النفع عندهم، استعاذ بهم، التجأ بهم، أراد أن يكيد لإخوانه من الإنس عن طريقهم، إذا فعل هذا مسّه شرهم، مسته همزاتهم، ودفع ثمن شركه وبغيه وعدوانه غالياً.

## هل يلقي الجن للإنس علوماً وأخباراً؟

### 1- الخبر المشهود:

الآن السؤال المهم: هل يُلقي الجن للإنس علوماً وأخباراً؟ أما العلوم والأخبار التي يمكن أن يلقيها الجن إلى قرنائهم من الكهّان، بالمناسبة لا يمكن لإنسان يتعاون مع الجن إلا أن يكون كافراً، هذا قول واحد، لأن من أدق تعريفات الساحر: هو الذي يتصل بالجن، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **عن ابنِ مسعودٍ قال: من أتَى كاهنًا أو ساحرًا وصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزِل على محمَّدٍ.**

فتح القدير : حكم المحدث: إسناده صحيح

فأي اتصال بين الجن وبين الإنس هذا اتصال هدفه إضلال البشر، ولو تزيّا هذا الذي يتصل بالجن بألف زيّ ديني وزي، لو كان له زيّ ديني، لو لبس عمامة خضراء، هو عند رسول الله عليه الصلاة والسلام كافر، لأن هدفه إيهام الناس أن بيد الجن النفع والضر، هدفه تحويل الناس عن الله سبحانه وتعالى إلى خلقه.

إذاً السؤال الآن: هل يُلقي الجن للإنس علوماً وأخباراً؟ الجواب: أما العلوم والأخبار التي يمكن أن يلقيها الجن إلى قرنائهم من الكهّان فهي بحسب مواضيع هذه العلوم التي يُلقونها، فإن كانت من العلوم التي تتعلق بالأمور المشهودة، مثلاً: بحلب نزلت أمطار غزيرة، هذا اليوم، نزول الأمطار في حلب هذا اليوم مثلاً هذا من الأشياء المشهودة، ليس من الأشياء الغيبية، من الأشياء التي وقعت، لكن نقل الخبر قد لا يكون متيسراً للإنس قبل الاتصالات السلكية واللاسلكية، قبل السفر السريع إلى هذه البلاد، قبل أن يكون هناك اتصال، نقل أنباء الأمطار التي هطلت في حلب اليوم إلى الشام يتعذر، فالجن أحياناً يستطيعون أن ينقلوا هذه الأخبار التي وقعت، ليس التي ستقع، التي وقعت، التي وقعت، هذا ليس من عالم الغيب، هو من عالم الشهادة، فإن كانت من العلوم التي تتعلق بالأمور المشهودة أو الأخبار التي عن الوقائع الماضية فإنها أخبار تحتمل الصدق والكذب، قد يصدقون، وقد يكذبون.

وليس ببعيد أن يوجد في الجن كذابون، وقد أثبت الله تعالى أن منهم العصاة الكافرين، ومن جهة ثانية فإنه لا يصح الثقة بأخبارهم لانعدام المقاييس التي بحوزتنا في معرفة صدقهم وكَذِبهم، ممكن انتقال الجن سريع جداً، والدليل:

**قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ (39)**

سورة النمل

أي قبل أن يقوم سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام من مقامه يستطيع العفريت من الجن أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى القدس، فانتقاله سريع جداً، لذلك لما قال الله عز وجل:

**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ (33)**

سورة الرحمن

الله سبحانه وتعالى قدّم الجن على الإنس لأنهم أقدر من الإنس على خرق السماوات والأرض لميزات أعطاهم الله إياها.

## الاستشهاد بأمثلة من الواقع للتوضيح:

على كلّ شخص أعرفه توفي رحمه الله، سُرقت من بيته قطعة أثاث ثمينة جداً، سجادة، فدلّه بعضهم على من يضرب له المندل، هذه القصة سمعتها بأذني منه، توفي رحمه الله، قال: ذهبت إلى ضارب المندل، وجاء بوعاء وضع فيه زيت، وجاء بغلام صغير، وصار يسأل هذا الغلام، والغلام يجيب، يقول الغلام: هذه السجادة موجودة الآن في بيت، حدد الحي، الدخلة، الحارة، أمام البيت يوجد حجر كبير، الباب لونه كذا، يُفتح الباب على بهو واسع على اليمين غرفة تدخلونها، في زاوية الغرفة مكان في الحائط كهذا المكان عليه فرش، عليه لحف، تنزعون الفرش واللحف، هناك صندوق تفتح الصندوق عليه قطن، السجادة تحت القطن، هكذا قال ضارب المندل، فقال هذا الرجل: توجهت إلى هناك، وأخذنا معنا المختار، كان له عمل في الدرك، واقتحمنا البيت، كل شيء قاله هذا الطفل في المندل صحيح، بأدق التفصيلات، دخلنا البيت وجدنا الفتحة السماوية، دخلنا إلى الغرفة وجدنا في صدرها فراغاً يوجد عليه صندوق وفُرش ودُثُر، فتحنا الصندوق وجدنا القطن ولكننا لم نجد السجادة! القصة طويلة، ذهبوا لصاحب البيت فإذا هو بائع سجاد، ضربوه لشدة الضرب قال: نعم أنا أخذتها وبعتها، وانتقوا إحدى السجادات وخذوها مكانها، قال هذا الرجل: أخذنا السجادة بنفس القياس، بعد أربعة أشهر يقول لي رجل كان في السجن: أتدري من سرق من عندك السجادة؟ قلت له: أعرفه، قال لي: لا، كنت في السجن فحدثني أحد السجناء أنه هو الذي دخل إلى بيتك وسرق السجادة، أين كلام الجن؟ كذابون، لكن معالم هذا البيت يعرفونها لا شك، أعطوه كلاماً صحيحاً لكنهم لا يعرفون من أخذ السجادة، فلذلك ضرب المندل خلط بخلط، بكذب، بدجل، لكن بأثناء الكلام قد يوجد بعض الحقائق، ليست الغيبية بل المشاهدة، أي هذا الجني في هذا المكان يعرف هنا يوجد الحي الفلاني والبيت الفلاني والمكان الفلاني، القصة طويلة، أردت منها أن الجن في نقلهم للأخبار المشهودة يكْذبون ويصدِقّون، إذاً لا يُعوّل على كلامهم، لأننا لا نملك نحن مقاييس للتفريق بين كذبهم وبين صدقهم.

## 2- الخبر الغيبي:

إن كانت من المغيبات فإما أن تكون من المغيبات التي استأثر الله بعلمها، هناك مغيبات استأثر الله بعلمها، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (34)**

سورة لقمان

لا إنس ولا جن ولا نبي ولا رسول يعرف ذلك، لذلك في أحد العلماء غير المستنيرين ألقى محاضرة في بعض عواصم الدول العربية، واجتمع حوله علماء كثيرون عن إعجاز القرآن الرياضي، المحاضرة قيّمة، هذا كان يعمل على الكومبيوتر لقّم كلمات القرآن لهذا الجهاز فجاء بحقائق مدهشة، لكنه شطّ به الطموح فعيّن يوم القيامة، عندئذ انسحب كل من في المحاضرة من العلماء، لأن هذا بله، لأن الله عنده علم الساعة وحده، إذاً إن كانت المعلومات من الحقائق التي استأثر الله بها، لا إنس ولا جن ولا ملك ولا أنبياء ولا رسل يعرفون هذا، فإن كانت من المُغيبات التي استأثر الله بعلمها وهذه لا يمكن لإنس ولا جن معرفة شيء منها، ولا يكون التحدث بشيء منها إلا كذباً وافتراء على الله وارداً على لسان أحد القرينين من الإنس والجن، ربنا عز وجل قال:

**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (59)**

سورة الأنعام

لو قال عز وجل: ومفاتح الغيب عنده، هل هناك فرق باللغة؟ نقول: هناك فرق كبير جداً، إذا قال الله عز وجل: ومفاتح الغيب عنده، معنى ذلك هي عنده، وقد تكون عند غيره، هي عنده الآن، وقد تكون عند غيره، لكن حينما قدّم الظرف على المبتدأ فقال: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ**﴾ معنى ذلك أن الغيب محصور ومقصور على الله وحده، وليس لأحد كائناً من كان أن يعرفه.

إذاً مبدئياً كل من قال لك: أنا أعلم ما سيكون، دجّال، كذاب، فما بال هذه الصرعة التي ظهرت حديثاً في كل عاصمة كبيرة كاهنة أو كاهن، يأتيها رجال من علية القوم يسألونها عن المستقبل؟ هل سأبقى أنا في هذا المكان؟ هل سأبقى بهذه البحبوحة؟ ماذا يحصل لي في المستقبل؟ سخف في سخف، دجل في دجل، كذب في كذب، غباء في غباء، لا يعلم الغيب إلا الله، أما أن تكون المُغيّبات التي قُضِيَ أمرها في السماء، وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة، كما أصبحت مُعَدة لتبليغها للملائكة، أي مثلاً لو الحكومة فرضاً ارتأت فجأة أن تُقدِّم الساعة، أو أن تؤخرها، الأمر تداوله من في مجلس الوزراء، لم يُذع هذا الخبر تقديم الساعة أو تأخيرها، لكن تداوله من في المجلس، لو فرضنا أن أحد الأذنة دخل ليُقدم لهم الشاي أو القهوة فسمع أنهم يزمعون تقديم الساعة، هذا القرار لايزال طيّ الكتمان لكن هذا الآذن استطاع أن يأخذه بشكل أو بآخر، فلما أذاعه في الناس بين أسرته وأقاربه، ظنوه أنه يعلم ما سيكون، لا، هذا مما هو كائن، مما سيكون لا يعلمه إلا الله، لكن اتُّخذ قرار بتقديم الساعة، وهذا الآذن دخل ليقدم قهوة فسمع هاتين الكلمتين، فقال لأهله: أنا الله أعطاني القدرة على كشف الغيب، ما الدليل؟ يوم الثلاثاء سوف يقدمون الساعة، لا أحد قال هذا، غداً سوف ترون، هل هذا ولي؟ هذا لا ولي ولا شيء، عملية استراق خبر بعد أن اتُّخذ به قرار قبل أن يذاع في الإعلام، هذا الموضوع كله، فالنبي الكريم من هذا القبيل في شيء، قال: فإما أن تكون من المغيبات التي قُضي أمرها في السماء، وأصبحت معلومة لذوي الاختصاص من الملائكة، كما أصبحت مُعدّة لتبليغها للملائكة، وهذه قد جاء بها حديث لرسول الله: **عَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ الْملائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ.**

صحيح البخاري

اتُّخذ فيه قرار، قال تعالى:

**قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34)**

سورة الذاريات

هكذا قالت الملائكة لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لا تزال القرية بحالها، الأمر لا يزال طبيعياً جداً، لكن الملائكة أباحوا لسيدنا إبراهيم ﴿إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ فهل هذا من قبيل علم الغيب؟ لا، هذا قرار اتُّخذ في السماء وبُلِّغَ لأصحاب العلاقة لينفذوه قبل أن يُنفذ عَلِمَه سيدنا إبراهيم، من هذا القبيل قال عليه الصلاة والسلام: ((إِنَّ الْملائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ الأَمْرَ قُضِيَ فِي السَّمَاءِ فَتَسْتَرِقُ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتَسْمَعُهُ فَتُوحِيهِ إِلَى الْكُهَّانِ فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)).

يعطونك خبراً صحيحاً، ويمرقون عليه مليون خبر كذب، ((فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ)) عملية استراق، أمر قضى الله به في السماء، وبُلِّغ للملائكة لتنفيذه، يأتي الشيطان فيسترق هذا الخبر، يوحيه للكاهن يقوله للناس فيوهم الناس أنه يعلم الغيب، لا غيب ولا شيء من هذا القبيل، وهذا هو استراق الشياطين السمع من الملائكة بعد نزولها إلى جوف القبلة، بعد نزولها إلى جوّ الأرض، وليس هو استراق السمع من السماء كما كان دأبهم قبل بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم الذي مُنعوا منه بالشهب:

**وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآَنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا (9)**

سورة الجن

**وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8)**

سورة الجن

وفي تكذيب من يُلقي سمعه للشياطين وإثمه الكبير قال تعالى في سورة الشعراء، والله هذه الآية وحدها تكفي:

**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222) يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ (223)**

سورة الشعراء

لو لم يكن في كتاب الله إلا هذه الآية لكفت.

## من يُلقي أذنه للشيطان أفّاك أثيم:

هذا الذي يُلقي أذنه للشيطان هو أفّاك أثيم، كاذب، ضالٌ مُضل، ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ بمعنى أي تعاون بين أي إنسان وبين أي شيطان هذا دليل قطعي على أن هذا الإنسان أفّاك أثيم كاذب، ولو لبس جبّة، ووضع على رأسه عمامة خضراء، وسمّى نفسه: الولي الفلاني، مهما فعل مادام هناك علاقة مع الجن، مادام هناك علاقة مع الشياطين فهو أفّاك أثيم كذاب، مهما كان زيه، قيل: عالم واحد أشدّ على الشيطان من ألف عابد، العلم سلاح يا أيها الإخوة، قيل: العلم سلاح، عندنا آية أعظم أدق وأوضح، في أن الجن لا يعلمون الغيب أبداً، سيدنا سليمان قبضه الله عز وجل وهو مستندٌ إلى عكازه قيل: بَقِي مدة طويلة لا أدري كم بقي، إلى أن جاءت دابة الأرض أي السوسة ونخرت في هذه العكازة، حتى أتت عليها كلّها، فلما أتت عليها كلها انكسرت فوقع سيدنا سليمان، قال تعالى:

**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)**

سورة سبأ

﴿مِنْسَأَتَهُ﴾ أي عصاه، ﴿خَرَّ﴾ أي وقع، كان مكلفهم بأعمال شاقة جداً، وكانوا يتحملونها خوفاً منه، لو أنهم يعلمون الغيب بمجرد أن قبضه الله عزّ وجل يتخففوا من هذه الأعمال، فربنا عز وجل جاء بهذه القصة ليؤكد بشكل قاطع دليل قطعي على أن الجن لا يعلمون الغيب، ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ إذاً قولاً واحداً الجن لا تعلم الغيب، وقولاً واحداً ليس للجن تأثير على الإنسان جسماني، تأثير جسمي، شخص وقع في الساعة، في هذا نوعان: نوع مرض عصبي، ونوع من تأثير الشياطين، المرض العصابي كما قال بعض الأطباء: تخريش بالدماغ، هذه تُعَالج، لكن قد يكون بعض أنواع الصرع أثر الشيطان في الإنسان، إذا اعتقد به، أو استسلم له، أو ابتغى النفع من عنده، أو توهم أنه ينفعه أو يضره، أو أشركه مع الله عز وجل، أو خنع له، إذاً عندئذٍ يقع تأثيره عليه، أما إذا اعتقد بالواحد الديّان وقال: أعوذ بالله من همزات الشياطين، لا يوجد جن ولا يوجد شيطان ولا يوجد شيء، أحياناً إذا وقع إنسان في الساعة يؤذنون أمامه، لمجرد أن يؤذن يذهب عنه الشيطان.

## هل للشياطين سلطان على الإنس في عقائدهم وإرادتهم وأعمالهم؟

الآن السؤال الثاني؛ هل للشياطين سلطان على الإنس في عقائدهم وإرادتهم وأعمالهم؟ أما أن يكون للشياطين سلطان على الإنس في عقائدهم وتوجيه إرادتهم للأعمال السيئة فذلك مما لا سبيل لهم إليه، قولاً واحداً، ولكن طالبوني بالدليل، لا سلطان للشياطين على الإنسان لا في عقائدهم، ولا في إراداتهم، ولا في أعمالهم مطلقاً، لأن الله جل وعلا حجزهم عن ذلك، ولم يجعل لهم سلطاناً على بني آدم لتكون إرادة الناس حرةً في اختيارها طريق الخير أو طريق الشر، ويخاطب الله عز وجل رأس الشياطين إبليس، وأقدرهم على السلطان إن كان هناك سلطان، فيقول في سورة الحجر:

**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (42)**

سورة الحجر

هل هناك دليل أوضح من ذلك؟ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ﴾ إلا إذا اتبعك هو، ومن صفات الشيطان:

**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4)**

سورة الناس

معنى الخنّاس على وزن فعّال، أي سريعاً ما يهرب لو عذّت بالله عزّ وجل، أعوذ بالله خنس، انتهى الأمر.

## وظيفة الشيطان في الأرض:

أين ينحصر عمل الشيطان؟ مادام ليس له علاقة بعقائدنا، ولا بإرادتنا، ولا بأعمالنا، ولا يعلم عن الغيب شيئاً، ولا يؤثر على أجسامنا، أين ينحصر عمله؟ عمله محصور في وظيفة دقيقة جداً، عمله الوسوسة الخفية، هذا كل ما يملك، أنا أقول دائماً هذا المثل قد يكون مضحكاً هذا المثل، شخص يرتدي أجمل الثياب، سائر في الطريق، هناك حفرة كبيرة فيها مياه سوداء، مياه مجارٍ، النتيجة نزل بهذه الحفرة بثيابه البيضاء

الجميلة، وتوجّه إلى مخفر الشرطة ليشتكي على إنسان هو السبب، قال له المحقق: هذا الرجل دفعك في هذه الحفرة؟ قال له: لا، قال له: شهر عليك سلاحاً وأجبرك أن تنزل بها؟ قال له: لا، قال له: أمسكك ووضعك في الحفرة؟ قال له: لا، قال له: كيف تشتكي عليه إذاً؟ قال له: قال لي: انزل فنزلت، هذا بحاجة لمستشفى المجانين وليس بحاجة لمن يشتكي عليه، هكذا قال الله عز وجل:

**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)**

سورة إبراهيم

ينحصر عمل الشيطان في الوسوسة الخفية، ولا يزيد على ذلك شيئاً، وهذه الوسوسة تخنس وتتخاذل أمام حزم المؤمن، وإرادته، والتجائه إلى الله تعالى بالاستعاذة، والذكر، والمراقبة، أما إخوان الشياطين فإنهم يستجيبون لوسوستهم، وينساقون معهم، فيتسلط الشيطان عليهم، فيمدهم في الغيّ، ويُزين لهم الشرّ والضلالة، أي أنا إذا رأيت إنساناً يُشنق لجريمة ارتكبت أقول كما قال سيدنا موسى:

**وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (15)**

سورة القصص

هذا الإنسان أصغى أذنه للشيطان، أطاعه، اتبعه، أنهى الأمر إلى هذه الجريمة، استحق الإعدام فشنق، ﴿**هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ**﴾.

إنسان طلق زوجته وشرد أولاده لأنه تبع كلام الشيطان، مازال الشيطان يوسوس له أن يطلقها حتى طلقها، فخسرها وشرد أولاده، إذاً هذا: ﴿**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**﴾ قال تعالى:

**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (200) إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (202)**

سورة الأعراف

﴿**وَإِخْوَانُهُمْ**﴾ إخوان الشياطين، النزغ الوسوسة، طائف من الشيطان أي وسوسة من الشيطان بفكرة سيئة.

## مع كل إنسان قرين ملائكي وقرين شيطاني:

بالمقابل يقول لك: هناك توازن، وقد جعل الله تعالى في مقابلة وسوسة الشيطان التي هي من اختصاصه داعياً للخير عن طريق ملك من ملائكة الرحمن، دائماً مع الإنسان قرين ملائكي وقرين شيطاني، الملائكي يقول له: يا عبد الله تفكّر في خلق الله، يا عبد الله أطع أمر ربك، يا عبد الله كُن محسناً، سامحه، أنصفه، أعطه حقه، دائماً الملاك يقول لك ذلك، والشيطان: خذ المحل التجاري منه، ليس له اسم في الإيجار، يقول الشيطان دائماً: افعل معه كذا وكذا، خذ هذا المبلغ راتبك قليل لا يكفيك، هذا السيد يظلمك، خذ منه ما يكفي حاجتك، دائماً الإنسان بين وسوسة الشيطان وإلهام الملك:

**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (7)**

سورة هود

تستجيب لمن؟ فإذا استجبت للملك فأنت مؤمن، وإن استجاب للشيطان فهو الكافر، أما هذا الشيء فله حديث شريف، يقول عليه الصلاة والسلام: **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ).**

الترمذي: ضعيف

تدفع زكاة مالك، يقول لك: القرشان ادّخرهم، لا تجنّ، قال لي شخص: عملنا حساباً في رمضان ظهر عندنا مبلغ من المال يجب أن ندفعه زكاة، زوجته ما سمحت له، نحن أولى، أنت لا تسوقها حنبلية، قال لي: استجبت لها، عملنا حادثاً بالسيارة، هي شُجَّت برأسها جزاء فكرتها، ودفعنا الزكاة بالضبط تصليحاً للسيارة:

**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (268)**

سورة البقرة

الشيطان له مهمة ثانية، قال تعالى:

**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (175)**

سورة آل عمران

لست بحاجة لهذه الزيارة، أفضل لك، ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ أنت بقطعة عسكرية جاءك أمر من عريف، وجاءك أمر من قائد القطعة، الأمران متناقضان تسمع كلام من؟ كلام القائد الأعلى، هذا العريف ليس بيده شيء، فلما الإنسان يسمع أمراً من إنسان ويعصي الرحمن يكون أحمق، ﴿**فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾.

## الأدلة الواردة من الكتاب على ابتلاء الله للإنسان بقرين من الخير وقرين من الشر:

حديث آخر؛ عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: **قال عليه الصلاة والسلام: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إلا وَقَدْ وُكِّلَ بِهِ قَرِينُهُ مِنَ الْجِنّ وَقَرِينُهُ مِنَ الْمَلائِكَةِ قَالُوا: وَإِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: وَإِيَّايَ، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ فَلا يَأْمُرُنِي إلا بالخير.**

صحيح مسلم

إلى هذا جاءت الإشارة، اسمعوا القرآن الكريم:

**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23)**

سورة ق

هذا حسابه، فعل كذا وكذا وكذا، هذا قرينه الملائكي معه كل أعماله:

**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ (23) أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ (24) مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ (25) الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ (26)**

سورة ق

هذا أول قرين، قال قرينه الثاني الشيطان من الجن:

**قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (27)**

سورة ق

أنا ما أضللته، ﴿**إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ**﴾، ﴿**رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ**﴾ هذه آية تؤكد أن لكل إنسان قريناً ملائكياً وقريناً شيطانياً، فالملائكي يقول لك: افعل واستقم وصلِّ وغُضّ بصرك، أما الشيطاني فيقول له: انظر هل ستأكلك؟ ماذا حدث؟ الله يتوب عليك، غداً تحج والله يغفر لك، بالحساب؛ لا تدقق، الله لن يحطّ عقله بعقلك ويحاسبك، لا تدقق، قرين الشيطان يدعوك للمعصية، ولكسب المال الحرام، والانحراف، الملائكي يقول لك: اتق الله هناك وقفة بين يدي الله، الآية واضحة: ﴿**وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ * أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ * مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ * الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آَخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ * قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ**﴾.

## خدعة من أعمال السحرة للإنسان لتضليله:

الآن تسمعون أحياناً عن تحضير الأرواح، هنالك أناس مشعوذون، دجالون، سحرة، يجتمعون، يأتي شخص ساذج يسألونه: أتريد أبوك؟ يجيب: طبعاً، يقولون له: أبوك كان يعمل شرطياً، فيجيب: نعم صحيح،

أبوك عمل حادثاً فأصيب برأسه، فيجيب: نعم صحيح، فيوهموه بأن أباه أتى من الآخرة، كله خلط، هؤلاء الجن يستدعون قرين أبيه الذي كان في الحياة معه، فهذه المعلومات من قرين أبيه لا من أبيه، هذه المعلومات التي يقول عنها بعضهم: تحضير أرواح أناس ميتين، ما فعلوا إلا أن استحضروا القرين الجني الذي كان مع هذا الميت، فأعطاهم بعض المعلومات لأنه كان رفيقه، هذا كل ما في الأمر.

الآن كخاتمة لهذا البحث، لابد لنا قبل أن ننتهي من أن نؤكد أن هناك ادعاءات كاذبة يقوم بها بعض مدّعي الاتصال بالجن، ويفترون على الله افتراءات ما أنزل الله بها من سلطان، فينسبون إلى الجنّ علم الغيب، وينقلون عنهم كذباً يزعمونه من علم الغيب، ويتلاعبون بعقول السذُّج من النساء وصغار العقول، لا يحبها زوجها، مُقَصرة، غير نظيفة، لا تعتني به، يقولون لك: وضعوا له مياه، لم يحبها، هي مقصرة معه.

يتلاعبون بعقول السّذج من النساء وصغار العقول، أو يدّعون قدرة الجن على النفع والضرر، والجن أنفسهم لا حول لهم ولا قوة، ولا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا أن يشاء الله، وقد بيّن القرآن أن أهل الجاهلية الذين كانوا يعوذون برجالٍ من الجن لم ينفعوهم شيئاً، بل زادوهم غيّاً وضلالاً وبعداً عن الأمن الذي يرجونه منهم، قال تعالى:

**وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6)**

سورة الجن

## ملخص البحث:

الآن ملخص البحث مهم جداً، ((من أتَى كاهنًا أو ساحرًا وصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزِل على محمَّدٍ)) قولاً واحداً.

عن حفصة رضي الله عنها قالت: **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً.**

صحيح مسلم

لم يصدقه ولكنه أراد أن يتسلى، كان في نزهة جاءت امرأة منجمة تعالي اضربي لنا بالودع، أعطوها كل واحد ليرة، تكلمت بكلام غير مفهوم، هذا الذي يفعل ذلك لن تُقبل له صلاة أربعين صباحاً، ولا دعاء أربعين ليلة، محجوب، هذا ما صدقه، لو أنه صدقه فقد كفر.

العلماء قاسوا على ذلك قراءة الفنجان القهوة، قادم لك قبضة مال، لك عدو الآن تاركك لكنه والله ينوي لك نية سوء، يُحمل على هذا قراءة الكف، يحمل على هذا التطيّر، التشاؤم، مثلاً: دخل لعنده زبون البيعة لم تتم البيعة، قدمه شؤم، لا، هذا كلام خلط، أعطوه رقم ثلاثة عشر، جاء دوره يوم الأربعاء، هذا كله كلام ليس له أصل من الصحة أبداً، هذا كله كفر، وشعوذة، ودجل، وسخف، وسخرية، يُحمل على هذا من فتح مجلة أسبوعية فيها حظك هذا الأسبوع، أنا بأي شهر ولدت، ولدت ببرج الثور، فتح على برج الثور فوجد له أعداء وله أصدقاء، وعنده زواج ميمون، هذا كله خلط، يُحمل على هذا أيضاً، فهؤلاء المنجمون والمنجمات، والمشعوذون والمشعوذات، والساحرون والساحرات، الذين ينسبون للجن النفع أو الضرر، ويتحدثون عنهم بالمُغيّبات إنهم كذابون دجّالون عصاة لله ولرسوله، هذا كلام واضح مثل الشمس، يُريدون أن يستولوا على المُغفلين، ضعفاء الإيمان، السّذج، البسطاء ليضلوهم، ويسلبوا منهم أموالهم–يرد الشيخ خروفاً–بغير حق، كذب المنجمون ولو صدقوا، كيف صدقوا؟ صدفة، إمّا عنده معلومات كما تحدثنا بمواضيع تقديم الساعة من هذا النوع، استرق هذا الشيطان الخبر من الملائكة أذاعه للكاهن، الكاهن تكلم به، أوهم الناس أنه يعلم الغيب، هذا إذا كان صدقوا بمعنى أنه جاءت مطابقة الواقع للخبر صدفة أو جاءت من نوع استراق الخبر، فالاستعاذة لا تكون إلا بالله، والاستعانة لا تكون إلا بالله:

**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5)**

سورة الفاتحة

تعقيب أخير: وإن يكن للجن شيء من القوة المادية فيما بينهم فقد صرفهم الله تعالى في مجرى العادات عن أن يكون لهم سلطان على الإنس والجن في نفعٍ أو ضرر، أي صرفهم الله عز وجل عن أن يكون لهم سلطان على الإنس والجن، إلا أن يشاء الله عزّ وجل شيئاً لحكمة أرادها.

## استخلاص العِبر والحكم من القصة التالية:

الآن امرأة متزوجة فجأة قلبت لزوجها ظهر المجن، فجأة، معاملة سيئة، لؤم، تقصير، إهمال، كلام قاس، فكلما عاتبها قالت له: أنا متزوجة غيرك، كاد عقله أن يطير، من؟ تقول له: من تحت، أي رجال من الجن، لأن الجن عالمهم سفلي، والملائكة عالمهم علوي، فهذا الرجل استجار بعالم من علماء بلده، ورجاه رجاءً حاراً أن يأتي معه إلى البيت ليقنعها، ما هذه القصة؟ تقول: قد تزوجت واحد غيري، متزوجة جني! فجاء هذا العالم وجلس، طبعاً من وراء حجاب هكذا الأصول، فقال لها: يا بنيتي من تزوجتِ؟ قالت: واحد من تحت أي جني، قال: كيف علمت ذلك؟ قالت: رأيته في المنام، قال: ما شكله؟ قالت له: شيخ يلبس عمامة خضراء، قال لها: مسلم أم كافر؟ قالت له: مسلم، قال لها: غلط، أولاً:

**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)**

سورة الأعراف

للإمام الشافعي قول يأخذ بالألباب، يقول: من قال إني رأيت الجن لا تقبل شهادته لأنه كذاب ومزوّر، أنصدقه أم نصدق الله سبحانه وتعالى؟ الله جلّ في علاه يقول: ﴿يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ فقال لها أولاً: إنك لن تريه، ثانياً: لو أنه مسلم لما فعل هذا، لأن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **عَنْ جَابِرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ سُورَةَ الرَّحْمَنِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا فَسَكَتُوا فَقَالَ: لَقَدْ قَرَأْتُهَا عَلَى الْجِنِّ لَيْلَةَ الْجِنِّ فَكَانُوا أَحْسَنَ مَرْدُودًا مِنْكُمْ كُنْتُ كُلَّمَا أَتَيْتُ عَلَى قَوْلِهِ (فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) قَالُوا: لا بِشَيْءٍ مِنْ نِعَمِكَ رَبَّنَا نُكَذِّبُ فَلَكَ الْحَمْدُ.**

رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب

أي القسم المؤمن من الجن صالحون طيبون، فهذا كلام فيه افتراء، ثم قال لها: أنت مسلمة أم كافرة؟ قالت: مسلمة، قال:

**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99)**

سورة النحل

معناها أنت كافرة، لا يوجد حل وسط، لم تشاهدي الجن، وليس له عليك سلطان، وهذا الذي تدعينه ليس مؤمناً، كان الموضوع أن زوجها أسكنها مع سلفتها وهي متضايقة منه، عملت هذه الحيلة كي تنجو من ضرتها أو من البيت، أي أيضاً دجل، أيضاً قصة أنها متزوجة من جني ليس هذا صحيحاً إطلاقاً أن يتزوج رجل من الجن بامرأة من الإنس.

## الحقائق التي يمكن أن نستنبطها من سورة الجن:

### 1- الجن لا يملكون للإنسان نفعاً أو ضراً:

أهم ما في الموضوع أن الله سبحانه وتعالى يقول في سورة الجنّ بالذات:

**قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (20)**

سورة الجن

فالعلماء قالوا: الشرك هنا أن تعتقد بأن الجن ينفعون أو يضرون، ثم يقول عزّ وجل في السورة نفسها:

**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21)**

سورة الجن

اسمعوا يا إخوان؛ إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو حبيب الحق، وسيد الخلق، وسيد ولد آدم، وأعلى مخلوق في الكون، إذا كان النبي لا يملك نفعاً ولا ضراً أفيملك النفع والضر الجنّ؟ أين جاءت هذه الآية؟ في سورة الجن، لماذا؟ ليُعْلِمنا الله سبحانه وتعالى إذا كان هذا حال حبيبي أفيعقل أن يكون للجن على الإنسان سلطان؟

**قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا (21) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (22)**

سورة الجن

**قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا (25) عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26)**

سورة الجن

هذه الآيات كلها وردت في سورة الجنّ من أجل أن يؤكد الله لنا أن موضوع الجن لا يملكون نفعاً ولا ضراً، ولا يعلمون الغيب، ولا يملكون إلا شيئاً واحداً الوسوسة الخفية، فإذا قلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم انتهى كل شيء، معلومات دقيقة جداً مأخوذة من كل آيات الشياطين في القرآن الكريم.

## 2- على قدر الطاعة لله لا يقترب منك الشيطان وعلى قدر المعصية يقترب منك:

قال تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (155)**

سورة آل عمران

الإنسان عندما يرتكب معصية يصبح قريباً من الشيطان، فإذا أطاع الله عزّ وجل يصبح الشيطان بعيداً عنه، لذلك:

**اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ علَى رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، وعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِن قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ ويَسْتَكْثِرْنَهُ، عَالِيَةً أصْوَاتُهُنَّ علَى صَوْتِهِ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ قُمْنَ فَبَادَرْنَ الحِجَابَ، فأذِنَ له رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ فَدَخَلَ عُمَرُ ورَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَضْحَكُ، فَقالَ عُمَرُ: أضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يا رَسولَ اللَّهِ، فَقَالَ النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: عَجِبْتُ مِن هَؤُلَاءِ اللَّاتي كُنَّ عِندِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الحِجَابَ، فَقَالَ عُمَرُ: فأنْتَ أحَقُّ أنْ يَهَبْنَ يا رَسولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ : يا عَدُوَّاتِ أنْفُسِهِنَّ أتَهَبْنَنِي ولَا تَهَبْنَ رَسولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؟ فَقُلْنَ: نَعَمْ، أنْتَ أفَظُّ وأَغْلَظُ مِن رَسولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ، فَقَالَ رَسولُ**

**اللَّهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: إيهًا يا بْنَ الخَطَّابِ، والذي نَفْسِي بيَدِهِ ما لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا قَطُّ إلَّا سَلَكَ فَجًّا غيرَ فَجِّكَ.**

صحيح البخاري

على قدر طاعتك يبعد عنك الشيطان، على قدر المعصية يقترب منك الشيطان، هذه واحدة.

### 3- إذا جاءك خاطر خوف من الطاعة لله فهذا من الشيطان ليبعدك عنه:

الشيء الثاني: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ**﴾ حينما تأتيك خواطر الخوف من طاعة، لا تصلي أحسن لك، لا تدفع زكاة مالك، الآن الأمر صعب، يقول لك: جمِّد موضوع الزكاة الآن، هذا تخويف، هذا من الشيطان: ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ**﴾.

### 4- حيل الشيطان وخداعه للإنسان:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)**

سورة البقرة

الشيطان ذكي، لن يأمرك بالزنا، يأمرك بإطلاق البصر أولاً، ثم بالسلام، ثم ببعض عبارات الثناء، ثم ينتهي الأمر إلى الزنا، ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾ يأمر المرأة أن تكشف عن وجهها فقط، ضاق نفسها سوف تختنق، فقط تضع نظارات، تضع منديلاً تربطه بدبوس، ثم يُحلّ الدبوس يظهر أنفها، ثم تنزع النظارات صرنا كباراً في السن، ثم تعمل غطاء، ثم ينزل الغطاء إلى الوراء، ثم ينزع نهائياً، تقول لك: المنظر سيئ، الشيطان خطوة خطوة، بأكل المال الحرام، بالاختلاط بالنساء، بأي شيء خطوة خطوة، الشيطان ذكي يعرفك مؤمناً لا يقترب منك، أما إذا وجد ضعفاً يعطيك معصية مخففة جداً، شيء بسيط جداً، سلِّم ليس من الجميل أن يقولوا عنك: متوحش؟! قل لها: السلام عليكم، سلّم عليها، تكون موظفة معه كيف الصحة؟ ثم أحضر لها شطيرة، ثم صار هناك علاقة: ﴿**وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾.

**وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (38)**

سورة النساء

إما أن تتبع قرين الملائكة أو قرين الشياطين، لكن تأكد:

**الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)**

سورة النساء

## لماذا بدأ الله بشياطين الإنس قبل الجن؟

أريد أن أقول كلمة واحدة في آية حيرتني، قال تعالى:

**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)**

سورة الأنعام

لماذا بدأ الله بشياطين الإنس؟ لأنهم أشدّ إيذاءً من شياطين الجن، ربنا قال: ﴿**إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا**﴾ أما ربنا قال:

**فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (28)**

سورة يوسف

فالمرأة الشيطانة كيدها أعظم من كيد الشيطان الجني.

## الأماني والغرور الذي يعده الشيطان للإنسان:

**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (120)**

سورة النساء

هناك إنسان ارتكب جريمة، وسرق مبلغاً ضخماً، ماذا يَعِده الشيطان؟ يشتري بيتاً، يشتري سيارة، يعيش في بحبوحة، يُسافر، بعد ساعتين يتم القبض عليه، بعد شهر يشنق، ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمْ الشَّيْطَانُ إلا غُرُورًا**﴾ كلما رأيت شخصاً واقعاً بأزمة كبيرة وكان عاصياً هذا من عمل الشيطان، طبعاً لا تقولها له:

**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آَيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68)**

سورة الأنعام

إذا نسي الإنسان أن يصلي معنى هذا أن شيطانه ذو قوة، يقول لك: والله نسيت.

**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (48)**

سورة الأنفال

مهمته تزيين العمل السيئ.

**يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا (45)**

سورة مريم

إذا جاءت للإنسان مصيبة، لم يكن إيمانه قوياً يوالي الشيطان، يقول لك: والله في الكون لا يوجد رحمة، ولا يوجد عدالة، يكون الله عز وجل ساق له الشيء بحسب ما يستحقه بالضبط.

والحمد لله رب العالمين

## الدرس 23-63: تتمة علاقة الجن بالإنسان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### هل يكفي للمستعيذ بالله إذا مسّه شيطان مقولة الاستعاذة؟

أيها الإخوة المؤمنون؛ هناك نقطة في الدرس الماضي أحبّ أن تزداد وضوحاً، وهي أن الإنسان حينما يمسه طائف من الشيطان قلت لكم في الدرس الماضي عليه أن يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، فقد يظن بعضكم أو يتوهم أنه مجرد أن يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ينتهي الأمر، أي قولٍ يقوله لابدّ من أن ترافقه حالة نفسية، أي كلمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم يجب أن يُرافقها استعاذة نفسية بالله عزّ وجل، ليس المقصود الكلمات ولكن المقصود الأحوال، وهكذا الدين، هذه الأوهام عند بعض الناس أنه بمجرد أن تقول كذا وكذا انتهى الأمر، لابد من أن يرافق هذا القول حال نفسي، هذه الحال هي حال الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، فإذا كان الحال موجوداً، واللفظ موفوراً، فكلمة أعوذ بالله من الشيطان الرجيم سلاح فعّال فتاك، لذلك قال الله عز وجل:

**الَّذِينَ آَمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا (76)**

سورة النساء

ومن صفات الشيطان أنه خنّاس، ومعنى خنّاس أنه بمجرد أن تستعيذ بالله من الشيطان الرجيم يخنس، فلا يصح سحرٌ ولا حسدٌ ولا مسٌّ ولا كيدٌ للمؤمن لأنه مستعيذ بالله من الشيطان الرجيم.

النقطة الأولى التي أردت أن أوضحها أو أن أزيدها وضوحاً هي أن الاستعاذة وحدها من دون حال نفسي لا تكفي، لابد من حال نفسية ترافق الاستعاذة، أي أنت في الصلاة مثلاً تقول: الحمد لله رب العالمين، لو أنّ إنساناً كان ساخطاً على الله عزّ وجل، ووقف ليصلي، وقال: الحمد لله رب العالمين، لا يُقبل منه هذا، لابد من أن يشعر أنه مدين بالفضل لله عزّ وجل، إذا كانت حالته النفسية حالة الحمد فهذا القول يصحّ منه، أما إذا كانت حالته النفسية حالة السُّخط فإن كلمة الحمد لله رب العالمين لا تُقدم ولا تؤخر، ليس في الإسلام شكليات، الإسلام حقائق، أي:

**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (46)**

سورة الكهف

يتوهم بعض الناس أنك إذا قلت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر انتهى الأمر، ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ لكن حالة التسبيح، وحالة التكبير، وحالة الحمد، وحالة التوحيد، إذا كانت حالتك النفسية حالة التسبيح تنزيه الله سبحانه وتعالى وتمجيده، وحالة التوحيد، وحالة الحمد، وحالة التكبير، فهذه الحالة تستمر معك إلى الآخرة، أما المال والبنون ينتهيان في الدنيا، لذلك: ﴿**الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**﴾.

أردت من هذه المقدمة أن أؤكد لكم أن في الإسلام حقائق، حالات، لو أردنا أن نوسع الموضوع، إذا كنت في الحج، هل تظن أنك إذا طفت حول الكعبة انتهى الأمر؟ لابد من طواف نفسي، ولابد من سعي نفسي، ولابد من تلبية نفسية، ولابد في الوقوف بعرفة من معرفة الله سبحانه وتعالى، ولابد عند نحر الأضاحي من نحر الشيطان، ولابد عند تقبيل الحجر الأسود من مفاوضة كف الرحمن، فكل مناسك الحج لا معنى لها إن لم ترافقها حالات تعبّر عنها، تؤكدها، وما هذه المناسك إلا رموز لحالات يحسّها الحاجّ، فلئلا يتوهم بعض الإخوة الأكارم أنه إذا قلت وأنت غافل وساه ولاه ومتلبس بالمخالفات والمعاصي إذا جاءك الوسواس قلت: أعوذ بالله

من الشيطان الرجيم، لو قلت: أعوذ بالله ألف مرة يبقى الشيطان متمكّناً، لكنك إذا شعرت بأنك ملتجئ إلى الله، مستعيذ به، ولّى الشيطان هارباً، هذه النقطة الأولى.

## الإسلام مبني على قواعد وأسس وكل ما جاء به الكهنة باطل لأنه يناقض شريعة القرآن:

أما النقطة الثانية هي أن كما ذكرت لكم في قوله تعالى:

**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222)**

سورة الشعراء

الأفّاك هو الذي يختلق الحديث اختلاقاً، ولا أساس له من الصحة، أي قد يقول لك الساحر: كيت وكيت وكذا وكذا، وكل هذا كذب بكذب، لأن الساحر أو الكاهن أو العراف أو شيطان الإنس أو شيطان الجن، هؤلاء قد يصيبون مرة، ويكذبون على هذه المرة ألف مرة، فلذلك حتى فيما يدّعيه بعضهم من تحضير الأرواح، إن تحضير الأرواح في مجمله كذب في كذب، لو أن هذا الشيطان من الإنس تعاون مع قرين هذا الإنسان الذي تُحضَّر روحه على زعم من يزعم ذلك، هذا القرين قد يكذب أيضاً، قد يعرف شيئاً، وتغيب عنه أشياء، قد يكذب، قد يختلق، قد يقول قولاً لا أساس له من الصحة.

أي موضوع الجن والسحرة، هذا الموضوع كله يجب أن يُلف ويُلقى في عرض الطريق، لأن الدين الذي جاءنا النبي عليه الصلاة والسلام به دين مبني على قواعد، وعلى أُسس، وعلى مبادئ، وعلى آيات، وليس في الكون إلا الله، وليس هناك من طريقة لاكتساب رضائه إلا بطاعته، أما ما يدّعيه بعض السحرة والمشعوذين والمنجمين والكهنة فهذه لم يريدوا بها إلا تضليل الناس.

## موقف القرآن الكريم من قصة هاروت وماروت رداً على أكاذيب اليهود وافتراءاتهم:

شيء ثالث؛ أردت أن أزيده وضوحاً وهو أن بعض الذين يتعاونون مع الجن لهم مظهرٌ يُرضي، يُظهرون ورعاً ظاهراً، يُظهرون خشية، يُظهرون خوفاً من الله عزّ وجل، وكأنهم يقولون للناس: نحن نتعاون مع

جنّ مؤمنين من أجل هدايتكم، هذا الكلام أيضاً باطل، وتؤكده هذه القصة التي نحن بصددها، القصة المشهورة التي وردت في القرآن الكريم في سورة البقرة هي قوله تعالى:

**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (101)**

سورة البقرة

أي قرآن الكريم موحى به من عند إله عظيم، نزل على نبي كريم، أهل الكتاب، ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عندهم في التوراة وفي الإنجيل وصف للنبي عليه الصلاة والسلام:

**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)**

سورة الصف

ومع ذلك قال:

**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (102)**

سورة البقرة

هذه الآيات التي وردت في سورة البقرة اختلف حولها المفسرون.

بعض المفسرين عفا الله عنهم أخذوا تفسير هذه الآيات من كتب بني إسرائيل من التلمود، وأثبتوها في بعض التفاسير، ماذا قال التلمود عن هذه القصة؟ سأرويها لكم كي تحذروها، إياكم أن تظنوا أن هذه القصة

أوافق عليها، سأرويها لكم كي تحذروها، قيل: وللقصّاص في هاروت وماروت أحاديث عجيبة، فزعموا–كلمة زعموا تعني أن هذه الأحاديث كذب وافتراء–فزعموا أنهما –هاروت وماروت–أنهما كانا ملكين من الملائكة، وأنهما لما نظرا إلى ما يصنع أهل الأرض من المعاصي أنكرا ذلك وأكبراه، ودعَوَا على أهل الأرض، فأوحى الله إليهما أني لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم من الشهوات لعصيتماني، فقالا: يا رب لو ابتليتنا لم نفعل، لا نعصيك، فأهبطهما الله إلى الأرض، وابتلاهما الله بشهوات بني آدم، فمكثا في بلدة كانت فيها امرأة فاجرة تسمى: الزُّهرة، فدعواها إلى الفاحشة، وواقعاها بعد أن شربا الخمر، وقتلا النفس، وسجدا للصنم، أي هذان الملكان اللذان زعما أنهما لا يعصيان الله حينما أهبطهما الله إلى الأرض، وابتلاهما بشهوات بني آدم شربا الخمر، وقتلا، وعصيا، وسجدا للصنم، وزنيا بهذه المرأة الفاجرة، التي اسمها الزُّهرة، وعلّما هذه المرأة الفاجرة اسم الله الأعظم الذي كانا يعرجان به إلى السماء، فتكلمت المرأة بهذا الاسم فعرجت إلى السماء هذه الزانية، فمسخها الله تعالى زُهرة، نجم الزهرة، هذه هي، وصيرها هذا الكوكب المسمى بالزهرة، ثم إن الله تعالى عرّف هاروت وماروت قبيح ما قد وقعا فيه، ثم خيّرهما بين عذاب الآخرة آجلاً وبين عذاب الدنيا عاجلاً، فاختارا عذاب الدنيا عاجلاً فجعلهما ببابل منكوسين في بئر إلى يوم القيامة، وهما يُعلِّمان الناس السحر، ويدعوان إليه، ولا يراهما أحد إلا من ذهب إلى ذلك الموضع لتعلُّم السحر خاصة، قال المؤلف: وهذه القصة من اختلاق اليهود، وتقولاتهم، ولم يقل بها القرآن مطلقاً، وإنما ذكرها التلمود كما يُعلم من مراجعة الإصحاح الثالث والثلاثين، وجاراه جهلة القُصّاص من المسلمين فأخذوها منه.

إذاً هذه القصة التي رويتها لكم لا أساس لها من الصحة، كذب، وباطل، وزور، إنما وردت في بعض التفاسير نقلاً عن كتب بني إسرائيل، وهذه المشكلة المُعضلة التي يسميها العلماء بالإسرائيليات، أي القصص التي نُقِلت عن كتب بني إسرائيل.

## رأي الإمام الرازي في قصة هاروت وماروت:

الإمام الرازي رضي الله عنه في تفسيره يقول: إن هذه القصة التي ذُكرت باطلة من وجوه؛ أولاً: أنهم ذكروا في القصة أن الله تعالى قال لهما: لو ابتليتكما بما ابتليت به بني آدم لعصيتماني، فقالا: لو فعلت بنا ذلك يا رب لما عصيناك، وهذا منهم تكذيب لله عزّ وجل، وتجهيل له، وهذا من صريح الكفر، الملائكة عباد

مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، لو أنّ الله ربّ العزة قال لهم: لو ابتليتكما لعصيتماني، قالا: لا يا رب لا نعصيك! هذا تكذيب لله عزّ وجل وهذا تجهيل، فالقصة باطلة من أساسها.

شيء آخر؛ أنهما خُيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا فاسد أيضاً، بل كان الأولى أن يُخَيرا بين التوبة وبين العذاب، والله تعالى خيّر بينهما من أشرك به طوال عمره، وبالغ في إيذاء أنبيائه، لو أنه تاب انتهى الأمر، فالتخيير أيضاً باطل، تكذيب الله وتجهيله باطل، وتخيير الله للملكين باطل.

وثالثاً أن من أعجب الأمور قولهما: إنهما يعلمان السحر في حال كونهما معذَّبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان في بئر منكوسي الرؤوس يُعلمان الناس السحر، أيضاً شيء لا يستقيم في المنطق، إنسان في الأشغال الشاقة يُعلِّم الناس كتاباً قيّماً، هذه مستحيلة، هو يُعذب في سجن في الأشغال الشاقة ويُعلِّم الناس السحر؟! أيضاً هذا استنباط فاسد.

## رأي الإمام أبي مسلم في بطلان نزول السحر على الملكين:

وهكذا احتجّ على بطلان نزول السحر عليهما بوجوه:

أولاً: السحر لو كان نازلاً عليهما لكان مُنْزِله هو الله، وهذا غير جائز لأن السحر كفرٌ وعبثٌ لا يليق بالله تعالى إطلاقاً، أيليق بالله تعالى أن ينهانا عن السحر ويُنَزله من السماء علينا؟

الثاني: أن قوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ يدل على أن تعليم السحر كفر، ولكن الشياطين كفروا، ما هي علامة كفرهم؟ أنهم يُعَلِّمون الناس السحر، استنباط رائع جداً، **عن ابنِ مسعودٍ قال: من أتَى كاهنًا أو ساحرًا وصدَّقه بما يقولُ فقد كفر بما أُنزِل على محمَّدٍ.**

فتح القدير : حكم المحدث:إسناده صحيح

قيل: من سحر فقد كفر، ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ فدلّ على أن تعليم السحر كفر فلو ثبت في الملائكة أنهم يُعلمون السحر لزمهم الكفر وهذا باطل.

والثالث: كما لا يجوز في الأنبياء أن يُبعثوا لتعليم السحر فكذلك بالملائكة من طريق أولى.

والرابع: أن السحر لا ينضاف –دققوا كلام خطير جداً–إلا إلى الكفرة والفسقة والشياطين المردة، تقول: والله هذا ولي يستخدم الجن حتى يشفي بعض الناس، حتى يحل لهم مشاكلهم، حتى يبحث لهم عن السارق، لا ينضاف السحر إلا إلى الكفرة والفسقة والشياطين المردة، وكيف يُضاف إلى الله ما ينهى عنه ويتوعد عليه بالعقاب؟ وهل السحر إلا الباطل المموّه؟ وقد جرت عادة الله بإبطاله كما قال الله تعالى في قصة سيدنا موسى:

**فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ (81)**

سورة يونس

إذا كان الله سبحانه وتعالى يُبطل السِحر فهل يضاف السحر إلى الله سبحانه وتعالى؟ مستحيل، فهذا الكلام والأدلة والبراهين والمناقشات نقد صريح واضح جلي لهذه القصة التي وردت في التلمود، وقد نُقلت في بعض التفاسير تحت عنوان الإسرائيليات، إن هذه القصة باطلة لا أساس لها من الصحة.

## تفسير الآيات التالية:

### 1- افتراء اليهود على النبي سليمان بأنه فقد نبوته لأنه فقد خاتمه:

كيف نفسر هذه الآيات؟ بدأنا بالخطأ، بدأنا بالباطل، هدّمنا الباطل، والآن نريد أن نفسر هذه الآيات، فهؤلاء أهل الكتاب: ﴿**وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَاتَّبَعُوا**﴾ أي تركوا هذا القرآن الكريم وما فيه من ذكرٍ حكيم، تركوا الآيات الكونية والتشريعات الأرضية واتبعوا: ﴿**مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾.

بالمناسبة تلا عليه أي كذب عليه، لو فتحتم القواميس على فعل تلا على، إذا أُضيفت على إلى تلا فمعناها كذب عليه: ﴿**وإتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان**﴾ اليهود يقولون في قصة طويلة مختلقة مفتراة على هذا النبي العظيم: إن هذا النبي عليه السلام كل نبوته في خاتمه، فمرة ضاع منه خاتمه ففقد نبوته، أي مثلاً شخص أستاذ جامعة يحمل أعلى شهادة، كل شهادته مثلاً بساعته، فلما نسي ساعته فقد علمه، كلام

لا يصدق هذا، هذا النبي العظيم يفقد نبوته، ويفقد معرفته، ويفقد ما آتاه الله من علم بأقوال الحيوانات ومن تسخير للجن، كل هذا المُلك الذي قال الله في حقه:

**قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (35)**

سورة ص

كل هذا المُلك يزول عنه بمجرد أن ينسى خاتمه في مكان؟ فتأخذه الشياطين، ويحكمون مكان سليمان، وسليمان هائم على وجهه في البراري والقُفار لا يعبأ به أحد، ولا يلتفت إليه أحد، لا يجد قوت يومه، إلى أن أكل سمكة فيها خاتمه، صاد سمكة وهو في أشد حالات الجوع والفقر والضياع والذلّ صاد سمكة فلما شق بطنها رأى خاتمه فلما عاد خاتمه عاد ملكه وعاد سليمان، قال: هذه قصص كلها من تخريف اليهود، وقالوا عنه أيضاً: إنه كفر، وعبد الصنم، وشرب الخمر، اليهود قالوا عن سليمان إنه كفر، وعبد الصنم، وتعلّم السحر، وسحر الناس، فربنا عزّ وجل قال: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ **الأنبياء لا يكفرون، النبوة مرتبة لا كُفر بعدها، لا زَيغ بعدها، لا ضلال بعدها،** ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا**﴾ أما كلمة ﴿**الشَّيَاطِينَ**﴾ هنا فتعني شياطين الإنس فقط، الدليل: ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ شياطين الجن لا يعلمون الناس السحر، وشياطين الجن لا تتلو التلاوة المقصود بها الكلام.

## 2- نفي العلماء نزول الملكين من السماء مع الدليل:

هناك قرينتان تؤكدان أن الشياطين في هذه الآية تعني شياطين الإنس قال تعالى: ﴿**وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ هناك فقرة مهمة جداً هي "ما": ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾ هذه الما نافية وليست موصولة، سأوضح لكم ماذا تعني الموصولة وماذا تعني النافية، لدينا "ما" الاستفهامية، وعندنا "ما" الموصولة، وعندنا "ما" النافية، يقول لك فلان: أنا ما أكلت، والله ما أكلت، هذه "ما" نافية. تقول له أحياناً: إن ما أكلته ليس لك، هذه "ما" موصولة أي إن الذي أكلته ليس لك، وعندنا "ما" استفهامية، لو قال أحدهم لطالبٍ نال مجموعاً عالياً: بم

حصّلت هذا المجموع؟ يقول لك: بما بذلت من جهد، فـ "ما" الأولى ما استفهامية، أما "ما" الثانية فهي ما موصولية، فالنقطة كلها في هذه الصورة على "ما"، إذا فسرت ما نافية انتهى الأمر، تأتي المعاني يأخذ بعضها برقاب بعض، فإذا فسرتها على أنها موصولية وقعنا في خطأ كبير، سأنقل لكم اعلموا أن للعلماء في هذه الآية وجوهاً كثيرة، وأقوالاً عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين، نقله نقل الغث والسمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحث، وتمحّل لما اعترضه بالمعنى الصحيح، وأكثر العلماء على أن ما هنا نافية: ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾ هؤلاء ليسا ملكين، وما أُنزل عليهم شيء من السماء، ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾.

نعود للقصة: ﴿**وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ**﴾ هؤلاء رجلان من بني إسرائيل أقاما ببابل، واحترفا صناعة السحر، وعلما الناس السحر، وأوهماهما أنهما صالحان، وهما ليسا ملكين، ولم يُنزل عليهما شيء من السماء.

## قصة الملكين في الآية التالية:

﴿**وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ إيّاك أن تستمع لقولنا من أجل أن تزيد محبتك لهما، من أجل أن يزيد اعتقادك بهما، يحذرانك من الكفر إذا آمنت بهما، أي ورع وصلاح وتقوى، هذا المظهر الكاذب من أجل أن يوهما الناس أنهما صالحان، نتابع تفسير هذه الآية من كتب التفسير.

ذلك أنهم زعموا أن سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره، وعَبَد الأصنام، وبنى لها المعابد، زعم الشياطين أن سليمان عليه السلام ارتدّ في آخر عمره، وعبد الأصنام، وبنى لها المعابد، كما تراه في الفصل الحادي عشر من سِفر الملوك الثالث، فانظر إلى هذه الجرأة العظيمة، والوقاحة الكبيرة، ولما تنبّه عقلاء أهل الكتاب المتأخرون لمثل هذه الأكاذيب، اعترفوا بأنه ليس كل قول من الأقوال المندرجة في كتبهم المقدسة إلهامياً، بل بعضها كُتِب على طريقة المؤرخين، أي بلا إلهام، كما في إظهار الحق.

## معنى كلمة الشياطين في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾:

المراد بالشياطين، شياطين الإنس وهم المتمردة، العصاة، الأشرار، الأقوياء، الدعاة إلى الباطل، وقوله: ﴿**عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ**﴾ أي على عهد ملكه من تلك الأقاصيص المختلقة عليه، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ تنزيه لساحته عليه الصلاة والسلام من الردّة والشرك وعبادة الأوثان التي نسبوها إليه، وتكذيب لمن تقوّلها، وقال كثيرون: هذه تبرئة له من السحر، لسيدنا سليمان، وأنّه تعالى كنَّ عن السحر بالكفر ليدل على أنه كفرٌ، وأنه من كان نبياً كان معصوماً عنه، وإنما كان كفراً لكونه يكون بالتوجه إلى الأفلاك والشياطين وعبادتها، وقوله تعالى: ﴿**وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ عنى بالشياطين من ذكرناهم قبل، وهم خبثاء الإنس وأشرارهم كما في قوله تعالى:

**وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آَمَنُوا قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14)**

سورة البقرة

وقوله:

**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (112)**

سورة الأنعام

والذي يُعيّن أن كلمة الشياطين في هذه الآية تعني شياطين الإنس قوله تعالى: ﴿**تَتْلُوا**﴾ لأن تلاوة شياطين الجن لا يسمعها أحد، ومعنى ﴿**تَتْلُوا**﴾ أي تَقُص كما تقدم، وقوله: ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ يُعَيّن هذا المعنى أيضاً إذ لا يتعلم أحد السحر إلا من شياطين الإنس لانعدام إمكان الاتصال بهم، والمراد بقوله: ﴿**كَفَرُوا**﴾ أي كفروا بآيات الله المُنزّلة، أو عبادة غير الله سبحانه وتعالى، وقوله تعالى: ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ**﴾ جملة حالية، أي حالتهم تعليم الناس السحر.

## للعلماء في الآية التالية وجوه كثيرة وأقوال عديدة:

قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ اعلم أن للعلماء في هذه الآية وجوهاً كثيرة وأقوالاً عديدة، فمنهم من ذهب فيها مذهب الإخباريين، نقل الغث السمين، ومنهم من وقف مع ظاهرها البحت، وتمَحّل لما اعترضه من المعنى الصحيح في غنى عنه، ومنهم من ادّعى فيها التقديم والتأخير، وردّ آخرها على أولها، وربما جعلها أشبه بالألغاز والمُعميات التي يتنزه عنها بيان أبلغ الكلام إلى غير ذلك مما يراه المتتبع في كتب التفسير، والذي ذهب إليه المحققون أن هاروت وماروت كانا رجلين–ليسا ملكين–متظاهرين بالصلاح والتقوى في بابل، وهي مدينة بالعراق على نهر الفرات، وكانا يُعلمان الناس السحر، يتظاهران بالتقوى والصلاح، وكثيرون ممن يعلمون الناس السحر يتظاهرون بالتقوى والصلاح، وبلغ حسن اعتقاد الناس بهما أنهم ظنوا أنهما ملكان من السماء، لشدة ما ظهر منهما الصلاح ظنّ الناس أن هاروت وماروت ملكان من السماء، وأن ما يعلمانه للناس هو من وحي السماء، أوهموا الناس أنهما ملكان، وأن ما يفعلانه من وحي السماء، وبلغ مكر هذين الرجلين ومحافظتهما على اعتقاد الناس الحَسَن فيهما أنهما صارا يقولان لكل من أراد أن يتعلم منهما: ﴿**إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ**﴾ إياك أن تكفر بالله، هذا من أجل التضليل، أي إنما نحن أولو فتنة نبلوك ونختبرك أتشكر أم تكفر؟ وننصح لك ألا تكفر، هذا من تضليلهم أيضاً، كما يفعل ذلك دجاجلة –جمع دجّال–هذا الزمان يقول المفسر، قائلين لمن يعلمونهم الكتاب للمحبة والبُغض على زعمهم نوصيك بألا تكتب لجلب امرأة متزوجة إلى رجلٍ غير زوجها، يوصون الجن بعدم تعلّق الزوجة بغير زوجها، إلى غير ذلك من الأوهام والافتراء، ولليهود في ذلك خرافات كثيرة، حتى إنهم يعتقدون أن السحر نزل عليهما من الله، وأنهما ملكان جاءا لتعليم الناس، فجاء القرآن مُكذباً لهم في دعواهم نزول هذا السحر من السماء، وفي ذمّ السحر فقال: ﴿**يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾ فما هنا نافية على أصح الأقوال، هذه الكلمة، ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ**﴾ نافية على أصح الأقوال.

## لماذا ذكر الله لفظ الملكين في قصة هاروت وماروت؟

يوجد سؤال الآن، الله قال: الملكين، لو فرضنا يوجد مشعوذان ادّعوا أنهما طبيبان، ومارسا الطب، فصار لهما اسم شائع أنهما طبيبان مشعوذان، فإذا قلت: طبيبان، هل يعني أنك اعترفت أنهما طبيبان؟ هذه على الحكاية.

أحياناً يكون طالب لم يفتح الكتاب بحياته، لكن يلبس لباس طلاب، تقول: هذا الطالب لماذا لا يدرس؟ اسمه طالب علم لكنه لا يطلب العلم هو، فأحياناً تُسمي الشيء بما تعارف الناس على تسميته، هذه نقطة مهمة جداً، فربنا عز وجل قال: ﴿**وَمَا أُنزِلَ**﴾ ما نافية، أما لما قال الملكان فهذا على زعم اليهود، وعلى زعم الناس، وعلى أن هذين الرجلين شاع بين الناس أنهما ملكان، هذا الذي أقصده بقوله تعالى: ﴿**وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ**﴾ ولفظ الملكين هنا وارد حسب العُرف الجاري بين الناس في ذلك الوقت، كما يَرِد ذكر آلهة الخير والشر في كتابات المؤلفين، إذا شخص مسلم كتب عن الإغريق، قال: فينوس إله الجمال، هل يعتقد هذا المسلم الذي يؤرخ للإغريق أن فينوس إله الجمال؟ مستحيل، أن أبولو ربة الشعر، هل أعتقد بهذا؟ هذا على زعم الإغريق، على زعم هؤلاء الوثنيين، على أنه شاع بينهم، فلما ربنا قال: ﴿**وَمَا أُنزِلَ**﴾ هذه ما نافية، وكلمة ﴿**الْمَلَكَيْنِ**﴾ على ما شاع بين الناس في ذلك الوقت أنهما ملكان، لخبث بهما، واحتيال، وذكاء، وكما يرد في كلام المسلم ذِكر تجَسُّد الإله وصلبه، المسلم أحياناً يروي قصة غير صحيحة على أساس أنه شاع بين الناس أن الإله صُلِب، الذي يزعمه بعض المعتقدين وإن كان لا يعتقد بذلك،

## عمل الشيطان التفريق بين أعظم رابطة كالمرء وزوجه:

أما قوله تعالى: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾ فمن قبيل التمثيل، وإظهار الأمر في أقبح صورة، أي السحر شر كله، أي بلغ من أمر ما يتعلمونه من دروب الحيل، وطرق الإفساد أن يتمكنوا به من التفريق بين أعظم رابطة كالمرء وزوجه.

طبعاً يوجد قصة مشهورة كثيراً، كيف أن شيطان الإنس أحياناً –والله تقع كل يوم–يوهم الزوج أن امرأته تخونه، ويوهم الزوجة أن زوجها يخونها، ويقول للزوجة: إذا شئت أن يمتنع عن خيانتك فخذي شعرة من

رأسه وهو نائم، ويقول للزوج: إن امرأتك تريد أن تقتلك وأنت نائم، هذا الزوج يتصنع النوم يسمع حركة فيرى مقصاً بيد زوجته فيقوم بقتلها، هذا عمل الشياطين، هذه قصة مشهورة تَرِد في كتب الفقه كثيراً، أي الشيطان، أقدس علاقة بين زوجين، قاض أساسه، قاض متزوج له زوجه في وفاق، ووئام، ومحبة، وصفاء، شيطانة من شيطانات الإنس دخلت إلى بيت امرأة القاضي، وأثنت على جمالها، وزهدتها بزوجها، وقالت: إن زوجك ينظر إلى النساء، ويفعل كذا وكذا، وذهبت إلى الزوج وقالت: إن زوجتك يدخل عليها الرجال في غيبتك، ونصحت الزوجة أن تأخذ شعرة من رأسه بالمقص، وأوهمت الزوج القاضي أن امرأته سوف تقتله هذه الليلة، عندئذ قام القاضي وقتل زوجته، هذا من عمل الشيطان، وهذه القصص والله تقع كل يوم، وقد رُفِعت إليّ قصة مشابهة قبل شهرين أو أكثر، الزوجة بريئة والزوج بريء، جاءت شياطين الإنس وفرقت بينهما، وكاد يقع الطلاق وكاد يقع القتل، فلذلك قال تعالى: ﴿**فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ**﴾.

## خلاصة الآية والعبرة منها:

الخلاصة أن معنى الآية من أولها إلى آخرها أن اليهود كذّبوا القرآن، ونبذوه وراء ظهورهم، واعتاضوا عنه بالأقاصيص والخرافات التي يسمعونها من خبثائهم عن سليمان وملكه، وزعموا أنه كفر وهو لم يكفر، ولكن الشياطين هم الذين كفروا، هذه القصة أصبحت واضحة، لكن أهم ما في القصة هذه الآية وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إلا بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ إذا كنت مسلماً مُصَدّقاً أن هذا القرآن كلام الله، وأن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فيجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن الشياطين كلها لو اجتمعت لا تستطيع أن تفعل شيئاً ولا أن تضرك أبداً إلا بإذن الله، ﴿**وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُمْ**﴾ وأي تعليم يتعلمه الإنسان من شياطين الإنس والجن إنما يضره ولا ينفعه: ﴿**وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنْ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾.

هذه القصة يعتقد بعض الناس اعتقاداً خاطئاً أن الله سبحانه وتعالى أنزل إلى الأرض ملكين، وعاثا في الأرض فساداً، وأنهما علما الناس السحر بأمر منه تعالى، وهذا كذب وافتراء على الله سبحانه وتعالى.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 24-63: الإيمان بالأنبياء والرسل وبما أُنزل عليهم

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### من محبة الله لعباده ورحمته بهم أنه أرشدهم إلى الحقيقة عن طريق الأنبياء والرسل:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الرابع والعشرين من دروس العقيدة، ننتقل إلى موضوع جديد من موضوعات العقيدة التي يجب أن يؤمن بها الإنسان، هذا الموضوع هو: الإيمان بالأنبياء والرسل.

أولاً: من أركان العقيدة الإسلامية الإيمان بجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام، وكذلك الإيمان بجميع ما أُنزِل عليهم، قبل أن نخوض في هذا الموضوع فكرة بسيطة، إذا كنت في طريق ما، ورأيت إنساناً كفيف البصر، وأمامه حفرةٌ كبيرة، ماذا تفعل؟ بدافع من رحمتك، بدافع من حِرصك، ألا تُذكّره؟ ألا تُحَذره؟ ألا تُنَبهه؟ كل ما في الأمر أن الله سبحانه وتعالى لأنه رحيم، لأنه رحمن رحيم، إذا وجد عباده قد ضّلوا وتاهوا وحاروا وسلكوا طريق شقائهم وهلاكهم، بعث إليهم بأنبيائه ورسله ليحذروهم وينذروهم، قال تعالى:

**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)**

**سورة الأعراف**

لأن أسماءه حسنى وصفاته فُضلى لا يمكن أن يدع عباده من دون توجيه، من دون تحذير، من دون لفت نظر، فالأنبياء والرسل رحمة من الله سبحانه وتعالى، تحذير، تبشير، توضيح، بيانٌ للحقيقة، ففي صفة عقيدة المؤمنين قال الله تعالى في سورة البقرة:

**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)**

**سورة البقرة**

ويأمر الله سبحانه وتعالى نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم ويأمرنا معه فيقول في سورة آل عمران:

**قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)**

**سورة آل عمران**

## من لوازم الإيمان بالله:

### 1- الإيمان بالأنبياء والرسل جميعاً:

من لوازم الإيمان بالله الإيمان برسل الله، إذا كنّا نعترف بدولة ما فنعترف بسفيرها، إذا جاء السفير ومعه أوراق اعتماده فلابد من أن نعترف به، ما دمنا بالأصل معترفين بدولته، فمن لوازم الإيمان بالله الإيمان برسله، والإيمان بالرسل من العقائد التي لو أنكرها الإنسان لكفر، يجب أن تُعلَم بالضرورة، ومعرفتها فرض عين وليس فرض كفاية.

### 2- الإيمان برسل الله المُؤَيَّدين بالمعجزات المادية والمعنوية:

من مقتضى الإيمان بالله تصديق المُؤَيَّدين بتأييد من عنده، أي دائماً –سبحان الله–الأنبياء والرسل جاؤوا بمعجزات لا يستطيع عامة البشر ان يفعلوها، وبالبديهة لابد من أن يكون هذا الإنسان مبعوثاً من قِبَل العناية الإلهية، أي مع النبي آية إما أن تكون هذه الآية معجزةً إعجازاً مادياً كالعصا في يد سيدنا موسى، كإحياء الميت على يد سيدنا عيسى، كأن النار لم تُحْرِق سيدنا إبراهيم، كانقلاب البحر طريقاً يبساً على يد سيدنا موسى، أو إعجازاً بلاغياً تشريعياً كما هي الحال على يد سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فهذا النبي لابد بديهة من أن يكون رسول الله، هذا النبي من عند الله، والدليل أنه فعل شيئاً لا يستطيع بنو البشر أن يفعلوه، فمن لوازم الإيمان بالله الإيمان برسل الله المُؤَيَّدين بالمعجزات المادية والمعنوية، هذا التأييد الذي لا يمكن أن يكون من الله تعالى إلا لرسله الدالين عليه والمبلغين لشريعته ودينه بصدق، هناك نقطة قال تعالى:

**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ** وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)

**سورة الكهف**

الله سبحانه وتعالى يستحيل في حقه أن يؤيد الضُّلال، أن يؤيد المضلين بمعجزات كمعجزات الأنبياء، لو أنه فعل ذلك لضلّل عباده، فهذه المعجزات ليست من حقّ عامة الناس بل من حقّ أنبيائه المصطفين.

## 3- أن يُصَدِّق الإنسان كل ما يخبرنا الله عنه:

من مقتدى الإيمان بالله أن يُصَدِّق الإنسان في كل ما يخبرنا الله عنه، هذا يقتضي الإيمان برسله الذين أخبر عنهم في كتابه، أي إذا أنت آمنت بالقرآن الكريم على أنه كتاب من عند الله، يقتضي الإيمان بالقرآن الكريم أن تُصَدِّق بكل ما جاء فيه، أنت لم ترَ سيدنا لوط، ولا سيدنا إبراهيم، ولا سيدنا عيسى، ولا سيدنا موسى، لكن أخبار هؤلاء الأنبياء الكرام جاءت في القرآن الكريم، وأنت مؤمن بالقرآن الكريم، فإيمانك بالله أولاً، وبكلامه ثانياً، يقتضي أن تؤمن بجميع الرسل والأنبياء الذين أخبر عنهم في القرآن الكريم، ثم إن الإيمان بواحد من الرسل لا ينفك عن الإيمان بجميع الأنبياء والرسل.

## معنى كلمة النبي وكلمة الرسول والفرق بينهما:

عندنا استنباط لطيف جداً أن الله عزّ وجل في بعض الآيات يقول:

**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)**

**سورة آل عمران**

فهذا المجتمع أو هذه الأمة أو هذه القرية قتلت هذا النبي، فلماذا جعل الله القتل جماعياً؟ لأنك إذا كفرت بهذا النبي فكأنما كفرت بالأنبياء كلهم، الأنبياء وحدة لا تتجزأ، إما أن تؤمن بهم جميعاً، وإن لم تؤمن بهم جميعاً فكأنك كفرت بهم جميعاً، تجزيء لا يوجد.

جاء في النصوص الدينية إطلاق كلمات النبي والرسول والنبوة والرسالة على حقائق شرعية وفق الاصطلاح الشرعي، ماذا تعني كلمة النبي؟ وماذا تعني كلمة الرسول؟

الحقيقة في اللغة النبوة مأخوذة من النبأ، قال تعالى:

**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2)**

**سورة النبأ**

النبوة من النبأ، أي هذا الإنسان الذي اصطفاه الله سبحانه وتعالى أنبأه بالحقائق، فهو يُنَبِّئُ الناس بها، أنبأه الله أولاً ونبّأ الناس ثانياً فهو نبي، فالنبوة مشتقة من فعل نبأ، أو أنبأ، والأصل مأخوذ من النبأ أي الخبر، فالنبي أنبأه الله عن أخبار السماء، وكلفه أن يُنْبِئ الناس عن حقائق التوحيد، وحقائق التشريع فهو نبيّ، فالنبوة بشكل أو بآخر مقام علمي، رتبة علمية، أي هذا الإنسان باتصاله بالله المستمر بلغ مرتبة النبوة بمعنى أنه عرف الحقائق المطلقة، عَرَفها وعرّفها للناس.

في اللغة مأخوذة من النبأ أي الخبر، قال تعالى: ﴿**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ*عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ**﴾، أو مأخوذة من النَّبوَة، والنَّبوَة أي ما ارتفع من الأرض، يقال: نبأ الشيء إذا ارتفع، وفي اللغة الدارجة نبأ أي ارتفع–نبأ له نبيرة مثلاً–نبأ أي ارتفع، كيف ارتفع؟ هذا النبي الكريم ارتفع عن سائر الخلق:

**وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى (7)**

**سورة النجم**

هو في واد والناس في واد، الناس في همومهم، وفي معاشهم، وفي خلافاتهم، وفي خصوماتهم، وفي جمع الدرهم والدينار، وفي الكسب الحرام، وفي الانغماس بالشهوات، وفي التنافس على حطام الدنيا، والنبي في معرفة الله، وفي الإقبال عليه، وفي تعريف الخلق به، وفي خدمة عباده، وفي معرفة ملكوت السماوات والأرض، لأنه في واد والناس في واد نبأ عليهم، بمعنى ارتفع عن مستواهم، ارتفع عن مشاغلهم، عن اهتماماتهم، عن حطام الدنيا، عن وحول الدنيا، عن شهوات الناس، إذا كان يعنيك الدرهم والدينار فقط، **عن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم: من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينَيْه، ولم يأْتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ.**

السلسلة الصحيحة : **خلاصة حكم المحدث** : إسناده جيد رجاله ثقات

## من كانت الدنيا همه فرّق الله عليه أمره ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره:

سؤال يُطرح على أحدكم ما الذي يشغلك؟ ما الذي يهمك؟ ما الذي يعنيك؟ ما الذي يخطر في بالك إذا فتحت عينيك في الصباح؟ عندما تستيقظ أول استيقاظك ما الذي يخطر في بالك؟ شراء البيت؟ بيع المحل؟ طبخ هذه الأكلة؟ الذهاب لهذه النزهة؟ **((من كانت الدُّنيا همَّه، فرَّق اللهُ عليه أمرَه، وجعل فقرَه بين عينَيْه، ولم يأْتِه من الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له، ومن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جمع اللهُ له أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدُّنيا وهي راغمةٌ)).**

النبي عليه الصلاة والسلام حينما دُعِي إلى اللهو واللعب في سنّ الطفولة، قال صلى الله عليه وسلم: لم أُخْلَق لهذا.

الإمام الغزالي رضي الله عنه قال: إن ساعة واحدة تمضي في غير ما خُلقت له لجدير بك أن تَكْثُر عليها حسرتك يوم القيامة، ساعة واحدة، عاش ثلاثاً وثمانين سنة، أمضى ساعة بلا فائدة، لعب فيها بالطاولة، تكلم عن الناس، تكلم بموضوعات سخيفة لا تُقدم ولا تُؤخر، ذهب إلى مكان لا يرضي الله، إن ساعة واحدة أمضيتها في غير ما خُلقت له لجدير بك أن تكثر عليها حسرتك يوم القيامة، فمعنى النبي أنه من النَّبْوَة أي في مستوى سام وراق غير مستوى الناس.

فيا أيها الإخوة الأكارم؛ لا تكونوا في صفوف الخط العريض من الناس، همهم بطنهم، قبلتهم نساؤهم، دينهم شهواتهم، عقيدتهم العادات والتقاليد، عادات وتقاليد وشهوات، همهم شهواتهم، لذلك إذا رأوا ما يُقَلِّل من شهواتهم، أو ما يُهَدد متعهم وملذاتهم سُحِقوا، أهل الدنيا يُسحقون إذا لاح لهم ما يُهَدد شهواتهم ونزواتهم ومتعهم الرخيصة، أما أهل الإيمان فلا يصعقون إلا إذا خافوا على دينهم.

## ينبغي على المسلم أن يأخذ العِبر من نبيه وصحبه في شدة حرصهم على دينهم:

سيدنا عمر رضي الله عن عمر كان إذا أصابته مصيبة قال: الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، أي طعام كُلْه، أفضل من أن تكون المصيبة في دينك، أي ثياب لا بأس من أن ترتديها ولو كانت رخيصة، ولو كانت بالية، ولا تكن المصيبة في دينك، الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ أُلهمت الصبر عليها.

قل لي ما الذي يُخيفك –يُجزِعك–أقل لك من أنت، المؤمن يخاف على دينه، يخاف على استقامته، يخاف أن يُجري الله على يده السوء أو الأذى أو الشر، هذا الذي يُجْزِعه وعلى الدنيا السلام.

سيدنا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله تعالى عنه دخل عليه أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان قائد الجيوش الإسلامية في الشام، دخلوا عليه إلى غرفته، غرفة القيادة، فإذا هي غرفة صغيرة عليها جِلد غزال، وفي زاويتها قِدر ماء غُطِّي برغيف خبز، وسيف عُلِّق على حائط الغرفة، هذا كل ما في الغرفة، فقيل لهذا الصحابي الجليل: ما هذا يا أبا عبيدة؟ قال: هو للدنيا وعلى الدنيا كثير، ألا يُبَلِّغنا المقيل؟

أروع كلمة تأثرت لها كلمة الإمام الغزالي، كل ما لا يصحبك إلى الآخرة فهو من الدنيا، فاعتنِ بها ما شئت، لابد من أن تتركها، وكلما كانت مزدانة وعريضة وفخمة وراقية، كلما ازدادت حسرتك على فراقها، إذا شخص أخرجوه من بيت غرفة واحدة شمالية كمن أخرج من بيت ثمنه ثلاثين مليوناً، اخرج منه؟ فكلما حسنتها تزداد الحسرة عند فراقها، لذلك هو للدنيا وعلى الدنيا كثير، ألا يُبَلِّغنا المقيل؟ فلذلك هذا النبي العظيم لماذا استحق أن يكون نبياً؟ لماذا استحق أن يصطفيه الله سبحانه وتعالى؟

## هل كان اختيار النبي من دون حكمة وعلم وخبرة؟

هنا يوجد سؤال دقيق جداً الآن؛ يتوهم الناس أن هذا النبي الله عز وجل اختصه وانتهى، إنسان من عامة الناس، إنسان عادي جداً، الله عز وجل اختصّه بالنبوة وانتهى الأمر، أي إذا أنت معلم ابتدائي وأردت أن تعيّن على أربعين طالباً عريفاً ماذا تفعل؟ تنتقي المجتهد، المتفوق، الأخلاقي، شيء بديهي، ورب العزة يصطفي إنساناً من عامة الناس يجعله نبياً؟ كلمة اصطفى أي اختاره، من معاني كلمة الاصطفاء أن الله سبحانه وتعالى جعل النبوة في خير خلقه، أشدهم حباً له، جعلها في أشدهم حباً له، في أشدهم طاعة له، في أشدهم ورعاً، في أشدهم تمسكاً، لكن إيّاك أن تفهم أنك إذا بالغت في الورع، وبالغت في الاستقامة، وبالغت في المحبة صرت نبياً، لا، لذلك علماء العقيدة قالوا: النبوة ليست كسبية، وإنما هي هبة من الله سبحانه وتعالى، ولكن هذه الهبة مبنية على علم، وهذا الاصطفاء مبني على علم، لو فرضنا أردنا أن نعين سفيراً لنا في بلد أجنبي، ألا نختار إنساناً يتقن اللغة الأجنبية؟ معه شهادة عالية؟ بعض البلاد سمعت لا يتعين السفير إلا إذا كان يتقن لغتين إتقاناً جيداً تكلماً وكتابةً وقراءةً، ويحمل ثلاث شهادات عليا في وقت واحد، في الحقوق والآداب والعلوم، هذا سيمثّل أمة، أمة بأكملها، فحينما تختار الحكومة إنساناً ليكون سفيراً أتختاره من الطريق؟ تعمل حاجزاً في الطريق وتأخذ شخصاً أنت سفير؟! أم يوجد دراسات، يوجد اصطفاء، يوجد دراسة دقيقة، إذا كان إنسان يختار إنساناً وفق أصول فكيف رب العزة؟

**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى** آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)

**سورة آل عمران**

هؤلاء مُصطَفون أخيار، قمم الكمال البشري، الأنبياء قمم، أنت تلتقي بإنسان على جانب من الإيمان، من الورع، تجد عقلك معه، تقول: والله لا مثيل له، فكيف لو التقيت بنبي؟ ما رأيت أحداً يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً، النبي الكريم عليه الصلاة والسلام التفت إلى أحد أصحابه رأى في يده خاتماً من الذهب فأعرض عنه، فمسك الخاتم –هو من الذهب–ورماه في الأرض، فقيل له: خذه وبعه؟ فقال: لا والله، ما كنت لآخذه بعد ما نهاني عنه النبي، أحبوه محبة فاقت حدّ التصور، أطاعوه طاعة فاقت حدود الخيال،

لأنه إنسان عادي؟ الكمال البشري كله مجموع في النبي، الكمال البشري، العلم، والتواضع، والحلم، والرِّقة، واللطف، والرحمة، والعطف، والقيام بالحقوق، وأداء الواجبات:

**عَنْ عائشة رضي الله عَنْهَا قَالَت: كَانَ خُلُقُ نَبِيِّ اللَّه ﷺ الْقُرْآنَ.**

**أخرجه مسلم**

فأردت من هذا الكلام أن الله سبحانه وتعالى النُّبوة اصطفاء الله عبداً من عباده بالوحي إليه، اصطفاه، لكن اصطفاء الله على علم، أي اذكر المثل مرة ثانية، لو أردت أن تُعين عريفاً على هذا الصف تختار أقوى الطلاب اجتهاداً، أكثرهم خلقاً وأكثرهم اجتهاداً، فكيف هذا النبي الذي يُمَثِّل الحق؟ يُمثِّل حضرة الحق؟ قال الله تعالى:

**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (30)**

**سورة البقرة**

النبي خليفة الله في الأرض، أيكون الخليفة على غير ما ينبغي؟ مستحيل.

## مقام النبي ومقام المؤمن عند الله:

شيء آخر؛ الآن سوف أذكر سبب الاصطفاء، قصة تعرفونها سابقاً، لما سيدنا أبو بكر رضي الله عنه كان في الطريق يمشي فرأى سيدنا حنظلة يبكي، عَنْ حَنْظَلَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَوَعَظَنَا، فَذَكَّرَ النَّارَ، قالَ: ثُمَّ جِئْتُ إلى البَيْتِ فَضَاحَكْتُ الصِّبْيَانَ وَلَاعَبْتُ المَرْأَةَ، **قالَ: فَخَرَجْتُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَذَكَرْتُ ذلكَ له، فَقالَ: وَأَنَا قدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ما تَذْكُرُ، فَلَقِينَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ، فَقُلتُ: يا رَسُولَ اللهِ، نَافَقَ حَنْظَلَةُ؟ فَقالَ: مَهْ فَحَدَّثْتُهُ بالحَديثِ، فَقالَ أَبُو بَكْرٍ: وَأَنَا قدْ فَعَلْتُ مِثْلَ ما فَعَلَ، فَقالَ: يا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً، ولو كَانَتْ تَكُونُ قُلُوبُكُمْ كما تَكُونُ عِنْدَ الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ المَلَائِكَةُ، حتَّى تُسَلِّمَ علَيْكُم في الطُّرُقِ.** وفي رواية: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ فَذَكَّرَنَا الجَنَّةَ وَالنَّارَ، فَذَكَرَ نَحْوَ حَديثِهِمَا.

**صحيح مسلم**

كأنَّ سيدنا حنظلة شعر بنفسه أنه منافق، السبب وهو عند رسول الله في مجلسه في غاية السعادة، في غاية الطمأنينة، في غاية الأمل، في غاية الرضا، في غاية السرور، تكاد الأرض لا تسعه، قال لي بعضهم: ليس في الأرض من هو أسعد مني، وهو صادق، قال: إلا أن يكون أتقى مني، طبعاً، قال: فإذا عافسنا الأهل ننسى، وهذه تحدث معنا أنا وأنتم جميعاً، ونحن هنا في هذا المسجد نُحسّ بالسعادة، بالطمأنينة، بالسرور، الإنسان يذهب إلى بيته فيجد العشاء متأخراً، ابنه لم يحضر الخبز، يمكن أن يغضب، في اليوم الثاني ذهب إلى العمل لا يوجد بيع مثلاً، عليه دفع لا يوجد قبض، يتضايق، يوم السبت، يوم الأحد، هذه الأحوال الطيبة، هذا السرور، الطمأنينة، هذا الإقبال، هذا السمو ضَعُف، المصباح عندما تضع به البطارية بعد أسبوع أين ضوءه؟ ذهب، ضعفت البطارية، قال له: فنعافس الأهل فننسى، فقال: أنا كذلك يا أخي، أنا مثلك، انظر إلى التواضع، انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمّا حدثوه بما جرى، هنا النقطة الدقيقة، قال عليه الصلاة والسلام: نحن معاشر الأنبياء –ليس هو فقط، مقام النبوة، ماذا يعني مقام النبوة؟–نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا–أي اتصال دائم بالله–أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، ساعة إقبال وساعة غفلة، لا أقول: ساعة انقطاع حاشا لله، ساعة إقبال وساعة فتور، ساعة اتصال وساعة انفصال، الغماز يتألق أما الضوء الأمامي مستمر، فالمؤمن ساعة وساعة، فساعة غفلة مع ساعة إقبال هذه درجة، ساعتان غفلة ساعة إقبال درجة ثانية، ثلاث ساعات غفلة ساعة إقبال درجة ثالثة، أربع ساعات غفلة وساعة إقبال، فكل واحد منا يعرف مقامه من هذه الطريقة، شخص يُصلي بالأوقات الخمس وقتاً واحداً بشكل صحيح، الصبح، أمّا الظهر خمسون خاطراً بالصلاة، والعصر، والمغرب، كله سريع، أما الصبح فصحيح معه، هذه درجة، شخص الصبح والظهر، شخص الصبح الظهر العصر المغرب العشاء، شخص بين الصلاتين لا ينسى الله عز وجل، أحياناً تدمع عينه بين الصلاتين، يُفكّر بآية كونية، يسمع قرآناً، يشاهد إنساناً يدعوه إلى الله عز وجل، شخص يقول لك: أنا بالشهر الصحيح معي فقط ركعتين، فالمؤمنون ساعة وساعة، لكن هذه ساعة وساعة منوعة جداً، بين بالشهر ركعتان، بالأسبوع ركعتان، باليوم ركعتان، بالستة أشهر ركعتان، بالسنة ركعتان، والباقي كله فيه سهو ولهو، بين الخمس أوقات، بين بينَ الأوقات، ربنا عز وجل وصف المؤمنين الصادقين بأنهم:

**الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ (23)**

**سورة المعارج**

أي يغلب عليهم دوام الصلاة، لو أنه صار هذا الدوام قطعياً لكانوا أنبياء حقاً، النبي هو الذي لا ينقطع عن الله طرفة عين، أبداً، لا ينقطع لا في نوم ولا في صحو، لا في ليل ولا في نهار، انظر أحياناً المؤمن بالرخاء موصول، النبي لا ينقطع لا في نوم ولا في صحو، لا في ليل ولا في نهار، لا في رخاء ولا في شدة، لا في الغنى ولا في الفقر، لا في الصحة ولا في المرض، لا في النصر ولا في الهزيمة.

عليه الصلاة والسلام بأعقاب معركة هوازن هل انقطع عن الله؟ أبداً، بأعقاب أحد انقطع؟ أبداً، بأعقاب الطائف انقطع؟ أبداً، اتصاله بالله في الطائف كاتصاله بالله في أثناء فتح مكة، وهو في أوج النصر متصل، وهو في أشد الأوضاع حرجاً متصل، هذا النبي، النبي هو الإنسان الذي لا ينقطع عن الله أبداً ولا طرفة عين، نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا، أما أنتم يا أخي فساعة وساعة، نحن المؤمنين ساعة وساعة، ساعة نتصل وساعة نغفل، ساعة نُقبل وساعة نفتُر، هذا مقام المؤمنين، ومقام الأنبياء الاتصال الدائم، لماذا اصطفاهم الله عزّ وجل؟ لأنهم كانوا دائمي الاتصال بالله سبحانه وتعالى، صار السبب واضحاً، لماذا اصطفاهم؟ اصطفيناهم:

**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (32)**

**سورة الدخان**

علمنا أنهم لا ينقطعون عنا أبداً، إذا شخص اشترى آلة جديدة للبيت، ويريد أن يصلي الظهر، كيف يصلي الظهر؟ يصلي الظهر لكن يا ترى هل صلّاه؟ الآلة وصلت يريد أن يفتحها ويشاهدها، إذا جاءته رسالة كان مقدماً طلب فيزا وجاءت رسالة لم يفتحها بعد وسيؤذن العصر فصلى الظهر، كيف يصلي الظهر؟ يا ترى هل أرسلوا الموافقة أم لا؟ ساعة وساعة، أما النبي الكريم لا شيء في الدنيا يشغله عن ذكر الله، وأصحابه الكرام هم على مستوى رفيع جداً، قال تعالى:

**رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ (37)**

**سورة النور**

يوجد جامع حدثوني عنه قريب من الجسر، يوجد عند أداء صلاة الظهر في العادة عبارة عن صفين فقط، الناس عندنا خافوا بالأسبوعين الماضيين لآخر صف الجامع ممتلئ، جميل والله لكن ساعة وساعة، في الشدة جاؤوا ليصلوا، بالرخاء لا يوجد شيء، لا يوجد قلق، لا يوجد خوف، أين هم؟ في محلاتهم التجارية، يبيعون ويشترون، فالمؤمنون ساعة وساعة أما الأنبياء اتصال دائم بالله عز وجل.

## النبوة اتصال وتنبؤ أما الرسالة فمقام تبليغ:

الآن الرسالة؛ في اللغة التوجيه بأمر ما، فالرسول هو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، وفي الاصطلاح الشرعي: تكليف الله نبياً من أنبيائه لتبليغ شريعته للناس. النبوة مقام، تُنبؤ، مقام اتصال بالله، اتصال وتنبؤ، أما الرسالة فمقام تبليغ، النبوة تلقٍّ الرسالة إلقاء، النبوة تلقٍّ أما الرسالة إلقاء، فكل رسول يجب أن يكون نبياً وليس العكس، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34)**

**سورة آل عمران**

الآية دقيقة جداً: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾ أي هؤلاء الذين اصطفاهم الله عزّ وجل ليسوا من طينة غير طينة البشر، لا، إنهم من بني البشر، من طينة واحدة ولكنهم تفوقوا، لو أنهم من طينة أخرى، لو أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم إمكانات خاصة فاقوا بها الناس لما كان لهم الفضل في تفوقهم، أي إذا كان هناك طالب أعطيناه الأسئلة، فأخذ علامة تامة، فكان الأول، هل هذه ميزة؟ أما إذا كان ظرفه مشابهاً لظرف جميع الطلاب لا يعلم الأسئلة، وقد أخذ المرتبة الأولى، والله هذا تفوق، ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾.

عن أبي هريرة: اللَّهُمَّ إنَّما مُحَمَّدٌ بَشَرٌ، يَغْضَبُ كما يَغْضَبُ البَشَرُ، **وإنِّي قَدِ اتَّخَذْتُ عِنْدَكَ عَهْدًا لَنْ تُخْلِفَنِيهِ، فأيُّما مُؤْمِنٍ آذَيْتُهُ، أوْ سَبَبْتُهُ، أوْ جَلَدْتُهُ، فاجْعَلْها له كَفَّارَةً، وقُرْبَةً، تُقَرِّبُهُ بها إلَيْكَ يَومَ القِيامَةِ.**

**صحيح مسلم**

أنا من طينتكم، رُكبت فيّ الشهوات التي رُكبت فيكم، الشهوات نفسها لكنه فاق بني البشر.

محمدٌ بشر وليس كالبشــر فهو جوهرة والناس كالحجر

**البارودي**

فإن تفق الأنام فأنت منهـم فإن المسـكُ بعضُ دمِ الغزالِ

***المتنبي***

فالتفوق عظيم لأنه من طينة البشر، ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**﴾ أما لو أعطيت الطالب الأسئلة، فكتب إجابة جيدة، وأخذ علامة تامة، ونال الدرجة الأولى على القطر، هذا ليس بتفوق، لأنه لم يتساوَ في الظروف مع بقية الطلاب، ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ قال تعالى:

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى **آَللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (59)**

**سورة النمل**

كلمة اصطفاء تتكرر في أكثر الآيات، عندنا اصطفاء بالنبوة، والآن اصطفاء بالرسالة، والدليل القاطع:

**قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آَتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (144)**

**سورة الأعراف**

أحياناً الإنسان يأخذ دكتوراه، هذه مرتبة علمية، أحياناً يتعين عميد كلية، هذه مرتبة إدارية، لكن لا يُعقل أن يكون عميد الكلية إلا أن يكون دكتوراً في الأساس، يُختار من بين أصحاب الشهادات العليا، فالعمادة شيء والأستذة شيء، فالنبوة مقام التلقي، والرسالة مقام الإلقاء، النبوة التنبؤ والرسالة التبليغ، إذاً ليس كل نبي رسول لكن كل رسول نبي، ويبين الله لنا اصطفاءه الرسل من الملائكة أيضاً، اصطفى الله عزّ وجل من الملائكة رسلاً لإبلاغ الوحي للأنبياء، واصطفى من البشر رسلاً لإبلاغ كلامه للناس، عندنا اصطفاءان، اصطفاء رسل من الملائكة من بين الملائكة واصطفاء رسل لبني البشر من بين بني البشر:

**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (75)**

**سورة الحج**

ويقول الله تعالى:

**وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آَيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (124)**

**سورة الأنعام**

في معرض التنديد بأكابر مجرمي القرى الذين تعنتوا فقالوا: ﴿**لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ**﴾ وفي هذا الرد دلالة على أن الرسالة لا تكون إلا لمن اصطفاهم الله لحمل رسالته:

**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءانُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (31)**

**سورة الزخرف**

يكون من الأغنياء، من الوجهاء، ﴿**اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ**﴾ هذا من اختصاص الله سبحانه وتعالى، هو الذي يختار لأنه يعلم ما عند العباد من صدق في الإقبال، ومن استقامة في المعاملة، ومن حبّ، ومن ولاء، ومن اهتمام.

وهناك موضوعات تتعلق بالنبوة سوف نرجئها إلى درس قادم إن شاء الله، سأعرض عليكم نموذجاً منها، النبوة والرسالة فيضٌ إلهي، النبوة شيء والرسالة شيءٌ آخر، هذا موضوع الدرس القادم، الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، النبوة أولاً، هناك أنبياء وليسوا برسل، سيدنا هارون، سيدنا يوسف، أنبياء فقط.

وللحديث تتمة نتابعه إن شاء الله تعالى في درس قادم.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 25-63: الإيمان بالأنبياء والرسل

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## استنباطات نستنبطها من كتاب الله تتعلق بالإيمان بالرسل:

### 1- النبوة والرسالة فيض إلهي واصطفاء رباني:

أيها الإخوة الأكارم؛ مع الدرس الخامس والعشرين من دروس العقيدة.

كان الدرس الماضي متعلقاً بوجوب الإيمان بالأنبياء والرسل، وبيّنا كيف أن الإيمان بالرسل وبالأنبياء من أركان العقيدة، وكيف أنّ الإيمان بالرسل والأنبياء من العقائد التي يجب العلم بها بالضرورة، فلو أنّ الإنسان لم يؤمن بالرسل والأنبياء كان كافراً، فهذه العقائد الأساسية، لذلك يُسمّى علم العقائد علم أصول الدين، الدين له أصول وله فروع، فالإيمان بالرسل من أصول الدين.

هناك استنباطات نستنبطها من كتاب الله تتعلق بالإيمان بالرسل:

الاستنباط الأول: هو أن كلاً من النبوة والرسالة فيض إلهي واصطفاء رباني، بمعنى أن النبوة والرسالة ليستا كسبيتين، إنما هما هبة من الله سبحانه وتعالى، ولكن بعض الناس يتوهمون أن هذه الهبة تُمنح لأي إنسان، هذا الذي أريد أن أُعَلِّق عليه، إن النبوة والرسالة هبة وليست كسباً بمعنى أن الإنسان لو فعل شيئاً معيناً لا يكون نبياً إلا أن يصطفيه الله سبحانه وتعالى، لكن الله حينما يصطفي هذا الإنسان ليكون نبياً يصطفيه أي ينتقيه من قمم البشر.

البشر متنوعون لهم قمم، الأنبياء قمم في الإنسانية، أي هذا الإنسان الذي أقبل على الله إقبالاً مستمراً، الذي تنام عينه ولا ينام قلبه، هذا الإنسان من هذا المستوى يصطفي الله سبحانه وتعالى أنبياءه ورسله، فكلّ من النبوة والرسالة فيض إلهي واصطفاء رباني، وأن أيّاً منهما لا يكون أمراً مكتسباً يُكْتسب بالاجتهاد والرياضة.

قلنا كلمة الدرس الماضي: السفير لابد من أن يُنتقى من عَلِية القوم، من المتفوقين، ممن يحملون أعلى الشهادات، ممن يتقنون اللغات، هل يعني ذلك أن الإنسان إذا نال شهادة عليا وأتقن لغة أجنبية صار سفيراً؟ لا، السفراء يُنْتقون من أناس من علية القوم، ولكن نيل الشهادة لا يُلْزم أن يكون صاحب هذه الشهادة سفيراً، هذا مثل قريب.

فالنبوة والرسالة هبة من الله سبحانه وتعالى وليستا كسبيتين، لكن هذه الهبة اصطفاء، ومعنى اصطفاء أي انتقاء، أي أن الله سبحانه وتعالى انتقى هذا النبي من قمم البشرية، لذلك لو أتيح لواحد منّا أن يلتقي بنبي كيف قال بعض الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه سحر أصحابه؟ سحرهم بماذا؟ بخُلقه الرفيع، بأخلاقه السمحة، بتواضعه، بعدله، برحمته، بلطفه، بمحبته للخلق، بحلمه، بحبه للخير، هذه الأخلاق الرفيعة تؤكد أن النبوة اصطفاء بمعنى انتقاء.

## 2- النبوة والرسالة وصفهما مغاير للآخر:

الشيء الثاني: أن الوصف بالرسالة مغاير للوصف بالنبوة، هناك نبي وهناك رسول، ويَشهد بذلك وصف الله بهما معاً، وفي هذا إشعار بتغاير مفهوميهما في الاصطلاح الشرعي، ومن ذلك قوله تعالى في سورة مريم:

**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (51)**

**سورة مريم**

الرسالة مقام، والنبوة مقام آخر ﴿**وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا**﴾، كما يشهد بذلك آية قرآنية ثانية قال تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آَيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (52)**

**سورة الحج**

فالنبي مقام والرسالة مقام.

## 3- الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة:

شيء ثالث يُستنبط من كتاب الله حول النبوة والرسالة أن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة، فلا يَتم الاصطفاء بالرسالة إلا لمن تمّ اصطفاؤه بالنبوة، أي كما قلنا في الدرس الماضي كل رسول نبي وليس العكس، لا يمكن أن يكون الرسول إلا نبياً، ولكن النبي ليس بالضرورة هو رسول، يدل على ذلك نصوص عديدة منها قوله تعالى في سورة الزخرف:

**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ (6)**

**سورة الزخرف**

فالنبي موجود قبل إرساله: ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ**﴾ وفي حقّ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:

**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)**

**سورة الأحزاب**

أي إذا كان باب النبوة قد أُغلِق، وباب الرسالة قد أُغلِق، فالنبي عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين.

## ينبغي على المسلم أن يتنافس على درجات الآخرة:

لكن هناك مقامات كثيرة مُفَتحة، مقام الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، هذا مفتوح، مقام أن تكون عالماً ربانياً، يا بني الناس ثلاث: عالم رباني، ومستمع على سبيل نجاة، وهمجٌ رعاع أتباع كل ناعق، لم

يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق، فأحذر يا كميل أن تكون منهم، مقام العلم الرباني موجود في كل زمان، قال تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ** فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

**سورة النحل**

أهل الذكر هم العلماء، فمن أراد النجاة من النار عليه أن يستقيم، لكنه من أراد مراتب عليا في الجنة عليه أن يكون من السابقين، قال تعالى:

**وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (10) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (11)**

**سورة الواقعة**

أي ما أجمل أن يكون الإنسان طموحاً في طريق الجنة! لا يرضى بالمرتبة الدنيا، لا يرضى أن يكون من الناجين، يسعى إلى أن يكون من المتفوقين لقوله تعالى:

**خِتَامُهُ مِسْكٌ** وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (26)

**سورة المطففين**

هذا هو التنافس الذي يُحبه الله سبحانه وتعالى.

## ينبغي على المسلم ألا يتنافس على الدنيا:

أما التنافس على حطام الدنيا، على مُتعها، على شهواتها، على زُخرفها، على بهرجها، على مكاسبها، على مالها، على بيوتها، على بساتينها، على مركباتها، على حيازة الأموال الطائلة فيها، فهذا التنافس يُبغضه الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ**﴾ قال تعالى:

**لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (61)**

**سورة الصافات**

**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ** فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا **هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (58)**

**سورة يونس**

قل لي ما الذي يُفْرِحك أقل لك من أنت، أي شيء خطير، مَنْ فَرِح بالدنيا ولو أنه اكتسبها من طريق مشروع، فرحه بالدنيا ماذا يعني؟ أنه لا يعرف مهمته في الحياة، مَنْ فَرِح بالدنيا المشروعة، مَنْ فَرِح بالمال الذي اكتسبه من طريق مشروع، فَرَحه يعني أنه لا يعرف المهمة التي خُلِق من أجلها، وليس متحققاً من أنه لابد من مغادرة الدنيا، ولن يأخذ معه إلا العمل الصالح، فلذلك أنا أتمنى من أعماقي أن أرى فيكم أناساً كثيرين يطمحون لا إلى النجاة من النار، ولكن إلى بلوغ أعلى الدرجات في الجنة، إذا كان باب النبوة والرسالة قد أُغلقا فإن باب الولاية مفتوح إلى يوم القيامة:

**أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63)**

**سورة يونس**

أي لا ينبغي أن تُمضي حياتك إلا في طاعة الله، لا ينبغي أن تُهلِك شبابك إلا في طاعة الله، لا ينبغي أن تُسَخّر طاقاتك وإمكاناتك ومالك إلا في مرضاة الله، إن فعلت ذلك فأنت الرابح، أنت الناجح:

**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (2)**

**سورة المؤمنون**

**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15)**

**سورة الأعلى**

أي إذا عرفت طريق الفلاح، وطريق الفوز فأنت من السعداء، آية واحدة أضرب لكم مثلاً دقيقاً، لو أن طالبين على مقعد الدراسة، واحد منهما جمع من الدنيا أموالاً طائلة، وحصَّل شأناً رفيعاً ولكنه ليس مستقيماً، والآخر دخله محدود وحياته خشنة لكنه مطيع لله عز وجل، قال تعالى:

**يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)**

**سورة الأحزاب**

فإذا شعر الطائع أنه محروم فهذا جهل به، وجهل بما عنده، من أوتي القرآن فرأى أن أحداً أوتي خيراً منه فقد حقّر ما عظّمه الله، القرآن غنىً لا فقر بعده: عن سعد بن أبي وقاص : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ليس مِنَّا مَنْ لمْ يَتَغَنَّ بالقرآنِ.**

المستدرك على الصحيحين: **خلاصة حكم المحدث** : سكت عنه وقال في المقدمة رواته ثقات احتج بمثله الشيخان أو أحدهما

ببعض المعاني: ليس منا من لم يستغن بالقرآن عما سواه، الأنبياء والرسل ماذا أُعطوا؟

**وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (22)**

**سورة يوسف**

فرعون ماذا أُعطي؟ قارون ماذا أُعطي؟ قد يعطي الله سبحانه وتعالى المال لمن لا يحبه، فقارون:

**إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (76)**

**سورة القصص**

لا يحب الفرحين بالدنيا، يحب الفَرِحين برضوان الله عز وجل، أي إذا سألتني عن أعلى مرتبة ينالها الإنسان على وجه الأرض، أعلى مرتبة ينالها الإنسان على وجه الأرض، قلت لك أن يُقال له: رضي الله عنه، أي من فاز برضاء الله سبحانه وتعالى فقد حقق أعلى مرتبة على وجه الأرض، المؤمنون هم ملوك الدار الآخرة:

**تِلْكَ الدَّارُ الْآَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83)**

**سورة القصص**

فهذا التعليق أنه باب الولاية مفتوح، باب أن تكون من السابقين مفتوح، ربنا ربنا، إلهنا إلهنا، ربّ موسى وهارون موجود، ربّ إبراهيم موجود، رب محمد موجود، ربّ أصحاب محمد موجود، باب الطاعات مفتوح، باب المجاهدة مفتوح، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، جهاد النفس والهوى، لذلك: إن الله يحبكم إذا تنافستم في طاعته.

استنباط آخر؛ آية: ﴿**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ**﴾ وآية:

**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45)**

**سورة الأحزاب**

هاتان الآيتان تُشيران إلى أن النبوة تكون متحققة أولاً، ثم يأتي بعدها الإرسال، ونستطيع من هذا أن نفهم أنه قد تمرّ على النبي فترة الاصطفاء بالوحي قبل أن يُؤمَر بالتبليغ، النبي الرسول قد يأتي عليه حين من الدهر يكون في هذا الحين نبياً وليس رسولاً، ثم يُؤمَر بالتبليغ فيصبح عندئذٍ رسولاً.

## شيئان يرفعانك عند الله سبحانه وتعالى عملك الصالح وتهجدك في الليل:

النبي عليه الصلاة والسلام ربنا سبحانه وتعالى خاطبه فقال:

**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2)**

سورة المدثر

يُروى أن سيدنا رسول الله حينما نزلت عليه هذه الآية ألقى عن نفسه الدّثار وقام للتبليغ، فطلبت منه السيدة خديجة رضي الله عنها أن يبقى في الفراش فقال كلمة، هذه الكلمة لا يعرفها إلا من ذاقها، قال: يا خديجة انقضى عهد النوم.

يا ترى ربنا عز وجل وصف السابقين قال:

**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ** يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (16)

سورة السجدة

أي إذا فتّحت عينيك الساعة الرابعة والنصف، وبقي لأذان الصبح -على التوقيت القديم طبعاً- ثلاثة أرباع الساعة، هل تنزع عنك اللحاف وتقول: قم صلّ قيام الليل؟ قم ناجِ ربك في هذا الليل؟ قال تعالى:

**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)**

سورة الإسراء

فالمقام المحمود يأتي من التهجد في الليل، والمقام المحمود يأتي من العمل الصالح، شيئان يرفعانك عند الله سبحانه وتعالى عملك الصالح، وتهجدك في الليل، لذلك: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ قَالا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يُمْهِلُ حَتَّى **إِذَا ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَوَّلُ نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟** حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ.

صحيح مسلم

هذه نصيحتي لكم: من كانت له عند الله حاجة فليصلِّ قيام الليل، وليسأله حاجته في السجود، خالق الكون يقول لك: هل لك من حاجة عندي؟

لا تسألنّ بنيّ آدم حاجــة وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

الله يغضب إن تركت سؤاله وبني آدم إن تسأله يغضب

الخزيمي

يغضب متى؟ إن سألته، الآن تبقى العلاقات طيبة مادمت ما طلبت منه شيئاً، إذا طلبت منه شيئاً تراه تَغَيّر تجاهك، هكذا الإنسان، لكن الله سبحانه وتعالى إن الله يحبّ الملحين في الدعاء.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **مَن لَم يَدْعُ اللهَ عزَّ وجلَّ غضِبَ عليهِ.**

الترمذي

إن الله يحبّ من عبده أن يسأله حاجته كلها: عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: **ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى شسع نعله إذا انقطع.**

الترمذي

اسأله، قال تعالى:

**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ (60)**

سورة غافر

فما لك حاجة عند الله؟ حاجة في الدنيا أو في الآخرة؟ انقضى عهد النوم يا خديجة، ﴿**يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ *قُمْ فَأَنذِرْ**﴾ وقوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**

سورة المائدة

## 4- الخصوصية في النبوة:

الاستنباط الرابع من الآيات الكريمة فيما يتعلق بالنبوة أن الله سبحانه وتعالى قد يقتصر على الاصطفاء بالنبوة بالنسبة لبعض الأنبياء، أي هناك أشخاص اصطفاهم الله ليكونوا أنبياء فقط، دون أن يأمرهم بتبليغ رسالته، وهؤلاء يمكن أن نسميهم أنبياء لا رسلاً، وعلى هذا فتكون مهمة النبي الذي لم يُؤمر بتبليغ رسالة العمل والفتوى بشريعة رسول سابق، النبي الذي لم يُكَلّف برسالة يبين للناس ما نُزِّلَ إليهم سابقاً، يعمل ويُفتي برسالة رسول سابق، لذلك قيل: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، أي ما من عالم في أمة محمد صلى الله عليه وسلم يستطيع أن يأتي بجديد، إنما أنا مُتّبع ولست بمبتدع، القرآن كلام الله، والسُّنة المطهرة ودور العلماء توضيح كتاب الله وتوضيح السّنة المطهرة، أما أن يأتوا بجديد فهذا مستحيل، لأن علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل، من حيث الوظيفة لا من حيث المرتبة، النبي نبي، والعالم عالم، لا يرقى الولي إلى مرتبة النبي، العالم ليس معصوماً لكن النبي معصوم، أي من قال لك أنا لا أخطئ، قل له: أنت كاذب، لأنك إن لم تُخطئ فأنت معصوم، والعصمة للأنبياء، قال تعالى:

**أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (246)**

**سورة البقرة**

هذا النبي لم يُذكر اسمه في القرآن الكريم، بعض المؤرخين يقولون: إنه صموئيل، نبي أرسله الله لبني إسرائيل وليس رسولاً، معنى أرسله أي كان بينهم، أما معنى أعطاه الرسالة كلفه بكتاب من عند الله.

## خلاصة الدرس:

ملخص هذا البحث؛ من ذلك يتبين لنا أن كل رسول نبي، ولا يلزم أن يكون كل نبي رسولاً، وبالنظر إلى هذه الأمور السابقة التي نلاحظها في نصوص القرآن حول الفرق بين النبي والرسول نُدرك السرّ البلاغي التالي: ندرك السر البلاغي في الجمّ الغفير من النصوص القرآنية التي تتعرض إلى ألفاظ الرسول والرسل

والرسالة، إذ تقترن بالمهام المتصلة لتبليغ الشريعة، ودعوة الخلق إلى الحق، أي حيثما وردت كلمة رسول، رسالة، رسل، معناها تبليغ الشريعة للخلق، كما نُدرك السرّ البلاغي في الجمّ الغفير من النصوص القرآنية التي تتعرض إلى ألفاظ النبي والنبيين والنبوة، إذ تقترن بالأحوال والصفات والأحكام الخاصة المناسبة لمعنى النبوة الذي شرحناه وهو الاصطفاء بالوحي، فحيثما وردت كلمة النبي فتعني الوحي والتلقي، وحيثما وردت كلمة الرسول تعني الإلقاء والتبليغ، هذا الفرق الدقيق بين النبي والرسول هو ما عليه جمهور العلماء، وجمهور أهل التوحيد، وهناك آراء أخرى لا مجال لذكرها في هذا الدرس، نكتفي برأي كلمة جمهور تعني أكثر العلماء، وينبغي أن يكون المسلم الحق مع من؟ مع جمهور العلماء، مع الأكثرية، الأكثرية هذا رأيهم في الفرق بين النبي وبين الرسول، فحسبُنا أن نفهم أن النبي عبد اصطفاه الله بالنبوة، وذلك بأن أوحى إليه، وأن الرسول نبي اصطفاه الله بالرسالة، فأمَرَه أن يبلغ شرعه إلى الناس.

هذا ملخص الموضوع، وسوف ننتقل في درس قادم إلى حاجة الناس إلى الرسل، هل هم بحاجة ماسة إلى الرسل؟ هذا سؤال، قال سيدنا علي كرّمَ الله وجهه يجيب أحد السائلين حينما سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله وقدر؟ قال: ويحك لو كان قضاءً لازماً، وقدراً حاتماً إذاً لبَطَلَ الوعد والوعيد، ولانتفى الثواب والعقاب، إنَّ الله أمر عباده تخييراً، ونهاهم تحذيراً، وكلّفَ يسيراً، ولم يُكلّف عسيراً، وأعطى على القليل كثيراً، ولو أنَّ الأمر كذلك لكانَ إرسال الرسل عبثاً، فالرسل لهم مهمة كبيرة جداً هذا ما نبحثه إن شاء الله في الدرس القادم.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 26-63: حاجة الناس للأنبياء والرسل

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## مهمة الأنبياء في الأرض:

### 1- دورهم في توعية البشر بأن عرّفوا الناس بربهم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السادس والعشرين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي في موضوع الإيمان بالرسل إلى الحاجة إلى الرسل، وكون مهمتهم لا تتحقق بغيرهم، الذي تعرفونه أن الله سبحانه وتعالى قال:

**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)**

سورة الذاريات

أي علة الخلق أن نعبده، سبب وجودنا على هذه البسيطة أن نعبده، والعبادة لا تكون إلا بعد أن نعرفه، وإذا عبدناه سعدنا به في الدنيا والآخرة، وقد قلت لكم في درس سابق إن العبادة في أدق تعريفاتها طاعة طوعيه تسبقها معرفة يقينية، وتفضي إلى سعادة أبدية، فمن أجل أن نعرفه جاء الأنبياء ليُلفتوا نظر البشر إلى ربهم، ليعرفوا الناس بخالقهم، ليبصروهم بحقيقة وجودهم، فكيف نعرفه من دون دليل؟ وهل يقوم تعليم من دون معلم؟ وهل تُنْشأ مدرسة من دون أساتذة؟ فمن أجل أن نعرفه لابد من معلمين، والمعلمون هم الأنبياء، هؤلاء عرّفونا بربنا، ذكّرونا بآياته التي بثّها في السماوات الأرض، عرفونا بمهمتنا، بيّنوا لنا أين كنا، وما نحن فيه، وإلى أين المصير، فهؤلاء الأنبياء بمثابة المعلمين في المدارس، لا تقوم المدرسة إلا على أكتاف المعلمين، لا

البناء له قيمة، ولا المقاعد لها قيمة، ولا السبورة لها قيمة، ولا المكتبة لها قيمة، ولا أي موظف آخر له قيمة إن لم يكن في هذه المدرسة المعلم، أساس المدرسة المعلم.

فلذلك مهمة النبي في قومه مهمة إرشادية تعليمية، فالناس بحاجة ماسّة إلى معلمين، هذا الشّقّ الأول، لابد من أن نعرفه حتى نعبده، كيف نعرفه؟ كان الأنبياء والرسل، والدعاة من بعدهم، والعلماء من بعدهم مصابيح للناس، العلماء سُرُج الدنيا ومصابيح الآخرة، والعلماء مهمتهم تبعية، هم نوّاب عن الأنبياء في تبليغ الناس الحق، فالأصل هم الأنبياء هم المعلمون الذين أوكل الله إليهم تعليم الناس، هذا في شق المعرفة.

## 2- معرفة أوامر الله ونواهيه تكون بوساطة الأنبياء:

أما في شق العبادة كيف نعبده؟ أين أمره حتى نطيعه؟ لو أنّ أحداً قال لك: أنا مستعد لطاعة الله عزّ وجل، أين أمره؟ هل كنّا نعرف أمره لولا النبي عليه الصلاة والسلام؟ أين أمره حتى أعبده؟ قل لي ماذا تريد حتى أطيعه، أين هو هذا الأمر؟ الأنبياء لهم دور آخر بيّنوا أوامر الله عز وجل، إذا كانت علة الخلق أن نعرفه فنعبده فنسعد بقربه، فالأنبياء عرفونا بربنا أولاً، وبيّنوا أوامره ونواهيه ثانياً، سؤال بسيط بديهي، أنا أريد أن أعبد الله أين أمره؟ ماذا أفعل؟ ماذا أدع؟ جاء الأنبياء بالأوامر والنواهي، بمنهج قوامه افعل ولا تفعل، هذا المنهج هو العبادة، في كل علاقاتك، في بيتك، مع جسمك، في طعامك، في شرابك، في نومك، في قضاء حاجتك، في علاقتك بزوجتك، في علاقتك بأولادك، في علاقتك بجيرانك، في علاقتك بمن حولك، في علاقتك بمن تتعامل معهم، افعل ولا تفعل، هذا المنهج الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام هو العبادة فكيف نعبده ولا نعرف أمره؟ عن طريق مَنْ جاءنا أمره؟ عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام، إذاً أولاً: النبي عرّفنا بربنا من خلال ملكوت السماوات والأرض، وعرّفنا بأوامره ونواهيه، كيف نسعد بقربه؟ والنبي في المرحلة الثالثة كان وسيطاً بيننا وبين ربنا؟ قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (35)**

**سورة المائدة**

**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103)**

**سورة التوبة**

**إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (56)**

**سورة الأحزاب**

أعيد عليكم الفكرة، علة الخلق أن نعرفه فنعبده فنسعد بقربه، النبي عليه الصلاة والسلام بخاصة والأنبياء بعامة عرفونا بالله عز وجل من خلال لفت نظرنا إلى آيات السماوات والأرض، ثم إن الأنبياء بما أُنزل عليهم من شرع عرفونا بالأوامر والنواهي، بمنهج افعل ولا تفعل، في كل شؤون حياتنا الشرع يصل إلى أدق دقائق الحياة، كيف يجب أن تُقلّم أظافرك؟ هناك طريقة في الشرع، كيف يجب أن تأكل، كيف يجب أن تنام، كيف يجب أن تفعل في شؤونك الذاتية، كيف تفعل في مالك، كيف تنميه، كيف تطرده، كيف تبيع وتشتري، أكثر من سبعين حديثاً في البيوع، إذاً هذا هو أمر الله عز وجل، يا أخي أنا مستعد أن أطيع الله، أين أمر الله؟ جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ** ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)

**سورة آل عمران**

## 3. النبي الكريم هو الوسيلة التي يتقرب بها الإنسان إلى الله:

المرحلة الثانية بعد أن عرفته وبعد أن عبدته، الآن لك أن تُقبِل على الله عزّ وجل بمعيته، فما هي الوسيلة: عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِي يَقُولُ إِنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ مُؤَذِّنًا فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ثُمَّ سَلُوا لِيَ **الْوَسِيلَةَ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ**، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ.

**صحيح أبو داود**

النبي عليه الصلاة والسلام باب الله، وأي امرئ أتاه، وأي امرئ أتاك من غيره لا يدخل إلى الله، لا يدخل المرء على الله عزّ وجل إلا من باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، من هنا كان قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ فهذا المنهج الرباني المبني

على أسس ثلاث؛ المعرفة والعبادة والسعادة، النبي عليه الصلاة والسلام في كل مرحلة هو الأصل فيها، إذاً حاجتنا للنبي ولكل الأنبياء حاجة أساسية وحاجة مصيرية.

## 4- معرفة الخير والتحذير من الشر يكون عن طريق الأنبياء:

شيء آخر؛ كلكم يعلم أن علّة الخلق أيضاً الابتلاء، قال الله:

**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة المُلك**

إذاً نحن مبتلون:

**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)**

**سورة المؤمنون**

أي تستطيع أن تقول: إن جوهر الحياة الدنيا أن ينكشف الإنسان على حقيقته، الصالح والطالح، الخيّر والشرير، المعطاء والبخيل، الرحيم والقاسي، المُقسط والظالم، لابد من أن تنكشف النفوس على حقيقتها، فالابتلاء علّة الوجود، علّة أخرى أن ينكشف الإنسان على حقيقته، قال الله:

**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)**

**سورة الماعون**

**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)**

**سورة القصص**

**أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى (9) عَبْدًا إِذَا صَلَّى (10) أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى (11) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى (12) أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (13) أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى (14)**

**سورة العلق**

فما دامت العلة هي الابتلاء فمن الذي يُبين لنا طريق الخير والشر؟ هو النبي عليه الصلاة والسلام، من الذي يبين لنا طريق الخير وطريق الشر؟ هو النبي عليه الصلاة والسلام، ومن الذي يحببنا بطريق الخير ويحذرنا من طريق الشر؟ هو النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب شهير اسمه: الترغيب والترهيب، هو من أحاديث النبي عليه الصلاة والسلام، كل أمر من أمور حياتنا كيف رغّب به النبي؟ وكيف رهبنّا منه؟ رغّبنا في الطاعة ورهّبنا من المعصية، فالترغيب والترهيب أساس من أسس هذا الكتاب، لذلك كان عنوانه: الترغيب والترهيب، فالوجه الآخر من أحقية النبي عليه الصلاة والسلام هو أن علّة الحياة الابتلاء، ﴿**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلا**﴾ وهذا الابتلاء يقتضي أن تُعرّف المُبتلى بالخير وبالشر، أن تُعرّفه بالخير حتى يأتيه، وأن تُعرّفه بالشر حتى يجتنبه، وينبغي أن تُعَرفه أيضاً بطريق الخير، وبطريق الشر، ومن أجل أن يسلك طريق الخير، وأن يحيد عن طريق الشر، ويجب أن تحببه بالخير وأن تحذره من الشر، فمهمة النبي عليه الصلاة والسلام تعريفٌ بالخير، وبيان لطريقه، وترغيب فيه، وتعريف بالشر، وبيان لطريقه، وتحذير منه، قال الله:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (168)**

**سورة البقرة**

خطوات الشيطان طريق الشر، قال الله:

**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا (32)**

**سورة الإسراء**

لم يكن النهي عن الزنا، بل كان النهي عن الاقتراب من الزنا، ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا**﴾ فللخير طريق وللشر طريق:

**وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ (7)**

**سورة الحجرات**

## علة إرسال الرسل إلى البشر:

العلة الأولى للخلق هي أن نعرفه فنعبده فنسعد بقربه، والنبي بخاصة والأنبياء بعامة وجودهم أساسي في كل مرحلة من مراحل معرفة الله، وعبادته، والسعادة بقربه.

والعلة الثانية للحياة هي الابتلاء، والابتلاء يقتضي أن نعرف الخير من الشر، لذلك لولا أنَّ الله سبحانه وتعالى أرسل رسله ليُعَرّفوا الناس بالخير وبالشر لكانت الحجة مع الناس، وليست مع الله عزّ وجل، هكذا قال الله عزّ وجل:

**رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (165)**

سورة النساء

لِئلا يكون على الله حجةٌ بعد الرسل، امرأة في أول لقاء مع زوجها قالت له: إنني امرأة غريبة لا أعرف ما تُحب وما تكره، فقل لي ما تحب حتى آتيه وما تكره حتى أجتنبه، فكيف الله عزّ وجل؟ يحاسبنا يوم القيامة ولم يبين لنا أوامره ونواهيه! الخير والشر، لذلك قال تعالى:

**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)**

سورة الشمس

إيّاكم أن تفهموا هذه الآية كما يفهمها بعض ضيقي الأفق، ألهمها أن هذا العمل فجور، ليس ألهمها أن تَفْجُر، حاشا لله أن يُلهم الله عزّ وجل إنساناً أن يفجُر، أي كأن تجد ابنك في طريق غير صحيح، تُقرّع آذانه ليلاً نهاراً، يا بني أنت مخطئ، أنت في طريق الهاوية، أنت في طريق الدمار، الأب يُلهم ابنه فجوره، يبين له أنه يفجر، أو أنه مقصر، فربنا عزّ وجل كيف يحاسبنا قبل أن يبين لنا؟ عن طريق من بين لنا؟ عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام، كيف نعرف الله إلا من خلال النبي عليه الصلاة والسلام؟ قال الله:

**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (45) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (46)**

سورة الأحزاب

**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ** وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)**

**سورة الحشر**

مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ **وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)**

**سورة النساء**

**يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ** وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ **إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ (62)**

**سورة التوبة**

**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (65)**

**سورة النساء**

إذاً العلة الثانية علة الخلق الابتلاء، والابتلاء يقتضي أن تعرف الخير من الشر، وطريق الخير من طريق الشر، وأن تُحبب بالخير وأن تُحَذر من الشر، هذه مهمة النبي عليه الصلاة والسلام، نحن من خلال السنة المُطهرة عرفنا الخير وعرفنا الشر، ومن خلال السنة المُطهرة عرفنا طريق الخير وطريق الشر، ومن خلال السنة المُطهرة رغّبنا النبي بالخير، ورهّبنا من الشر، قال تعالى:

وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ **لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى (134)**

**سورة طه**

أي قوم فعلوا الفاحشة فاستحقوا الهلاك فأهلكهم الله عز وجل، ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ إذاً إرسال الرسل لإقامة الحجة على البشر، نبهتك، حينما يُنَبه الأب ابنه مرات عديدة على مسمع من إخوته وأمه، ويحذره مغبة عمله، وبعد ذلك

يقع هذا الابن في سوء عمله، وفي شر عمله، يدفع الثمن باهظاً لا يستطيع أن ينطق بكلمة، لو أن الأب انتهى عن تبليغه، وانتهى عن تحذيره، وانتهى عن تنبيهه لقال لأبيه: يا أبتِ لو أنك نبهتني، لو أنك حذرتني، لو أنك ذكرتني، لو أنك لفت نظري، لو أنك وبختني، لو فعلت بي كذا وكذا، قال تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى**﴾ هذه العلة الثانية، من باب التلخيص العلة الأولى يجب أن نعرفه فنعبده فنسعد بقربه، والنبي عليه الصلاة والسلام وجوده أساسي في معرفة الله، وفي عبادته، وفي السعادة بقربه، والعلة الثانية علة الابتلاء، والابتلاء يقتضي ان نعرف الخير من الشر، والحق من الباطل، وما يجوز وما لا يجوز، والطاعة من المعصية، وأن نعرف طريق الخير والشر، وأن نُحَبّب بالخير وأن نُحَذر من الشر، والنبي عليه الصلاة والسلام سنته المطهرة أساسية في هذا المضمار.

## كيف ترقى إلى الله؟

الآن كما ذكرت لكم يوم الجمعة أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان، وخلق في الإنسان استعداداً للخير والشر، استعداداً للضلال والهدى، مثل بسيط؛ هذه السيارة صُنعت ويمكن أن تنقلك إلى حيث تريد، ويمكن أن تُدَمّر صاحبها، إذا أُحسن قيادتها تنقله إلى حيث يريد، فإذا قادها إنسان جاهل أرعن قضت عليه، وسببت هلاكه، فهذه السيارة فيها إمكانية الخير والشر، إمكانية أن تنقلك إلى أي مكان تريد، وإمكانية أن تُنهي حياة صاحبها إذا كان أرعن، فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وفيه استعداد للخير واستعداد للشر، بمعنى أنه خلق فيه شهوات، هذه الشهوات حبّ الطعام، الحاجة إلى الطعام، الحاجة إلى بقاء النوع، هذا الميل الجنسي، بقاء الفرد يحتاج إلى طعام، بقاء الفرد–النوع–يحتاج إلى زواج، والحاجة إلى بقاء الذِّكر، الأهمية، كل إنسان يحب أن يكون له أهمية، هذا دافع أساسي بالإنسان، هناك إنسان يثبت قيمته من خلال عمله، هناك إنسان يثبت قيمته من خلال عطاءاته، هناك إنسان يثبت قيمته من خلال إيقاع الأذى بالناس، على كل الإنسان له أهمية، أي إما أنه يُرجى خيره، أو يُتقى شره، ففي الإنسان ميول فطرية، هذه العلماء طبعاً قننوها، أول ميل: الحاجة إلى الطعام والشراب، يُعبر عنها بالحاجة إلى بقاء الفرد، إذا أحرزت النفس قوتها اطمأنت، الحاجة الثانية: الحاجة إلى بقاء النوع، أي حاجة الرجل إلى المرأة، يا بنيتي لو أن المرأة استغنت عن الزوج لغنى

أبويها، أو لشدة حاجتهما إليها لكنت أغنى الناس عنه، لكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، هكذا سنة الله في الأرض.

الحاجة الثالثة؛ حاجة بقاء الذكر، كل إنسان يوجد عنده دافع أساسي بحياته، غير الطعام والشراب، وغير تأمين حاجة بقاء النوع، حاجة أن يكون ذا أهمية، فالمؤمن يلبي هذه الحاجة عن طريق فعل الخير، يرفع الله ذكره بين الناس فيُروى هذا الميل، والكافر يلبي هذه الحاجة عن طريق إيقاع الأذى بين الناس، فيتقوا الناس شره ويعظمونه اتّقاء شره، فيروى هذا الميل، فهناك ميول أو حاجات أو دوافع أو دلائل، هذه المسميات لأشياء واحدة، حاجات، ميول، دوافع، غرائز، هذه بشكل أو بآخر الشهوات، قال الله:

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)**

**سورة آل عمران**

أي الله سبحانه وتعالى ركّب فينا هذه الشهوات لنرقى بها إلى ربّ السماوات، والله الذي لا إله إلا هو لولا هذه الشهوات التي رُكّبت فينا لما كانت جنة، بعض الجهلة يقول: يا رب خلقت الجمال فتنة وقلت: يا عبادي اتقون، هذا جاهل، قد يقول أحدهم: لمَ هذه الشهوات؟ لولا الشهوات لما كنت شيئاً تستحق الذكر، كيف ترقى إلى الله؟ لو أن المال لا قيمة له عندك، لو أنفقت مئة ألف لا ترقى، لأن الله سبحانه وتعالى أودع في قلبك حبّ المال، فإذا أنفقت المئة ليرة وأنت في أمس الحاجة إليها ارتقيت إلى الله عزّ وجل، كيف ترقى إلى الله إن لم يكن في قلبك حبّ للنساء، إذا مرت امرأة في الطريق فغضضت الطرف عنها وكنت لا تخشى إنساناً، كيف ترقى إلى الله عز وجل إن لم يكن في قلبك حبّ للنساء؟ تغض طرفك عن امرأة ليس في الأرض كلها تشريع يُحظر عليك ألا تنظر إليها؟ من يحاسبك؟ أنت في الطريق، طريق عام امرأة مزينة تبدو بأبهى زينة، من يمنعك أن تنظر إليها؟ هل في الأرض كلها قانون يمنعك من هذا؟ من يُحِسّ أنك نظرت إليها؟ قد تكون في غرفتك والنافذة مفتوحة، تُفتح نافذة بيت الجيران، تُطلّ منها امرأة، من الذي يدري من العالمين أنك تنظر إليها؟ لا أحد، فإذا غضضت الطرف فهذا يؤكد لك أنك مخلص لله عزّ وجل، لأن هذا العمل لا يفعله إلا المخلص، خلق في نفسك حبّ الطعام وقال لك:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)**

**سورة البقرة**

تدخل إلى الحمام في أيام الصيف الظامئة، وأنت صائم، وتفتح صنبور المياه الباردة من الذي يمنعك ألا تشرب منه إبريقاً؟ من؟ دخلت إلى الحمام كي تتوضأ وقفلت الباب وأنت صائم وعندك حنفية العداد مثل الثلج، الساعة الرابعة والنصف في شهر آب، وأنت سوف تلتهب، من الذي يمنعك ألا تشرب؟ لولا هذه الشهوات لما ارتقيت إلى رب السماوات، لولا أنك تعطش وتجوع، وتُحِبّ الجمال، وتحبّ المال، وتحبّ العلو في الأرض، لما ارتقيت إلى الله عزّ وجل، قال الله:

**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (40) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (41)**

**سورة النازعات**

يأتي يوم، يوم القيامة إن شاء الله تعالى:

**وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (74)**

سورة الزُمر

بعض العلماء حاروا في هذه الآية، أية أرض هذه؟ ﴿**أَوْرَثَنَا الأَرْضَ**﴾ نحن في الجنة الآن، ما علاقة الأرض بالجنة؟ الأرض مضت، بعض المفسرون قالوا: حينما دخل أهل الجنة الجنة، وسعدوا فيها، عرفوا أنه لولا أنهم كانوا في الأرض، ولولا أن الله أودع فيهم الشهوات، ولولا أنهم بهذه الشهوات ارتقوا إلى رب السماوات لما كانوا في الجنة.

## كيفية ممارسة الشهوات وفق نظامها الصحيح:

لذلك هذه الشهوات التي خلقها الله فينا سبب لرقينا، وسبب لتحركنا، وسبب لدخولنا الجنة، ماذا تملك أنت لو أنك لا تحب شيئاً ولا تكره شيئاً، ماذا تملك؟

خطر في بالي خاطر قبل أيام لولا دافع الطعام والشراب لما كان هذا المجلس، لا البنّاء بنى، ولا النجار نجر، ولا الحداد صنع، ولا الخياط خيّط، ولا اللحام ذبح، ولا الخضري ما من حاجة للعمل، هذه الأرض

المعمورة لولا دافع الطعام والشراب لما كان الإنسان، تجد الإنسان يسعى ويكد ويُنشئ مشروعاً حتى يكسب قوت يومه، فلولا هذا الدافع لما رأيت هذه البناء قائماً، ولا هذا الكتاب مطبوعاً، ولا هذا الكأس مصنوعاً، لكنك إما أن ترقى بها إلى الله عز وجل وإما أن تكون السبب في شقاء الإنسان.

مثال بسيط؛ هذا الوقود السائل البنزين، سائل كهذا الماء؟ لا، هذا البنزين فيه طاقة، لو أنك أخرجت هذا السائل وصببته على محرك السيارة، وأعطيته شعلة من النار لاحترقت السيارة، أما إذا سار هذا السائل من المستودع في الأنابيب الدقيقة المُحكمة المخصصة له إلى جهاز التنظيم، إلى غرف الاحتراق، دُفِعت هذه المكابس، دار الساعد، حرّك السيارة، فبين أن يكون البنزين قوة مُحركة وبين أن يكون قوة مدمرة، هذه الشهوة؛ إما أن تكون هذه الشهوة قوة محركة إلى الله عز وجل، وإما أن تكون هذه الشهوة قوة مدمرة.

من الذي يُعَرفنا كيف نمارس هذه الشهوات؟ هناك شهوة للطعام والشراب، جاءت الأحاديث الكثيرة في الاعتدال في الطعام والشراب: عن المقداد بن معدي كرب الكندي في مسنده: قَالَ سَمِعْتُ الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيَّ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **مَا ملأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ** فَثُلُثُ طَعَامٍ وَثُلُثُ شَرَابٍ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ.

**صحيح : الإمام أحمد**

أحاديث كثيرة في الطعام والشراب، كيف نحقق شهوة بقاء النوع؟ قال تعالى:

وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (29) إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (30) فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (31)

**سورة المؤمنون**

دخل في هذا كل أنواع الانحرافات، إذاً هذه الشهوات قوى مُحركة أو مدمرة، من الذي يبين لنا كيف نستفيد منها؟ وكيف نتقي شرها؟ الأنبياء، هل تعرف أنت أنه لا يجوز أن تتزوج أختك من الرضاع إلا بعد نزول الشرع على هذا النبي الكريم؟ شخص يتسامر مع إنسان قال له: والله عندي أول ولد أعمى، والثاني كسيح، والثالث معه هُشاشة في العظام، قال له: عجيب! ما هذا الحظ الذي لك، قال له: هكذا، قال له: ما السبب؟ قال له: والله ليس هناك سبب، قال له: غير ممكن، قال له: يقولون أنا آخذ أختي من الرضاعة، هذا

شرع مبني على أُسس علمية، يوجد علاقات بيولوجية، من بيّن لنا أن هذه العمة والخالة لا يجوز، وابنة الأخ، وابنة الأخت، فالمحارم من النساء:

**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (23)**

**سورة النساء**

لذلك الآن خبر لا ينبغي ان يذكر، معظم حالات الزنا في أوروبا وأمريكا تتم بين الأقارب، بين المحارم، العدوان على الأخت، والعدوان على البنت شيء مألوف جداً في المجتمعات الغربية، إحصاء دقيق جداً، إحصاء علمي، حالات الزنا تكاد تكون ثلاثة وثلاثين بالمئة من حالات الزنا بين المحارم تتم، هذا الشرع يبين لك، هناك محارم، هناك اختلاط أنساب، هناك دماء، هناك تشوهات خَلقية وخُلُقية، لذلك هذه الشهوة من الذي يُبيّن لك كيف تمارسها؟ النبي عليه الصلاة والسلام، من الذي يقول لك يجب أن تبتعد عن زوجتك في الحيض؟ أكثر من سبعين مرضاً ينشأ عن اللقاء الزوجي في أثناء الحيض، قال تعالى:

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ** فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222)

**سورة البقرة**

أي ينقطع الدم، ﴿**فَإِذَا تَطَهَّرْنَ**﴾ أي اغتسلن ﴿**فَأْتُوهُنَّ**﴾ إذاً هذه الشهوة سلاح لك أو عليك، قوة محركة أو مدمرة، نافعة أو ضارة، من الذي يبين لك وجه استعمالها؟ الأنبياء، إذاً نحن بحاجة ماسة إلى الأنبياء.

## 5- القدوة الحسنة:

شيء آخر؛ الحق مهما كان ناصعاً، ومهما كان واضحاً، ومهما كان منطقياً، ومهما كان متماسكاً، ما دام الحق كلاماً بكلام، كلام في هواء أو حبر على ورق، لا يطبقه الإنسان إلا أن يجد إنساناً أمامه مطبقاً للحق، هذا اسمه الأسوة الحسنة، القدوة الحسنة، قال تعالى:

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ **وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)**

**سورة الأحزاب**

مثل واحد أنفع للناس من عشرة مجلدات، الناس لا يصدقون إلا المثل الحيّ، النبي الواحد بخُلقه وجهاده أهدى للبشرية من آلاف الكتّاب الذين ملؤوا بالفضائل والحِكَم بطون المجلدات، الناس يتعلمون بعيونهم ولا يتعلمون بآذانهم، أعطه خمسين محاضرة ثم اكذب أمامه كذبة واحدة تعلّم الكذب، خمسون محاضرة ما أفادتك؟! تعلّم الكذب العملي، قل له: إني لست موجوداً، يقول له: قال بابا هو ليس موجوداً، علمته الكذب، أين كنتِ؟ ما كنت في أي مكان، كنت في البيت، وهي أمام ابنها ذهبت إلى بيت الجيران، ورجعت لا تقل لوالدك، علمتموه الكذب، لذلك الناس لا يتعلمون بآذانهم، يتعلمون بعيونهم.

فالأنبياء عليهم صلوات الله هم المثل العليا، والقدوة الحسنة للبشر، ما الذي يحملك على أن تستقيم؟ أن هناك في حياتك إنساناً مستقيماً، ما الذي يحملك على غضّ البصر؟ أخي شيء صعب، هناك أناس يغضون بصرهم، من الذي يحملك على ترك الحرام؟ أن هناك أناساً ملء السمع والبصر تركوا الحرام، لذلك أسرع طريق إلى نشر الحق القدوة الحسنة، فالأنبياء كانوا قدوة حسنة قال تعالى:

لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (128)

**سورة التوبة**

ما رأيت أحداً يحب أحداً كحبّ أصحاب محمدٍ محمداً، لماذا أحبوه؟ لأنه كان أرأف بهم من أنفسهم، أرحم بهم من أنفسهم، مرة كان مع النبي سواكان، فلقي صحابياً أعطاه السواك المستقيم وأخذ له السواك المعوج، أسوة حسنة، ما آثر نفسه أبداً، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: **كَانُوا يَوْمَ بَدْرٍ بَيْنَ كُلِّ ثَلاثَةِ نَفَرٍ بَعِيرٌ، وَكَانَ زَمِيلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ قَالَ: وَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالا لَهُ: ارْكَبْ**

**حَتَّى نَمْشِيَ عَنْكَ؟ فَيَقُولُ: مَا أَنْتُمَا بِأَقْوَى مِنِّي** – أنا شاب أيضاً أستطيع أن أمشي–**وَمَا أَنَا بِأَغْنَى عَنِ الأَجْرِ مِنْكُمَا.**

**تخريج المسند لشعيب: حسن**

في معركة أحد لا يوجد رواحل، مئة راحلة وثلاثمئة مقاتل، هذه المعركة كلها، أسوة حسنة.

كان في نزهة أو في غزوة، لا أدري، قال أحدهم: عليّ ذبحها –الشاة–وقال الثاني: عليّ سلخها، وقال الثالث: عليّ طبخها، قال صلى الله عليه وسلم: وعليّ جمع الحطب، فقالوا: نكفيك ذلك يا رسول الله؟ قال: أعلم ذلك، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه، أين الطعام ألم ينته بعد؟ قُم تحرك، ولكن الله يكره أن يرى عبده متميزاً على أقرانه، أسوة حسنة.

## خلاصة الدرس:

كملخص سريع لهذا الدرس، الله سبحانه وتعالى أرسل رسله ليُعَرِّفوا به، وليبينوا أوامره ونواهيه، وليكونوا وسطاء في الإقبال عليه، وأرسل رسله أيضاً كي يبينوا للناس الخير من الشر، وطريق الخير من طريق الشر، ويُحببوا الناس بالخير، ويُبغضوا الناس بالشر، والله سبحانه وتعالى أرسل رسله ليعرِّفوا الناس بأن هذه الشهوات التي أودعها الله في البشر كيف يأخذون خيرها، ويجتنبون شرها، إنها قوى مُحركة أو مُدمرة، لولا الشهوات لما ارتقى الإنسان إلى ربّ السماوات، وفي الوقت نفسه قد تكون الشهوة مدمرة لصاحبها، وهذا ما حصل مع أوروبا، مع دول الغرب، عدوا الشهوة كل شيء بالحياة فدُمِّروا من أجلها، الآن الرعب القاتل في العالم الغربي مرض الإيدز، هذا المرض سببه الانحراف الأخلاقي، أي كل العلاقات خارج الحياة الزوجية، الزنا وما شابه الزنا، والمخدرات وما شابه المخدرات، فهذا المرض يفتك بالناس بسرعة فائقة، بل إن منظمة الصحة الدولية العالمية قالت قبل يومين: إن كل الجهود التي بُذِلت من أجل القضاء على هذا المرض باءت بالفشل، كل ما فعلناه أننا خففنا من سرعة انتشاره، وصل إلى أوروبا وإلى أمريكا واليابان ودول شرقي آسيا، وفي أمريكا وحدها خمسة عشر مليون إصابة، وهذا إذا أصاب الإنسان يموت خلال ستة أشهر، انحلال المناعة، سببه الانحراف، من الذي يبين للناس أن هذه الشهوة استعمِلوها في هذا الطريق؟ في الزواج فقط؟ الأنبياء، طبعاً شهوة المال أيضاً وكل الشهوات.

وآخر شيء؛ الأنبياء بيّنوا الحقائق العلمية، من الذي نهانا؟ كيف نُهينا عن أن نقرب النساء في المحيض؟ الشرع الذي أُنزل على هذا النبي الكريم، هذه حقائق علمية محضة.

وشيء آخر؛ لابد للهدى من مُثل عليا، من قدوة صالحة، فالأنبياء بعصمتهم، لو أنّ النبي فعل غلطة واحدة لسقطت عصمته، وذهبت مكانته، من فضل الله عزّ وجل أن الأنبياء معصومون عن الخطأ، أبداً، لذلك كانوا قدوة ومُثلاً عليا لبني البشر، فنحن بحاجة ماسة إلى الأنبياء، هذا بحثٌ علمي عن وجه الحاجة إلى الأنبياء والرسل، فالإيمان بالأنبياء والرسل حقّ يقيني من لوازم العقيدة، بل إنه من العقائد التي يجب أن نعلمها بالضرورة، والآن بيّنا لماذا أرسل كان الأنبياء، لماذا أرسل الله الأنبياء والرسل لبني البشر؟

## استشكال ورد:

يوجد ملاحظة واحدة، كثير مع التوضيحات الدقيقة يبقى هناك أُناس لا يُحسنون الفهم أحياناً، في موضوع الجن أنا ذكرت أنه كل من يتعاون مع الجن لإضلال البشر فهو كافر، كل من يتعاون مع الجن لإضلال البشر، لإيهام البشر أنه يعلم الغيب، لإيهام البشر أنه يفعل كذا وكذا، مع أنَّ النبي عليه الصلاة والسلام قال:

**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا** إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

**سورة الأعراف**

انتهى الأمر، قل:

قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ **وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ** وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)

**سورة الأنعام**

إذا كان سيد الأنبياء، حبيب الحق لا يعلم الغيب، ولا يملك الضّر والنفع فهل يستطيع إنسان على وجه الأرض بمعاونة الجن أن يعلم الغيب؟ قال تعالى:

**فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ (14)**

**سورة سبأ**

وضحنا هذا كثيراً، يبدو أنَّ بعض الإخوان فهموا أنهُ إذا كان إنسان رجل دين له صِلة بالله عزّ وجل، له إقبال على الله عزّ وجل، له مكانة عند الله عزّ وجل، التقى بإنسان مسحور فقرأ له القرآن، وتوجّه إلى الله عزّ وجل كي يشفى هذا الإنسان فشفي، هذا ليسَ من عمل الجن، هذا من عمل التوحيد، لم أذكر أن هذا العمل غير صحيح، إذا أنت إنسان قريب من الله، وقرأت القرآن بنية أن تُخلّص هذا المسحور من سحره، أو كبّرت الله، أو أذّنت، من السنة إذا شاهد الشخص اثنين يتخاصمان ودخل فيهما الشيطان أن يؤذن، فإذا الإنسان له صلة بالله عز وجل، وله إقباله، وهو موحد، وهو متصل، وجاءه مسحور فقرأ له القرآن وزال عنه سحره، هل يُعد هذا تعاون مع الجن؟ لا والله، هذا استمداد من الله عز وجل، قال تعالى:

**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)**

**سورة فصلت**

**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (201)**

**سورة الأعراف**

فأنا لم أقصد إذا إنسان مسحور أو مصاب بلمسة من الجن إذا أتى عالم مقرب من الله عز وجل، مستقيم، مُقبل، له صلة بالله، فقرأ عليه القرآن، وذكر الله، ففُكّ عنه هذا السحر، هذا عمل عظيم، هذا عمل بدافع من اتصاله بالله عز وجل، أما الذي يتعاون مع الجن لإيهام الناس أنه يعلم الغيب، ولإيهام الناس أنه يفعل كذا وكذا ليُضلهم عن سبيل الله فهذا هو الكفر، قال تعالى:

**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ (221) تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (222)**

**سورة الشعراء**

الموضوع واضح، أعتقد لا يوجد شك، ما تعرضت أنا للذي يفك السحر عن المسحورين بسبب ذكر الله تعالى، أما الذي يفك السحر بتعاونه مع الجن فهذا الأمر مشكوك فيه، أما من يفك السحر بإقباله على الله فهذا عمل عظيم، ويُشكر عليه.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 27-63: مهمة الرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### وظيفة الرسول:

### 1- تبليغ الشريعة الربانية للناس:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السابع والعشرين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى موضوع متعلق بالإيمان بالرسل وهو وظائف الرسول ومهماته، فأول وظيفة من وظائف الرسول هي تبليغ الشريعة الربانيّة للناس، المهمة الأولى مهمة التبليغ، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**

**سورة المائدة**

فمهمة التبليغ هي المهمة الأولى للرسول، هذه المهمة تقتضي الأمانة، فينبغي أن يُبَلِّغ النبي والرسول ما أُنزل إليه من ربه من دون زيادة أو نقصان، من دون تحريف، الذي أُنزل إليه من ربه يجب أن يُبلّغ بالتمام والكمال، ويجب أن يُبلّغ على الوجه الذي أُمر به، من دون تغيير أو تبديل أو كتمان، فإن كانت نصوصاً مُنزلة من عند الله فعليه أن يبلغها كما أُنزلت، هذا هو القرآن الكريم، النص والمعنى، فالذي بلّغنا إياه النبي عليه الصلاة والسلام هو الذي نزل به الروح الأمين.

تعريف القرآن: هو الكلام المعجز الذي نزل به جبريل عليه السلام على قلب النبي عليه الصلاة والسلام، الذي نتعبد الله بتلاوته، ونتقرب إليه بفهمه، والعمل به، وإن كانت معاني أوحيَ بها إليه فعليه أن يبلغها كما أُوحِي بها إليه، مثلاً: ليس كل مصلّ يصلي، إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي، وكفّ شهواته عن محارمي، ولم يُصرّ على معصيتي، وأطعم الجائع، وكسا العريان، ورحم المصاب، وآوى الغريب، كل ذلك لي، هذا حديث قدسي، ((باطل))، نزل على قلب الرسول صلى الله عليه سلم بالمعنى، فبلّغ المعنى كما نزل على قلبه لكن الصياغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإن كانت معاني أوحيّ بها إليه فعليه أن يُبلّغها كما أُوحِي بها إليه من دون زيادة أو نقص في معانيها، هذه المهمة مهمة التبليغ تبليغ النصوص كما أُنزلت، والمعاني كما أُنزلت، ذكرها القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿**يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ**﴾ ضمانة من الله عزّ وجل أن الله يحفظه حينما يُبَلغ ما أُنزل إليه من ربه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**﴾ وآية أخرى تؤكد مهمة تبليغ ما أُنزل إليه من ربه وهي قوله تعالى في سورة الأحزاب:

مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا (38)
الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ **وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)**

**سورة الأحزاب**

هذه الآية تنسحب على الدعاة المخلصين، يبلغون رسالات الله، صفة واحدة إذا توافرت فيهم توافرت فيهم صحة مهمتهم، وهي خشية الله، وعدم خشية من سِواه، لأن هذا الذي ينوب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في إلقاء العلم وتبليغ دعوة الله إلى الناس لو أنه خَشِي غير الله لسكت عن الحق إرضاءً لهذا الذي خشيه من دون الله، ولنطق بالباطل إرضاءً لهذا الذي خشيه من دون الله، فإذا سكت عن الحق ونطق بالباطل فماذا بقي من مهمة تبليغ رسالات الله؟ من باب أولى أن الذي يخشى غير الله ليس أهلاً أن يُبلّغ رسالات الله، قيل: كلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرب أجلاً، لا تخشَ في الله لومة لائم، قال الله:

**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)**

**سورة الحج**

**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ** وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30)

**سورة الأنفال**

هذه هي المهمة الأولى تبليغ الشريعة الربانية للناس نصوصاً مُنْزَلة كما هي، ومعاني مُنزلَة كما هي.

## 2- توضيح مدلولات القرآن الكريم:

المهمة الثانية؛ ربنا سبحانه وتعالى لحكمة بالغة لا نعلمها أو نعلم بعضها جعل طبيعة القرآن الكريم فيها عموم، وفيها شمول، وصياغة النص القرآني تحتمل معاني عدة، وتفسيرات عديدة، واتجاهات كثيرة، هذه الطبيعة في القرآن الكريم تكريم للإنسان، الإنسان فُتِح له باب الاجتهاد، فُتِح له باب تأويل النصوص، فُتِح له باب التفسير، فُتِح له باب الاستنباط، فكل هذه الاستنباطات التي استنبطها العلماء الكبار، الفقهاء الكبار رضوان الله عليهم، كل هذه الاجتهادات التي اجتهدها كبار المجتهدين، كل هذه الشريعة الثرّة الغنية إنما كانت بفضل هذه الصياغة القرآنية.

## أمثلة عن توضيح مدلولات القرآن الكريم:

لأضرب لكم مثلاً، ربنا سبحانه وتعالى في آية الوضوء يقول:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ **وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (6)**

**سورة المائدة**

انتهى الأمر، هذا التفصيل قطع كل اجتهاد، وأنهى كل خلاف، وأغلق كل باب للمعرفة: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ لو قال: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ**﴾ بعض العلماء يقول: اليد تعني إلى الكتف، وبعضهم يقول: اليد تعني إلى المرفق، وبعضهم يقول: اليد تعني إلى الكف، لكن الله عزّ وجل حينما حسم الأمر وقال: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾

أنهى كل اجتهاد، أنهى كل تفسير، أنهى كل تأويل، كان من الممكن أن يكون كتاب الله كله من هذا القبيل، انتهى، ثمانية آلاف وسبعمئة صفحة، فيه كل التفصيلات، لا يوجد علماء ولا يوجد مفسرون ولا يوجد مجتهدون ولا يوجد مستنبطون للأحكام ولا يوجد امتحان لحسن الظن بالله:

**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (8)**

سورة الشمس

ربنا عز وجل قال: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ سيئ الظن بالله يقول لك: هذا الذي يعصي الله اللهُ ألهمه أن يعصيه، هكذا الآية، ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ هذا الذي يشرب الخمر اللهُ ألهمه أن يشرب الخمر، هذا الذي يزني اللهُ ألهمه أن يزني، هذه الآية: ﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**﴾ يأتي عالم كبير يقول:﴿**فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا**﴾ بمعنى ألهمها أنها فاجرة، ألهمها أن عملها فجور، وأنها منحرفة، كأن يجد الأب ابنه منحرفاً أو مُقصراً، فلا يني ينصحه ويبين له، ويوضح له الحقائق، فبين أن تقول إن الله عزّ وجل هو الذي ألهم الزاني أن يزني، وبين أن تقول إن الله عزّ وجل ألهم الزاني أنه زان، وعليه أن يتوب، مسافة كبيرة، فربنا سبحانه وتعالى صياغة القرآن الكريم تقتضي الاستنباطات الكثيرة، والتأويلات العديدة، وتحميل كتاب الله وجوهاً عديدة، صار هناك علماء، صار هناك اجتهادات، صار هناك استنباطات، صار هناك مذاهب بالفقه، صار هناك منافسة، سيئ الظن كُشف أمره، حسن الظن كُشِفَ أمره بفضل هذه الصياغة.

مثل آخر؛ أنت أمام رجلين واحد بخيل، والآخر كريم، تركت لهما قُصاصة كُتِبَ فيها: أعط فلاناً ألف درهم ونصفه، البخيل يقول: جيد، هذا الأمر يعني ألف ونصف درهم، لأن ألف درهم ونصفه الهاء تعود على الدرهم، الكريم يقول: لا، هذه القُصاصة تعني ألفاً وخمسمئة درهم، لأن ألف درهم ونصفه الهاء تعود على الألف، فهذه صياغة فيها امتحان إلى طبيعة الكرم وطبيعة البخل، لو قال: أعطِ فلاناً واحداً، خمسة، صفرين ليرة سوري، انتهى الأمر، لم ينكشف هذا البخيل ولم ينكشف هذا الكريم، فأحياناً صياغة كتاب الله:

**هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7)**

سورة آل عمران

بعض آيات القرآن الكريم متشابهات، أي تُفسَّر تفسيراً يليق بكمال الله عزّ وجل، ويمكن أن تُفسَّر تفسيراً سيئاً يَنِم عن نقص معرفة بالله عزّ وجل، فربنا عزّ وجل هكذا حكمته، حكمته أن يُنَزِّل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً طبيعة صياغته تقتضي وجود العلماء المجتهدين، المستنبطين، المحققين، وهذا تكريم للإنسان، أي الله سبحانه وتعالى أعطى الإنسان وظيفة وهي استنباط الأحكام من النصوص، لذلك ظهر علم يُسمّى: أصول الفقه، ظهرت القواعد الفقهية العامة، ظهرت المذاهب، ظهر العلماء المفسرون، ظهر علماء الحديث، ظهر علم الجرح والتعديل، ظهرت علوم عظيمة بفضل طبيعة القرآن الكريم، هذه الصياغة المعجزة، فلذلك قد يسأل سائل: لو أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ترك لنا تفسيراً لكتاب الله وانتهى الأمر، انتهينا من كل خلاف، من كل مشاحنة، من كل تمزق، ومن قال لك يا أخي الكريم إن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يترك لنا تفسيراً كاملاً لكتاب الله؟ إنّه الحديث الشريف، الأحاديث الشريفة ما هي في حقيقتها إلا فهم النبي عليه الصلاة والسلام من كتاب الله، لذلك المهمة الثانية اقتضت حكمة الله العظيمة أن يجعل النصوص التي يُنزِلها للناس صفة الشمول والعموم والكليات، فهي إذاً بحاجة إلى بيان وتوضيح، ولذلك جعل من وظائف الرسول أن يبين للناس معاني هذه النصوص المُنزَلة للناس، ويُوَضِّح لهم مدلولاتها وإشاراتها، ربنا عزّ وجل قال:

**وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ** أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ **فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)**

**سورة فاطر**

قال: ﴿**وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ**﴾ ما معنى هذه الكلمة يا رب؟ أين هو النذير؟ يخاطب الله سبحانه وتعالى الناس يوم القيامة يقول: ﴿**أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ أين هو النذير؟ العلماء وقفوا عند هذه الآية تأملوها، قال بعضهم: النذير هو القرآن الكريم، والله شيء جميل، منطقي، وقال بعضهم الآخر: النذير هو الرسول، وقال بعضهم الآخر: النذير هم العلماء من بعد الرسول، والدعاة المخلصون الصادقون، وقال بعضهم: النذير هو سنّ الأربعين، قال الله:

**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (15)**

**سورة الأحقاف**

فالرجل يكتمل عقله في سنّ الأربعين، وقال بعضهم: النذير موت الأقارب، كان جاراً لك، كان صديقاً لك، كان قريباً لك، كان معك في العمل، كنت معه البارحة في وليمة، كنت معه في نزهة، طُرِق بابك صباحاً قيل لك: قد توفاه الله، موت الأقارب من النذير، وقال بعضهم: الشيب من النذير، عبدي شاب شعرك، وضَعُف بصرك، وانحنى ظهرك، فاستحي مني فأنا أستحيي منك، كلمة ﴿**وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ**﴾ عالم فهمها الرسول، عالم آخر فهمها القرآن، عالم ثالث فهمها العلماء من بعد الرسول، عالم رابع فهمها المصائب، عالم خامس فهمها موت الأقارب، عالم سادس فهمها الشيب، عالم سابع فهمها سنّ الأربعين، هكذا طبيعة كتاب الله، تحتمل التوجيهات العديدة، لذلك قال الإمام علي كرّم الله وجهه: القرآن ذو وجوه فاحملوه على أحسن وجوهه، القرآن حمّال أوجه، حينما كنا في الجامعة دخل علينا أستاذ علوم القرآن في أول محاضرة قالها لنا: أيها الطلبة الأعزاء القرآن ليس ملك أحد، لك أن تقول: فهمت من هذه الآية كذا وكذا، أما أن تقول: هذه الآية معناها الحصري والقصري كذا وكذا، هذا ليس في ملكك، هذا لا تملكه أنت، ليس القرآن ملك أحد، ملك المؤمنين جميعاً، كلهم يفهم بحسب إيمانه، وبحسب ورعه واستقامته، وبحسب دقة استنباطه، وبحسب تمكنه من بعض العلوم، فالقرآن بحر.

المهمة الثانية أن يبين النبي عليه الصلاة والسلام ما أُنزل إليه من ربه، والدليل قوله تعالى في سورة النحل:

**بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ** وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (44)

**سورة النحل**

واضحة كالشمس، ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ لتوضح، لتبيّن، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)**

**سورة البقرة**

آية موجزة، فجاء النبي عليه الصلاة والسلام وفسر في أحكام الصيام، سنّ لنا السحور، أمرنا أن نُفطِر بعد غروب الشمس مباشرة، أمرنا بأشياء كثيرة، بقيام الليل، أمرنا بسنن مستحبة، فكل هذا الذي أمرنا به هو دقة فهمٍ من كتاب الله.

## 3- هداية أمته إلى خير ما يعلمه لهم وإنذارهم شرّ ما يعلمه لهم:

الوظيفة الثالثة؛ هداية أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وإنذارهم شرّ ما يعلمه لهم، أي النبي عليه الصلاة والسلام بقُربه من الله سبحانه وتعالى، بإقباله عليه، باتساع أفقه، بصحة رؤيته، بعمق فهمه، بقربه من ربه، يعلم ما لا نعلم، ويرى ما لا نرى، ويدرك ما لا ندرك، ويشعر بما لا نشعر، ويعرف ما لا نعرف، لذلك فيما سوى تبيانه لنصوص القرآن الكريم، وفيما سوى تبليغه للحق والنصوص القرآنية التي أُنزلت على قلبه، مهمته الثالثة أن يرشدنا إلى ما ينفعنا وينهانا عما يضرنا، فسنَّ لنا أشياء كثيرة في علاقاتنا، كيف نعامل زوجاتنا؟ كيف نعامل إخوتنا؟ كيف نعامل أبناءنا؟ كيف يجب أن نعدل بينهم؟ كيف نعامل من حولنا؟ كيف نبيع؟ كيف نشتري؟ لذلك قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ رَبِّ الْكَعْبَةِ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ جَالِسٌ فِي ظِلِّ الْكَعْبَةِ وَالنَّاسُ مُجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ، فَأَتَيْتُهُمْ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلا فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّلاةَ جَامِعَةً فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**، وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلاء.

**صحيح مسلم**

هذه فقرة من حديث طويل رواه مسلم عن عبد الله بن عمر، إبلاغ النصوص القرآنية التي أُنزلت من عند الله، إبلاغ المعاني التي أوحي بها إلى قلبه صلى الله عليه وسلم، بيان وتفصيل وتوضيح ما أنزل إليه من نصوص قطعية، هداية أمته إلى خير ما يعلمه لهم، وإنذارهم شرّ ما يعلمه لهم.

## 4- تربية الناس على منهج الشريعة الربانية وتأديبهم بآدابها:

المهمة الرابعة؛ تربية الناس على منهج الشريعة الربانية وتأديبهم بآدابها، الآن يوجد عندنا نقطة مهمة جداً، أنه هناك شرع وهناك منهج، ما الفرق بين الشرع والمنهج؟ أنا أقول للطلاب مثلاً: عليك أيها الطالب أن تحفظ مئة بيت من الشعر، هذا هو المنهج، هذا هو الكتاب المقرر، أو هذا هو المقرر، يقول هذا الطالب: كيف أحفظها؟ ما طريقة حفظها؟ دلني على طريق أحفظها؟ أقول له: سجلها على دفتر صغير، واقرأ كل يوم خمسة أبيات، أَعِدها صباحاً ومساءً، ثم رددها، ثم اكتبها، ثم ذاكر بها أصدقاءك، عندئذٍ تحفظها، فأنا قد بينت له المقرر ودللته على المنهج.

فالنبي عليه الصلاة والسلام النصوص القرآنية بلغها كما أُنزلت، المعاني التي أوحي بها إلى قلبه بيّنها كما أوحي إليه، فسّر كل النصوص التي أُنزلت على قلبه، بيّن للناس ما يعلم أنه خير لهم، وأنذرهم ما هو شرّ لهم، الآن بيّن لهم منهجهم، كيف يستقيم الرجل على أمر الله؟ كيف يرضى عن ربه؟ قال: عن أبي هريرة رضي الله عنه: **انظروا إلى من أسفل منكم** ولا تنظروا إلى من هو فوقكم **فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله.**

**صحيح مسلم**

بيتك فيه ثلاث غرف وبهو، يوجد بيوت غرفة واحدة، صحتك طيبة، هناك أناس مصابون بأمراض وبيلة، فانظر لمن هو أدنى منك فذلك أحرى ألا تحتقر نعمة الله عليك.

## من آداب الشريعة الربانية:

### 1- الدعوة إلى الإصلاح يجب أن تكون مجردة عن الغرض الشخصي:

كيف يُعلمنا الطمأنينة؟ قال: لا يخافن العبد إلا ذنبه، ولا يرجون إلا ربه، علمك المنهج، فأولى فقرات هذا المنهج أن الدعوة إلى الإصلاح يجب أن تكون مجردة عن الغرض الشخصي، علمك الإخلاص، الإخلاص الإخلاص، درهم أُنفق في إخلاص خير من مئة ألف درهم أُنفِق في رياء، علّمك الإخلاص في العمل: عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **إِنَّمَا**

**الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ.**

**صحيح البخاري**

لذلك كان عليه الصلاة والسلام يعلّمنا الإخلاص والترفع عن الغرض الدنيوي:

**إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)**

**سورة الإنسان**

**أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (90)**

**سورة الأنعام**

﴿**قُلْ**﴾ يا محمد، علِّمهم، ﴿**لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا**﴾ أي علّم أصحابك، علّم المؤمنين أن يكونوا مخلصين، أن يترفعوا عن كل غرض دنيوي، أن يبتغوا بأعمالهم وجه الله سبحانه وتعالى، أول فقرة بالمنهج الإخلاص، علمنا الإخلاص، صلّ قيام الليل ففي صلاة قيام الليل تطمئن نفسك إلى أنك مخلص، لا أحد يراك، الناس نائمون، لا أحد ينتبه إلى عبادتك إلا الذي تعبده قال الشاعر:

فقم في الدجى لا تخش وحشـة　　　وكن ذاكراً فالأنس في طيب ذكرنا
وعن ذكرنا لا يشغلنّك شاغــل　　　وأخلـــص لنا تلق المسرة والهنا
وسلم إلينا الأمر في كل ما يكن　　　فما القـــرب والإبعاد إلا بأمرنـــا

علي بن محمّد بن وفا

كن مع الله تــر الله معـك　　　واتـــرك الكل وحاذر طمعـك
وإذا أعطاك من يمنعـــه؟　　　ثـــم من يعطـي إذا ما منعـك
ثم ضـــع نفسك بالذل لـه　　　قبــل أن النفس قهراً تضعـك
كنت لا شيء فأصبحت به　　　خير شيء في الورى قد طبعك
هذه ملـــة طـــه خـــذ بها　　　لا تُطـــع عنها قصـوراً دفعك

عبد الغني النابلسي

## 2- علّمنا أن أساليب الشدة والعنف لا تجدي مع الناس:

علمنا الإخلاص، وعلمنا أن أساليب الشدة والعنف لا تجدي مع الناس، **عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتِ اسْتَأْذَنَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ فَقُلْتُ: بَلْ عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ: يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ، قُلْتُ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ: قُلْتُ وَعَلَيْكُمْ.**

**صحيح البخاري**

**عَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّ الرِّفْقَ لا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلا زَانَهُ، وَلا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلا شَانَهُ.**

**صحيح مسلم**

**عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ».**

**صحيح البخاري**

علِّموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المُعنف، سأوضح لكم هذا الحديث: الذي عنده ابن أو عنده طالب من السهل عليه إذا أخطأ ابنه أو طالبه أن يضربه ضرباً مبرحاً، فهذا الطالب بدافع الخوف من ألم العقوبة ينضبط، فلهذا المعلم أجر، يأتي معلم آخر ينصح هذا الطالب، يبين له، يحاسبه مرات عديدة إلى أن يقنع الطالب بخطئه فيبتعد عنه، هذا الثاني معلم، يعطيه الله سبحانه وتعالى للمعلم غير الأجر الذي يعطيه للمُعنف، قيل: علموا ولا تعنفوا فإن المعلم خير من المعنف، إياك أن تعنف، من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف، قال تعالى:

**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)**

**سورة آل عمران**

أرسل عليه الصلاة والسلام خادماً في حاجة، يبدو أنه غاب كثيراً إلى أن غضب النبي عليه الصلاة والسلام، فلما جاء الخادم كان بيده سواك، فقال: والله لولا خشية العقاب لأوجعتك بهذا السواك، ما هذا السواك؟ ماذا يفعل السواك؟ أي كن حليما، قيل: كاد الحليم أن يكون نبياً، الحلم سيد الأخلاق، فقال تعالى:

**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125)**

سورة النحل

## 3- عدم محاباة أحدٍ في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

علّمنا النبي عليه الصلاة والسلام من قواعد المنهج عدم محاباة أحد في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لذلك العلماء فرّقوا بين المداراة والمداهنة، المداراة أن تبذل الدنيا للدّين، لك جار داريته، أكرمته، عاونته إلى أن أحبك، فلما أحبك أتيت به إلى المسجد، متى تأتي به بعد أن يحبك؟ بعد أن تقدم له خدمات حقيقية، بعد أن يحسّ أنك تحرص على مصلحته، أنك معه في الشدة، إذا شعر بهذا أحبك، لأن الله عزّ وجل يقول في الحديث القدسي: يا داود ذكّر عبادي بإنعامي عليهم، فإن النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها، شيء طبيعي، ادفع عن شخص بالسيارة، تراه يشكرك، ينزل يسلم عليك، أَسَرْته، بليرة وربع أَسَرْته، شيء طبيعي، يا داود ذكّر عبادي بإنعامي عليهم فإن النفوس جُبلت على حبّ من أحسن إليها، فإذا أردت أن تدعو إلى الله لابد من أن تفتح قلبهم بمعروفك، بإحسانك، بخدماتك، بحرصك، برحمتك، بعد أن يحبك، وتتمكن محبتك في قلبك عندئذ تقول له: اذهب معي، لذلك فرق كبير بين المداهنة والمداراة، المداراة بذل الدنيا من أجل الدين، بينما المداهنة بذل الدين من أجل الدنيا، تترك الصلاة من أجل أن تُرضي أحداً في معصية، تتكلم خلاف قناعاتك، تتكلم خلاف ما يمليه عليه إيمانك إرضاء لزيد أو عبيد هذه مداهنة.

## 4- القدوة الحسنة:

القدوة الحسنة أيضاً هي فِقرة في المنهج الذي بيّنه النبي عليه الصلاة والسلام، لذلك قال الله تعالى:

قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا **وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)

**سورة هود**

الناس يتعلمون بعيونهم لا بآذانهم، فالذي يحمل الناس على أن يستمعوا إليك صدقك في الدعوة، وأنك تفعل ما تقول، قال الله:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2)**

**سورة الصف**

وعالم بعلمه لم يعملَن　　　مُعذّب من قِبل عبّاد الوثن

**عبد المحسن العبّاد**

أي يجوز أهل جهنم يفاجؤوا برجل بينهم في جهنم كان له سمعة كبيرة في الدعوة إلى الله في الدنيا، أأنت فلان؟ يقول: نعم، ما الذي جاء بك إلى هنا؟ عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: قِيلَ لأُسَامَةَ: لَوْ أَتَيْتَ فُلانًا فَكَلَّمْتَهُ، قَالَ: إِنَّكُمْ لَتُرَوْنَ أَنِّي خَيْرُ النَّاسِ بَعْدَ شَيْءٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا: وَمَا سَمِعْتَهُ؟ يَقُولُ: قَالَ: سَمِعْتُهُ يَقُولُ يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلانُ مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: **كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ.**

**صحيح البخاري**

أنت تُعامل الله عزّ وجل، مُطَلّع على قلبك، اتّخذت الدين حرفة؟ اتّخذت الدين مطية للدنيا؟ أجعلت الدين في الوحول من أجل شهواتك؟ هذا دين، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، دينك دينك إنه لحمك ودمك.

أتريد الدنيا؟ اطلبها من مظانّها، اطلبها من التجارة، اطلبها من أيّ شيء إلا من الدين، دع الدين في صفائه، دعهُ في عليائه، دعه في طهره، دعه في سموه، ولا تجعله مطية للدنيا، فالنبي عليه الصلاة والسلام ما الذي جعل أتباعه الآن يزيدون عن ألف مليون؟ لأنه كان قدوة حسنة، كان أباً، وزوجاً، وصديقاً، وأخاً،

ومرشداً، وقائداً، وعطوفاً، ومُحباً، ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ والله سبحانه وتعالى أيضاً يقول:

**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)**

سورة الأحزاب

## 5- الشهادة على الأمة بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة:

إذاً من مهمة النبي الرسول الدعوة إلى الإصلاح بتجرد، والحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى سبيل الله، وعدم المحاباة والمداهنة، والقدوة الحسنة، والشهادة على الأمة بأنه بلّغ إليهم الرسالة، وأدى الأمانة، وقدم واجب النصيحة، لذلك أنت إذا زرت النبي عليه الصلاة والسلام من الدعاء المأثور أن تقف أمام باب حجرته الشريفة، وأن تقول: يا سيدي يا رسول الله أشهد أنك بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغُمّة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حقّ الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

**وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89)**

سورة النحل

النبي عليه الصلاة والسلام يشهد علينا أنه بلّغنا، لكن الله عزّ وجل رفع من قيمة أمته إلى درجة أنهم أيضاً شهداء على الناس، قال تعالى:

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (143)**

سورة البقرة

معنى ﴿**وَسَطًا**﴾ أي وسطاء بين عبادي وبيني، أي أنتم شهداء على من بلغتم والنبي شهيد عليكم يوم القيامة.

## خلاصة الدرس:

إذاً وظائف النبي بإيجاز شديد تبليغ الشريعة الربانية للناس نصوصاً قرآنية، ومعاني أوحي بها إلى قلبه الشريف، والمهمة الثانية تبيين معاني ما أنزل إليه من نصوص، صار عندنا قرآن كريم، حديث قدسي، حديث شريف، وهداية أمته إلى كل خير يعلمه أنه خير لهم، وإنذارهم من كل شر يعلمه أنه شرّ لهم، وتربية الناس على منهج الشريعة الربانية، وتأديبهم بآدابها، من آداب الشريعة من فقرات منهج الشريعة الدعوة إلى الإصلاح من دون غرض دنيوي، الإخلاص، والحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى سبيل الله، عدم محاباة الناس في الصدع بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، القدوة الحسنة، الشهادة على الأمة بأنه بلّغ إليهم الرسالة، وأدى الأمانة، وقدّم واجب النصيحة، هذه بعض وظائف النبي عليه الصلاة والسلام.

وسوف نتحدث في درس قادم عن الفرق بين النبوة والعبقرية، والفرق بين رسالات السماء وفلسفات أهل الأرض، وبذلك نكون قد تابعنا الحديث عن الإيمان بالرسل، وهو من العقائد التي يجب أن تُعلم بالضرورة.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 28-63: الموازنة بين النبوة والعبقرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الفرق بين النبوة والعبقرية وما شابه ذلك:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثامن والعشرين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس السابق في موضوع الإيمان بالرسل إلى موضوع دقيق هو الموازنة بين النبوة والعبقرية، فأعداء الإسلام يصفون النبي عليه الصلاة والسلام بأنه عبقري، أي متفوق في ذكائه، واستطاع بما أُوتِي من عبقرية أن يجمع الناس حوله، هذا ادعاء أعداء الإسلام، ولكن النبوة شيء والعبقرية شيء آخر، والنبوة شيء، والمُلك شيء آخر، في موضوع الفرق بين النبوة والمُلك دخل سيدنا عمر رضي الله عنه على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان مضطجعاً على حصير أثّر في خده الشريف، فبكى عمر وقال: رسول الله ينام على الحصير وكسرى ملك الفرس ينام على الحرير؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: يا عمر إنما هي نبوة وليست ملكاً، النبوة شيء والمُلك شيء آخر، عن أنس بن مالك: **أما ترضى يا عمر أن تكون الدنيا لهم والآخرة لنا؟**

**صحيح الأدب المفرد:** حديث حسن **صحيح**

الآن الفرق بين النبوة والعبقرية، الشيء الثابت أن الإنسان العبقري مهما كان ذكاؤه حاداً، مهما تكن قدراته كبيرة، هو إنسان نجد في كلامه بعض السقطات، لأن لكلّ جواد كبوة، ولكلّ حسام نبوة، ولكلّ عالم هفوة، فإذا كان الموضوع موضوع عبقرية فلا يخلو عبقري من سقطة في فكره أو في تعبيره، وهذا مما بُرِّئَ منه النبي عليه الصلاة والسلام، أيضاً تاريخ العظماء في العالم يؤكد لنا أن هناك بعض السقطات الخُلُقية، فالمربي

الكبير الذي درسنا عن نظرياته في الجامعة، هذا جان جاك روسو، له انحرافات خُلُقية شاذة، فكيف يَصْلح أن يوازن النبي مع العبقري؟

أحد علماء نفس الطفل يُعَدُّ أول عالمٍ في العالم، إن مُعظم كتبه تُدَرّس في أكثر جامعات العالم، قال عنه بعض من التقى به: إنك إذا حدثّته في موضوع آخر غير اختصاصه بدا لك وكأنه طفل، فالعبقري الذكي مهما ارتفع شأنه، مهما اتسعت قدراته، لابد من سقطة في فكره، أو في قوله، أو في عمله، وهذا لا يصلح أن يكون نبياً أو داعياً للخير بإذن الله، فالنبوة شيء والعبقرية شيء آخر.

كبار العلماء في العالم، فرويد، هذا من كبار العلماء في علم النفس، فسّر الحياة كلها تفسيراً جنسياً لدرجة أن ما جاء به من نظريات يدعو إلى الضحك والسخرية، فالأنبياء على حدّ زعمه مصابون بانحراف خُلُقي، لأنهم يرغبون أن يجلسوا مع الرجال لا مع النساء، هذا رأي هذا العالم الخبيث.

دارون جاء بنظرية تُغير معالم الكتب المقدسة، من أن أصل الإنسان قرد، وهذا مما ثَبَتَ بُطلانها، ولكن أراد بهذه النظرية أن يُهوّش على المسلمين وغير المسلمين عقائدهم الدينية.

إذاً العباقرة بمقياس البشر لابد من أن يكون في أفكارهم أو في أخلاقهم أو في أقوالهم سقطات، وهذه السقطات لا تجعلهم مؤهلين أن يُبَلّغوا الناس الشرع الإلهي، إذاً العبقرية شيء والنبوة شيء آخر.

## العبقرية مبنية على حدود معينة أما النبوة فمبنية على التبليغ بما شرعه الله:

هناك شيء دقيق جداً أود أن أقوله لكم هو أن النبوة لو أنها عبقرية على حدّ قولهم، لو أن النبوة نوع من العبقرية كما يدّعي بعضهم فالإنسان هو الإنسان، ينظر إلى الشيء من وجهة نظرٍ خاصة، فإذا كان هذا العبقري ذا منبت طبقيّ فقير رأى الأمور بمنظار الفقراء، ولو كان هذا العبقري ذا منبت من نوع آخر رأى الأمور من زاوية معينة، فالإنسان يصعب أن يكون حيادياً، إذا نظر وإذا فكّر وإذا شرّع لا بد من أن ينظر إلى الأشياء من وجهة نظر خاصة، ولابد من أن ينحاز إلى جهة دون أخرى، ولابد من أن يرعى مصالح فئة دون أخرى، لو أن النبي إنسان عبقري لما كان شرعه كاملاً، فكل إنسان يتصرف بحسب واقعه، فالذي يملك الآن مثلاً سيارة يقول لك: الطرق ازدحمت، يجب أن يُحدّ من استيراد السيارات مثلاً لأن عنده سيارة، أما الذي لا

يملك يرفض هذا التوجيه، لماذا؟ لأن الإنسان لا يخرج من واقعه، ولا من بيئته، فينظر إلى الشيء بحسب رؤيته له، هذا الإنسان مهما كان ذكياً ليس مؤهلاً أن يكون مُشَرعاً للناس، لأنه سينظر إلى كل شيء من زاويته هو، فيأتي شرعه منحازاً إلى فئة دون أخرى، ينطلق من وجهة نظر دون أخرى، يرعى مصالح فئةٍ دون أخرى، لكن النبي معصوم عن الخطأ، لأن الله سبحانه وتعالى عصمه، فالعبقرية لا علاقة لها بالنبوة، النبوة شيء والعبقرية شيء آخر، النبي إنسان اصطفاه الله سبحانه وتعالى ليُبلّغ الخلق شريعة ربّ العالمين، هذه الشريعة من عند حكيم خبير، من عند خالق لا من عند مخلوق، فلو أن الشريعة من عند مخلوق لحابت أناساً دون أناس، للحظت مصالح أناس دون أناس، لنظرت من وجهة خاصة دون وجهة خاصة.

إذاً ليس البشر مهما علا شأنهم مؤهلين أن يضعوا شرعاً لبني البشر، لابد من أن ينطلقوا في شرعهم من وجهات نظر خاصة متعلقة بوضع أو بآخر، فلذلك من الخطأ الفادح، ومن الضلال المبين أن تصف النبي بأنه عبقري، لا، هو نبي، هو إنسان اصطفاه الله سبحانه وتعالى، اصطفاه على علم، وعصمه عصمةً كاملة، عصم لسانه، وعصم أفعاله من أن تكون مجانبة للحق، لأنه سيشرع للناس من عند الله سبحانه وتعالى، فهذه الشبهة وهذه الفِرية التي يطرحها بعض أعداء الدين من أن محمداً عبقري، نقول: هو نبيّ مرسل وكفى، لأن العبقري لابد من سقطة في كلامه، ولابد من سقطة في أفكاره، ولابد من سقطة في سلوكه، وإذا أراد أن يُشرّع العبقري لابد من أن ينطلق من بيئته، أو من مصلحته، أو من منبته، أو من أشياء قد لا تصلح لكافة الناس، لكن النبي الله سبحانه وتعالى اصطفاه، وأهّله، وعصمه، وأوحى إليه شرعاً من عند الله، لأنه لا يصلح للتشريع إلا الخالق:

**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)**

**سورة المُلك**

## التشريع البشري ناقص أما التشريع الرباني فهو تشريع كامل:

حينما شرّع الإنسان لنفسه، أكبر مثل أمامنا الأوربيون، رأوا أنفسهم كما يدّعي بعضهم أنهم آلهة الأرض، العلم هو كل شيء، فتقدم العلم عندهم تقدماً هائلاً، وأطلقوا للإنسان أن يفعل ما يشاء إرضاء لشهواته ونزواته، فحطّموا كل القيود، مبدؤهم مبدأ اللذة، اقتناص اللذة حيثما وجدت، وبأي ثمن، ماذا حلّ بهم؟ حلّ بهم

مرض فتك بهم، تقطّعت أواصر القربى فيما بينهم، تحطّمت العلاقات الأُسرية المقدسة، تفتّت الأسرة، شاع الطلاق، لا يدوم الزواج في بعض البلاد الأمريكية أكثر من سنتين لشدة تفلت الزوجة والزوج من قيود الأخلاق، لذلك جاء صحفي إيطالي إلى دمشق فالتقى بقاض شرعي، وسأله سؤالاً عن نسبة الطلاق في بلادنا، فتح له السجلات، وأراه أن النسبة خمس وعشرون حالة بالألف، هذه النسبة كاد يُصعق لها لأنه في بعض البلاد الأوروبية نسبة الطلاق تزيد عن سبعين بالمئة، فالشيء الدقيق أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

أي إذا اشتريت سيارة، ومع هذه السيارة نشرة دقيقة تُوَضّح لك طريقة استعمالها، وطريقة قيادتها، وطريقة صيانة أجهزتها، ومتى يجب أن تزودها بالوقود والزيت، ومتى يجب أن تُغيّر بعض القطع المستهلكة استهلاكاً شديداً، أي إنسان مؤهل أن ينصحك في هذا الموضوع أفضل من صانع السيارة؟ ﴿**أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ أريد أن أصل إلى حقيقة أن الإنسان أيّ إنسان مهما كان عبقرياً، مهما كان موضوعياً، مهما كان نزيهاً، ليس مُؤهلاً أن يضع تشريعاً للناس، لأنه لابد من كبوة، لابد من سقطة في خُلُقه، لو أن له انحرافاً خُلُقياً لغَفَل عن تشريع مضاد له، لو أنه يُحبّ شيئاً غير سليم لما نهى الناس عنه، لابد من سقطات في فكره أو في سلوكه أو في أقواله، ولابد من أن ينطلق في كل ما يقوله أو يفعله من وجهات نظر خاصة أو من بيئة أو من معطيات، لذلك العبقرية شيء والنبوة شيء آخر.

ولو أن الإنسان كان مطّلعاً أي مُحصلاً لعرف من خلال مطالعاته لسيرة عظماء العالم أنه ما من عظيم على وجه الأرض إلا له سقطات، أي هناك أخطاء كبيرة أحياناً، لكن النبي عصمه الله سبحانه وتعالى من الغلط بكل أنواعه، اصطفاه على علم، وأوحى له بالهدى، وأمره بالتبليغ، وعصمه من كل غلط، لذلك يُعَدّ ما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام مَصدراً تشريعياً للناس.

في آخر نقطة بهذا الموضوع أنه يستحيل أن يُلمّ العبقري بكل جوانب الحياة، فهذا عبقريته عسكرية، وهذا عبقريته سياسية، وهذا عبقريته في الأخلاق، وهذا عبقريته في التشريع، وهذا عبقريته مثلاً في الفكر، وهذا عبقريته في النظريات المجردة، فكل عبقري نمت عبقريته في جانب من جوانب الحياة، لكن النبي لأن الله

اصطفاه، ولأن الله أوحى إليه، فكل ما جاء به متوازن، يُغطي كل مناحي الحياة، كل نشاطاتها، كل اتجاهاتها، هذا من عظمة الأنبياء والرسل الذين اصطفاهم الله لنا.

## العلاقة بين ما تأتي به النبوات وبين ما تأتي به الفلسفات:

الآن العلاقة بين ما تأتي به النبوات وبين ما تأتي به الفلسفات، لو اطّلعتم على تاريخ الفلسفة لوجدتم أن هناك نظريات مضحكة جاء بها الإغريق، جاء بها الرومان، جاء بها الهنود، لو أنك عرضت هذه النظريات التي جاءت بها الفلسفات المتعددة لوجدت بوناً شاسعاً بينها وبين العدل والحق، لوجدت بينها اختلافاً كبيراً، لوجدت بعضها خُرَافياً، لوجدت بعضها مُنحرفاً، الدليل؛ اطّلعت في هذه الأيام على مقالة عنوانها: من غرائب المعتقدات، قلت: والله هذه المقالة تؤكد كيف أن البشر من دون وحي إلهي، من دون هدى رباني، يتيهون في ضلالات عمياء لا أول لها ولا آخر، فقال: في بلاد الهند ما يزيد عن أربعمئة ديانة، لنأخذ إحدى هذه الديانات وهي ديانة الهندوس، قال: إن القانون هناك يُحرّم قتل البقرة أو أكل لحمها، والجزاء هو السجن مدى الحياة، أي إذا سولت لواحد أن يذبح بقرة ليأكلها فعقابه السجن مدى الحياة، والبقرة تُترَك لتموت ولا يُؤكل لحمها، فإذا دهسها سائق من دون نية أو دون قصد فلابد أن يدخل السجن عاماً بأكمله، ويدفع غرامة تزيد عن ثلاثة آلاف روبّية، ويُضَاعف الجزاء إذا تكرر العمل، شعب يزيد تعداده عن سبعمئة وخمسين مليوناً، هذا النظام عندهم، عندما بَعُدوا عن شريعة السماء وقعوا في متاهة عمياء، قال: والناس هناك لا يمنعون البقرة من أكل حوائجهم، أي هناك فقرٌ شديد، فإذا دخلت البقرة إلى حانوت، وأكلت ما لّذ وطاب من هذه الفاكهة المعروضة، فإن هذا مما يُسعد صاحب الحانوت، ولو أنها أكلت كل ما في الحانوت من فواكه، وعاد هو إلى البيت طاوياً من الجوع، إنه سعيد جداً لأن بركة البقرة حلّت في حانوته، قال: بل يفرحون بذلك ويتركونها تعمل ما تشاء تيمُّناً وتبرُّكاً حتى ولو هلكوا جوعاً.

أحد الباحثين تقصّى حقيقة هذه العبادة، فقال سأل بعض الخبراء في هذه الديانة فقال: إننا نعتقد بوجود مشكلات كثيرة تأتي للإنسان بعد الموت، نعتقد بوجود مشكلات كثيرة تحلّ بالإنسان بعد الموت، وأن أمامنا أنهاراً لا نستطيع عبورها، فإذا وقفنا لنجتاز هذه الأنهار إلى الجنة كانت هذه الأنهار عقبة بيننا وبين الجنة، فتأتي البقرة ونُمسك بذنبها فتقودنا إلى الجنة، هذا سرّ اعتقادهم بالبقرة، لذلك نسجد لها ونحبها، لأنها

تسبح بنا إلى عالم آخر، هذه من معتقدات الهندوس، ونحن نسجد مرة في السنة للكلاب، وخاصة كلاب الحراسة، ونعمل لها أطواقاً من الزهور نُعَلّقها في أعناقها، ولا نتعرض للكلاب بأذى أبداً، لماذا؟ قال: وسرّ هذا الاعتقاد أن هذا الكلب هو الذي يُدخلهم الجنة بعد الموت، كيف؟ قال: لأنه يحرس الجنة، الكلب يحرس الجنة، فإذا جاء هذا الهندوسي يوم القيامة، وكان قد أحسنَ لهذا الكلب في الدنيا، سجدَ لهُ، قلّده باقة من الزهور، أكرمه، أطعمه، فإن هذا الكلب يأخذ بيده ويُدْخله الجنة، لأن الجنة كما يزعمون تحت أقدام الكلاب، قال: فإنهم يحترمون الكلب، ويقدمون له المأكولات.

شيء لا يصدق سبحان الله! سبعمئة وخمسون مليوناً يعتقدون هذه العقائد، هذه الفلسفات، في غياب الوحي السماوي، في غياب الهدى الرباني، في غياب توجيه الله سبحانه وتعالى يهبط الإنسان إلى هذا الدرك من السُّخف، ومن الغباء، ومن الخرافة، ومن الدّجل، ومما لا نهاية لحصره، فلذلك لا يمكن أن نعتمد على الفلسفات وحدها، لأن الفلسفات وحدها قد تودي بنا إلى الهاوية، قد يأتي الإنسان الفيلسوف بنظريات مضحكة.

أبو العلاء المعري فيلسوف تسمعون به، شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء، هذا حرّم اللحم على نفسه هكذا، غاب عنه أن هذا المخلوق إنما خُلِق من أجل الإنسان، وأنه إذا قدّم لحمه للإنسان سيسعد بهذا التقديم إلى الأبد، نظام دقيق، قال تعالى:

**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ (65)**

**سورة الحج**

**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)**

**سورة الجاثية**

**وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (5)**

**سورة النحل**

حرّم على نفسه تناول اللحوم انطلاقاً من فلسفته الخاصة من أن هذا الحيوان إذا ذبحناه لنأكله فقد ارتكبنا جريمة، حرّم على نفسه الزواج، وكُتَب على قبره: هذا ما جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد، عدّ الزواج وإنجاب الأولاد جِناية، لو تركنا الفلاسفة يتحدثون على أهوائهم لوصلنا معهم إلى خرافات، وإلى سقطات، وإلى انحرافات ما أنزل الله بها من سلطان.

إذاً الفلسفات في غياب الدين أكثرها ينطوي على التناقض والتهافت ومخالفة الواقع، وينطلق من وجهات نظر متباينة، ومنطلقة من واقع محدد لا يصلح أن يُعمم على أهل الأرض، هذا أيضاً من سقطات الفلسفة.

## الفلسفة لا تصلح إلا للعصر الذي تعيش فيه أما الدين فيصلح لكل زمان ومكان:

شيء آخر؛ ما يصلح في عصر لا يصلح في عصر آخر، أي الفلسفة الرومانية، تشريع حمورابي، الفلسفة الإغريقية، لا تصلح لهذا العصر، لأنها نبعت من بيئة معينة، لكن الدين الذي جاء به النبي من عند الله يصلح في كل زمان ومكان، لا يتغير، ينطلق من قيم ثابتة، من معطيات ثابتة، قال تعالى:

**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ** تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)

**سورة فصلت**

فسّر بعض العلماء هذه الآية أن القرآن الكريم وما جاء به من حِكَم وحقائق لا يستطيع أهل عصره أن ينقضوها، ولا أهل العصور اللاحقة، أي كل الذي جاء به القرآن لم يستطع إنسان بعد ألف وخمسمئة عام أن ينقُض ما جاء فيه لأنه من عند الله، حينما قال ربنا عزّ وجل عن العنكبوت:

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ **اتَّخَذَتْ بَيْتًا** وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)

**سورة العنكبوت**

جاءت تاء التأنيث، الآن عرفوا أن التي تنسج البيت هي الأنثى، لو كان من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: نسج بيتاً العنكبوت، قال: نسج بيتاً، أي قام بهذا العمل الذكر لا الأنثى، وأثبت العلم

خلاف ذلك، فمعنى هذا أن هذا الكتاب ليس من عند الله، ما من كلمة جاء بها، ما من حقيقة انطلق منها إلا الآن اكتشفوا أن العسل ألوان معروفة، لكن كل لون من ألوان العسل يشير إلى نوع من أنواعه، وأنّ كل نوع من أنواعه يشفي مرضاً معيناً قال الله:

**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)**

**سورة النحل**

## الشرائع السماوية أصلها واحد أما النظريات الفلسفية فحواها التنافس والاختلاف:

شيء آخر؛ الديانات السماوية لا تختلف عن بعضها بعضاً من حيث الأصول، الأصول واحدة، هذا يؤكد أنها جميعاً من عند الله، لذلك قال تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**

**سورة الأنبياء**

دعوة الأنبياء واحدة، فحوى رسالات الأنبياء واحدة، الحلال حلال والحرام حرام في كل رسالات السماء، بينما في النظريات الفلسفية تجد التناقض والتباين والاختلاف والزيغ والانحراف، هذا كله واضح في الفلسفات، وأما بحوث الفلاسفة في أمر الغيب فهذا ضرب من الحدس والتخمين، أي أنّى لهذا الفيلسوف أن يعلم الغيب؟ أن يعلم ما سيكون بعد الموت، أنّى له أن يعلم ما كنا عليه في عالم الأزل؟ أنّى لهُ أن يعلم تاريخ البشرية؟ لكن الأنبياء بما جاءهم من تشريع سماوي عرّفونا بعالم الأزل، وبتاريخ الأمم والشعوب، وبما ينتظر الإنسان بعد الموت من جنة أو نار، من برزخٍ، من حساب، من صراط مستقيم، من أشياء كثيرة، لولا أن الأنبياء جاؤوا بها لكنّا نحن في عمى عن هذه الحقائق.

## القرآن كتاب هداية ورشد وليس كتاب علوم:

شيء آخر؛ قد يسأل سائل: لمَ لم يكن البشر بحاجة إلى أنبياء يحملون للناس المعارف والعلوم الكونية؟ يا ترى القرآن كتاب رياضيات؟ لا، كتاب فيزياء؟ كلا، كتاب كيمياء؟ كتاب فلك؟ كتاب علم نفس؟

كتاب علم اجتماع؟ كتاب علم جيولوجيا؟ لا، الكتب السماوية التي جاء بها الأنبياء ليست كتباً في العلوم، حكمة ذلك أن الإنسان بدافع من فطرته، وبدافع من الحاجات التي خلقها الله فيه، كلكم يعلم أن الإنسان فيه ثلاثة دوافع: دافع إلى البقاء، ودافع إلى بقاء النوع، ودافع إلى بقاء الذّكر، فبدافع البقاء نأكل ونشرب، وبدافع بقاء الجنس، بقاء النوع نتزوج ونتوالد، وبدافع بقاء الذكر نعمل أعمالاً لتُخلّد أسماءنا، فكل إنسان ينطوي على هذه الدوافع، فبحكم هذه الدوافع يسعى لإعمار الأرض من أجل أن يأكل.

دققوا أيها الإخوة؛ لو أن دافع الجوع غير موجود في الإنسان لما وجدت على الأرض شيئاً، لماذا العمل؟ لا أحد يعمل، من ينسج لك هذا القميص؟ لا أحد، من يبني لك هذا البيت؟ لا أحد، من ينسج لك هذه السجادة؟ لا أحد، من يزرع لك النبات؟ لا أحد، يوجد دافع الجوع، دافع الجوع دفع الناس إلى العمل، والعمل يتبعه الخبرة، والخبرة تُعمّق العمل، فالإنسان بحكم دوافعه الفطرية سيتعلم العلوم الأرضية، لأن هذه العلوم الأرضية هدفها إعمار الأرض فقط، وهذه العلوم الأرضية لا تنفعه بعد الموت، تنتهي كل إنجازاتها في الحياة الدنيا، لذلك العلوم تتقدم بشكل طبيعي شئنا أم أبينا، لكن الناس بحاجة إلى أن يعرفوا ربهم، وأن يعرفوا مهمتهم، وأن يعرفوا علّة خلقهم، وأن يعرفوا هدفهم، فلذلك جاءت الكتب السماوية لا لتُعلّمنا العلوم الأرضية والعلوم الكونية لأن الإنسان يبحث فيها، ويتقدم في مضاميرها بدافع ذاتي، وهذا ما يحدث، لكن الدين جاء ليُعرّف الإنسان بربه، جاء ليُعرّفه بمهمته، جاء ليرسم له طريق السعادة، جاء ليطرح عليه أوامر الله عزّ وجل ونواهيه، لذلك هذا الذي يُجهد فكره ليقول لك: إن كل النظريات وكل العلوم في القرآن موجودة، هذه شحطة، القرآن كتاب هداية ورشد وليس كتاب علوم، لكن أحياناً يوجد لفتات إلى بعض العلوم، أصول العلوم مذكورة، الأصول وليست الفروع، فأن تبحث في القرآن الكريم عن فروع العلوم هذا شيء مستحيل، لأن هذا مُناقِض لمهمة هذا الكتاب المقدس الذي بين أيدينا، مهمته إرشادنا إلى ربنا، ربنا عز وجل قال:

**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17)**

**سورة الغاشية**

هناك البقر أيضاً، وهناك حمار الوحش، وهناك آلاف مؤلفة من الحيوانات، وهناك الأسماك، وهناك الثعابين، الله ذكر حيواناً واحداً، قال تعالى:

**وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1)**

**سورة التين**

قال:

**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (1)**

**سورة الشمس**

أي ذكر آيات لا على سبيل الحصر، على سبيل المثال، تكلم عن الماء فقال:

**وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ** وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (22)

**سورة الحِجر**

لَفَتَ نظرك أن تخزين الماء شيء مستحيل عليك، هل فكّرت في هذه النعّمة؟ أي لا تحاول أن تنساق مع بعض القائلين إن القرآن فيه كل شيء، بمعنى أن حتى فروع العلوم في القرآن، لا، القرآن أساسه كتاب هداية، كتاب يُلْفِتنا إلى الله سبحانه وتعالى، لكن فيه إشارات دقيقة، فيه صور دقيقة وإشارات دقيقة للعلوم التي بثّها الله في الأرض، من دون أن يكون فيه تفصيل كل شيء في أمور الدنيا، فلذلك بُنيت الشرائع على إصلاح النفوس، وعلى تعريفها برب السماوات والأرض، وحملها على الالتزام بتطبيق أوامره، واجتناب نواهيه.

لا زلنا في موضوع الأنبياء والرسل، وسوف نتابع هذا الموضوع إن شاء الله تعالى في درس قادم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 29-63: دلائل الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### ينبغي على المسلم أن يكون الدليل سلاحه في معرفة الأشياء:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع والعشرين من دروس العقيدة، لازلنا في موضوع الإيمان بالرسل، والآن ننتقل إلى فصل جديد عنوانه: دلائل الرسالة، وكنت ذكرت لكم من قبل أن على الإنسان الواعي ألا يقبل شيئاً إلا بدليل، وألا ينفي شيئاً إلا بدليل، وقد قال العلماء: إن كنت ناقلاً فالصحة وإن كنت مبتدعاً فالدليل، إذا نقلت عن أي إنسان فتوخى الصحة، لعل هذا القول الذي تنقله عنه ليس صحيحاً، لذلك كان علماء الحديث رضي الله عنهم، بذلوا جهوداً جبّارة في معرفة الخبر الصادق من الخبر الكاذب، وصنفوا الأحاديث، الأحاديث المتواترة في النص، والمتواترة في المعنى، والأحاديث الصحيحة، وأحاديث الآحاد، والأحاديث الحسنة، والأحاديث الضعيفة، لأن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

فأنا قبل أن أمضي في الحديث عن دلائل الرسالة أريد أن أُلقي على مسامعكم هذه الملاحظة، أكثر من أخ أو أكثر من عشرة إخوة في كل أسبوع تقريباً يقولون لي: هل هذا حرام؟ لمَ هو حرام؟ فلان قال: حرام، اسأله عن الدليل؟ هذا الذي قال لك إن هذا العمل حرام اسأله ما الدليل؟ أن تأخذ دية أخ قتل في حادث حرام؟ اسأله: ما الدليل؟ هل عندك آية أو حديث أو حكم فقهي لإمام عظيم من أئمة الفقه ينهى عن ذلك؟ فالملاحظ أن أكثر الناس يُقال له: حرام فيصدق، يُقال له: حلال فيصدق، لا تقبل أن يكون الشيء حلالاً إلا بدليل من الكتاب أو من السنة أو من الإجماع أو من القياس، وإن لم تستطع أن تستنبط أنت الدليل فاسأل أهل الذكر، اسأل العلماء، اسأل الفقهاء، ما رأي الإمام أبي حنيفة؟ ما رأي الإمام الشافعي؟ ما رأي الإمام أحمد؟ هناك

أئمة عظام درسوا النصوص، ومحصوها، وصنفوها، واستنبطوا منها الأحكام، وإذا قيل لك: هذا شيء حرام، ما الدليل؟ إذا كنت ناقلاً فالصحة وإذا كنت مدّعياً فالدليل، أنا أدّعي أنه كذا وكذا، ما الدليل؟ أُثبت هذا، ما الدليل؟ أنفي هذا، ما الدليل؟ أؤمن بهذا، ما الدليل؟ أنكر هذا، ما الدليل؟ إذا كنت ناقلاً فالصحة وإذا كنت مدّعياً فالدليل، لعل هذا الذي تنقل عنه لم يقل شيئاً، لعل هذا القول الذي تقوله مُزَور عليه، بريء منه.

لذلك هناك أشخاص جانبوا المنهج العلمي، أي قرأ في الفتوحات كلاماً يتعارض مع كتاب الله، فقال الشيخ الأكبر هو الشيخ الأكفر، هذا تسرع، هذا سلطان العارفين، ولكن هذا الذي قرأته في كتاب الفتوحات ليس للشيخ محي الدين، لم يصح نقله عنه، لم يصح هذا القول له، إذا كنت ناقلاً فالصحة وإذا كنت مدّعياً فالدليل، فإذا الشخص مرّن نفسه، وطن فكره على ألا يقبل شيئاً إلا بدليل، وألا ينفي شيئاً إلا بدليل، وألا يقبل خبراً إلا إذا توافرت شروط الصحة، وألا ينفي خبراً إلا إذا قام الدليل على كذب الناقل، انتهى الأمر، إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، ابن عمر دينك دينك إنه لحمك ودمك، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا، وطن نفسك ما أكثر الأقوال! ما أكثر من يدّعي العلم! هذا حرام، لماذا هو حرام؟ الله عز وجل أعطانا فكراً، أعطانا عقلاً كي نستعين به على فهم أمر دينه، وقد قيل: قِوام الرجل عقله، ومن لا عقل له لا دين له، ومن لا دين له لا عقل له.

## متى يجب الإيمان بالرسل؟

الآن موضوع الدرس دلائل الرسالة، متى يجب الإيمان بالرسل؟ العلماء قالوا: متى ثبت لديك بالدليل القاطع، يوجد عندنا دليل مُقنع، يوجد دليل ظني، يوجد دليل قاطع، أعلى أنواع الدلالة هو الدليل القاطع، تألق هذه المصابيح دليل قاطع على أن في الخطوط كهرباء، حركة السيارة دليل قاطع على أن في المستودع وقوداً، هذا دليل قاطع، فلذلك متى ثبت لديك بالدليل القاطع أن واحداً من البشر رسول من عند الله يُبلّغ ما أمر الله تبليغه للناس، وجب عليك الإيمان به، ووجب عليك اتباعه، والائتمار بأمره، والانتهاء عما نهى عنه في حدود شروط رسالته، وشروط العمل بها.

أي إذا كنت جندياً في قطعة عسكرية، وجاءك إنسان يحمل كتاباً فيه أمر عسكري، أنت بحسب نظام الجندية يجب أن تأتمر بهذا الكتاب، بما جاء في هذا الكتاب، ويجب أن تنتهي عما نهى عنه هذا الكتاب، بحكم نظام الجندية، بقي أن تعرف أن هذا الكتاب صحيح من عند من هو أعلى منك، تنظر في فحواه، تنظر في الذي جاء به، هناك أدلة تجعل هذا الكتاب عندك مقبولاً، وهذا الذي جاء به مُصَدّقاً، فلذلك متى ثبت لديك بالدليل القاطع أن واحداً من البشر رسول من عند الله يُبلغ ما أمر الله به تبليغه للناس وجب عليك الإيمان به، ووجب عليك اتباعه، والائتمار بأمره، والانتهاء عما نهى عنه، في حدود شروط الرسالة وشروط العمل بها، فليس كل إنسان يدّعي النبوة أو الرسالة نُسَلِّم له بدعواه حتى تتوافر فيه شروط صدقه.

## أدلة الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام:

### 1- فحوى الرسالة:

العلماء قسّموا أدلة الإيمان بالرسول عليه الصلاة والسلام إلى أربعة أدلة: الأمر الأول أول دليل على صدق رسول الله في أنه رسول الله، أول دليل على صدق نبوته ورسالته فحوى رسالته، المضمون، تأمل في المضمون، فأي إنسان إذا نظر بإمعان العاقل المُنصف فيما جاء به النبي عليه الصلاة والسلام من دعوة التوحيد، من بيان لأصول العبادات، ونُظم المعاملات، ومناهج الأخلاق، أي إنسان تأمل في هذه المبادئ وهذه العقائد وهذه النظم وهذه المناهج التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، ثم يراقب موافقتها لصالح الناس، وسعادتهم في شتى مطالب حياتهم، في دنياهم وفي أخراهم، ويرى أن كل جزئية موافقة للحق بلا مِرية، فلا تناقض في النصوص، ولا ضعف في أصول الشريعة، ولا فروعها، إذا نظرت هذا النظر، ودققت هذا التدقيق، وعرفت هذه المعرفة، لاشك أنك تُسْلِم وتُسَلّم وتعتقد وتؤمن أن هذا الذي جاء بهذا الشرع العظيم، وهذا الدستور القويم، وهذا المنهج المُفصَّل هو رسول من عند الله سبحانه وتعالى.

أي أول دليل النظر في فحوى الرسالة، هذا الكتاب من فلان، معقول، أي مضمون الكتاب، منهاج الكتاب، أسلوب الكتاب، محتوى الكتاب، بنود الكتاب، مضامين الكتاب، هذه في مستوى المرسل، لذلك الدين من عند الله، والله سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض، خالق السماوات والأرض الكل عبيده، فالدين الذي

يدعو إلى المساواة بين الناس هو دين الله، الله سبحانه وتعالى رحيم، وهذا الكون كله ينطق برحمته، فالدين الذي يدعو إلى التراحم هو دين الله عز وجل، الله سبحانه وتعالى عادل، فالدين الذي يدعو إلى العدالة هو دين الله سبحانه وتعالى، أي يجب أن يكون هناك تناسب بين عظمة الخالق وبين عظمة التشريع، فلابد من أن تعرف عظمة التشريع من عظمة الخالق، ولابد من أن يَشِف لك تشريعه عن عظمته، وعظمته مقياس لتشريعه، إذاً هذا دليل كبير جداً على صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لو أن في الدين أمراً يخصّ أمة دون أمة، فئة دون فئة، قوماً دون قوم، طبقة دون طبقة، لما كان هذا الدين من عند الله سبحانه وتعالى لأن: الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَنْفَعُهُمْ لِعِيَالِهِ، فإذا نظر الإنسان في أصول هذه العقائد، في أصول هذا الدين، في أصول هذه العبادات، في نُظم المعاملات، في مناهج الأخلاق، يكتشف أن هناك تناسباً بين هذا التشريع العظيم وبين خالق الكون.

لذلك الشيء الذي أُضيف على الدين وليس منه يتهافت، يتساقط، يتداعى، لا يقف على قدميه، لا ترتاح له، لا تطمئن إليه، تُحسّ أن هذا ليس من عند الله،، الله رحيم، الله عليم، الله غني.

قال له: هل تحب أن نريحك من الزكاة؟ قال له: كيف؟ قال له: ضع المبلغ الكبير هل الثمانية آلاف ليرة في رغيف خبز، وقدمه لفقير، وقل له: هبني هذا الرغيف بخمس ليرات، يهبك إياه، تكون دفعت زكاة مالك واستردته، ليس هذا دين الله، الذي أمرك بالزكاة يراك، هذه الحيلة لا تنطلي عليه.

تُحب أن تُقرض الناس بالربا؟ كيف؟ بطريق شرعي، كيف؟ اشترِ كيس سكر، ضعه أمام الحانوت، يأتيك الرجل ليقترض منك مثلاً ألف ليرة، تبيعه هذا الكيس بألف ليرة ديناً، وتشتريه منه بثمانمئة ليرة نقداً، والكيس ما زال بمكانه، هذا بيع صوري، هذا حيلة على الربا، لذلك منع الفقهاء هذا البيع سدّاً للذريعة، من باب سدّ الذرائع مُنِع هذا البيع، هذا بيعٌ ما أُريد به البيع، أُرِيد به الربا، خالق الكون لا تنطلي عليه هذه الحيل، لذلك هناك علماء رفضوا مبدأ هذه الأساليب، لأنها حيل شرعية لا تنطلي على الله سبحانه وتعالى، أتريد أن تشاهد زوجة أخيك؟ كيف؟ شيء سهل، بنت صغيرة من بنات الحي ولو كان عمرها سنتين، أو سنة ونصف، ادفعها إلى زوجة أخيك كي تُرضعها، ثم اعقد قِرانك عليها، فإذا زوجة أخيك أم زوجتك تحرم عليك على التأبيد، ثم طلق هذه الصغيرة تصبح زوجة أخيك بمثابة أم زوجتك المطلقة، لك أن تراها، وتلتقي بها، وتأكل معها، وتسكن

معها في بيت واحد، هذه حيلة شرعية، هذا زواج صوري، لم يُقصد منه الزواج الحقيقي، ليس هذا دين الله، الذي شرّع الدين لا تنطلي عليه هذه الحيل.

لذلك كل من سار في هذا المنهج سار في منهج مسدود، في طريق مسدود، سار في طريق خاطئ، الشيء الذي يُلفت النظر أن أي مؤتمر عام تشريعي لو أنّه ضمّ عشرات العلماء الكبار في القانون، وشرّعوا تشريعاً، تجد بعد حين يُضطرون إلى تشريع مُعدّل، تُعدّل المادة الفلانية بالمادة الفلانية، بعد شهرين أو أكثر يصدر تعديل آخر، بعد التعديل تعديل، ثم يصبح هذا التشريع ركاماً من التعديلات، هذا صنع البشر قال الله:

**يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (28)**

سورة النساء

مهما اجتهد الإنسان في سدّ المنافذ يأتي إنسان أذكى ويفتح بعض المنافذ، فلذلك المُشرِّع دائماً واقع في دوامة مع المشرَّع له، المُشرِّع يُغلق عليه كل المنافذ ويأتي المُشرَّع له ويفتح عشرات النوافذ والمنافذ، فلأن المشرِّع إنسان، لكن المشرِّع إذا كان هو الله سبحانه وتعالى تشريعه لا يحتاج إلى تعديل، ولا إلى تبديل، ولا إلى إلغاء، ولا إلى تعطيل، ولا إلى شيء من هذا القبيل، تشريعه جامع مانع.

## النظر في فحوى رسالة النبي الكريم:

إذاً أول دليل يقوم على صدق نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقوم على صدق رسالته أن تنظر في فحوى رسالته، في الأوامر، بماذا أمر؟ أمر بغض البصر، أمر بالصدق، أمر بالأمانة، أمر بحُسن الجوار، أمر بصلة الرحم، أمر بالإحسان، أمر أن تقول للناس حسناً، عن أي شيء نهى؟ نهى عن الكذب، نهى عن الفسق، نهى عن الظلم، نهى عن الفجور، نهى عن الخيانة، نهى عن عقوق الوالدين، نهى عن الظلم، هذا تشريع إلهي، إذا نظرت في الدين في فحوى الرسالة تعرف أن الذي جاء بها رسول من عند الله، بالدليل القاطع لأن هذه الأوامر وهذه النواهي تتناسب مع عظمة الله جلّ جلاله، تتناسب مع أمره، أي أنت لو قرأت كتاباً، أمر من موظف له شأنه أو له قيمته، إذا كان الأمر منطقياً فيه اعتدال، فيه توازن، فيه واقعية، فيه رغبة بخدمة الناس، فيه صلاح الناس هذا الأمر، تُحسّ أن هذا الأمر أمر هذا الإنسان، فإذا كان هناك

أخطاء كثيرة، إذا كان هناك تجنّ على إنسان دون إنسان، تُحسّ أن هذا الأمر مزور ليس من عنده، لا يُعقل أن يُصدر هذا الإنسان العظيم هذا الأمر، إذاً الدليل الأول أن تنظر في فحوى الرسالة، لذلك النجاشي رضي الله عنه حينما سأل سيدنا جعفر رضي الله عنه، قلت: رضي الله عنه لأن النبي صلى الله عليه صلى عليه صلاة الغائب، ولأنه حينما قَدِم وفد النجاشي خدم النبي وفد النجاشي بنفسه مكافأة لحُسن صنيعه مع أصحابه، فسيدنا جعفر قال: أيها الملك، كنّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي بالفواحش، ونسيء الجوار، ونقطع الرحم، ويأكل القوي منا الضعيف، حتى بعث الله فينا رجلاً نعرف أمانته وصدقه وعفافه ونسبه، فدعانا إلى الله لنعبده ونوّحده.

أخرجه ابن خزيمة

معقول كما حدثتكم في الدرس الماضي أن نُقدّس الكلاب، نُطعمها ألذّ الطعام، نضع في أعناقها الورود، لأنها تحرس الجنة، فإذا كان لنا عندها صنيع نحتال بهذا فندخل الجنة؟ لذلك هنالك شعوب تزيد عن سبعمئة مليون تسجد للكلاب كل عام، هذا دين؟ وهناك شعوب أو هي نفسها يموت منها في العام الواحد ما يزيد عن مليون من الجوع، وعندها ثلاثمئة وستون مليون بقرة، إذا قَتَل الإنسان هناك بقرة يُحكم عليه بالسجن مدى الحياة، البقر يأكل ويشرب والناس يموتون جوعاً أهذا هو الدين؟ شيء غير معقول، لذلك فحوى الرسالة، قال له: ((وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحُسن الجوار)) شيء منطقي، كنا قوماً أهل جاهلية مَنّ الله علينا بهذا النبي، لذلك الدين كله مكارم أخلاق، أنت على ثغرة من ثغر الإسلام فلا يؤتين من قِبَلك.

## الدليل من الكتاب على صدق الرسول:

الآن هل في النصوص القرآنية ما يؤكد هذا المنهج في الإيمان برسول الله؟ أول فقرات المنهج أن تنظر في فحوى في مضمون هذه الرسالة، القرآن فيه جانب عقائدي، فيه جانب تشريعي، فيه تشريع شخصي، علاقة الزوج بزوجته، تشريع الطلاق، تشريع الزواج، فيه جانب اجتماعي، علاقة الأخ بأخيه، فيه جانب يُنَظّم حياة الجماعة، البيع، الشراء، الرهن، الدين، الأمانة، فيه جانب تربوي، فيه جانب اقتصادي، فيه جانب صحي، فيه جانب اجتماعي، فيه جانب دولي، هذا القرآن بمضامينه الكبرى إذا تأملته وتدبرته ونفذت إلى لبّه تعرف

أن الذي جاء به رسول من عند الله سبحانه وتعالى، نادى الله الناس أن يؤمنوا بالرسول متحققين صدقه من خلال ملاحظتهم للحق الذي جاء به من عند ربهم، هذه فكرة، الآن الأدلة، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170)

سورة النساء

آمن بما جاء به من الحق من ربك، ووجَّه الله بشدة الإنسان إلى تدبُّر القرآن، لأن تدبره يهدي إلى أنه حقّ في كل جُزئية من جزئياته، وهذا يدل على أنه من عند الله، لأنه لو كان من كلام الإنسان لاشتمل على اختلاف كثير، ومفارقات ظاهرة بينه وبين الحق، ولما كان محمد صلى الله عليه وسلم هو المُبّلغ لهذا القرآن، كان ذلك دليلاً على أنه رسول الله يُبلّغ عنه كلامه، فبعد أن قال الله عزّ وجل لرسوله في سورة النساء:

**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)**

سورة النساء

أما هذه آية دقيقة جداً﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ واضحة، ما معنى قوله تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أي هذا القرآن الذي جئت به، لو تأمله الناس، لو تدبروه، لو عقلوه، لو دققوا فيه، لعرفوا أنك رسول، فالله شَهِد لهم من خلال كلامه أنه رسول، وقد جعل الله سبحانه وتعالى طاعة الرسول طاعة له فقال تعالى:

**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)**

سورة النساء

يوجد انسجام، يوجد تكامل، القرآن يُقدّم تفسيراً شاملاً للكون والحياة، لما كان عليه الإنسان قبل أن يأتي إلى الدنيا، لما سيؤول إليه وضع الإنسان، قيم الحق والباطل، قيم الخير والشر، هذه كلها جاء بها الدين، أعطاك تفسيراً دقيقاً فدلّ بهذا على أن القرآن شاهد من عند الله على صدق رسالة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، أي الكتاب بما فيه من مضامين تشريعية، وتربوية، وصحية، واجتماعية، وشخصية، ودولية، هذا القرآن يؤكد أنه من عند خالق الأكوان.

## الأمر الإلهي لرسوله بأن ينادي بالناس جميعاً بأنه رسول الله إليهم:

شيء آخر؛ أن الله سبحانه وتعالى بيّن صفة أُولي الألباب الذين أعلنوا إيمانهم بالرسول الذي ناداهم إلى الإيمان بالحق، وبادروا إلى ذلك مذ عرفوا أن جوهر رسالة محمد صلى الله عليه وسلم حقّ لا مِرية فيه، قال تعالى:

**رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آَمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآَمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193)**

سورة آل عمران

إذاً لازلنا في المضمون، وأمر الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم أن يُنادي في الناس جميعاً بأنه رسول الله إليهم جميعاً، وأن يبين لهم أن جوهر الرسالة هو الإيمان بالله الذي له ملك السماوات والأرض، والذي لا إله إلا هو، والذي يحيي ويميت، ثم التفت الله إلى الناس فأمرهم أن يؤمنوا بالله ورسوله النبي الأميّ، لافتاً نظرهم إلى أن هذا الرسول فردٌ مثلهم يؤمن هو أيضاً بالرسالة التي يحملها إليهم فيؤمن بالله وكلماته، لذلك فعليهم أن يتبعوه ليهتدوا، قال تعالى في سورة الأعراف:

**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (158)**

سورة الأعراف

## دعوة أهل الكتاب إلى الإيمان بهذه الرسالة:

شيء آخر وأخير هو أن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله محمداً أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة الحق، التي هي سواء بين جوهر رسالته وجوهر رسالات موسى وعيسى وسائر الرسل عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى:

**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)**

سورة آل عمران

كل هذه الفقرات لها محور واحد، وهو أنك إذا دققت وتأملت وتعمقت وتدبرت في مضمون الرسالة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام، تحكم بالدليل القاطع على أنه رسول الله، انتزع إعجابك بما جاء به من حقائق دقيقة وأدلة وبيان، فهذه المحاضرة تؤكد كلامه.

## 2- يتميز عليه الصلاة و السلام بشخصية غير عادية شملت الكمال الإنساني:

الآن الدليل الثاني على أن النبي عليه الصلاة والسلام هو رسول من عند الله: لدى دراسة شخصية رسول الله صلى الله عليه وسلم نلاحظ أن له شخصية فذّة غير عادية، أحياناً تجلس في مجلس، تشاهد شخصاً متفوقاً متميزاً من حديثه، من ملاحظاته، من أسلوبه في الحديث، من لغته، من ثقافته، فلو أنك التقيت بالنبي عليه الصلاة والسلام لرأيت شخصية فذّة غير عادية، لذلك قالوا: محمد سَحَر أصحابه، أي انتزع إعجابهم، لأنه شخصية فذّة، والله سبحانه وتعالى لا يصطفي لرسالته إلا صفوته من خلقه:

**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)**

سورة آل عمران

النبي عليه الصلاة والسلام سَحَر أصحابه بمعنى أنه انتزع إعجابهم، تعلقوا به أيما تعلق، أحبوه حباً فاق حدّ التصور، أطاعوه طاعة جاوزت حدود الخيال، لماذا؟ لأنه شخصية فذة، أي ما التقى به رجل من

أصحابه إلا ظنّ أنه أقرب الناس إليه، هذا شيء يفوق طاقة البشر، فهذه الشخصية الفذة غير العادية لا نجد لها نظيراً إلا في زمرة الأنبياء الذين اصطفاهم الله تعالى لوحيه ورسالاته، ذلك أن شخصية النبي عليه الصلاة والسلام مصونة بالعصمة الربانية من جميع جوانبها، ومتصفة بصفات الكمال الإنساني في خُلقه وسلوكه، وعصمته عن الخطأ في بيان حدود الصراط المستقيم لعقائد الناس وعباداتهم وأخلاقهم ومعاملاتهم.

أما إذا درست شخصية أخرى من الشخصيات التي تميزت في الأرض لوجدت على الرغم من عبقريته سقوطاً في بعض جوانب شخصيته، سقوطاً في أقواله أو أفعاله أو أخلاقه، لابد من جانب متميز وجانب مُقصّر، ليس هناك كمال مطلق، ليس هناك عصمة، ليس هناك إعداد رباني لهذا الإنسان، هناك تفوق في جانب وتخلف من جانب آخر، قد يعجبك علمه وتحتقر أخلاقه، قد يُعجبك خلقه وتحتقر علمه، فالذين نبغوا في الحياة نبغوا بجانب على حساب جانب، أما النبي عليه الصلاة والسلام فقد استكمل الكمال البشري من كل جوانبه، فمن اتّصف بهذه الصفات الراقية والكمال الإنساني لابد أن يكون رسول الله سبحانه وتعالى.

### شهادة التاريخ لرسول الله على أنه رسول الله من خلال أخلاقه وصفاته:

نزل الوحي على النبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء، أول ما بدِئ به من الوحي، وكان لنزول الوحي وقْع ثقيل على نفسه، فرجع إلى زوجته خديجة يرجف فؤاده، ويقول: زملوني زملوني، فزملوه حتى إذا ذهب عنه الروع، قال يا خديجة مالي؟ وأخبرها بما رأى، فقالت خديجة: كلا يا بن العم، أبشر فوالله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدُقُ الحديث، وتحمل الكَلّ، وتُكسب المعدوم، وتُقري الضيف، وتُعين على نوائب الحق، هذه الصفات، هذه الشخصية الفذة، والله لا يخزيك الله أبداً.

الدليل الثاني شخصيته، الدليل الأول رسالته، رسالته فحواها تتناسب مع عظمة الخالق، الآن شخصيته الفذة بفضائلها، وقيمها، وطباعها تتناسب مع شخصية رسول الله سبحانه وتعالى، فخديجة رضي الله عنها استدلت من خلال كمال صفاته التي تعرفها فيه أن الله لا يخزيه أبداً.

سيدنا الصديق رضي الله عنه لم يحتج إلى أدلة تدله على صدق رسالة النبي صلى الله عليه وسلم حينما دعاه إلى الإسلام، لأنه عرف عنه الكثير، النبي عليه الصلاة والسلام كان ذا شخصية فذّة قبل أن تأتيه

الرسالة، كان كريماً، كان صادقاً، كان أميناً، كان عفيفاً، كان ذا نسب رفيع، كان لا يلهو مع من يلهو، إذا دُعِي إلى اللهو قال: لم أخلق لهذا، كان يحب الخير، كان قلبه رقيقاً، فهذه كلها صفات تليق برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولما بعث سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بعض أحياء العرب يدعوهم إلى الإسلام، فقالوا: يا خالد: صف لنا محمداً؟ فقال: بإيجاز أم بإطناب؟ فقالوا: بإيجاز، فقال: هو رسول الله، والرسول على قَدرِ المرسِل، رسول الله، الله خالق الكون، فيجب أن تكون صفاته متناسبة مع الذي أرسله، هذا بالإيجاز.

ولما وقف النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا ونادى بطون مكة، يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني فلان، فلما اجتمعوا قال لهم: **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا فَجَعَلَ يُنَادِي يَا بَنِي فِهْرٍ يَا بَنِي عَدِيٍّ لِبُطُونِ قُرَيْشٍ حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بِالْوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلا صِدْقًا، قَالَ؟ فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ.**

صحيح البخاري

إذاً أجمع الناس الذين عاشوا معه على أنه صادق لا يكذب، إذاً شخصيته الفذة، وصفاته الفضلى، وكرائم طباعه، هذه تؤكد أنه نبي رسول من عند الله.

ملك عُمان لما بَلَغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه إلى الإسلام، ماذا قال؟ قال: والله لقد دلني على هذا النبي الأميّ –دققوا جيداً– أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، يفتخر رجال الدين في بعض الأديان الأخرى أن يا أخي رجال الدين خذوا أقوالهم ولا تفعلوا أفعالهم، هذا كلام باطل، كيف آخذ منك وأنت تخالف قولك؟ كيف أثق بقولك وأنت تخالفه؟ قال: والله ما دلني على هذا النبي الأميّ أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذ به، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له، وأنه يغلب فلا يظفر، ويُغلب فلا يضجر، ويفي بالعهد، ويُنجز الوعد، وأشهد أنه نبي، هذا دليل، أخلاقه الدليل.

العلاء الحضرمي دعا المنذر بن ساوى أمير البحرين قال له: يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغُرنّ عن الآخرة، كثير أشخاص في الدنيا شخصية فذّة، معه شهادة عليا، يحتل منصباً رفيعاً، حكيم، هادئ، إذا كنت عزيزاً في الدنيا فيجب أن يهديك عقلك إلى أن تكون عزيزاً في الآخرة، فقال: يا منذر إنك عظيم العقل في الدنيا فلا تصغُرنّ عن الآخرة، إن هذه المجوسية شرّ دين، فكان مجوسياً، ليس فيها تكرُّم العرب، ولا علم أهل الكتاب ينكحون ما يُستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يُتَنزه عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة، ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ألا تُصدّقه؟ وهو النبي الكريم، ولمن لا يخون ألا تأمنه؟ ولمن لا يُخْلف ألا تثق به؟ هذا هو النبي الأمي، الذي لا يستطيع ذو عقل أن يقول: ليت ما أمر به نهى عنه، أو ما نهى عنه أمر به، أو ليته زاد في عفوه أو نقص من عقابه، إذ كل ذلك منه ممتنع فانظر وفكر في أمر هذا النبي، من أخلاقه، من معاملته، من طيب نفسه، من تواضعه، من كرمه، من حيائه، من رحمته، من إنصافه، من عدله، أخلاقه دليل، ورسالته دليل.

الحقيقة القصة الدقيقة أخرجها الشيخان عن ابن عباس، أن أبا سفيان أخبره أن هرقل عظيم الروم أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجاراً في الشام، أي أبو سفيان كان في الشام مع بعض التجار وكان على الشرك، بعث إليه هرقل عظيم الروم يستدعيه، في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُعادي بها أبو سفيان، كان أبو سفيان عدواً لدوداً لرسول الله، فأتوه، فدعاهم إلى مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجُمان، فقال: أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعُم أنه نبي؟ يبدو أن هرقل عظيم الروم جاءته أخبار عن السيد الأعظم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وبلغه أن في بلاده تجاراً من مكة يلوذون به، فرأى أن يلتقي بهم ليأخذ منهم الأخبار عن كثب، فقال: أيكم أقرب نسباً لهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم به نسباً؟ كان مشركاً وكان عدواً لدوداً، وقد حاربه ثلاثة حروب، اسمعوا شهادة العدو، فقال: أدنوه مني وقرّبِوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، أي هو جعله أول واحد وجعل أصحابه عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان: فو الله لولا الحياء من أن يؤثّر عليّ كذباً لكذبت عنه.

سأل أبا سفيان أمام أصحابه وأبلغهم جميعاً إذا كذب فكذبوه، فصار كذب وفي حرج كبير، أما أبو سفيان قال: أتمنى أن أكذب وقتها، فهرقل عظيم الروم استدعى أبا سفيان وأصحابه وأجلسه أمامهم وأمر ترجمانه أن إذا كذبني فكذبوه، قل لهم لهذا الوفد: إذا كذبني هذا الرجل أبو سفيان فكذبوه، وقال عندئذ: : إني سائل هذا عن هذا الرجل، فإن كذبني فكذبوه، فقال أبو سفيان: فو الله لولا الحياء من أن يؤثّر عليّ كذباً لكذبت عنه.

ثم كان أول ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: والله هو فينا ذو نسب، أي نسبه عال، قال: فهل قال هذا القول منكم أحد قبله قط؟ قلت: لا، قال: فهل كان من آبائه من مَلَك؟ قلت: لا، قال: فأشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم، قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون، قال: فهل يرتد أحد منهم سُخطاً لدينه بعد أن دخل فيه؟ قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: فهل يغدر؟ قلت: لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها، حتى يوغر صدره قال: في غيابنا لا ندري ماذا يعمل؟ إلى أن غادرت مكة لم يغدر أما بغيابنا لا أدري، قال: فهل قاتلتموه؟ قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت: الحرب بيننا وبينه سِجال، ينال منا وننال منه، قال: فبماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة، فقال للترجمان: قل له: سألتك: عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، وكذلك الرسل تُبعث في نسبٍ من قومها، وسألتك: هل قال أحدٌ منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا، فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجلٌ يتأسّى بقول قبله، وسألتك: هل من آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا، قلت: لو كان من آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب مُلك أبيه، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله عزّ وجل، وسألتك: أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه، وهم أتباع الرسل عادة، وسألتك: أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنهم يزيدون، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم، وسألتك: أيرتد أحد منهم بعد أن دخل في الدين؟ فذكرت أن لا، وكذلك الإيمان حين تُخالط بشاشته القلوب، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: بماذا يأمركم؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وينهاكم عن عبادة الأوثان، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين.

كان عاقلاً وكان ذكياً جداً، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنّ أنه منكم، فلو أني أعلم أني أَخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، ثم دعا بكتاب رسول الله، في الوقت نفسه جاءه كتاب رسول الله الذي بعث به دُحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى–ليس سلام عليه على من اتبع الهدى–أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا: اشهدوا بأنا مسلمون، قال أبو سفيان: فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثُر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأُخرجنا، فقلت لأصحابي حين أُخرجنا: إن محمداً يخافه ملك بني الأصفر، فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام، أي الملوك تخافه، فمازلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام، هذه قصة تؤكد أن الإيمان برسول الله قد يكون من أخلاقه الكريمة ومن صفاته الفضلى.

## خلاصة الدرس:

إذاً ملخص هذا الدرس نقطتان، دليلان كبيران على رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الأول فحوى رسالته والثاني أخلاقه، ففحوى رسالته تتناسب مع الذي أرسله، وأخلاقه الكريمة تتناسب مع الذي أرسله، ويكفي أن الله سبحانه وتعالى قال في حقه:

**وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ (4)**

سورة القلم

بقي علينا برهانان ثانيان آخران في الدرس القادم إن شاء الله تعالى، البرهان الأول فحوى رسالته، والبرهان الثاني أخلاقه الكريمة.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 30-63: تتمة الأدلة القطعية على رسالة النبي عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الأدلة القطعية على رسالة سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام:

### 1- أخبار الرسل السابقين في كتبهم ببعثة هذا الرسول:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثلاثين من دروس العقيدة.

لازلنا في موضوع الإيمان بالرسل، ووصلنا في الدرس الماضي إلى أن هناك أربعة أدلة قطعية على رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، تحدثنا عن الدليل الأول: وهو فحوى الرسالة، وتحدثنا عن الدليل الثاني وهو شخصية النبي صلى الله عليه وسلم، واليوم إلى الدليل الثالث إن شاء الله تعالى، فالدليل الثالث هو الاستدلال بأخبار الرسل السابقين بصفاته وانطباقها عليه تماماً، الرسل السابقون الذين جاؤوا برسالات من عند الله، في هذه الرسالات إشارات واضحة جداً إلى أنه سيأتي رسول في آخر الزمان اسمه أحمد، وله صفات دقيقة مكتوبة عندهم في كتبهم المُنزلة من عند الله سبحانه وتعالى.

فنحن نعلم أن جميع الأنبياء عليهم السلام إخوة، الأنبياء جميعاً إخوة لأن الذي أرسلهم واحد وهو الله سبحانه وتعالى برسالة توحيد واحدة، وإنّ من تمام رسالة كل رسول أن يؤمن بمن سبقه من رسل، وبما أُنزل عليهم من كتب، لذلك المؤمن يؤمن بالرسالات السماوية كلها، وبالرسل كلهم، وبالكتب المُنَزّلة على رسله كلها، وأن يدعو قومه إلى الإيمان بما آمن، ما من مسلم واحد إلا ويؤمن:

**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)**

**سورة البقرة**

المصدر واحد، سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يقول: أنا الطريق والحق والحياة فكل غصن لا يثبت فيّ يُقطع ويُلقى في النار.

سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام يقول: صلوا في كل أوقاتكم، صلّوا وأنتم في أعمالكم، صلوا وأنتم في بيوتكم.

لو تتبعت الكتب السماوية على حقيقتها قبل أن يطرأ عليها التعديل والتغيير، قبل أن يطرأ عليها التحوير، لوجدت مضمون الكتب السماوية مضموناً واحداً لأنه من أصل واحد، إذاً من تمام رسالة كل رسول أن يؤمن بمن سبقه من رسل الله، وبما أُنزل عليهم من كتب، وأن يدعو قومه إلى الإيمان بما آمن، كما أن من تمام رسالته أن يدعو قومه إلى الإيمان بكل رسول سابق يأتي بعده إن لم تكن رسالته خاتمة الرسالات السماوية، طبعاً إذا كانت الرسالة خاتمة الرسالات لن تجد في القرآن الكريم دعوة إلى الإيمان برسول قادم، لأن النبي عليه الصلاة والسلام خاتم الأنبياء، لكن في الإنجيل تجد دعوة للإيمان بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

وحيث أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يختم رسالات السماء برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ويجعلها عامة للناس فقد بشّر برسالته في كتب الديانتين اليهودية والنصرانية ليحثّ أتباعهما على اتباع رسالة محمد صلى الله عليه وسلم متى بعثه الله، وليجعل في كتبهم حجةً عليهم إذا هم أخذتهم العصبية، أو حجبهم الحسد عن أن يؤمنوا بالنبي الجديد، لذلك في الكتب السابقة إشارات واضحات إلى أنه سيأتي نبي كريم اسمه أحمد، واسمه أحمد يعني حقيقته، أي أحمد الخلق، استمعوا إلى قوله تعالى:

**وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (89)**

**سورة البقرة**

فهم كانوا أي أهل الكتاب قبل بعثة محمد عليه الصلاة والسلام يستفتحون على كفّار العرب، أي يستنصرون عليهم إذ يدعون الله أن يُرسِل إليهم الرسول المنتظر لكي يتبعونه فينتصرون به على المشركين، ﴿**فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ**﴾ ربنا عزّ وجل يقول:

الَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ **يَعْرِفُونَهُ** كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ **(146)**

**سورة البقرة**

﴿**يَعْرِفُونَهُ**﴾ أي النبي عليه الصلاة والسلام، في كتبهم توضيحات، آيات صريحة دالة على بعثة النبي ورسالته وأوصافه، وتعهد الله عزّ وجل بأن يكتب رحمته التي وسعت كل شيء لأهل الكتاب الذين يؤمنون بمحمد بدلائل البشارة الموجودة في كتبهم، فقال تعالى في الأعراف:

**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ** وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

**سورة الأعراف**

هذه الآيات كلها تؤكد أن الله سبحانه وتعالى ذكر في الكتب السابقة آيات كثيرة عن بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، وعلى الرغم من كل التحريفات التي اصطنعها الأحبار والرهبان في التوراة والإنجيل فقد بقي في نُسَخ التوراة والإنجيل حتى الآن كثير من هذه البشائر، وإن كان أهل الكتاب ممن يدخل في الإسلام يكابر في تطبيقها على محمد عليه الصلاة والسلام، وزاد الإنجيل على التنويه بصفات محمد فقد ذكر اسمه المشتق من معنى الحمد، قال تعالى:

**وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6)**

**سورة الصف**

## بعض الأمثلة من التوراة والإنجيل على بعثة النبي عليه الصلاة والسلام:

الآن بعض الأمثلة من التوراة والإنجيل التي تتحدث عن بعثة النبي عليه الصلاة والسلام، ما جاء في نسخ الإنجيل وفق الترجمات العربية أنّ اسم النبي المبشر به "فارقليط" هذا الاسم اسم يوناني، تعريبه مشتق من الحمد، محمد وأحمد، الآية 15 من إنجيل يوحنا: "إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي وأنا أطلب من الأب فيعطيكم فارقليط آخر ليثبت معكم إلى الأبد، فأما إذا جاء الفارقليط الذي أُرسِله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من الأب ينبثق وهو يشهد لأجلي، وأنتم تشهدون لأنكم معي من الابتداء، جاء الرب من سيناء وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران، فاران أي مكة، أي هناك آيات كثيرة.

ومما جاء في كتب بعض الديانات الأخرى عن النبي عليه الصلاة والسلام، أنه حينما ينحدر الفارسيون إلى الحضيض الخلقي سيولد رجل في الجزيرةِ العربية يزلزل أتباعه عرشهم ودينهم وكل شيء لديهم، وسيغلب جبابرة الفرس المتغطرسين، وإنّ البيت المعمور الذي يضم كثيراً من الأصنام سيُطهَّر من هذه الأصنام، وسيصلي الناس متجهين إليه، وسيستولي أتباعه على مدن بارسيس وتاوس وبلخ والمواقع الأخرى المحيطة بها، سيختلف الناس كثيراً بشأنه، أما عقلاء فارس فسينضمون إلى أتباعه.

على كل هذا بحث طويل، مراجعة الكتب القديمة والتحقيق وقراءة ما جاء فيها من بشارات، نحن نريد من هذا كله حقيقة واحدة وهي أن من تمام رسالات الرسل أن يؤمنوا بالرسالات السابقة، ويدعوا أتباعهم إلى الإيمان بالرسالات اللاحقة إن لم تكن الرسالة خاتمة الرسالات.

## الاستشهاد بأمثلة تاريخية على أتباع الرسل الذين آمنوا ببعثة النبي:

الآن بعض الأمثلة التاريخية؛ في يوم غزوة أحد جاء حِبرٌ من أحبار يهود المدينة اسمه مُخَيريق، وكان أحد بني ثعلبة إلى قومه فقال لهم: يا معشر اليهود، والله لقد علمتم إن نَصْرَ محمدٍ عليكم لحق، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال: لا سبت لكم فأخذ سيفه وعدته، وقال: إن أُصبت فمالي لمحمد يصنع فيه ما شاء، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتل معه حتى قُتِل، فقال عليه الصلاة والسلام لمّا علم بالأمر: مُخَيريق خير اليهود، رأى في التوراة ما يؤكد أن هذا النبي حقّ فذهب إليه وقاتل معه واستُشهد في أُحد.

أرسل النبي عليه الصلاة والسلام كتاباً إلى النجاشي ملك الحبشة دعاه فيه إلى الإسلام، وهو أحد الكتب التي أرسلها الرسول إلى ملوك العرب، وملوك البلاد المجاورة للبلاد العربية إذ ذاك، وقد حمل هذا الكتاب إلى النجاشي جعفر بن أبي طالب ابن عم الرسول، ولما وصل إليه وعلم النجاشي مضمون كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال –دققوا في قول النجاشي–: أشهد بالله إنه للنبي الذي ينتظره أهل الكتاب، وقد كان النجاشي نصرانياً، نسطورياً، ومذهب نسطور قائم على التوحيد، ويُنكِر ألوهية المسيح، ثم كتب إلى الرسول جواب كتابه إليه، فكان مما كتبه إليه: "فأشهد أنك رسول الله صادقاً مُصدقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين" وكان سبب إيمان النجاشي بمحمد عليه الصلاة والسلام معرفته بصفاته من الإنجيل وانطباقها عليه، سأتلو عليكم كتاب سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إلى النجاشي: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلْم أنت فإني أحمد إليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى ابن مريم روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له، والموالاة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فإني رسول الله، وقد بعثت إليك ابن عمي جعفراً، ونفراً معه من المسلمين، فإذا جاؤوك فأقرهم–أي أكرمهم من إقراء الضيف–ودع التجبّر فإني أدعوك وجنودك إلى الله، فقد بلّغتُ ونصحت فاقبلوا نصحي والسلام على من اتبع الهدى، هذا كتاب النبي عليه الصلاة والسلام للنجاشي ملك الحبشة، فلما وصل إليه الكتاب وضعه على عينيه، ونزل من على سريره، فجلس على الأرض، ثم أسلم وكتب الجواب إلى النبي عليه الصلاة والسلام: "بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله، من النجاشي أصحمة بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركات الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني إلى الإسلام، أما بعد؛ فقد بلغني كتابك يا رسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ما ذكرت، وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا، وقد قرّبنا ابن عمك وأصحابه، فأشهد إنك رسول الله صادقاً مُصدَّقاً، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه لله ربّ العالمين، وأرسلت إليك ابني أرهى بن الأصحم بن أبجر، فإني لا أملك إلا نفسي فإن شئت أن آتيك فعلت يا رسول الله.

هذا جواب ملك الحبشة، لذلك النبي الكريم حينما جاءه وفد الحبشة أبى إلا أن يخدمهم بنفسه، وحينما تُوفي ملك الحبشة صلى عليه صلاة الغائب، لأنه عدّه أحد أتباعه، هذه رسالة رسول الله لملك الحبشة،

وكما قلت قبل قليل: إن سبب إسلام النجاشي هو أنّ الصفات التي جاءت عنده في الإنجيل وجدها منطبقة على النبي عليه الصلاة والسلام.

أيضاً النبي عليه الصلاة والسلام أرسل كتاباً إلى المقوقس ملك القِبط في الإسكندرية، قال في هذا الكتاب: "بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القِبط، سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فعليك إثم كل القبط"، قال الله:

**قُلْ** يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64)

**سورة آل عمران**

قال: هذا الكتاب محفوظ بدار الآثار في الأستانة، قيل: إنه عثر عليه عالم فرنسي في دير في مصر قرب أخميم، في زمن سعيد باشا، كتاب النبي عليه الصلاة والسلام إلى المقوقس عظيم القبط في الإسكندرية، أما جواب المقوقس يقول: "بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد بن عبد الله من المقوقس، سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد علمت أن نبياً قد بقي، وقد كنت أظن أنه بالشام، وقد أكرمت رسولك"، وأهدى الرسول عليه الصلاة والسلام أصنافاً من الهدايا أرسلها مع حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وكان هذا الصحابي هو الذي حمل كتاب الرسول إليه.

بعث إليه بطبيب، فقال: عُد إلى قومك لا حاجة لنا بك، نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع، فعدّ العلماء علماء الطب الوقائي أن هذا الحديث أصل في الطب الوقائي، لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع، ليس قدر ما أكلنا لا نشبع، يوجد معنى آخر، أي نجلس إلى الطعام ونحن نشتهيه وننزع يدنا عنه ونحن نشتهيه، وقال بعضهم: إن عُشر ما نأكله يكفي لبقائنا أحياء وتسعة أعشار ما نأكله يكفي لبقاء الأطباء أحياء.

قصة رابعة تتحدث عن إيمان أهل الكتاب بسبب ما عندهم في كتبهم من آيات تؤكد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام: **أخرج ابن سعد عن أبي هريرة قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المدارس-**

أي المَدْرَس وهو موضع يقرأ فيه أهل الكتاب من اليهود كتبهم-**فقال أخرجوا إليّ أعلمكم، فقالوا: عبد الله بن صوريا**-أخرجوا له أحدهم ليُعَلمه النبي-**فخلا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فناشده بدينه وبما أنعم الله عليهم، وأطعمهم من المن والسلوى، وظلّلهم به من الغمام، أتعلم أني رسول الله؟** -سأله على انفراد-**قال: اللهم نعم، وإن القوم ليعرفون ما أعرف، وإن صفتك ونعتك لمُبَيّن في التوراة ولكنهم حسدوك، قال: فما يمنعك أنت؟ قال: أكره خلاف قومي، فإذا اتبعوك وأسلموا أسلمت معهم.**

هذه قصة رابعة تؤكد أن ما جاء في التوراة والإنجيل من بشارات وآيات دالات واضحات على بعثة النبي عليه الصلاة والسلام.

قَدِمَ الجارود بن العلاء من علماء النصارى مع وفد من قومه إلى النبي عليه الصلاة والسلام، فقال للنبي عليه الصلاة والسلام: والله لقد جئت بالحق، ونطقت بالصدق، والذي بعثك بالحق نبياً، لقد وجدت وصفك في الإنجيل، وبشّرَ بك ابن البتول، فطول التحية لك، والشكر لمن أكرمك، لا أثر بعد عين، ولا شك بعد يقين، مُدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، هذه كلها أدلة على أن مما يؤكد بعثة النبي عليه الصلاة والسلام أنَّ الرسل السابقين بُشّروا بهذه البعثة.

أمّا قصة عبد الله بن سلام، وقد كان من أحبار اليهود، وكان أعلمهم بالتوراة لما سمع بمقدم الرسول عليه الصلاة والسلام المدينة، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعَ عبد الله بْنُ سَلامٍ بِقُدُومِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي أَرْضٍ يَخْتَرِفُ فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ عَنْ ثَلاثٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إلا نَبِيٌّ،** فَمَا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ وَمَا أَوَّلُ طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ وَمَا يَنْزِعُ الْوَلَدُ إِلَى أَبِيهِ أَوْ إِلَى أُمِّهِ؟ قَالَ: أَخْبَرَنِي بِهِنَّ جِبْرِيلُ آنِفًا، قَالَ: جِبْرِيلُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ذَاكَ عَدُوُّ الْيَهُودِ مِنَ الْمَلائِكَةِ فَقَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ (مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ) أَمَّا أَوَّلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ فَنَارٌ تَحْشُرُ النَّاسَ مِنَ الْمَشْرِقِ إِلَى الْمَغْرِبِ، وَأَمَّا أَوَّلُ طَعَامٍ يَأْكُلُهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ فَزِيَادَةُ كَبِدِ حُوتٍ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ الْمَرْأَةِ نَزَعَ الْوَلَدَ، وَإِذَا سَبَقَ مَاءُ الْمَرْأَةِ نَزَعَتْ، **قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ قَوْمٌ بُهُتٌ**- أي كذابون يقولون على المرء ما ليس فيه-**وَإِنَّهُمْ إِنْ يَعْلَمُوا بِإِسْلامِي قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَهُمْ يَبْهَتُونِي** -كذبوني-**فَجَاءَتِ الْيَهُودُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ رَجُلٍ عبد الله فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرُنَا وَابْنُ خَيْرِنَا وَسَيِّدُنَا وَابْنُ سَيِّدِنَا، قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَسْلَمَ عبد الله بْنُ**

**سَلامٍ؟ فَقَالُوا: أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ، فَخَرَجَ عبد الله فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالُوا: شَرُّنَا وَابْنُ شَرِّنَا وَانْتَقَصُوهُ، قَالَ: فَهَذَا الَّذِي كُنْتُ أَخَافُ يَا رَسُولَ اللَّهِ.**

**صحيح البخاري**

أعرف قومي من هم، هذا الحديث رواه البخاري.

أعتقد أن في هذه الأمثلة والآيات والقصص ما يكفي للتأكيد على أنه من الأدلة القاطعة على بعثة النبي عليه الصلاة والسلام الأوصاف الدقيقة التي جاءت في كُتب أهل الكتاب التوراة والإنجيل.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 31-63: الاستدلال بالمعجزة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الاستدلال بالمعجزة التي يجريها الله على يد النبي من الأدلة القطعية على رسالته:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الواحد والثلاثين من دروس العقيدة.

لازلنا في موضوع الإيمان بالرسل، وقد تحدثنا في الدرس الماضي عن الدليل الثالث على الإيمان بالرسل، وهو ما ورد في الكتب السماوية السابقة من بِشارات بالأنبياء بسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، واليوم ننتقل إلى الدليل الرابع من الأدلة على صدق إرسال الرسل ونبوة الأنبياء.

الدليل الرابع هو الاستدلال بالمعجزة التي يجريها الله سبحانه وتعالى على يد النبي، فحوى الرسالة، وشخصية النبي صلى الله عليه وسلم، والأدلة النقلية الأخبار الصحيحة التي وردت في الكتب السماوية.

واليوم الدليل الرابع هو المعجزة التي يجريها الله سبحانه وتعالى على يد النبي.

لقد علمنا من تاريخ الأمم أن كل أمةٍ جاء فيها رسول يدّعي النبوة كانت تطلب منه برهاناً على صدقه، ومن حقها أن تطالب بهذا البرهان إن لم يحصل لها العلم بنبوته من طريق آخر، وذلك للتثبت من صحة نبوته، يشهد بهذا قول النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ مَا مِثْلهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

**صحيح البخاري**

أي كل نبي الله سبحانه وتعالى أيّده بمعجزة تُثبت لقومه أنه نبي، ما المعجزة؟ المعجزة أمر ممكن عقلاً، خارق للعادة ممكن عقلاً، أي الذي خلق الماء أعطاه هذا التركيز، هذه السيولة، هو الذي صممه هكذا، هو قادر على أن يجعله طريقاً يبساً، فالمعجزة ممكنة عقلاً ممتنعة عادةً، لذلك لا تُجرى إلا على يد النبي، تأكيداً للناس على أن هذا هو نبي مرسل من عند الله سبحانه وتعالى.

فالمعجزة أمر ممكن عقلاً، ممتنع عادةً، يجريها الله على يد من أراد أن يؤيده ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته.

أن تنقلب العصا أفعى، ثعباناً مبيناً، أن يضرب موسى بعصاه الحجر فتنفجر اثنتا عشرة عيناً، هذه معجزة، أن يأتي سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام فيحيي الميت، ويبرئ الأكمه والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، أن يُنْبِئهم ما في بيوتهم، ماذا يعلم الإنسان عما في بيوت بعضنا بعضاً؟ هذه أشياء لا يستطيع بشر أن يفعلها، إنها فوق إمكانات البشر، الحواجز المادية تحجب علم البشر، أنا ما الذي يُعْلمني ماذا في بيتك؟ لأن البيت حاجز يمنع العلم عن أن يصل إليك، فسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم كان يُنْبِئهم ما في بيوتهم، أبرأ الأكمه، أبرأ الأبرص، أحيا الموتى، سيدنا موسى أمسك العصا فإذا هي ثعبان مبين، نزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين، ضرب البحر فأصبح طريقاً يبساً، ضرب الصخر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، هذه كلها أشياء ممتنعة عادة، مُمكنة عقلاً، خالق الكون بإمكانه أن يفعل ما يشاء، هو على كل شيء قدير، قال الله:

**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)**

**سورة يس**

كلمة واحدة، مما تعلمنا في الكيمياء أن العناصر لها نواة، وحول النواة كهارب، هناك عنصر حوله كهروب واحد، هذا أبسط العناصر، هناك عنصر حوله كهروبان، ثلاثة، أربعة، وهكذا، فهناك عنصر بنيته صُلْبة، وهناك عنصر آخر بنيته غازية، والعناصر كما تعرفون إما أن تكون صُلبة كالمعادن وأشباه المعادن، وإما أن تكون سائلة، وإما أن تكون غازية، فبين عنصرين أحدهما صُلب والآخر غازي كهروب واحد، فلو أن الله سبحانه وتعالى أجرى تعديلاً طفيفاً على بنية العنصر كان غازاً فصار صخراً، كان ماءً فصار طريقاً يبساً،

فعقلاً المعجزة ممكنة عقلاً، هو الخالق، هو المصمم، هو المخطط، الذي أعطى الحديد هذه القساوة يمكن أن يجعله ليناً، قال تعالى:

**وَلَقَدْ آَتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (10)**

**سورة سبأ**

الذي جعل خلق الإنسان عن طريق أب وأم يمكن أن يجعله عن طريق أبٍ من دون أم، أو عن طريق أمّ من دون أب، فالمعجزة كما تحدثنا عنها في دروس سابقة حينما وصلنا إلى موضوع واجب الوجود والمستحيل والممكن، فأي شيء آخر غير الشيء الذي هو عليه الكون ممكن، ممكن أن يكون الماء صلباً والحديد سائلاً، ممكن أن يعيش الإنسان بدون طعام، الذي صممه أنه يعيش بطعام ممكن أن يصممه أن يعيش من دون طعام، كل شيء ممكن، لذلك ربنا عزّ وجل قال:

**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)**

**سورة الانفطار**

لكن هذا الذي هو عليه الإنسان هو ليس في الإمكان أبدع مما كان، هو أنسب وضع له، فهذا الذي ينكر وقوع المعجزة قد عطّل تفكيره، هذا الكون من صممه؟ خالقه، مادام قد صممه على هذا الوضع فبقدرة الخالق أن يصممه تصميماً آخر على وضعٍ آخر، النار من أعطاها قدرة الإحراق؟ الله سبحانه وتعالى، الذي أعطاها قدرة الإحراق يستطيع أن يسلبها هذه القدرة، قال تعالى:

**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)**

**سورة الأنبياء**

لولا أن الله عزّ وجل قال: ﴿**وَسَلامًا**﴾ لمات من شدة البرد وهو في النار، ﴿**بَرْدًا وَسَلامًا**﴾ أي إذا فكّرت في الكون تستشف عظمة الخالق، عندئذ لا تستبعد أن تقع أية معجزة يجريها الله عزّ وجل على يد نبيه، فالإيمان بالمعجزة أمر ممكن عقلاً ممتنع عادة، لا يستطيع أن يفعلها سائر البشر، لذلك حينما يأتي النبي بهذا فهذه شهادة من عند الله بأن هذا الرسول رسولي وهو صادق فيما يقول.

ذلك لأن الذين يتحداهم الرسول بالمعجزة بشراً أو غيرهم لا يستطيعون الإتيان بمثلها منفردين ولا مجتمعين، في حدود قدراتهم الممنوحة لهم بحسب مستواهم، وإذا استجاب الله لطلب المعجزة –هنا يوجد عندنا نقطتان–أحياناً يُجري الله سبحانه وتعالى المعجزة على يد النبي من دون أن يُطالَبَ بها، وأحياناً يُطالَب بها، تأتي بعد الطلب وقد تأتي من دون طلب، فإذا جاءت من دون طلب فمعنى ذلك أن حكمة الله سبحانه وتعالى اقتضت أن تؤيد هذا النبي الكريم بهذه المعجزة، وإن طُولب بها النبي فكان الإتيان بها تحدياً لهؤلاء المعاجزين الذين علقوا إيمانهم بهذا النبي على أن يأتي لهم بمعجزة.

## شروط المعجزة:

### 1 . أن تكون خارقة للعادة:

العلماء وضعوا بعض الشروط للمعجزة، منها أن تكون من الأمور الخارقة للمعتاد، المألوف في قوانين الكون وأنظمته الدائمة، مثلاً لو أن إنساناً أُصيب بمرض، وجاء الطبيب وفحص المريض، وعرف الداء، وشخّص له الدواء، وتناول الدواء، وشُفِي الداء، هذا أمر ممكن عادة، فلا يسمى إبراء هذا المريض معجزة، ولكن أن يأتي نبيّ كريم فيضع يده على هذا المريض فيشفى، يضع يده على عينيه فيبصر، يضع يده على جلد الأبرص فيعود جلداً ناصع البياض، متألقاً، هذا هو الخارق للعادة، يجب أن تكون المعجزة خارقة للعادة، أما إن كانت وفق مألوف العادة لا ترقى إلى مستوى المعجزة.

### 2– أن يتحدى بها النبي من تناولتهم دعوته وشملتهم رسالته:

شيء آخر؛ أن يتحدى بها النبي من تناولتهم دعوته، وشملتهم رسالته، فإن جرى خارق العادة على يد غير مدع الرسالة، المتحدي بالإتيان بمثلها فإنها لا تكون معجزة، وقد تكون كرامة، أي يجب أن تتم هذه على يد النبي نفسه، فلو تمت على يد آخر هذه ليست معجزة إنما هي كرامة.

الشرط الأول أن تكون من خوارق العادات، والشرط الثاني أن تجري على يد النبي نفسه لتكون دلالة قطعية على صدق رسالته.

## 3- أن تعجز الأمة عن معارضتها:

أن تَعجز الأمة وجميع البشر عن المعارضة بمثلها على الصورة الخارقة التي تمّ تحديهم بها، أي أن يصل الإنسان إلى كوكب بمركبة، هذا ليس معجزة، لأن قوانين الأرض كلها طُبقت على هذه المركبة، فهذه المركبة فيها ضغط جوي، فيها هواء، فيها طعام، فيها اتصال لاسلكي، هذه البذلة الفضائية التي ارتداها رواد الفضاء فيها ضغط كاف، فيها تنفس، فيها هواء مضغوط، فحينما يتم خرق العوائد وفق قوانين الأرض هذا لا يُعدّ معجزة، ولكنه يجب أن تتم هذه المعجزة خلافاً لقوانين الأرض، حتى إن صعود الإنسان إلى القمر كان وفق قوانين الأرض، ما هي المركبة الفضائية؟ هي جميع الشروط المتوافرة على سطح الأرض جُعِلت في هذه المركبة، ما هي البذلة الفضائية التي ارتداها رواد الفضاء وهم على سطح القمر؟ جميع الشروط المتوافرة على سطح الأرض توافرت في هذه البذلة، إذاً هذا وفق قوانين الأرض، لكن الإسراء والمعراج معجزة، لأنها خلاف القوانين التي ألِفها البشر، ولكن هذه المعجزة ليست للناس، إنها خاصة بالنبي عليه الصلاة والسلام:

**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آَيَاتِنَا إِنَّه هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (1)**

سورة الإسراء

## 4- ألا تكون مُكَذبة له:

أضاف علماء الكلام شرطاً رابعاً للمعجزة، ويشترط في المعجزة بالإضافة إلى الشروط السابقة ألا يكون الأمر الخارق للعادة متضمناً تكذيب مدّعي النبوة، الذي جرى هذا الأمر الخارق على يديه، قد يأتي على يديه أمر خارق لكن يُكذبه، لا يصدقه، ما معنى ذلك؟ قال: كما حُكِي أن مسيلمة الكذاب لما قيل إن محمداً وضع يده على عين أرمد فشفيت فأرنا مثل ذلك؟ فوضع يده على عين أرمد فعميت، هذا العمل خارق للعادة لكنه كذّبه ولم يصدقه، أما إذا طُلِبت المعجزة تعنتاً، وشططاً، واستخفافاً، واستهزاءً فأغلب الظن أن الله سبحانه تعالى لا يستجيب لهؤلاء المتعنتين، أنت كمعلم حينما تُسأل بدافع الفهم تُجيب، أما حينما تُسأل بدافع آخر لا تجيب، قال تعالى:

**وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آَيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132)**

**سورة الأعراف**

أي افعل ما شئت لن نؤمن بك، إذاً هؤلاء القوم لا يستحقون أن يُجري الله لهم معجزة، كفار قريش طلبوا من النبي عليه الصلاة والسلام بعض المعجزات تعنتاً، واستهزاء، وسخريةً، وتعجيزاً:

**وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93)**

**سورة الإسراء**

قلت تعليقاً سريعاً: إن الذي يتعامى عما في الكون من معجزات، الكون بوضعه الراهن، بأنظمته الطبيعية، بسننه الثابتة، بقوانينه المُحْكَمة هو بحدّ ذاته معجزة، فمن تعامى عن هذه المعجزة لن يؤمن بخرق هذه العوائد، لذلك قيل: حسبكم الكون معجزة.

## الكون بما فيه دليل على المعجزة:

الشمس، ستة آلاف درجة على سطحها، عشرون مليون درجة في باطنها، مضى على تألقها خمسة آلاف مليون عام، من أين تأتي الشمس بهذه الطاقة؟ الأرض تبعد عنها مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر، هناك نجمٌ يسع الشمس والأرض مع المسافة بينهما، هناك مجرة تبعد عنا ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، هناك ثقوب بالفضاء سوداء إذا دخلتها الأرض أصبحت كالبيضة وحجم البيضة مع وزنها نفسه.

خَلق الإنسان معجزة، هذا القلب الذي ينبض في رحم الأم، قلب الجنين الذي ينبض وهو في الرحم، ليس هناك هواء، وليس هناك رئة، الرئة معطلة والهواء غير موجود، فالله سبحانه وتعالى لحكمة بالغة جعل بين الأُذينين ثقباً، للقلب أذينان وبطينان، بين الأذينين هناك ثقب الذي اكتشفه عالم اسمه: بوتال، هذا الثقب يسمح بمرور الدم من الأذين الأيسر إلى الأذين الأيمن، لأن الدم يتلقى ويتجدد ويكسب الأوكسجين عن

طريق دم الأم من خلال المشيمة، فيأتي الدم إلى الأذين الأيسر فينتقل عبر هذا الثقب إلى الأذين الأيمن في الجنين، هذا الجنين خرج إلى الدنيا وأمسكته القابلة من قدميه، واستنشق الهواء أول مرة، وصرخ صرخته المعهودة، ما الذي حصل؟ هكذا الأطباء قالوا، قال: تأتي جلطة فتغلق هذا الثقب، والله هذه معجزة، لو أن الإنسان بقي ثقبه مفتوحاً لأصيب بمرض اسمه: مرض الزرق، داء الزرق، أي هذا المرض لا يسمح للإنسان أن يعيش فوق عشر سنوات، يحتاج لكي يسير أمتاراً إلى جهد كبير، دمه أزرق، لأن الدم بدل أن يذهب إلى الرئة ليتخلص من غاز الفحم ويأخذ الأوكسجين من الهواء الخارجي، ينتقل مباشرة عبر هذا الثقب إلى الأذين الأيمن، إذاً يبقى الدم غير نقي، من أين يأتي الإنسان بالطاقة؟ يحتاج إلى أوكسجين لحرق المواد السكرية، إذاً لا يوجد طاقة، لو أن هناك عملية جراحية مُعقدة تُجرى لهذا الإنسان، العلماء قالوا: احتمال نجاحها ثلاثون بالمئة، وتكلف أكثر من مئتين إلى ثلاثمئة ألف ليرة، يحتاجون إلى شقّ الصدر بالمنشار، وتوسيع هذه الرِّيَش، وإخراج القلب من مكانه، وقطع الشرايين الكبرى، ووصلها بقلب صناعي، وشقّ القلب، وفتح الجدار بين الأذينين، وإغلاق هذا الثقب عن طريق الخياطة، وبعدئذٍ يمسدون القلب، إما أن يتحرك وإما أن يُقال: عظّم الله أجركم، احتمال الموت بالمئة ستون أو سبعون، يد من وصلت إلى هذا الثقب وأغلقته؟

الأطباء قالوا: تأتي جلطة، لوحدها جاءت؟ ألا يوجد أحد سيّر هذه الجلطة؟ تأتي جلطة فتغلق هذا الثقب، هذه معجزة.

هذا الصوص وهو داخل البيضة كيف يخرج منها؟ ضعيف، ينمو له على منقاره نتوء مدبب حاد يستطيع به أن يكسر هذه القشرة، فإذا كسرها وخرج تلاشى هذا النتوء، أليس هذا معجزة؟

طائر يطير من شمال أمريكا إلى جنوبها، ويقطع سبعة عشر ألف كيلو متر، أطول رحلة يقودها ستاً وثمانين ساعة طيران متصلة، هل في الأرض كلها طائرة تطير في الجو ستاً وثمانين ساعة متصلة؟ أطول رحلة عبر الأطلسي يقول لك: تكسّرنا عشر ساعات قبل الكونكورد، الآن أربع أو خمس ساعات، عشر ساعات تكسّر إذا الطائر طار ستاً وثمانون ساعة طيران، أليس هذا معجزة؟

أن يأتي سمك من أعالي الأنهار في أمريكا ويتجه نحو المحيط الأطلسي إلى أن يصل إلى غرب أوروبا، ينمو ويكبر، ثم يعود إلى مسقط رأسه، هذا السمك وهو على سواحل فرنسا أو سواحل إسبانيا يتجه غرباً إلى مسقط رأسه، لو كانت زاوية اتجاهه درجة زيادة يأتي إلى شمال أمريكا، فكيف يتجه هذا السمك وهو تحت

الماء إلى مصب الأمازون؟ كيف يرسم له هذا الطريق؟ أليس هذه معجزة؟ سمك من أعالي النيل، ثعبان الماء، يخرج من أعالي النيل إلى البحر المتوسط يتجه غرباً إلى مضيق جبل طارق، يصعد شمالاً على سواحل إسبانيا، ثم يدخل بحر المانش ليصل لبحر الشمال ويعود من حيث جاء، والله ربان يحمل دكتوراه في علم البحار من دون بوصلة ومن دون إحداثيات واتصال لاسلكي يضيع، يقول لك: أنا تائه، فمن علم هذا الثعبان ثعبان الماء أن يصل إلى مقره؟ وسمك السلمون؟ والطائر؟ الحقيقة والله لا ساعة ولا خمس ساعات ولا سنة ولا عمر يكفي لبيان ما في الكون من معجزات.

لذلك أنا أريد أن أؤكد لكم أن الكون بحدّ ذاته هو معجزة، كما قيل: حسبكم الكون معجزة.

## خلق الإنسان معجزة عظيمة:

خلق الإنسان، تحدثنا عن المخيخ يوم الجمعة، مجموعة خيوط عصبية، وزنه مئة وخمسون، تعوض للإنسان جهده، التوازن، هل التوازن سهل؟ التوازن عملية بالغة التعقيد، أن تمشي على قدميك، أن تقف، أن تركع، أن تسجد، أن تقوم، لولا هذا الجهاز العصبي بالغ التعقيد لما أمكنك أن تفعل هذا، لكن لو كان أحدهم في الطريق يمشي وشاهد أفعى ماذا يحدث له؟ من منكم يصدق أن هناك أعمالاً داخلية تجري في الجسم لا يُصدقها العقل، إذا وقعت عين إنسان على منظر أفعى فإن هذه العين تنقل الصورة إلى الدماغ، يتم الإسقاط بالعين وتنتقل الصورة عبر العصب البصري إلى الدماغ، الدماغ يترجم هذه الصورة، في الدماغ إدراك وفي العين إحساس، الدماغ يدرك أن هذه أفعى وخطيرة وسمّها خطير، وقد تكون لدغتها مميتة، الدماغ ملك الجهاز العصبي يأمر ملكة الجهاز الهرموني وهي الغدة النخامية، ملكة، جميع الغدد الصماء في الجسد تأتمر بأمر ملكة واحدة هي الغدة النخامية، لا يزيد حجمها على حبة العدس في الدماغ، الدماغ يأمر ملكة الغدد النظام الهرموني عن طريق ضابط اتصال، هناك ضابط اتصال بين المخ وبين الغدة النخامية، هذا الضابط هو الجسم تحت السرير البصري، في جذع الدماغ، الغدة النخامية تعطي أمراً عاماً إلى الكظر، غدة فوق الكلية، الكظر أمر عام، هناك خطر أيها الكظر تصرف، هذه كلها كلمات مجازية، ليس هناك إلا الله عزّ وجل، الكظر يُصدر أمراً هرمونياً، أول أمر يصدره إلى كل الشرايين والأوردة بتضييق لمعتها لتوفير الدم للعضلات، تجد الإنسان له وجه أزهر، مورّد، فإذا خاف اصفرّ وجهه، أين ذهب لونه الأحمر؟ أين هذا اللون

الوردي الجميل؟ لأنَّ الكظر أعطى أمراً لكل الشرايين لتضييق اللمعة، هذا الدم الذي وفرناه من الشرايين سيتجه إلى العضلات ليعينها على مواجهة الخطر، هذا أول أمر، الخائف يصفرّ لونه، لماذا يصفرّ لونه؟ لأن هناك أمراً هرمونياً أصدره الكظر إلى كل الأعصاب التي تُعصب الشرايين والأوردة لتضييق اللمعة، يصدر الكظر أمراً ثانياً إلى القلب بمضاعفة ضرباته، لماذا؟ أمسك سماعة ضعها على قلب خائف تجد أن نبضه مئة وأربعين ضربة لماذا؟ لأن سرعة الدم في الشرايين تحددها عدد ضربات القلب، فالوجيب هكذا الدم يمشي هكذا، الوجيب الأسرع الدم أسرع، فمن أجل تلبية حاجة العضلات إلى الطاقة الدم يُسرع يمشي على العشرين، يمشي على المئة والعشرين، لو أن القلب أسرع والرئة على الوضع الطبيعي، ست عشرة خفقاناً في الدقيقة، مستحيل، لا يلحق القلب، لابد من أن يزداد خفقان الرئتين من أجل أن يلبي حاجة القلب لتصفية الدم.

يأتي أمر ثالث للرئتين تجد الخائف قلبه مئة وأربعين ويلهث ووجهه أصفر، يصدر أمراً رابعاً للكبد بطرح كمية سكر زائدة في الدم من أجل أن تحترق، وتوفر للعضلات طاقة، أليس هذا معجزة؟ إذا إنسان شاهد عقرباً أو حية أو هدده أحد أو سيارة مسرعة كاد أن يدهس بها، هل يدري ماذا حصل؟ أليس هذا معجزة؟ الشيء الذي يمكن أن يقال في هذا الدرس لا ينتهي بدروس.

## ظواهر الكون العدد فيها لا يُحصى:

لماذا الماء، عناصر الأرض كلها إذا بردتها تنكمش والماء كذلك، اجعل الماء درجته مئة برّده للتسعين ينكمش، لو لدينا أجهزة دقيقة جداً تقيس حجم الماء ينكمش، سبعون ينكمش، ستون، خمسون، أربعون، ثلاثون، عشرون، عشر درجات، تسع، ثمان، سبع، ست، خمس، زائد أربع ينعكس الموضوع يزداد حجم الماء، عندما تجمده يزداد حجمه، لولا هذه الظاهرة لما كنّا على سطح الأرض نحن، أن الماء يزداد حجمه عندما يصل تبريده إلى درجة زائد أربع، لهذا البحار يتجمد منها القسم السطحي فقط، كلما تجمد الماء ازداد حجمه، قلّت كثافته، طفا على سطح الماء، بهذه الطريقة تبقى البحار كلها سائلة، لو أن الماء إذا برد انكمش فزادت كثافته، فغاص في الماء، خلال سنوات تصبح البحار كلها متجمدة من سطحها إلى أعماقها، وإذا تجمدت انعدم التبخر، وإذا انعدم التبخر انعدم المطر، وإذا انعدم المطر انعدم الإنبات، وإذا انعدم الإنبات مات الحيوان، وإذا مات الحيوان مات الإنسان، وانتهت الحياة كلها من على سطح الأرض، لو أن هذا الماء، أليس هذا بمعجزة؟

أشعة الشمس أشعة قاتلة، فيها مواد ضارة بالإنسان، مَنْ خلق طبقة حول الأرض كلها لا يزيد سمكها عن مليمترات هي طبقة الأوزون؟ هذه الطبقة تحمي الكائنات الحية التي على سطح الأرض من أشعة الشمس الضارة، أحدث رقم الآن كل سبعة أشخاص في أمريكا واحد منهم مصاب بسرطان الجلد، السبب؟ أن كثرة إطلاق الصواريخ والمركبات، طبقة الأوزون تخلخلت، من تخلخل هذه الطبقة نفذت أشعة الشمس المؤذية، من خلق طبقة الأوزون هذه؟ أليس هذا معجزة؟

هذه الشجرة لو أنَّ الماء انقطع عنها؟ لو فرضنا صاحب هذا البستان سافر، أو خرج من بلده لسبب قاهر، وترك هذا البستان بلا عناية، هذه الشجرة ماذا يحصل لها؟ أول شيء يحصل لها أن أوراقها تذبل، سبحان الله! الجفاف بالجذور، لماذا كان الذبول في أوراقها؟ قال: لأن الشجرة إذا انقطع الماء عنها تستهلك أول ما تستهلك ماء أوراقها، ثم تستهلك ماء الأغصان، ثم تستهلك ماء الفروع، ثم تستهلك ماء الجذع، ثم آخر ما تستهلكه ماء الجذور، حفاظاً على الأمل، يعود البستاني إلى بستانه بعد شهرين الشجرة يابسة، لكن يوجد بقية حياة بجذرها، يسقيها فتعود كما كانت، لو أن الشجرة تستهلك أول ما تستهلك ماء الجذور إذا تركناها من دون ماء، أسبوع تموت فوراً، يوجد حشرات تصيب الزيتون، أخطر شيء ذبابة الزيتون ماذا تفعل؟ تأكل الجذيرات ترى الشجرة خضراء متألقة نضرة فجأة يبست وماتت، فمن جعل أن الشجرة تستهلك ماء الأوراق أولاً فماء الأغصان فماء الفروع فماء الجذر؟ الله سبحانه وتعالى، أليس هذا معجزة؟ والله أشعر مهما تكلمت عن ظواهر الكون العدد لا يُحصى، وهذا العلم محدود، ربنا عزّ وجل قال:

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**

**سورة الإسراء**

## تكريم الله للنبي محمد بأن جعل معجزته مستمرة إلى يوم القيامة:

لو جلست مع أعلم علماء الأرض كل علمه وعلم أسلافه ومن بعده لا يُعدّ مثقال ذرة من علم الله، ﴿**وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ هذا كله أردت منه أن أوضح قول: حسبكم الكون معجزة، لأصحاب العقول والأفكار والأفئدة وأولي الألباب الكون بوضعه الراهن هو المعجزة، ولكن الذي عطّل عقله لما رأى سيدنا موسى ضرب البحر بعصاه فإذا انفلق كل فرق كالطود العظيم، والله هذا رسول، هناك أدلة أقوى من هذا، لكن لمن

عطّل فكره يرى أن خرق القوانين وخرق العادات هذه معجزة، لذلك من تكريم الله سبحانه وتعالى لنبينا عليه الصلاة والسلام أن المعجزة التي جاء بها مستمرة، وهي القرآن الكريم، أما المعجزات التي جاء بها الأنبياء انقلبت إلى أخبار، كوقائع انتهت بقيت أخباراً، قناة السويس تمشي فيها تقول الخبر كان هذا خليج السويس، لما فرعون تبع سيدنا موسى فانتقل من ضفة إلى أخرى، الآن كلها ماء، فهذه المعجزة انتهت وبقيت خبراً، إما أن تصدقه إن كنت مؤمناً أو تكذبه إن كنت غير ذلك، لكن المعجزة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام بين أيدينا وهي القرآن الكريم، قال الله:

وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آَيَةً **فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (73)**

**سورة الأعراف**

أي الجبل انشقّ وخرجت منه ناقة، هذه معجزة لسيدنا صالح، سيدنا موسى قال:

**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ** قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ **فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)**

**سورة الأعراف**

أيضاً العصا وشقّ البحر، أيضاً هذه بينة من الله عز وجل، سيدنا محمد:

**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)**

**سورة الإسراء**

**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)**

**سورة البقرة**

وسوف نتابع هذا الموضوع إن شاء الله تعالى في دروس قادمة.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 32-63: معجزات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## إرهاصات سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام قبل النبوة:

### 1- ولادته من أمّ من دون أب:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثاني والثلاثين من دروس العقيدة.

تحدثنا في الدرس الماضي عن الدليل الرابع على رسالة الرسل، الدليل الأول: فحوى الرسالة، والدليل الثاني: شخصية الرسول، أي رسول عليهم الصلاة والسلام، والدليل الثالث: ما أنبئنا به الله سبحانه وتعالى في كتبه السابقة، والدليل الرابع: هو المعجزة، وقد تحدثنا عن المعجزة تعريفاً وبياناً وشروطاً في الدرس الماضي، وفي هذا الدرس سنورد بعض المعجزات التي خصّ بها الله سبحانه وتعالى رسله السابقين، فمثلاً سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، كان عيسى عليه السلام خاتمة أنبياء بني إسرائيل، وقد أرسله الله إليهم، وأنزل عليه الإنجيل، وأيّده بخوارق عادات باهرات، من هذه الخوارق ما كان إرهاصاً لنبوته، ومعنى إرهاصاً أي دليلاً مُسبقاً على نبوته، تمهيداً لنبوته، إثباتاً لنبوته، ومنها ما كان معجزة مرافقة لرسالته ليشهد الله له بصدقه فيما يُبَلغ عن ربه.

من إرهاصاته، أي من الأدلة السابقة لنبوته ولادته من أمّ من دون أب، من المعجزات التي كانت إرهاصاً لنبوته ولادته من أمّ من دون أب، شهد الله بذلك القرآن معلناً براءة أمه وحصانتها، موضحاً طريقة تكوينه في بطنها بوساطة نفخة من جبريل عليه السلام.

## 2 . تكلمه وهو صبي في المهد:

المعجزة الثانية من معجزات إرهاصات النبوة تكلُمه وهو صبي في المهد، وفي حكاية كلامه وهو صبي ووصف لحال أمه حينما جاءت إلى قومها تحمله قال تعالى في سورة مريم:

**فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (27) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (28) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (32) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا (33) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (34)**

**سورة مريم**

نقف عند هذه المعجزة قليلاً.

## من اعتقد أن السبب وحده كافٍ لإحداث النتيجة فهذا شرك:

الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان صممه على أن يتكاثر عن طريق الزواج، فالزوج والزوجة ينجبان أولاداً، هذه سنة الله في خلقه، وكأن سبب إنجاب الولد هو هذا الزواج، مع مرور الأيام ترسّب في أوهام الناس أن الزواج وحده هو سبب إنجاب الأولاد، وكأن الله سبحانه وتعالى لا دخل له في ذلك، أي إذا اعتقدت أن السبب وحده كافٍ لإحداث النتيجة فهذا شرك، السبب وحده لا يكفي، لابد من فعل الله سبحانه وتعالى، لذلك مادام الزوج والزوجة في العادة ينجبان أولاداً فربنا سبحانه وتعالى سيأتينا بأربع حالات خاصة: أن يأتي المولود من زوج بلا زوجة وهذه حال السيدة حواء، أو أن يأتي المولود من زوجة بلا زوج وهذه حال سيدنا عيسى، أو أن يأتي الطفل من دون أب ولا أم كما هي الحالة في سيدنا آدم، وقد يتزوج الرجل بامرأة والرجل شاب في ريعان الشباب والزوجة شابة في ميعة الشباب ولا ينجبان أولاداً، فهل السبب وحده كافٍ لإحداث النتيجة؟ الجواب: لا، أي أريد منكم أن تدققوا في هذا المثل، لو أن مصباحاً كهربائياً وُضِع في جهة ما من الغرفة ووُضِع إلى جانبه مفتاح كهربائي لا علاقة له بالمصباح إطلاقاً، ليس هناك اتصال بينهما،

ووُضِع خط كهربائي سري إلى مكان يجلس فيه إنسان وبين المصباح، دخل إلى الغرفة داخل رأى مصباحاً ورأى مفتاحاً، فتوجه إلى المفتاح وضغط المفتاح فتألق المصباح، هذا الجالس على كرسي وثير في مكان بعيد بمجرد أن وضع الداخل يده على المفتاح ضغط من عنده الزر فتألق المصباح، فتوهم هذا الداخل أنه هو الذي أوقد أو حرك الزر فتألق المصباح، مع مرور الأيام كلما وضع هذا الداخل يده على الزر على المفتاح تألق المصباح، فتوهم صاحبنا أنه هو الذي يؤلق المصباح، هو، فهذا الجالس أراد أن يُعَرفه أن ضغطك لهذا الزر لا علاقة له بتألق المصباح، ولا يكفي ضغط الزر لتألق المصباح، فدخل مرة وتوجّه إلى المفتاح وضغط الزر فلم يتألق المصباح، وفي مرة ثانية جعله يدخل، وجعل المصباح يتألق من دون ضغط الزر، هذان الحادثان هدفهما أن يعرف هذا الداخل أنه ليس الذي يؤلق المصباح.

لذلك هناك نقطة مهمة جداً، أحياناً يقول لك: هذه البذرة مبرمجة، يوجد بالنواة عرى ملونة جينات تحمل مورثات عبارة عن تعليمات مرسومة على العُرى الملونة في الجينات، فهذه الخلية فيها نواة عليها جينات، الجينات هي خمسة آلاف مليون معلومة، أي أمر هي تُخَلِّق، هذه ملاحظة مهمة جداً، كلما قلنا: هذه النواة مسؤولة عن تشكل الجنين، وهذه الغدة مسؤولة عن تنظيم توازن السوائل، وهذه الغدة مسؤولة عن إحداث الاستجابات الكافية عند الخطر، وهذا المركز مسؤول عن توازن السوائل، وهذا المركز مسؤول عن التنفس، أي أنت أيها الدارس تعطي المادة فوق حجمها تجعلها عاقلة، تجعلها إنساناً مخططاً، عاقلاً، هذا شرك بالله عز وجل.

أوضح لكم هذا بمثل، لو أن إنساناً أراد أن يُشيد بناءً ضخماً، وجاء بأشهر المهندسين، بأمهر المهندسين، ورسموا له خرائط ومخططات بالغة الدقة، والروعة، مخطط الأساسات، الطابق الأرضي، الطابق الأول، الطابق الثاني، الطابق الثالث، مخطط للمجاري، مخطط للكهرباء، مخطط للمصاعد، أي جُمِعت هذه المخططات ودفع عليها مئات الألوف، جاء إلى موقع البناء ووضع هذه المخططات، كلها مبرمجة، بهذه المخططات طول الغرفة بالسنتمترات، الباب يُفتح إلى الداخل، هنا يُفتح إلى الخارج، عدد الدرجات في المخطط، وضع هذه المخططات على أرض البناء فكم من الزمن ينتظر حتى ينشأ البناء؟ هل يكفيه أن ينتظر سنةً؟ سنتين؟ ثلاث سنوات؟ مئة عام؟ ألف عام؟ فإذا قلت: يا أخي مبرمجة، هذه مخططات مبرمجة فيها كل شيء أين البناء؟ البناء يحتاج إلى مواد أولية، يحتاج إلى إسمنت، وإلى حديد، وإلى طلاء، وإلى

بلاط، وإلى مواسير، وإلى وإلى، لا أدري كم من المواد يحتاجها البناء فهل تستطيع أن تقول: إن هذه المخططات مبرمجة وهي مسؤولة عن البناء؟ أي بناء؟ ما لم تأت بالمواد الأولية، فإذا جئت بالمواد الأولية ضع الإسمنت مع الحديد مع الطلاء مع البلاط مع الأدوات مع المواسير مع كل شيء وانتظر مع المخططات، متى يظهر البناء؟ لابد من عمال مهرة يُحوّلون هذه المواد الأولية إلى بناء، فإذا الواحد درس بالطب، درس ببعض العلوم الحيوية أن هذه الغدة مسؤولة مبرمجة عن موضوع توازن السوائل، وهذه الغدة مسؤولة عن التنفس، وهذه عن ضربات القلب، هذا وهم، هذا وهم، هذا شرك بالله، كمن يتوهم أنه كلما ضغط الزر تألق المصباح، يقول لك: أنا أشعله، لا، هذا الذي يشعله كلما ضغطت الزر هو الذي يشعله.

لكن أحياناً أراد أن يُلفت نظرك إلى حقيقة خطيرة وهي أنك لا تفعل شيئاً، الفعل كله بيده، فلذلك تقول لي: مبرمجة، فيها الخلية بالنواة، فيها عرى ملونة، فيها جينات، يوجد عليها معلومات خمسة آلاف مليون معلومة، هي تُحدد طول الإنسان، ولون جلده، ونوع شعره، ولون شعره، ولون قزحية العين، وطباعه، هذا كلام لا معنى له إطلاقاً، فربنا عز وجل من حين لآخر يريد أن يُعلمنا أن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة، لابد من المُسبب الأول وهو الله سبحانه وتعالى، فإما أن يعطّل السبب وإما أن يلغيه.

انظر معنى التعطيل ومعنى الإلغاء، قد يكون الزوجان شابين، لا ينجبان أولاداً، الله عطّل السبب، دخل الداخل وتوجّه إلى المفتاح وضغط المفتاح فلم يتألق المصباح، ماذا فعل القاعد على الأريكة؟ عطّل السبب، وإما أن يلغيه يُحدث إنجاب أولاد من دون أب، كما هي الحال عند سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

## نموذج من الأمثلة لبيان الحقيقة بأن الفاعل الحقيقي من وراء هذه الأسباب هو الله:

مثل آخر يوضح الحقيقة، هذه عقيدة، هذه أمور مهمة جداً، لو أنّ مطبعة من أحدث المطابع صُممت لطبع الورق على وجهين بشكل مستمر، أي بشكل لفائف مستمرة، على وجهين خمسة ألوان، هذه أحدث مطبعة، تطبع الورق المستمر لوجهين ولخمسة ألوان، هذه المطبعة مصممة تصميماً رائعاً جداً، أي خبرات العالم كله في مئة عام سابقة مجموعة في هذه المطبعة، هذه المطبعة تُشبه تصميم الخلق، أسطواناتها، أجهزتها الإلكترونية، فيها عقول إلكترونية، فيها قطع ضوئي، فيها أشياء دقيقة جداً، فيها تنضيد ضوئي، فيها

لوحات التصوير، فيها لوحات اللمس، فيها تطابق الألوان، عمل كامل، هذه المطبعة بهذا التصميم، بهذه الأدوات، بهذه الأجهزة، بهذه التحكمات تُشَكّل الخلق، ما قيمة المطبعة من دون ورق ومن دون حبر؟ لا قيمة لها، الأوراق والحبر يُشَكل الإمداد أي التربية، وحينما يُضغط على الزر فتعمل الكهرباء عملها في المولدات، وتُحَرِّك عجلات المطبعة، هذه الكهرباء هي الإرادة الإلهية في إحداث الشيء تقريباً، صار عندنا خلق، وعندنا تربية، وعندنا تسيير، فالشيء الذي تراه أعينكم فيه خلق، وفيه تربية، وفيه تسيير.

## أدلة الكتاب والسنة حول موضوع الأسباب والتأثر بها ونسيان المؤثر:

لذلك علماء التوحيد لخصوا هذا كله في كلمتين فقالوا: عندها لا بها، أي عند الإرادة لا بالسبب، الشيء يحدث عندما يريد الله له أن يحدث، لا باتخاذ الأسباب، لذلك قال العلماء: اتّخذ الأسباب وتوكل على رب الأرباب، توكل على مُسبب الأسباب، فربنا عز وجل يعني أردت من هذا الكلام أن تعلموا أن السبب وحده لا يكفي لإحداث النتيجة، لابدّ من فعل الله عزّ وجل في كل مرة، لذلك قيل: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قال تعالى:

**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (62)**

**سور الزُمر**

**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)**

**سورة هود**

**صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)**

**سور الشورى**

**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (17)**

**سور الأنفال**

**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا (10)**

**سورة الفتح**

مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (2)**

**سورة فاطر**

هذه هي عقيدة أهل السنة والجماعة، هذه هي عقيدة السلف الصالح، هذه هي العقيدة المستنبطة من آيات القرآن الكريم، فأن تقول مبرمجة، وهذه الغدة مسؤولة عن إحداث كذا، والبنكرياس مسؤول عن فرز الأنسولين الذي يُحرق السكر في الدم، والصفراء مسؤولة عن إفراز المادة الصفراوية لهضم المواد الدسمة، كلما واجهتك مشكلة تعزوها إلى عضو أو إلى غدة صمّاء أو إلى جهاز أو إلى خلية أو إلى نسيج، هذه مواد، هذه مواد لا تعقل، لكن الله سبحانه وتعالى حينما تجلّى عليها جعلها تقوم بهذه المهمات المعقدة، فعندها لا بها، فالبنكرياس مصمم تصميم رائع، صممه الخالق، وأمدّه الله بمواد خاصة عن طريق الدم، ثم سمح له أن يعمل بإشراف الله سبحانه وتعالى، لذلك لا يوجد مرض عضال، كل أجهزتك بيد الله سبحانه وتعالى، يُعْمِلها أو يُعطلها، من هنا نفسر ما يسميه الأطباء بالشفاء الذاتي، فسيدنا عيسى كن فيكون، لذلك كل إنسان ينجب أولاداً هذا الولد من خلق الله، يد الله التي صوّرته في الرحم، الرب هو الذي أمدّه بالغذاء، الخالق هو الذي خلقه على هذا الشكل، الإرادة الإلهية هي التي فعلت فعلها في تصويره في رحم الأم، فكل شيء يمكن أن تفهم من خلاله الخالق والرب والمسيّر، فهذه هي المعجزة الأولى لسيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

## معجزات عيسى عليه السلام:

وأما معجزاته فقد أرسل الله عيسى عليه السلام في قوم يُفاخرون بمهاراتهم بالطب بحسب مستوى زمانهم، فأجرى الله على يديه معجزات باهرات تُشاكل نوع مهارة قومه بحسب الصورة ولكن بمستوى لا يستطيع الطب بالغاً ما بلغ أن يصل إليها، فمن هذه المعجزات أنه يخلق من الطين كهيئة الطير، الآن أحضر نحاتاً نَاحِتاً طيراً قل له: انفخ فيه الروح، قال تعالى:

**وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآَيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (49)**

**سورة آل عمران**

هذه معجزة فوق طاقة البشر.

والثانية؛ أنه يمسح على الأكمه، والأكمه هو الذي ولِدَ أعمى، ما رأى النور في حياته، أنه يمسح على الأكمه فيبرؤه بإذن الله، هذه الثانية.

الثالثة؛ أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله، والبرص من أعقد الأمراض التي تستعصي على الطب.

والرابعة؛ أنه يحيي الموتى بإذن الله، بعضهم قال: بالنداء، وبعضهم قال: باللمس، قرأت كتاباً عن بعض العلماء الأفاضل الذين عاشوا في الشام، لكن يوجد قصة عن بعض العلماء أنا وقفت عندها، أن أحد العلماء جاءته امرأة تستفتيه في موضوع فماتت في بيته، فوكزها وقال لها: انهضي فنهضت، هذه لسيدنا عيسى، هذه إحياء الميت، قد يكون أغميت إغماءً كاملاً فلما أيقظها انتهت مدة الإغماء، ممكن، أما إحياء الموتى فهذه للأنبياء وليست للأولياء، هذه شطحة.

والمعجزة الخامسة؛ أنه صلى الله عليه وسلم يُنبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وهذا نوع من الاطّلاع على الأشياء المحجوبة والبعيدة، ونفوذ العلم بها إلى ما وراء الحُجب أي مستحيل، مهما كنت عالماً لا تعلم ما في بيت فلان من طعام أو شراب.

السادسة؛ أنه كفّ الله بني إسرائيل عنه حينما أرادوا قتله، وألقى شِبْهَه على من دلّ على مكانه ثم رفعه إليه:

**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)**

**سورة النساء**

السابعة، أن الحواريين طلبوا من سيدنا عيسى عليه السلام أن يُنزِل الله عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها، ولتطمئن قلوبهم بالإيمان، فيَثبتوا على الإيمان ويتثبّتوا من صدق سيدنا عيسى، فدعا عيسى ربه فأنزل عليهم المائدة التي طلبوها فكانت معجزة كبيرة لهم، سيدنا عيسى له نوعان من المعجزات؛ نوع إرهاصي، بمعنى أنه جاء قبل بعثته، قبل نبوته، تمهيد لنبوته ورسالته، أنه وُلِد من غير أب، وأنه تكلم في المهد، والنوع الثاني رافق رسالته، ربنا سبحانه وتعالى في سورة المائدة ذكر كل هذه المعجزات.

## ينبغي على المسلم أن يكون إيمانه وفق الكتاب والسنة لأن القضية مصيرية:

بالمناسبة لا تقبلوا مني شيئاً من دون دليل، أعيد على أسماعكم وأقول: إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مبتدعاً فالدليل، لا تقبل لا مني ولا من غيري حقيقة لها علاقة بالإيمان، يُبنى عليها مستقبلك وسعادتك من دون دليل، الدليل يجب أن يكون نصاً قطعي الثبوت قطعي الدلالة، والقرآن الكريم وحده مع ما تواتر من حديث رسول الله التواتر اللفظي، القرآن الكريم والسنة المطهرة الصحيحة المتواترة تواتراً لفظياً أو معنوياً هي نصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، إذاً هذه أدلة قطعية، أو هناك دليل عقلي ويجب أن يطابق الدليل العقلي الدليل النقلي، لأن الدين يثبت بالنقل لا بالعقل وحده، يقول لك: أنا عقلي يقول لي إنَّ الصلاة ليس لها لزوم الآن، هذه مستحيلة، من أنت؟ هذا دين، شرع، لذلك لا تقبلوا مني ولا من غيري شيئاً إلا بالدليل القطعي قطعي الثبوت قطعي الدلالة، والدليل العقلي، النقلي والعقلي، لأن العقيدة خطيرة جداً.

هذه الأفكار و الحقائق من العقائد التي يجب أن تُعلم بالضرورة، ومن أنكرها فقد كفر، لذلك قال أحد الأئمة الكبار وكان أمام قبة رسول الله الخضراء فقال: ما جاءنا عن صاحب هذه القبة الخضراء فعلى العين والرأس، وما جاءنا عن غيره فنحن رجال وهم رجال.

وقال بعضهم: كل إنسان يُؤخذ منه، ويُردّ عليه إلا صاحب هذه القبة الخضراء.

حرر عقلك، تَعلّم تفهم الأمور فهماً منهجياً، فكرة تحتاج إلى دليل، آية قرآنية، يجب أن تكون قطعية الدلالة، سأقول لكم كيف؟ ربنا عزّ وجل قال:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (183)**

**سورة البقرة**

هذا قرآن، القرآن قطعي الثبوت، ولكن وجوب الصيام يُستنبط من هذه الآية بدلالة قطعية، أما لمّا ربنا عزّ وجل يقول:

**وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ (20) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (21)**

**سورة الواقعة**

هل تستطيع أن تُكفّر شخصاً أكل الطعام قبل الفواكه؟ هل تستطيع أن تُكفّره؟ أخي هذه آية؟ لكن الدلالة منها ظنية، يُفهم منها أحياناً أنه يُستحسن أن تأكل الفاكهة قبل الطعام، أما هل هناك دلالة قطعية؟ لا، دلالة ظنية، لذلك الإنسان يُكفَّر متى؟ حينما يُنكِر الدلالة القطعية، هذه يُكفَّر بها.

## المعجزات التي وردت في سورة المائدة بشأن سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام:

الآن في سورة المائدة نصّ جمع كل هذه المعجزات قال تعالى:

**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (110)

**سورة المائدة**

كل هذه المعجزات التي منّ الله بها على سيدنا عيسى ابن مريم وردت في هذه الآيات الطِّوال من سورة المائدة، هذا سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

إن شاء الله في درس قادم نتحدث عن معجزات سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وقد نُعرّج على معجزات بعض الأنبياء الآخرين، لأن الله سبحانه وتعالى يقول:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ **مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ (78)

**سورة غافر**

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 33-63: معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### معجزات سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام:

### 1- معجزة العصا:

أيها الإخوة المؤمنون؛ لازلنا مع معجزات الأنبياء في الدرس الثالث والثلاثين من دروس العقيدة.

تحدثنا في الدرس الماضي عن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام، واليوم إلى بعض معجزات سيدنا موسى عليه السلام، فالمعجزة الأولى، انقلاب عصاه حية تسعى، ثم ابتلاعها حبال سحرة فرعون وعصيهم.

### 2 . سيدنا موسى عليه السلام عندما أدخل يده في جيبه خرجت بيضاء من غير سوء:

المعجزة الثانية أن سيدنا موسى عليه السلام أدخل يده في جيبه فإذا هي بيضاء من غير سوء، هذا كان لما دخل على فرعون الذي ادّعى الألوهية.

### الحوار الذي جرى بين سيدنا موسى وفرعون:

جرى بين فرعون وبين سيدنا موسى عليه السلام الحوار التالي، قال تعالى:

**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)**

**سورة الأعراف**

قال فرعون:

**قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ (29)**

**سورة الشعراء**

قال موسى:

**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ (30)**

**سورة الشعراء**

قال فرعون:

**قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (31)**

**سورة الشعراء**

قال موسى:

**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (32) وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (33)**

**سورة الشعراء**

## ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ﴾ أول كلمة قالها الله تعالى حينما ناجى سيدنا موسى:

يروي بعض المفسرين أنّ الله سبحانه وتعالى في المناجاة قال:

**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (14)**

**سورة طه**

أي أول كلمة قالها الله سبحانه وتعالى حينما ناجى سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ**﴾ أما أول كلمة نزلت بالوحي على قلب النبي عليه الصلاة:

**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1)**

**سورة العلق**

فما هو السر يا ترى؟ السر أن فرعون قال:

**فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (24)**

**سورة النازعات**

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ **مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي** فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ (38)

**سورة القصص**

فكانت أول كلمة ناجى الله بها موسى يا موسى ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ**﴾ وليس فرعون، ﴿**إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي**﴾.

## تمني سيدنا موسى إطالة الحوار مع الله عز وجل:

يروي بعض المفسرين أن الله سبحانه وتعالى لما سأل سيدنا موسى قال:

**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)**

**سورة طه**

طبعاً هذه الصيغة صيغة سؤال، الما استفهامية، إذا أردت أن تسأل فاستخدم كلمة ما الاستفهامية، فهل يصح بحقّ الله سبحانه وتعالى أن يسأل؟ من الذي يسأل دائماً؟ الذي يريد أن يتعلم، الذي يريد أن يعلم شيئاً يجهله، فهل يحقّ هذا؟ فهل يصح هذا بحقّ الله عزّ وجل؟ قالوا: لا، ولكن هذه العصا التي بيد سيدنا موسى، قال له: يا موسى:

**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17)**

**سورة طه**

سيدنا موسى فرصة العمر أن يُناجي الله رب العالمين:

قَالَ هِيَ عَصَايَ **أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18)**

**سورة طه**

ألا يكفي أن يقول: هي عصاي؟ ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا**﴾ يريد أن يطيل الحوار مع الله عز وجل، ﴿**أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي**﴾ وشعر هذا النبي الكريم أنه أطال فقال كلمة ليعرف إذا ما إذا كان يجوز أن يطيل أو لا يطيل قال:﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ فإذا كان الله يستحسن منه هذا الحوار

الطويل يقول له: يا موسى وما هي تلك المأرب الأخرى؟ العملية عملية حوار مع الله عز وجل، مناجاة، ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى*قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي**﴾ هنا خجل، قال له: ﴿**وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى**﴾ فلو أن الله عز وجل يستحسن حواره لقال له: وما هي تلك المأرب الأخرى؟ لكن الله جلّ وعلا أراد أن يُذكّره أن هذه التي بيده هي عصاه، أي انظر إليها يا موسى، دقق فيها، إنها عصاك:

**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (17) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى (18) قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَى (19) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى (20)**

**سورة طه**

أي أراد أن ينبهه إلى أن هذه عصاه، انظر كيف أصبحت حية تسعى، سيدنا موسى ﴿**قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ**﴾ قال فرعون:

**قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآَيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (106)**

**سورة الأعراف**

قال موسى: ﴿**فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ**﴾ تتألق نوراً.

## أهل الكفر يصرفون حقيقة أهل الإيمان إلى سحر أو خرافة أو ذكاء:

قال فرعون للملأ من حوله:

**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34)**

**سورة الشعراء**

دائماً أهل الكفر يصرفون حقيقة أهل الإيمان إلى سحر أو خرافة أو ذكاء أو ما شاكل ذلك:

**قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35)**

**سورة الشعراء**

ماذا تأمرون؟ فقال الملأ من حول فرعون:

**قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37)**

**سورة الشعراء**

هذا ساحر، استدعِ السحرة من عندك ليغلبوه، قال فرعون:

**قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى (57) فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى (58)**

**سورة طه**

قال موسى:

**قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (59)**

**سورة طه**

يوم الزينة يوم العيد، يوم العطلة، وتمت المباراة في اليوم المحدد، وقدّم سحرة فرعون سحرهم أولاً، قالوا: هكذا سمعت أو هكذا قرأت أن سحرة فرعون جاؤوا بأشكال تشبه الأفاعي وضعوا فيها زئبقاً، ووضعوا الأفاعي على سطح ساخن، فلما تمدّد الزئبق وهو رجراج تحركت الأفاعي، ثم ألقى موسى عصاه فأخذت تلقف ما يأفكون، هذه الأفعى أكلت كلّ الحبال، وظهرت المعجزة الباهرة حقيقة ناصعة أمام فرعون، وأمام جميع سحرته، والحشد كبير الذي اجتمع لمشاهدة هذه المباراة الكبرى بين معجزة موسى وسِحر سحرة فرعون، الأمر الذي جعل سحرة فرعون يخرّون سُجداً لله عزّ وجل:

**قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (47) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (48)**

**سورة الأعراف**

وكان إيمان هؤلاء السحرة برهاناً دامغاً لفرعون، يُثبت له أن هذا ليس سحراً إنما هو إعجاز، وأن هذا الرجل هو نبي، هذه معجزة، موضوع أن تنقلب العصا إلى ثعبان مبين، وأن تكون يده بيضاء للناظرين، طبعاً القصة لها تتمة:

قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى (71) قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (72) إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (73)

سورة طه

﴿قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ أي تحتاجون إلى موافقة مني.

إيمان السحرة كان إيماناً معجزاً، لأنهم سحرة، يعرفون أن هذا سحر، أما هذا فليس بسحر، هذه معجزة.

## 3- معجزة الرجز:

هناك معجزات أخرى تمت على يد هذا النبي الكريم، هي معجزة الرجز، وهي على أنواع، فهناك رجز السنين، وهي سنوات الجدب والقحط، وذلك بسبب قلة مياه النيل، وانحباس أمطار السماء على غير عادتها، وهناك رجز نقص الثمرات، وهناك رجز الطوفان، وهناك رجز الجراد، وهناك رجز القُمّل، ورجز الضفادع، كثرت عندهم إلى درجة غير محتملة، وهناك رجز الدم، قال تعالى:

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (130) فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (131) وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (132) فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (133) وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (134) فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (135) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (136)

سورة الأعراف

## 4- انفلاق البحر:

المعجزة الرابعة: فلق البحر ، فلما مشى سيدنا موسى مع قومه بني إسرائيل باتجاه خليج السويس وتبعهم فرعون:

**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61)**

**سورة الشعراء**

فرعون بخيله ورَجِله وجماعته وأعوانه وهيبته وسيطرته وقوته يتبعون فئة مستضعفة معهم نبيّ كريم، فلمّا وصل سيدنا موسى وأصحابه إلى ضفة خليج السويس إلى البحر، وتبعهم فرعون، قالوا:

**فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى** إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62)

**سورة الشعراء**

**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى (77)**

**سورة طه**

**وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ (52) فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (53) إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ (54) وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ (55) وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ (56) فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (57) وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ (58) كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (59) فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ (60) فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (61) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (62) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (63) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآَخَرِينَ (64) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (65) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآَخَرِينَ (66) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (67)**

**سورة الشعراء**

فرعون حينما أدركه الغرق، قال:

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ **قَالَ آَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آَمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ** وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (90)

**سورة يونس**

فقيل له:

آَلْآَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ **وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (91)**

**سورة يونس**

أي يا أخي الكريم؛ يجب أن تستنبط من هذه القصة موعظة كبرى، لابدّ من أن تؤمن، ولكن إيّاك أن تؤمن بعد فوات الأوان فإن هذا الإيمان لا ينفعك، لابدّ في ساعة حرجة من أن تؤمن، ولكن بعد فوات الأوان.

وهناك معجزة خامسة وسادسة وسابعة وثامنة لسيدنا موسى، أخذنا فكرة عن بعض هذه المعجزات.

## معجزة سيدنا صالح عليه الصلاة والسلام:

بقي علينا معجزة سيدنا صالح:

**كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (141) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (143) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (144) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (145) أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آَمِنِينَ (146) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (147) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (148) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (149) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (150) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ (151) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (152) قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ (153) مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآَيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (154) قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ** لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155)

**سورة الشعراء**

انشقّ الجبل وخرجت ناقة:

**قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ (155) وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ (156) فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ (157) فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (158) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (159)**

**سورة الشعراء**

## سنة الله في خلقه:

لكن يوجد ملاحظة مهمة جداً، إن الإنسان إذا طلب المعجزة ونفّذها الله له، ولم يؤمن بعدها استحق الهلاك، لأن المعجزة آخر برهان يقدمه الله سبحانه وتعالى لهذا الضّال فإذا لم تنفع معه المعجزة استحقّ الهلاك وانتهى الأمر، أحياناً على شكل مبسط تقول له: يا رب إذا نجحتني لا أعصيك، ينجحه فيعصيه، لابد من أن تأتي الضربة القاصمة، إن شفيت لي ابني لا أعصيك، يشفي له ابنه ويعود سيرته الأولى، أي إذا أنت طلبت من الله شيئاً بساعة الضيق، بساعة الشدة، وعلقت استقامتك على حصول هذا الشيء انتبه، الله سبحانه وتعالى قد يحققه لك، ولكن إذا نكثت، أو إذا خالفت، أو إذا قصرت فلابد من العذاب الأليم إن كان فيك بقية خير، ولابدّ من الهلاك العميم إذا كان الأمل مفقوداً في الخير، هذه سنة الله في خلقه.

بقي علينا المعجزة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام هذه إن شاء الله تعالى نُرجئها إلى الدرس القادم لأهميتهما الكبيرة، وسوف نُحدثكم عن شهر الصيام لأنَّ شهر الصيام على الأبواب.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 34-63: معجزة الرسول الكريم: القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## القرآن الكريم من معجزات النبي محمد عليه الصلاة والسلام:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الرابع والثلاثين من دروس العقيدة.

تحدثنا في الدروس السابقة عن بعض معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، تحدثنا عن معجزات سيدنا عيسى، وعن معجزات سيدنا موسى، وعن معجزات سيدنا صالح، والآن ننتقل إلى معجزات النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إن أعظم معجزة أيّده الله بها هي معجزة القرآن، الملاحظ أن المعجزات التي أيّد الله بها أنبياءه السابقين كانت معجزات مادية أي تنقضي في أزمانها، فكون العصا انقلبت ثعباناً هذا الشيء رأوه رؤية في عهد سيدنا موسى وانقضى، وكون البحر قد انشقّ فصار طريقاً يبساً هذه المعجزة انتهت، رآها من رآها وانتهت، وأن سيدنا عيسى أبرأ الأكمه والأبرص وأحيا الموتى، هذه المعجزات انتهت، إذاً هذه المعجزات طبيعتها مادية وانقضت، وبقيت خبراً، إما أن تصدّقه أو ألا تصدّقه، ولكن القرآن الكريم بما أنه خبر صادق من أعلى مستوى لذلك ثبتت بالقرآن الكريم ثبتت معجزات الأنبياء السابقين، من دون القرآن الكريم هي أخبار، لك أن تصدقها ولك ألا تصدقها، لكن القرآن الكريم معجزة من نوع آخر، لا تنقضي بحياة النبي، لا تنقضي بانقضاء حياة النبي، ولا تُحصر بأناس شاهدوها، بينما القرآن الكريم معجزة مستمرة إلى نهاية الحياة، العالم ابن رشد قال: إن دلالة القرآن على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ليست كدلالة انقلاب العصا حية، ولا كدلالة إحياء الموتى،

وإبراء المرضى، فإن تلك المعجزات وإن كانت أفعالاً لا تظهر إلا على أيدي الأنبياء، وفيها ما يُقنع الناس من العامة، إلا أنها مقطوعة الصلة بوظيفة النبوة وأهداف الوحي ومعنى الشريعة.

الفكرة دقيقة جداً تُوضح بالمثل التالي: لو أن رجلين طبيبين أرادا أن يُثبتا لك أنهما طبيبان حاذقان، فالأول طار في السماء ليؤكد لك أنه طبيب، والثاني شفى مريضاً ذا مرض مستعصٍ، أي المعجزات أقرب إلى الإقناع؟ الثاني، فالأولى منقطعة الصلة بمهمة الطبيب، أما الثاني فمتصلة الصلة بمهمة الطبيب.

لذلك الإبراء دليل قطعي على الطب، ومعرفة السطوح دليل قطعي على معرفة الهندسة، وصُنع الأبواب دليل قطعي على صنعة النجارة، ولو أن شخصين ادّعيا الطب فقال أحدهما: الدليل على أني طبيب أني أطير في الجو، وقال الآخر: دليلي أني أشفي الأمراض، وأُذهب الأسقام، لكان تصديقنا بوجود الطب عند من شفي من المرض قاطعاً.

فكون العصا أصبحت حية، والبحر أصبح طريقاً، والميت شُفي وعوفي وعاد حياً، هذه أعمال خارقة للعادة، ولا يمكن أن يفعلها إلا نبي، لكن ليس هناك علاقة سبب بنتيجة أو علاقة دلالة على النبوة بقدر ما أن القرآن الكريم ذو علاقة وشيجة ومتينة بنبوة النبي عليه الصلاة والسلام، أي الله سبحانه وتعالى أرسل النبي عليه الصلاة والسلام رسولاً ومعه نظام كامل هذا القرآن، دستور شامل، هذا القرآن فيه تشريع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أشار إلى هذه الفكرة في كتابه القسطاس المستقيم فقال: ولذلك اختار الله لخاتمة الرسالات السماوية العامة للناس أجمعين المعجزة التي تدخل في صميم كتاب الرسالة نفسها، وجعل هذا الكتاب الذي يطّلع عليه الأجيال في كل زمن، ويتلونه في كل عصر هو البرهان العظيم الذي يلامسون وجوه إعجازه فيستدلون بها على أمرين.

أي أنت بعد مضي ألف وخمسمئة عام أو وأربعمئة عام على بعثة النبي عليه الصلاة والسلام تفتح القرآن، تقرأ آية، ترى أن الناس لو اجتمعوا لا يستطيعون أن يصيغوا منهجاً للزوج كهذا المنهج، ولا منهجاً للقاضي كهذا المنهج، ولا منهجاً لمن بيده الأمر كهذا المنهج، منهج صحي، منهج اجتماعي، منهج اقتصادي،

منهج دولي، منهج في الحرب، منهج في السلم، منهج في العلاقات الشخصية، في الأحوال الشخصية، فهذه المعجزة التي جاء بها النبي عليه الصلاة والسلام هي بين ظهرانينا.

## دلائل وعبر من القرآن الكريم على إعجازه:

أنا تأثرت قبل أيام حينما ذكرت لكم أن النحلة لا تنطلق لجني الرحيق قبل أن تستقر في خلية، هذه حقيقة مستنبطة من واقع النحل، لكن الله عزّ وجل يقول:

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) **ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)**

**سورة النحل**

لو قال: وكلي من كل الثمرات، الواو تشمل مطلق العطف، أما "ثم" للترتيب مع التراخي: ﴿**ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا**﴾ أي النحلة تقطع طريقاً طوله خمسون كيلو متراً في ذهابها لجني الرحيق، من دلها على مكان الأزهار؟ من ألهمها طريق العودة؟ أسئلة كثيرة، ربنا عزّ وجل أشار إلى هذه الأسئلة.

العنكبوت:

مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ **اتَّخَذَتْ بَيْتًا** وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (41)

**سورة العنكبوت**

والعلم كشف أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت، والنحلة هناك ذكور وإناث، أما التي تصنع الشمع وتجني الرحيق وتصنع العسل فهي الأنثى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي**﴾ ياء المؤنثة المخاطبة، أي أدلة كثيرة جداً، أي بالكون هل هناك كلمة تصلح أن يوصف بها الكون كله؟ ربنا عزّ وجل قال:

**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11)**

**سورة الطارق**

أي كل كوكب في السماء له مسار دائري يرجع إلى المكان الذي انطلق منه، يقول لك: مذنب هالي، أي كل سبعين سنة يعود إلى مكانه الذي انطلق منه، ﴿**وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ**﴾ فالآن تأتي بعد قليل ما معنى أنه معجزة؟ أنه:

**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)**

**سورة فُصلّت**

فحينما نجد أمامنا كتاباً معجزاً فيه نظام دقيق، فيه حلّ أمثل لكل مشكلاتنا نستنبط من هذا الكتاب شيئين، أن هذا الكتاب هو كلام الله حقاً وصدقاً وليس بكلام بشر، ونستنبط أيضاً أن الذي جاء به هو نبي مرسل من عند الله، لأن هذا الذي بلّغه إلينا لا يُعقل أن يفعله هو.

## وجوه إعجاز القرآن الكريم:

### 1- تحدي العالم أن يأتوا بمثله:

نُلفت النظر كما قلت قبل قليل إلى أن معجزات الأنبياء السابقين المادية لولا القرآن الكريم لم نعلم بها بطريق يقيني ثابت، فالذي يّعرفنا بها بيقين إنما هو القرآن نفسه، فمتى ثبت القرآن ثبتت هي أي هذه المعجزات.

أولاً: الله سبحانه وتعالى تحدّى الناس جميعاً أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه، فما استطاع واحد منهم أو جماعة منذ بعثة النبي صلى الله عليه وسلم حتى عصرنا هذا أن يُعارضه بكتاب مثله، مثلاً لو اطّلعتم على كتب المواريث، الحقيقة هناك كتب تعدّ آلاف الصفحات، لو كلفنا لجنة من كبار العلماء أن تضغط هذه المجلدات والمؤلفات إلى صفحتين، مستحيل، المواريث كلها مأخوذة من صفحتين، كل هذه الاستنباطات الفرعية، كل هذه الأحكام التفصيلية، كل الأحوال التي يتوفى عنها الإنسان مردّها صفحتان من كتاب الله، فهل بالإمكان أن تضغط المؤلفات كلها والتفريعات كلها والاستنباطات كلها بصفحتين؟ في صفحتين نظّم الله

المواريث كلها وبشكل عادل، قال لي أحد المطّلعين على علم المواريث: لو أنك حللت مئة ألف مسألة في المواريث، بكل الأحوال لكان نصيب الولد الذكر أكبر نصيب، هذا شيء منطقي، الوريث الأول، تحس أن هناك علاقة بين هذا النظام وبين المُعطيات في حياة المتوفى، أقرب الناس له الذين يرعونه والذين ملزمون هم بنفقته، بالإنفاق عليه هم الذين يرثونه، شيء دقيق جداً لا الوقت يسمح ولا الإمكانات تسمح أن تكتشفوا عظمة التشريع من بحث المواريث فقط، آيات معدودة.

إذاً القرآن تحدّى الناس جميعاً أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه على الرغم من وجود أعداء كثيرين للإسلام في عصور التاريخ، ومنهم دول كبرى، وهم يتمنون لو يستطيعون معارضة القرآن لاشتروا ذلك بالقناطير المقنطرة من أنفس ما يملكون، قال تعالى:

**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (23)**

**سورة البقرة**

وقال تعالى معلناً عَجز الإنس والجن عن معارضته في سورة الإسراء:

**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)**

**سورة الإسراء**

## 2- إعجازه من حيث الصياغة اللغوية:

العرب كانت تقول مثلاً: القتل أنفى للقتل، وتَعُدّ هذه العبارة من أعلى بيان، أي أعلى مستوى في البلاغة هذا الكلام، القتل أنفى للقتل، ربنا عزّ وجل قال:

**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (179)**

**سورة البقرة**

حول هذه الآية هناك سبع عشرة خصيصة لهذه الصياغة، قال الله: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ أي الحياة تتأتى من قتل القاتل، أولاً: إذا عَلِم القاتل أنه لابد من أن يُقتل فربما أحجم عن القتل، فوفر حياته وحياة المقتول، ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ ما دام القاتل لابد من أن يُقتل إذاً وفرنا حياتين، حياة القاتل نفسه وحياة المقتول، ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾ حياة للقاتل، حياة للمقتول، حياة للمجتمع، طبعاً الآن لا يحضرني هذه السبعة عشرة خصيصة لهذه الآية، إن شاء الله في وقت آخر أُلقيها على مسامعكم.

## أمثلة على الصياغة اللغوية في القرآن الكريم:

مثلاً ربنا عز وجل قال:

وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا **وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (6)**

**سورة هود**

العلماء وقفوا عند هذه الآية كلمة ﴿**دَابَّةٍ**﴾ لأنها نكرة هي قرآن، دابة لم يقل: الدابة، أي دابة هذه؟ إذا قلنا: الدابة، صار هناك شيء معرفة، أي الدابة التي حدثتك عنها هذه على الله رزقها، إما أن تكون "أل" للعهد الذكري أو للجنس، أي أية "أل" إذا وضعت على كلمة دابة قصرتها على دابة معينة، لكن: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ**﴾ هذا التنكير يفيد الشمول، هنا التنكير يعني كل أنواع الدواب، أي النمل، الغنم، الماعز، الجمال، الفيلة، الكلاب، البشر، الآن النّمال بمعنى نملة نملة، ليس فقط النمال على الله رزقها، نملة نملة على الله رزقها، جاءت من، هذه المن لاستغراق أفراد النوع فرداً فردا، هذاّ استنبطناه من كلمة: ﴿**مِنْ دَابَّةٍ**﴾ دابة نكرة تشمل أنواع الدواب، ومن لاستغراق أفراد النوع فرداً فرداً، لو ربنا عزّ وجل قال: الدواب على الله رزقها، هذه العبارة لا تعني أن رزقها على الله حصراً أي عليه وعلى غيره لكن: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إلا**﴾ النفي والاستثناء جعلا الرزق قاصراً على الله عزّ وجل، لو قلنا: ما من دابة إلا الله يرزقها، هناك معنى مهم ذهب، ليس على وجه الإلزام، لو قلنا: ما من دابة إلا الله يرزقها، ليس على وجه الإلزام، أما على فتفيد الإلزام، إذاً: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا**﴾ أي كل أنواع الدواب ونستغرق أفراد كل نوع والرزق محصور بالله عز وجل وعلى وجه الإلزام، فالله سبحانه وتعالى ألزم نفسه برزق الدواب كلها، هذا القرآن، والله لو كان هناك وقت لو درست آيةً آية صياغتها اللغوية تجد العجب العجاب، لا يستطيع بشر أن يفعل هذا، هذا الشيء فوق طاقة البشر مثلاً:

**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (24)**

**سورة سبأ**

لماذا الهدى جاءت معه على والضلال جاءت معه في؟ هذا سؤال، لأن المهتدي وضعه النفسي يشبه إنساناً واقفاً على رأس تلة، والأشياء كلها أمامه مبسوطة واضحة، المهتدي يشبه إنساناً وقف على قمة قاسيون يقول لك: هذه المزة، هذه برزة، هذا حي الميدان، هذه المرجة، هذا طريق الصالحية، يقول لك أشياء هكذا ببساطة لأنه يراها رأي العين، الشام كلها أمامه منبسطة، فربنا عزّ وجل قال: ﴿**وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى**﴾ على للاستعلاء، ﴿**أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾ الضّال ليس على ضلال، في، إنسان يغرق في مياه المجاري، جالس ضمن هذه المياه يخبط، هذه في للظرفية، فالضال في، أما المهتدي على، من هذا القبيل هناك شيء لا يُعدّ ولا يحصى، لو تتبعتم صياغة القرآن لا يمكن لبشر، هذا فوق طاقة البشر، الإنسان يراعي نقطة يغفل عن نقاط، الكتّاب، الأدباء، الشعراء يراعون قضية ويغفلون عن قضايا كثيرة، النبي عليه الصلاة والسلام مع أن كلامه ليس في مستوى القرآن، ومع ذلك شيء معجز، قال: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْ قَالَ قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ** فَإِنْ غُم عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ.

**متفق عليه**

أي صوموا جميعاً، ليس إذا رأيتموه، لو قال: إذا رأيتموه، لا يصح الصيام إلا إذا رأيت الهلال، لرؤيته، أي إذا رآه واحد منكم صوموا جميعاً، صياغة دقيقة جداً، إذا أكرم الله الإنسان، وكشف له أوجه الإعجاز في كتاب الله فهذه نعمة كبرى.

للقرآن وجوه إعجاز كثيرة ففيه ما لا يتناهى من الأعاجيب، أي الفضل لله عزّ وجل كل يوم يكشف للإنسان في القرآن أشياء ما كان يعرفها من قبل، أحياناً حرف الجر يعطي معنى دقيقاً جداً، قال تعالى:

**وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)**

**سورة يوسف**

فاء فاء، لماذا لم يقل: فدخلوا عليه وعرفهم؟ لماذا لم يقل: ودخلوا عليه فعرفهم؟ لماذا لم يقل: ودخلوا عليه وعرفهم؟ لماذا لم يعمل واوين أو واو وفاء أو فاء وواو؟ فاءان، فهذه فيها إشارة عظيمة جداً، هم إخوته بمجرد أن حضروا حاضرة مصر دخلوا عليه، أي لا يوجد عنده روتين معقد، بعد أن دخلوا عليه عرفهم، إذاً لو قيل له: هؤلاء إخوتك على الباب لكان رأساً أدخلهم، يتجاوزون القواعد، لكن متى عرفهم؟ بعد أن دخلوا عليه، إذاً دخلوا عليه كأناس عاديين، دخلوا عليه سريعاً فعرفهم بعد أن دخلوا عليه، من استعمال الفاءين، أنا أضرب لكم بعض الأمثلة لكن والله الذي لا إله إلا هو ما من آية في كتاب الله لو محصّت فيها ودققت لوجدت العجب العجاب.

## الإعجاز في القرآن لا يُعدّ ولا يُحصى:

البارحة مرت معنا آية بالعفيف كيف جمعت القرآن والسنّة والإجماع والقياس؟ قال الله:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا (59)**

**سورة النساء**

إذا تنازعتم في حالة طارئة جديدة ابحثوا عن العلة المشتركة، مثلاً: هناك بعض المشروبات تُسْكِر هذه ليست خمراً، هل هي محرّمة؟ طبعاً، علة التحريم السكْر فأي شيء أسكَر فهو محرّم بالقياس، فالقياس مصدر شرعي كبير، هل الحشيش محرم؟ طبعاً محرّم، يُذهب العقل، باب القياس باب رائع جداً، ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ إجماع العلماء هنا في الآية معناها العلماء، أي القرآن والسنة وإجماع العلماء والقياس في آية واحدة.

**وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (115)**

**سورة النساء**

إذاً سبيل المؤمنين هو الإجماع وقد قال عليه الصلاة والسلام: عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِنَّ **أُمَّتِي لا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلالةٍ**، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الأَعْظَمِ.

رواه ابن ماجه، والطبراني، وغيره. وحكم جمع من أهل العلم بأنه ضعيف الإسناد، وكل طرقه لا تخلو من مقال وحسنه بعض العلماء المعاصرين بمجموع طرقه.

فلذلك وجوه الإعجاز كثيرة، إذ فيه ما لا يتناهى من الأعاجيب، وفيه ما لا يحصى من المعجزات الجزئية التي يُنتبه إليها في كل عصر، كلما تقدم الناس في ميادين العلم والتجربة ونُظم الحياة.

إن شاء الله في الدرس القادم نذكر بعض ألوان من إعجاز هذا القرآن، هناك إعجاز بياني، هناك إعجاز بلاغي، هناك إعجاز تشريعي، هناك إعجاز تاريخي، هناك إعجاز غيبي، هناك إعجاز علمي، هناك إعجاز حسابي، القرآن الكريم كما أحصاه المحصون، كلمة يوم وردت حصراً ثلاثمئة وخمس وستين مرة، أي صدفة؟ كلمة شهر وردت اثنتي عشرة مرة حصراً، القرآن الكريم عدد كلمات الجنة يساوي عدد كلمات النار، كلمات الجن ككلمات الإنس، كلمات الدنيا ككلمات الآخرة، كلمات الملائكة ككلمات الشياطين، كيف جاءت هذه بأعداد متوافقة تماماً؟ شيء لا يُصدق، هذا إعجاز حسابي، وهناك إعجاز رياضي وهكذا.

إن شاء الله في درس قادم نحاول أن نقف على بعض من ألوان الإعجاز من أجل أن نعلم أن هذا القرآن كلام الله، وأن الذي جاء به رسول الله عليه الصلاة والسلام، وقد قلت لكم في مقدمة دروس الرسالة إن الإيمان بالرسل أولاً الإيمان بفحوى الرسالة، فحوى الرسالة يُنبئك أن الذي جاء بهذا الكلام هو رسول الله.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 35-63: ألوان إعجاز القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## وجوه إعجاز القرآن الكريم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الخامس والثلاثين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى أن معجزة النبي صلى الله عليه وسلم هي القرآن الكريم، وأن هناك فرقاً كبيراً بين معجزات الأنبياء السابقين التي هي من النوع المادي الذي ينقضي بانقضائه وبين معجزة النبي عليه الصلاة والسلام التي هي باقية إلى نهاية الساعة أو باقية إلى الأبد وهي كلام الله عز وجل الذي أنزله عليه، وقلنا: إن للقرآن الكريم وجوهاً عديدة للإعجاز نكتفي اليوم بوجه واحد من وجوه إعجازه، هذا الوجه هو أنه:

**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)**

**سورة فُصلت**

فأية حقيقة علمية عرضها القرآن، أيّ دستور أو قانون أو نظام وضّحه القرآن، أيّ مبدأ أو أيّ تشريع أو أيّ حُكم نطق به القرآن، أيّ خبر تاريخي أخبر به القرآن، أيّ خبر أخبر به القرآن مما سيقع في المستقبل، إنّ كل هذا ثابت ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ أي حقيقة، تشريع، حكمة، خبر تاريخي، خبر مستقبلي، علم من علم الغيب، كل شيء جاء به القرآن هو حقّ ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ لذلك مع أن العلوم العصرية تقدمت تقدماً كبيراً، العلوم الوضعية، العلوم المادية، مع أن التقدم الهائل الذي حققته العلوم العصرية لم نجد في كل هذه العلوم شيئاً ينقض ما في القرآن الكريم من حقائق، إذاً: ﴿**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ**﴾.

## القرآن الكريم لن يأتيه الباطل من أي وجه من الوجوه:

متى ينشأ التناقض؟ ينشأ التناقض بين حقيقة علمية وبين خرافة دينية، أو بين حقيقة دينية وبين نظرية علمية لم تتحقق بعد، قد نجد تناقضاً بين الدين وبين النظريات العلمية التي لم تثبت صحتها، وقد نجد تناقضاً بين خرافة دينية لا أصل لها في الدين وبين حقيقة علمية، أما أن نجد خلافاً أو تناقضاً بين حقيقة علمية وحقيقة جاء بها القرآن فهذا مستحيل، لأنه: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أي في العصر الذي أُنزل فيه القرآن لم يظهر ما ينقضه، ولا في العصور اللاحقة، ولا بعد ألف عام، ولا بعد ألفي عام، ولا بعد قرون، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، قال تعالى مشيراً إلى هذا الوجه من وجوه الإعجاز في سورة فصلت: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وقال تعالى:

**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)**

**سورة الحِجر**

من أنواع الباطل التي حُفِظ القرآن منها التبديل والتحوير والتغيير والتعديل والإضافة والحذف، هذا أيضاً باطل، القرآن الكريم في الأصل حقّ، لو أن تعديلاً أو تغييراً أو إضافة أو حذفاً أصابه إذاً أتاه الباطل من خلفه، من بعد أن أُنزل، فالقرآن الكريم: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾ و: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ فالقرآن الكريم لم يأته الباطل بحالٍ من الأحوال، ولا من وجه من الوجوه، وكذلك لن يأتيه الباطل، لم ولن، لم لنفي الماضي، ولن لنفي المستقبل، لتأبيد النفي كما يقول النُّحاة، وكذلك لن يأتيه الباطل من أي وجه من الوجوه مهما توالت الدهور، واتسعت تجارب الحياة، وزادت مكتشفات العلوم.

## تسابق القرآن بحقائقه العلمية قبل اكتشاف أهل العلم هذه الحقائق:

الآن مع بعض التفصيل، فلا يأتيه الباطل في آية حقيقية علمية عرضت، الآن اكتشفوا أن الشمس تسير، تجري، ربنا عزّ وجل قال:

**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (38)**

**سورة يس**

فالقرآن الكريم أثبت ذلك، يوجد كثير حقائق فلكية، حقائق نباتية، حيوانية، متعلقة بالإنسان، في خلق الإنسان، في خلق الأرض، في الجبال، إن كل هذه الحقائق لم يأت مع تطور العصر ومع تطور العلوم ما ينقضها إطلاقاً، ربنا عز وجل قال على العسل:

ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ **فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ** إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)

**سورة النحل**

قرأت كتاباً ألفه أحد عشر عالماً من العلماء الذين يُنكرون وجودَ الله عن الشفاء بالعسل، عن ألوان الاستطباب بالعسل، الأمراض المعوية، والأمراض الجلدية، والعصبية، والقلبية، والكبد، شيء تفصيلات ليس هناك مجال لإعادتها، ربنا عز وجل قال: ﴿**فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ**﴾ قبل أسابيع قلت لكم: اكتشف علماء النحل أن النحل لا يمكن أن ينطلق لجني الرحيق قبل أن يستقر في خلية، ربنا عزّ وجل قال:

وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ **فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (69)**

**سورة النحل**

بعد أن تتخذي من الجبال بيوتاً كلي من كل الثمرات، يوجد ثم، ثم للترتيب على التراخي، ولا يأتيه الباطل في أي مبدأ أو تشريع أوضحه، وتجارب الحياة تُثبت باستمرار كمال مبادئ الإسلام وتعاليمه.

## من عجائب إعجاز القرآن الكريم تشريعه الثابت الذي يصلح لسعادة الإنسان ومصالحه

يوجد صحفي من دولة أجنبية كتب مقالة قال: أينا أشدّ وحشية نحن أم المسلمون؟ لأن الكفار يتهموننا أن قطع يد السارق نوع من أنواع التوحش، فذكر هذا الصحفي أن ستة عشر مليون سرقة تتم في عام

واحد، أي أربعون في المئة من هذه السرقات تتحول إلى جريمة قتل، بل إن الإحصاء الدقيق أنه في كل ثلاثين ثانية تُرتكب جريمة سرقة أو قتل أو اغتصاب، هذا الصحفي زار بلداً إسلامياً تُقطع فيه يد السارق، رأى بأم عينيه أشياء تكاد لا يصدقها العقل، أن سيارات مكشوفة شاحنات مكشوفة تحمل ملايين من العُملات تنتقل من محافظة إلى محافظة لدفع رواتب الموظفين من دون حراسة إطلاقاً، لذلك المقال عنوانه: أينا أشدّ وحشية الذين يقطعون يد السارق وفي العام بكامله لا تسجل مجموعة سرقات لا تزيد عن مئة أو لا تزيد عن خمسين ولا تقطع إلا يد أو يدان طوال العام بينما في بلد آخر ستة عشر مليون سرقة بحيث لو قسمت على أيام السنة ودقائقها وثوانيها لوجدنا أن كل ثلاثين ثانية ترتكب جريمة قتل أو سرقة أو اغتصاب؟! فربنا عز وجل هذا التشريع، فقد سأل شاعر الإمام الشافعي قال له:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

المعري

شيء عجيب! لو أن يداً قطعت بحادث سيارة ديتها في الإسلام خمسمئة دينار ذهبي:

يد بخمس مئين عسجد وديت ما بالها قطعت في ربع دينار

المعري

فأجابه الإمام الشافعي رضي الله عنه قال:

عّز الأمانة أغلاها وأرخصها ذلّ الخيانة فافهم حكمة الباري

الشافعي

لما كانت أمينة كانت ثمينة، فلما خانت هانت، هذا تشريع إلهي، لو سألتني أن ألخص لك الفساد البشري بكلمات، أقول لك: الفساد البشري يلخص بعدوانين، عدوان على المال، وعدوان على العِرض، هذا هو، هذا كل الفساد البشري، العدوان على المال جزاؤه قطع يد السارق، قال تعالى:

وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (38)

سورة المائدة

و:

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (2)

سورة النور

أي الفساد البشري كلّه نوعان؛ إما عدوان على الأموال أو عدوان على الأعراض، والإسلام وضع حدّاً قاسياً للعدوان على الأموال والعدوان على الأعراض، لذلك تشريعاته ثابتة، دولة مثلاً لا تؤمن بوجود الله إطلاقاً تُصدر قبل سنة تقريباً تشريعاً بمعاقبة من يشرب الخمر، لماذا؟ لأنه قال في الإحصاء خُمس الشعب مدمن خمر، هذه فودكا، خمسه، فهذا الخُمس صار قسماً أشلاً في المجتمع، مُستهلك غير منتج، لذلك حُرّمت قبل عام الخمرة في بلاد شاسعة تمتد بين قارتين أبداً تحت طائلة أقصى العقوبات، في الإسلام الخمر محّرم، من الأساس محرم، وتحريم الإسلام للخمر من نوع راقٍ جداً، أي المسلم لا يشرب الخمر لا في أثناء الدوام ولا خارج أوقات الدوام، لا في المحافل الخاصة ولا في المحافل العامة، الخمر حرام وانتهى الأمر، أما يجوز لو مُنع الخمر بقرار أو بقانون يُشرب ليلاً، يُشرب سراً، يُشرب تهريباً طبعاً، فربنا عزّ وجل:

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)

سورة فصلت

في أي مبدأ أو تشريع أوضحه، وتجارب الحياة تُثبت باستمرار كمال مبادئ الإسلام وتعاليمه، وقوانينه وأنظمته، وسلامتها وصلاحيتها لسعادة الناس جميعاً، قال تعالى:

إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (9) وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (10)

سورة الإسراء

## القرآن لا يأتيه الباطل في أي خبر أخبر به عما سيحدث في مستقبل أيام الدهر:

الإسلام عندما يُحرم شيئاً، هل هناك شيء حرمه الإسلام والعقل يقول لك يجب أن يكون حلالاً؟ وهل شيء أباحه الإسلام والعقل يقول لك يجب أن يكون مُحرماً؟ أحد الذين آمنوا بالنبي عليه الصلاة والسلام حينما علل إيمانه هكذا قال، ما رأيت شيئاً نهاني النبي عنه والعقل يقول لي: افعله، ولا شيئاً أمرني النبي بفعله والعقل يقول لي لا تفعله، هناك توافق، ولا يأتيه الباطل في أي خبر تاريخي أخبر به من أنباء الغيب، الذي ضاعت صورتها الحقيقية في أخلاق التاريخ القديم للأمم وبخاصة ما اختلف فيه بنو إسرائيل، قال تعالى:

**تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49)**

**سورة هود**

**إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (76) وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (77)**

**سورة النمل**

ولا يأتيه الباطل في أي خبر أخبر به عما سيحدث في مستقبل أيام الدهر، مثلاً قال تعالى:

لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ **لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آَمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ** فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (27)

**سورة الفتح**

وقد تحقق ما أخبر الله به في هذه الآية، فدخل النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك وأصحابه المسجد الحرام آمنين محلقين رؤوسهم ومقصرين غير خائفين، آية وردت ثم تحققت، وقوله تعالى:

وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا **وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (55)**

**سورة النور**

وقد وفّى الله للمؤمنين هذا الوعد، فحَكَم المسلمون مشارق الأرض ومغاربها، ورفرفت رايتهم في أطراف الأرض، ووصلوا إلى مشارف باريس، وإلى أطراف جنيف من الغرب ومن الشرق، وإلى أطراف الصين، واحتلوا القسطنطينية التي كانت معقلاً للروم، طبعاً الوعد تنفذ، وقوله تعالى:

هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ **وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (28)**

**سورة الصف**

وقد تحقق ظهور الإسلام على سائر الأديان بالحُكم والسلطان حينما طبق المسلمون إسلامهم، وبالحجة والبرهان في كل عصر، بالحكم والسلطان حينما طبق المسلمون إسلامهم، وبالحجة والبرهان في كل عصر، وقوله تعالى:

وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ **وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)**

**سورة الصف**

وقد تحقق ذلك فتمّ نصر الله للمؤمنين من أصحاب رسول الله، وكتب لهم الفتح القريب وهو فتح مكة، وقوله تعالى:

**الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (4) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (5) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (6)**

**سورة الروم**

وقد تحقق ذلك فانتصر الروم على فارس بعد ذلك في بضع سنين كما أخبر الله عزّ وجل في القرآن الكريم، وقوله تعالى:

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ **وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ** إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)

**سورة المائدة**

وقد حقق الله له وعده فعصمه من محاولات القتل التي دُبِّرت له ليلة الهجرة إذ أجمع مشركو مكة على قتله، وعَصَمه من اغتيال اليهود له، إذ دبروا له وهو في حيّهم إلقاء صخرة عليه، وعصمه مرة أخرى في خيبر، كل هذه الآيات التي تتحدث عن المستقبل تحققت، إذاً: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ لا من حيث الآيات العلمية، ولا من حيث التشريعات، ولا من حيث الأخبار الماضية، ولا من حيث الأخبار المستقبلية، هذا كله وقع، أي الآن الفرعون المحنّط الذي أُخذ إلى فرنسا لترميمه، هذا الفرعون هو الذي يُثبت العلماء أن طريقة موته كانت غرقاً، أي فرعون موسى، قال تعالى:

**فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آَيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آَيَاتِنَا لَغَافِلُونَ (92)**

**سورة يونس**

﴿**لِمَنْ خَلْفَكَ**﴾ يوجد فرعون مُحنَّط بمصر وأُخِذ إلى فرنسا للترميم وأعادوه، والعلماء يؤكدون أن هذا هو فرعون موسى، والدليل سبب الوفاة كانت غرقاً، إذاً كل شيء أخبر عنه في التاريخ صحيح.

## من دلائل إعجاز القرآن حفظه من أي ضياع أو تحريف أو تبديل قد يطرأ عليه:

الشيء الخامس أنه ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ**﴾ بأن تتعرض نصوصه للضياع أو التحريف أو التبديل بالزيادة فيها أو النقص منها، وقد تمّ فضل الله وصدق وعده فعمّ القرآن وانتشر بأحكم طريقة علمية يُمكن أن تتوصل إليها الإمكانات الإنسانية، وحفظه الله كما أنزله طوال هذه القرون دون أن يستطيع أعداؤه ومبيتو المكائد له أن ينقُصوا منه شيئاً أو أن يزيدوا فيه حرفاً، يروى أن الإنكليز مرة طبعوا خمسين ألف نسخة مصحف في أيام العثمانيين ووزعوها فقط حذفوا كلمة واحدة:

**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)**

**سورة آل عمران**

حذفوا غير، ﴿**الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**﴾ فوراً جُمِعت وأُحرقت، الله عزّ وجل سخر أناساً غيورين، مُحققين، مدققين، يضبطون النصوص، الآن لا تستطيع أن تضيف فتحة، لا تستطيع أن تلغي فتحة وليس حرفاً، تجد كل مصحف الحمد لله قام بتصحيحه وضبطه وفق رواية حفص عن عاصم فلان الفلاني، شيخ

المقارئ فلان الفلاني، الختم، والله شيء جميل، لا يوجد مصحف تقرؤه إلا صفحة صفحتين كلها أختام وتحقيقات وتوقيعات، الله عز وجل سخّر لهذا الكتاب الكريم علماء فطاحل، يضبطون النصوص، يعرفون القراءات، يعرفون أماكن الوقوف، يعرفون أماكن السجدات، يعرفون الأحكام، ضبطوه ضبطاً دقيقاً، فربنا عزّ وجل تولّى حِفظه وسخّر له هؤلاء المتشددون.

أحياناً شخص منكم يقول: كلمة الرحمن يلزمها ألف، صح تحتاج إلى ألف، الرحمان، لكن لم يجرؤ أحد على تبديل كتابة المصحف، حتى لا يكون هذا التبديل مسوغاً إلى تغيير آخر، لذلك هنالك إملاء قرآني، يوجد رسم قرآني خاص، السموات لا يلزمها ألف في القرآن الكريم، إله لا يلزمها ألف، الرحمن لا يلزمها ألف، هناك تاء مبسوطة، وتاء مربوطة، طبعاً هناك حكمة بالغة من كون هذه التاء هنا، هناك كلمة رحمة جاءت في أماكن مبسوطة، في أماكن مربوطة، وللمفسرين توجيهات رائعة جداً فيها، وهناك حروف مدغمة، وحروف مفكوكة، وهناك واو عوض ألف، هذه كلها طبعاً هذا علم قائم بذاته، لذلك لا يجرؤ إنسان لا يضيف حرفاً ولا حركة ولا سكوناً ولا فاصلة ولا نقطة أبداً، هذا النص وردنا بالتواتر، الجمع عن الجمع، قطعي الثبوت قطعي الدلالة، هذا حفظ الله عزّ وجل له، أي سخر أناساً حريصين.

الآن هذا هو القرآن: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾.

**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (82)**

**سورة النساء**

أنت اقرأ كتاباً ترى فيه تناقضاً أحياناً، الإنسان ليس عنده إمكانية لينجو من الخطأ، أي كتاب مهما كان مُؤلفه على مستوى رفيع يقع أحياناً بتناقض، يتكلم بفكرة ثم ينفيها من دون أن يشعر في الفصل الرابع، أحياناً يبالغ في فكرة ثم يظهر حجمها أقل من ذلك، أحياناً يكون هناك اضطراب، ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾.

**وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا (31)**

**سورة الإسراء**

**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ **وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (151)**

**سورة الأنعام**

شـــــيء دقيق جداً، هناك فقر واقع، هناك فقر متوقع، في الفقر الواقع نرزقكم أيها الفقراء وإياهم، بالفقر المتوقع نرزقهم وإياكم، هناك دقة بالغة، هذا شيء يستحيل على إنسان أن يضبطه.

وسوف نأخذ وجهاً آخر من وجوه إعجازه في درس قادم إن شاء الله تعالى.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 36-63: معجزات القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## وجوه إعجاز القرآن الكريم:

### 1- حفظ القرآن وصيانته من أي باطل يتطرق إليه:

أيها الإخوة المؤمنون؛ وصلنا في الدرس الماضي إلى موضوع معجزات النبي عليه الصلاة والسلام، فمع الدرس السادس والثلاثين من دروس العقيدة نتابع موضوع معجزات النبي عليه الصلاة والسلام.

قلنا في الدرس الماضي: إن القرآن الكريم من معجزات النبي عليه الصلاة والسلام وهو معجزة خالدة مستمرة، وتحدثنا عن بعض وجوه إعجازه، فكيف أن الله سبحانه وتعالى صانه وحفظه فقال في مُحكم تنزيله:

**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)**

**سورة الحِجر**

وقال تعالى:

**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)**

**سورة فُصلت**

فالباطل لا يمكن أن يتطرق إلى كتاب الله لا من حيث أخباره عن الأمم السابقة، ولا من حيث تنبؤاته لما سيكون، ولا من حيث الحقائق العلمية التي جاء بها، ولا من حيث التشريعات التي أوردها، كل ما

في القرآن الكريم لا يمكن أن يكون باطلاً، والباطل هو الشيء الذي يُنقَض، يبطل، يُلغى، يسقط، أي هناك نظريات كثيرة أصبحت باطلة، كان يُظنّ أن الأرض في العصور السابقة محمولة على قرن ثور، هذه نظرية باطلة، كان يُظنّ أن الأرض مُسطحة مُنبسطة لكنها كروية، فنظرية أن الأرض منبسطة باطلة، كان يُظنّ أن في جوف الأرض مائعاً نارياً، يتجه العلماء اليوم إلى أن هناك طبقات مستعرة ولكنها ليست مائعة، أي كلما تقدّم العلم كشف زيف بعض النظريات السابقة، فهذه النظريات التي جاء بها الإنسان باطلة، لا يمكن لا الآن ولا في المستقبل أن يكون في كتاب الله حقيقة يُثبت العلم خطأها أو يُثبت نقيضها، لأن الله عزّ وجل قال: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ بالعكس كلما تقدّم العلم كلما التقى مع الدين، أحياناً لقصور العلم ولافتقاره إلى الوسائل الفعّالة لضبط الحقائق قد نجد أن هناك بُعداً أو تناقضاً بين نظرية علمية قاصرة وبين حقيقة جاء بها القرآن، كلما تقدّم العلم وجدنا أن العلم يؤيد ما جاء به القرآن، إذاً: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ ومعنى: ﴿**وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ الزمان مهما امتدّ، مهما تقدّم العلم، مهما تطورت الآلة، مهما ازدادت المكتشفات، لن تستطيع هذه كلها أن تنقُض شيئاً في كتاب الله، هذا تحدثنا عنه في الدرس الماضي.

## 2- سلطانه العجيب في هداية الإنسان وتأثيره على قلبه وعقله:

شيء آخر في هذا الدرس، أو وجه آخر من وجوه إعجازه كما قال بعض العلماء، سلطانه العجيب في الهداية، أي حينما تقرأ كتاب الله عزّ وجل تشعر وكأن هذا الكلام ليس كلام البشر، كلام خالق الكون، كلام الذي خلق السماوات والأرض، كلام من رفع السماء بغير عمد، كلام من بيده أمرك، مصيرك، رزقك، حياتك، تحس أن هذا الكلام كلام الخالق، هذا انطباع أولي، لذلك تُليت بعض آيات القرآن على بعض العلماء الأجانب فقالوا: هذا الكلام من فوق، هكذا عبّروا، أي قائل هذا الكلام يرى الكون كله، فقال العلماء: سلطان القرآن العجيب في هدايته للإنسان، وفي تأثيره المعنوي على عقول الناس، وفي الخشية التي تُحدِثها تلاوته في قلوب سامعيه، القرآن الكريم إذا كان الإنسان صافياً أو بعيداً عن أثقال المادة وعن زيف الحضارة، إذا قرأ كلام الله عزّ وجل يخشع قلبه، أي يُقارب أن يبكي، يُحسّ أنه يذوب، يقشعر جلده من خشية الله، يجل قلبه، قال تعالى:

**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آَيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2)**

**سورة الأنفال**

تقشعر منه جلود الذين يؤمنون بالله عزّ وجل، فهذا التأثير وهذا السلطان العجيب الذي إذا قرأت القرآن شعرت به من إعجاز القرآن الكريم.

الحقيقة ببعض الأعمال العظيمة هناك سرّ لا نعرف ما هو، الأثر واضح أما طبيعة هذا السر لا نعرفه، لو أن إنساناً قرأ كتاباً آخر، كتاباً من صنع بشر، مهما كان هناك تأنق لفظي، مهما كان هناك سجع في اللفظ، فواصل دقيقة، صور، تشابيه، استعارات، انتقاء الكلمات، موسيقى داخلية، موسيقى خارجية، تُحسّ أن هذا كلام البشر، ولكنك إذا تلوت كتاب الله عزّ وجل تشعر أنه كلام الخالق، فلذلك وسلطانه العجيب هذا كان هو السر في تجمّع مختلف الشعوب والأمم حوله، أي كلام البشر تقرؤه مرة، مرتين، ثلاثاً، تُحسّ بأنك انتهيت منه، أَحَطْت به، فهمت معانيه، يمكن لو أنك كُلّفت أن تقرأه مرة خامسة لشعرت بالضجر والضيق، تقول: دائماً أقرأ هذا الكتاب مللت منه، نفسي تعافه، ما هو السر؟ أنك لو قرأت كلام الله آلاف المرات تُحسّ أنه كلما قرأته مرة كان عليك جديداً، لا تبلى جِدته، لا يَخْلق على كثرة الترداد، تقول: هذه الآية أقرؤها آلاف المرات، وكلما قرأتها اقشعّر جلدي، قال الله:

**وَالضُّحَى (1) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (2) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى (3) وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى (4) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى (5) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآَوَى (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11)**

**سورة الضحى**

**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى (1) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى (2) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (3) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى (4) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى (11) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (12) وَإِنَّ لَنَا لَلْآَخِرَةَ وَالْأُولَى (13) فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى (14) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (15) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى (16) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (17) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (18) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (19) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى (20) وَلَسَوْفَ يَرْضَى (21)**

**سورة الليل**

في سورة الرحمن:

**الرَّحْمَنُ (1) عَلَّمَ الْقُرْآَنَ (2) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (4) الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ (5) وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ (6) وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)**

**سورة الرحمن**

تقرأ بعد ذلك: ﴿**فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ جاءت هذه الآية ثلاثاً وثلاثين مرة كُررت وكأنها لازمة تترنم بها، هذا سرّ صياغة كلام الله، نحن عاجزون عن إدراك السر، قال تعالى:

**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآَنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (21)**

**سورة الحشر**

**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآَنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ** فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (185)

**سورة البقرة**

يوجد سلطان عجيب، نحن عرفنا الأثر ولم ندرك سرّ التأثير، سيدنا جعفر قرأ القرآن على النجاشي، ومن حوله القسيسون والرهبان، أخذت الخشية تتغشاهم فأجهشوا جميعاً بالبكاء، فلما فرغ جعفر من قراءته ماذا فعل النبي عليه الصلاة والسلام؟ أرسل النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعين عالماً من علماء النصارى إلى رسول الله، فلما قرأ عليهم سورة يس بكوا جميعاً وآمنوا جميعاً، هكذا تروي السير، فربنا عزّ وجل ذكر هذه الحادثة فقال:

**وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83)**

**سورة المائدة**

النجاشي بكى أرسل سبعين عالماً من علماء النصارى إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقرأ عليهم النبي عليه الصلاة والسلام سورة يس فبكوا جميعاً وآمنوا، والله سبحانه وتعالى أثبت هذه الحادثة في كتابه

العزيز فقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ جاء في الصحيحين عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَلْ لا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ) قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِير، قَالَ سُفْيَانُ: فَأَمَّا أَنَا فَإِنَّمَا سَمِعْت الزُّهْرِيَّ يُحَدِّثُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالطُّورِ وَلَمْ أَسْمَعْهُ زَادَ الَّذِي قَالُوا لِي.

**متفق عليه**

وأنا أصدق أن هناك أشخاصاً كثيرين سمعوا القرآن يُتلى فآمنوا، بكوا فآمنوا، ما زدت عن أن قلت هناك تأثير لا ندري كنهه، ولا ندري سره، ولكن ندري وجوده، هناك تأثير، لكن من انطمست فطرته بالشهوات، وغاص بالملذات الحسية إلى قمة رأسه، وطغى وبغى، هذا قلبه ميت، لكن من كان بعيداً عن نزوات الشهوة، وعن أوحال المادة، وقرأ كلام الله عزّ وجل ربما قال وهو صادق في قوله: إن أجمل ساعات حياتي حينما يتلو كتاب الله، لأن رحمة الله تتنزل على قلبه، إذا أردت أن تُحدّث ربك فصلِّ وإذا أردت أن يُحدّثك ربك فاقرأ القرآن، أي إذا إنسان له مكانته، عالم شهير، دمث الأخلاق، لطيف المعشر، ثقافته واسعة، حاضر البديهة، إذا جلست معه تستمتع استمتاعاً لا حدود له يقول لك: والله ما شعرنا بالوقت، فهذا إنسان صغير جداً فكيف لو سمعت الله يُحدّثك؟ أتحبّ أن أجلس معك في بيتك؟ صعق سيدنا موسى، كيف ذلك يا رب؟ قال: أما عَلِمت أني جليس من ذكرني، وحيثما التمسني عبدي وجدني.

## 3- الشمول:

من وجوه إعجازه أيضاً أن ما في كتاب الله من حِكم وأحكام، وعظات وأخلاق، ومبادئ وعقائد، وتشريعات وأخبار عما مضى، وعما هو آت، ومعارف جزئية، وعلوم كلية، بلغت كلها مبلغاً لا يرقى إلى الإتيان بمثله الإنسان، في تماسكها، وترابطها، وموافقتها للحق والمصلحة وسعادة الناس جميعاً، ومازال على تعاقب العصور بهذا المستوى، رغم تقدم العصور، وتطور المعارف وتجربة مختلف المبادئ والقوانين والأنظمة الوضعية والإنسانية، ولم يزل كذلك أبد الدهر، مع كل هذه الكمالات فقد أُنزل على رجل أُميّ لم يتعلم القراءة

ولا الكتابة، ولم يسبق له دراسة ولا قراءة، ولا تعلّم على يد أحد، ولا علّمه أحد، وفي أمة أميّة لا تعرف شيئاً من هذه العلوم والمعارف التي جاءت فيه، أي هذا أكبر دليل على أن هذا الكلام من عند الله، قال الله تعالى يخاطب النبي عليه الصلاة والسلام في معرض الحديث عن أهل الكتاب في سورة العنكبوت:

**وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ آَتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآَيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (47) وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ (48)**

**سورة العنكبوت**

﴿**وَمَا كُنْتَ**﴾ يا محمد.

من حكم الله البليغة أن النبي عليه الصلاة والسلام كان أُمياً، لماذا؟ لو أنه درس، لو أنه تعلّم، لو أنه استوعب ثقافة عصره ثم جاءه الوحي لاختلط على الناس الوحي بالثقافة، يا محمد قل لنا هذه من عند ربك أم من عندك؟ لكان أكثر سؤال يتوارد عليه طوال حياته هذا السؤال، هذا الذي تقوله أمِن عندك أم من عند ربك؟ لحكمة بالغة مَنع عنه ثقافة العصر، قطعه عن معلومات البشر، لم يُعلِّمه أحد، لم يدرس، لم يقرأ، لم يكتب، جعله أُميّاً ليكون كل علمه من عند الله.

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

**سورة النجم**

ليكون كل علمه وكل أقواله إنما هي وحيٌ يوحى، لذلك قال علماء الأصول: القرآن وحي متلو، والسنة وحي غير متلو، أكثر العلماء على أن الأحاديث الشريفة إن هي إلا وحي يُوحى، لذلك كان النبي عليه الصلاة والسلام أُمياً لئلا يختلط وحي السماء بثقافات البشر.

## 4- إعجازه في البلاغة والفصاحة:

من وجوه إعجاز القرآن الكريم بلاغته وفصاحته، أي أعلى كتاب في اللغة العربية من حيث الفصاحة والبلاغة هو كتاب الله عزّ وجل، أعلى كتاب، أي الفصاحة في كلماته، والبلاغة في تراكيبه، انتقاء الكلمات أعلى مستوى، تأليف الكلمات في جمل من أرقى بُنية، تناسب الألفاظ مع المعاني، تناسب المعاني مع مقتضى الحال، يُعدّ أعلى مستوى في اللغة العربية، أي الحديث عن إعجازه اللغوي وإعجازه البياني حديث

طويل، أُلفت فيه المجلدات، فماذا نفعل في هذه الدقائق أو ماذا نفعل في هذه الساعات؟ مجلدات بأكملها أُلِفت حول إعجاز القرآن، أي مثلاً بذل المال وبذل النفس في القرآن الكريم جاء بهذا الترتيب، قال تعالى:

**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آَمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (15)**

**سورة الحجرات**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ **ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)**

**سورة الصف**

في أكثر من ثمانية عشر موطناً فيما أذكر ورد بذل المال مقدماً على بذل النفس، لأن بذل المال أهون من بذل النفس، إلا في موطن واحد ورد فيه بذل النفس مُقدماً على بذل المال، قال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ **بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآَنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)**

**سورة التوبة**

لأن هنا بيعاً قطعياً، وفي البيع القطعي يُقدم الأهم على المهم، بينما في البذل يُقدّم الأيسر على الأعسر، حكمة بالغة، في مواطن كثيرة وردت كلمة غفور رحيم، إذا اجتمع اسم المغفرة والرحمة فاسم الغفور مقدمٌ على اسم الرحيم، لماذا؟ لأن درء المفاسد مُقدّم على جلب المنافع، الغفور مقدمٌ على الرحيم، لذلك ورد في الترتيب كما يلي، إلا في آية واحدة جاءت فيها كلمة رحيم غفور، طبعاً هذه آية وحيدة ورد فيها اسم الرحيم قبل اسم الغفور:

**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة سبأ**

لماذا؟ لأنه في آيات أخرى حيثما وردت كلمة العلم وردت معها كلمة الرحمة، لأن العلم من غير رحمة طامة كبرى، كما هو الحال في هذا العصر، حينما تقدم العالم الغربي تقدّماً مذهلاً في العلوم، ولم يرافق هذا التقدم تقدّماً في القيم أصبح هؤلاء كالوحوش الكاسرة، أرادوا أن يأكلوا الشعوب كلها، أن يعيشوا على أنقاض الشعوب، يُسببون للشعوب متاعب لا حصر لها من أجل أن يرتفع مستوى معيشتهم، فربنا عزّ وجل قال:

**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (7)**

**سورة غافر**

**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (52)**

**سورة الأعراف**

**فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65)**

**سورة الكهف**

في أكثر الآيات تأتي كلمة الرحمة مع العلم، لأن العلم من دون رحمة سلاح مدمر، العلم من دون رحمة جعل القنبلة النووية، هذه القنبلة الذَّرية أُلقيت في الحرب العالمية الثانية، كانت في البدايات قنبلة متواضعة جداً، ثلاثمئة ألف إنسان ماتوا في ثوانٍ، هذا هو العلم من دون رحمة، الآن يقولون لك: هناك حرب جرثومية، هناك حرب كيميائية، مواد تصيب الإنسان بالشلل، مواد كيميائية تصيبه بالهوس، تصيبه بالخَوَر، تجعله يهذي، علماء كبار في المخابر يصنعون مواد كيماوية تُسبّب الحرب الجرثومية أو الحرب الكيمائية، علم من دون رحمة، يقول لك: قنبلة انشطارية، تنفجر وهي في السماء، فيها كرات حديدية صغيرة، مئات الكرات فيها، كل كرة تقتل إنساناً، تنفجر، تنشطر، هناك قنابل عنقودية، هناك قنابل تلفزيونية، هناك قنابل حارقة، النابالم، في دائرة قطرها خمسين متراً كل شيء يصبح كالفحم، أليس هذا علماً كله أم جهلاً؟ هذا كله علم من دون رحمة، هناك قنابل تُبيد البكتريات في الأرض، تصبح الأرض غير صالحة للزراعة، هذا أليس علماً؟ ﴿**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا**﴾، ﴿**آَتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا**﴾، ﴿**كِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً**﴾ فربنا عز وجل في أكثر الآيات اجتمعت الرحمة مع العلم، وفي عصرنا هذا انفرد العلم من دون الرحمة، فكان الذي ترون، قسوة البشر الآن ليس لها حدود، من علامات آخر الزمان أن

تنعدم الرحمة من قلوب الناس، لا يرحمك، مهما كنت ضعيفاً، قد يتلذذ بشقائك، قد يتلذذ بأن يُقضى عليك، هكذا العالم الغربي يخلق في العالم مشاكل، ويبيع هذه البلاد أسلحة، طبعاً من أجل أن يفنى بنو البشر.

## الحكمة من التقديم والتأخير بالكلمات في القرآن الكريم:

ربنا عز وجل لماذا ذكر الله كلمة رحيم غفور؟ لماذا ذكر كلمة رحيم قبل الغفور؟ لأن الآية: ﴿**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنْ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ**﴾ هناك شواهد أخرى حول هذا الموضوع كثيرة، يوجد:

**وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (78)**

**سورة المؤمنون**

السمع والأبصار، دائماً السمع مقدم على البصر في أكثر الآيات، لأن تخلّق السمع يكون قبل تخلّق البصر، هناك ترتيب زمني، وقد يكون هناك ترتيب من حيث الأهمية، السمع يؤمن لك دائرة الأمان أوسع من دائرة البصر، يمكن سائق سيارة لا يرى شيئاً أمامه، لكن هناك صوت في المحرك خطير، يقول لك: يوجد صوت، دائرة السمع أوسع من دائرة البصر، قد تكون أنت تجلس في غرفة الجلوس تسمع شيئاً في غرفة أخرى، تقول: لعل هناك شيئاً، هناك طفل وقع أو هناك حاجة كُسرت أو هناك باب انفتح، فالسمع يُؤمِّن لك ضماناً أو يُؤمِّن لك أمناً بدائرة أوسع من دائرة البصر، فقُدّم السمع على البصر إما تقديماً رتبياً، رتبته أعلى من رتبة البصر، إلا في آية واحدة، قال تعالى:

**وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ (12)**

**سورة السجدة**

غريب، هذه الآية لأن سرعة انتشار الصورة أي الضوء أسرع بكثير من سرعة انتقال الصوت، سرعة الصوت ثلاثمئة وثلاثون متراً بالثانية، لكن سرعة الضوء ثلاثمئة ألف كيلو متر بالثانية، فترى أنت البرق وبعد حين تسمع صوت الرعد، معنى هذا انتقال الصوت إليك كان بطيئاً جداً، ﴿**رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا**﴾.

**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (11)**

**سورة الجمعة**

الله بدأ بالتجارة، لأنه لا لهو من دون تجارة، اللهو يحتاج إلى أموال طائلة، إذا دخل رجل إلى صالة فيها قمار يجب أن يكون معه ملايين، ﴿**وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنْ اللَّهْوِ وَمِنْ التِّجَارَةِ**﴾ هنا قُدِّم اللهو على التجارة، لأنك إذا تركت الصلاة لعلة اللهو هذا أشدّ إثماً وتفريطاً من تركها لعلة التجارة، فتقديم الكلمات شيء مذهل.

## أنواع الإعجاز في القرآن لا تُعدّ ولا تحصى:

يوجد بهذا الموضوع موضوع دقيق جداً، سيدنا يوسف ربنا عز وجل وصف نظام إدارته بحرفين، قال تعالى:

وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ **فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ** وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ (58)

**سورة يوسف**

لأن الفاء للترتيب على التعقيب، فور وصولهم دخلوا عليه، وفور دخولهم عليه عرفهم، إذاً حينما دخلوا عليه عوملوا كمواطنين عاديين، ما إن وصلوا حتى دخلوا، متى عرفهم أنهم إخوته؟ بعد أن دخلوا ﴿**فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ**﴾ فمن استعمال الفاءين تبين أن هناك أبواب هذا النبي الكريم مُفتحة لكل الناس.

يوجد عندنا الأقارب جاء ترتيبها في كتاب الله بشكل عجيب، ربنا عزّ وجل في سورة آل عمران يقول:

**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14)**

**سورة آل عمران**

الله عزّ وجل بدأ بالنساء، وثنّى بالبنين، ثم القناطير المقنطرة من الذهب والفضة، ثم الخيل المسومة، ثم الأنعام، ثم الحرث، طبعاً الموضوع طويل، سنأخذ أول واحدة فقط، لماذا بدأ بالنساء؟ لأنَّ الآية

في موطن المتعة، ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لذلك قال النبي الكريم: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ العَاصِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ إِنَّ **الدُّنْيَا كُلَّهَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ.**

**النسائي صحيح**

عن أبي هريرة سُـــئِلَ النَّبيُّ عليه السَّـــلامُ عن خَيرِ النِّســـاءِ، فقال: **التي تُطيعُ إذا أَمَر، وتَسُرُّ إذا نَظَر، تحفَظُه في نَفْسِها ومالِه.**

**الفتح السماوي : حكم المحدث: إسناده حسن**

هناك آية ثانية:

**قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ** وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)

**سورة التوبة**

المحبة الحسية المرأة في الدرجة الأولى، المحبة القلبية الأب، لأن حبه لابنه سبق حبّ ابنه له من باب الوفاء، فربنا عزّ وجل الاعتزاز الاجتماعي بدأ بالأب، قال: ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ**﴾ الأب، أبوة، بنوة، أخوة، ترتيب الأقارب، الزوجة، العشيرة، ثم المال ثم التجارة ثم المساكن، المسكن ليس قبل التجارة، المسكن لا يجلب المال، المسكن نفقة استهلاكية، أما التجارة فتجلب المال: ﴿**أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ**﴾.

هناك آية ثالثة:

**يُبَصَّرُونَهُمْ** يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (11)

**سورة المعارج**

بدأ بالابن:

**وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (12) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (13) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (14)**

**سورة المعارج**

في موطن دفع الفدية أغلى شيء الابن، هناك آية رابعة:

**فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (37)**

**سورة عبس**

في موطن الاستنجاد والاستغاثة الأخ، لأن الأب كبير والابن صغير، أما الذي يعينك فأخوك، هنا بدأ بالأخ، وهنا بدأ بالابن، وهنا بدأ بالأب، وهنا بدأ بالزوجة، هذا ترتيب دقيق جداً، هذا الترتيب يعجز عنه البشر، كأن الله عزّ وجل عليم بما في النفوس، خبير، قال:

**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (14)**

**سورة المُلك**

فالقرآن الكريم من حيث الإعجاز واللهِ لا درس ولا درسان، ولا سنة ولا سنتان، ولا العمر يمكن أن يفي بحقّ هذا الموضوع، يوجد إعجاز تشريعي يا إخوان، يوجد إعجاز بياني، يوجد إعجاز لغوي، يوجد إعجاز حسابي، يوجد إعجاز رياضي، يوجد إعجاز تشريعي، أي الأصح من ذلك دروس التفسير من خلال شرح الآيات الكريمة يبدو لكم بعض إعجاز القرآن الكريـم.

وفي درس آخر إن شاء الله تعالى ننتقل إلى بعض معجزاته صلى الله عليه وسلم.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 37-63: صفات الرسل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### اختيار الرسل اصطفاء من الله لهم:

أيها الإخوة الأكارم؛ مع الدرس السابع والثلاثين من دروس العقيدة.

وصلنا قبل رمضان إلى موضوع صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

أيها الإخوة؛ بما أن الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه مكلفون برسالة عليهم أن يُبلغوها، ولاسيما الرسل فلابُدَّ من صفات تتوافر فيهم، فالرسل قبل كل شيء مُصطَفون من قِبل الله جلَّ وعلا بالوحي، أي الرسالة اصطفاء من الله سبحانه وتعالى، اصطفاء لأهلية في الرسول.

شيء آخر؛ بما أنَّ الرسول مُبلّغٌ عن الله علوم شريعته وأحكامه لخلقه هو مصطفى بالوحي ومُبلِّغ للناس، وبما أنَّ الرسول قد حمل مهمة الدعوة إلى الله، وإلى صالح العمل بالأسلوب الحكيم، ولأن الرسول مُصدَّق من قِبل الله جلَّ وعلا بالمعجزة، المعجزة تصديق من الله لرسوله، وبما أنَّ الرسول قدوة حسنة يُتأسى بها في عمله وخُلُقه، ويُهتدى بهديه، وبما أنَّ الرسول مُطَاع بإذن الله مُتَّبع بأمر الله، وبما أنَّ الرسول قائد لأمته ومُدبِّر لسياستها الدينية والدنيوية، لهذه الأسباب كلها، مُصطفى بالوحي مُبلِّغ عن الله علوم شريعته وأحكامه لخلقه، حمل مهمة الدعوة إلى الله، وإلى صالح العمل بالأسلوب الحكيم، مُصدَّق من قِبَل الله بالمعجزة، القدوة الحسنة التي يُتأسى بها في عمله، وفي خُلُقه، ويُهتدى بهديه، لأنه مُطاع بإذن الله، مُتبع بأمر الله، لأنه قائد أمته، ومُدبّر أمر سياستها الدينية والدنيوية، لهذه الأسباب كلها يجب أن تتوافر في الرسول صفات لابد من توافرها.

من هذه الصفات علو الفِطرة، وصحة العقل، والصدق في القول، والأمانة في تبليغ ما عُهِد إليه تبليغه، والعصمة من كل ما يُشوّه السيرة البشرية، وسلامة البدن مما تنبو عنه الأبصار، وتنفر منه الأذواق السليمة، وقوة الروح بحيث لا تستطيع نفس إنسانية أو جنية أن تسطو عليه سطوة روحانية، لأن الجلال الإلهي يُمده دائماً بمدد منه، لهذه الأسباب كلها لأنه مُبلِّغ ولأنه قدوة ولأنه مصطفى ولأنه مصدق ولأنه مطاع ولأنه مُتَّبع، لهذه الأسباب كلها يجب أن تكون فطرته عالية، وعقله صحيحاً، وقوله صادقاً، وتبليغه أميناً، ويجب أن يكون معصوماً من كل معصية أو زلل، ويجب أن يكون سليم الخلق، كامل الخلق لئلا تنبو عنه الأبصار، ويجب أن يكون قوي الروح، هذه الصفات إن شاء الله تعالى سوف نُفصّل بها واحدةً واحدة، لكن فيما عدا ذلك فهو بشر، كيف هو بشر؟ يقول عليه الصلاة والسلام: **عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ، فَأَيُّمَا رَجُلٍ آذَيْتُهُ أَوْ جَلَدْتُهُ فَاجْعَلْهَا لَهُ زَكَاةً وَصَلاةً.**

صحيح أحمد

من صفات الأنبياء التي تَمُت إلى البشرية بصلة أنهم يأكلون ويشربون، ما أروع القرآن حينما وصف بشرية سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، كان:

**وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (7)**

سورة الفرقان

فالذي يأكل الطعام ليس إلهاً، إنه مُفتقر إلى تناول الطعام، نحن جميعاً مفتقرون إلى شرب كأس ماء، مفتقرون إلى تناول الطعام، كان ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ مُفتقر إلى الطعام ومُفتقر إلى كسب الطعام، أنت مفتقر إلى الطعام شيء جميل، لكنك إذا قعدت في البيت سوف تجوع لابُدَّ من أن تخرج من البيت لتكسب رزقاً تشتري به طعاماً، وهاتان الصفتان كافيتان لأن تكون بشراً ولست فوق البشر، الأنبياء بشر، قال تعالى:

**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (6)**

سورة فصلت

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، فيما عدا هذه الصفات صحة الفطرة، صحة العقل، الصدق، الأمانة، العِصمة، سلامة الخلق، قوة الروح، هو بشر من علائم بشريته أنه يأكل ويشرب وينام، أي يحتاج إلى النوم، أخي نائم؟ طبعاً أنا بشر أريد أن أنام، لماذا نائم؟ طبعاً أنا بشر أريد أن أنام، لماذا نائم؟ أريد أن أنام طبعاً من أنا؟ كل إنسان يحتاج إلى النوم، النوم سلطان كما يقولون، لكن من قضى عمره بالنوم أتى يوم القيامة مفلساً، أمّا ينام ويتزوج، هناك بنفسه حاجة إلى نصفه الآخر كما يقولون، هذه حاجة ثابتة في الأنبياء أيضاً، النكاح من سنة النبي عليه الصلاة والسلام، ويمرض، المرض من صفات البشر، ومن علائم العبودية لله عز وجل، يمرض، ويتزوج، وينام، ويأكل ويشرب، وقد ينسى: **عن عبد الله بن مسعود: إنما أنا بشرٌ أنسى كما تنسَون، فإذا نسِيَ أحدُكم فلْيسجُدْ سجدتَين وهو جالسٌ.**

صحيح الجامع: حكم المحدث : صحيح

من هنا كان سجود السهو، كما قال عليه الصلاة والسلام: **عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا.**

صحيح البخاري

لكن هنا يوجد نقطة دقيقة جداً إنه قد ينسى فيما لا علاقة له بتبليغ ما أمره الله أن يبلغه، لا ينسى أوامر التبليغ، هذه تتناقض مع عصمته بعد ذلك، ينسى في الأمور اليومية أما في أمور التبليغ فلا ينسى، قال تعالى:

**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (6)**

سورة الأعلى

وقد تمتد إليه أيدي الظلمة، ألم يَرِد في القرآن الكريم أنّ الكفار قد اعتدوا على الأنبياء فقتلوهم، قال تعالى:

**ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112)**

سورة آل عمران

لأنهم بشر، إلا إذا عصمه الله عزّ وجل من أن يُقتل بنص من القرآن الكريم، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**

سورة المائدة

أكثر المفسرين على أنه معصوم من أن يغتاله بشر، طبعاً هذه الصفات التي تمُتّ إلى بشريته بصلة لا تُنقص من قدره كنبي، ولا تُقَلل من مكانته عند الله عز وجل، أنت بشر تجوع وتعطش وتتعب وتنام وتحتاج إلى من يُكمِّل نصف دينك وتنسى وتغضب ((**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ**)) هذه الصفات تؤكد في الأنبياء عبوديتهم لله عزّ وجل.

## صفات المرسلين عليهم الصلاة والسلام بالتفصيل:

### 1- الفطانة:

لو أردنا أن نأخذ الصفات التي يجب أن تتوافر في الرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام كان في مقدمة هذه الصفات الفطانة، الفطانة بمعنى الذكاء، أي ما كان الله عزّ وجل ليُرسل رسولاً إلى خلقه لا يتصف بالفطانة، فالفطانة صفة ملازمة للأنبياء، أي بعلم النفس لو أخذنا مئة رجل أو مئة إنسان؛ تسعون بالمئة منهم لو فحصنا ذكاءهم بروائز دقيقة لنالوا علامة المئة، وعلامة المئة هي علامة الخط العريض في

المجتمع، لكن خمسة بالمئة منهم ترتفع علامتهم إلى مئة وأربعين أو أكثر، هؤلاء النوابغ أو العباقرة، وخمسة في المئة تقل علامتهم في الذكاء عن ثمانين أو عن سبعين وهؤلاء يوصفون بأنهم أغبياء.

على كلّ الأكثرية في المجتمع تتصف بالتوسط في الذكاء، والأقلية تتصف بارتفاع مستوى الذكاء، والأقلية الثانية تتصف بانخفاض مستوى الذكاء، لكن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه يتصفون بالضرورة جميعاً بالفطانة، أي إذا أردتم تعليلاً مادام الله سبحانه وتعالى قد اصطفاهم، وما دام الله سبحانه وتعالى قد كلّفهم تبليغ رسالاته، بما أنَّ الله سبحانه وتعالى قد كلفهم بنشر دينه فلابد من أن يعطيهم مع هذا التكليف ما يُعينهم على نشر الرسالة، وأول هذه الصفات صفات الفطانة، ما اتّخذ الله ولياً جاهلاً لو اتّخذه لعلمه، فحمْل رسالة علمية لو كان بأصحابه من هو أذكى منه، كيف يستطيع أن يقود أناساً أذكى منه؟ هذه على مستوى حياتنا اليومية مستحيلة، لو عيّنت إنساناً أقل ذكاء ممن حوله، أي لا يستطيع أن يقودهم، أي يُربكونه، لابد من أن يكون النبي الرسول أعلى كل أصحابه ذكاءً حتى يستوعبهم، وحتى يستطيع توجيههم، وحتى يعرف إمكاناتهم، فلذلك النبي الكريم صلى الله عليه وسلم كان يجمع كل صفات الكمال، فهذا سيدنا خالد كان شجاعاً، إذاً هو سيف الله، وهذا سيدنا أبو عبيدة كان أميناً، إذاً أبو عبيدة أمين هذه الأمة، وكان سيدنا علي مدينة العلم، وكان سيدنا معاذ، والله يا معاذ إني لأحبك، كان محبوباً، وكان سيدنا سعد مُضحياً:

**عن عليّ بنُ أبي طالبٍ رضِيَ اللهُ عنه: ما سمِعْتُ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يُفَدِّي أحدًا بأبويْه"، أي يقولُ له: فِداكَ أبي وأُمِّي، إلَّا لسعدٍ" وهو ابنُ أبي وقَّاصٍ، فإنِّي سمِعْتُه يقولُ يومَ أُحدٍ: ارْمِ سعدُ فِداك أبي وأُمِّي.**

أخرجه الشيخان عن علي بن أبي طالب

كل صحابي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتصف بصفة يتميز بها، لكن النبي عليه الصلاة والسلام جمع كل صفات الكمال، قال الشاعر:

وأحسن منك لم تر قط عينــي وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقـت مبرأً من كل عيـــب كأنك قد خُلِقت كما تشاء

حسان بن ثابت

فإن تفق الأنام فأنت منهــم فإن المسك بعض دم الغزال

المتنبي

محمدٌ بشرٌ وليس كالبشـــــر لأنه ياقوتة والناس كالحجر

كعب بن زهير

لو أن هذا النبي العظيم عليه أتمّ الصلاة والتسليم قيست إمكاناته الفكرية بمقاييسنا المعاصرة لكان من أعلى البشر إدراكاً، وفطانة، وحسن تصرف، واستيعاباً، وحفظاً، ومحاكمة، وقياساً، وإلقاءً، أساساً لا يوجد إنسان يستطيع أن يقود أناساً إلا أن يكون على مستوى عالٍ من الذكاء، إذا إنسان محدود لا يستطيع أن يقود نفسه أساساً حتى يقود الآخرين، إنسان يكون له تأثير على أشخاص بإمكانات ضعيفة هذا شيء مستحيل، هذا مثل قريب، من منا يستطيع أن تُتلى عليه سورة البقرة فيحفظها من أول مرة؟ هذا فوق طاقة البشر، من منا يستطع أن تُتلى عليه البقرة وآل عمران فيحفظهما توّاً؟ النبي عليه الصلاة والسلام إذا جاءه الوحي يحفظه فوراً، ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾ هذا أعلى مستوى في الذكاء، هذه الذاكرة التي لا تنسى، من يقدر حفظ القرآن؟ حَفَظَة القرآن، يقول لكَ: أخي يوجد متشابهات، والله احترت غفور رحيم أم رحيم ودود، تجده أثناء الحفظ أو أثناء القراءة أو أثناء الصلاة يقع بإشكالات، يا ترى حتى إذا جاؤوها فُتحت أم وفُتحت؟ يوجد آية فُتحت وآية وفُتحت يخلط بينهما، يا ترى وفُتحت لأهل الجنة أم لأهل.. يخلط بينهما، أمّا النبي عليه الصلاة والسلام ما نسي شيئاً من كتاب الله أبداً، هذه من فطانته عليه الصلاة والسلام.

وبهذه الفطانة يعرف ما أنزل إليه، يعرف المضمون، قد يقول أحدكم: أين تفسير كتاب الله؟ ليت النبي عليه الصلاة والسلام فسّر كتاب الله، لقد فسره، أحاديثه الشريفة تفسير دقيقٍ دقيق لكتاب الله عز وجل، النبي عليه الصلاة والسلام بيّن للناس ما نُزِّل إليهم عن طريق السنّة المطهرة التي هي أصلٌ ثانٍ من أصول الشريعة الإسلامية، قال الله:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

سورة النجم

إذاً السنّة المطهرة وحي غير متلو، فالنبي الكريم يجب أن يعرف مدلولات الآيات الكريمة بشكل دقيقٍ دقيق حتى يفسرها، أحكام العدّة، أحكام الطلاق، أحكام الزواج، أحكام الصلاة، أحكام الصيام، أحكام الحج، أحكام الزكاة، أحكام البيوع، هذه التفصيلات الشديدة، يقول لك: ثمانون حديثاً في البيوع مأخوذون من آية واحدة، قال الله:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (29)**

سورة النساء

التراضي صار له أحكام، لا يكون فيه تدليس، لا يكون فيه غش، لا يكون فيه غبن بالسعر، لا يكون فيه غبن بأشياء أخرى، لا يكون فيه جهالة بالثمن، جهالة بالقيمة، التسليم، أحاديث كثيرة جداً في البيوع كُلها مستنبطة من آية واحدة، أحاديث الصيام مُستنبطة من آية الصيام، أحكام المواريث.

إذاً يجب أن تكون فطانته مُعِينة له على فهم هذا الوحي الذي جاءه من عند الله، ويجب أن تكون فطانته مُعينة له على حفظ ما نُزّل إليه من كلام الله، ويجب أن تكون فطانته وسيلة لنقل هذه الرسالة وهذا الكتاب الكريم إلى الناس، ويجب أن تكون فطانته وسيلة لإلقاء الحق بحكمةٍ بالغة، الآيات التي تشهد له بالفطانة، يقول الله عز وجل:

**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16)**

سورة القيامة

العوام يقولون أحياناً: يفهم على الطائر، أي قد يقول لك ما تقول قبل أن تقول، الأذكياء من علامتهم أنك إذا أردت أن تقول شيئاً يقول لك: أنت تقول كذا وكذا، تريد أن تقول كذا وكذا، أي كأنه يسبقك بالقول، فربنا سبحانه وتعالى وصف فطانته بأنها من نوع:

**لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (16) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآَنَهُ (17)**

سورة القيامة

هذه إشارة من الله عزّ وجل إلى فطنته أي فطانته، وفي آية أخرى:

**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (114)**

سورة طه

أي كأنه فَهِمَ على الله عزّ وجل كل ما يريد، لذلك ربنا عزّ وجل قال له: انتظر، اصبر، حينما تنزل الآية بلغها للناس، ﴿**وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآَنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**﴾.

## مشاهد من فطنته صلى الله عليه وسلم مع أصحابه:

له مواقف ذكية جداً اللهم صلّ عليه، مرة سأله أحد أصحابه:

ماذا يُنجّي العبد من النار؟ **فقال عليه الصلاة والسلام: إيمان بالله قلتُ: يا رسولَ اللهِ! إنَّ مع الإيمان عملًا؟ قال: يرضخُ مما رزقه اللهُ قلت: يا رسولَ الله أرأيتَ إن كان فقيرًا لا يجد ما يرضَخُ به؟ قال: يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إن كان عيِيًّا لا يستطيع أن يأمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ؟ قال: يصنعُ لأخْرقٍ، قال: أرأيت إن كان أخرقَ لا يستطيعُ أن يصنعَ شيئًا؟ قال: يُعينُ مغلوبًا، قال: أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيعُ أن يعينَ مغلوبًا؟ كأن النبي ضاق به ذرعاً، قال: ما تريدُ أن يكونَ في صاحبِك من خيرٍ؟ يمسِكُ عن أذى الناسِ فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إذا فعل ذلك دخل الجنَّةَ؟ قال: ما من مسلمٍ يفعل خَصلةً من هؤلاءِ إلا أخذَتْ بيدِه حتى تُدخِلَه الجنَّةَ.**

صحيح الترغيب: حكم المحدث:حسن لغيره

أي كل خصلة إذا طبقتها تنقلك إلى أعلى منها، وهكذا إلى أن تدخل الجنة، يوجد توجيهات نبوية دقيقة جداً، مواقف في منتهى الفطانة، **حينما بلغ النبي عليه الصلاة والسلام أن الأنصار قد وجدوا عليه في أنفسهم، الآن هو قائد، وعقب معركة، وهناك أناس فُتنوا أي غضبوا، وجدوا عليه في أنفسهم، فقال عليه الصلاة والسلام لزعيمهم سيدنا سعد بن عبادة، قال: يا سعد مقالة بلغتني عنكم، قال: نعم، قال يا سعد: أين أنت من قومك؟ أراد أن يعرف موقف زعيم الأنصار، أهو منهم؟ أهو معهم؟ موافق لهم أم منفصل عنهم؟ فقال هذا الصحابي: ما أنا إلا من قومي، أنا واحد منهم، أي هو معهم، فقال: اجمع لي قومك، جمعهم له،**

**وقف النبي عليه الصلاة والسلام فيهم خطيباً، قال: عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَنَا إِلا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي وَمَا أَنَا قَالَ: فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ فَجَمَعَ النَّاسَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ؟ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟ قَالُوا: بَلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: أَلا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ؟ قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟ قَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ– خبير، عالم نفس، هم يقولون في أنفسهم: نحن نصرنا رسول الله، آويناه حينما هاجر إلينا، نصرناه، أغنيناه–أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ، أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولاً فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلاً فَأَغْنَيْنَاكَ–تكلم ما في أنفسهم، فإذا قلتم هذا صدقتم وصُدِّقتم–أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ–ذكرهم بفضله عليهم–أَلَمْ آتِكُمْ ضُلالاً فَهَدَاكُمُ اللَّهُ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ فِي لُعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلامِكُمْ أَفلا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الانْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي رِحَالِكُمْ–ألا يكفي أنا معكم، أي آثرتم الدنيا–فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأَنْصَارِ وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الأَنْصَارِ اللَّهُمَّ ارْحَمِ الأَنْصَارَ وَأَبْنَاءَ الأَنْصَارِ وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الأَنْصَارِ قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ، وَقَالُوا رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قِسْمًا وَحَظًّا ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقْنَا.**

أحمد: إسناده صحيح

أي بكوا بغزارة، حتى صار الدمع يتساقط من لحاهم، هذا موقف في منتهى الفطانة، أي كادت أن تحدث فتنة فطوّقها اللهم صلِّ الله عليه وأنهاها، إذاً كان فطناً، كان إدراكه من أعلى مستوى، ومعالجته للأمر بأعلى مستوى: **عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أوصني؟ قال: لا تغضب، فردّد، قال: لا تغضب.**

البخاري

أي كأنه أدرك أنه يعاني من الغضب الشديد، يقول له آخر: عظني؟ يقول له: قل آمنت بالله ثم استقم، أنت استقم، كل صحابي جليل أو كل رجل سأله يعطيه ما يناسبه، هذه من علائم الفطنة التي كان النبي عليه الصلاة والسلام يتمتع بها.

## صور من مواقف الأنبياء الفطنة أثناء حوارهم مع المعاندين للحق:

أيضاً قال تعالى: ﴿**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**﴾ هذه من دلائل فطنته عليه الصلاة والسلام، الأنبياء أيضاً فطنون، فسيدنا إبراهيم:

**وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (83)**

سورة الأنعام

أوتي الحجة، أنت هل تستطيع أن تناقش الآن خصماً عنيداً؟ هل تصمد في نقاش دقيق جداً من شخص مثقف ثقافة عالية يريد أن يُطفئ نور الله عزّ وجل؟ فإذا كان عندك حُجة قوية فهذه صفة طيبة في المؤمن، ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آَتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ فإذا كنت مؤمناً صادقاً فيجب أن يكون معك شيءٌ من هذه الحُجة، معك حُجة قوية، فالنمرود مثلاً قال له: من ربك يا إبراهيم؟ فقال سيدنا إبراهيم:

**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)**

سورة البقرة

أعطاه صفة دقيقة، ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ قال النمرود: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ أنا أحضر سجيناً أعفو عنه، كان محكوماً بالإعدام أعفو عنه أحييتهُ، أُحضر إنساناً وأقوم بقتله، كان من الممكن أن يقوم سيدنا إبراهيم بتفنيد هذه الحُجة، أي أنت لا تُحييه من العدم، أي إذا عفوتَ عنه ليس هذا حياةً بالمعنى الدقيق، لكن من فطانته عليه الصلاة والسلام ما أراد أن يدخل مع النمرود في نقاش سفسطائي تركه وقال له: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ إذا أردت أن تُناقش إنساناً لا تبدأ بحُجة ضعيفة مُركبة تحتاج إلى توضيح:

**قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (32)**

سورة هود

أي ضاقوا به ذرعاً، كأنه غلبهم بالحجة لم يتمكنوا، أي ليس من السهل أن تواجه قوماً بأكملهم بحجة ناصعة وتغلبهم بها، فهذه الصفة صفة الفطنة أو الفطانة وبالتعبير الحديث الذكاء أو سرعة الفهم، دقة المحاكمة، حُسن التكيّف، أن تصل إلى كل أهدافك بأيسر السبل، أن تحقق أعلى مردود بأقل جهد، هذه من تعريفات الذكاء، أن تأخذ أكبر مردود بأقل جهد، أو أن تُحسن التكيف مع المجتمع، أو أن تدرك إدراكاً دقيقاً، محاكمةً مُحْكمة، أن تملك حكمة في تصريف الأمور، هذه كلها من لوازم أو من دلائل الذكاء والفطنة والفطانة.

الله عز وجل إذا بعث رسولاً هل يجعله أقل ذكاء من أذكى رجل؟ مستحيل، وبالمناسبة صعب إنسان أقل ذكاء يقود أكثر ذكاء، لا يستطيع أن يقوده، تجده دائماً يكشفه، أحياناً يُفند له أغلاطه، أحياناً يُشوّه سمعته أمام الآخرين، أحياناً يحجمه يطرح عليه سؤالاً لا يعرفه تجده أصبح صغيراً، فكيف يقود إنسان أمة أو أصحاباً كراماً هم أكثر ذكاء منه؟ كان صلى الله عليه وسلم سيد العلماء، وكان جميع أصحابه الكرام يطأطئون رأسهم في مجلسه تعظيماً له، بالحق وليس بالقهر لما عنده من صفات.

## 2- العصمة:

الصفة الثانية من صفات الرسل عليهم السلام العصمة، وحيث ثبت أن الرسول أي رسول هو المثل الأعلى لأمته، الذي يجب الاقتداء به في اعتقاداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه، وهو الأسوة الحسنة بشهادة الله له،

لذلك وجب أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه الاختيارية موافقة لطاعة الله عزّ وجل، ووجب ألا يدخل في شيء من اعتقاداته وأفعاله وأقواله وأخلاقه معصية لله تعالى، أي نبي قدوة حسنة، مثل أعلى، أسوة صالحة، هل يكون في معتقداته أو بأقواله أو بأفعاله أو بأخلاقه خطأ أو معصية؟ هذا مستحيل، لأنه قدوة، مُكلّف برسالة، مكلّف أن يقتدي الناس به، الناس مكلفون باتباعه في أقواله وأفعاله وأخلاقه ومعتقداته.

الله سبحانه وتعالى أمر الأمم بالاقتداء برسلهم، فإذا أمكن أن يفعل الرسل المعاصي كان معنى الأمر أن يتخذوهم أسوة في المعاصي، وهذا مستحيل في حقّ الله سبحانه وتعالى، ليس الرسول يرتكب معصية ويأمر الناس أن يتابعوه، أن يقتدوا به، أن يتبعوه، مستحيل هذا، صار هناك أمر بالمعصية، وإن الله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء، قال تعالى:

**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)**

سورة الحشر

فنحن جميعاً مأمورون باتباع الرسول، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام لو أنه –هذه لو حرف امتناع لامتناع– يعصي ربه كيف نتبعه؟ صار اتباعنا له في معصية الخالق، والله سبحانه وتعالى يستحيل في حقه أن يأمرنا بمعصية، شيء منته أمره، في معتقداته وفي أفعاله وفي أقواله وفي أخلاقه مستحيل أن يعصي الله عز وجل، فعصمة الأنبياء عن أن يعصوه في معتقداتهم وأخلاقهم وأقوالهم وأفعالهم، لذلك تعريف السنّة المطهرة ما صحّ عنه من أقوال وأفعال وإقرار.

أي إذا كان شخص فعل أمامه شيئاً فسكت النبي عليه الصلاة والسلام سكوتهُ يُعدّ إقراراً، وفِعلُ هذا الصحابي من السنة المُطهرة لأنه سكتَ عنه، النبي عليه الصلاة والسلام لا يُعقل أن يسكت عن خطأ، مادام الله عز وجل قد أمرنا باتباع رسله فهل يعقل أن يأمر الله عبداً بشيء في حال ينهاه عنه؟ صار هذا تناقضاً، لأن الأمر بالشيء في وقت النهي عنه تناقض كبير، وهذا يستحيل في حقّ الله عز وجل، فالعصمةُ إذاً بهذا المعنى حِفظُ أوامر الله تعالى من مخالفتها، وحفظ نواهيه من الوقوع بها، لا يُعقل أن يعصي أمراً ولا أن يفعل

معصيةً، ما قال الله له: افعل، لا يعقل ألا يفعله، وما قال له: لا تفعل، لا يُعقل أن يفعله، هذا معنى أولي مبسّط من معاني العصمة، الدليل:

**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)**

سورة الأحزاب

أسوة حسنة في مطعمه، ومشربه، ومسكنه، وملبسه، وزواجه، وعلاقته بجيرانه، في سلمه، وحربه، في حلّه وترحاله، في دعوته، في خطابته، في توجيهه، في صلاته أسوة حسنة، وأما في حقّ جميع الرسل، قال تعالى:

**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآَخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ (6)**

سورة الممتحنة

هذه ﴿**فِيهِم**﴾ تعود على الرسل جميعاً.

آية ثالثة تأمرنا أن نتبع الرسل فهم أسوة حسنة:

**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)**

سورة آل عمران

من الأدلة القاطعة على معنى العصمة التي هي صفة أساسية من صفات الأنبياء قول الله عزّ وجل:

**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا (2)**

سورة الفتح

هذه ﴿**مَا تَقَدَّمَ**﴾ بالعفو عنك، ﴿**وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ بوقايتك من الوقوع به، فإذا أعطيت إنساناً مصباحاً وضّاء وأمرته أن يسير في طريق مظلمة ذات وعورة وحفر وعقبات، إن هذا المصباح يقيه الوقوع في الحفر، ويقيه الارتطام بالعقبات، فكأنك بهذا المصباح جعلته لا يقع، فهذا معنى قول الله عزّ وجل: ﴿**لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ**﴾ لأنكَ مستنيرٌ بنور الله عزّ وجل لن تقع في ذنبٍ في المستقبل.

## لوازم العصمة:

أيضاً من لوازم هذه العصمة التي هي صفة أساسية بحقّ الأنبياء والرسل العصمة عن الكتمان والتحريف، كتمان الحق معصيةٌ في الدعوة إلى الله عزّ وجل، والتحريف أيضاً معصيةٌ في الدعوة إلى الله عزّ وجل، النبي عليه الصلاة والسلام معصوم عن الكتمان، وعن التحريف، وعن الخطأ والغلط والنسيان فيما أمره الله بتبليغه للناس.

في التبليغ لا يوجد خطأ، ولا يوجد نسيان، ولا يوجد غلط، ولا يوجد تحريف، ولا يوجد كتمان، هذه أيضاً من لوازم العصمة التي هي صفة أساسية، قال: لأنه لو لم يكن معصوماً عن ذلك لم يكن أهلاً للاصطفاء بالرسالة، ولأثر ذلك في أصل مهمة البعثة، ولانعدمت الثقة بما يُبلّغه عن الله من شرائع وأحكام وأخبار وغيرها، هذا على مستوى اللغة العربية إذ كان الإنسان حُجة في اللغة، وكان من عادته الغلط في النحو والصرف، هل عاد حجة؟ ما عاد حُجّة، لأنه لا يغلط صار حجة، فإذا عُرِف عنه الغلط والنسيان والخطأ في إلقائه، في لغته، في حديثه، فصار كلامه غير حُجة، نُفيت عنه صفة أن يُحتجَّ بِهِ، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يمكن أن يعتقد عقيدة تُخالف الحق الذي أمرَ الله رسله أن يؤمنوا به، أي النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديثه لا يُكّذب الله عزّ وجل، كيف؟ إذا الله عز وجل أمر بشيء، هل يُعقل أن يكون أمره صلى الله عليه وسلم مخالفاً لأمر الله عزّ وجل؟ مستحيل، إذاً على مستوى العقيدة لا يمكن أن يعتقد النبي عليه الصلاة والسلام شيئاً مخالفاً لما جاء في القرآن الكريم، ولا يمكن أن تتعرض تبليغات الرسول التي يبلغها عن ربه للكتمان أو التحريف أو الخطأ أو الغلط أو الكذب، لأن هذا يتنافى مع أصل النبوة ومهمة الرسالة، أي تبليغاته لا يمكن أن تتعرض للكتمان ولا للتحريف ولا للخطأ ولا للغلط ولا للكذب، والدليل أن الله عزّ وجل قيّض رجالاً غيورين، ثقاة، عدولاً، أمضوا حياتهم كلها في تتبع الحديث الصحيح وتثبيته، ونفي وتجريح الحديث الموضوع وإبعاده، هذا جهد كبير مشكور الله سبحانه وتعالى قيض هؤلاء لسنة نبيه عليه الصلاة والسلام، لذلك البخاري ومسلم كتابان يُعدّان من أصحّ الكتب بعد كتاب الله جلّ وعلا، ولا يمكن أن تتعرض أفعال الرسول وأقواله وسيرته للمعاصي سواءً أكانت كبيرة أم صغيرة، لأن هذا ينافي كونه أسوة حسنة، ويتعارض هذا مع الأمر بالاقتداء به واتباعه، لو كان كذلك لما كانت أفعاله وأقواله حجة شرعية على أمته، ولا يمكن أن تتعرض صفات الرسول النفسية وأخلاقه القلبية لما

فيه معصية الله عز وجل سواءً أكانت كبيرة أو صغيرة كالحقد والحسد والعزم على ارتكاب المعصية وتمني ارتكابها، أي هناك أحاديث ضعيفة أنه حينما شاهد عمه الحمزة وقد مُثّل به أنه نوى أن ينكلّ بهم، والحديث الصحيح قوله: **حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَطَاءٍ، أَخُو بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيَّتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو، وَيَدْلَعُ لِسَانَهُ، فَلَا يَقُومُ عَلَيْكَ خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا أُمَثِّلُ بِهِ فَيُمَثِّلُ اللَّهُ بِي، وَإِنْ كُنْتُ نَبِيًّا) .قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِعُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: (إِنَّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمُّهُ) .**

وهذا إسناد ضعيف ، محمد بن عمرو بن عطاء من صغار التابعين ، وقال ابن كثير رحمه الله : " وَهَذَا حَدِيثٌ مُرْسَلٌ ، بَلْ مُعْضَلٌ " انتهى من "البداية والنهاية

لا يمكن أن يرتكب معصية ولا أن يهم بمعصية، إذا قلت لشخص: خذ هذا المبلغ ففكر قليلاً ثم قال لك: هاته، ثم قال لك: لا أريده، كونه تردد وقع في معصية أيضاً، كونه تردد، فالأنبياء لا يفعلون المعاصي ولا ينوون أن يفعلوها مستحيل، هذا بحقهم مستحيل.

وفي الدرس القادم إن شاء الله تعالى ننتقل إلى صفات الصدق في الرسل عليهم الصلاة والسلام.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 38-63: صفات الرسل 2

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## صفات الرسل:

### 1- الصدق:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثامن والثلاثين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى موضوع عنوانه: صفات الرسل، وقد تحدثنا عن الصفة الأولى ألا وهي الفطانة، الفطنة أي الذكاء، وتحدثنا عن الصفة الثانية ألا وهي العصمة، واليوم ننتقل إلى الصفة الثالثة من صفات الرسل ألا وهي صفة الصدق، حينما وقف سيدنا جعفر رضي الله عنه أمام النجاشي وقال له: عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها: **أيُّها المَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أهلَ جاهِليَّةٍ، نَعبُدُ الأصنامَ، ونأكُلُ المَيْتةَ، ونأتي الفَواحِشَ، ونَقطَعُ الأرحامَ، ونُسيءُ الجِوارَ، ويأكُلُ القَويُّ مِنَّا الضَّعيفَ، فكُنَّا على ذلك حتى بعَثَ اللهُ إلينا رَسولًا مِنَّا، نَعرِفُ نَسَبَه وصِدقَهُ وأمانَتَه وعَفافَهُ.**

**إسناده صحيح أخرجه أحمد**

فالصدق من أبرز صفات الرسل عليهم السلام، ولا يرفع الإنسان عند الله شيئاً كأن يكون صادقاً، صادقاً معه، وصادقاً مع نفسه، وصادقاً مع الناس، قيل: يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلالِ كُلِّهَا إلا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ، أي قد يكون المؤمن حادّ الطبع، مقبول، على العين والرأس، وقد يكون المؤمن كثير الإنفاق، على العين والرأس، وقد يكون المؤمن مائلاً إلى الانطواء، على العين والرأس، وقد يكون المؤمن محباً للاختلاط، على العين والرأس، كل هذه الصفات لا تقدح في كرامة المؤمن، ولا في مكانته، المؤمنون طباع، وقد قيل: الحدّة

تعتري خيار أمتي، أما أن يكون المؤمن كاذباً أو خائناً فهذا يتنافى مع إيمانه، لا يجتمع إيمان وكذب، ولا إيمان وخيانة، لذلك الصدق صفة بارزة من صفات الأنبياء عليهم السلام، وهي من أبرز صفات المؤمن، لماذا؟ لأن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين، لابدّ من أن تكون أيها الأخ الكريم صادقاً، صادقاً مع الله وصادقاً مع نفسك وصادقاً مع الناس، فإذا اصطفى الله إنساناً بالوحي، وكلّفه تبليغ رسالاته للناس، وزوّده بالمعجزة التي تشهد بصدقه أنه رسول فهل يُعقل أن يكذب؟

## المعجزات التي يأتي بها الأنبياء هي دليل صدقهم وأنهم رسل من عند الله:

اصطفاه الله وهو العليم الخبير، اصطفاه الله بالوحي، وكلفه تبليغ رسالاته للناس، وأيّده بالمعجزات التي تؤكد صدقه، أفيعقل بعد هذا أن يكذب؟ هذا شيءٌ في علم العقائد مستحيلٌ عقلاً، من الذي اختاره؟ العليم الخبير، لو أنه كَذَب على الله لكان اختيار الله غير صحيح، إذاً هذا الذي اصطفاه الله وأيّده وكلّفهُ بالتبليغ لا يُعقل أن يكذب.

الآن الرسول مُؤيد بالمعجزة، فلو كذب قبل المعجزة لكانت المعجزة تأييداً للكذب، ولو كذب بعد المعجزة لكانت المعجزة تأييداً للكذب، هذا الذي أمسك العصا فإذا هي ثعبان مبين، ما معنى هذا؟ معنى ذلك أي أيها الناس إني رسول الله، فإذا نطق بالكذب قبلها أو بعدها، فالمعجزة أصبحت تأييداً للكذب، وهذا مستحيل عقلاً، ولا يليق بحضرة الله سبحانه وتعالى أن يصطفي رسولاً يكذب عليه، ولا يُعقل أن يكذب النبي على ربه، ولا أن يُكذّبه.

فالرسول في العقيدة الصحيحة التي يجب أن تُعلم بالضرورة صادق قطعاً في كل ما يبلغ عن ربه، لذلك سيدنا سعد قال: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما سمعت حديثاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حقّ من الله تعالى-انتهى الأمر، من عند الخبير، من عند العليم، من عند الخالق، من عند الذي لا يغفل، من عند الغني، من عند رب العالمين-ولا سِرتُ جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها، ولا دخلت في صلاة فشُغِلتُ نفسي بغيرها حتى أقضيها، وفيما سِوى ذلك فأنا واحد من الناس.

سيدنا موسى أشار في خطابه إلى فرعون إلى أنه شاهد المعجزة، وهذه المعجزة دليل صدقه في النقل عن ربه.

أحياناً يقول المعلم للصانع: اذهب إلى البيت واطلب منهم الحاجة الفلانية وأعطهم هذا الخاتم علامة، امرأة فيما أذكر أحد الذين أهدر النبي عليه الصلاة والسلام دمهم بعد فتح مكة، جاءت امرأته للنبي تستعطفه وتستأمنه، فقال: هو آمن، قالت: لا يصدقني، قال: هذه عمامتي دليل صدقك.

إذاً هذه المعجزات التي يأتي بها الأنبياء هي دليل صدقهم وأنهم رسل من عند الله.

## إذا تكلم المؤمن خلاف ما يعتقد من الحق فقد خان رسالة الله:

**وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (104) حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (105)**

**سورة الأعراف**

أيضاً إذا شخص تشرّف، الله عزّ وجل رفعه وشرّفهُ بأن يدعو إليه، أي لو أنه تكلم بخلاف قناعته، لو أنه سكت عن حقيقة يعرفها، لو أنه بالغ في حقيقة، لو أنه قصّر عن إلقاء الحق، فقد خان الرسالة وخان الأمانة، لذلك قال الله عزّ وجل:

**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا (39)**

**سورة الأحزاب**

لو أن أحداً قال لك: هذه حرام، وأنت تعلمها حراماً، أردت ألا تزعجه، أردت ألا تُحرجه، أردت ألا تخجل منه، أردت أن تبقى لك معه مصالح، أردت أن تنتفع منه، قال لك: هذه حرام، إذا قلت له: لا، هذه حلال، فقد سقطت من عين الله عزّ وجل، لأن يسقط أحدنا من السماء إلى الأرض فتتحطم أضلاعه أهون من أن يسقط من عين الله، يجب ألا تأخذك في الله لومة لائم، يجب أن تنطق بالحق، وكلمة الحق لا تقطع رزقاً ولا تقرّب أجلاً، ﴿**حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ**﴾ إذاً الرسول لا يُعقل بل مستحيل عقلاً أن يكذب على الله ولا أن يُكذِّبه، أي أن ينطق بخلاف كلام الله، لأن الله

اصطفاه وهو العليم الخبير، وأمره بالتبليغ وأيده بالمعجزة، وإن كذب قبل المعجزة فالمعجزة تأييد للكذب، وإن كذب بعدها فالمعجزة تأييد للكذب.

## شهادة الله لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينطق عن الهوى:

ربنا عزّ وجل شَهِد لهذا النبي المصطفى عليه أتمّ الصلاة والتسليم قال:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

**سورة النجم**

لذلك علماء الأصول قالوا: هناك وحيٌ متلو وهو القرآن، وهناك وحي غير متلو وهو ما صحّ من الحديث الشريف، بل إن الذي يُنكِر الأحاديث الصحيحة المتواترة يُعدّ كافراً، بل إن الذي يُنكر الأحاديث الصحيحة التي تواترت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما لو أنه أنكر كلام الله، لكن بالمناسبة ليس من حقّ أحد على وجه الأرض أن يُكفِّر الناس، ليس من حقّ أحد على وجه الأرض، يجب أن يقف الإنسان موقف السيد المسيح عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، قال:

**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)**

**سورة المائدة**

هذا تدخل في شؤون الله عزّ وجل، بدل أن تُكَفّره اسعَ في هدايته، بدل أن تُنَصب نفسك وصياً اسع في إرشاده:

عن أبي هريرة رضي الله عنه: إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم.

**صحيح أبي داود**

إذاً ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى *إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾، قال تعالى:

## ينبغي على المسلم أن يكون كلام الله عنده فوق كل شيء:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَآَمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (170)**

**سورة النساء**

أي إذا أنت وجدت تصريحاً بجريدة أو قراراً بإباحة شراء السيارات أو منع بيعها، تجد السوق اختلف اختلافاً كبيراً، قال لي أحدهم مرة: بسطر واحد في الجريدة هبط سعر كل سيارة بمقدار مئتي ألف ليرة، سطر واحد، فإذا عمل إنسان تصريحاً صغيراً يُغيّر أسعار كل الحاجات، ربنا عزّ وجل خالق الكون، القرآن الكريم ستمئة صفحة فيه وعد ووعيد، فيه إنذار، وفيه إعذار، فيه توضيح، فيه تصريح، ألا يستحق خالق الكون أن تُصدقه وأن تطيعه؟ والله الذي لا إله إلا هو لو خاف الناس من ربهم كما يخافون من بعضهم لدخلوا الجنة، إذا تعلم أن هذا الإنسان إذا قال فعل، وهو يملك أن يؤذيك، وقال: هذا ممنوع، فهل تفعله؟ لا والله لا تفعله، كيف تسمح لنفسك أن تصدق إنساناً وأن تطيعه ولا تفكر في أن هذا القرآن من عند الله وفيه أوامر ونواه ما لَكَ أين أنت؟

لذلك قال الإمام الجنيد: ليس الولي من يفعل خوارق العادات ولكن الولي من تجده عند الأمر والنهي في المُلمات.

## هل من المعقول أن يكذب رسول الله ويتركه الله من دون عقاب؟

لو فرضنا الله عزّ وجل السميع البصير، بيده كل شيء:

**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (4)**

**سورة الحديد**

لو أنّ رسوله كذب عليه، أيتركه هكذا؟ يقول أحدهم: والله ما كان عندي علم،هذه يقولها إنسان، ما انتبهت يقولها إنسان، ما بلغني ذلك أنه كَذَبَ عليّ يقولها إنسان، أمّا خالق الكون، ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾.

**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (1)**

**سورة المجادلة**

**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)**

**سورة طه**

لو أنَّ نبيه كَذَبَ عليه أيتركه سُدى؟ اسمعوا الآية:

**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (44) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (45) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (46) فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (47)**

**سورة الحاقة**

لو تكلم كلمة واحدة من عنده لعاقبه الله عزّ وجل، ولكَشفَ هذا الكلام الذي لا يُطابق الرسالة.

## الأدلة من الكتاب على نفي الكذب عن الرسل:

لمّا طلب المشركون من النبي عليه الصلاة والسلام أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن، أو يبدّل فيه الآيات التي تمسُ معتقداتهم، قال الله له :

**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)**

**سورة يونس**

هذا شيء مستحيل، وكلمة ﴿**مَا يَكُونُ لِي**﴾ من أشدّ أنواع النفي، ﴿**مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي**﴾ ومعنى قوله تعالى: ﴿**أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي**﴾ هذه إشارة إلى وجود الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، بل إن هذا هو الدليل، وهناك أدلة أخرى، مثلاً هل تستطيع أن تقول: قال الله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (43)**

**سورة النساء**

بحسب نص الآية الظاهري الخمر مباحة في خارج الصلاة، هذه الآية منسوخة قولاً واحداً، إذاً في القرآن الكريم آية ناسخة وآية منسوخة، وهناك أدلة كثيرة عليها، وهناك حكمة بالغة من الإثبات، ومن النسخ، ومن بقاء الآية بعد النسخ، ﴿**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ أنا مُتّبع، ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ هذه وظيفتي وهذا حجمي، ولا أستطيع أن أزيد فيه ولا أن أنقص منه، ولا أن أُبدّل، ولا أن أُغيّر، ولا أن أعدل، ولا أن أُعطل، أبداً، ﴿**إِنْ أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَى إِلَيَّ**﴾ هذه أمانة التبليغ، الذين يذهبون إلى مقام النبي المصطفى عليه أتمّ الصلاة والتسليم، ماذا يقولون أمامه في حضرته؟ أشهد أنك بلّغت الرسالة، وأديت الأمانة، ونصحت الأمة، وكشفت الغُمة، ومحوت الظلمة، وجاهدت في الله حقّ الجهاد، وهديت العباد إلى سبيل الرشاد، والله سبحانه وتعالى علّمه أن الذي يفتري عليه الكذب هو من أشدّ أنواع الظلم، الذي يفتري على الله الكذب يعمل عملاً من أفظع أنواع الظلم، قال تعالى:

**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ (17)**

**سورة يونس**

## علاقة المؤمن بموضوع الأنبياء في نفي الكذب عنهم:

قد يقول قائل: الأنبياء لا يكذبون، هم صادقون مُصدّقون مئة في المئة، نحن كمؤمنين ما علاقتنا بهذا الموضوع؟ إذا خرجت عن الحقيقة، إذا سكتّ عن الحق، أو نطقت بالباطل فهذا يُخرجك من الإيمان، المؤمن لا يكذب، إذا سكتّ عن الحق أو نطقت بالباطل، أي إذا أفتيت للناس ما يُرضيهم، وتعلم أنت أن هذه الفتوى لا تُرضي الله ولكن ترضي زيداً أو عبيداً، أليسَ هذا كذباً على الله؟ دعونا من موضوع أن الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه صادقون مُصدَّقون، نحن إذا أفتيت للناس بفتوى ترضيهم بها وتُغضِب الله عز وجل، أليس

هذا كذباً على الله؟ إذا سكتّ عن الحق أليس هذا كذباً على الله؟ إذا نطقت بالباطل أليس هذا كذباً على الله؟ علاقتنا نحن كمؤمنين من هذا الموضوع يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً أنَّ المؤمن إذا كذب فقد خرجَ من إيمانه، لأنَّ المؤمن لا يكذب وهكذا قال عليه الصلاة والسلام.

امرأة قالت لوليد لها: تعال هاك، ويبدو أنها قريبة النبي عليه الصلاة والسلام: **عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه أنه قال: دعتني أمي يوما ورسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعال أعطيك؟ فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً!! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم :أما إنك لو لم تعطه شيئاً كُتبت عليك كذبة.**

**أبو داود**

طفل سليم عمره سنة تعال هاك، ألم تسمعوا بأن بعض المحدثين الأجلاء حينما رحل من المدينة إلى البصرة ليتلقى حديثاً عن رجل في البصرة، رآه عن بعدٍ، وقد وضع طرف ردائه هكذا مُوهماً فرسه أن فيها شعيراً، فلما اقترب منه لم يجد شيئاً فلم يكلمه، وعاد من حيث أتى، هذا كذاب، على من كذاب؟ على الفرس، ما قال لها: تعالي، فقط عمل هذه العملية، أوهمها أن في ردائه شعيراً من أجل أن تأتي الفرس لعنده، فلما لم يجد هذا الشعير عدّ هذا كذاباً، وما دام هذا الإنسان كذاباً لا يليق أن نأخذ منه حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، انتهى الأمر.

الإمام البخاري جمع ستمئة ألف حديث، واختار منها تسعة آلاف حديث فقط، صحيح البخاري فيه تسعة آلاف حديث فقط مُختارة من ستمئة ألف حديث، كم بذل من جهد؟ إذاً أجمع أهل المِلل والنِّحل والشرائع بلا استثناء أنه لا يَتِم إثبات رسالة رسول إلا بالصدق، أي الأنبياء والمرسلون جميعاً صادقون فيما بلّغوا عن ربهم، هذا كلام خطير جداً، أي أنك إذا قرأت حديثاً شريفاً هذا ليس من عند رسول الله، هذا ليس اجتهاداً، هذا وحيٌ من عند الله، فمخالفته مخالفة لأمر الله، وطاعته طاعة لله، لذلك ربنا عزّ وجل قال:

**مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ** وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا **وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7)**

**سورة الحشر+**

وقال ربنا عزّ وجل:

**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا (80)**

**سورة النساء**

## لا تثبت رسالة الرسول إلا بالصدق في كل أحواله:

الآن يوجد موضوع دقيق، لو أن الرسول كذب في موضوعات غير شرعية، ليس لها علاقة بالدين، في علاقته مع زوجته، مع بيته، مع أقربائه، مع جيرانه، لو أن الرسول يكذب في موضوعات ليس لها علاقة لها بالدين إطلاقاً، هذا الكذب في موضوعات لا علاقة لها بالدين يُسَبب الشك برسالته كلها، فالذي يكذب في علاقته مع الآخرين يكذب عن الله عز وجل، لذلك لا تثبت رسالة الرسول إلا بالصدق، لو سمحت لنفسك أن تعتقد أن رسول الله يكذب في أمور ليس لها علاقة بالدين أبداً، الآن المؤمن لو فرضنا يُكلم ابنه، لو قال له: إذا نجحت أشتري لك دراجة، هو لا ينوي أن يشتري له إياها، يشجعه على النجاح، هذه أكذوبة، هذا السلوك لا يليق بمؤمن، لا تَعِد، وعد الحر دين، إذا وعدت فأوف، لا يليق بالمؤمن يكذب، أما النبي لو أنه كذب في شأن تافه من شؤون الحياة، في علاقة شخصية خاصة، لعُدّ هذا الكذب دليلاً على كذبه في رسالته، إذاً لا تثبت رسالة الرسول إلا بالصدق في كل أحوال النبي والرسول عليه الصلاة والسلام.

حتى أن الإيماء ليس من أخلاق الأنبياء، أي يغمز شخصاً، يفعل كذا، هذا الإيماء كأن هناك شيئاً ظاهراً وشيئاً باطناً، قال النبي عليه الصلاة والسلام: عَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ : وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَوْعِظَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ هَذِهِ لَمَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟ قَالَ : **قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا** لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ.

**صحيح الجامع الصغير**

## 2- التبليغ:

الآن الصفة الثانية من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام صفة التبليغ.

لاحظنا أيها الإخوة؛ أن الرسول مُبَلِّغٌ عن الله تعالى، وأن الله اصطفاه لهذه المهمة، وأنه أمره بتبليغ جميع أحكامه وشرائعه للناس، وذلك بمقتضى قول الله عزّ وجل:

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**

**سورة المائدة**

أي لن يستطيع أحد أن ينالك بالأذى، لن يستطيع أحد أن يقتلك، أنت مكلف بالتبليغ والله يعصمك من الناس.

آية أخرى:

**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27) لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا (28)**

**سورة الجن**

الله عزّ وجل سيسأل الأنبياء: هل بلّغتم رسالاتي؟

**وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آَيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (71)**

**سورة الزمر**

يوجد عندنا نقطة مهمة جداً أن الرسل معصومون عِصمة تامة عن مخالفة أمر الله، معصومون من أن يُقتلَوا، النبي عليه الصلاة والسلام حينما قال الله عز وجل: ﴿**وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ**﴾ عصمه الله من أن يُقتل، والأنبياء جميعاً والرسل جميعاً معصومون من أن يعصوا الله عزّ وجل، لأنهم لو عصوا الله عزّ وجل، والناس مكلفون باتباعهم لصار التكليف باتباع المعصية، لصار أمر الله أن تعصي الله، يأمرك الله أن تطيع هذا الرسول وهو يعصي الله، إذاً كأنَّ الله يأمرك أن تعصيه، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء، فلذلك الرسل معصومون عن مخالفة أمر الله، وأن تبليغهم جميع شريعته لخلقه مما كلفهم الله إياه، وجب علينا أن نعتقد بأن الرسل لم يكتموا عن أممهم شيئاً مما أُمروا بتبليغه، كلمة مكلف بالتبليغ لها أبعاد كثيرة، معنى أن

الرسول عليه الصلاة والسلام مكلفٌ بالتبليغ أي لا يمكن أن يكتم من الحق شيئاً، هذه لا تُحكى لا نتكلم بها، وهذه إذا تكلمنا بها تمسّ مكانتنا، هذا شيء مستحيل بحقّ الرسل، معصومون عن أن يكتموا شيئاً أمرهم الله بتبليغه، لأنَّ الله عزّ وجل ما اختارهم لحمل رسالته إلا ليقوموا بتبليغ شرائعه لخلقه، وأنهم معصومون عن المعصية في هذا قطعاً، إذاً معصوم عن أن يُقتَل، معصوم عن أن يعصي، معصوم عن أن يكتم، لا يكتم، ولا يعصي، والله سبحانه وتعالى عصمه عن أن يناله الخلق بالأذى.

## الأدلة على عدم كتمان الرسل رسالات الله:

ما الذي يؤكد أنهم لم يكتموا شيئاً مما أُمِروا به؟ الدليل الأول أن الله عزّ وجل شَهِد لهم بأنهم فعلوا ذلك في مناسبات كثيرة.

الأمر الثاني أنَّ الله ذّم أهل الكتاب الذين يكتمون شيئاً من التوراة والإنجيل فلم يرض منهم هذا الكتمان وهم أفراد عاديون فكيف يرضاه ممن اختارهم لحمل رسالته؟ وهل يسكت عنهم لو كتموا شيئاً؟ وكتمان الحق من أكبر المعاصي التي لا يسكت الله عنها، لذلك قالوا: الساكت عن الحق شيطان أخرس، لو أن النبي عليه الصلاة والسلام كتم شيئاً أنزله الله إليه، وأمره بتبليغه لكتم ما قاله الله بحقه حينما قال:

**عَبَسَ وَتَوَلَّى (1)**

**سورة عبس**

ولكتم قصة زينب التي أُمِر النبي عليه الصلاة والسلام بالزواج منها بعد أن كانت مطلقة لمتبنّاه زيد، قال الله:

**وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ** وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ **فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (37)**

**سورة الأحزاب**

**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (43)**

**سورة التوبة**

لو كان بالإمكان أن يكتم النبي العدنان شيئاً من القرآن لكتم هذه الآيات، إذاً يجب أن نعتقد اعتقاداً جازماً في حقّ الرسل أنهم بلّغوا جميع ما أمرهم الله بتبليغه، اللهم قد بلّغت، اللهم فاشهد، ويجب أن نعتقد أنهم لم يكتموا شيئاً مما أُمروا بتبليغه لأنَّ الكتمان ضدّ التبليغ، فإذا وجبت لهم صفة التبليغ امتنعت عنهم صفة الكتمان، إذاً بلّغوا كل شيء ولم يكتموا شيئاً، هذه الصفة صفة التبليغ من صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام.

## 3- العصمة من الأمراض المُنفّرة أو ما يخلّ بأداء رسالتهم:

من صفات الرسل أيضاً أنهم لا يتعرضون للأمراض المنفّرة، هناك أمراض جلدية مُنفّرة، هناك أمراض ولادية، هناك أمراض لا يرتاح الإنسان لهذا المنظر، قلت لكم مرة عن الأحنف بن قيس، كان قصير القامة، أسمر اللون، ناتئ الوجنتين، غائر العينين، أحنف الرجل، مائل الذقن، خفيف العارضين، ليس شيء من قبح المنظر إلا وهو آخذ منه بنصيب، كان مع ذلك سيد قومه، إذا غضب غَضِب لغضبته مئة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب؟ وكان إذا عَلِم أن الماء يفسد مروءته ما شربه، وله مواقف مُشرّفة، لكن النبي الكريم جمع الحُسنيين، جمع كمال الخَلقِ والخُلق، أي هكذا الكمال، يجب أن يكون النبي عليه الصلاة والسلام حتى في خَلقه مثلاً أعلى، قال الشاعر:

وأحسن منك لم ترَ قط عيني وأجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرأ من كـل عيــب كأنك قد خلقت كما تشاء

حسان بن ثابت

هناك روايات أنَّ بعض الأنبياء خرج الدود من جلدهم، أي أوصاف مُبالغ فيها لدرجة كيف يستطيع الناس أن ينظروا لهذا النبي وأن يجلسوا أمامه؟ لذلك لا تتعرض أبدان الرسل عليهم الصلاة والسلام لما يُنفّر الناس منهم، ويبعدهم الله عز وجل عن أعراض وأمراض تُنفّر الناس من اللقاء بهم، لكن ليس معنى

ذلك أن النبي لا يمرض، لا، الأمراض العادية تُصيبه، لأنه هو بشر، اللهم إني بشر أرضى كما يرضى البشر، ويمرض كما يمرض البشر، ويجوع، ويعطش، وينام، ويتزوج، ويأكل الطعام، ويمشي في الأسواق.

وسوف نتابع بقية صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام في درس آخر إن شاء الله تعالى.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 39-63: الكرامات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الفرق بين المعجزة والكرامة من حيث الأمور العقلية:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع والثلاثين من دروس العقيدة.

وصلنا إلى موضوع جديد هو الكرامات، المعجزات للأنبياء والكرامات للأولياء، فما حقيقة الكرامة؟ هل هي صحيحة؟ هل هي واقعة فعلاً؟ هل نُثبتها؟ وإذا أثبتناها ما الأدلة؟ وهل الأدلة نقلية أو عقلية أم نقلية وعقلية؟ وإذا نفيناها ما الأدلة؟ فالإنسان يجب أن يتعوّد ألا يقبل شيئاً إلا بالدليل النقلي من كتاب الله أو من سُنّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألا يرفض شيئاً إلا بالدليل النقلي من كتاب الله ومن سُنة رسول الله، فلذلك الكرامات موضوع يكثر الحديث فيه، أرجو الله سبحانه وتعالى أن يُمَكّنني من توضيح هذا الموضوع الدقيق.

في دروس سابقة بينت لكم أن المعجزة ممكنة عقلاً، لأن الذي خلق هذا الشيء على هذه الشاكلة يستطيع أن يخلقه على شاكلة أخرى، قال الله:

**فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (8)**

سورة الانفطار

الذي خلق البحر، الماء مائعاً سائلاً يستطيع أن يجعله صُلباً يابساً، الذي خلق النار تُحرق قادر على أن يجعلها لا تحرق، إذا قيس الأمر بقدرة الله عزّ وجل فالله على كل شيء قدير، بيّنا في دروس سابقة أن

هناك أشياء ممكنة عقلاً، وهناك أشياء واجبة عقلاً، وهناك أشياء مستحيلة عقلاً، فالشيء الواجب الوجود هو الله سبحانه وتعالى، والشيء الممكن هو الكون، كان على هذا الشكل ويمكن أن يكون على شكل آخر، ممكن، فإذا أدخلنا موضوع المعجزات في هذا الموضوع فالمعجزات ممكنة، قال الله:

**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (69)**

سورة الأنبياء

**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)**

سورة يس

الله عزّ وجل جعل لكل شيء سبباً، لكن في أية لحظة يستطيع أن يُلغي هذا السبب أو أن يُعطله، ليبين لنا أن هذا الشيء من خَلْق الله وليس من خَلْق السبب، السبب أي وُجِد معه ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذي خلق الشيء، فالمعجزة كما تكلمنا عنها سابقاً بدرس مفصّل ممكنة عقلاً، لكن قد تكون غير ممكنة عادة، بحسب العادة غير ممكنة، النار تُحرق عادة فأن تضع إنساناً في النار ولا يحترق فهذا غير ممكن عادة، أما عقلاً فممكن، لأنَّ الذي أحرق الإنسان بالنار قادر على ألا يحرقه بالنار.

إذا أردنا أن ندخل موضوع الكرامات في هذا الموضوع فالكرامات أمور ممكنة عقلاً، الله عزّ وجل على كل شيء قدير، كما أنه أجرى على يد أنبيائه ورسله بعض المعجزات التي هي خرق للعادات من قدرة الله عزّ وجل أن يُجري على بعض الصالحين من أتباع الأنبياء وعلى بعض الأولياء أموراً فيها خرق للعادات، لكن المعجزة هي خرق لمجرى العادات الكونية مرافقة لدعوى النبوة، هناك إنسان يقول: أنا نبي وهذه المعجزة، فالمعجزة تُرافق دعوى النبوة، ومقرونة بالتحدي، أي فرعون تحدّى، فجاء سيدنا موسى بالمعجزة التي أسكتته وقيّدت دعواه، إذاً المعجزة يرافقها دعوى بالنبوة ويلابسها تحدّ، أما الكرامة فهي خرق للعوائد، ولكن غير مقرونة بالتحدي ولا بدعوى النبوة، لا يوجد نبي يقول: أنا نبي، ولا يوجد تحدّ، إنما شيء خارق للعادات أجراه الله على يد بعض الصالحين من أوليائه المؤمنين أتباع النبي.

## الكرامة دليل جزئي على أن هذا الإنسان صالح كرّمه الله بخرق العادات:

لكن بالمناسبة هناك قيد للكرامة، ما هذا القيد؟ أن الله سبحانه وتعالى لا يُجري كرامة على يد عبد من عباده الصالحين إلا إذا كان ملتزماً بأوامر الله سبحانه وتعالى جملةً وتفصيلاً، فإذا كان غير ملتزم بأوامر الله عزّ وجل، وادّعى أنه أُجريت على يديه كرامة فهذه ضلالة وليست كرامة.

الذي يجعل من خرق العادات كرامة أن الذي أُجريت على يده إنسان مستقيم طيب متبع غير مبتدع، أما إذا ادُّعِي لا أقول جرت، إذا ادُّعي أن فلاناً الفلاني الذي لا يصلي المبتدع الذي في عقيدته زيغ، إذا ادُّعي أنه أُجرِي على يده شيء مخالف للعادة فهذه لا تسمى كرامة إنما هي ضلالة.

لماذا كانت الكرامة؟ هي شاهد مستمر على إمكان معجزات الأنبياء التي جرت في أزمانهم، أي دليل جزئي على أن هذا الإنسان الصالح كرّمه الله سبحانه وتعالى بخرق العادات، حَفِظه، إذاً من باب أولى أن أنبياءه المصطفون، وأن رسله المكرمون تجري على يديهم معجزات باهرات دالات على رسالتهم، وعلى عظمة الله سبحانه وتعالى.

## الكرامة شهادة من الله لهذا الإنسان على صلاحه وهي أقل مستوى من المعجزة:

شيء آخر؛ إن هذه الكرامات تؤكد للأتباع أن هذا الإنسان الذي كرّمه الله بهذه الكرامة مُقرّب عنده، أي كأنها شهادة الله لهذا الإنسان، كيف يشهد الله عزّ وجل؟ شهد لأنبيائه بالمعجزات، وشهد لرسله بالكتب، فكيف يشهد لبعض أوليائه بالكرامة؟ بأن يُجري على يديهم بعض الكرامات، أي بعض خوارق العادات.

يوجد عندنا ملاحظة ثانية، الكرامة مستواها أقل من مستوى المعجزة، أي يجوز النبي يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، إحياء الميت معجزة، الكرامة أقل من ذلك، إحياء ميت معجزة، فإذا ادّعى وليّ من أولياء الله أنه يحيي الموتى نقول له: لا، الكرامة ليست في مستوى المعجزة، الكرامة يجب أن تكون في مستوى أقل من مستوى المعجزة.

شيء آخر؛ المعجزة لها صفة جماهيرية، أي يُدعى الناس جميعاً لمشاهدتها، فيها تحدّ، ترافق ظهور رسالة سماوية، أما الكرامة فلها طابع فردي، أولاً مستوى الكرامة أقل من مستوى المعجزة، طابع الكرامة طابع فردي وليس طابعاً جماعياً، بهذه القيود والفروق التي وضحتها لكم يتبيّن أن الكرامات لا تلتبس بالمعجزات، الكرامات شيء والمعجزات شيء آخر، لن تختلط الكرامة بالمعجزة، الكرامة لها مستوى والمعجزة لها مستوى، الكرامة على شكل فردي، والمعجزة على شكل جماعي، المعجزة يرافقها ظهور نبي أو هبوط وحي أو نزول رسالة، بينما الكرامة لا يرافقها هذا، مع المعجزة يوجد تحدّ من قِبل الناس أما الكرامة ليس هناك تحدّ، هذه بعض الفروق والقيود.

شيء آخر؛ هناك تكريم من الله لبعض الناس، لبعض الصالحين المستقيمين، الملتزمين، المتبعين غير المبتدعين، هناك تكريم لهم يجري وفق العادات لا خلاف العادات.

## أنواع الكرامة:

### 1- الكرامة التي تجري وفق العادة:

مغزى التكريم الذي يُكرّم الله به بعض عباده وفق مقتدى العادات وليس خلافها قال: هو العلم، مطلق هذا الإنسان العلم، العلم تكريم وأيّ تكريم، بل هو أرفع درجات التكريم، وليس في العلم خرق للعادات، إذاً صارت الكرامات كرامات تجري وفق العادات، وكرامات تجري خلاف العادات، برأيكم أي الكرامات أرفع عند الله درجة؟ التي تجري وفق العادات أم التي تجري خلاف العادات؟ أنت إذا ذهبت إلى طبيب، وكان هذا الطبيب ماهراً وعالماً ومدققاً، وقد أوتي علماً عميقاً في مهنته، وأنت مريض، فإذا طار الطبيب أمامك، حلق في الهواء، وأنت بقيت مريضاً هذه الحالة خير أم أن يفحص مرضك ويشخص الداء ويكتب له الدواء وتشفى؟ أنت أمام طبيبين؛ الأول آتاه الله علماً عميقاً، وقدرة على تشخيص المرض، وقدرة على وصف الدواء المناسب، وطبيب آخر آتاه الله شيئاً من خوارق العادات، عندما دخلت عليه طار في الجو أمامك، أنت بحاجة إلى من؟ إلى الذي أوتي العلم، العلم ليس فيه خرق للعادات، العلم شيء طبيعي، لذلك العلماء قسموا الكرامات على

نوعين؛ نوع يجري وفق العادات، وهذا النوع الذي يجري وفق العادات في مقدمة هذه الأنواع العلم، أو القوة الجسمية، قال الله:

**وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (247)**

سورة البقرة

إنسان قوي آتاه الله عزّ وجل القوة، هذه كرامة، لكن وفق العادات، العلم كرامة وفق العادات، أو القدرة على التوجيه أو القيادة أو الرئاسة، هذه قدرة أيضاً، يوجد إنسان عنده إمكانية يجمع الناس حوله، عنده إمكانية أن يُوفّق بين المتخاصمين، عنده قوة حجة، عنده قوة إقناع، عنده سياسة، عنده فهم، عنده حكمة، فالحكمة والفهم والسياسة والكياسة والقوة الجسمية والعلم هذا كله كرامات، لكنها كرامات وفق مقتضى العادات، وليس فيها خرق للعادات.

أو أن يعطيه مالاً وفيراً، أو أن يجعله ينجب أولاداً من أعلى مستوى الذكاء الرفيع، نابغين، كلهم أطباء أخلاقيون، فطنون، لهم سمعة طيبة، هذه كرامة، أن يؤتيك الله علماً كرامة، أن يؤتيك الله قوة كرامة، تجد جسمك قوياً، يقول لك: لا أعرف المرض، من كرامة الله لهذا الإنسان الحكمة، القدرة على تدبير الأمور، الفطانة، حُسن التصرف، التكيّف، هذه كلها كرامات، المال، الزوجة الصالحة، الأولاد الأبرار، هذه كرامات تجري وفق العادات، فالله سبحانه وتعالى يُكرِم بها بعضاً من عباده الصالحين.

### 2- الكرامة التي تجري خلاف العادة:

قد يُكرم بعض عباده بأن يُجري على أيديهم خوارق العادات، من الكرامات التي وردت في كتب العقيدة أن يفتح الله لأوليائه آفاق العلم والمعرفة، هذه كرامة، والدليل قوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**

**(282)**

سورة البقرة

هذه كرامة، إذا آتاك الله عزّ وجل الفهم، إلا أن يؤتى فهماً لكتاب الله، آتاك فهماً لكتاب الله، تقرأ الآية، تفهمها سريعاً، تتضح لك أبعادها، مراميها، علاقتها بالآية السابقة، مدلولها، هذه كرامة من الله عزّ وجل، أن يفتح الله عليك آفاق العلم والمعرفة والدليل هذه الآية، ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ من كرامة الله لأوليائه الصالحين أن يجعل لهم مخرجاً، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، الحياة فيها أزمات، فيها ورطات، فيها مشكلات:

كن عن همومك معرضـــاً ... وكل الأمور إلى القضـــا
وابشـر بخيـر عاجـــل ... تنسى به ما قد مضــــى
فلــرب أمـرٍ مسخـــــطٍ ... لك في عواقبه رضـــــــا
ولربما ضاق المضيـــق ... وربمـــا اتسع الفضـــــــا
فالله يفعل ما يشـــــــاء ... فــلا تكــن معترضـــــــاً
الله عــودك الجميـــــل ... فقس على ما قد مضـــى

صفي الدين الحلي

الحياة فيها مشكلات، أحياناً تنزل مشكلة، أزمة، ورطة، مصيبة، الأمور تتعقد، ثم الله سبحانه وتعالى إكراماً لك أيها المؤمن يفتح لك مخرجاً ما كان بالحسبان، يخلق لك فرجاً بعد اليأس، يخلق لك حلاً بعد التعقيد:

نزلت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجت وكان يُظن أنها لا تفرج

الشافعي

هذه كرامة، يجوز أن يكون كل واحد منكم مُكرّماً عند الله، على هذه المقاييس يعطي الله آثار فهم كتاب الله كرامة معنى هذا، إذا آتاه الحكمة كرمه، إذا وقع بورطة والله خلصه، معنى هذا كرمه، هذه أنواع الكرامات، سبحان الله كلمة مخرج تعني أن الأمور مُحكمة، ليس هناك أمل، الله عزّ وجل لحكمة بالغة لا يفتح لك المخرج إلا بعد أن تُحكم الشدائد من كل جهة، طرقت باب فلان فوجدته مسافراً، فلان وعدك بمبلغ، قال لك: والله ليس معي نقدي، فلان قال لك: عندما تشعر بحاجة هذا رقمي، والله الهاتف تغير ليس هذا هو الرقم يا أخي، فلان قال لك: تعال لعندي ذهبت لعنده ما سمحوا لك بالدخول.

نزلت فلما استحكمت حلقاتها فُرِجت وكان يُظن أنها لا تفرج

الشافعي

فإن وجد لك مخرج من أزمة مستحكمة هذه كرامة أيضاً، كرامة من الله عز وجل.

الآن من كرامات الله لأوليائه المؤمنين أنه يكافئهم على نصر دينه بأن ينصرهم ويؤيدهم، وأن يجعلهم فوق أعدائهم، وذلك بتهيئة الأسباب ودفع الموانع وإلقاء الرعب في قلب العدو، وذلك في مثل قوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ (7)**

سورة محمد

هذه كرامة، مكافأةً لك على نُصرةِ دين الله، وعلى أنك وقفت إلى جانب الحق، وعلى أنك آثرت رضاء الله عزّ وجل، وأسخطت الخلق، وأرضيت الحق، مكافأة لك على كل ذلك ينصرك على عدوك، ويرفع لك ذكرك، ويعطيك أسباب التفوق، ويزيل من أمامك موانع التقدم، ويلقي الرعب في قلوب أعدائك، ويسبغ عليك هيبة كبيرة يجعل الناس يتهيبون أن يهاجموك، هذه كرامة أيضاً، قال تعالى:

**وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (5) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ (6)**

سورة القصص

## الكرامات جائزة الوقوع:

الآن تعليق لطيف؛ قال مؤلف الكتاب: وظاهرٌ أن الإكرام بالعلم أو التأييد بالنصر أجلّ وأرفع من الإكرام مثلاً بالمشي على الماء، أو الطيران في الهواء، أو طيّ المسافات البعيدة في زمن قصير، أو تحضير الطعام والشراب في مكان ليس فيه طعام ولا شراب، العلم والفهم والحكمة والقدرة على توضيح الحق للناس والنصر والتأييد أرفع عند الله عز وجل من أن تمشي على سطح الماء أو أن تطير في الهواء، لذلك هذا كلام مؤيد بالأدلة القرآنية القطعية الثبوت، القطعية الدلالة.

وكل منكم فيما أعتقد الله سبحانه وتعالى كرمه بأن طهره، وكرمه بأن علمه، وكرمه بأن حفظه، وكرمه بأن جعل له مخرجاً من بعض أزماته، وكرمه بأن أيده، وكرمه بأن قربه، هذا أكبر تكريم، لذلك يجب أن نعتقد –ونحن ندرس العقيدة الإسلامية–أن الكرامات جائزة الوقوع، وأنه لا مانع من أن يُجريها الله على يد بعض الصالحين من عباده إكراماً لهم، وتأييداً للرسول الذين هم من أتباعه.

## الكرامة التي يجريها الله على يد بعض الصالحين من الأمور الممكنة عقلاً:

الآن ما دامت الكرامات قد ثبتت عقلاً، الكرامات ممكنة عقلاً، ممكن الله عز وجل يلقي الله عزّ وجل في قلب عدوك الرعب منك، ممكن الله عز وجل يُلقي عليك هيبة فهذا الخصم يخاف منك، وأنت أضعف منه، ممكن، ممكن هذا الذي سوف يحاسبك لا يرى هذه المخالفة، الله عز وجل صرفه عنك، نجاك منه، ممكن، ممكن أنَّ هذه الورطة بعد أن استحكمت حلقاتها ينفتح لك باباً تخرج منها، ممكن، فاقتنعنا الآن أنَّ الكرامة ممكنة عقلاً، لأن الله على كل شيء قدير، وأن قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء، هذا الذي سيحاسبك حينما تمر أمامه ليحاسبك يأتيه خاطر متعلّق ببيته مثلاً لا يُدقق فتنجو منه، ممكن، لأنَّ قلبه بيد الله عزّ وجل، وعلى هذا هناك آلاف القصص، لا يوجد إنسان إذا قال له: يا رب، إلا الله

عز وجل يقول له: لبيك يا عبدي، الله يعمي عنك، أحياناً الله يعمي عنك، هذه كرامة، أحياناً يجبر عدوك أن يخاف منك، يتهيبك، أحياناً يوجد حل، إذاً الآن أثبتنا أنَّ الكرامة ممكنة عقلاً، الآن هل هناك دليل نقلي أي قرآن أو حديث؟

## الأدلة من الكتاب والسنة على موضوع الكرامة:

أيها الإخوة الأكارم؛ إن هناك صوراً كثيرة من الكرامات قد أثبتها القرآن الكريم، وهناك أمثلة كثيرة من الكرامات أثبتتها الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنّ هناك كرامات كثيرة وردت عن أصحاب رسول الله صلوات الله عليه ورضوان الله عليه، إذاً لا يمكن أن تُنكر الكرامة لا من وجه عقلي، ولا من وجه نقلي، ثابتة نقلاً وعقلاً، والنقل يتوافق مع العقل، والعقل يتوافق مع النقل، لكن يوجد تحفظ مهم جداً أتمنى عليكم أن تدققوا فيه، لا داعي إذاً لإنكار الكرامة على أنه متى ظهرت أمارات الصدق في طريق روايتها سلّمنا بها.

لو فرضنا أن كذاباً قال لك: فلان أكرمه الله عزّ وجل ونجاه من ورطة كبيرة، قد يكون ناقل الخبر كذاباً، فهل هذه كرامة؟ لا، لا تثبت هذه الكرامة إلا إذا وردتنا بالخبر الصادق، الآن هذا من حيث الشكل، أما من حيث المضمون إنسان الله عز وجل كرمه مثلاً وشرب الخمر ولم يحاسبه، وشعر أنه ينطلق بملكوت السماوات والأرض وهو سكران مثلاً، نقول له: يكفي دجل، أنت إنسان ضال.

يجب أن يكون موضوع الكرامة وفق طاعة الله عزّ وجل، فإذا تضمنت الكرامة المزعومة مخالفة ظاهر الشرع، أو فيها معصية، أو فيها مُنكر، أو فيها تعطيل لحكم الله أو نحو ذلك فهذه ليست كرامة بل هي دجل، حتى لا أحد يقول لك: أنا.

مادام هذا الذي ادّعى أو يزعم فيه ضلال، فيه معصية، لتعطيل حكم الله عز وجل، يوجد فسق، يوجد فجور هذه كلها دلالات من الشيطان.

يجب أن تصلنا الكرامة عن طريق الخبر الصادق، أما مضمونها فيجب ألا يكون فيه مخالفة للشرع، وألا يكون فيها معصية أو منكر أو تعطيل لحكم الله أو نحو ذلك، فإذا تضمنت شيئاً من ذلك رفضناها رفضاً تاماً بل هي ليست بكرامة إنما هي ضلالة من ضلالات الشياطين.

الآن نحتاج إلى الدليل، أين الكرامات التي وردت في كتاب الله؟ قصة أهل الكهف، يا ترى أهل الكهف هل هم أنبياء؟ لا، رسل؟ لا، كلا لها معنى آخر، كلا أداة ردع ونفي، أي إذا قلت لشخص هل أنت جائع؟ يقول لك: لا، إذا قلت لإنسان: هل أنت سارق؟ يقول لك: كلا، هو ينفي ويردعك عن أن تتهمه بهذه التهمة.

فقصة أهل الكهف إنهم فتية مؤمنون فروا من ظلم الملك الكافر الذي كان في زمانهم، وأووا إلى الكهف في بعض الجبال فأنامهم الله ثلاثمئة من السنين وازدادوا تسعاً، هل يوجد إنسان ينام ثلاثمئة وتسع سنوات؟ هذه كرامة، لو أنهم أنبياء لكانت معجزة، لو أنهم رسل لكانت معجزة، ما داموا ليسوا بأنبياء ولا برسل، هم صالحون مؤمنون طيبون، فنومهم المديد كرامة لهم، هذا الأمر النوم المديد خرقٌ من خوارق العادات، وقد أكرمهم الله بذلك، وهم فتية مؤمنون صالحون وليسوا بأنبياء، قال الله:

**أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آَيَاتِنَا عَجَبًا (9) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آَتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (10) فَضَرَبْنَا عَلَى آَذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (11) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (12)**

سورة الكهف

السيدة مريم الصّدّيقة هل هي نبية؟ لا، النبوة محصورة بالرجال، ومع ذلك أجرى الله على يديها شيئاً من خوارق العادات، فقد حملت بسيدنا عيسى عليه السلام دون أن يمسها بشر، أليس هذا خرقاً للعادات؟ قال تعالى:

**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (47)**

سورة آل عمران

لما أحست السيدة مريم بقُرب ساعات الوضع ابتعدت عن أهلها إلى مكان خالٍ من الجهة الشرقية، وجلست إلى جانب شجرةٍ من أشجار النخيل التي لا ثمر فيها، وحصلت لها من المساعدات الربانية في وضعها أمور كثيرة منها: تساقط الرُّطب عليها من النخلة غير المثمرة لما هزت جذعها:

**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا (25)**

سورة مريم

هذه كرامة، كرامة لها، أما بحقّ سيدنا عيسى فمعجـزة، ما دامت جاءت قبل الرسالة فهي إرهاص كما تحدثنا به من قبل.

الكرامة الرابعة، لما وضعت ابنها عيسى عليه السلام حملته، وجاءت به إلى قومها، فجعلوا يوَجهون إليها الأسئلة المتندرة، ويحرجونها بالاتهامات الساخرة، وهي صامتة لا تعطيهم جواباً، وألحوا في استجوابها عن سبب حملها الذي لم يتصوروا فيه على حدّ تفكيرهم الضيق إلا الفاحشة، وهي منها براء فأشارت إلى ولدها الرضيع، قال الله:

**فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (29) قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (30) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (31)**

سورة مريم

هذه كرامة، ليس من السهل أن يتكلم طفل عمره ساعات أو أيام، يتكلم، ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آَتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا *وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾.

السيدة عائشة رضي الله عنها نزلت آيات قرآنية تؤكد براءتها مما اتّهمت به من حديث أهل الإفك، الله عزّ وجل كرّمها بأن برأها بقرآنه الكريم، هذه كرامة أيضاً ثابتة في القرآن الكريم، يتضح لكم أن الكرامات مأخوذة من القرآن الكريم.

هناك غلام نشأ في اليمن في عهد ملكٍ من ملوك حمير، استعبد الناس وحجبهم عن الإيمان بالله، وكان لهذا الملك ساحر فلما كبر الساحر قال للملك: إني قد كبرت سناً فابعث إليّ غلاماً أُعلّمه السحر، فاختار

الملك غلاماً وبعث به إليه، وتتلمذ الغلام على الساحر، وأراد الله بالغلام خيراً فكان يتصل براهبٍ يأخذ عنه الدين والعبادة، وكان مكان الراهب بين منزل أهل الغلام وبين مكان الساحر، وكان يحتال لتبرير تأخره على الساحر صباحاً، وعن أهله مساءً، وقد تقدّم هذا الغلام في درجات التقوى حتى أجرى الله على يديه كرامات كثيرة، منها أنّ دابة خاف الناس منها، وقطعت عليهم طريقهم فأخذ حجراً وقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحبّ إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها، اعتقد الناس به، ثم الراهب ثم الساحر، الراهب رجل دين، والساحر رجل كذاب، الملك حينما رأى بعض الناس قد آمنوا به، آمنوا بالله خالق السماوات والأرض حقد عليهم، وعذّبهم، وقتّلهم، طبعاً القصة طويلة، حاول الملك أن يقتل الغلام ما تمكن أول مرة لا في البحر ولا في الجبل، حاول أن يأخذوه إلى جبل فأردوه من علٍ ما تمكنوا، أخذوه إلى عرض البحر ليُغرقوه ما تمكنوا، الله عزّ وجل كان يحفظه، يُميت من معه ويحفظهُ هوَ، إلى أن قال الغلام للملك: إنك لست بقاتلي حتى تجمع الناس في صعيد واحد، وتصلبني على جذع، ثم تأخذ سهماً من كنانتي، ثم تضع السهم في كبد القوس، ثم تقول: باسم الله ربّ الغلام، ترمي فإن فعلت قتلتني، ليس لك أن تقتلني إلا بهذه الطريقة، فلما فعل قُتِل بهذه الطريقة فكبّر الناس جميعاً، وآمنوا بالله خالق السماوات والأرض، وكفروا بهذا الملك الذي يدّعي أنه رب، فكان هذا الغلام ضحّى بحياته من أجل أن يؤمن الناس بالله رب العالمين، هذه كرامة وردت في بعض الكتب الصحيحة، والله سبحانه وتعالى أشار إليها، قال تعالى:

**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4)**

سورة البروج

إن الملك لما آمنوا بالله عزّ وجل حفر لهم أخدوداً، وأشعل فيه النار، وحرّقهم فيه، قال الله:

**قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ (4) النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ (5) إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ (6) وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ (7) وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (8)**

سورة البروج

هذه بعض الأمثلة التي وردت في موضوع الكرامة، إن شاء الله يكون الموضوع واضحاً، الكرامة حق، ممكنة عقلاً، وممكنة نقلاً، ثابتة بالعقل وثابتة بالنقل، النقل أي هناك آيات كثيرة، وأحاديث تؤكد الكرامة، لكن

أتمنى أن يبقى في أذهانكم أن أرفع الكرامات هو العلم والمعرفة والحكمة والقدرة على هداية الناس، هذه الكرامة المجدية.

آخر شيء من الكرامات ثابتة حينما كان يخطب سيدنا عمر على المنبر فجأة قطع خطابه، وقال: يا سارية الجبل الجبل، سيدنا سارية أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قائداً في جيش يغزو الفرس، يبدو أن خلف الجبل يوجد كمين للفرس، سيدنا عمر وهو على المنبر رأى الكمين ورأى الجيش فخاطبه قال: يا سارية الجبل الجبل، فسمع سيدنا سارية، وقال: أسمع صوت أمير المؤمنين يُحذرني الجبل، هل هذا لاسلكي؟ سلكي؟ لا، هل يوجد خط هاتفي؟ لاسلكي؟ لا، لا لاسلكي هذا، ليس سلكاً ولا لاسلكاً، لكنه كرامة من الله عز وجل، أيضاً هذه قصة ثابتة، إلا إن كانت كرامة أجريت على يد إنسان فاسق، فاجر، مُخَلّط، مبتدع، لا يصلي، له معاص، يجلس مع النساء، يخرق حدود الشرع، إياكم أن تسموها كرامة، هذه ضلالة، لقوله تعالى:

**مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (51)**

سورة الكهف

مستحيل.

خاتمة الموضوع نرى مما سبق أن الكرامة من الأمور الثابتة قطعاً، والتي لا يُشك بها نظراً للأدلة العقلية والنقلية، ومن يُنكرها من حيث هي فإنما يُنكر شيئاً شهدت بإمكانه الأدلة العقلية، وتظاهرت على إثبات وقوعه الأدلة الشرعية المتواترة من قرآن وسنّة، بلغت في معناها معنى التواتر على ما نعتقد، ولا داع أيضاً لإنكار مفردات الكرامات متى ثبتت الحادثة بطريق صحيح، كمفردات مادامت قد ثبتت بالطريق الصحيح عن طريق صحة الإسناد أيضاً الكرامة صحيحة.

## المؤمن الموفق يأخذ بالأسباب ثم يتوكل على الله:

لكن أريد أن أوضح لكم شيئاً، لو فرضنا طالباً من طلاب العلم، من طلاب المدارس، قضى العام الدراسي في طاعة الله عزّ وجل، فرضاً ولم يكن يحضر للمادة، وهذا شيء مخالف للسنة، لأنه يجب أن تأخذ

بالأسباب ثم تتوكل على رب الأرباب، لكن فرضاً حادثة، طالب من الناس طوال السنة مستقيم، يحضر مجالس العلم، لا تأخذه في الله لومة لائم، من مسجد إلى مسجد، من طاعة إلى طاعة، وشارف الامتحان على المجيء، وهذه المادة التي فحصها غداً ليس متمكناً منها، والفحص مصيري، وسيترتب على هذا الفحص مستقبله، أي فرضاً نام ليلة الامتحان فرأى في المنام أن السؤال هو الفلاني، استيقظ قرأ السؤال جيداً أتقنه مرة مرتين ثلاث أربع إلى أن حفظه، دخل الامتحان السؤال وحيد إجباري نفسه، كتب أخذ علامة تامة، بربكم مع أن هذه القصة صحيحة وهي كرامة لهذا الطالب أيصح أن تُلقى على الطلبة هذه القصة؟ اذهبوا للنوم طوال السنة، وانتظروا مناماً، هل يتعلم الطالب بهذه الطريقة؟

إذاً أنا موقفي من الكرامات أنني لا أُنكرها، ولا أرويها، إذا أكثرت من رواية الكرامات هذا شيء قد يدعو إلى الكسل، خلاف أوامر الدين، خلاف الأخذ بالأسباب، لماذا النبي عليه الصلاة والسلام حينما هاجر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، وهو نبي الله، وهو رسول الله، وهو المعصوم من أن يُقتل، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)**

سورة المائدة

لماذا سار في طريق مساحل باتجاه الساحل؟ ولماذا اختار خبيراً للطريق؟ ولماذا اختار رجلاً يمحو آثار المشي؟ ولماذا اختار رجلاً يأتيه بالأخبار وآخر يأتيه بالزاد؟ ولماذا دخل إلى غار ثور حين اشتداد الطلب؟ أليس هذا كله أخذاً بالأسباب؟ هكذا المؤمن، لذلك أنا ترونني لا أُكثِر من ذكر الكرامات، الكرامة لك شخصية، حادث شخصي لك، هذا الطالب لكرامته على الله عز وجل ولأنه أمضى كل العام الدراسي في طاعة الله، وفي التقرب إليه، وفي طلب العلم الشرعي وغفل عن هذه المادة، أراد الله أن يبين له كرامته عنده، فأراه في المنام سؤال الامتحان ودرسه وتمكّن منه ونجح، لو تلونا هذه القصة على مسامع الطلاب لثبطنا عزائمهم، لذلك أنا لا أتمنى عليكم أن تتحدثوا بالكرامات، أنت بحاجة إلى طبيب يعالجك من مرضك، لا تريد شخصاً يعمل أمامك بلهوانيات وأنت تبقى مريضاً، أليس كذلك؟ هل أنت بحاجة إلى إنسان يفعل أمامك خوارق العادات وأنت كما أنت أم تريد إنساناً يشفيك من مرضك؟ هذه أول ملاحظة.

## ينبغي على المسلم أن يكون همه معرفة الله وفهم كتابه:

الملاحظة الثانية؛ كل الذي أرجوه أن تعتقدوا أن أعظم الكرامة أن تعرف الله عزّ وجل، وأن تفهم كتابه، وأن تفهم سُنة النبي عليه الصلاة والسلام، وأن تكون فقيهاً، وأن تتلو كتاب الله، وأن تُعلِّمه للناس، وأن تُرزق الحكمة في تصريف الأمور، وأن تُرزق التكيف مع الظروف الصعبة، وأن ترزق النصر على من يناوئك، هذه الكرامة الحقيقية، فإذا أردت أن تكون من هؤلاء فأغلب الظن أن كل من يسمعني، وكل من يحضر هذا المجلس لاشك أنَّ الله أكرمه بطريقة أو بأخرى من هذه الكرامات.

## الكرامة من الحوادث الخاصة وليست من العامة كالمعجزات:

شيء آخر؛ الكرامات حوادث خاصة غير قابلة للنشر، غير صالحة للنشر، أما المعجزات فحوادث عامّة، لما أُسري بالنبي الكريم عليه الصلاة والسلام إلى بيت المقدس، وعُرِجَ به إلى السماء، أَفي إمكانه أن يسكت عنها؟ هذه معجزة ينبغي أن يبوح بها، أما إذا أنت أكرمك الله عزّ وجل بشيء، وحدثت الناس فيه ماذا سيحدث؟ أكثرهم يكذبونك، اخرج منها، يقولون له: كفاك دجل، أنت قد تكون صادقاً، وقد تكون مخلصاً، وما كذبت، الله كرّمك، لكن قد يكون المعتقدون بك قلائل لا يصدقونك، فأنا أنصحك إذا كرّمك الله عزّ وجل بشيء فلا تتكلم به لأحد هذا لك خاص، هذه الكرامة خاصة، فالكرامات حوادث خاصة يُكرّم الله بها بعض المتقين، فلا يصح أن تُتخذ ذريعة للتفاخر، تقول لي: والله هكذا صار معي في الأمس، شاهدت مناماً أنني ألبس أبيض بأبيض، لفة خضراء على رأسي، دخلت إلى بستان جميل، وجدت سيدنا الخضر يجلس ليستقبلني، الله يرضى عليك اترك المنام لك وحدك وأرحنا منه، لا يصح أن تُتخذ هذه الكرامات ذريعة للتفاخر، أو لتحصيل الأموال، بعد هذا يضع غطاء بعد أن يتكلم عن المنام يمد الغطاء، هكذا المسلم؟ وإلا كانت استدراجاً ووبالاً على صاحبها.

## الكرامة موضوع إكرام فلا يُتّخذ منها حكم شرعي:

شيء آخر؛ لا يمكن أن تُتخذ الكرامة ذريعة لإثبات الأحكام الشرعية، شاهدت في المنام أن رسول الله قال لي: صلّ أنت الفرض فقط، ما هذا الكلام؟ تُرّد الرؤيا، ويثبُت الشرع، هكذا سمعت عن رجل في الحج يلبس سروالاً مخيطاً ورداء، ما هذا يا فلان؟ جاء الهاتف من السماء أنك هكذا تحرم، ما هذا الكلام؟ نعطل مناسك الحج من أجلك؟ لا، هذا كذب، من ادّعى أنه رأى رؤيا، أو جاءه هاتف، أو حدثه قلبه بشيء مخالف للشرع تُردّ الكرامة المزعومة، ويثبت الشرع.

لا تتخذ الكرامة ذريعة للتفاخر، ولا يُتّخذ منها حكم شرعي، الشرع ثبت وانتهى بطريق النقل، وأصح كلمة قرأتها أننا نفهم الشرع بالعقل، ولا نُحكِّم العقل بالشرع، لأن العقل قد يضل، وقد يغتر، وقد يُجاوز الحدود، نفهم الشرع بالعقل، ولا نُحكّم العقل بالشرع، لأن الشرع ثبت بطريق النقل وانتهى الأمر.

الله سبحانه وتعالى قد يُكرِمك بالعلم وهذه كرامة، قد يُكرمك بالحكم، يجعلك حكيماً، قد يُكرمك بالمال، بالزوجة الصالحة، بالأولاد الأبرار، بالرفعة، بالهيبة، بالمكانة، هذه كلها كرامات تجري وفق العادات، وفق الأصول.

درست الله وفقك أخذت شهادة عُليا، تعيّنت بمنصب رفيع، صار لك مكانة اجتماعية، درست دراسة معينة صرت طبيباً، لك مكانتك، وأنت مُحسن للناس، الناس رفعوا شأنك، هذه كرامة، لكنها جرت مجرى العادات، أي لا تبحث عن الكرامات التي فيها خرق للعادات، هذه لا تُفكر بها.

## الكرامة تكون وفق حالة الشخص:

الأولى أن تبحث عن الكرامات التي تجري مجرى العادات، أحياناً يأتي أخ جديد للدرس بباله سؤال صعب، الله عز وجل يُلهم هذا المتكلم أن يتكلم عن هذا الأمر، هذه كرامة، أي الله عز وجل راض عن هذا الإنسان كن معه، المتكلم ليس عنده علم، لكن الله عز وجل ألقى في خاطره هذا الموضوع فتكلم به، أحد الحاضرين يبحث عن هذا الموضوع بإصرار، وعلى أحر من الجمر، يقول: من الذي قال له؟ يقول لصديقه:

هل أنت قلت له عن هذا الموضوع؟ يقول له: والله ما قلت له شيئاً عن مشكلتك، تحدث من نفسه عن هذا الموضوع، هذه كرامة لطيفة مقبولة أنك ابق مع هذا الإنسان، عبارة عن إلهام إلهي ليس غير.

شيء آخر؛ الكرامة قد تكون وسيلة لتثبيت الإيمان، وقد تكون امتحاناً له وابتلاء، وقد تكون استدراجاً له، فإذا استمر على معصية بعدها كانت وبالاً عليه، ونكالاً به، وحجة عليه من الله تعالى، أحدهم راكب بالبحر، البحر هاج، يا رب ليس لنا سواك، هدأ البحر، وعاد هو إلى الشط، فإذا فعل معصية بعدها فكانت هذه الكرامة استدراجاً وليست تكريماً.

شيء آخر؛ لا يصح بحالٍ من الأحوال الاغترار بأصحاب الكرامات، إذا لم يكونوا ملتزمين بأحكام الشريعة، متقيدين بأوامرها ونواهيها، أخي فلان ولي، أمسك بالعصا كسرها فخرج منها حية، لكن لا يصلي، مادام لا يصلي هذه ليست ولاية، أصحاب الكرامات إن لم يكونوا ملتزمين بأوامر الشرع، واقفين عند حدوده فهذه ليست كرامات، لا تغتر بهم، الحكم الصحيح هو ميزان الشرع، كل من رمى من يده ميزان الشريعة لحظة هلك، ليس الولي كل الولي من يفعل خوارق العادات ولكنه من تجده عند الأمر والنهي في الملمات.

الشافعي كان يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء فلا تغتروا به، حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة. ثم قال مرة ثانية: بل إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة.

الشرع هو المقياس، والكرامات أشياء شخصية حصلت لك، ليست قابلة للنشر، قد تُكذَّب بها، والإنسان كما قَالَ عَلِيٌّ: **حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ مَعْرُوفِ بْنِ خَرَّبُوذٍ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ عَلِيٍّ بِذَلِكَ.**

صحيح البخاري

أرجو الله عزّ وجل أن أكون قد وُفقت إلى تحديد موضوع الكرامة.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 40-63: الوحي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## طبيعة الوحي:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الأربعين من دروس العقيدة.

أنهينا في الدرس الماضي موضوع الكرامات، واليوم ننتقل إلى موضوع الوحي، وقد عرفتم فيما سبق أن الرسل عليهم الصلاة والسلام يُبلّغون رسالات الله، وأوامره ونواهيه، وسائر ما يكلفهم به تبليغه للناس، ولكن لابدّ من سؤال، هؤلاء الرسل الكرام كيف يتلقون الرسالة عن الله؟ إلقاؤها واضح، يتكلمون، يشرحون، يُبينون، يُوضحون، يُحَذرون، يُنذرون، يتلون آيات الله، هذا هو الإلقاء، التلقي؛ كيف يتلقى الرسل عليهم الصلاة والسلام عن ربهم رسالات الله عز وجل؟ الإجابة الفاصلة هي عن طريق الوحي.

فالوحي بحسب اللغة يدل على الإيماء، وعلى الإشارة السريعة، وعلى الإعلام الخفي، وعلى الكلام الخفي، وعلى الكتابة، وعلى إلقاء المعنى في النفس، وعلى الإلهام، سواء أكان الإلهام بدافع الغريزة أم بإشراقات الفطرة، هذه تعريفات الوحي بحسب اللغة.

بالمناسبة دائماً يوجد عندنا لكل مصطلح تعريفان، تعريف لغوي وتعريف شرعي، فالتعريف اللغوي بحسب ما جاء في المعاجم وأمهات اللغة، وأما التعريف الشرعي فهو التعريف الذي اصطلح عليه العلماء والفقهاء، فالوحي بالتعريف اللغوي الإعلام الخفي السريع، وكذلك الإيماء والإشارة السريعة والكلام الخفي وإلقاء المعنى في النفس والإلهام سواء أكان بدافع الغريزة أم بإشراقات الفطرة.

أي لا يمكن أن نفسر الأعمال المعقدة بالغة التعقيد التي يفعلها الحيوان وهو حيوان لا يدرك ولا يعقل إلا عن طريق الغريزة، لذلك من معاني الوحي الإلهام، إلهام الغريزة، قال تعالى:

**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (68)**

**سورة النحل**

توجُّه سمك السلمون من سواحل أوروبا الغربية إلى مصبات الأنهار في أمريكا، وكل سمكة جاءت من هذا النهر، من أعالي هذا النهر تعود أدراجها إليه، هذا يستحيل على إنسان عاقل مختص بالبحار أن يفعله، لابدّ من الغريزة، لابدّ من وحي الغريزة، فالوحي كما قلنا بالمعنى اللغوي: الإعلام الخفي السريع، الإشارة السريعة، الإيماء، الكلام الخفي، إلقاء المعنى في النفس، الإلهام بدافع الغريزة، أو بدافع الفطرة.

الله عز وجل ورد هذا المعنى اللغوي في القرآن الكريم فقال تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ هناك حيوان نقّار الخشب، يقف على شجر السنديان، ويُدخل منقاره الذي يزيد عن عشرة سنتمتر في جذع الشجرة ليلتقط دودة في داخلها فيأكلها، مستحيل، كيف عرف أنها في هذا المكان؟ لابدّ من إلهام إلهي، كيف عرف هذا الطائر أن الدودة على ارتفاع متر وسبعين سنتمتراً؟ وقف في هذا المكان وأدخل منقاره في أقسى أنواع الخشب، طبعاً لابد من تفسير علمي لإدخال المنقار، مادة تذيب الخشب، يُدخل منقاره إلى داخل الجذع فيلتقط الدودة التي تعيش في داخل الجذع، هذه قضية وحي، بناء الأعشاش، اهتداء الحيوانات إلى طعامها، سيرها في أعماق البحار، الحيوان يقوم بأعمال بالغة التعقيد، هذا عن طريق الغريزة، أو عن طريق وحي الغريزة، أو كما قال الله عزّ وجل:

**قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى (49) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (50)**

**سورة طه**

لا أريد أن نقف طويلاً عند هذا المعنى، هذا المعنى أكدته بعض الآيات الكريمة، حيث قال الله عز وجل: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ هناك آية أخرى تؤكد هذا المعنى، قال تعالى:

**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (121)**

**سورة الأنعام**

هذا معنى آخر، المعنى نفسه في آية أخرى أي الإيحاء الخفي، الإشارة الخفية، التوجيه النفسي، الإلقاء في النفس، هذا معنى الوحي لغة فما معناه شرعاً؟

معناها الشرعي الوحي إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى، هذا تعريف الوحي الشرعي بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به، حتى الأحاديث الشريفة الصحيحة وحي غير متلو لقوله تعالى:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

**سورة النجم**

في الأحاديث الشريفة أوحى الله لنبيه بالمعنى، أما في القرآن الكريم بالمعنى والمبنى، القرآن الكريم أوحاه الله إلى النبي عليه الصلاة والسلام معنىً ومبنىً، معنىً وصياغةً ولفظاً، بينما الأحاديث الشريفة المتواترة أجمع علماء الأصول على أنها وحي غير متلو استنباطاً من قوله تعالى: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ لكن أحياناً قد تأتيك إشارة من إنسان أو إعلام خفي أو وحي بالمعنى اللغوي ولا تدري بالضبط ماذا يريد؟ هناك نقطة مهمة جداً في الوحي بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به.

## في العقيدة لا يُقبل من النصوص إلا ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة:

بالمناسبة موضوع العقيدة، موضوع التشريع والعقيدة هذه لا يمكن إلا أن تكون قطعية الثبوت، قطعية الدلالة، عقيدة، لو أنّ الإنسان اعتقد خلاف ما يريد الله عزّ وجل لكفر، وإذا كفر دخل النار، لذلك في أمور العقيدة الأمر خطير جداً، لابد من أن تكون النصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة، ولا يقبل في العقيدة من النصوص إلا ما كان قطعي الثبوت قطعي الدلالة، والقرآن الكريم قطعي الثبوت في كل آياته، قطعي الدلالة في آياته المحكمة، ظني الدلالة في آياته المتشابهة، فالقرآن تؤخذ العقيدة منه، وتبين لكم من دروسنا

الماضية أن كل حقائق العقيدة إنما هي مأخوذة من آيات الله عزّ وجل، ماذا ينبغي أن تعتقد؟ هناك دليل قطعي الثبوت قطعي الدلالة من كتاب الله أولاً، ومن الأحاديث الشريفة الصحيحة المتواترة ثانياً، أحاديث الآحاد يُبنى عليها أحكام شرعية، ويُعمل بها، لكن العقيدة لا تثبت إلا بالأحاديث المتواترة، لأن الإنسان لو اعتقد خلاف ما أراده الله عزّ وجل لكفر.

## المعنى الشرعي للوحي يتجلى فيه عدة أمور:

### 1- الوحي هو إعلام من الله المحيط علمه بكل شيء:

إذاً إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام-الكلام يشمل المعنى والمبنى- أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله، الوحي بهذا التعريف الدقيق يستجمع عدة عناصر ذات أهمية.

العنصر الأول: أنه إعلام من الله المحيط بكل شيء علماً، مادام الإعلام من الله سبحانه وتعالى علمه مطلق، قال تعالى:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)**

**سورة البقرة**

**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (85)**

**سورة الإسراء**

**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (48)**

**سورة سبأ**

**قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)**

**سورة البقرة**

**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)**

**سورة غافر**

**وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (7)**

**سورة طه**

علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، علم الله مطلق، وما دام الوحي من عند الله ففيه الحقيقة المطلقة، مستحيل أن يكون في الوحي الإلهي سواء أكان نصاً ومعنى كالقرآن الكريم، أو معنى كالحديث الشريف، مستحيل إلا أن يكون هذا الكلام حقيقياً وحقاً مئة بالمئة، لأن الموحي هو الله وهو علام الغيوب.

## 2- حالة الرسول أثناء تلقي العلم من الوحي:

العنصر الثاني أن الرسول أو النبي يتلقف هذا العلم الإلهي تلقفاً، وهو مستجمع كامل شعوره الفكري والوجداني حول ما يلقى إليه من علم، الوحي ليس كل واحد نائم شاهد مناماً مصدقاً مكذباً، ليس متأكداً، المنام كان ضبابياً، هذا شيء يتنافى مع الوحي تنافياً كلياً، أي إنسان بكامل قواه العقلية والشعورية والوجدانية بكامل اليقظة والانتباه، والوعي والإدراك، والفهم والفطنة، يتلقى من الله عز وجل هذه الحقائق وهذا الكلام وهذه المعاني، يوجد شيئان؛ الوحي حقّ مطلق لأنه من عند المطلق، علم الله مطلق، علم الإنسان نسبي، تقول: فلان عالم كبير، ومع ذلك قد يغلط، قال بعضهم: لكل جواد كبوة، ولكل حسام نبوة، ولكل عالم هفوة، بعد الأنبياء لا يوجد إنسان معصوم، لا تلق هالة على المرشد كبيرة جداً، بعد الأنبياء لا يوجد إنسان معصوم، وربنا عزّ وجل قال:

**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (7)**

**سورة النحل**

وأهل الذكر ليسوا أنبياء، هم العلماء، والعلماء غير معصومين، يتكلم تسعاً وتسعين حقيقة يغلط بواحدة، ممكن، الغلط وارد، أما الأنبياء معصومون عصمة تبليغ، وعصمة فعل، في أفعالهم لا يغلطون، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ** لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ **وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (6)**

**سورة التحريم**

وفي أقوالهم التي يبلغونها عن الله عزّ وجل معصومون عصمة تامة، لأن هذا النبي قدوة، مُشرّع وقدوة بآن واحد، مُشرّع أقواله وأفعاله وإقراراته تشريع، يجب أن يأخذ بها الناس من بعده، وما يبلغه عن ربه أيضاً تشريع، أي ما يبلغه عن ربه قرآن، قال تعالى:

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ **تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)**

**سورة فُصلّت**

فالنبي والأنبياء والرسل بنص القرآن الكريم معصومون عصمة تبليغ وعصمة فعل، أفعاله معصوم من أن يعصي الله بها، وأقواله التي يبلغها عن ربه معصوم من أن يزيغ بها، هذا شيء ثابت، ما سوى الأنبياء ليسوا معصومين، فإذا قال لك شخص: أنا لا أغلط، قُل له: أنت كاذب، بعد الأنبياء لا يوجد أحد لا يغلط، لكن غلط طفيف في الفروع، الإمام مالك رضي الله عنه كان يُسأل مئة سؤال، فيجيب عن عشرة، ويقول في الباقي: لا أدري، ونصف العلم لا أدري، هذا الذي يفتي بما لا يعلم، يجعل من نفسه جسراً إلى جهنم، إذا حرّم حلالاً أو حلل حراماً، أو أفتى بغير علم، أو قال في القرآن برأيه من دون أن يرجع إلى العلماء الكبار، فهذا يغرف بما لا يعرف لذلك يحاسبه الله حساباً شديداً، نصف العلم لا أدري، قل لا أدري وافتخر بها، هذا دين، سيدنا مالك رضي الله عنه له قول شهير: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لا يوجد معه لعب، تسأل أي إنسان، أخي والله فلان قال لي: افعل هذا، من فلان؟ هل أنت متحقق من علمه؟ أعطاك الدليل؟ قال لك: افعل كذا وهذا هو الدليل؟ أعطاك دليلاً يقينياً دليلاً قطعي الثبوت أي قرآن؟ قطعي الدلالة آية محكمة أو حديث متواتر أي بالأفعال أحاديث آحاد أم قال لك هذا رأيي واعمل هكذا؟ عوّد نفسك الدليل، لا تقبل شيئاً بلا دليل، ولا ترفض شيئاً بلا دليل.

فأول عنصر أن مضمون هذا الوحي حقّ مئة بالمئة لأنه من عند الله علّام الغيوب، وهذا الذي يتلقى الوحي حتى أعداء المسلمين قد يكون في ساعة الذي يتلقى الوحي رسولاً كان أو نبياً يتلقاه وهو في كامل

شعوره الفكري والوجداني، في كامل اليقظة والفهم والانتباه والفطنة، حول ما يُلقى إليه من علم ودون أن يكون لإرادته واختياره تدخُّل في مضمون ما يلقى إليه، لا يحور، ولا يعدل، وليس له موقف، ولا ينتقد، ولا يزيد، ولا ينقص، أبداً، إرادته، اختياره، لا دخل لهما في مضمون ما يلقى إليه، من أجل ان تطمئن أن هذا القرآن من عند الله الواحد الأحد، هذه الأحاديث الصحيحة وحي يوحى، إذا رجل طلب من آخر نقل رسالة شفوية، يمكن أن يبالغ، أغلب الظن أن يبالغ، أو يقلل من أهمية بعض مضامينها، إما أن يقلل أو يبالغ أو يحذف أو يزيد أو يبدي لك عدم اهتمام، يقول لك: لا تهتم، بلغني بلغك، لكن لا تهتم، لا ينفذ كلامه، صار تدخلاً، فالنبي عليه الصلاة والسلام لا دخل لإرادته ولا لاختياره في تعديل أو زيادة أو حذف أو إنقاص ما يُوحى إليه، في المضمون وفي اللفظ إذا كان اللفظ معنياً بالوحي، إذا الوحي قرآن ولا حركة، ولا ضمة، ولا فتحة، ولا تاء، ولا واو أبداً، قال تعالى:

**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (9)**

**سورة الحِجر**

## 3- علم الوحي حينما يقع في نفس الرسول لا يتردد إليه أي شك:

الشيء الثالث أن ما يُلقى بالوحي من كلام أو معنى يحتل في ذات الرسول أو النبي مركز العلم اليقيني القاطع بصحة التلقي عن الله، معنى العلم اليقيني القاطع، لو فرضناه هناك آلة ضخمة تحتوي زراً مكتوب: التشغيل، فالتشغيل كلمة، يا ترى هل هذه الكلمة صحيحة؟ لعل أحداً قد يكون خطاط قد كتبها وليس لها علاقة بالتشغيل؟ إذا أنت كبست هذا الزر فاشتغلت الآلة والله ضخمة جداً، تشعر أن كلمة التشغيل يقينية، أي قطعية، صحيحة مئة في المئة.

فالعنصر الثالث أن ما يُلقى بالوحي من كلام أو معنى يحتل في ذات الرسول أو النبي مركز العلم اليقيني القاطع بصحة التلقي عن الله، فالنبي مؤمن أيضاً، معنى مؤمن أي مؤمن بأن هذا الذي أوحي إليه هو كلام الله عز وجل، قال تعالى: ﴿**لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ**﴾ موقن، مؤمن إيماناً قطعياً، بحيث لا يعتري نفسه أدنى شك أو تردد في ذلك، فالمضمون حق، وأثناء التلقي أعلى درجات الوعي واليقظة

والتنبؤ فكرياً ووجدانياً، واعتقاد النبي والرسول أن هذا الكلام الذي يُوحى إليه أيضاً يقيني ثبوتاً ودلالة، لهذا يقول الله عزّ وجل مخاطباً سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم:

**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (163)**

**سورة النساء**

أي هذا الوحي أيها النبي الكريم ليس بدعاً، هذا الوحي الذي جاءك جاء من قبل إلى الأنبياء التالية أسماؤهم، قال الله: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآَتَيْنَا دَاوُودَ زَبُوراً**﴾ وقوله تعالى في صفة نطق الرسول صلى الله عليه وسلم: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ من أجل أن أؤكد لكم أن إرادة الرسول واختياره لا يتدخلان أبداً في الوحي قال تعالى:

**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)**

**سورة يونس**

أي هذه الآيات فيها تضييق لحريتنا، غيّرها لنا إياها، عدّلها، هذه الآية ألغها لنا: ﴿**ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي**﴾ لا يمكنني أن أبدله، لا أقدر أن أزيد، ولا أحذف، ولا أُعدّل، ولا أبرز، ولا أخفي، أبداً، أنا وسيط أمين، ومن معاني أنه أمين أي أمين على وحي السماء: ﴿**قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ إذاً الآيات تؤكد ليس هناك تدخل في مضمون الوحي.

آية ثالثة:

**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (12)**

**سورة الأنفال**

أي هذا الوحي للملائكة، الآن يُبين المؤلف أن الوحي الذي يوحي الله به إلى أنبيائه عن طريق الملائكة، هناك رسل وهناك رسل للرسل، سيدنا جبريل رسول لرسول الله من قِبَل الله، ﴿**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آَمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**﴾.

وقول الله تعالى في حقّ جبريل عليه السلام:

**فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى (10)**

**سورة النجم**

أي فأوحى الله إلى عبده جبريل ملك الوحي الأمين الوحي نفسه الذي أوحاه جبريل إلى محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام، من هذا نستنبط أن الله هو الموحي، وأنَّ الموحى إليهم من البشر مصطفون بالنبوّة، وأن وسيلة الإعلام الإلهي للملائكة أو البشر إنما هو الوحي، ويقاس للملائكة والبشر غيرهم، وأما ظاهرة الوحي بوصفها ظاهرة إنسانية أمرٌ يشترك في الشعور به جميع الأنبياء والرسل، وعن طريقه يتلقون الإعلامات الإلهية، وليس محمد صلى الله عليه وسلم بدعاً فيهم كغيره، وأن ما يُلقى به قد يكون كلاماً ملفوظاً أو مكتوباً، وقد يكون معاني يمكن التصرف بأدائها بألفاظ من عند النبي، هذه الأحاديث القدسية والأحاديث الشريفة، وأنه لا تدخل لإرادة النبي، واختيار المصطفى في الوحي في مضمون أو لفظٍ ما يلقى إليه بالوحي.

## كيفية نزول الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام:

الآن كيف كان ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهَا قَالَتْ: **أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لا يَرَى رُؤْيَا إلا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ** ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ فَيَتَحَنَّثُ.

**صحيح البخاري**

أي الله عزّ وجل لطيف، قال تعالى:

**وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (100)**

**سورة يوسف**

قبل أن ينزل جبريل عليه السلام فيراه النبي عليه الصلاة والسلام بأم عينه كان النبي عليه الصلاة والسلام يرى الرؤيا التي تأتي مثل فلق الصبح، هذه الرؤية إرهاص للوحي، تمهيد للوحي، وسرّ ذلك التمهيد لنزول الوحي بصورته الحقيقية لما له من وقع شديد على النفس البشرية، ثم أُنزل عليه المَلَك جبريل عن غير إرث سابق له، وذلك حين كان النبي عليه الصلاة والسلام في غار حراء يتعبّد الله، ويتأمل في عظيم ملكوته قبيل الرسالة فغطّه ثلاث مرات، وهو يقول له: اقرأ، ويجيبه النبي عليه الصلاة والسلام: ما أنا بقارئ، فقال له:

**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)**

**سورة العلق**

ثم فتر عن النبي عليه الصلاة والسلام الوحي واشتد وَقْع ذلك عليه وكان لذلك حكمة عظيمة تتضمن إشعار النبي عليه الصلاة والسلام بأن الحادث الأول لم تجلبه الرياضة الروحية التي كان يمارسها في غار حراء، وإنما هو الاصطفاء الرباني، لو كانت قضية رياضة روحية، ورأى هذا المَلَك العظيم لظن أن هذا من كسبه، لا، جاء جبريل العظيم وانقطع الوحي سنوات ثلاثة، ثم جاء الوحي من دون ترقُّب وهو يسير في أحد شِعاب مكة، يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الْوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ **فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا الْمَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبًا فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي فَدَثَّرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) إِلَى (وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ)** قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاةُ وَهِيَ الأَوْثَانُ.

**صحيح البخاري**

إذاً النبي عليه الصلاة والسلام رأى سيدنا جبريل وقد ملأ ما بين السماوات والأرض.

## أحوال نزول الوحي على رسول الله عليه الصلاة والسلام:

تتابع الوحي بعد ذلك بأحواله الهادئة نسبياً وإليكم أيها الإخوة؛ ما وصفه به النبي عليه الصلاة والسلام جاء في صحيح البخاري رضي الله عنه: عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: **يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ يَأْتِيكَ الْوَحْيُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَحْيَانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلَةِ الْجَرَسِ وَهُوَ أَشَدُّهُ عَلَيَّ فَيُفْصَمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْهُ مَا قَالَ، وَأَحْيَانًا يَتَمَثَّلُ لِيَ الْمَلَكُ رَجلاً فَيُكَلِّمُنِي فَأَعِي مَا يَقُولُ**، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا.

**صحيح البخاري**

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن الوحيّ كان ينفث في روعه صلى الله عليه وسلم فيعي رسول الله ما يقول، وورد أن الصحابة الكرام كانوا يسمعون للوحي عند نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم دويّاً كدوي النحل.

ويستخلص من هذه الأخبار الصحيحة أنّ من أحوال الوحي حينما يُنزل عليه أو يُلقى على قلبه قولاً شديداً ثقيلاً يسمع فيه الرسول صوتاً متعاقباً متداركاً كصوت الجرس في صلصلته، وأنّ من أحوال الوحي أن يأتيه المَلَك جبريل عليه السلام بصورة إنسانٍ فيكلمه بمثل كلام الناس إلى غير ذلك من أحوال، وأما حالة النبي عليه الصلاة والسلام فقد وصفتها لنا السيدة عائشة رضي الله عنها فقالت: **((وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقًا))** وقد ورد أن راحلته صلى الله عليه وسلم كانت تبرك به إلى الأرض إذا نزل عليه الوحي وهو راكب، وقد نزل عليه الوحي مرة أي كانت رجله الشريفة قريبة من رجل سيدنا زيد فثقُلت عليه حتى كادت ترضّها، يبدو أن الوحي له وقع شديد على النبي عليه الصلاة والسلام، قال الله:

**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (5)**

**سورة المزمل**

في مضمونه، طبعاً شيء عظيم أن سيد الملائكة جبريل ينزل ليوحي إلى النبي عليه الصلاة والسلام بما يريد الله أن يوحي به إليه.

## أنواع الوحي:

### 1- النوع الأول هو ما كان بلا وساطة وذلك بالإلقاء في القلب:

قال: أنواع الوحي، وينقسم الوحي إلى ثلاثة أنواع أخذاً من قوله تعالى في سورة الشورى، الملاحظ أن كل حقيقة تُلقى مأخوذة من آية كريمة أو من حديث صحيح:

**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ (51)**

**سورة الشورى**

هذه الآية بينت أن هناك أنواعاً ثلاثاً للوحي: فالنوع الأول هو ما كان بلا وساطة، وذلك بالإلقاء في القلب، وهو يشمل ما كان كمثل صلصلة الجرس، والنفث في الروع، والإلهام، والرؤيا، وتحقيقه أن يَخْلِق الله في قلب الموحى إليه المعصوم علماً ضرورياً لإدراك ما شاء الله إدراكه من كلامه تعالى، هذا نوع مباشر، وهذا النوع هو ما أشار إليه بقوله في الآية: ﴿**إلا وَحْيًا**﴾ أي وحياً مجرداً عن الوساطة، ويكون ذلك بقذف الكلام أو المعاني في القلب قذفاً مباشراً، يفيد الرسول علماً قطعياً ضرورياً لأن ذلك من عند الله، ومن أمثلة هذا النوع ما كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام في الرؤيا:

**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)**

**سورة الصافات**

هذا وحي مباشر، وما كان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء في اليقظة، هذا هو النوع الأول وحي مباشر، إلقاء في القلب.

## 2- ما كان بسماع الكلام الإلهي ولكن من غير رؤية للمتكلم:

النوع الثاني ما كان بمثابة إسماع الكلام الإلهي من غير أن يرى السامع من يكلمه، كأن يخلق الله الأصوات، ومن هذا النوع ما كان لموسى عليه السلام حين مناجاته ربه في جانب الطور، وقد يشترك في سماع هذا النوع غير الموحى إليه كما سمع السبعون من بني إسرائيل حين مضوا إلى الميقات ما سمعه موسى عليه السلام، هذا الوحي من وراء حجاب، وهذا النوع الثاني هو ما أشار إليه الله تعالى بقوله: ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ أي وحياً من وراء حجاب بوساطة خلق الله الأصوات كما ذكرنا، أو بصورة أخرى يختارها الله جلّ وعلا.

## 3- ما يكون بواسطة إرسال ملك تُرى صورته ويُسمع كلامه:

النوع الثالث ما كان بوساطة إرسال ملك تـُرى صورته المعينة ويُسمع كلامه كجبريل عليه الصلاة والسلام فيوحي إلى النبي ما أمره الله أن يوحي إليه، وهذا النوع هو الغالب من أنواع الوحي بالنسبة إلى الأنبياء، فغالب أحوال الأنبياء عليهم السلام أن يكون الوحي إليهم بوساطة رسلٍ من الملائكة، أكثر المثقفين يقولون: كلمة بواسطة هذه غلط، صوابها بوساطة، الشيء الواسط أي المتوسط بين شيئين، أما الأداة أو الوسيلة فيُقال لها بوساطة.

بهذا النوع الثالث ينتهي موضوع الوحي الذي تحدثنا عن أنواعه، نوع بلا وساطة، نوع من وراء حجاب، نوع وحي عن طريق سيدنا جبريل.

وتحدثنا عن حالة الوحي بالنسبة للنبي عليه الصلاة السلام، كيف جاءه أول ما جاءه ثم انقطع، ثم كيف كان يتتابع عليه، وكيف كانت أحوال النبي عليه الصلاة والسلام وأحوال صحابته وأحوال ناقته حينما

الوحي إليه، وتحدثنا عن تعريف الوحي اللغوي، وعن تعريفه الشرعي، وكيف أن الوحيّ وسيلة إعلام من الله عزّ وجل لأنبيائه ورسله.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 41-63: الإيمان بالكتب السماوية 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الإيمان بالكتب السماوية من أركان الإيمان بالله:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الواحد والأربعين من دروس العقيدة، أنهينا في الدرس الماضي موضوع الإيمان بالرسل، وكلكم يعلم أن دروس العقيدة هي في الحقيقة أركان الإيمان، وأركان الإيمان هي الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى.

تحدثنا عن الإيمان بالله، وعن الإيمان بالرسل، واليوم ننتقل إلى موضوع جديد وهو الإيمان بالكتب، فوجوب الإيمان بالكتب السماوية هو الموضوع الأول في الإيمان بالكتب، وجوب الإيمان بالكتب السماوية، من أركان العقيدة الإسلامية الإيمانُ بالكتب السماوية التي أوحى الله بها إلى رسله، فالله سبحانه وتعالى يخاطب رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، ويأمره بأن يعلن إيمانه بجميع الكتب التي أنزلها الله فيقول في سورة الشورى:

**فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آَمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (15)**

**سورة الشورى**

قل يا محمد صلى الله عليه وسلم آمنت بما أنزل الله من كتاب، أيُّ كتاب من الكتب السماوية المنزلة على أنبيائه آمن بها، قل: آمنت بها.

## خطاب الرسول خطابٌ لكل مَن آمن برسالته:

شيء آخر؛ قال علماء الأصول: إن خطاب الرسول خطابٌ لكل مَن آمن برسالته، وقال الله تعالى يخاطب المؤمنين في سورة النساء:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)**

سورة النساء

والآيات تجتمع على أن تقرِّر أنه يجب أن تؤمن بالكتب السماوية المنزّلة على أنبياء الله ورسله جميعاً، الله سبحانه وتعالى يبين عقيدة الرسول صلى الله عليه وسلم، وعقيدة المؤمنين معه في سورة البقرة، قال تعالى:

**آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (285)**

سورة البقرة

الملاحظ أن الإيمان بالرسل، والإيمان بالكتب مِن العقائد التي يجب أن تُعْلَم بالضرورة، وأنّ مَن لم يؤمن بالكتب السماوية فقد ضلّ ضلالاً مبيناً، ولو وسعنا هذا الكلام أي حينما تُعلِن بلسانك أنك مؤمن بهذا الكتاب، شيء جميل، وتخالفه، ولا تطبق أحكامه، ولا تجعله حَكَماً بينك وبين الآخرين، ولا تعبأ بأوامره، ولا تنتهي عما نهى عنه، ولا تراه حاسماً في حياتك اليومية، ولا تأخذ به، فأي إيمان هذا؟ هذا إيمان باللسان، ولكن الإيمان في القلب أي أن تنطلق في نشاطك وعملك وسلوكك في ضوء ما جاء في كتاب الله، أنت حينما تشتري آلة غالية الثمن، ولا تستطيع أن تشتري غيرها، ويؤلمك ألماً شديداً حينما تعطب، وحينما يكون مع هذه الآلة المُعقدة نشرة من المصنع الذي صنعها، في هذه النشرة تعليمات، وتوجيهات، وتوضيحات، وطريقة استعمال، وتحذيرات من أجل سلامتها وسلامة العمل بها، ومن أجل صيانتها، تأكد أنك تحرص حرصاً بالغاً لا حدود له على تطبيق هذه التعليمات، لأن الآلة غالية الثمن، ولها علاقة بعملك اليومي، وقد تُدرّ عليك ربحاً وفيراً، فلو

تعطلت لتعطل معها رزقك، ولو تعطلت لكلفتك مبالغ طائلة في تصليحها، لذلك من هنا تحرص على تطبيق النشرة التي أرفقها المعمل معها تطبيقاً دقيقاً تاماً من أجل سلامتها، لاحظ نفسك كيف أنك تسعى إلى تنفيذ التعليمات تنفيذاً دقيقاً لحرصك على هذه الآلة، ولخوفك من أن تعطب، فكيف إذا علِمتَ أن هذا الكتاب الذي أنزله الله عزّ وجل على رسوله فيه تعليمات دقيقة، وأوامر واضحة، ونواهٍ صريحة، وفيه رسمٌ لطريق السعادة في الدنيا والآخرة، فيه توضيح، فيه إنذار، فيه تبشير، فيه بيان، فيه تفصيل، ما موقفك منه؟ الحقيقة التي لا مِراء فيها أنك إذا عرفت أنه من عند الله، وأن سعادتك في الدنيا والآخرة متوقفة على معرفته، ومعرفة مضامينه، والعمل به، لاشك أنك تطبقه.

أنا أريد أن أبتعد عما يتوهَّم البعض أنه بمجردِ أن يقول: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، وانتهى الأمر، ويكسب مالاً حراماً، ماله مشوب بالربا، ونظرته تتجاوز الحدود التي أمر الله بها، وحياته في البيت حياة غير إسلامية، فأي إيمان هذا؟ قيل: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل.

## المؤمن الحق هو من شمل إيمانه أركان العقيدة كلها:

شيء آخر؛ أركان العقيدة من إيمان بالله، وإيمان باليوم الآخر، وإيمان بالكتب، وإيمان بالرسل، وإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، هذا كل لا يتجزأ، أي لا تسمى مؤمناً إذا آمنت بالله وأما بالقرآن فقد وقفت منه موقفاً متفرجاً، الله عزّ وجل يقول لك في صريح القرآن الكريم:

**وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (221)**

**سورة البقرة**

كلام رب العالمين، تُزَوّج ابنتك للغني الفاجر مع علمك بأنه فاجر وتُعرِض عن المؤمن لضيق ذاتِ يدِه؟! إذاً أنت لم تصدِّق كلام الله عزّ وجل، لم تصدِّق أن الله عزّ وجل يقول لك: إن هذا العبدَ المؤمن خيرٌ من هذا الفاجر المشرك، فلذلك الموضوعُ موضوعُ التصديق بكتاب الله موضوعٌ يأخذ أبعاده العملية،

والإيمانُ بالله مع الإيمان باليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، والقدر خيره وشره، كل لا يتجزأ، لو آمنتَ بالله ولم تؤمن بكتابه فالمشكلة خطيرة، لو آمنت بالله ولم تؤمن باليوم الآخر المشكلة أخطر، أركان الإيمان كل لا يتجزأ، ولا يُقبل منك الإيمانُ بها على واحدةٍ منها.

## إذا كفرت بركن من أركان العقيدة يستلزم هذا نقض إيمانك كله:

شيء آخر؛ إن الكفر بواحدة منها يستلزم نقضَ العقيدة الإسلامية من أساسها، والإيمان باللهُ عزّ وجل من أسمائه الحق، والحقُّ يتحقَّق في اليوم الآخر، يوم الدين، يوم الدينونة، يوم الجزاء، يوم تُوفى كل نفس ما عملت، فإنْ لم تؤمن باليوم الآخر فإيمانك بالله غير صحيح، إن آمنتَ بالله واليوم الآخر ولم تؤمن أن هذا الكتاب فيه طريق سعادتك فإيمانك غير صحيح.

إذاً أركان الإيمان كلّ لا يتجزأ، ولا يُقبل إيمان عبدٍ إذا نقصت واحدةٌ من هذه الأركان.

الآن عقيدة الإيمان بالله لا تنفكُّ عن الإيمان بكتبه، ذلك لأنه من مقتضى الإيمان بالله الإيمان بالرسل، ما دمت أيها الرجل تقول: إن الله عليم ورحيم، مِن دلائل رحمته أنه أرسل إلى عباده رسلاً، فمن مقتضى الإيمان بالله الإيمانُ بالرسل المؤيَّدين من عنده بالمعجزات، ومن مقتضى الإيمان بالرسل تصديقُهم في كل ما يُبلّغون عن الله تعالى.

آمنت بالله يقتضي إيمانك بالله أن تؤمن برسل الله، يقتضي إيمانك برسل الله أن تؤمن أن كلامهم الذي يبلغونه للناس حقّ من عند الله سبحانه وتعالى، هذا هو الإيمان بالكتب.

من أجل ذلك يُعلن المسلم دائماً وَفق عقيدته التي متى أَخَلَّ بها كَفَرَ أنه يؤمن بكتب الله كلها إجمالاً فيما يجهل منها، وتفصيلاً فيما يعلم، لو سألنا أخ كريم: ما معلوماتك عن كتاب التوراة؟ يقول: واللهِ لا أعلم شيئاً عنها، لكنها كتاب من عند الله، فيما تجهل تؤمن بها إجمالاً، وفيما تعلم تؤمن بها تفصيلاً، هذه هي عقيدة المسلم، أن تؤمن بكتب الله كلها إجمالاً فيما تجهل منها وتفصيلاً فيما تعلم.

أما معنى الكتاب لغة: مصدر فعل كَتَب، بالمناسبة الفعل يدلُّ على حدوث عملٍ في زمن معين، كتب في الماضي، يكتب في المضارع، اكتبُ في المستقبل، هناك كلمة اسمها المصدر، هذه الكلمة تدل على حدوث عملٍ من دون زمن، كتابة، كتاب، كتب، يكتب كتابةً وكتاباً، فالكتاب لغة مصدر كتب، وهناك مصدر

آخر كتابة وكتاباً وكتْبَاً، وأصل الكَتْبِ في اللغة ضمّ أديمٍ إلى أديمٍ بالخياطة، الأديمُ هو الجلد، إذا ضممتَ الجلد إلى جلدٍ آخر وضممته بالخياطة هكذا هذه العملية اسمُها: عملية الكتاب، ولأن الإنسان يضمّ الحرفَ إلى الحرف، والكلمة إلى الكلمة، والجملة إلى الجملة، فهذه العمليةِ العلمية تشبه إلى حدّ ما ضمّ أديمٍ إلى أديم عن طريق الخياطة، لذلك سميت الكتابة كتابة بمعنى ضمّ الحرف إلى الحرف والكلمة إلى الكلمة والجملة إلى الجملة.

دائماً في كتب العقيدة وفي كتب الفقه أيضاً تعريف لغوي وتعريف شرعي، فالتعريف اللغوي للكتاب هو مصدر كتب، وأما التعريف الشرعي فالكتاب شرعاً كلام من كلام الله تعالى، لِما لم نَقُلْ: كلام الله تعالى؟ القرآن كلام الله تعالى، والتوراة كلام الله تعالى، والإنجيل كلام الله تعالى، والزبور كلام الله تعالى، وصحف موسى أيضاً كلام الله تعالى، وصحف إبراهيم وموسى كلام الله تعالى، لذلك الكتاب أي الكتاب الواحد كالقرآن كلام من كلام الله تعالى، هذه مِن للتبعيض، فيه هدى ونور يوحي الله به إلى رسول من رسله ليبلّغه الناس، كلام من كلام الله تعالى فيه هدى للبشر ونور يقتدون به يوحي الله به إلى رسول من رسله ليبلّغه للناس.

الآن يوجد عندنا تنبيه دقيق جداً، يُطلق اسم الكتاب شرعاً على ما يشمل الصحف، قال تعالى:

**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)**

**سورة الأعلى**

على ما يشمل الصحف والألواح، قال تعالى:

**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (150)**

**سورة الأعراف**

**وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (154)**

**سورة الأعراف**

والألواح وجميع أنواع الوحي اللفظي والكتابي التي يُنزلها الله على أي رسول من رسله ليبلّغها إلى الناس، وبأية لغة من اللغات نزلت، صغيرة كانت أم كبيرة، مُدونة أو غير مدونة، فيها صفة الإعجاز اللفظي للناس، أو ليس فيها ذلك، يوجد إعجاز أو لا يوجد إعجاز، مدونة أو غير مدونة، بأي لغة، كتاب، صحيفة، لوح، هذا كله يشمل كلمة الكتاب شرعاً، الذي يعنينا من هذا الموضوع حاجة الناس إلى الكتب السماوية، كما أن الناس –كما تكلمنا من قبل– بحاجة ماسة جداً إلى رسل، أحياناً تشتري دولة من دولة معملاً عظيماً، الشركة البائعة الجهة البائعة تُرسل مع هذا المعمل مهندساً خبيراً وكتاباً ضخماً، فالمهندس مهم جداً يبقى مع المعمل إلى أن ينجح في تشغيله، هذا المهندس معه كتاب أيضاً، معه نشرات للاستعمال، وللتوجيهات، والتحذيرات، وكيف الاستعمال والصيانة وما شاكل ذلك.

## الهدف من الكتاب السماوي:

### 1- الكتاب الرباني هو المرجعية للأمة:

كما أن الناس بحاجة ماسة إلى الرسل يُبلّغون الناس أحكام الله وشريعته لعباده أيضاً الرسل بحاجة إلى كتب سماوية تهدف إلى ما يلي:

أولاً: ليكون الكتابُ الرباني المُنزل على الرسول هو المرجعَ لأمته، إذا كان المعلم علّم من دون كتاب، سمع الناس كلاماً جيداً، ذهبوا إلى البيت ولا يوجد عندهم كتاب، يقولون ترى ماذا تكلّم المدرس؟ يصير هناك خلافات، يصير هناك تأويلات، يصير هناك مبالغات، يصير هناك تزوير، تحريف، تقليل، زيادة، والشيء الذي لابد منه أن يكون هناك كتاب بين أيدي المتعلمين هو المرجعَ، لذلك إن شاء الله تعالى حينما يُعلَن عن طبعة جديدة لهذا الكتاب كتاب العقيدة الإسلامية الذي أعطيكم منه أبلغكم ذلكم فوراً، كي تشتروا هذا الكتاب ويكون هذا الكتاب عندكم مرجعاً، من باب أن الكتاب يُعدّ مرجعاً دقيقاً، يدفع التأويل والتدليس والتحوير والتعديل والإضافة والحذف والزيادة، قال ذلك، ما قال ذلك، أنت سمعت هذا، لا غلط، قد تكون لم تفهم، لا فهمت، هذه المشكلات وهذه القضايا الشائكة والمتداخلة كلها تُحلّ، يوجد مرجع.

إذاً حاجة الناس إلى كتاب من عند الله عزّ وجل حاجةٌ ماسة بسبب أن هذا الكتاب يصبح مرجعاً للأمة مهما تعاقبت العصور، فيرجعون إليه في تحديد عقائد الدين وأسسه.

الآن الكتاب القرآن الكريم من عظمته أن النبي عليه الصلاة والسلام الذي أُنزل عليه توفاه الله عزّ وجل، ومضى على وفاته خمسة عشر قرناً، والكتاب بين أيدينا فيه آيات العقيدة، فيه آيات التشريع، فيه آيات الحلال، آيات الحرام، فيه الأوامر، فيه النواهي، فيه المواعظ، فيه العِبر، فيه الأمثال، فيه الحِكَم، فيه القصص، فيه كل شيء بين أيدينا، إذاً القرآن الكريم نحن بحاجة ماسة إليه لأنه مرجع إلينا، ولاسيما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: المسلمون من بعده يرجعون إليه في تحديد عقائد الدين، وأسسه، ومبادئه، وغاياته، أخي، واللهِ فلان الولي الفلاني يعلم الغيب، أنت عندك كتاب، عندك مرجع، وقد قال الله:

**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)**

**سورة الأنعام**

ما دام النبي عليه الصلاة والسلام سيد الخلق وحبيب الحق لا يعلم الغيب، فأيّ إنسان يدّعي ذلك نقول له: خسئت، لا يعلم الغيب إلا الله، يأتي إنسان دجّال يقول لك: أنا المعاصي لا تضرني، تجاوزت هذه المرحلة، نقول له: كذبت، يقول الله تعالى:

**قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (13)**

**سورة الزمر**

قرآن مرجع، يأتي إنسان آخر يقول للناس: إنه بإمكانه أن ينفعهم أو أن يضرهم، نقول له: كذبت، لأن الله عز وجل يقول:

**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ** إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)

**سورة الأعراف**

يوجد عندنا آيات عقيدة، هذا هو حجم النبي، لا يعلم الغيب، وليس بيده نفعنا ولا ضرنا، النفع المادي، إلا أن يشاء الله عزّ وجل، وأنه يخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم، فأي مَن يدّعي خلاف ذلك

نقول له: كذبت، له عندنا قاعدة ثابتة، ففي القرآن الكريم آيات توضح العقيدة، وإذا قال أحدهم لك: أنا أتوب عند الموت، قل له: أنت مخطئ، قال تعالى:

**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)**

سورة النساء

انتهى أمرك، لا تُقبل التوبة في ساعة الموت، لدينا أشياء واضحة، قد يقول لك أحدهم: أخي إن فلاناً لا يصلي، ويكفر بالله عزّ وجل، ويزداد إثماً، ويتحدّى الإله، ويزداد قوة وشأناً ومالاً وغنى وبحبوحة ما تفسير ذلك؟ تفسيره واضح، قال ربنا عزّ وجل:

**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)**

سورة الأنعام

هناك تلميحات دقيقة جداً، فهذا الكتاب مرجع، نستطيع من خلال القرآن الكريم أن نعرف العقيدة الصحيحة، إذاً المسلمون من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجعون إليه لتحديد عقائد الدين وأسسه، واللهِ أنا شاهدت الجِنَّ البارحة، هذا ليس صحيحاً، قال تعالى:

**يَا بَنِي آَدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآَتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (27)**

سورة الأعراف

هذه سحبة هذه لا نقبلها منك، والله يا أخي كلما صار هناك كلام خلاف الأصول، خلاف العقيدة الصحيحة، أخي الجنة ليست بالعمل، قال تعالى:

**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)**

سورة النحل

الجنة ادخلوها برحمتي واقتسموها بأعمالكم، أخي الله عز وجل لن يدقق، لن يسألنا، قال تعالى:

**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)**

**سورة الحجر**

أخي لا تدقق كثيراً، الله عزّ وجل غفور رحيم، قال تعالى:

**وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ** ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآَمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (153)

**سورة الأعراف**

**نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (49) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (50)**

**سورة الحجر**

كلما سمعت فكرة غير صحيحة، مبالغة، شيطانية، زائغة، أنت عندك آيات واضحة جداً، لذلك الكتاب مرجع لنا، مرجع لنا في عقيدتنا، أخي بالقبر يوجد عذاب؟ غير معقول، كيف يكون هناك عذاب؟ ربنا عزّ وجل قال:

**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)**

**سورة غافر**

أي عذاب جهنم مادي؟ طبعاً، قال الله:

**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105)**

**سورة المؤمنون**

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا **كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا** لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)

**سورة النساء**

إذا زاغت عقيدة الإنسان وابتعد، القرآن هو المقياس، مقياس دقيق جداً، أيّة دعوة يدّعيها الإنسان تُعرض على كتاب الله، فإن وافقته فهي صحيحة، وإن خالفته فليست صحيحة.

شيء آخر؛ ويرجعون إليه في التعرف على أحكام شريعة الله لهم، أخي صار هناك ضرورات للفائدة، اللهُ عزّ وجل قال:

**يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (276)**

**سورة البقرة**

واضحة الآية، في التعرف على أحكام شريعة الله لهم، إن كان في الزواج، والطلاق، في المواريث، في الوصية، في البيع، في الشراء، في كل شؤون حياتنا الله عزّ وجل جعل في هذا القرآن الكريم أحكاماً دقيقة جداً، واستبانة الواجبات التي يأمرهم بها، والمحرمات التي ينهاهم عنها، والفضائل والكمالات التي يحثهم عليها، ويندبهم إليها، فالكتاب مرجع في العقائد، والأُسس، والمبادئ، والغايات، وأحكام الشريعة، والواجبات، والمحرمات، والفضائل، والكمالات، هذا كله في كتاب الله.

قال: كما يرجعون إليه ليطالعوا مواعظه، ونصائحه، وأمثاله، وآدابه، وما تضمّنه من بشائر ونُذُر، ووعدٍ ووعيد، وسائر الوسائل والأساليب التربوية المختلفة الهادية إلى صراط الله المستقيم، مرجع، أي كأن الله عزّ وجل جعل هذه الدعوة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم مستمرة عن طريق هذا الكتاب، والعلماء أيضاً المجتهدون، الفقهاء يرجعون إليه ليستنبطوا من نصوصه الأحكام الشرعية المختلفة، طبعاً الله عزّ وجل قال:

**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (3)**

**سورة المائدة**

معنى ﴿**أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ أي أن هذا الشرع فيه كل شيء، نصوص الشرع كلية، نصوص الكتاب كلية، لكن الله سبحانه وتعالى سخّر العلماء المجتهدين كي يستنبطوا من هذه الأحكام الكلية أحكاماً تفصيلية دقيقة جداً، لذلك أحكام العدة مثلاً، الحداد على الزوج من أين جاءت؟ من كتاب الله، إذا انقضى الكتاب:

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ **فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ** وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (240)

**سورة البقرة**

والعلماء المجتهدون يستنبطون من هذه الآيات الكلية الأحكام التفصيلية لمختلف قضايا التشريع وقضايا الحياة التي يحتاجها الناس.

إذاً ويرجع إليه العلماء المجتهدون ليستنبطوا من نصوصه المختلفة الأحكام الشرعية لكل ما يجد في حياتهم، هذا القياس، القياس أن تقيس حالة لا نص لها في كتاب الله على حالة فيها نص من القرآن أو السنة، القرآن مصدر، والحديث مصدر، والقياس مصدر، والإجماع مصدر.

## 2- الكتاب الرباني المنزل على الرسول هو الحكم العدل لأمته بعد وفاته:

شيء آخر، إن الإنسان لا يتهيأ له أن يرجع إلى النبي عليه الصلاة والسلام مباشرة بعد أن قبضه الله عزّ وجل، إذاً من خلال هذا القرآن الكريم يستطيع العالم والمجتهد أن يرجِع إلى كتاب الله، مع أن هناك بعداً كبيراً مكانياً وزمانياً بَعْد أن قُبِض الرسول صلى الله عليه وسلم، ومضى على قبضه خمسة عشر قرناً، هذا الكتاب بين أيدينا.

شيء آخر؛ هذا الهدف الأول، إذاً ليكون هذا الكتاب مرجعاً للأمة في العقائد، والأسس، والمبادئ، والأهداف، والغايات، والتشريعات، والواجبات، والأوامر والنواهي، والمباحات، والمندوبات، والمكروهات، والمستحبات، والقصص، والمواعظ، والحكم، والأمثال، والتاريخ، وأحوال يوم القيامة، وأحوال ما بعد الفوز، كل هذا نرجع إليه بكتاب الله.

الهدف الكبير الثاني من هذا الكتاب للإيمان بالكتب السماوية ليكون الكتاب الرباني المنزّل على الرسول هو الحَكَم العدلُ لأمته، حَكَم عدْلٌ، قال الله:

وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ **فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (9)**

**سورة الحجرات**

كل حالة قد تبدو لك نادرة جداً لها حكم، هو الحكم، صار خلاف زوجي، قال الله:

**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا** فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا **إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (35)**

**سورة النساء**

في قضايا الزواج، والطلاق، في قضايا الميراث، في قضايا البيع والشراء، القرآن هو الحَكَمُ، إذاً الهدف الثاني: ليكون الكتاب الرباني المنزل على الرسول هو الحكم العدل لأمته في كل ما يختلفون فيه، مما تناولته أحكام شريعة الله لهم، فكتاب الله هو الحاكم بين الناس، لذلك الأمير ليست له مهمة إلا أن يحكم وفق كتاب الله، الحاكم الحقيقي هو الله عزّ وجل، لا حاكمية إلا لله، والناس يحكمون في ضوء ما جاء في كتاب الله، لذلك:

**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ** وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)

**سورة المائدة**

وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)**

**سورة المائدة**

إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)**

**سورة المائدة**

فالإنسان بينه الزوج وبين زوجته في كتاب الله، اختلف مع صديقه في كتاب الله، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ **أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ (1)**

**سورة المائدة**

اختلف مع شريكه، يوجد عقد موقَّع يا أخي مُصدّق عند كاتب العدل، مُسجّلٌ في المحكمة الشرعية محكمة البداية، إذا اختلفت مع شريكك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ اختلفت مع زوجتك، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ** وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (19)

**سورة النساء**

فكلما كان هناك خلاف زوجي، خلاف بينك وبين شريكك، بينك وبين جارك، قال الله:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ **وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)**

**سورة النحل**

إن لم تسعك آية العدل وسعتك آية الإحسان، فالإنسان يجب أن يحكم بما أنزل الله، الله عز وجل أَمَرَنا أن نعدل بين أولادنا، فإذا أحد حرم ابناً من الميراث، أعطى آخر، حالات كثيرة جداً أسمعها عن أب انحاز إلى أحد أولاده، أعطاه كل شيء، وحرم الآخر كل شيء، هذا الأب لم يحكم بما أنزل الله، إذاً فهو ظالم، مع أنه ظالم فاسق، إذاً الكتاب هو حَكَم إذا اختلف المسلمون فيما بينهم، قال تعالى:

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ **وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (213)**

**سورة البقرة**

قال العلماء التفسير في هذه الآية: إن الناس كانوا أمة واحدة، كانوا على الفطرة، عبدوا الله بدافع من فطرتهم، وأحسنوا إلى بعضهم بدافع من فطرتهم، فلما عمّ الجهل، وزاغت العقائد، واستعرت الشهوات، واستيقظت الفتن، أصبحوا بحاجة إلى كتاب يحكم بينهم، **﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ﴾** إذاً لو أن الإنسان عاد إلى فطرته لعَرَف الحق، لكن بعد أن تنطمس هذه الفطرة بفعل الشهوات، والطغيان، والجهل يأتي الكتاب ليحكم بين الناس بالعدل.

## 3- الكتاب الرباني يصون عقائد الدين وشرائعه وغاياته بعد عصر الرسول:

ثالثاً: ليصون الكتابُ الربانيُّ بعد عصر الرسول عقائدَ الدين وشرائعَه وغاياتِه، الآن مثلاً بعدما قُبِض النبي الكريم والمسلمون ساروا مِن بعده ثم افترقوا كفَّر بعضهم بعضاً، بعضهم انحرف عن العقيدة الصحيحة، لابد من أن يكون هناك مقياس نقيس به كل إنسان، وكل جماعة، فهؤلاء الذين شذّوا وخرجوا عن قواعد الدين الكتاب هو المقياس، أخي أنا أعطيك قماشة وأقول لك: هذه ثمانية أمتار، أخي هذه متران فقط، عندنا متر نحن، المتر مهم جداً، نقيس هذا التوب بالمتر والقضية حلت، فالكتاب السماوي، أو أي كتاب سماوي جعله الله عزّ وجل صوناً لعقائد الناس مِن أن يصيبها الانحرافُ والزللُ، فهذا الكتاب الرباني يصون عقائد الدين وشرائعه وغاياته من دلالات ذوي الأهواء الذين تُسوِّل لهم أنفسهم أن يتلاعبوا بالدين، وينسبوا إليه ما ليس منه، وينحرفوا به عن الصراط المستقيم إرضاءً لشهواتهم وغرائزهم.

أي هؤلاء لا ينبغي أن يهجروا كتاب الله، هو الذي يقيس عقائدَهم، الله عزّ وجل جعل هذا الكتاب مقياساً للعقيدة، كل إنسان زاغت عقيدته، أو شذّ، أو انحرف، أو بالغ، أو تلاعبت به الأهواء، أو أراد أن يُسخّر الدين للدنيا، أو أراد أن يصل إلى الدنيا عن طريق الدين، يأتي الكتاب فيوقِفُه عند حده، ويحجمه، ويعيده إلى جادة الصواب.

واستمرار الكتاب الرباني في أمة الرسول من بعده بمثابة استمرار وجود الرسول الذي بلّغه إليهم بين ظهرانيهم، أي النبي عليه الصلاة والسلام عاش، جاء إلى الدنيا وعاش فيها ثلاثة وستين عاماً ثم توفي، هذا الكتاب كتاب الله الذي بين أيدينا كأن النبي عليه الصلاة والسلام بيننا، هذا الكتاب الذي أوحي إليه هو بين أيدينا، إذاً كأن القرآن استمرار لوجود النبي عليه الصلاة والسلام، ولولا استمرار الكتب الثابتة بنصوصها بعد الرسل لأسرعتْ دعواتهم إلى الاختلاف الواسع، والتغيير الكثير عَقِبَ وفاتهم، لأن من طبيعة البشر أن يختلفوا في الاجتهادات، وأن تتباين نظراتُهم إلى الأمور، وأن ينساقوا بسرعة وراء عوامل الشهوة، والهوى، والنفس، فإن لأَمَهُمْ صاحبُ إيمانٍ ومعرفة على انحرافهم كذبوا على الله فزعموا أنّ ما انحرفوا فيه هو من أحكام الله، ومراده في الدين، مِن أجل هذا كان لابد للبشر من ضابطٍ يضبطهم، ويُلزمهم بمدلولات النصوص الصريحة إلزاماً لا محيد عنه إلا لمكابر معاند، القرآن الكريم ضابط، كلما انحرف الإنسان يعيده القرآن إلى الصواب،

لذلك لولا القرآن الكريم لما كنّا الآن مسلمين، ما الذي حفظ الإسلام عقيدة وشريعة؟ هو القرآن الكريم، فهو ضابط، وهو مقياس، وهو مرجع.

## 4- حفظ دعوة الرسول ورسالته:

آخر هدف من أهداف الكتب: وليحفظ الكتاب الربّاني لدعوة الرسول ولرسالته تأثيرها وسريانها بين الناس، وقابليتها للاتساع والانتشار، ولكن القرآن كلما قرأه الإنسان عرف الله عز وجل، فالقرآن صار أداة اتساع وانتشار، النبي الكريم قُبِض والمسلمون في الجزيرة، بعد موته صلى الله عليه وسلم فتح المسلمون البلاد، فتحوا مصر، فتحوا شمال إفريقيا، فتحوا المغرب العربي، فتحوا إسبانيا، فتحوا الشام، فتحوا العراق، فتحوا تركيا، فتحوا الهند، السند، الباكستان، الصين، لأي اتساع الدين بسبب أن هناك دستوراً، هناك كتاباً، هناك ضابطاً، هناك مرجعاً، فمهما تباعدتِ الأمكنةُ والأزمنة عن مكان أو زمان نشأة الرسول صاحب الدعوة فهذا الكتاب يُعدّ وسيلة لاتساع الدعوة وانتشارها.

## خلاصة الهدف من الكتاب السماوي:

إذاً خلاصة القول: وجود الكتاب المُنْزل من عند الله في الأمّة من بعد الرسول بمثابة استمرار للرسول نفسه فينا، مِن حيث التعرُّفُ على أصول الدين، وأحكام الشريعة، وسائر المواعظ، والآداب، وإن تكن الأمة قد فقدت من بعد الرسول الأسوة الحسنة، والقيادة السامية، أي المسلمون بعد وفاة رسول الله فقدوا القدوة الحسنة، والأسوة الصالحة، أما التشريع، والدستور، والمنهج بَيْنَ أيدينا، مِن أجل كلِّ ما سبق، ولحِكَمٍ أخرى يعلمها الله تعالى، وهو العليم الخبير، أنزل الله على رسله كتبه فنطقت كتبه بشريعته، تأمر، وتنهى، وتعظ، وترشد، وتُبشر، وتُنذر، وتهدي إلى الصراط المستقيم، وتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه.

هذه الأفكار مهمة جداً في تعريف الناس بضرورة وجود الكتب السماوية، واللهُ سبحانه وتعالى برحمته وعلمه ورأفته وحرصه على هدايتنا أنزل الرسلَ، وأنزل معهم الكتابَ. وسوف نتحدث عن الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها، وفي مقدمتها القرآن الكريم في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 42-63: الإيمان بالكتب السماوية 2

## بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الإيمان بالقرآن الكريم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثاني والأربعين من دروس العقيدة، نحن في موضوع الإيمان بالكتب، وقد تحدثنا في الدرس الماضي عن تعريف الكتب لغةً وشرعاً، وعن وجوب الإيمان بالكتب السماوية، والأدلة النقلية في القرآن والسنة، وعن ضرورة أو حاجة الناس إلى الكتب السماوية، وننتقل اليوم إلى موضوع جديد وهو الكتب السماوية التي يجب الإيمان بها، أي الحقائق الأساسية المتعلقة بالكتب السماوية التي يجب أن نؤمن بها بالضرورة.

أول هذه الكتب بوصفنا مسلمين هو القرآن الكريم، فالله سبحانه وتعالى كما تعلمون جميعاً بعث نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه القرآن مُعجزاً، وتكفّل بحفظه مِن أيّ تحريف، أو تبديل، أو زيادة، أو نقصٍ، وقد شمل هذا الحفظُ كل نصّ من نصوصه، فهيأ له سبحانه من وسائل الحفظ في الصدور وفي السطور ما جعله محفوظاً كلاً وتفصيلاً، حتى انتشر في الأمم على اختلاف أمكنتهم وألسنتهم وأزمانهم، وجعله ربنا سبحانه وتعالى قطعي الثبوت في كل عصر، ومكّن له في القلوب والعقول بما أودع فيه مِن حلاوة، وطلاوة، وحقّ، وعدلٍ، ودعوة إنسانية، فما ينكر إسناده إلى خاتم الرسل صلى الله عليه وسلم إلا مَن كان لا ينطوِي على ذرة مِن عقلٍ.

## القرآن الكريم يتضمن عدة حقائق منها:

### 1- القرآن الكريم كتاب من عند الله:

حول هذا الكتاب الكريم الذي هو دستورنا العظيم، الذي منّ الله به علينا وكرّمنا به، وجعله معجزة على مرّ العصور والدهور، حول هذا الكتاب الكريم حقائق أساسية، من هذه الحقائق الأساسية أن القرآن الكريم كتاب مِن عند الله، لو جمعت كتُبَ الأرض كلّها لكانت كلها في كِفَّة، وكان كتاب الله في كفة أخرى لأنه كلام الله، وفَضْلُ كلام الله على كلام خلقه كفضلِ الله على خلقِه، هل يوازن خالق بمخلوق؟ إذا كان لا يوازَن الخالق الذي السماوات مطويات بيمينه، والذي أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون، إذا كان لا يوازن خالق السماوات والأرض بمخلوق ضعيف عاجز فقير مفتقر إلى كأس ماء، وإلى نشقة هواء، وإلى لقمة، وإلى دواء، وإلى طعام، وإلى شراب، إذا كان لا يوازن الخالق بمخلوق كذلك لا يوازَن كلامُ الخالق بكلام المخلوق.

كل ما تقع عينك عليه في الأرض مِن كتب إنما هي من تأليف المخلوقات، من تأليف البشر، لكن القرآنَ كلامُ الله جلّ وعلا، فلذلك الحقيقة الأولى أن القرآنَ الكريم كتابٌ مِن عند الله، أي أنت عندما تعرف أن هذا الكتاب معرفة يقينية كلام الله عزّ وجل، وفيه أمر ونهي، عندئذٍ تعرف قيمة الأمر الإلهي، لأن قيمة الأمر من قيمة الآمر.

لو أنّ إنساناً ذو رتبة عسكرية ضئيلة جداً أعطاك أمراً قد تستجيب وقد لا تستجيب، لكن الرتبة العالية جداً إذا وَجَّهتْ إليك أمراً أغلبُ الظن أنك تستجيب بسرعة مذهلة، لأنك تعرف حجم الآمر، ومدى ما يُبنى على مخالفته من مسؤولية، ومدى ما يُحصّل من مكاسب فيما لو نفذتَ الأمر، وقد ثبت ذلك بكل من الدليلين العقلي والنقلي.

بالمناسبة إذا أردت أن تُنوّع الأدلة حول موضوع ما فهناك الدليل العقلي، وهناك الدليل النقلي، وهناك الدليل الواقعي، أكثر الأدلة لا تزيد عن دليل عقلي، ودليل نقلي، ودليل واقعي، فالدليل النقلي نصّ قطعي الثبوت، قطعي الدلالة من كتاب الله، أو من الأحاديث الصحيحة المتواترة، أو من أحاديث الآحاد، هذا هو الدليل النقلي، بينما الدليل العقلي أن تُبنى النتائج الصحيحة على المقدمات المسلَّم بها، مقدمة مُسَلّمٌ بها يُبنى عليها نتيجة صحيحة، هذا دليل منطقي، دليل عقلي، كل إنسان فانٍ، هذه مقدمة، سقراط إنسان، سقراط

فان، مقدمة ونتيجة منطقية، كل إنسان يتنفس، فلان إنسان، إذاً فلان يتنفس، فالدليل العقلي هو ما تضمن من وجوه الإعجاز.

## الدليل على أن القرآن الكريم كلام الله:

هذا الكتاب كلام الله عز وجل الذي بين يديك ما الدليل على أنه كلام الله عز وجل؟ أن فيه إعجازاً يستحيل ويستعصي على البشر مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله، أو بآية من مثله، هذا هو الدليل، طبعاً يوجد إعجاز تشريعي، يوجد إعجازٌ لغوي، يوجد إعجازٌ بياني، يوجد إعجازٌ رياضي، يوجد إعجازٌ حسابي، يوجد إعجازٌ علمي، يوجد إعجازٌ تاريخي، يوجد إعجازٌ اجتماعي، يوجد إعجازٌ فني، يوجد إعجاز أسلوبي، مِن أيّ زاوية نظرتَ إلى كتاب الله تجد فيه إعجازاً، بمعنى أن البشر لا يستطيعون ولو اجتمعوا على أن يأتوا بآية من مثله، هذا هو الدليل العقلي، هو ما تضمن من وجوه الإعجاز بحيث لا تتطاول القدرات الإنسانية مفترقة أو مجتمعة على الإتيان بمثله مهما تعاقبت العصور وتوالت الدهور، والمعجزات على اختلافها تُثبت برهاناً ذاتياً قاطعاً على أنها من عند الله، لأن المعجزة خرقٌ لمألوفِ العادات، ولا يستطيع أن يخرق مألوف العادات إلا رب الأرض والسماوات، وما دامت هذه العادات قد خُرِقت، إذاً هذا دليل قطعي على أن هذا الكلام مِن عند الله عزّ وجل.

أما الدليل النقلي فهو ما ثبت بالتواتر القطعي الدلالة، كابراً عن كابر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ثبت في آيات القرآن نفسه أنه من عند الله، وليس من كلام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يوجد عندنا شيءٌ اسمه التواتر، أيْ ما رواه الجمع الثقاة العدول عن الجمع الثقاة العدول عن الجمع الثقاة العدول، من وقت أن أُنزِل هذا القرآن إلى يومنا هذا، القرآن متواتر شفاهاً، لو لم يكن بين أيدينا هذا الكتاب، هذا المصحف، لكان القرآن الكريم متواتراً تواتراً شفهياً، لا يوجد عصر إلا وفيه حفظة، الحفّاظ حفظوا على أيدي أساتذتهم، والأساتذة حفظوا على أيدي أساتذتهم، جيلاً بعد جيلٍ بعد جيلٍ، إلى أن نصل ونحن صاعدون إلى السيد الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

إذاً لو بحثت في مضمون القرآن الكريم، في مضمونه الاجتماعي، والفكري، والعلمي، والبياني، واللغوي، والتاريخي، والتشريعي، لو درست مضامين القرآن الكريم لوجدتها من الإحكام، والدقة، والعمق، والشمول، والتحدي، أنه لم تظهر في المستقبل نظرية، ولا حقيقة علمية تناقض ما في كتاب الله، إذاً مضمونه

في الإعجاز، أما الدليل النقلي على أنه كلام الله أنه نُقِل إلينا بالتواتر، ومعنى التواتر أن يروي الجمع الغفير من الثقاة والعدول عن الجمع الثقاة والعدول، إلى أن نصل بهذا التواتر إلى النبي عليه الصلاة والسلام.

الحقيقة الأولى أن القرآن كتاب من عند الله، اعلم أنك إذا فتحت هذا المصحف فهو كلام الله رب العالمين، فعلى قدر معرفتك بالله رب العالمين تعرف كلام الله رب العالمين.

## 2- مرتبة القرآن الكريم من حيث الكتب السماوية آخر كتاب:

الحقيقة الثانية: أن القرآن هو آخر الكتب السماوية التي أنزلها الله على خاتم رسله محمدٍ صلوات الله وسلامه عليه، أول حقيقة: من عند الله، ثاني حقيقة: هو آخر كتاب سماوي.

## 3- تكفّل الله بحفظ كتابه من أي دخيل عليه:

الحقيقة الثالثة أن القرآن محفوظ بحفظ الله مِن كل تحريف، أو تبديل، أو زيادة، أو نقص، ومُصَانٌ عن أن يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه حتى يرث اللهُ الأرضَ ومَن عليها.

أول حقيقة أنه من عند الله بالدليل العقلي وبالدليل النقلي، والحقيقة الثانية أن القرآن الكريم آخر الكتب السماوية الذي أنزله الله على آخر أنبيائه خاتم النبيين، الحقيقة الثالثة أن القرآن محفوظ بحفظ الله من كل تحريف أو تبديل أو زيادة أيضاً، ومُصَانٌ من أن يأتيه الباطل، مثلاً لو أنّ هناك آية قرآنية فيها توجيه صحي مثلاً، ثبت بالعلم الحديث ما يناقض هذا التوجيه، معنى ذلك أن الباطل قد أتاه، أحياناً تظهر نظرية نُعجب بها، نصفق لها، بعد حين من الزمن يظهر أنها غير صحيحة، وأنها باطلة، وأنّ أصحابها وقعوا في متاهة، عندئذٍ تسقط هذه النظرية، ما من آية قرآنية على مرّ الدهور والعصور جاءت حقيقة علمية قطعية ناقضتها، أبداً، إذاً لا يأتيه الباطل من بين يديه حينما أُنزل، ولا من خلفه، ولا بعد كرّ العصور والدهور.

الشيء الآخر، وقد ثبت ذلك بدليل الخبر المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت أيضاً ببرهان التجربة والمشاهدة في كل عصر، أي من حفظ الله تعالى لهذا الكتاب أنه قيّض له رجالاً في كل عصر دقيقين جداً في استنباطهم وأحكامهم، ضبطوا آياته، ضبطوا مكيه، ضبطوا مدنيه، ضبطوا ناسخه، ضبطوا منسوخه، ضبطوا أسباب نزوله، ضبطوا أماكن الوقوف اللازم، ضبطوا حركاته، وسكناته، أي إنّ أدق الدقائق ضُبطت، وفُرغ منها، وهؤلاء الذين سخرهم الله عزّ وجل لهذا الكتاب في كل عصر وفي كل مِصر

يقظون أشدّ اليقظة، افتح أيَّ مصحف تجد آخر صفحة الله عزّ وجل سخّر أناساً شيخ المقارئ الفلاني، توقيعه، خاتمه، الشيخ الثاني، الثالث، عشرون أو ثلاثون عالماً من علماء القرآن الكريم قرؤوه كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، وحركة حركة، وسكنة سكنة، ووجدوه مطابقاً لما عندهم، ووقعوا على هذه النسخة، وأي نسخة فيها تبديل أو تحوير سبحان الله! سُرعان ما تنكشف، وسُرعان ما تظهر، وسُرعان ما يُؤمر بحرق النسخ.

هذه الحقائق أنه من عند الله، وأنه آخر الكتب، وأنه محفوظ ومُصان من أن يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، هذه الحقائق عمت في العالَم الإسلامي إلى درجة أنها أصبحت مِن العقائد المعلومة مِن الدين بالضرورة، وأنّ على كل مسلم أن يعرفها معرفة يقينية، وأن مَن أنكرها فقد كفر لا محالة.

إذا قال أحدهم: إن الله لم يحفظ القرآن فقد كفر، إذا قال مثلاً: هذا الكتاب ليس آخر الكتب، إذا قال: بعضه من الله، بعضه مِن رسول الله فقد كفر، يكفر فوراً، إذا أنكر أحد هذه الحقائق وقع مُنْكِرَها بالكفر الصريح.

## تصديق المؤمن لكتاب ربه يعطيه التسليم المطلق له:

يوجد عندنا فكرة هامة جداً، وحيث آمنّا، وصدقنا بالقرآن الكريم جملة وتفصيلاً أنه من عند الله، وكتابه الذي أنزله على عبده ورسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم، وحيث نعلم أن الله تعالى، أول فكرة من عند الله، ثاني فكرة أن الله عز وجل مُنزّه عن أن يُثبت في كلامه غير الحق، إذاً نحن نؤمن بكل خبرٍ تضمّنه القرآن الكريم تضمناً قطعياً، ونعتقد أنّ مُنكر ذلك كافرٌ، لأن مُكذبَ خبر الله في كتابه كافر، ماذا نستنتج؟ القرآن كلام الله، اللهُ مُنّزه عن أن يُثبت غير الحق، إذًا كل ما فيه من أخبار صحيحة، هذه المقدمة المنطقية تنقلنا إلى الإيمان بأن كل ما ذكره الله عزّ وجل في القرآن الكريم مِن كتب سماوية أُنزلت على أنبياء سابقين وجب أن نؤمن بها بالضرورة، قال تعالى:

**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)**

**سورة المائدة**

فنحن بالتسليم المطلق نؤمن بكل كتاب أنزله الله، سواء عرفنا اسمه أو لم نعرف، وسواء عرفنا الرسول الذي أُنزل عليه أو لم نعرف، وهذا هو معنى الإيمان الإجمالي بالكتب، نحن جميعاً مؤمنون إيماناً إجمالياً بالكتب، أيُّ كتاب أنزله الله عزّ وجل على أي نبيٍّ هو حَقٌّ لا شك فيه، وإيماننا به تصديق لخبرِ الله تعالى في القرآن القطعي الثبوت، القطعي الدلالة، كما نؤمن تفصيلاً آمنا إجمالاً، الآن نؤمن تفصيلاً بالكتب والصحف التي نوَّه القرآن بها بشيءٍ من التفصيل، وبالقدر الذي فصّله القرآن لا نزيد على ذلك، ولا ننقص، لأن كل زيادة على ما فصّله القرآن لم تصل في واقع حالها إلى درجة صحة النسبة فضلاً عن درجة القطعية.

هذه نقطة مهمة جداً، نحن نقول ما قاله الله، أما الزيادات فهذه ظنية، الله عزّ وجل لما ذكر عن سيدنا يوسف، القصة انتهت حينما جاء أهله من مصر وسجدوا له، ولهذا السجود معانٍ كثيرة في كتاب الله، وانتهى الأمر، يا ترى هل تزوج امرأة العزيز؟ لا نعرف، أخي قل لنا؟ والله لا أدري، القصة سكتت عن هذا الموضوع، وأنا يجب أن أسكت، ما دامت القصة القرآنية سكتت أنا يجب أن أسكت، أي زيادة، أي تشقيق، أي إضافة، أي تفصيل، هذا لا يُقدم ولا يؤخر، إنما هو ظني وليس قطعياً، لذلك أريحوا أنفسكم من زيادات ومن تفصيلات ومن إضافات على الأخبار التي وردت في كتاب الله، وأغلب الظن أن الذي سكت الله عنه لا طائل من البحث فيه، والذي فصّله الله عزّ وجل يجب أن نستفيض فيه.

## التفصيلات التي وردت في القرآن الكريم عن بعض الكتب السماوية:

القرآن الكريم أخبرنا تفصيلاً ببعض الكتب السماوية، فأول شيء صُحُفِ إبراهيم عليه السلام، وهي أول ما أنزل الله من كتاب مما لدينا به علم يقيني.

**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)**

**سورة الأعلى**

انتهى يوجد صحف إبراهيم، والثاني التوراة، وهو الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا موسى عليه السلام، ويشمل الصحف التي أُلقيت إليه في المناجاة، وهو ثاني ما أنزل الله من كتاب مما لدينا به علم يقيني، وارد بالتفصيل.

الثالث الزبور، وهو الكتاب الذي أنزله الله على سيدنا داود عليه السلام، وهو ثالث ما أنزل الله من كتب مما لدينا به علم يقيني.

والرابع هو الإنجيل، وهو الكتاب الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام، وهو رابع ما أنزله الله من كتب مما لدينا به علم يقيني.

القرآن ذكر هذه الكتب الأربع، صحف وثلاثة كتب، قال تعالى مما يؤكد هذا:

**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (36) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى (37)**

**سورة النجم**

أي في صحف موسى، وفي صحف إبراهيم، ماذا في صحف موسى؟ وماذا في صحف إبراهيم؟ قال تعالى:

**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41) وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى (42) وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43)**

**سورة النجم**

كل هذا في صحف إبراهيم وموسى، قال تعالى:

**وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (43) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا (44) وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (45) مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى (46) وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى (47) وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى (48) وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى (49) وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى (50) وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى (51) وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى (52) وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى (53) فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى (54)**

**سورة النجم**

هذا كله ورد في صحف إبراهيم وموسى، آية واضحة، ﴿**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى* وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى* أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى*وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾ هذا دليل قطعي، الله أخبرنا به، قال تعالى:

**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (14) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (15) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (16) وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (17) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (18) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (19)**

**سورة الأعلى**

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (4)**

**سورة آل عمران**

**وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ (43) إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآَيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (44)**

**سورة المائدة**

آيات واضحة، قال تعالى:

**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (45)**

**سورة المائدة**

﴿**وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا**﴾ أي في التوراة.

**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآَخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ** وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآَيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آَمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (157)

**سورة الأعراف**

إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (111)

**سورة التوبة**

على كتاب الزبور:

**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ (52)**

**سورة القمر**

ورد الذنب وعقابه، قال تعالى:

**وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ (105)**

**سورة القمر**

الإنجيل، ورد الإنجيل مع التوراة:

**وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (47)**

**سورة المائدة**

## المضامين العامة التي اشتركت بها الكتب السماوية كلها:

### 1- أصول الدين:

الآن الموضوع الأخير المتعلق بالكتب، المضامين العامة التي اشتركت بها الكتب السماوية كلها، هناك آيات كثيرة، ربنا عزّ وجل قال:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**

**سورة الأنبياء**

أي الأنبياء جميعاً، والرسل جميعاً، والكتب المُنَزّلة جميعاً، مضمونها كله، مضمونها جميعاً أن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ عقيدة، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ عمل، لا إله إلا الله إيمان،﴿فَاعْبُدُونِ﴾ العمل الصالح، يوجد جانب نظري اعتقادي، وجانب سلوكي تطبيقي، نهاية العلم أن ترى أنه لا إله إلا الله، ونهاية العمل أن تعبد الله كأنك تراه، لذلك يوجد مضامين موحدة مشتركة بين كل الكتب وبين كل دعوات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الكتب السماوية كلها اشتركت في بيان أصول الدين، الدين له أصول، له عقائد أساسية، التوحيد من أصول الدين، الإيمان باليوم الآخر من أصول الدين، الإيمان بالرسالات السماوية من أصول الدين، الإيمان بالرسل من أصول الدين، لذلك أركان الإيمان: آمنت بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله تعالى، هذه أصول الدين.

## 2- أصول الأخلاق:

آخر شيء؛ الله سبحانه وتعالى ذكَرَ لنا وصايا لقمان لابنه في سورة لقمان، وضمّن هذه الوصايا ما يفيد بأنها وصايا ربانية، اقتبسها لقمان مما أنزل الله في الكتب الأولى، وساقها القرآن مساق وصايا يوصي الناس بها، مِمّا لهُ صفة الاستمرار والدوام، وعليه تكون هذه الوصايا القرآنية مما سبق حتماً أن جاء في الكتب الأولى، أوردها الله حكاية على لسان سيدنا لقمان، قال تعالى:

**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (13)**

**سورة لقمان**

**هذا التوحيد.**

**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (14) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (15) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (16) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ**

**وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (17) وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (18) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ (19)**

**سورة لقمان**

لعل هذه الوصايا الثمينة جداً إنما وردت في الكتب الأولى التي لم تذكر في القرآن الكريم صراحة.

إذاً الكتب السماوية كلها يجب أن نؤمن بها إجمالاً وتفصيلاً، إجمالاً أيّ كتابٍ على أي رسول حقّ من عند الله، أمّا تفصيلاً فالكتب التي ذُكِرت في القرآن صراحة يجب أن نؤمن بها، والإيمان بها جزء من العقيدة التي يجب أن تُعلَم بالضرورة، وأنّ الذي يُنكرها كافر، هذا الكلام أنهينا به موضوع الإيمان بالكتب.

وسوف ننتقل إن شاء الله تعالى بعد أسبوعين من هذا الأسبوع إلى موضوع رابع أو خامس مِن موضوعات العقيدة، وهو الإيمان باليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 43-63: الإيمان باليوم الآخر1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## حقائق ضرورية في الكون لابدّ من أن يعرفها الإنسان:

### 1- أصل هذا الخلق:

أيها الإخوة الأكارم؛ مع الدرس الثالث والأربعين من دروس العقيدة.

أنهينا في الدروس السابقة الإيمان بالله، والملائكة، والكتاب، والنبيين، وبقي علينا الإيمان باليوم الآخر، والشيء الذي يُلفت النظر أن الله سبحانه وتعالى حينما يذكر أركان الإيمان في القرآن كثيراً ما يقرِن الإيمان بالله إلى الإيمان باليوم الآخر، وكأن الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر متلازمان، بل ربما كان الإيمان باليوم الآخر من ألزم ما يلزم للإيمان بالله عز وجل، فلذلك لن نستطيع الحديث عن الإيمان باليوم الآخر قبل عدة مقدمات أساسية ضرورية جداً، فالتمهيد للإيمان باليوم الآخر يقتضي بعض الحقائق التي يجب أن توضع بين يدي المستمعين.

فبادئ ذي بدء، الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، من هذا الخلق ما هو جماد، قال تعالى:

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)**

**سورة الأحزاب**

الأرض جماد فيها معادن، فيها أشباه معادن، فيها جبال، فيها سهول، فيها صحارى، فيها بحار، هناك في السماء الكواكب، والنجوم، والمجرات، والكازارات، والكويكبات، هذا كله من نوع الجماد، وهناك الحيوان، له طبيعة خاصة، وهناك النبات، وهناك الملائكة، وهناك الجن، وهناك الإنس، فالمخلوقات متنوعة، لابد أنّ للإنسان خصائص يتميز بها عن بقية المخلوقات، مِن أبرز خصائصه أن نوع الإنس والجن يتمتعون بحرية الاختيار، بينما المخلوقات الأخرى لا تملِك هذه الحرية، الإنس والجن يتمتعون بقوة إدراكية، الله سبحانه وتعالى زَوّدنا بالعقل، العقل قوة إدراكية تَعرف به الخير من الشر، والحق من الباطل، والصالح من الطالح، وما هو نافع وما هو ضار، وما هو جيد وما هو سيئ، وما هو قريب وما هو بعيد، لولا هذه القوة الإدراكية لما امتاز الإنسان عن الحيوان، ضع لحماً أمام حيوان، ثم ضع لحم خنزير أمامه، هل يملك هذا الحيوان قدرة أو قوة إدراكية على التمييز بينهما؟ الإنسان يملك، فالإنسان بادئ ذي بدء يملك حرية الاختيار، هذا شيء قاطع.

هل يُعقل أن يُكلَّف الإنسان أن يُؤمر أو يُنهى وهو لا يملك حرية الاختيار؟ شيء لا يمكن أن يكون، الإنسان فيما يظهر يملك شيئاً ثالثاً وهو القدرة الظاهرة على تنفيذ بعض الأفعال التي يريدها، لو تعمّقنا في التوحيد الفعل بيد الله، لكن فيما يبدو لنا أول وهلة الإنسان يملك قوة ظاهرة على تنفيذ ما يريد، أراد أن يسير يسير، أراد أن يقوم يقوم، هذا فيما يبدو.

الشيء الرابع أن الإنسان مفطور فطرة عالية، فطرة كاملة على حبّ الخير، على حبّ العدل، على حبّ الرحمة، على حبّ الإحسان، أن يكون الإنسان رحيماً شيء، وأن يكون مفطوراً على حبّ الرحمة شيء آخر، أن تحب الرحمة هذا شيء فطري غير كسبي، أما أن تكون رحيماً هذا شيء كسبي بعد أن تتعرف إلى الله عزّ وجل، وأن تستقيم على أمره، وأن تعمل صالحاً، وأن تُقبل عليه، عندئذٍ يصطبغ قلبك بالرحمة، هذه الرحمة أن تكون رحيماً شيء كسبي، أما أن تحب الرحمة شيء فطري، لذلك القرآن الكريم ميّز بين الفطرة وبين الصبغة، فقال سبحانه:

**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (30)**

**سورة الروم**

هذه بلا كسب، وأما الصبغة قال تعالى:

**صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)**

**سورة البقرة**

## 2- لماذا أعطى الله الإنسان العقل وحرية الإرادة والاختيار؟

على كلّ الإنسان يتميز بقوة بحرية الإرادة، أي حرية الاختيار، والقوة الإدراكية العقل، ويتميز بالفطرة الكاملة، وفيما يبدو له أول وهلة يتميز بأنه يملك أن يحقق ما يريد، لماذا خُلِقَ الإنسان على هذه الشاكلة؟ هذه ميزات تفتقر إليها أكثر المخلوقات، لماذا خُلِقَ الإنسان على هذه الشاكلة؟ قد يبدو هذا من أن الله عز وجل حينما عَرَض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وحينما أَبيْنَ أن يَحملنَها لأنهنَّ أشفقن منها، وحملها الإنسان، هذه هي الأمانة، أي التكليف، أي كأن الله عزّ وجل عَرَضَ على مخلوقاته حينما خلقهم، عَرَض عليهم مرتبة عالية جداً من الإدراك، ومن السعادة، ومن الخلود في هذه السعادة، لكن هذه المرتبة العالية جداً لها ثمن، والثمن حمْلُ الأمانة، فإنْ نجح الإنسان، وحقَّق هذه المهمة، وحمل الأمانة، ونجح في حملِها، استحق مرتبة لا يدانيه بها مخلوق في الكون، لذلك قال الله تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ (7)**

**سورة البيّنة**

أي خير ما برأ الله سبحانه وتعالى، فإن لم يُحقِّق هذه المهمة، ولم ينجح في حَمْلِ الأمانة كانَ أشقى مخلوق خَلَقَه الله عزّ وجل، لا يوجد حالة وسط، قال تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (6)**

**سورة البيّنة**

إما أنه خير البرية، وإما أنه شر البرية، لأن الإنسان قَبِلَ حَمل الأمانة، وقَبِلَ التكليف، وقَبِلَ أن يكون حُرّاً في اختياره، وقَبِل أن يُزَوّد بشهوات يُعِنَّه على تحمل الأمانة، وعلى السمو بنفسه إلى الله عز وجل، لأنه قَبِلَ التكليف، أو قَبِل الأمانة، أو بالتفصيل قَبِل أن يُزوَّد بعقل إدراكي، وأن يُزوَّد بحرية اختيار، وأن يُزوّد

بفطرة عالية، وأن يُزوَّد بقدرة ظاهرة على تحقيق ما يريد، وأن يُزوّد بما يُعينه على تحمّل الأمانة، لأنه قَبِلَ، الله سبحانه وتعالى رفَعَه فوق كل الخلق، قال تعالى:

**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70)**

**سورة الإسراء**

لأنه قَبِلَ حَمْلَ الأمانة سَخَّر الله له ما في السماوات والأرض، قال تعالى:

**وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (13)**

**سورة الجاثية**

سخّر لكم ما في الأرض جميعاً، أنواع المعادن، أنواع الفلزات، أنواع المخلوقات، كل أنواع الأطيار، كل أنواع الأسماك، كل أنواع النباتات، هذا كله، البحار، البحيرات، الجبال، الوديان، السهول، الأغوار، التلال، الأشجار، كل شيء خلقه الله في الأرض مُسخَّر لك أيها الإنسان، لماذا؟ لأنك قَبِلتَ حَمْلَ الأمانة فقط، كل ما في السماوات مسخّر لك أيها الإنسان، لماذا؟ لأنك قَبِلتَ حَمْلَ الأمانة، فالمُسَخّر له أعلى شأناً، وأعلى مرتبة من المُسخَّر من أجله، فالكون مُسخَّر من أجل الإنسان، والإنسان مُسخَّر له الكون من أجله، ، إذاً هو أعلى مرتبة.

## 3- لماذا خلق الله الإنسان؟

مرحلة ثانية؛ لماذا خَلَق الله الإنسان؟ لماذا خلَق الخلْق؟ ليُسعِدهم، ولماذا عرض عليهم الأمانة؟ ليحملهم على أن يرقَوا إلى أعلى درجة، لذلك إذا نجح الإنسان في حملِ الأمانة بلغ مرتبة لا يُدانيه بها مخلوق على وجه الأرض، ولا تحت الأرض، ولا فوق الأرض، رُكِّب الملك من عقل بلا شهوة، ورُكِّب الحيوان من شهوة بلا عقل، ورُكِّب الإنسان من كليهما، فإن سما عقله على شهوته أصبح فوق الملائكة، وإن سمت شهوته على عقله أصبح دون الحيوان.

بشكل ملخص خَلَق اللهُ الخلقَ ليسعدهم، وَعَرَض عليهم مرتبة من السعادة لا تدانيها مرتبة، لكن لهذه المرتبة ثمن، الثمن حمْلُ الأمانة، فإنْ نجح بحملها كان فوق الخلق، وإن أخفق في حملها كان أشقى الخلق، بعد أنْ حَمَلَ الإنسانُ الأمانةَ زوّده بالعقل المُدرِك، وبالشهوة المحركة، وبالفطرة السليمة، وزوّده أيضاً بحرية الاختيار، وزوّده بكل ما يحتاج مِن أجل أن ينجح في حمل الأمانة، كأن الله عزّ وجل أرسله إلى الدنيا ليمتحنه بهذه الخصائص التي يتميز بها، من هنا تأتي بعض الآيات الكريمة كقوله تعالى:

**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة المُلك**

من هنا يأتي قوله تعالى:

**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)**

**سورة المؤمنون**

أُسمِعكم بعض الآيات:

**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**

**سورة الإنسان**

**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)

**سورة المُلك**

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)**

**سورة المؤمنون**

## 4- لماذا ابتُلي الإنسان في الدنيا؟

انتقلنا مِن علّة الخلق، ومن تصنيف الخلق، ومن الأمانة إلى أن الإنسان في هذه الدنيا مبتلى، وربما كان الابتلاءُ سببَ استحقاقه دخولَ الجنة، والابتلاء أيضاً سبب استحقاقه دخول النار، نحن في هذه

الدنيا مُبتَلون، بمعنى ممتحنون، نُمتحن بالمال، نُمتحن بالصحة، نُمتحن بالقوة، نُمتحن بالفقر، نُمتحن بالمرض، نُمتحن بالزوجة، نُمتحن بالأولاد، نُمتحن بالعلو في الأرض، نُمتحن بقلة الشأن في الأرض، كل شيء يصيبنا نُمتحن به، مِن هنا قال الله عزّ وجل:

**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)**

**سورة الفجر**

لا، ليس هذا إكراماً، الإكرام لا ينقطع، الإكرام لا ينتهي بالموت، الموت انقطاع كل شيء، أَيَلِيقُ بحضرة الله عزّ وجل أن يعطيك المال لفترة مؤقتة فإذا جاء ملَكُ الموت تركتَ كلَّ شيء دفعةً واحدةً؟ هذا ليس إكرامًا، إنما هو ابتلاء، قال تعالى:

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16) **كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17)**

**سورة الفجر**

ليس هذا عطاءً وإكراماً، وليس هذا حرماناً وإهانةً، كلاهما ابتلاء، امتحان:

**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)**

**سورة العنكبوت**

القضية قضية ابتلاء:

هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)

**سورة الأحزاب**

دع في تفكيرك أيها الأخ الكريم أنك وُجِدتَ على هذه الأرض، وَأَتَيْتَ إلى هذه الدنيا من أجل أن تُبتَلى، والابتلاء من أجل أن تدخل الجنة باستحقاق، والابتلاء من أجل أن يدخُلَ أهلُ النارِ النار باستحقاق، قال الله:

**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا** لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ **وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (42)**

**سورة الأنفال**

لأننا لا نستطيع أن نؤمن باليوم الآخر قبل أن نعرف طبيعة الحياة الدنيا، نحن في دار ابتلاء، نحن في دار امتحان، إنّ هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء، منزل ترح لا منزل فرح، مَن عرفها لم يفرح لرخاء، ولم يحزن لشقاء، قد جعلها الله دار بلوى، وجعل الآخرة دار عقبى، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سبباً، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عِوضاً، فيأخذ ليعطي، ويبتلي ليجزي.

أتمنى أن أكون قد مُكّنت من توضيح هذه الفكرة، نحن هنا في دار ابتلاء، في دار امتحان، في دار تكليف، في دار حمْلِ الأمانة، في دار فحص، أمّا إذا انقلبنا إلى الآخرة فنحن في دار تشريف، دار نعيم مقيم، دار مُتعة أبدية، دار سعادة خالدة، لذلك الأحمق هو الذي يستعجل طيبات الآخرة في الدنيا، قال الله:

**وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ** أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا **وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (20)**

**سورة الأحقاف**

يستعجلها، يستهلكها فإذا جاء الموت انقلب إلى عذاب أبدي.

## مستلزمات حمل الأمانة:

الآن خُلِقنا للسعادة وعُرِضت علينا أعلى مرتبة في السعادة بثمن وهو حمل الأمانة، المخلوقات جميعاً استنكفوا، وأشفقوا، وخافوا، وتهيبوا، والإنسان والجن قَبِلا حمل الأمانة، وحمل الأمانة اقتضى أن يُزوّدوا بالاختيار، أن يُزوّدوا بالشهوة لتكون محركاً لهم، أن يُزوّدوا بعقل يُدرك، أن يُزوّدوا بفطرة كاملة، وأن يُزوّدوا بكل شيء يُعِينهم على تحقيق هدفهم في الحياة.

ما دمنا قد ابتُلينا بحمل الأمانة ماذا يقتضي حملُ الأمانة؟ مادام الله عز وجل قد زوّدنا بقوة إدراكية، هذه القوة الإدراكية تقتضي أن نعرف الله عزّ وجل، لذلك من يستخدم هذه القوة الإدراكية بعض العلماء

قالوا: إن أعظم ما في الكون هو الفكر البشري، ما دام الله عزّ وجل قد زوَّدنا بهذه القوة الإدراكية، هذا التزويد يقتضي أن نعرف الله بها، فإذا سُخِّرت هذه القدرة من أجل الدنيا، من أجل الشر، من أجل الإيقاع بين الناس، من أجل الحِيَل، والختل، من أجل كسب الرزق الحرام، من أجل ترويج الباطل، من أجل إفساد الناس، من أجل الإيقاع بينهم، كان الذي فعل هذا قد خسر خسارة لا حدود لها.

ولأن الله عزّ وجل زوّدنا بحرية الاختيار، وبالقدرة الظاهرة على تنفيذ بعض الأفعال، لذلك يقتضي هذا التزويد أن نَعبُد الله عز وجل، القوة الإدراكية تقتضي أن نعرفه، والقدرة الظاهرة على تحقيق ما نختار تقتضي أن نعبُده، لذلك الدين كله أن تعرفه أولاً وأن تعبده ثانياً، الدين كله، قال تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)**

**سورة الأنبياء**

**أن تعرفه: ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ وأن تعبده، قال تعالى:**

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

**سورة الذاريات**

**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)**

**سورة الكهف**

لأن الله عزّ وجل خلَقَنا على فطرة كاملة، تُقَدِّر الإحسان، تُقدِّر العفو، تُقدِّر الرحمة، تُقدِّر العدالة، تقتضي هذه الفطرة أن نشكره على نعمه، وأن نحبه، لذلك في الصلاة تقول:

**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (2)**

**سورة الفاتحة**

أيها الإخوة الأكارم؛ تقتضي طبيعة الإنسان أن نعرفه، وأن نعبده، وأن نُحبه ونشكره، فطرتنا التي بُنِيت على تقدير الإحسان تقتضي أن نحبه وأن نشكره، وقدرتنا الظاهرة مع حرية الاختيار تقتضي أن نعبده،

وقوتنا الإدراكية تقتضي أن نعرفه، فأنت يجب أن تعرفه وأن تعبده وأن تحبه، هذا هو الامتحان، هذه هي الأسئلة، فالذي نجح في تحقيق هذه البنود نجح في الحياة وبعد الممات، ونجح إلى الأبد.

## ثمرة عمل الإنسان في الدارين هي النية فإما أن يسعد بها أو يشقى بها:

اليوم قلت كلمة معَ بعض الإخوة، قلت: هذا الذي أمر بإلقاء قنبلة على هيروشيما، وأمات في ثماني ثوان ثلاثمئة ألف إنسان، وعطّل الحياة، وعقّم التربة من الإنبات، وترك مئات الألوف من المشوَّهين، وفيما أعلم إلى سنوات عدة كان لايزال هناك بعض المشوهين من المُعَمّرين، هذا شرّ كبير أن تكون سبباً في هلاك عشرات الألوف، بل مئات الألوف، هذا العمل الشرير أعظم منه الذي فعله، لأن هذا العمل انتهى، الذي مات ماتَ، والمشوَّه مات، والأرض بعد ذلك أنبتت، لكن هذا الذي عمِل هذا العمل واجه عمله إلى الأبد، لذلك شَقِي به إلى الأبد، لذلك قيل: فاعل الشر شرٌّ مِن الشّر، هل هناك في الأرض ما هو أشرّ من الشر؟ نعم، فاعل الشر، وهل هناك في الأرض ما هو خير من الخير؟ نعم، فاعل الخير، لو أنك أنقذتَ إنساناً من الغرق هذا الإنسان بقي سليماً، لابد من يوم يموت، فهذا العمل الطيب انتهى، لكنك تواجه الله عزّ وجل بهذه النية الطيبة في إنقاذ الآخرين، هذه النية تَسعَد بها إلى الأبد.

إذاً أنت خُلِقت في الدنيا لتُبتلى، العمل إن كان خيراً، وإن كان شريراً ينتهي بالموت، وينتهي بانتهاء الحياة، لكن الذي يبقى هذه النية الطيبة، وهذه الإرادة الخيّرة، أو هذه النية الخبيثة، أو هذه الإرادة الشريرة، بهذه تَسعد بها إلى الأبد، وبهذه تشقى بها إلى الأبد.

## العقل يقتضي معرفة الله:

إذاً نعيد ونكرر؛ العقل يقتضي معرفة الله، وحرية الاختيار مع القدرة الظاهرة، أقول: الظاهرة، لأنك لو تعمقت في علم التوحيد لا تجد فعلاً إلا لله، والقدرة الظاهرة على تحقيق ما نريد تقتضي عبادة الله عز وجل، والفطرة السليمة التي فُطرنا عليها تقتضي أن نشكره وأن نحبه، فكل إنسان ليس على خط معرفة الله، وليس على خط عبادته وليس على خط محبته وشكره، فهو ضال مُضلّ:

فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ **فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ** فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (32)

**سورة يونس**

أين أنت أيها الأخ الكريم؟ هل أنت في طريق معرفته؟ أي هل أنت تحضر مجالس العلم من أجل أن تعرف كتابه وأحكامه وأسماءه الحسنى وصفاتِه الفضلى؟ مِن أجل أن تعرف تشريعه، وأمره ونهيه، ووعده ووعيده، وما أعدَّ لعباده المؤمنين مِن نعيم مقيم، وما أعدَّ للعصاة المجرمين من عذاب أليم.

هل أنت في طريق المعرفة؟ هل تؤْثر ساعة لذة على مجلس علم؟ هل تأتي إلى مجلس العلم لتعرف الله عزّ وجل لا لشيء آخر؟ تأتي لهذا المجلس لا تبتغي إلا معرفة الله عز وجل، هل أنت في طريق عبادته؟ هل تضبط جوارحك؟ بصرك؟ سمعك؟ لسانك؟ قوتك؟ يدك؟ رجلك؟ تفكيرك؟ هل تُعامِل الناس كما أمر الله عزّ وجل؟ هل تبيع وفق الشريعة الصحيحة؟ هل تشتري وفق الشريعة؟ وفق أمر الله عز وجل؟ هل أنت في طريق معرفته؟ وهل أنت في طريق عبادته؟ هل تؤدي العبادات أداءً صحيحاً؟ لا تبتغي سمعة ولا رياءً ولا جاهاً ولا قوة ولا استعلاء، وهل أنت في طريق حمده وشكره؟ هل تحبه؟ هل الله عز وجل أَحَبُّ إليك من كل شيء؟ قال تعالى:

قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (24)**

**سورة التوبة**

## الحكمة من وضع الإنسان في ظروف صعبة أحياناً:

شيء آخر؛ مادام الإنسان قد خُلِق ليُمتحن، ليُبتلى، لأن الابتلاء هو الطريق الوحيد لتستحق به دخول الجنة، أو ليستحق به المُعْرِض دخول النار، فالابتلاء هو ثمن الجنة، والابتلاء ثمن النار، لذلك الفتنة تعني الابتلاء أيضاً، من هنا اقتضت حكمة الله عز وجل أن يضع الإنسان في الظروف الملائمة، أي أصحاب

النبي عليهم رضوان الله عليه الصلاة والسلام وعليهم رضوان الله امتُحنوا امتحانات شتى كان من أبرزها امتحان الخندق.

معهم رسول الله، نبي عظيم، ورسول كريم، يُوحَى إليه عن طريق جبريل عليه السلام، والقرآن يُنزّل عليه بين ظهرانيهم، والآيات تترا، جاءهم كفار قريش، ومشركو العرب، وتحزَّبوا أمامهم وتجمعوا بأعداد كبيرة لإنهاء الإسلام، وَنَقَضَ اليهودُ عهدهم، وأُحكِمت الحلقةُ حولهم، وصار الإسلام على وشك التدمير الكلي، الله عز وجل قال: إن المؤمنين كُثُر، بعضهم إيمانه قوي، بعضهم إيمانه ضعيف، فصاحب الإيمان القوي لم يتزلزل، ولم يتأثر، ولم يضطرب، ولم يختل، ولم يضعف، ولم يخنع، ولم يَهِنْ، ولم يحزن، قال تعالى:

**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)**

**سورة الأحزاب**

أمّا ضِعاف المؤمنين فقالوا:

**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ** مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12)

**سورة الأحزاب**

**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)**

**سورة الأحزاب**

انتهى الأمر، أي لا يمكن أيها الأخ الكريم لا يمكن إلا أن تُبتلى في هذه الدنيا، تُبتلى بالزوجة، هل تؤْثِر رضاها على رضاء الله؟ هل تتساهل معها ولو كان ذلك على حساب دينك؟ هل تنسى أمك كلياً؟ الزوجة تُبتلى بها، ليس معنى ذلك أنها هي بلوى، لا، هي إنعام من الله، هي تكريم، لكن ابتلاء وليس بلوى، تُبتلى بها، هل تترك مجالس العلم بعد الزواج؟ كم مِن شاب متحمس مندفع بعد الزواج يتغيب عن مجالس العلم؟! يؤثر مجالس الزوجة على مجالس العلم، هذا ابتلاء، قد يكون الإنسان فقيراً، فهو مستقيم على أمر الله، يأتيه المال الوفير إذا به يتقاعس، يريد المُتع الرخيصة، يريد أن ينحرف أخلاقياً، يريد أن يزور بعض بلدان العالم ليعطي نفسه ما تشتهي، يقول لك: أنا معي مال، ويجب أن أستمتع به، الله عز وجل امتحنه بالمال

وسقط، تُمتحن بالفقر، هل تصبرُ أم تكفر؟ تُمتحن بالمرض، هل تلجّ أم تقول لابد من حكمة وراء هذا المرض؟ فالنتيجة أنك مُبتلى، وأنا معكم مُبتلى، وما مِن مخلوق على وجه الأرض إلا وهو مبتلى، والابتلاء سُنة الحياة، ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ الابتلاء ثمن الجنة، والابتلاء ثمن النار، أبداً.

فلذلك خَلَقَ الله عزّ وجل في الإنسان الشهوة، فالشهوة إما أن تكون قوة محركة تنقله إلى آفاق السعادة، وإما أن تكون الشهوة قوة مدمرة كهذا الوقود السائل، إما أن يُحرِّك المحرّك، تأخذك السيارة إلى حيث تشتهي، وإما أن يُحرق السيارة، والوقود هو هو، إذا أُحسِن استعماله وسار في أماكنه الصحيحة نقلك من مكان إلى مكان، وإذا خرج عن خط سيره وصُبّ فوق السيارة وجاءته شرارة أحرقها، هكذا الشهوة، الشهوة قوة محركة، اللهُ عزّ وجل خَلَقَ الملائكة التي تُلهِمك الخير، وخلق الشياطين التي تُوسوس بالشر، هناك توازن، خَلَقَ الخير، وخلق الشر، والشر والخير بيد الله عزّ وجل مِن أجل أن تُمتحن، من أجل أن تُبتلى، طبعاً هذا الموضوع كله تمهيد لليوم الآخر، لأن هنا الابتلاء وهناك الجزاء.

## من لوازم الإيمان بالله الإيمان باليوم الآخر:

افعلوا ما شئتم، هكذا قال الله عز وجل:

إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ **يَأْتِي** آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ **اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ** إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)

**سورة فصلت**

أنتم مبتلون، الحساب في الآخرة، اليوم عمل ولا جزاء، وغداً جزاء ولا عمل، لذلك أكثر الآيات الذين آمنوا بالله وباليوم الآخر، من لوازم الإيمان بالله الإيمانُ باليوم الآخر.

لهذا كان في الحياة خير وشر، وحقّ وباطل، ولذة وألم، وسرور وحزن، وغنى وفقر، وصحة ومرض، وعلو وانخفاض، وشهرة وخمول، وإقبال وإدبار، قال تعالى:

وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ **لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (49)**

**سورة الذاريات**

الصحة يقابلها مرض، الفراغ يقابله شغل، القلق يقابله طمأنينة، السرور يقابله حزن، الغنى يقابله فقر، الصحة يقابلها مرض، الخير يقابله شر، اللذة يقابلها ألم، لهذا وُضِع الإنسانُ في أكمل الشروط، وأنجحِ الشروط من أجل أن يُبتلى، وأن يظهر على حقيقته، ليستحق الجنة، أو ليستحق النار، قال تعالى:

**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)**

**سورة الذاريات**

## الإنسان ممتحن بكل شيء:

قال سبحانه:

**إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)**

**سورة طه**

هذه الآخرة، راقب نفسك، دخلت للبيت مُبتلى، الأكل غير جاهز، أتصبر؟ أتكون حليماً أم تكون إنساناً شرساً؟ قد يوجّه لك إنسان كلمة نابية أتصبر؟ أتحلم؟ أم تردّ له الصاع صاعين؟ معك مبلغ من المال أتعطيه للمحتاجين أم تنفقه على شهوتك؟ أنت ممتحن، راقب نفسك في عملك ممتحن، يأتيك الشاري يقول لك: انصحني، أتُؤثِر اللهَ ورسوله وتنصحه بالبضاعة الرائجة أم تنصحه بالبضاعة الكاسدة وتسقط من عين الله عز وجل؟ يأتيك الموكّل، أتقول له: هذه الدعوى لا أمل منها أبداً؟ لا تُتعب نفسك؟ إن كل القوانين في جانب خصمك؟ أم تقول له: لا، أنا آخذ لك حكماً ضد خصمك لكن هذه الدعوى تكلفك كذا وكذا؟ أنت مُمتحن، بالمحاماة مُمتحن، وبالطب مُمتحن، يأتيك المريض، وتعلم علم اليقين أنّ هذا المريض شفاؤه على يد فلان، المختص في هذا المرض، أما أنت فلا تعرف دقائق هذا المرض، أتقول له: اذهب إلى الطبيب فلان وتُفوّت عليك ما يدفعه لك من مال؟ الصيدلي إذا انتهى مفعول هذا الدواء أتحكّ التاريخَ وتبيعه كما لو كان فعّالاً؟ تُمتحن، يأتي القصاب طفل صغير أتستغل جهله تعطيه أسوأ ما عندك من اللحم؟ أنت ممتحن بكل ثانية، بكل لحظة، بكل دقيقة، ممتحن في بيتك، ممتحن في غرفتك الخاصة، ممتحن مع أهلك، أتعصي الله؟ ممتحن مع أولادك، ممتحن مع جيرانك، ممتحن في كل حركة من حركاتك، وكل سكنة من سكناتك.

## الدنيا دار ابتلاء والآخرة دار جزاء:

إن شاء الله نتابع هذا الموضوع في الدرس القادم، هناك مجموعة دروس تمهيدية لنصل من خلالها إلى ضرورة الإيمان باليوم الآخر، فالإيمان باليوم الآخر يُغيّر حياة الإنسان رأساً على عقب، إذا آمنت أن كل شيء تفعله تُحَاسب عنه مهما دق انضبط الإنسان، أي لا يستطيع الإنسان أن يُغيّر سلوكه تغبيراً جذرياً إلا إذا آمن باليوم الآخر، لا يستطيع الإنسان أن يتجه بكليته إلى الله عز وجل إلا إذا نقل اهتمامه كله من الدنيا إلى الآخرة، لذلك قيل: إن أسعد الناس فيها أرغبهم عنها، وأشقاهم فيها أرغبهم فيها، إذا عرفت الآخرة وآثرت الآخرة جاءتك الدنيا والآخرة، فإذا لم تعرف الآخرة وآثرت الدنيا خسرت الدنيا والآخرة، قضية مصيرية، أي أخطر موضوع، إذا عرفت أنك خُلِقت في دنيا محدودة قصيرة منقطعة، إنما هي ابتلاء، وأن الجزاء يوم القيامة سعدت في الدنيا والآخرة، فإذا غفلت عن هذه الحقيقة وظننت أن الدنيا هي كل شيء:

**فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45)**

**سورة الطور**

حينما تعرف حقيقة الأمر، لذلك قال الله عزّ وجل:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (19) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)**

**سورة الحشر**

أرجو الله عز وجل أن أكون قد وفقت إلى توضـــيح معنى الابتلاء، ما من مخلوق من مخلوقات الأرض الإنســان بالذات إلا وهو مبتلى، بكل شــيء، في كل موقف، وفي كل وقت، وفي كل زمان، وفي كل مكان، تســافر تبتلى، تتســاهل في تطبيق الشــرع؟ ربما كنت تنتمي إلى جماعة دينية مؤمنة أنت في الطريق تغض بصرك، فإذا سافرت إلى بلاد أخرى أتنظر إلى الحرام؟ هذا ابتلاء، السفر كان ابتلاء إما أن تنجح وإما أن ترسب حتى في السفر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 44-63: الإيمان باليوم الآخر2- تتمة الحقائق التي ينبغي على الإنسان أن يعرفها عن اليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## ملخص الدرس الماضي:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الرابع والأربعين من دروس العقيدة.

في الدرس الماضي بيّنا أن بين يدي الإيمان باليوم الآخر مجموعة من الحقائق، هذه الحقائق تتلخص في أن الله سبحانه وتعالى عرض الأمانة على السماوات والأرض والجبال، وأنّ السماوات والأرض والجبال أبيْنَ أنْ يحملنها وأشفقْنَ منها وحملها الإنسان، ومعنى أن الإنسان قد حمل الأمانة أي قَبِلَ أن يصل إلى أعلى مرتبة وُضِعت للمخلوقات، لكنّ هذه المرتبة مرتبة جمالية، إنه أسعد مخلوق على وجه الأرض لو أنه حمل الأمانة كما أرادها الله عزّ وجل.

هذا الإنسان حينما حمل الأمانة سَخَّر اللهُ له ما في السماوات والأرض، وزوّده بعقلٍ كقوة إدراكية، وزوّده بحرية اختيار، وزوّده بقدرة ظاهرة على تحقيق مُراده، وزوّده بفطرة سليمة أعانه بها على اختيار الحق، وخلَق له الكونَ، وأنزل الكتب، وبعث بالأنبياء، وسخّر الدعاة والعلماء، كل هذا من أجل أن يتعرف هذا الإنسان إلى الله عزّ وجل، فإذا عَرَفه عَبَدَه، وإذا عَبَده سَعِد بِقُرْبِه في الدنيا والآخرة، فالقوة الإدراكية تقتضي أن يتعرف الإنسان إلى الله عزّ وجل، لا أن يُسخِّرَها لأهداف رخيصة، والإرادة الحرة مع القدرةِ الظاهرةِ على فِعْلِ ما يريد الإنسان، هذا أيضاً يجب أن يكون مُؤدِّياً إلى العبادة الصحيحة، والفطرةُ السليمةُ التي فطرَ اللهُ الناس عليها تقتضي أنْ يُحبوا الله عز وجل وأن يشكروه، هذا ملخص الدرس الماضي.

## تتمة الحقائق التي ينبغي على الإنسان أن يعرفها عن اليوم الآخر:

### 1- الابتلاء هو علة وجود الإنسان في الكون:

نتابع هذه الحقائق التي لابد مِن عَرْضها بين يدي الإيمان باليوم الآخر، مِن أجل أن يستحقَّ الإنسانُ هذه السعادةَ العظمى يومَ القيامة جَعَلَه في الدنيا مبتلى، ابتلاه ومعنى ابتلاه أي امتحنه، إمّا أن يُؤْثِر رضاءَ الله عزّ وجل، وإمّا أن يؤثِر رضاء الناس، إمّا أن يسعد بإقباله، وإمّا أن يبحث عن لذته، إمّا أن يُؤْثِر جانب الخير، وإمّا أن يُؤثِر جانب الشر، إمّا أن ينطلق من مبادئه، وإمّا أنْ ينطلقَ مِن نزواته، فالإنسان حينما ابتلي في هذه الدنيا وقد بينت لكم في الدرس الماضي الآيات العديدة التي وردت في كتاب الله سبحانه وتعالى، وتؤكد أن العلة الأولى التي خُلِقْنَا مِن أجْلها في هذه الحياة الدنيا هي الابتلاءُ، قال تعالى:

**إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (2)**

**سورة الإنسان**

**تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة المُلك**

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)**

**سورة المؤمنون**

إذاً الابتلاء والنجاح في الابتلاء ثمنُ هذه السعادة العظمى، من أجل أن يُبتلى الإنسان زوّده الله عزّ وجل بأشياء ثنائية، الشيطان يوسوس له والمَلَك يُلهمه، فإما أن ينحاز إلى جانب الشيطان، وإما أن يستجيب للمَلَك، نوازع الخير تدعوه إلى فعل الخير، والشهوات التي أودعها الله فيه تدعوه إلى اقتناص اللذة ولو على حساب الآخرين.

في الحياة إمّا أن يستجيب لعقله وإما أن يستجيب لشهوته، إما أن يستجيب لنداء الرحمن أو أن يستجيب لوسوسة الشيطان، إما أن يُؤثِر الفضيلة وإما أن ينحاز إلى الرذيلة، إما أن يُؤثِر المصلحة وإما أن يُؤثِر المبدأ، فأنت بين المبدأ والمصلحة، بين الحاجة والقيم، بين وسوسة الشيطان ونداء الرحمن، بين نوازع الخير ونوازع الشر، بين العقل وبين الشهوة، بين أن تكون مع الملائكة وبين أن يهبط الإنسان إلى مستوى الحيوان، هذا التنويع وهذا التخيير هو علّة الابتلاء.

## 2- توزيع القدرات البشرية تعود إلى عدة معان:

شيء آخر، الله سبحانه وتعالى جلّت حكمته زوّد الإنسان بقدرات متفاوتة، هذا أعطاه ذكاءً، وهذا أعطاه مالاً، وهذا أعطاه قوة عضلية، وهذا أعطاه قوة اجتماعية، وهذا أعطاه قدرة على الإقناع، فصاحةً وبلاغة وإقناعاً، وهذا كان عييًّا، وهذا كان غبياً، وهذا كان ضعيف النفس، هذه القدرات التي مَنَحَها الله لعبادة منحها لهم بشكل متفاوت، لهذا التفاوت تفسيران: أحد هذين التفسيرين أنّ الله سبحانه وتعالى تفَضَّلَ على خلقه ابتداءً بالإيجاد، وتفضّل على خلقه ابتداءً بهذه القدرات الخاصة التي منحهم إياها، فليس للعباد أن يعترضوا على هذه القدرات، لأنها مَحْضُ فضلٍ، هذا تفسير.

تفسير آخر، أنّ الله سبحانه وتعالى حينما نَظَرَ إلى خلقه رأى كل مخلوق له طلب، بحَسَبِ طلبِ هذا المخلوقِ أعطاه القدرات التي تُحَقِّقُ له طلبه، هذا الذكاء، وهذه القوة، وهذا المال، وهذه الملكات والمواهب، هذه كلها وزِّعت بعد أن نظر الله عز وجل إلى خلقه، ورأى مطالبهم، هناك تفسيران إما أنها وزِّعت ابتداءً وهي محض فضل وليس للمرءِ حقّ الاعتراض لأنه ليس له حق أن يطالب ربه بشيء وقد خُلِق من عدم.

وإما أن الله عز وجل وزّع هذه القدرات المتفاوتة على عباده بحسب مطالبهم، يؤكد هذا قولُه تعالى:

**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (18) وَمَنْ أَرَادَ الْآَخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (19) كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)**

**سورة الإسراء**

أي هذا الذي مُنِح قدرة على الإقناع إنما كانت هذه القدرة تحقيقاً لطلبه، وهذا الذي مُنِح مالاً وفيراً إنما مُنِح هذا المال تحقيقاً لطلبه، ﴿**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**﴾.

## المسؤولية تكون على قدر ما أوتي صاحبها من قوة وعلم ومال:

لكن المسؤولية على قدر الموهبة، فالفصيح الذي أُوتِيَ فصاحةً وقدرةً على الإقناع، وتَلَكَّأَ في نُصرَة الحق، هذا حسابُه أشدُّ مِنَ الذي لم يُؤْتَ هذه القدرة، والذي أوتي المال العريض، إذا دُعِي إلى فعل الخير واستنكف هذا له مسؤولية أكبر بكثير مِنَ الذي أوتي كفافَ يومه، وهذا الذي أوتي قوة وشأناً في المجتمع بإمكانه أن يقف إلى جانب الضعيف والمؤمن واستنكف له حساب خاص أشدُّ مِن حساب الذي كان في الأرض مستضعفاً، فكل إنسان مُحاسَب، ومسؤول على قدر ما مكَّنه الله في الدنيا، لذلك كان سيدنا عمر رضي الله عنه يقول: لو أنّ بغلة في العراق تعثرت لحاسبني الله عنها، لمَ لمْ تصلح لها الطريق يا عمر؟ ليتني أقدُم على ربي لا لي ولا عليّ، ليت أمَّ عمر لمْ تلد عمر، ليتها كانت عقيمة.

أدرك عِظَم المسؤولية التي تحمَّلها، لأنّ الله عزّ وجل مكّنه في الأرض، فالمسؤولية والتَّبِعَة على قدر التمكين، الذي اطّلع على العلم، وعرف أحكام العبادات، هذا إذا قصّر في أدائها حسابُه أشدّ مِنَ الذي لم يطّلع، إذاً كلما أُوتِيتَ شيئاً يزيد على الآخرين ارتفع مستوى حسابك عند الله عزّ وجل، هذه حقيقة لا شكّ فيها، ممّا يؤكّد هذه الحقيقة أنّ مَن رَزَقَه الله عقلاً وذكاءً كان مسؤولاً عن هذه المنحة بمقدارها، مَن رَزَقَه الله عمراً مديداً كان مسؤولاً عن عمره بمقدار امتداده، مَن حَبَاه اللهُ علماً كان مسؤولاً عن علمه الذي حباه الله إياه على مقداره، مَن آتاه اللهُ قوةً جسمانية وشجاعة كان مسؤولاً عن ذلك بمقدار العطاء الرباني، من آتاه الله ملكاً وسلطاناً كان مسؤولاً عن ملكه وسلطانه بمقدار ما أوتي، وهكذا سائر الهبات، وسائر الملكات، وسائر القدرات، والإمكانات، والاستعدادات، والأهليات، هذه كلها بقدر توافرها تُحاسَب عليها، مِن هنا قال بعض المفسرين:

**ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ (8)**

**سورة التكاثر**

أيَّةَ منحة مَنَحَك اللهُ إياها سوف تحاسب، هذا المال كيف أنفقته؟ هذه القوة العضلية كيف استهلكتها؟ هذا العقل القوي كيف استخدمته؟ في أي موضوع استخدمته؟ هذا الشأن الاجتماعي ماذا فعلت به؟ هنا

المسؤولية، لذلك: عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ به؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلاهُ؟**

**صحيح الترمذي**

هذه المعاني تؤكِّدها بعضُ هذه الآيات، قال تعالى:

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (17)**

**سورة الفتح**

وقوله تعالى:

**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (30) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (31)**

**سورة الأحزاب**

إذاً المسؤولية على قدر العطاء، يُحاسبك بقدر ما أعطاك، مِن علم، مِن حكمة، مِن فهم، مِن إدراك، مِن قوة، مِن مال، مِن شجاعة، مِن شأن، مِن تمكين، ويقول الله عز وجل:

**وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا (34)**

**سورة الأحزاب**

أي الشاب الذي ينشأ في بيت علم، يستمع إلى الحق صباحاً مساء، هذا الشاب مُحَاسَبٌ عند الله أكثر مما يُحَاسَب شاب نشأ في بيت الجهل، في بيت الانحراف، فكل ميزة خصّك الله بها يقابلها مسؤولية تزيد بها عن الآخرين، قال تعالى:

**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)**

**سورة الطلاق**

## 3- التفاوت العلمي والمادي بين الناس هو مجرد اختبار وامتحان:

الآن يوجد عندنا معنى آخر هو أن الله سبحانه وتعالى جعل الناس في الدنيا درجات، وفي هذا حكمة بالغة، أي هناك تفاوت في القوة الإدراكية، تفاوت في القوة العضلية، تفاوت في الشكل، تفاوت في الشأن، تفاوت في النواحي العاطفية، تفاوت في النواحي الاجتماعية، تفاوت في المستوى الاقتصادي، هذا التفاوت بعلم الله وتقديره، قال تعالى:

**أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (32)**

**سورة الزخرف**

أي هذا جَعَلَه يقبع وراء مكتب فخم، وعنده حاجب، في المظهر الخارجي أن هذا الذي يجلس وراء المكتب له شأن كبير، وهذا الحاجب الذي يقف على الباب شأنه قليل، لكن الله عزّ وجل له مقياس آخر، قد يكون هذا الحاجبُ عند الله عزّ وجل، إذا كان مطيعاً له، قائماً بواجباته، قد يكون له شأنٌ يفوق شأن هذا الذي يخدمه بكثير، فربنا عزّ وجل جَعَلَ الدنيا مراتبَ، وجعل الحياةَ مستويات، لكن الذي يريده أنْ يُمْتَحَنَ كل هؤلاء، فالفقير قد يُمْتَحن بصبره على الفقر، وتعفُّفه عن المال الحرام، بينما الغني يُمتَحَن امتحاناً ليس أقلَّ صعوبةً من هذا الامتحان، يمتحنه بقدرته على ضبط نفسه وهو غني، هل يحمله غناه على البطر؟ أو على الكِبْر؟ أو على الإسراف؟ أو على البخل؟ أو على التمتع بما حرّم الله عزّ وجل؟ فالفقير مُبتلى، والغني مُبتلى، الفقير ابتُلي بالفقر ليمتحن صبره، تُمتحن عفته، يمتحن ورعه، والغني ابتلي بالغنى ليمتحن ضبطه لنفسه، لتُمتحن استقامته، لتُمتحن سجيته، ليُمتحن سخاؤه، فالغني مبتلى والفقير مبتلى.

والضعيف مبتلى، المستضعف في الأرض مبتلى، ليس له شأن، والقوي مبتلى، المستضعف مبتلى بصبره، ورضاه بما قَسَمَ الله له، والقوي مبتلى، هل تحمله قوَّتُه على تجاوزِ حقوق الآخرين؟ كلاهما مبتلى، لو دققنا ما من مخلوق ذكر كان أو أنثى، كبير كان أو صغير، غني كان أو فقير، إلا وهو مُبتلى بقدْر ما أعطاه الله عزّ وجل، إذاً لولا أن هناك تفاوتاً لما كانت الحياة، لو أن الناس جميعاً كانوا في أعلى مستوى فكري، من الذي يرضى بعمل يدوي؟ لو أن الناس جميعاً كانوا مهرة في أعمال يدوية من الذي يُؤلِّف الكتب؟ لابد من

تمايز في كل النواحي، لو أن الناس جميعاً كانوا بقدرات متساوية، هذه القدرات لا معنى لها، فقدت قيمتها، لو أن الناس جميعاً كانوا بشكل واحد فقدت بعض الميزات قيمتها، فهناك تخطيط إلهي رائع، والكل مبتلى، الضعيف مبتلى، الذي آتاه الله شكلاً كان وسيماً قسيماً مُبتلى، هل يتيه بشكله على الناس؟ هل يستغله في إغواء المعجبات مثلاً؟

والذي آتاه الله شكلاً أقل من هذا هل يجتهد في تأكيد ذاته عن طريق الخُلُق القويم والعمل الطيب؟

## الحكمة الإلهية في توزيع التفاوت العلمي والمادي بين الناس:

آية أخرى:

**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (165)**

**سورة الأنعام**

يكون صاحبُ محل تجاري مُبتلى، والصانع مبتلى، صاحب المحل عنده قائمة ابتلاء طويلة، هل هذه البضاعة اشتراها بشكل صحيح؟ وهل أعطاها سعراً مناسباً؟ وهل باعها بطريقة شرعية؟ وهل عاملَ الشاري معاملة طيبة إسلامية أم غشّ وكذب وحلف أيمان كاذبة؟ مُبتلى، وهل عامل هؤلاء الموظفين معاملة صحيحة؟ هل عاملهم بالعدل؟ أمّا الصانع الذي في هذا المحل فهو مُبتلى، هل كان مخلصاً لسيده؟ هل غشّ الناس؟ هل أخذ شيئاً من الأجرة لنفسه؟ هل نافس الشركة؟ فكل إنسان مبتلى على حجمه، أصحاب الحجوم الكبيرة لهم ابتلاء من نوع خاص، وأصحاب الحجوم الصغيرة لهم ابتلاء من نوع خاص، فلذلك الإنسان، هناك عدالة في الابتلاء، هناك تفاوت في العطاء، أمّا عدالة في الابتلاء، كل الناس مُبْتَلَوْن، المرأة تُبتلى في بيت زوجها، هل كانت زوجة صالحة؟ هل حفظت زوجها في نفسها؟ وماله؟ هل سرته؟ هل نغصت عليه عيشه؟ هل كانت سبباً لمتاعبه أم كانت سكناً له كما أرادها الله عزّ وجل؟ تُبتلى، هل أهملتْ أولادها أم قعدت على بيت أولادها؟ أيّما امرأة قعدت على بيت أولادها فهي معي في الجنة، هل كانت عوناً للشيطان على زوجها، أم كانت عوناً لزوجها على الشيطان؟ هل صبرت عليه؟ هل كانت مؤنتها خفيفة أم حمّلته ما لا يطيق حتى حملته على أكل المال الحرام؟ المرأة تبتلى، والزوج يبتلى، يُبتلى مع أمه، يُبتلى مع زوجته، مع أولاده، مع جيرانه، مع زبائنه، في

عمله، مع مَن هم أدنى منه، مع مَن هم أعلى منه، الابتلاء على قَدَمٍ وساقٍ، ما مِن مخلوق على وجهِ الأرض إلا وهو مُبتلى:

**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة الأنعام**

**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)**

**سورة المؤمنون**

**إذاً: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.**

## 4- العطاء الرباني لإنسان دون إنسان هو ابتلاء وليس تكريماً:

شيء آخر، يوجد آية دقيقة جداً في سورة الفجر هي من صُلب موضوعنا، قال تعالى:

**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)**

**سورة الفجر**

هذه المقولة هي عين الخطأ، ﴿**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ**﴾ ابتلاه بالمال أكرمه، سكن في بيت مريح، أعطاه مالاً وفيراً، أعطاه شأناً، أعطاه، أعطاه، هو يظنّ هذا إكراماً، مع أنّ هذا في حقّ الكريم ليس إكراماً، الدليل كل هذا العطاء ينقطع بالموت، إذاً ليس إكراماً، ما منّا واحد إلا وقَتَل بعوضة، إذا قتل المرء منّا بعوضة بماذا يُحسّ؟ هل يُحسّ بالذنب؟ هل يُحسّ أنّه أزهق روحاً؟ هل يُحس بوخز الضمير؟ أبداً، هل يُحسّ أنه اقترف إثماً؟ قد يقتل عشرات البعوضات ويصلي العشاء صلاة متقنة، أليس كذلك؟ ما معنى هذا؟ معنى هذا أن البعوضة لا شأن لها عند الله إطلاقاً، والدليل: عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ.**

**الترمذي: إسناده صحيح أو حسن**

جناح بعوضة، ومع ذلك إذا الإنسان الله أعطاه شأناً، أو أعطاه مالاً، أو أعطاه قوة، أو أعطاه أشياء ممّا يَحسُد الناسُ بعضهم بعضاً عليه هذا ليس عطاءً، والدليل أنه ينقطع بالموت، يأتي الموت فينقطع

كلُّ هذا العطاء، فربنا سماه ابتلاء قال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ﴾ هو، هذه مقولته ﴿رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾.

**وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (16)**

سورة الفجر

قد يظن هذا إهانة وحرماناً وبغضاً، هذا أيضاً عين الخطأ، عين الخطأ أن تظن المال إكراماً والحرمان منه إهانة، إيلاماً، لكن الصواب ﴿كلا﴾ هذه كلا حرف ردع، ليس عطائي إكراماً، ولا مَنْعِي حرماناً، إنّ عطائي ابتلاء، وحرماني دواء، إذا أعطى الله عزّ وجل الإنسان مالاً هذا ابتلاء.

## متى يسمى منح المال إكراماً من الله؟

متّى يُسَمَّى المال إكراماً؟ هناك حالة، إذا أعطاه الله مالاً مبتلياً إياه به فأنفقه في طاعة الله، بعد أن يُنفَق المال في طاعة الله انقلب هذا الابتلاء إلى إكرام، أكرمني اللهُ بهذا المال حيث وفَّقني إلى إنفاقه في طاعة الله، الزوجة، حينما يقترن الإنسان بامرأة هذا ابتلاء، فإذا وُفِّقَ إلى الأخذ بيدها إلى الله ورسوله، علّمها أمرَ دينها، حثّها على الصلاة، جعلها مصونة، عفيفة، جعلها مثلاً أعلى لنساء المؤمنين، الآن هذه الزوجة نعمةٌ من الله عزّ وجل، لماذا؟ لأن هذا المال الذي أنفقتَه في طاعة الله، وهذه الزوجة التي دللتَها على الله سيكونان نوراً لك في قبرك، هذا العطاء صار مستمراً، لم يَعُدْ مقطوعاً، لو أنك استمتعت بالزوجة فقط مِن دون أن تَدُلَّها على الله، عند الموت تبتعد عنها، وتبتعد عنك، لكنك إذا دللتها على الله، هذه الزوجة بهدايتها نورٌ لك في قبرك، يستمر هذا العمل، فكلُّ عملٍ صالح يستمر أثرُه بعد الموت، إذاً: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ*وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ على كل حينما ينكشف الغطاء يذوب الإنسان خجلاً من الله عزّ وجل، لأن الذي أعطاه إياه اللهُ عزّ وجل هو عين الحكمة، لذلك قال الإمام الغزالي: ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني.

## 5- الأجر يكون على قدر الابتلاء:

آية ثانية دقيقة جداً في هذا الموضوع، قال تعالى:

**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ** وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)

**سورة محمد**

لمّا يُنهِي الله عزّ وجل جيشاً محارباً، ينهيه بمرض الطاعون، ينهيه بزلزال، ببركان، هذا انتصارٌ مِن الله مباشر، لكن الناس ليس لهم أجر، أما عندما يكون المؤمنون مثلاً في بدر، الله عزّ وجل كان بالإمكان أن يصيح بهم صيحة واحدة فإذا هم جميعاً خامدون، هذا شيء من قدرة الله عزّ وجل، كُفار قريش حينما جاؤوا ليحاربوا النبي عليه الصلاة والسلام في بدر، أليس في الإمكان أن تكون صيحة واحدة تأخذهم جميعاً فإذا هم خامدون؟ لكنَّ هؤلاء المسلمين عندئذٍ لا أجر لهم.

آخر آية قال تعالى:

**إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (7)**

**سورة الكهف**

أيضاً زخارف الدنيا، أحياناً يوجد أماكن جميلة، يوجد بيوت جميلة، منتجعات، يوجد مزارع، يوجد مركبات فخمة، يوجد طائرات خاصة، يوجد يخوت في البحر، يوجد جزر في بعض المحيطات، مشتى يقول لك، اشترى جزيرة بكاملها، هذا أوناسيس كان أغنى أغنياء العالم، أين هو الآن؟ فهذه الزينة وهذا المال العريض وهذه المتع هذه عند الله لا قيمة لها، والدليل يأتي الموت فينهيها، إذاً لازلنا في موضوع الابتلاء، أي علة وجودنا على هذه الأرض أننا مبتلون.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 45-63: الإيمان باليوم الآخر3

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## السنن أو القوانين الإلهية في القرآن الكريم:

### 1- قانون الجزاء الرباني:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الخامس والأربعين من دروس العقيدة.

لا زلنا في موضوع كبير، أحد أركان الإيمان الخمسة وهو الإيمان باليوم الآخر، وقد تحدثنا كمقدمة لهذا الموضوع كيف أن الإنسان قَبِل حَمْل الأمانة ليصل بهذه الأمانة إلى أعلى درجة من درجات السعادة الأبدية، وأنه بحملِ الأمانة لابدّ من أن يُبتلى، وأنّ الابتلاء ثمن الجنة، وفي الدرس الماضي والذي قبله أمضيناهما في الحديث عن الابتلاء، وكيف أن الابتلاء سنة الله الكبرى في الدنيا، وأن الإنسان لن يستحق دخول الجنة إلا إذا نجح في هذا الابتلاء، واليوم إلى بعض السنن الثابتة التي سنّها الله عزّ وجل.

في القرآن الكريم تأتي كلمة السّنّة:

**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا (23)**

**سورة الفتح**

اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا **وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (43)**

**سورة فاطر**

كلمة السنة بالمعنى الحديث القانون، والقانون بالتعريف الدقيق هو العلاقة الثابتة بين شيئين، فإذا تحدثنا عن السنن المطّرِدة أو المطّرَدة –كلاهما صحيح–التي سنّها الله عزّ وجل فمِنْ قَبِيل الحديث عن القوانين الثابتة التي قنَّنها الله عزّ وجل، من هذه السنن الثابتة، أو من هذه القوانين الثابتة قانون الجزاء الرباني، هناك جزاء، أي اعمل ما شئتَ، افعل ما بدا لك، كل شيء له ثمن، الإحسان له جزاء، والإساءة لها جزاء، وبرّ الوالدين له جزاء، وعقوقهما له جزاء، والرحمة بالزوجة لها جزاء، والقسوة عليها لها جزاء، والصدق مع الناس له جزاء، وخيانتهم له جزاء، أيُّ عملٍ فكري، أو قلبي، أو كلامي، أو فعلي، صغيرٍ أو كبير، فردي أو جماعي، خاص أو عام، معروف أو مجهول، ظاهر أو خفي، أيّ عمل يفعله الإنسان لابد من أنْ يلقى جزاءه، متى؟ بعد قليل، مبدئياً في الدنيا والآخرة، أي كل موقف تَقِفه، كل كلمة تقولها، كل عمل تعمله، كل تفكير تُفكر فيه، أي شيء تفعله، لابد من أن تلقى نتيجته، لذلك مِنَ الغباء والسذاجة والحمق أنْ تظنَّ أو أن تتَوَهَّم أنَّك إذا فعل السيئات ستنجو من عقاب رب الأرض والسماوات، اعمل ما شئت، إنّ لكل حسنة ثواباً، وإنّ لكل سيئة عقاباً، والديّان موجود، والبرّ لا يبلى، والذنب لا يُنسى، والديان لا يموت، اعمل ما شئت كما تدين تُدان.

## الابتلاء يستتبع الجزاء:

الابتلاء كما قلنا يستتبع الجزاء، ما معنى أنْ تُجري الجامعة امتحاناً وتنفق عليه مئات الألوف وتجمع من أجله مئات المراقبين وتُجهِد نفسها في طبع الأسئلة وفي اختيارها بحيث تغطي المنهاج كله، وأن تجمع الطلاب في شهر أو شهرين في قاعات بساعات عديدة يكتبون؟ لو أنّ هذه الجامعة جمعت هذه الأوراق، وأحرقتها، وانتهى الأمر، هل يُعقل أن تفعل جامعة ذلك؟ ما دام هناك امتحان فلابد من نجاحٍ أو رسوب، ولابد مع النجاح مِن ارتقاء إلى صفّ أعلى، ولابد مع الرسوب مِن تضييعِ عام بأكمله، ولا بد مع النجاح في الصف الأخير من تعيين في وظيفة مرموقة، أيُعقل أن يكون ابتلاء بلا جزاء؟ من لوازم الابتلاء الجزاء، أمضينا الدرسين السابقين في الحديث عن الابتلاء، وفي اليوم نتحدث عن الجزاء، فكل عمل له جزاء، فهنيئاً لمَن عرف ربه، وعرف الواحد الديان، وتعامل معه فأخلص له، وأحسنَ لعباده، أي أنت حينما تخاف الله عزّ وجل، ولاَ تَغش مسلماً، أيّعقل أن يأتي رجل ليبثّ في قلبك الرعب؟ لا والله، إن خفتَه فلن يُخيفك من أحد، وإن لم تخفه

فسوف تخاف من أحقر الناس، وسوف ترتعد فرائصك من أتفه الناس، إما أن تخافه، وإما أن تخاف من عبدٍ لا يخافه.

هذا الابتلاء لم يكن إذا كان أمام الإنسان طريق واحدة، أي كيف نقول: نمتحن الإنسان؟ كيف نبتليه إذا كان أمامه طريق واحد؟ لابد من طريقين، لذلك كان طريق الخير والشر، طريق الحق والباطل، طريق الإحسان والإساءة، طريق الإخلاص والخيانة، طريق الصدق والكذب، طريق الشهوة والعقل، طريق المبدأ والمصلحة، طريق القيم والحاجات، أبداً، لأن هناك ابتلاء لابد من طرق عديدة كي تُبتلى باختيار أكملها أو باختيار أسوئها، من لوازم الابتلاء تعدُّد الطرق، الاختيار ماذا يتْبَعه؟ لو أننا خيرنا إنساناً قلنا له: أعطيناك حرية الاختيار، لكن ليس أمامك إلا هذا الطريق ذو الاتجاه الإجباري، أين الاختيار؟ انتهى الاختيار، أما إذا كان هناك طريقان لك أن تختار أحدهما.

فمن لوازم الابتلاء أن يكون هناك طريق للخير وللشر، وللحق والباطل، والإحسان والإساءة، وهذا الابتلاء الذي لابد من طرق عديدة كي يتحقق وجوده، لابد من أن يَتْبَعه جزاء محقق، الجزاء كما قلنا قبل قليل وكما سنفسر بعد قليل بعضه في الدنيا وبعضه في الآخرة، ولكن اعمل ما شئت كما تدين تدان، ربنا عزّ وجل في آية مُحكمة واضحة يقول جلّ وعلا:

**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (51)**

**سورة إبراهيم**

هذه لام التعليل، بل هي لام العلة، علّة خَلْقِنا، وعلّة خَلْقِنا مرة ثانية، وعلّة الدنيا والآخرة أنّ الله عزّ وجل قال: ﴿**لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ**﴾.

## 2- قانون الجزاء أثر من آثار العدل:

الحقيقة من أسماء الله الحق، وقد يقول أحدنا: يقول الحق جلّ وعلا، الحق اسم من أسماء الله، ولا يتحقق الحقُّ إلا بالعدل، بل إنّ الجزاءَ أثرٌ من آثار العدل، الذي هو وجه مِن وجوه الحق، الحق يقتضي العدل، مِن العدل ألا يكون المسلم كالمجرم، قال تعالى:

**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35)**

**سورة القلم**

هذا استفهام إنكاري، أيْ أيُعقل أن يكون هذا المسلم المستقيم، الورِع، الطاهر، العفيف، النقي، البريء، العفو، الرحيم، اللطيف، أَيُعقل أن يكون هذا المسلم كالمجرم في معاملته؟ إن كان كذلك فأين اسم الله العدل؟ فأين اسم الله الحق؟ تحقيقاً للحق، وتحقيقاً للعدل، لا يمكن أن يكون المسلم كالمجرم، وهذه آية كريمة.

## أدلة من الكتاب والسنة على عدل الله في معاملته مع المؤمن والكافر:

في سورة القلم:

**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ(36)**

**سورة القلم**

ما الذي يحمل الناس على المعصية؟ توهّم وضلال مِن أن الكافر إذا حصّل مالاً وفيراً من طرق غير مشروعة فهو ذكي، وهو حصيف، وقد تمتع بالدنيا كما يشتهي، وينسى هذا الكافر أن الله عزّ وجل لن يعامله كما يعامل المسلم: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ *مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾.

آية أخرى:

**وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (58) إِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (59)**

**سورة غافر**

الأعمى لا يستوي مع البصير، قال تعالى:

**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)**

**سورة الزمر**

**وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ (21) وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ (22)**

**سورة فاطر**

آية ثالثة وهي قوله تعالى:

**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)**

**سورة الجاثية**

محياهم في الدنيا، أي حياة المؤمن بدءاً من صحته، مروراً بزواجه، انتهاءً بأولاده، مع عمله، مع مكانته، مع سُمعته، مع راحة باله، مع طمأنينته، مع استقراره، مع طِيب نفسه، مع سعادته، هذا المؤمن لن يكون كالذي يجترح السيئات، وما يكتنف اجتراح السيئات مِن قلقٍ، وضيق، وضجر، وخوف، وشعور بالقهر، وخنوع، ومصائب تعتور هذا الفاسق، مصيبة في ماله، في ولده، في صحته، في حريته، هذا كله بيَّنه الله عزّ وجل: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ أي إذا حكم الإنسان أن الذي يجترح السيئات سيُعَامل كالذي يعمل الصالحات، إذا حكم هذا الحكم فانطلق من حكمه هذا بفعل السيئات، إن هذا الحكم سيسوءه أيما إساءة، سيُسبب له الشقاء الكبير إن هذا الحكم بالذات.

**آية رابعة:**

**أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (61)**

**سورة القصص**

أي نرجو الله عز وجل أن نكون ممن وُعِدوا وعداً حسناً، إذا كان الله خالق السماوات والأرض قد تفضّل ووعد عباده المؤمنين وعداً حسناً، وعدهم بسعادة أبدية، وعدهم بجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وعدهم بحياة أبدية لا تعب، ولا نصب، ولا قلق، ولا ضيق، ولا فقر، ولا مرض، إذا كان الله عزّ وجل تفضّل ووعدنا بهذا الوعد فوعْدُه حق، قال تعالى:

**جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا (61)**

سورة مريم

﴿**أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ**﴾ على كل الآيات التي تكون موازنةً بين المؤمنين وغير المؤمنين كثيرة جداً، في السجدة:

**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)**

سورة السجدة

**لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (20)**

سورة الحشر

آيات كثيرة، في مواضع كثيرة جداً مِن القرآن، في أكثر مِن مئة موضع في كتاب الله يُجرِي اللهُ موازنة بين أهل الإيمان، وحياتهم في الدنيا، ومُنقلبهم في الآخرة، وبين أهل الكفر والعصيان، وكيف أن حياتهم سلسلة مِن المتاعب، والمصائب، وخيبة الأمل.

الآن من السنن الثابتة، القانون الأول قانون الجزاء الرباني وإعلانه، والقانون الثاني هو أن الجزاء أثر من آثار قصص العدل الإلهي، مِن الأحاديث القدسية ما ثبتَ عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: **يا عِبَادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ،** يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي، **لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا**

**عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا** –دققوا في نهاية الحديث–**فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ.** وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبَادِي، فلا تَظَالَمُوا.

**صحيح مسلم**

ذلك أن عطائي كلام وأخذي كلام.

## 3- قانون الجزاء الرباني بين الفضل والعدل:

الآن القانون الثالث قانون الجزاء الرباني بين الفضل والعدل، هذا القانون دقيق جداً، هو أن الإنسان إذا استقام على أمر الله، وفَعَل الصالحات يتفضل الله عليه بالجنة، لكن الجنة ليست لازمةً لاستقامته، وعمله الصالح، أي استقامته وعمله الصالح لا يستدعيان ذاتياً دخول الجنة، أي الطالب الذي يَعِدِه أبوه بشراء دراجة ثمينة إذا نجح، نجاح الطالب فقط لا يستلزم ذاتياً اقتناء الدراجة، لو أن الطالب توجّه إلى بائع الدراجات وأعطاه الجلاء هل يعطيه دراجة؟ لابدّ مِن دفع الثمن، الجلاء الذي ينبِئ أن هذا الطالب قد نجح نجاحاً متفوقاً لا يعني أنه يستحق بالضرورة دراجة، إلا أن الأب قد تفضّل بهذا الوعد وأنجز وعده، فالمكافأة على النجاح مكافأة من باب الفضل المحض، وليست من باب الحق.

لو أنّ طالباً ليس له أب، أو أبوه كان فقيراً، وحقّق نجاحاً متفوقاً، لا أحد يشتَرِي له دراجة، النجاح وحده لا يستدعي اقتناء الدراجة، لكن فضل الأب على ابنه بوعده بشراء دراجة عند النجاح، فلذلك الجنة ندخلها برحمة الله، ونقتسمها بأعمالنا، فكرة دقيقة جداً، هناك مَن ضلّ فيها، هناك مَن قال: الجنة برحمة الله لا بالعمل، فَتَرَك العمل، فحُرِم مِن الجنة، الجنة برحمة الله، معنى برحمة الله أنك إذا أمضيتَ كل حياتك باستقامة، وعبادة، وصلاة، وصيام، وحج، وزكاة، وورع، وإحسان، وتضحية، وإيثار، وجهاد، هل هذه الأعمال كلها من دون فضل الله عز وجل تُمَكّنك ذاتياً من دخول الجنة؟ لا، الجنة مِن فضلِ الله عزّ وجل، فالعطاء الإلهي فضلٌ، لكن العقاب الإلهي عدلٌ، شتان بين الفكرتين.

## الجنة محض فضل وليست استحقاقاً دليل ذلك الكتاب والسنة:

سأتابع توضيح الفكرة، إذاً النبي عليه الصلاة والسلام قال:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ** فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ.

**متفق عليه**

آيات كثيرة جداً:

هذا شيءٌ طيب، إلا أن آيات كثيرة، تقول: دخول الجنة بما كنتم تعملون، قال الله:

**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ** ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

**سورة النحل**

ويقول تعالى:

**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (72)**

**سورة الزخرف**

التوفيق بين الآيات وبين الحديث يحتاج إلى دقة بالغة، الإنسان إذا عمل عملاً صالحاً استحق فَضْلَ الله بعمله الصالح، باستقامته، وورعه، وانضباطه، وأدائه عباداته إذا فعل ذلك يستحق الفضل الإلهي، أمّا أن تكون الجنة حقاً لازماً له يُطالب بها هذا غير صحيح، ليس له أن يطالب بالجنة، ولكن الله عزّ وجل وعُده حقٌّ، وَعَدَ المؤمنين بالجنة، إذاً الجنة أو الفضل إنما هو محض تكرُّم من الله عز وجل، وليس حقاً ثابتاً لك أن تطالب به.

فعبادة المخلوق وطاعته لله عزّ وجل حقٌّ واجب عليه تجاه ربه، لأنه مسبوق بنعم الله الكثيرة التي تستوجب الشكر، ولو أن المخلوق ظلّ حياته كلها في أعلى مرتبة من مراتب العبادة، والطاعة، والاستقامة، لكان ذلك منه تأدية لبعض ما يجب عليه نحو ربه مِن شكر على نِعَم لا يستطيع إحصائها، أي كل استقامتك،

وكل ورعك، وكل عبادتك، وكل أعمالك الصالحة لا تعدل شكراً لنعم قليلة أنعمها الله عليك من خلال نِعَم كثيرة، إذاً دخول الجنة ليس استحقاقاً ولكنه تفُضّل من الله عز وجل، لأن أعمالك كلها تغطية لما سبق من فضله، من نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد ونعمة الإرشاد.

يُستخلص من هذا أن الجزاء بالمثوبة على ما نفعل من خير إنما هو فضلٌ مِن الله نستحقه بكريمِ وعْدِه، وليس لنا فيه حقّ ذاتي.

## جهنم حقّ وكل من يدخلها يستوجب العقاب والاستحقاق دليل ذلك الكتاب:

الحقيقة الثانية على خلاف هذه الحقيقة، وحيث كان الإيمان بالله، وطاعته حقاً واجباً على المكلَّفين، كان الجحود والعصيان مستوجباً الجزاء بالعقوبة ضمن قانون العدل الإلهي، شخص سرق مالَ الآخرين، هنا يجب العقابُ عليه تحقيقاً للعدل الإلهي، هذا الذي طلّق زوجته مِن دون سبب مبرّر فشردت على الله عزّ وجل وانحرفت وكان هو السبب، وهذا الذي أساء إلى جيرانه فاعتدى عليهم، وعلى أموالهم من دون سبب مبرّر، كان هذا عدواناً يستحق الجزاء بحسب قانون العدل الإلهي، فالجنة ندخلها تفضُّلاً، وأهل النار يدخلون النار استحقاقاً وعقاباً، لأنه يوجد حقوق، أولُ هذه الحقوق حقُّ الله عزّ وجل، وحقُّ الأنبياء، وحقُّ العباد، وحقّ الذين تعاملتَ معهم، فجهنم بالعدل، والجنة بالفضل، هاتان الحقيقتان يجب أن تكونا ماثلتين أمام كل مؤمن، مما يؤكّد هاتين الحقيقة قولُه تعالى:

**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى (31)**

**سورة النجم**

آية أُخرى توضِّح هذه الحقيقة، وهي قوله تعالى:

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ **وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)**

**سورة النساء**

السيئة تُصيبك استحقاقاً، وأما الحسنة فتأخذها تفضُّلاً، لو كان العمل الصالح يقتضي بذاته الجزاء لقال الله عز وجل: وما أصابك من حسنة فمن نفسك، لا، العمل الصالح جزاؤه فضل من الله عز وجل، ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ إلا أن الفضل نوعان؛ إما أن يكون الفضل بالإكرام وإما أن يكون الفضل بالعفو، لذلك:

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ** وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116)

**سورة النساء**

وفي درس قادم إن شاء الله تعالى نُتابع الحديث عن هذه القوانين التي قنّنها الله عزّ وجل، أو عن هذه السنن التي سنّها الله عزّ وجل، وننتقل بعد ذلك إلى صُلب الإيمان باليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 46-63: الإيمان باليوم الآخر4- تتمة السنن الإلهية من القرآن الكريم المتعلقة باليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الجنة محض فضل مِن الله عزّ وجل والنارَ محضُ عدل:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السادس والأربعين من دروس العقيدة.

تحدثنا في الدرس الماضي في موضوع الإيمان باليوم الآخر عن بعض القوانين أو السنن التي سنّها الله سبحانه وتعالى وقلنا: إن بعض هذه القوانين أساسها الجزاء، فقانون الجزاء أقرّه الله عزّ وجل في تعامله مع العباد، والقانون قانون الجزاءِ أثرٌ مِن آثار العدل الإلهي، وتحدثنا عن الجزاء الرّباني بين الفضل والعدل، وقلنا: إنّ دخول الجنة فضلٌ مِن الله عزّ وجل، وإنّ دخول الإنسان إلى النار بمحض العدلِ الإلهي.

وأخ كريم طلب مني توضيحَ هذه الفكرة مرة ثانية، لأن بعض الإخوة الأكارم فهموها فهماً ما أردته أنا، ما معنى أن الجنة محض فضل مِن الله عزّ وجل وأنّ النارَ محضُ عدل؟ لماذا الجنة بالفضل والنار بالعدل؟ الفكرة دقيقة جداً، أحياناً قد يكون بين شيئين علاقة علمية، أي علاقة سبب بنتيجة، فالإنسان إذا وضع إصبعه على المدفأة تحترق وهي مشتعلة، فوضعُ الإصبع على المدفأة سببٌ لاحتراق الإصبع، فالعلاقة بين وضعِ اليد على المدفأة واحتراقِها علاقةُ سبب بنتيجة، من لوازم وضع الإصبع على المدفأة وهي مشتعلة أنها تحترق، لكن أحياناً نكافئ إنساناً على نجاحه، هذه المكافأة ليست العلاقة بينها وبين النجاح علاقة علمية، بمعنى أنّها علاقة لازمة، نتيجة حتمية، لا، الأب تدَخَّل ووَعَدَ ابنَه إذا نجح بهذه الدراجة، فهل هناك علاقة علمية أو علاقة حتمية بين النجاح وبين اقتناء الدراجة؟ لا، هناك علاقة تشجيعية، علاقة ثواب، علاقة جزاء،

لو أن الأب امتنع عن شراء الدراجة هل بإمكان الطالب الناجح أن يقتني دراجة؟ هل جلاؤه يكفي لاقتناء دراجة؟ فهذه الدراجة محضُ فضلٍ مِن الأب، لكن الأب جعل هذه الدراجة مكافأة على الاجتهاد، جعل ثمنها الاجتهاد، فالاجتهاد ثمن، وليس سبباً، ليس الاجتهاد سبباً كافياً لنيل الدراجة، بل إنه ثمنٌ دُفِع من أجل نيل الفضل، فالجنة فضل إلهيٌّ مِن قِبَلِ الله سبحانه وتعالى، هذه الجنة جعل اللهُ ثمَنَها العمل، فإذا قرأت آية قرآنية تقول:

**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ** ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

**سورة النحل**

الآية صحيحة، لأن هذه الجنة التي هي محضُ فضلٍ جُعِل ثمنها العمل الصالح في الدنيا، لكن لو تخيّلنا أن إنساناً عَمِل عملاً صالحاً، هل له حقٌّ كحق الشريك مع شريكه؟ الشريك له حق مع شريكه، دافع معه رأس مال مشترك والجهد مشترك أين الحساب؟ أين الأرباح؟ يا ترى العبد الذي عَمِل الصالحات في الدنيا له حقٌّ عند الله بالجنة كحقِّ الشريك مع شريكه في الأرباح؟ لا، الجنة للذي عمل الصالحات محضُ فضلٍ، وليست نتيجة حتمية، وليست نتيجة لسبب ناتجة عنه بشكل حتمي، إذاً الجنة محض فضل، لو أنّ الله عزّ وجل قال: ليس هناك جنة، وهؤلاء الذين استقاموا على أمره في الدنيا وعملوا الصالحات هل لهم عند الله شيء؟ هل لهم حق؟ لا، لكن الله عز وجل تفضَّلَ ووعدَ المؤمنين بالجنة وعد فضل، وليس وعد حقّ، لكن هذا الوعد مقنن، ليس وعداً اعتباطياً، مزاجياً، هذه الجنة جُعِلت الاستقامة والعمل الصالح سبباً لها.

## دخول الجنة بفضل الله والثمنُ هو العمل الصالح:

إذا قلنا كما قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ**، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَلا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ.

**متفق عليه**

فالجنة برحمة الله، الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال بما معناه: ادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها بأعمالكم.

درجات الجنة يحتلها المؤمنون بحسب أعمالهم، دخول الجنة بفضل الله، والثمنُ هو العمل الصالح، أنت تنال فضل الله عز وجل بالعمل الصالح، لكن هذا الذي أساء في الدنيا، واعتدى على أعراض الناس، أو اعتدى على أموالهم، أو اعتدى على حُرُماتهم، أو اعتدى على دمائهم، يدخل النار بمحض العدل، لأن هذا الذي اعتدى عليه له حقّ عنده، تأتي النار لتكون عدلاً مِن الله عزّ وجل، أو تحقيقاً لاسم الحق، هذا الموضوع تحدثنا عنه في الدرس الماضي، وأردت أن أوضحه مرة ثانية كي أوفق بين الآيات الكثيرة:

وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ **تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (43)**

**سورة الأعراف**

أي هذه الجنة فضل، لكن جُعِل لهذا الفضل ثمن، فمن دفع الثمن نال هذا الفضل، أما النار يستحقها الإنسان بمحض العدل، الجنة بمحض الفضل، والنار بمحض العدل، الحديث الشريف الذي تكلمت به قبل قليل يبدو في ظاهره متناقضاً مع الآية: **((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا..))** أي العمل وحده غير كاف، لابد مِن تدخل الفضل الإلهي، النجاح وحده غير كافٍ، لابد من أنْ يأتي الأبُ ليدفع الثمنَ، **((قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ))** بعضهم وَفّق بين هذا الحديث الصحيح وبين الآيات الكثيرة بالمَثَل التالي: لو أن رجلاً وقوراً ميسورَ الحال له أخٌ توفي، وكان أخوه فقيراً، وترك أخوه ابناً نشيطاً، فطناً، واضطر هذا الابن لتأمين قوت إخوته الصغار أن يترك المدرسة، قال له عمه: يا بن أخي، إنْ كنتَ راغباً في الدراسة فأنا أنفقُ عليك إلى آخر سنة في دراستك؟ فَقَبِل هذا الابن، لكن أول سنة الأولي، ثاني سنة الأولي، وهكذا إلى أن أخذ الشهادة الثانوية، ثم أخذ الإجازة، ثم نال الدكتوراه في الطب، ثم اختصّ في دولة أجنبية، ثم عاد إلى بلده، وقد ذاع صيته، وتألّق نجمه، وكَثُر زبائنه، واتّسع دخله، وعاش حياة في بحبوحة كبيرة، مرة مِن المرات كان هذا العم مع ابن أخيه في جلسة، فقال ابن أخيه: واللهِ يا عمّ لولا فضلُك لما كنتُ بهذا المكان، فقال العم: لولا عملك لما كنتَ بهذا المكان، كلاهما صحيح، لو أنّ هذا الشاب الذكي المتّقد ذكاءً لم يُتَحْ له أحد ينفق عليه ماذا يفعل بذكائه؟ لا بد من أن يعمل كي يطعم إخوته، ولو أن هذا العم رأى في ابن أخيه بلادة، وتسيباً، وإهمالاً، وكسلاً ما أنفق عليه، فهذا الفضلُ الذي أعطاه العم لابن أخيه كان بسبب اجتهاد ابن أخيه، أي هذا المثل تقريباً يُوَضّح العلاقة

التي تبدو في ظاهرها متناقضة بين الحديث، **((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ))** وبين قوله تعالى: ﴿**تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾:

**الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ** ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)

**سورة النحل**

فأصبحت الجنة فضلاً ثمنُه العملُ الصالح، والعمل الصالح لا يكفي لدخول الجنة إلا أن يسمح الله بها، أي هذا تقريباً التوضيح والتوفيق بين الحديث الصحيح وبين الآيات العديدة التي تؤكِّد أن الجنة بالعمل والحديث الذي يؤكد أن الجنة بفضل الله عزّ وجل.

مما يؤكِّد هذه الحقيقة أيضاً قولُ الله تعالى في سورة النساء:

مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ **وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (79)**

**سورة النساء**

أَوْجَدَكَ، أعطاك هذه الأجهزة التي تعمل بانتظام، أعطاك ذكاء تكسِب به رزقك، خَلَق لك من نفسك زوجة، إنسانة، أنجبْتَ منها أولادًا ملؤوا البيت بهجة وسروراً، أعطاك مالاً، اشتريت به بيتاً فيه غرف عدة، هنا تنام، وهنا تجلس، وهنا تستقبل الضيوف، وهنا تأكل، كل هذا مِن فضل الله عزّ وجل، فربنا عزّ وجل قال: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ لو توقفتْ إحدى الكليتين عن العمل لانقلبت الحياة جحيماً، لو تشمّع الكبد لانقلبت الحياة جحيماً، لو ضاق التنفس لانقلبت الحياة جحيماً، أي كلمة لو في الجسم تنطبق على مليون حالة، العجب العجاب في الإنسان كيف أن هذه الأجهزة كلها تعمل بانتظام؟ الصحة هي العجب العُجاب، الشرايين والأوردة والضغط، والله مرة وقفتُ أمام واجهة مكتبة وجدت كتاباً يزيد عن ألف صفحة، عنوانه: أمراض الدم، هذا فيه اختصاص، اختصاص عال جداً في الدم فقط، للدم أمراض، نِسب المعادن، نِسب المواد الدسمة، نِسب السكريات، الشوارد، أشباه المعادن، عالَم قائم بذاته هذا البلازما، المصل عالم قائم بذاته، الكريات عالم قائم بذاته، الكريات البيضاء عالم قائم بذاته، الآن العالم كله ترتعد فرائصُه من مرض اسمه الإيدز، ما هو الإيدز؟ انحلال المناعة، أي هذا الجيش المجهز العرمرم، المُجهز بالأسلحة الفتاكة، الذي يملك استطلاعاً ممتازاً

يتقصى الأخبار، ومخابر لتصنيع الأسلحة المضادة، وقوات مهاجمة، هذه الكريات البيضاء جهاز المناعة في الإنسان ثلاثة أنواع: نوع كريات استطلاعية، تستكشف طبيعة الجرثوم، وطبيعة سميته، وكريات مخبرية، تُصَنّع من هذا الاستطلاع مضاداً حيوياً لقتل هذا الجرثوم، يأتي صنف آخر يحمل هذه الأسلحة الفتاكة، هذه اللقاحات، هذه المضادات الحيوية، ويتوجّه إلى الجرثوم، ويُحاصره إلى أن يقضي عليه، فإذا وجد أحدنا بيده بقعة بيضاء آلمته، هذه نتيجة معركة كبيرة جداً طاحنة بين الكريات البيضاء وبين الجرثوم الدخيل، انحلال المناعة مرض خطير، يُعدّ الآن في العالَم العدوَّ الأولَ: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ العين تعمل بانتظام، بالشبكية يوجد مئة وثلاثون مليون مخروط وعصية، الأُذن لو اختلّ بالقناة الدائرية في مركز التوازن عبارة عن ثلاث قنوات فيها سائل، على جدرانها يوجد شعيرات، عندما يميل الإنسان السائل الذي كان مستوياً يرتفع في جانب على حساب جانب، تتنبه الشعيرات تجري تعديلاً، راكب الدراجة لو معه التهاب بالأذن يقع، لا يبقى مكانه، كلما انحرف يصحح، ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ الأذن أم الأنف، أم الحنجرة، أم اللسان، أم اللعاب، أم المريء، أم المعدة، أم الأمعاء؛ الأمعاء الدقيقة، الأمعاء الغليظة، الكبد، البنكرياس، الطحال، الصفراء، العقد اللمفاوية، القلب، الرئتان، الدماغ، الشرايين، الأوردة، نحن في عالَم كبير، إذاً: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ**﴾ هذه نعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونعمة الإرشاد، ﴿**وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ**﴾ بمحض العدل، والحسنة بمحض الفضل.

## الأدلة من السنة على بحث الفضل والعدل:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: يا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظَالَمُوا، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَن أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبَادِي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبَادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبَادِي، لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، لوْ أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي، **لو**

**أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ** –ذلك بأن عطائي كلام وأخذي كلام، كن فيكون، زل فيزول– يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، **فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ**، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ. وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبَادِي، فلا تَظَالَمُوا.

**صحيح مسلم**

الخير بمحض الفضل، ((**وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ**)) بمحض العدل، فالخير من الله والشر من أنفسنا.

## الخير والشر من الله لكن مناط التكليف على العزم والقصد بما اتجه إليه الإنسان:

الآن أخ يقول لي في نفس الآية يوجد:

أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ **قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ** فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا (78)

**سورة النساء**

ما هذه؟ الآن قلت لك: الخير من الله محض فضل والشر من الإنسان محض عدل، الآية نفسها في سورة النساء يقول الله فيها بعد قليل: ﴿**قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**﴾ هنا دخل المناط، أي هذه التي أمامي طاولة، إن سألتني عنها أقلْ لك: طاولة، وإن سألتني عن شكلها الهندسي، أقلْ لك: مستطيل، وإن سألتني عن قوامها، أقلْ لك: خشب وحديد، هل هناك تناقض؟ لا، لو أنها كلها خشب أقول لك: إنها طاولة، وهذا مستطيل، وهذا خشب، كلمة خشب ومستطيل وطاولة هذه متناقضة؟ لا، لكن حينما عرّفتها من زاوية شكلها هي مستطيل، حينما عرّفتها من زاوية مادتها الأولية هي خشب، حينما عرّفتها من زاوية وظيفتها هي طاولة، العمل إذا عرّفته من زاوية الذي خَلَقَه، الله سبحانه وتعالى، الخير من الله عزّ وجل، والشر من الله، لا يقع شيءٌ في الأرض إلا بأمر من الله عزّ وجل، لو نظرت إلى العمل من زاوية سببِه وكسْبِه الخير من الله، والشرّ من الإنسان.

مثل آخر أضربه كثيراً، أنا قد أقول: مدير الجامعة فصل هذا الطالب، الذي أصدر قراراً بالفصل هو مدير الجامعة، هذا الفعل فعله، أسأل: لماذا فَصَلَ هذا الطالبُ؟ لأنه الطالب ارتكب مخالفة تستدعي الفصل، فإنْ قلتَ: إن هذا الفصل كان بسببِ خطأ ارتكبه الطالب، كان كلامنا صحيحًا، وإنْ قلت: إن هذا الفصل تمّ بأمر مدير الجامعة أيضاً هذا صحيح، واحدة مِن زاوية الفعل، والثانية من زاوية الكسب، فالشر من أنفسنا كسباً، ومِن الله فعلاً، عندما يمسك الطبيب المِشرط يكون المريضُ ابنَه، كلّه رحمة، ويفتح البطن، وتنفر الدماء، ويشدُّ الجلد، ويذبح العضلات، إلى أن يصل إلى الزائدة الدودية فيستأصلها، هذا فعْلِ مَن؟ فعلِ الأب بسبب التهاب الزائدة، بسبب أخطاء ارتكبها الابن، هناك أخطاء كثيرة بالمطعومات تُسبب التهاب الزائدة، فأخطاء الابن في تناول المطعومات سبَّبَتْ التهاب الزائدة، أما الذي فتح البطن فهو الأب، هذا معنى الركن الخامس من أركان الإيمان، والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى، إذاً: ﴿**مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾.

## العفو الإلهي عن المذنب التائب يدخل في بحث الفضل:

الحديث الصحيح الذي قلته قبل قليل صيغته كما يلي: **((لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ، قَالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لا وَلا أَنَا، إلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ))**.

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَا مِنْ مُصِيبَةٍ تُصِيبُ الْمُسْلِمَ إلا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا عَنْهُ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا**.

**متفق عليه**

ورد: ما من عثرة، ولا اختلاج عِرق، ولا خدش عود، إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفُو الله أكثر.

عندنا ملاحظة ثانية معلقة بموضوع الفضل والعدل، الخير فضل والشر عدل، أحياناً يكون الفضل في العفو عن الشر، رجل له جاهلية جهلاء، وله معاصٍ كثيرة، وله عدوان، وله كسب مالٍ بالحرام، وله من المعاصي ما لا يُحصى، تاب إلى الله، توبة نصوحة، قال: يا رب، لقد تبت، فيقول الله عزّ وجل: وأنا قد قبلت، يأتي فضل الله ليمحُوَ عنه كل هذه الذنوب، عن أنس بن مالك قال اللهُ تعالى: يا بنَ آدمَ! إنَّكَ ما دَعَوْتَنِي

ورَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لكَ على ما كان فيكَ ولا أُبالِي يا بنَ آدمَ! **لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنانَ السَّماءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لكَ ولا أُبالِي**، يا ابنَ آدمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَنِي لاتُشْرِكْ بِيْ شَيْئًا لأتيْتُكَ بِقِرَابِها مَغْفِرَةً.

**صحيح الترغيب حسن لغيره أخرجه الترمذي**

قال تعالى:

**قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (53)**

**سورة الزمر**

إذا تاب العبد توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه، والملائكةَ، وبقاعَ الأرض كلها خطاياه وذنوبَه، إذا قال العبد: يا رب وهو راكع قال الله: لبيك يا عبدي، إذا قال: يا رب لبيك وهو ساجد أجابه الله عز وجل: لبيك يا عبدي، فإذا قال العبد: يا رب وهو عاصٍ، قال الله عزّ وجل: لبيك، ثم لبيك، ثم لبيك، هذه يعرفها الأب أحياناً، يكون عنده ثلاثة أولاد، اثنان منهم متفوقان ومهذبان، يوجد واحد سيئ، عاق، شقي، بعيد، إذا شعر الأب مِن هذا الابن الثالث البعيد بادرة عودة، بادرة توبة، بادرة صلاح، بادرة إقبال، هشّ له وبش، وأكرمه إكراماً مفاجئاً يزيد عن إكرام الاثنين الأولين، لأنه صار هناك عملية إنقاذ، فالفضل الإلهي إذاً في الخير، وفي العفو عن الشر، أمّا إذا أصرّ العبد على المعصية عندئذٍ يستحق العقاب بمحضِ العدلِ.

## تتمة السنن الإلهية من القرآن الكريم المتعلقة باليوم الآخر:

### أدنى الجزاء على الحسنة عشرة أمثالها وأعلى جزاء على السيئة مثل واحد:

القانون الرابع، أدنى الجزاء على الحسنة عشرةُ أمثالها، وأعلى الجزاء على السيئة مثلها، أعلى عقوبة ينالها العبد على معصيته أن يكون العقاب مكافئاً لمعصيته تماماً من دون زيادة، أحياناً الإنسان يردّ على الصاع صاعين، يردّ على مخالفة يسيرة بعقاب أليم، ليس هذا مِن شأن الله عزّ وجل، قوله تعالى:

**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (160)**

**سورة الأنعام**

أدنى جزاء الحسنة عشرة أمثالها، وأعلى جزاء السيئة مثل واحد، فالسيئة جزاؤها بمثل واحد، بينما الحسنة الحد الأدنى لجزائها عشرة أمثال، يقال إن شخصاً عنده قطعة قماش قدمها لشخص أحوج منه، طُرِق الباب –هذه قصة رمزية، قد تكون تركيبة لكنها معقولة–جاءت مجموعة أقمشة من نفس النوع، فالابن سحب واحدة خبأها لنفسه، قال: يا والدي بعثوا تسع قطع؟ فقال له الأب: لا عشرة التي أخذتها زيادة أرجعها، هو أعطى قطعة يجب أن يأتيه عشر قطع، هذا بالقرآن الكريم وارد، أي عمل تفعله المكافأة عشرة أمثال، الحد الأدنى، لكن ولا حد لأكثره، والدليل قوله تعالى:

**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)**

**سورة البقرة**

سبعة في مئة سبعمئة، أقله عشرة أمثال ولا حدّ لأكثره، قال تعالى:

**وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (25)**

**سورة الشورى**

هذا أيضاً دليل على أنه من الفضل الإلهي العفو عن السيئات وقبول التوبة، أحياناً الإنسان يندهش يجد شخصاً ماله حرام، أعماله سيئة، مستعل، مستكبر، مؤذ، ويزداد قوة وغنىً وشأناً، هذا جزاؤه مُؤجّل، يأتي مؤمن يرتكب أدنى مخالفة جزاؤه مُعَجل، لذلك في بعض الأحاديث: إذا أحبّ الله عبده عجّل له بالعقوبة وإذا أهمله أخّرها له، لذلك ربنا عز وجل قال:

**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)**

**سورة الأنعام**

إذا رأيت الله عزّ وجل يُتابع نِعمه عليك وأنت تعصيه فاحذره، هذا القانون الجزاء المُعجل والجزاء المُؤجل نأخذه في الدرس القادم إن شاء الله تعالى، وهناك نِعَمُ الجزاء، والابتلاء، والاستدراج، ومصائب الجزاء،

والابتلاء، والتربية، وهناك الجزاء المُؤجّل، ومراحله الثلاثة ما بعد الموت، وما قبل دخول الجنة، ودخول الجنة، ثم المسؤولية، والبحث يحتاج إلى دروس عديدة، لأنه بحث مهم جداً، وهذا كله تمهيد للإيمان باليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 47-63: الإيمان باليوم الآخر5-أنواع النعم والمصائب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## الجزاء الرباني منه ما هو مُعجّل ومنه ما هو مؤجل فمن المعجل للمحسن:

### 1- النصر والتأييد في الدنيا للمؤمنين:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السابع والأربعين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى الحديث عن بعض القوانين أو السنن التي سنّها الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق باليوم الآخر، وكنت قد بيَّنتُ لكم من قَبل أن الإيمان باليوم الآخر يأتي في الأهمية بالدرجة الثانية بعد الإيمان بالله، في أكثر آيات القرآن الكريم ذَكَرَ الله عزّ وجل الإيمان بالله ثم ذكر الإيمان باليوم الآخر، لذلك لا زلنا في الحديث عن بعض القوانين المتعلقة باليوم الآخر.

تحدثنا في الدرس الماضي عن أن أدنى الجزاء على الحسنة عشرة أمثالها وأعلى الجزاء على السيئة مثلها، وهذا تفضّل إلهي عظيم، كأن الله سبحانه وتعالى يحب أن نربح عليه، الحسنة بعشرة أمثالها كحدّ أدنى، والسيئة كحدّ أقصى يُجازى الإنسان بمثلها، هذا إن لم يكن هناك تفضّل بالعفو عنها بعد التوبة.

الآن هناك مِن الجزاء ما هو مُعجّل، وهناك من الجزاء ما هو مُؤجَّل، وهذا موضوع دقيق جداً، لأن بعض الناس قد يتساءلون: ما لفلانٍ يزداد قوة وغنى مع أنـه غارق في المعاصي؟ وما لِفلان يعاني الأمَرّيْن مع أنه مستقيم على أمر الله؟ الحقيقة الجزاء الرباني الذي هو أحد قوانين الحياة، الجزاء الرباني منه ما هو

مُعجّل، ومنه ما هو مُؤجّل، فلو تتبعنا آيات القرآن الكريم لوجدنا أن الجزاء على الحسنة منه ما هو مُعجّل، وأن الجزاء على السيئة منه ما هو مُعجّل أيضاً ومنه ما هو مؤجّل.

فالجزاء بالثواب والجزاء بالعقاب قد يُعجّل تحقيقه أو تحقيق قسم منه، فيتم في الدنيا، وقد يُؤجّل تحقيقه أو تحقيق قسم منه إلى الدار الآخرة، ونصوص القرآن الكريم وأحاديث النبي الكريم تؤكد هذه الحقيقة، فمن الجزاء المُعجّل في الدنيا أنواع كثيرة، من الرغائب المادية والمعنوية التي يَحْبُوها الله للمحسنين، مِن هذا الجزاء المُعجّل النصرُ في الدنيا، والتأييد، والعز، والسؤدد، قال سبحانه:

**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (13)**

سورة الصف

**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (1)**

سورة الفتح

لا شك أن الإنسان المؤمن حينما ينتصر في الدنيا على أعدائه يحسّ بسعادة لا توصف، وربنا سبحانه وتعالى ذكر هذا فقال: ﴿**وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ**﴾ فمِن الجزاء المُعجّل في الدنيا على الأعمال الصالحة أنّ الله عزّ وجل يرفع شأن الإنسان في الدنيا فيُعزّه، وإذا أعزّك الله عزّ وجل فلا أحد في الأرض يستطيع أن يُذلّك، سبحانك إنهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ وَلا يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، قال تعالى:

**مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ (10)**

سورة فاطر

اجعلْ لربك كل عِزّك يستقر ويثبتُ ... فإذا اعتززت بمَن يموت فإنّ عزك ميتُ

الشافعي

**وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (81)**

سورة الإسراء

إذا ربطت نفسك بالحق فأنت مع الحق، وأنت مع الحقّ العزيز، وإذا نصرك الله عزّ وجل ينصرك نصراً عزيزاً، أي لا مِنّةَ لأحد فيه عليك، فمن الجزاء المُعجّل في الدنيا النصر، والتأييد، والعز، والسؤدد، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ (38)**

سورة الحج

**إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)**

سورة آل عمران

## الصفحة المشرقة من الأنبياء والصحابة دليل على صدق الله في تنفيذ وعده:

سيدنا يوسف أعزّه الله في الدنيا فصار عزيز مصر، رأته جارية تعرفه عبداً في موكبه الملكي قالت: سبحان من جعل العبيد ملوكاً بطاعته.

سيدنا عمر قال: كنت عُميرًا، فأصبحت عمرَ، فأصبحت أمير المؤمنين.

سيدنا عمر بن عبد العزيز قال: تاقت نفسي للإمارة فلما بلغتها تاقت نفسي للخلافة فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة.

أي لست مُستبعداً إذا أخلصت لله عزّ وجل، واعتمدت عليه، واستقمت على أمره، وبذلت من أجله، وفعلت كل ما تملك من أجل رضاه، أن يرفع الله شأنك في الدنيا قبل الآخرة، وأن ينصرك على أعدائك، وأن يؤيدك بنصره، وأن يجعل القلوب تميل إليك، ما أقبلَ عبد على الله عزّ وجل إلا جعل قلوبَ المؤمنين تهفو إليه بالمحبة، وهذا مصداقُ قولِ الله عزّ وجل مخاطباً سيدنا موسى:

**أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)**

سورة طه

إذا ألقى الله عليك محبة منه أحبك الخلق كلهم، فإذا ألقى الله على إنسان البغضاء أبغضه أقرب الناس إليه، لذلك الكلمة الشهيرة: إذا كان الله معك فمن عليك؟ وإذا كان عليك فمن معك؟ سيدنا هود قال:

**مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ (55) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آَخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (56)**

سورة هود

**إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (96)**

سورة مريم

هذه المودة التي تنشأ بين العبد وبين ربه لا يعرف طعمها إلا من ذاقها، لو أنه نشأت لك مودة مع بعض الخلق ممن لهم شأن وقيمة ما وسعك بيتك، ما وسعتك مدينتك، لا تفتأ تذكر ذلك للناس جميعاً، وتبرز لهم الصور، سهرت معه، دعاني إلى طعام العشاء عنده، فكيف إذا كانت لك مع الله مودة؟! مع خالق الكون، لذلك من الجزاء المعجّل في الدنيا النصر، والتأييد، والعز، والسؤدد.

## 2- الشعور بالسعادة والطمأنينة:

من الجزاء المُعجّل في الدنيا الشعور بالسعادة والطمأنينة، إن الله يعطي الصحة، والذكاء، والمال، والجمال للكثيرين مِن خلقه، ولكنه يعطي السكينة بقدر لأصفيائه المؤمنين، تكون معه وتشقى؟ معاذ الله عزّ وجل، تستقيم على أمره وتقلق؟ تطيعه وتحزن؟ القرآن الكريم مَن قرأه انتفى مِن قلبه الحزن، قيل: لا يحزن قارئ القرآن، لماذا الحزن؟ أتخشى الفقر وأنت عبد الغني؟ أتخشى أن تُخذل وأنت عبد القوي؟ أتخشى أن تشقى وأنت عبدُ مَن بيده ملكوت كل شيء؟ إذاً أول جزاء معجل النصر والتأييد والعز والسؤدد، والجزاء الآخر في الدنيا السعادة والطمأنينة، لذلك في قلب المؤمن من السعادة ما لو وزّعت على أهل بلدٍ لكفتهم، قال تعالى:

**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26)**

سورة الفتح

ألا تقولون أنتم في صلواتكم على النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم: اللهم صلّ على أسعدنا محمد، إنه أسعد الخلق قاطبة، فإذا كنت على دربه، إذا اقتفيت أثره لابد من أن تسعد معه.

## 3- الشعور بلذة العلم:

من هذا الجزاء المُعجّل اللذة التي يشعر بها المؤمن حينما يعرف شيئاً جديداً عن الله عزّ وجل، لذة المعرفة لا يعرفها إلا العارفون، قد تقول وأنت صادق: لو مُلّكت الأرض كلها لا يَعدُل هذا عندي فَهمَ آية من كتاب الله، كلما ارتقيت في العلم درجة شعرت بسعادة لا توصف، فمن الجزاء المُعجّل نعمة العلم، قال تعالى:

**أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آَنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآَخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)**

سورة الزُمر

حتى إن بعض العلماء قالوا: إن الله عزّ وجل يَخصُّ الأنبياء بالمعجزات، ويخصّ الأولياء بالكرامات، ومِن أبرز الكرامات العلم والحكمة، كرامة العلم والحكمة لا تحتاج إلى خرق العادات، إنها وفق العادات، وفق السنن.

## 4- البركة في الوقت والمال:

مِن هذا الجزاء المُعجّل في الدنيا البركة في الوقت والمال، من أخّر الصلاة عن وقتها أذهب الله البركة من عمره.

سبحان الله! المؤمن يباركُ الله سبحانه وتعالى في وقته، سمعت عن بعض العلماء العارفين بالله بعد وفاتهم أُحْصِيت كتبهم المؤلفة، مجموع كتبهم مئتان وثلاثون كتاباً، جمعت صفحاتها وقُسّمت على أيام حياته

منذ ولادتهم فكان نصيب كل يوم تسعين صفحة، هذا العالم العارف بالله الذي عاش حياة مديدة ترك مئتين وثلاثين مُؤلّفاً، قُسّمت صفحات مؤلفاته على أيام حياته منذ أن وُلِد فكان نصيب كل يوم تسعين صفحة، من منا بإمكانه اليوم أن يقرأ تسعين صفحة؟ ذلك ألّفها، كتبها، ألّفها تأليفاً كاملاً، كُتب بعلوم محددة، أبواب، فصول، حقائق، دراسات، لذلك البركة في الوقت لا يعرفها إلا من أدركها، وكذلك البركة في المال، المال الذي يتفضّل الله به عليك يُبَارك لك فيه، تسكن، تتزوج، تأكل، تشرب، ترتدي ثياباً جديدة، تُزوّج أولادك جميعاً بمالٍ قد يبدو قليلاً، وقد يأتي إنسان حصّل المال من الحرام تأتيه مئات الملايين، وتذهب من حيث جاءت من دون أن يستفيد منها.

## 5- البركة في الزوجة والولد:

البركة في الوقت والمال والبركة في الزوجة والولد، أي يتزوج فيبارك الله له في زوجته، وكان النبي عليه الصلاة والسلام إذا دُعِي إلى عقد قران كان من دعائه الشريف: **عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: تَزَوَّجَ أَبُو طَلْحَةَ أُمَّ سُلَيْمٍ فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَدًا وَكَانَ يُحِبُّهُ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَبِتُّمَا عَرُوسَيْنِ وَهُوَ إِلَى جَنْبِكُمَا؟ فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكُمَا فِي لَيْلَتِكُمَا.**

تخريج المسند لشعيب: صحيح

فالدعاء بالبركة أي هذه الزوجة الذي اقترنت بها يُبَارك لك فيها، تسعد بها، قال لي بعضهم: البيت قطعة من الجحيم، كل يوم يوجد مشكلة، لأن البيت إذا بُنِي على طاعة الله عزّ وجل تولّى الله التوفيق بين الزوجين، وإذا بُنِي على معصية الله عزّ وجل تولّى الشيطان التفريق بينهما، مشكلات، خصومات، مُشاحنات، تحديات، سباب، شتائم، كلام قاس، نفور، بغضاء، تنتهي بالطلاق، وتشريد الأولاد، فهذا المحسن يُبَارك الله في ماله، وفي وقته، وفي زوجته، وفي أولاده، بين أن يكون لك ولد بار يرعاك إذا كبرت وبين أن يكون لك ولد عاقّ يقسو عليك وأنت في أوج قوتك فكيف إذا ضَعُفت سنك؟ فالولد قد يكون بلاء مِن الله عزّ وجل، ومن علامات قيام الساعة أن يكون المطر قيظاً، والولد غيظاً، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيض الكرام غيضاً.

قال: يا فلانة إن في خُلقي سوءاً، خطب إنسان امرأة صالحة أراد ألا يَغُشُّها فقال: إن في خُلقي سوءاً، فقالت: إن أسوأ خلقاً منك من حاجك لسوء الخلق، هذا الذي يحوجك إلى سوء الخلق أسوأ خلقاً منك، بين أنْ تسعد بزوجة، وبأولاد، وبمال، وبوقت، وبين أن يذهب الوقت فلا بركة فيه.

أحياناً –كلكم يعلم ذلك–حينما تبذل وقتاً مِن وقتك الثمين في حضور مجالس العلم يُبَارك لك الله في وقتك، كيف؟ الله سبحانه وتعالى بثانية ترتكب حادثاً يقتضي سبعين أو ثمانين ساعة تصليح سيارة، من مكان إلى مكان، تبحث عن القِطَع، وعن الحاجات، وهنا مفقودة ووجدتها ولم تجدها، وبين أول وجه معجون وثاني وجه وثالث وجه، وبخ، واذهب، وارجع، سبعون ثمانون ساعة تستهلكهم بلا جدوى، لأنك ضننت على ربك بمجلس علم واحد.

أحياناً يمرض الطفل الصغير فيقتضي سهراً طويلاً، ساعات طويلة، انتظار عند الأطباء ست ساعات، البحث عن الحاجات، فلذلك الإنسان حينما يقتطع جزءاً من وقته الثمين لحضور مجالس العلم يُبارِك الله له في وقته، فلا يذهب وقته سدى، ولا يُستهلك وقته استهلاكاً رخيصاً، إذا اسْتُهْلِك الوقت استهلاكاً رخيصاً أولاً ضاع الوقت، وثانياً توترت الأعصاب، وارتفع الضغط، هذا كله مِن ذهاب بركة الوقت، كيف أنّك تُزكي عن مالك بدفع مبلغ من المال، قال بعض العلماء: زكاة الوقت أن تقتطع منه وقتاً لطاعة الله، لعبادة الله، لمعرفة الله، للأمر بالمعروف، للنهي عن المنكر.

ومنها التوفيق أي كم مِن مشروع ضخم باء بالفشل؟ بعد ثلاث سنوات خسارة ثمانمئة ألف، يا ضيعة الوقت، يا ضيعة المال، فالتوفيق، الإنسان أحياناً يبدأ بمشروع صغير ينمو وينمو وينمو، وهذا من علامات التوفيق، والآية الكريمة:

**قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (88)**

سورة هود

بمعنى أن إنساناً ما على وجه الأرض لا يستطيع أنْ يُحقق هدفاً ما إلا بتوفيق الله، لذلك في الحديث الشريف، ومن عرف هذا الحديث الشريف غيّر مجرى حياته كلها: من ابتغى أمراً بمعصية كان أبعد مما رجا، وأقرب مما اتقى، من ابتغى أمراً بمعصية كان هذا الأمر أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى، طبعاً إلى غير ذلك، هذا بعض الجزاء المُعجّل في الدنيا.

## التيسير شيء يخلقه الله عزّ وجل ليس حظاً ولا صدفة:

طبعاً النتيجة أو أن الدليل القرآني على هذه الأقوال وهذه المعاني أن الله عزّ وجل يقول:

**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (97)**

سورة النحل

كلام خالق الكون، هذا كلام قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، قطعي التحقيق، قال تعالى:

**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7)**

سورة الليل

التيسير شيء يخلقه الله عزّ وجل، ليس حظاً، ولا صدفة، إنما هو من خَلْق الله عزّ وجل.

## بعض الجزاء الرباني المُعجل للمسيء في الدنيا:

أما جزاء العقاب المُعجّل في الدنيا، مِن هذا الجزاء مثلاً صنوف العذاب والخزي، أي عضو صغيرٌ صغير في جسمك لو تعطل لقلب الحياة جحيماً، أحياناً آلام مستمرة، آلام مزمنة في الرأس أحياناً، أحياناً عسر هضم مزمن، دائماً هناك ألم، أحياناً شعور بالضيق، هذه أعراض جسمانية، يوجد أعراض نفسانية وساوس، سوداوية، الله عز وجل يقلب حياته جحيماً.

صنوف العذاب المادي والمعنوي، قلق، همّ، خوف، يأس، شعور بالقنوط، هذا قد يتصاعد ينتهي بالانتحار.

الله سبحانه وتعالى بالقوانين دائماً آخر مادة: ومن يخالف أحكام هذا القانون يُعاقب بكذا وكذا وكذا، هذا عند علماء القانون اسمه المؤيد القانوني، لولا المادة الأخيرة لا أحد يطبق القانون، ربنا عزّ وجل جعل المصائب، والأمراض الوبيلة، والأمراض المستعصية، والفقر المدقع، والذل الشديد، والخزي، والعار، والهموم، والأحزان، والخوف، والقلق، هذه كلها جعلها الله مؤيدات لشرعه الحنيف، إما أن تستقيم على أمر الله فتسلم، وإما تتحمل، **عن أبي عمرو سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدا غيرك؟ قال: قل آمنت بالله ثم استقم.**

صحيح مسلم

قال: أريد أخفّ من ذلك؟ قال: إذاً فاستعد للبلاء، فمن البلاء المُعجّل في الدنيا صنوف العذاب المادي والمعنوي، والعيش الضنك، حياة كلها شحناء، كلها بغضاء، حياة قاسية خشنة، مليئة بالأحزان، بالهموم، يجزي الله بها المسيئين.

أيضاً الإخفاق، هذا المشروع خسر، وهذا العمل لم ينجح، وهذه السفرة عاد منها بخُفّي حنين، وهذه الصفقة خسرت، وهذا الصديق تَنكّر له، وهذا الزواج لم ينجح، وانتهى إلى الطلاق، وهذا المحل بعد أن اشتراه عليه مشكلة كبيرة لا تُحّل، وهذا البيت في أساساته خلل، لابد من تفريغه فوراً، فالفشل والخذلان شيء لا يعرفه إلا من ذاقه، صعب جداً، ومنها الشعور بالقلق والشقاء، ومنها الألم وضيق الصدر، ومنها بلبلة الفكر، واضطراب النفس، ومنها مَحْق البركة والخير في الوقت والمال والزوج والولد، ومنها المصائب والبلايا الكثيرة، أعاذنا الله منها، ومنها مجانبة التوفيق في الأمور، ومنها الإذلال والإهانة.

استغل رجل علمه استغلالاً لا أخلاقياً، كان لا يبذل هذا العلم إلا بأجر باهظ جداً، والناس بحاجة إليه، أصابه مرض عضال، كان يسكن في أرقى بناء، زوجته أَمرت أن يكون في القبو وحده، ووكّلت خادمة ترعى شؤونه، وامتنعت عن اللقاء به، فكان يذكرها كل يوم مرات كثيرة، وتهمله، ثم أمرت أن ينتقل إلى مكان

بعيد عن البيت، وبقي ثماني سنوات يعاني–طبعاً كان مشلولاً–مِن الإهمال، والقذارة، وضيق النفس، والإذلال، ما لا يتحمله بشر، قال تعالى:

**إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)**

سورة البروج

إذا أدب ربنا عزّ وجل الإنسان، أحياناً زوجته تقسو عليه، ابنه أقرب الناس إليه :

وإذا أعطاك من يمنعه ثم من يعطي إذا ما منعك؟

عبد الغني النابلسي

**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (11)**

سورة الرعد

لابد من أن يذوق السوء، لا يعصمك من الله إلا الله، لا ملجأ منه إلا إليه، هذا كله جزاء مُعجّل في الدنيا قبل الآخرة، حتى إن الله عزّ وجل يقول:

**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (46)**

سورة الرحمن

جنة في الدنيا، وجنة في الآخرة.

**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (124) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا (125) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى (126)**

سورة طه

## الأدلة القرآنية على أن من الجزاء ما هو مُعجّل للمحسن في الدنيا قبل الآخرة:

الآن إلى الأدلة القرآنية على أن من الجزاء ما هو مُعجّل في الدنيا قبل الآخرة، وهي قوله تعالى، استمعوا جيداً:

**وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30)**

سورة النحل

في الدنيا، الله كريم في الدنيا وفي الآخرة: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآَخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ**﴾ قال تعالى:

**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)**

سورة الأعراف

والله كنت مرة في مزرعة، أحد الأصدقاء أطلعني على حبة قمح أنبتت خمساً وثلاثين سبلة، أخذنا سبلة وفرطناها فإذا فيها ما يعادل خمسين قمحة، ضربنا الخمسين بخمس وثلاثين كان الناتج ألفاً وسبعمئة وخمسين قمحة مِن قمحة واحدة، قال تعالى:

**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)**

سورة البقرة

﴿**وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

## الأدلة من الكتاب على تعجيل بعض العقاب للمسيء في الدنيا قبل الآخرة:

قال تعالى:

**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آَمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (112)**

سورة النحل

الجوع من الفسق والفجور والانحلال والتفلت وفشو الزنا والاختلاط، إذا رخصت لحوم البشر ارتفعت أسعار اللحوم التي نأكلها، هناك علاقة عكسية بين لحوم البشر ولحوم الضأن، فكلما غلت اللحوم.

**عن النبي ﷺ أنه قال: صنفان من أهل النار لم أرهما: رجال بأيديهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.**

صحيح مسلم

عندئذٍ تصعب الحياة، كن لي كما أريد أكن لك كما تريد، كن لي كما أريد ولا تُعلِمني بما يُصلحك، إذا سلّمت لي فيما أريد كفيتك ما تريد، وإن لم تسلّم لي فيما أريد أتعبتك فيما تريد، ثم لا يكون إلا ما أريد، قال تعالى:

**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ (13) تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ (14)**

سورة القمر

هذا حفظ ربنا عز وجل، في كل الأزمات، والشدائد، وفي المصائب الجماعية، والأعاصير، والفيضانات، والزلازل، والبراكين، في كل المصائب الجماعية يُنجّي الله المؤمنين، قال عز وجل:

**وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)**

سورة الأنبياء

قال تعالى:

**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36)**

سورة الذاريات

المؤمن ينجو، آيات أخرى تؤكد هذه الحقيقة، قال تعالى:

**لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (18) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (19)**

سورة الفتح

العقاب للمسيئين قال تعالى:

**فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (26)**

سورة الزمر

عذاب الخزي والعار شيء لا يحتمل، ﴿**وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ قال تعالى:

**لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآَخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (34)**

سورة الرعد

إذاً الجزاء على الحسنات أو السيئات قد يكون مُعجّلاً، وقد يكون مُؤجّلاً، ذكرنا بعض أنواع الجزاء المعجّل على الحسنات وعلى السيئات.

## أنواع النعم:

### 1- نِعم الجزاء:

الآن يوجد عندنا موضوع فرعي له علاقة وشيجة بهذا الموضوع، نِعم الجزاء، والابتلاء، والاستدراج، النعم على ثلاثة أنواع، نِعم جَزاء ونِعم ابتلاء ونِعم استدراج، فليست كل نعمة ينعم بها الإنسان نعمة جزاء على حسنات، قد تكون هذه النعمة نعمة ابتلاء، وقد تكون هذه النعمة نعمة استدراج، فيجب أن تعلم علم اليقين أنّ هذه النعم التي أنت فيها هل هي نِعَم جزاء أم نِعم ابتلاء أم نِعم استدراج؟ فنِعم الجزاء مثلاً تكون ثواباً من الله تعالى للإنسان على ما قدم من حسنات، وهذا النوعُ تأييد رباني، وتشجيع مِن شأنه أن يدفع الإنسان لمضاعفة العمل الصالح، والتزام سلوك الصراط المستقيم في أمره كله.

أحياناً تجد الإنسان في الظروف الصعبة القاسية يُوفَّق في عمله توفيقاً لا يُصدق، لأنه كان مستقيماً، وقد بذل، وضحى، وآثر، آثر رضوان الله عزّ وجل، تأتيه الدنيا وهي راغمة، هذه الدنيا التي جاءته وهي راغمة إنما هي جزاء من الله عزّ وجل على إحسانه في الدنيا، هذه النعم نِعم الجزاء، وغالباً تكون النعمة من جنس العمل الصالح، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه، من غضّ عينه عن محارم الله متّعه الله بها، من كفّ أذنه عن سماع الملهيات متّعه الله بها، من كفّ يده عن الحرام متّعه الله بها، من أنفق من ماله ابتغاء مرضاة الله ضاعف الله له ماله أضعافاً كثيرة، أي قضية الإنفاق شيء ثابت، قال تعالى:

**قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39)**

سورة سبأ

شيء قطعي:

**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3)إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)**

سورة النجم

## 2- نِعم الابتلاء:

من النعم ما هي نعم جزاء، ومن النعم ماهي نعم ابتلاء، قال تعالى:

**فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (15)**

سورة الفجر

**كَلَّا بَل لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17)**

سورة الفجر

ليس هذا إكراماً، هذا ابتلاء، الغني يُبتلى بالمال، ماذا يفعل؟ أينفقه في طاعة الله؟ سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه سمع من بعض أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام أنّ ماله قد يؤخّره عن اللحاق بأصحابه، يا أبا ذر ربما دخلت الجنة حبواً، أي زحفاً، فقال رضي الله عنه: والله لأدخلنّها خبباً، أيْ هرولة، وماذا أفعل؟ واللهِ ما منعت مالي مسكيناً ولا فقيراً، وماذا أفعل إذا أنفقت مئة في الصباح فأعطاني الله ألفاً في المساء؟ ماذا أفعل؟ لذلك أحياناً كلما بذلت مِن المال ضاعف الله لك أموالك أضعافاً مضاعفة، هذه نعمة الجزاء، أو قد يأتي المال ابتلاء ليمتحن معدن الإنسان، هل يتغير بالمال؟ هل يتيه على الخلق؟ هل يستعلي عليهم؟ هل ينسى أيام الضيق والشدة؟ هل يحمله ماله على معصية الله؟ هل يحمله ماله على الفجور؟ هل يحمله ماله على أن يترك صلاة أو صياماً؟ هل يحمله انشغاله بماله عن أن يبتعد عن مجالس الذكر؟ هذا المال الآن ابتلاء وليس جزاء، لكن مال الابتلاء إذا أُنفق في طاعة الله انقلب إلى جزاء، لا يكون مال الابتلاء نعمة إلا إذا أُنفق في طاعة الله.

## 3- نِعم الاستدراج:

أما النوع الثالث ونعوذ بالله من هذا النوع: نِعَم الاستدراج، ترك ثمانمئة مليون، كلها جُمّعت من القمار، يملك خمس أو ست صالات قمار، قبل وفاته التقى ببعض أهل الله، ماذا أفعل؟ ماذا تفعل؟ الآن بعد فوات الأون؟! كل هذا المال حرام، قال له أحدهم: لو أنفقته كله لا ندري ما النتيجة؟ البطولة عند هذه الساعة، قال تعالى:

**فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)**

سورة الزخرف

**فَذَرْهُمْ حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ (45)**

سورة الطور

هذا المال الثالث من نِعَم الاستدراج:

**يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (3)**

سورة الهمزة

**يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6)**

سورة البلد

كلفنا العشاء سبعمئة وخمسين ألف ليرة أثناء العرس، في الفندق الفلاني، عشاء للضيوف بالفندق الفلاني، بالسبعمئة والخمسين ألفاً نزوج خمسة عشر شاباً، نزوجهم مع أثاث بيتهم، قال تعالى:

**يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا (6) أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (7)**

سورة البلد

وهي النعم التي يوليها الله للكافرين والعصاة الموغلين في العناد لربهم، ومخالفتهم له، استدراجاً لهم لتهيئة الظروف التامة لحرية إرادتهم في الدنيا، حتى إذا أنزل الله بهم عقابه الشديد الذي يستحقونه لم يكن لهم عذرٌ عند ربهم، قال تعالى:

**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)**

سورة الأنعام

هذا روتشيلد كان من أغنى أغنياء اليهود، كان عنده مستودعات لسبائك الذهب، كان ينتقل من عاصمة إلى أخرى، دخل إلى بعض المستودعات، أُغلق الباب عليه خطأً، وجعل يصيح ويستريح إلى أن مات جوعاً بين سبائك الذهب، جرح إصبعه وكتب على الحائط قبل أن يموت: أغنى إنسان يموت جوعاً، هؤلاء الذين: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ فصار النعم نِعم جزاء ونِعم ابتلاء ونِعم استدراج.

## أنواع المصائب:

### 1- مصائب الجزاء:

الآن مصائب الجزاء والابتلاء والتربية، أولاً يوجد عندنا مصائب الجزاء وهي المصائب التي تكون عقاباً من الله عزّ وجل للإنسان على ما اكتسب من سيئات، وفي هذا النوع عناية من الله بعبده ليتذكر فيتعظ، ويتوب إلى الله تعالى، ما من عثرةٍ، ولا اختلاج عرقٍ، ولا خدش عودٍ إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفو الله أكثر.

هذه العقوبات دليل محبة رب الأرض والسماوات، إذا أحبّ الله عبده عجّل له بالعقوبة، إذا كان عند أحدهم ثلاثة أولاد، ولد ذكي مجتهد، ولد ذكي مقصر، ولد أبله، مَن يعاقب؟ الذكي المجتهد لابأس، والأبله لا أمل منه، يصب الأب كل عقابه على الذكي المقصِّر، فهذا الذي ذكّره الله مراراً فلم يتذكر ﴿**فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ**

**كُلِّ شَيْءٍ﴾** وهذا المؤمن المستقيم الشاكر هذا موفق، حققّ الهدف من وجوده، على مَن ينصبّ العقاب؟ على هذا الذي عنده إمكانيات كبيرة، وهو مُفرّط بها، قال تعالى:

**وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آَيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (47)**

سورة القصص

إذاً هذه المصائب عناية ربانية بالإنسان، يقول الله تعالى:

**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (30)**

سورة الشورى

انظر المصيبة نكرة، ﴿**من مصيبة**﴾ أيّة مصيبة، صغيرة كانت أم كبيرة، مادية كانت أو معنوية، خطيرة أم حقيرة: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ**﴾ لاستغراق كل المصائب، ﴿**فبما كسبت أيديكم وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ هذه مصائب الجزاء.

## 2- مصائب الابتلاء:

مصائب الابتلاء هي المصائب التي يتعرض فيها أهل الطاعة ليبتلي الله بها صبرهم فيرفع درجاتهم، ويزيد من حسناتهم، السيارة ماشية، حمولتها خمسة وعشرون طناً فرضاً، وهي الآن تحمل خمسة أطنان، على كل طن مئة ألف ليرة أجرة، هو قبِل خمسة أطنان، لكن نحن لا نقبل أن نُحمّله خمسة طن، نحمله خمسة أخرى، حتى يتضاعف أجره، لأنّه يتحمل، فهناك مؤمنون يعرفون الله جيداً، وهم أهلٌ للتحمل، لذلك تُساق لهم بعض المصائب في الدعوة كي يُضاعف الله لهم أجرهم، هذه مصائب رفع الدرجات، لا علاقة لها بالجزاء.

يا أيها الإخوة الأكارم؛ الذي أتمناه عليكم وهذا من أدب المسلم إذا ألّمت بنا مصيبة يجب أن نتهم أنفسنا، ما الذنب الذي اقترفته؟ أما إذا ألّمت بغيرنا مصيبة يجب أن نُحسِن الظن بهم ونقول: هذه مصيبة رفع درجات، أما مِن اللؤم ومن الفجاجة أن تتهم الآخرين إذا أصابتهم مصيبة بأنها مصيبة جزاء، وأن تُحسِن الظن

بنفسك إذا أصابتك مصيبة تقول: هذه ابتلاء، هذه رفع درجات، لا، بالعكس يجب أن يعمل الإنسان، إذا ألمّت المصيبة بأخيك ظُنّ به خيراً وقل: هذه مصيبة ابتلاء، ولعل أخي له عند الله درجة عالية جداً، أراد الله أن يرفعها له، أما إذا ألمّت بك مصيبة لا سمح الله وبنا، قل: لعلي مقصر، اتّهم نفسك دائماً، ونزّه أخاك دائماً، هذا هو الأدب، أمّا أكثر الناس يُبرئ نفسه، ويتهم أخاه، هذا من سوء الأدب، من أساء الظن بأخيه فكأنما أساء الظن بربه، مصيبة الجزاء: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ واضحة الآية.

**مصيبة الابتلاء:**

**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (120)**

سورة الشورى

أنت أديت حجاً في أيام القيظ الشديد، هذا ابتلاء، رفع درجات، لم تتحمل الحر، لكن الله عزّ وجل كتب لك بهذا أجراً كبيراً، كانت أيام الصيام بأشهر الصيف الطويلة، تحملت منذ الظهر كِدت تسقط على الأرض من شدة العطش، هذا ابتلاء، رفع درجات، ﴿**مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ لو فرضنا أحدهم كلفك بعمل، على قدر المشقة أعطاك الجزاء، وجدك ما تعبت أعطاك ألفاً، وجدك تعبت أعطاك ألفين، تعبت جداً أعطاك خمسة آلاف، فكلما كان هناك مشقة رفع السعر، فربنا عزّ وجل يُحب أن يكرمنا عن طريق أن يسوق بعض المصائب للمؤمنين الصادقين يتحملوا في سبيل الله فيرفع الله شأنهم، هذه إذا أحبّ الله عبده ابتلاه.

## 3 – مصائب التربية:

النوع الثالث مصائب التربية، هذه:

**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (118)**

سورة التوبة

ربنا عزّ وجل للإنسان الغافل، المُعرض، المُقصر، يرسل له مشكلة خطيرة، يُضَيق عليه إلى أن يضجّ بالشكوى إلى الله عزّ وجل، يتوب من ذنبه، ممكن تاجر يفلس، لا يصلي، بعدما فلّس صار يصلي، ممكن، رابحة معه، ليس فيها خسارة، احترق محل أحدهم، قال لي: واللهِ بالمحل يوجد بضاعة بثلاثة ملايين، عندما كان ثمن البيت خمسين ألفًا، الآن لا قيمة لهذه الملايين الثلاثة، قال لي: لعلي أكون أنا قد بعت بعض البضائع بشكل غلط سابقاً، آكل المال الحرام، لعل الله جمعهم كلهم وأراد أن يُطهر لي مالي، والله شيء جميل، بارك الله بك على هذا الظن الحسن، سيدنا عمر كان يقول إذا أصابته مصيبة: الحمد لله ثلاثاً، الحمد لله إذْ لم تكن في ديني، الدين سليم، الحمد لله إذْ لم تكن أكبر منها، الحمد لله إذْ أُلهمت الصبر عليها، هذه مصائب التربية، يوجد تقصير، يوجد ضياع، يوجد انحراف، يوجد مال حرام بالمنتصف، جاءت النيران فالتهمت المال الحرام.

في الدرس القادم الحديث عن الجزاء المؤجل، هذا الجزاء المؤجّل يناله الإنسان يوم القيامة، وبعدها نتابع موضوع الإيمان باليوم الآخر ونأخذ قانون المسؤولية والكسب وبعدها ننتقل إلى الإيمان باليوم الآخر وهذه كلها مقدمات.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 48-60: الإيمان باليوم الآخر 6- حدود المسؤولية بالنسبة للمكلف تجاه خالقه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## مراحل الجزاء المُؤجّل بالثواب أو العقاب:

### ا- مرحلة ما بعد الموت وقبل البعث:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثامن والأربعين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي إلى موضوع الجزاء المُعجّل، وتحدثنا من الجزاء المُعجّل جزاء الابتلاء والاستدراج والعقاب، وجزاء الابتلاء والتربية، وننتقل اليوم إلى الجزاء المؤجّل، هناك مُعجّل، وهناك مؤّجل، الانحراف، أو المعصية، أو الخطيئة، لها عقاب مُعجّل في الدنيا، كما تحدثنا عنه في الدرس الماضي ولها عقاب مؤجّل في الآخرة، فأما الجزاء المُؤجّل بالثواب والعقاب فيكون على ثلاث مراحل؛ المرحلة الأولى مرحلة ما بعد الموت وقبل البعث، وهذه المرحلة سمّاها القرآن الكريم: البرزخ، ما بعد الموت إلى ما قبل البعث، هذه المرحلة سمّاها القرآن الكريم البرزخ، ويُسمى النعيم فيها بنعيم القبر، والعذاب فيها بعذاب القبر، البرزخ أو نعيم القبر أو عذاب القبر، وقد ورد في نعيم القبر وعذابه جملة من الأحاديث النبوية، ملخصها أنّ القبر إمّا أنه روضة من رياض الجنة، وإما أنه حفرة من حفر النيران، وسيُفصَّل هذا في درس قادم إن شاء الله.

## 2- مرحلة ما بعد البعث وقبل مرحلة الفصل النهائي:

أما المرحلة الثانية مرحلة ما بعد البعث وقبل انصراف أهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، هذه مرحلة ثانية، ويكون ذلك في يوم الحساب، ويتم فيه الجزاء بالثواب والعقاب على أنواع مختلفة، فمِن الثواب مثلاً الاستظلال بظلّ العرش، وفي الحديث الصحيح **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ، الإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ.**

متفق عليه

هذا ثواب بعد البعث وقبل دخول الجنة، والشرب من الحوض، مَن شرِب مِن حوض النبي عليه الصلاة والسلام يشرب شربة لا يظمأ بعدها أبداً، وتهوين طول الموقف، هذا الموقف يمرّ كلمح البصر، والمرور على الصراط المستقيم بسرعة، إلى غير ذلك.

ومِن العقاب شِدّة الحر على أهل الذنوب، والكرب والظمأ الشديدان، والتعتعة على الصراط المستقيم، وطول انتظار الحساب، إلى غير ذلك من صنوف العذاب، هذا العذاب بعد البعث وقبل دخول النّار، وذاك النعيم بعد البعث وقبل دخول الجنة.

## 3- مرحلة دخول المؤمنين الجنة ودخول أهل النارِ النار:

المرحلة الثالثة هي المرحلة الأخيرة التي يتمّ فيها الثواب الأكبر بدخول الجنة، والعقاب الأكبر بدخول النار، ودخول الجنة أبدي لكل من يدخلها، قال عز وجل:

**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48)**

سورة الحجر

ودخول النار أبدي بالنسبة إلى الكافرين، ومؤقّت بالنسبة إلى عصاة المؤمنين، كلّ بحسب ذنوبه وسيئاته.

ويمكن أن نقول: إن الله العلي القدير قد جعل تحقيق الجزاء الأكمل في اليوم الآخر، يوم الخلود، ليستكمل حكمه العظيمة المشتملة على سرِّ الخَلْق والإبداع، ولله في إبداعه أسرار لا يحيط بعلمها إلا هو، واليوم الآخر الذي يتمّ فيه الجزاء المؤجل يكون بعد البعث، وهو اليوم الذي جاء به وجوب الإيمان به ركناً من أركان العقيدة.

يوجد عندنا البرزخ ما بعد البعث إلى قبل دخول الجنة، المرحلة الثالثة يوم دخول الجنة الأبدي، أو دخول النار الأبدي أو المؤقت، هذا الإيمان باليوم الآخر يُعدّ ركناً أساسياً من أركان العقيدة.

## حدود المسؤولية بالنسبة للمُكلّف تجاه خالقه:

### 1- انتهاء فترة الابتلاء عند موت الشخص المُكلّف:

الآن لا زلنا في بعض الموضوعات التمهيدية، عنوان الموضوع الجديد: حدود المسؤولية، المسؤولية تجاه الخالق لها حدود، نوضِّح معالمها فيما يلي؛ أولاً: إذا مات المكلَّف انتهت فترة ابتلائه، الابتلاء في الدنيا فقط، فإذا وافت الإنسان منيته انتهت مدة التكليف، انتهى التكليف، انتهى الابتلاء، لذلك جاء في بعض الآيات الكريمة قوله تعالى:

**وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (18)**

سورة النساء

أي التكليف في الدنيا، الابتلاء في الدنيا، العمل الصالح في الدنيا، التوبة في الدنيا، الإصلاح في الدنيا، أما إذا جاء الموت انتهت مدة التوبة، انتهت مدة التكليف، انتهت مدة الابتلاء، انتهى كل شيء، خُتِم العمل وبقي الجزاء، فالإنسان إذا جاءه الموت، أو ما بعد الموت، أو في القبر، أو ما بعد القبر، أن يتوب، أن

يعمل عملاً صالحاً، هذا مستحيل، فمنذ لحظة الموت لا يستطيع أحد أن يجحد الله، أو أن يكفر به، أو أن يعصيه، إذ تنكشف له الحقيقة بالشهود التام، لا يخالطها أدنى توهم، وينتهي عندها موضوع الإيمان بالغيب المطلوب من الناس على لسان الرسل، هذه حقيقة مهمة جداً، الأرض الآن فيها ستة آلاف مليون إنسان، بعضهم يُنكِر وجودَ الخالق، بعضهم يُنكِر الدين الإسلامي، بعضهم يُنكِر بعض أسماء الله الحسنى، هؤلاء بوذيون، وهؤلاء هندوس، وهؤلاء مسلمون مقصرون، وهؤلاء نصارى، جميع الملل والنحل عند مجيء الموت تنكشف لها الحقيقة التي لا ريب فيها:

**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (22)**

سورة ق

أي أشدّ الناس المعارضين لرسالات الرسل تنكشف له الحقيقة فيؤمن، أما هذه الحقيقة تنكشف بعد فوات الأوان.

### 2- للابتلاء أو التكليف شروط:

الحكم الثاني هو أنه ما لم تتوافر شروط التكليف لم يتوجب الابتلاء أصلاً، أول حكم: الابتلاء في الدنيا، فإذا جاء الموت انتهت مدة الابتلاء، الحكم الثاني: أنه لا ابتلاء إلا بشروط، فلو أن الإنسان فَقَدَ عقله سقط الابتلاء، إذا أخذ ما أوهب أسقط ما أوجب، فالطفل غير المميز، والمعتوه، وفاقد الإدراك، غير مكلفين بالشرائع الربانية، لأنهم ليسوا أهلاً لإدراك معنى الألوهية، وفهم أوامر الله ونواهيه، ومسلوبو الإرادة بشكل كلي أو جزئي غير مكلفين أيضاً، إذاً أولاً التكليف في الحياة الدنيا، والتكليف يحتاج إلى بلوغ، وعقل، وحرية، أن يكون بالغاً عاقلاً حراً، ما لم تتوافر شروط البلوغ والعقل والحرية فلا تكليف ولا ابتلاء.

### 3- إذا وُجِد الشرط وُجِد الابتلاء وإذا فُقِد الشرط فُقِد الابتلاء:

الحكم الثالث أنه متى فُقِدت شروط التكليف بعد وجودها ارتفع حكم الابتلاء حتى تعود الأهلية، إنسان فَقَدَ عقله، في اللحظة التي فَقَد فيها عقله ينتهي تكليفه، فإذا عاد عقله عاد إليه التكليف، هذه قاعدة.

إذاً التكليف في الدنيا، والتكليف يحتاج إلى أهلية منها البلوغ والعقل والحرية، وإذا سُلِب الإنسان بعض هذه الشروط ارتفع التكليف، فإذا أُعيدت إليه عاد التكليف، لذلك يرتفع التكليف عن المجانين، لكن ملاحظة؛ هذا المجنون الذي إذا استفززته يسبّ الدين، لا شيء عليه هو، أما الذي استفزّه عليه كل الإثم، هناك أناس سبحان الله! مولعون باستفزاز المجانين، فإذا استفزوهم انطلقت ألسنتهم في سبّ الدين وسبّ الإله، هؤلاء الذين استفزوهم يتحملون كامل الإثم والمسؤولية، أما المجانين أنفسهم فلا شيء عليهم، لذلك فالتكليف يرتفع عن المجانين منذ بدء جنونهم حتى تعود إليهم عقولهم، كذلك يرتفع التكليف عن مسلوبي الإرادة، لو أن إنساناً مقيدة حريته وتحت ضغط القتل أُمِر أن يفعل شيئاً، ما دام هذا الإنسان مسلوبَ الإرادة فلا شيء عليه، **عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان وما استُكرهوا عليه.**

حديث حسن رواه ابن ماجة والبيهقي وغيرهما

## آثار حدود المسؤولية بالنسبة للشخص المُكلّف:

### 1- الشخص ليس مسؤولاً إلا إذا كان حراً في إرادته:

الآن حدود هذه المسؤولية، فهمنا أن المسؤولية إنما تكون في الدنيا وتنتهي عند الموت، ولابد من شروط تحقق المسؤولية كالعقل والحرية والبلوغ، وإذا سُلِبت بعض المؤهلات ارتفعت المسؤولية، فإذا عادتِ المسؤولية، الآن حدود المسؤولية.

الأمر الأول: المسؤولية عن الكسب الإرادي البدني، والنفسي، والفكري، كل إنسان له كسب إرادي، إذ الإرادة كما سبق هي محل المسؤولية، لا مسؤولية إلا بالإرادة الحرة، ما دمت مُريداً لأعمالك التي تفعلها بكامل حريتك فأنت مسؤول، إذا رُفعت هذه الإرادة الحرة فأنت غير مسؤول.

الإرادة هي محل المسؤولية، وفاقد الإرادة لا مسؤولية عليه، وبناء على ذلك يكون توجيه الإرادة الجازمة لأمرٍ من الأمور كافياً في ترتيب المسؤولية، سواء تمّ التنفيذ العملي أو لم يتم، أي هذا الإنسان أراد أن يُوقِع الأذى بفلان، ما تمكّن، جاء ظرف حال بينه وبين إيقاع الأذى فيه، محاسبٌ على هذه الإرادة، لأن إرادته الحرة توجهت إلى إيقاع الأذى بفلان، لا يعنينا أن الأذى وقع أو لم يقع، يعنينا أنه كَسبَ هذا الإثم باختياره،

إذا لم يتمّ تنفيذ هذه الإرادة الحرة في إيقاع الأذى بفلان، ما نُفِذ هذا الأمر بإرادة ثانية مضادة لها، كانت هذه الإرادة الثانية ناسخة للإرادة الأولى، أراد إنسان أن يوقع الأذى بفلان، ثم فكر فرأى أن في هذا الأذى إغضاباً لله عزّ وجل فامتنع ذاتياً، له أجر، الإرادة الثانية هي التي محت الإرادة الأولى.

شاب في مقتبل العمر ذهب إلى الحج، ولما عاد فتح مكتبة في بعض أحياء دمشق، وكان غير متزوج، وقفت فتاة مستهترة أمام المحل، وأشعرته بأنها توافق معه لو أرادها هكذا، وسارت، أغلق محله وتبِعَها، وفي الطريق تذكّر الحج الذي حجّه، القصة شهيرة، كان هناك حافلات الترام، فلما رأى حافلة قفز إليها وعاد إلى دكانه، هناك إرادة أولى، الأولى كانت متوجهة نحو الزنا، الإرادة الثانية نسخت الإرادة الأولى، في اليوم التالي وقف على دكانه أحد وجهاء الحيّ وسأله برفق: هل أنت متزوج؟ قال له: لا، قال: عندي فتاة تُنَاسبك، فظنّ هذا الشاب أن هذه الفتاة كاسدة، فيها علة كبيرة، بحيث أن أباها يعرِضها على الناس، لكنه أرسل أمه، فإذا الفتاة كما يقولون تجمع بين كمال العقل والدين، عاد هذا الوجيه ثانيةً، قال له: ماذا حصل؟ قال: يا سيدي، هذه لا أليق بها، أنا لا أملك شيئاً، قال: هذا ليس من شأنك، يبدو أن الأب كان ميسور الحال، زوّجه هذه الفتاة، وشاركه في عمله، وعاش هذا الإنسان في بحبوحة، وفي سعادة، لأن الإرادة الثانية نسخت الإرادة الأولى فاستحق هذا العبد الإكرام، لذلك: **عن سالم عن أبيه مرفوعاً: ما ترك عبد شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.**

رواه أبو نعيم عن ابن عمر مرفوعاً وقال غريب

إذا توجّه الإنسان بإرادة سيئة مختارة إلى عمل ما، ثم ندِم على هذه الإرادة، وأراد شيئاً آخر، فإن الإرادة الثانية تمحو الأولى، وينتهي الأمر، وفي بعض الأحاديث يُكتَب له أجر على محوه الإرادة الأولى، أما إذا لم يتم التنفيذ بسبب موانع خارجية، كان يتربص بفلان ليضربه، فلان لم يأت، لم يحقق هدفه، لا لإرادة ثانية ناسخة للأولى، لا، ولكن لأن هناك موانع خارجية، لذلك لو لم يُنفِذ هذه الإرادة فإن الإثم سُجّل عليه، هذا كلام خطير، أين الدليل؟ عوِّد نفسك كل فكرة تحتاج إلى دليل، **عَنِ الأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ: ذَهَبْتُ لأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرَةَ فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ قُلْتُ أَنْصُرُ هَذَا الرَّجُلَ قَالَ ارْجِعْ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ**

**وَسَلَّمَ يَقُولُ: إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ.**

صحيح البخاري

المقتول توجهت إرادته إلى قتل صاحبه، لكنه لم يستطع، فعَاجَلَهُ صاحبُه بضربة قاضية، فالقاتل والمقتول في النار، قالوا: ((**هَذَا الْقَاتِلُ فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ؟ قَالَ: إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**)) لذلك يقول عليه الصلاة والسلام عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً.

صحيح البخاري

ما دام لم يقترب إلى سفك الدم القضية سهلة، التوبة سهلة.

## 2- الإنسان مسؤول عن عمله السيئ وآثاره:

الأمر الثاني، المسؤولية عن آثار الكسب الإرادي البدني، والنفسي، والفكري، وهي الآثار التي تنجم عن الكسب الإرادي ولو بعد حين، هذه نقطة دقيقة جداً، مثلاً لو أنّ إنساناً صلّح سيارة، وكلّف صانعاً أنّ يُرَكِّب فيها آلة معينة، الصانع صغير ضعيف، لا يملك وعياً كافياً، لم يضبط التركيب، استقلّ صاحب السيارة مع زوجته وأولاده السيارة، صار هناك خلل بسبب عدم إتقان تركيب هذا الجهاز، صار هناك تدهور مات الأشخاص الخمس، النقطة الدقيقة هذا الذي صلّح السيارة لا يُحاسب على إهماله، بل يُحاسب على أنه قاتل لخمسة أشخاص، أي هذا الخطأ ماذا نتج عنه؟

ركّب لوح بلور، ثبَّتَه بمسمار واحد، أتى طفل ضرب النافذة وقع البلور فوقه فقتله، هذا يُحاسب لا على أنه أهمل وضع مسمار، لا، على أنه تسبّب في قتل إنسان، هذه نقطة مهمة جداً سنعيدها مرة ثانية، المسؤولية عن آثار الكسب الإرادي ليست عن الكسب وحده، بل عن آثار الكسب الإرادي البدني، والنفسي، والفكري، ويدل على هذا نصوص كثيرة، وهي قوله صلى الله عليه وسلم: **عن جرير بن عبد الله منْ سَنَّ سُنَّةً**

**حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا.**

صحيح ابن ماجه

أي إذا إنسان غرر فتاة وجعلها تسقط، يوم القيامة قد يعرِض الله عليه مليون فتاة ساقطة من نسل هذه الساقطة، كل هؤلاء بسببه هو، أخطر شيء في الدرس هذه النقطة، لا يُحاسَب الإنسان على كسبه، بل يحاسب على آثار كسبه، قال تعالى:

**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)**

سورة يس

((**وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ**)) إلى يوم القيامة، فالإنسان يسنّ سنّة سيئة، يعمل ترتيباً يصنع فيه معصية، وهذا الترتيب يصلح تقليداً مِن بعده يسير الناس عليه، هذا شيء خطر جداً، اخترع نُوبل البارود، كم إنسان قُتل في العالم بسبب هذا البارود؟ كم إنسان قُتِل بريء عن طريق البارود؟ لذلك ندِم بعدما اخترعه، جمع كل ثروته، ووضعها في خدمة من يُقدّم للإنسانية بحثاً علمياً، أو أدبياً، أو فنياً، يحقق السلام بين بني البشر، وهذه الجائزة تُعطى سنوياً لثلاثة أشخاص: لرجل علم، ورجل أدب، ورجل فن، اسمها جائزة نوبل للسلام، مهما دفع الذين يموتون كل يوم عن طريق المتفجرات وهم بريئون أعداد كبيرة جداً لا تُعدّ ولا تحصى، لذلك: ((**وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ**)) إلى يوم القيامة، ﴿**وإِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ**﴾ جميع الآثار المُترتبة على هذه الأعمال مُحاسب عليها الإنسان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ.

صحيح الجامع

هذه بالمقابل إذا كان العمل السيئ يُحاسب الإنسان على آثاره إلى يوم القيامة.

## 3- الإنسان مأجور على عمله الطيب وآثاره:

هذه بالمقابل إذا كان العمل السيئ يُحاسب الإنسان على آثاره إلى يوم القيامة، بالمقابل العمل الطيب يُكافأ على آثاره إلى يوم القيامة، أنت قد تكون وأنت في حياتك بذلت جهداً لهداية إنسان واحد، هذا الإنسان عندما تزوج بحث عن امرأة مؤمنة، أنجب أولاداً، ربّاهم تربية عالية، علّمهم، كانوا من بعده دُعاة إلى الله عزّ وجل، هؤلاء دَعوا الناس، قد يأتي يوم القيامة فيريه الله عزّ وجل أن مليون إنسان سَعِد في الدنيا والآخرة بسبب أنه هدى هذا الإنسان الأول، لذلك قال تعالى:

**مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (32)**

سورة المائدة

الغُرم بالغُنم، كما أن العمل السيئ تُكتب آثاره إلى يوم القيامة كذلك العمل الطيب تُكتب آثاره إلى يوم القيامة، ساهم إنسان في بناء مسجد، ساهم ومضى خمسون سنة ووافته المنية، هذا المسجد إلى يوم القيامة كل صلاة عُقِدت فيه، كل حلقة ذكر، كل مجلس علم، أي خير ظهر من المسجد في صحيفة الذي ساهم ببنائه إلى يوم القيامة، لذلك الإنسان المؤمن يوم القيامة يعرق عرق الخجل، له طبعاً عمل طيب لكنه لم يكن يتوقع أن هذا العمل بهذا الحجم الكبير، كل هذا لي؟ نعم، لأنك أنت الذي بدأت، أنت الذي سننت هذه السنة الطيبة، فكل من عمل بها في صحيفتك إلى يوم القيامة، فإذا تمكّن الإنسان أن يربي ولداً تربية عالية جداً، يكون صالحاً للناس، ينفع الناس، أو تمكّن أن يترك صدقة جارية، أو تمكّن أن يترك علماً يُنتفع به، الإمام الغزالي توفي رحمه الله تعالى، ترك الإحياء، اسأل لي: بالعالم الإسلامي من المغرب إلى الباكستان، ومن تركيا إلى اليمن، كم إنسان انتفع بالإحياء؟ ونحن والله الذي لا إله إلا هو درس الأحد من سنتين أو ثلاث في صحيفة الإمام الغزالي، لأن هذا كتابه، نقرأ من كتابه ونستفيد، فإذا إنسان ترك كتاب حق، فيه دعوة إلى الله، هذا له أجره وأجر من عمل به، إذا كنت تستطيع أن تترك ولداً صالحاً، أو تترك علماً أو صدقة جارية، **((إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثَلاثٍ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ))** أي مسجد، سبيل، إنسان أنشأ مستشفى مثلاً، مستشفى

تُخَفف الآلام عن الناس، أنشأ مسجداً، أنشأ معهداً، أنشأ مدرسة، أنشأ معهداً شرعياً، عمل عملاً صالحاً، ساهم بتزويج الشباب مثلاً، عمِل مشروعاً خيرياً، كم مشكلة ألغاها في حياتنا؟ لذلك هذا الموضوع دقيق جداً، أي اجهد أن يكون لك عمل يستمر بعد الموت، والله الذي لا إله إلا هو فكأنك لم تمت.

سيدنا الصدّيق رضي الله عنه يُعدّ المؤسس الثاني للدولة الإسلامية، لو لم يقف موقفاً حازماً وصُلباً من المرتدين لانتهى الإسلام، فبقاء الإسلام في هذه الأماكن في صحيفته، وكلنا جميعاً في صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكرم الله عزّ وجل أنه يعطيك الأجر، ومثل هذا الأجر لمَن كان السبب، ومثل هذا الأجر للوسيط، الحجم نفسه، العوام يقولون كلمات لها معنى أحياناً: من خلّف ما مات، إذا إنسان ترك ولداً صالحاً، أنا مرة حضرت عزاء عالم جليل، أولاده الأربع علماء، خطباء، والله بكيت، ما مات، كأنه ما مات، ترك أولاداً تعلموا العلم الشرعي ودعوا إلى الله من بعده، فإذا الإنسان أكرمه الله بولد صالح ينفع الناس من بعده فهذه ثروة طائلة، الله مكّنه يفتح مشروعاً خيرياً، جمعية إسعاف فقراء، جامعاً مثلاً، مستشفى، معهداً شرعياً، أي شيء يستمر من بعد وفاته، إما ولد صالح، أو علم، ألّف كتاباً مهماً جداً الناس استفادوا منه، لا يوجد كتاب الآن نستفيد منه إلا بصحيفة مؤلفه، التأليف عمل عظيم، تحتاج إلى كتاب بموضوع معين، هناك إنسان ألّف هذا الكتاب، يلقى الله بهذا العمل، إذاً الأمر الأول أن الإنسان ليس مسؤولاً إلا إذا كان حراً في إرادته، والشيء الثاني المسؤولية تتجاوز العمل إلى آثاره إن كانت خيرة أو كانت شريرة.

## أنواع الكسب:

### 1- الكسب الإيجابي في فعل الطاعات:

الآن يوجد عندنا الكسب الإيجابي، وهو أن يقوم الإنسان المُكلَّف بإرادته بعمل إيجابي، يقوم بعمل، سواء أكان بدنياً، أو نفسياً، أو فكرياً، كل ذلك إما أن يكون في باب الطاعات والفضائل، وإما أن يكون في باب المعاصي والرذائل، الأمثلة؛ الصلاة عمل إيجابي، قام صلى، الزكاة، دفع، الحج، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، خدمة الوالدين، صلة الأرحام، تعليم العلوم الدينية، نشر الشريعة الربانية، إصلاح المجتمع بوسائل

التربية العملية المختلفة، الآن العمل الإيجابي النوع الثاني السيئ؛ القتل، السرقة، الزنا، شرب الخمر، لعب الميسر، الغيبة المحرمة، النميمة، هذه أعمال إيجابية إما خيرة أو شريرة، هذه الأعمال البدنية.

أما النفسية كشغل القلب والنفس بالحبّ في الله، والبغض في الله، السرور بعزة المسلمين، الانقباض لخذلانهم، الشوق لمناجاة الله عزّ وجل، والقيام بطاعته، الرضا عن الله في قضائه وقدره، النوع الثاني؛ شُغل النفس في معصية الله، محبة أهل الكفر، موادة من حادّ الله ورسوله، السرور بانتصار أهل الكفر، الحسد، الحقد، عداوة أهل الحق، هذه كلها أعمال إيجابية نفسية، الأولى بدنية؛ الصلاة بدنية، الصلاة والصوم والحج، بالمقابل السرقة والزنا والقتل وشرب الخمر، أعمال بدنية مادية فيها عمل إيجابي.

النفسية كما ذكرنا، الفكرية التدبر في آيات الله وآلائه، البحث عن دلائل وجوده جلّ وعلا، وكمال صفاته في آثاره، ابتكار ما فيه خدمة المسلمين وتقويم سلوكهم، التخطيط الفكري لفعل الخير ودفع الشر، هذا في باب الطاعات الفكرية.

## 2- الكسب السلبي في فعل المعاصي وترك الطاعات:

أما المعاصي الفكرية إعمال الفكر في ابتكار ما فيه الأذى لخلق الله عز وجل، الذين صنعوا القنابل الجرثومية، والأسلحة الكيماوية حتى يفتكوا بالناس، وهم علماء كبار في مخابرهم، هذه كلها معاص فكرية، يوجد عندنا معاص بدنية كالزنا وشرب الخمر والقتل، يوجد عندنا معاص نفسية كالفرح بانتصار الكفار، الفرح بتراجع الدين، الانقباض حينما يعلو الحق، هذه معاص نفسية، والمعاصي الفكرية أن تُعْمِل فكرك في اختراع شيء يؤذي العباد، يؤذي الخلق، يضرّ بهم، هذا كلها كسب إيجابي في الطاعات أو في المعاصي، بدنية ونفسية وفكرية، وهناك كسب سلبي أيضاً في الطاعات والمعاصي، وبدني وفكري ونفسي.

الأمثلة، كأن يترك المُكلَّف بإرادته المحرمات، هذا كسب، ترك الزنا، ترك الخمر، ترك الاختلاط، هذا كسب سلبي له عليه أجر، دُعِي إلى حفلة فيها معصية فامتنع، دُعِي إلى رحلة مشبوهة فيها اختلاط امتنع، كأن يترك المكلف بإرادته المحرمات، والمكروهات البدنية والنفسية والفكرية كترك السرقة والزنا والقتل، وكترك الحسد والحقد، وكمجانبة التفكر فيما لا خير فيه، أو تَعلُّم ما جاء النهي عن تعلُّمه، ما تعلم السحر مثلاً، وهذا

في باب الطاعات، يقابل ذلك في باب المعاصي ترك الواجبات والمندوبات البدنية والنفسية والفكرية، ترك الصلاة، ترك الزكاة، ترك الأمر بالمعروف، إهمال تعلُّم ما ينبغي تعلّمه، عدم محبة الله ورسوله، عدم الرضا عن القضاء والقدر، عدم التسليم لأحكام الله وشرائعه، وأمثال ذلك مما فيه معصية.

صار عندنا كسب إيجابي في الطاعات وفي المعاصي، في الطاعات البدنية والنفسية والفكرية، وفي المعاصي البدنية والنفسية والفكرية، وعندنا كسب سلبي، ترك، ترك الصلاة كسب سلبي، ترك الأمر بالمعروف، بقي علينا موضوع أخير هو الخاتمة.

## الأدلة من الكتاب والسنة على موضوع حدود المسؤولية:

حدود المسؤولية بصورها المختلفة تدخل بوجه عام في مفهوم قوله تعالى في سورة الزلزلة:

**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**

سورة الزلزلة

هذه السورة جامعة مانعة، كل هذا الدرس مُلخص في هذه السورة، لذلك جاء أعرابي إلى النبي عليه الصلاة والسلام، قال: يا رسول الله عظني وأوجز؟ قال: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾ قال: قد كفيت! فقال عليه الصلاة والسلام: فقُه الرجل، انتهى الأمر، نحن نتعلم تفسير سور بكاملها، نسمع تفسير نصف القرآن ولا يوجد انضباط، هذا الأعرابي استمع إلى سورة واحدة قال: قد كفيت، هذه تكفي، وأقول لكم والله هناك آيات تكفي:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (1)**

سورة النساء

ألا تكفي هذه؟ **﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ﴾**.

## الأحكام التي تنبثق عن حدود المسؤولية:

### 1- الإنسان مسؤول عن آثار أعماله:

هناك مجموعة أحكام تأتي على شكل خاتمة لهذا الموضوع التمهيدي للإيمان باليوم الآخر، لما يأتي بعد الموضوع الأساسي وهو الإيمان باليوم الآخر، هذا كله تمهيد.

الحكم الأول: إذا مات ابن آدم انقطع عمله لانتهاء زمن ابتلائه، لا يوجد عمل، إذا مات الإنسان انقطع عمله، ولكن تبقى آثار عمله، فما ينجم عن عمله الذي باشرهِ وهو حيّ من خير ولو بعد موته إلا تجدد له الأجر الذي يُضاف إلى صحيفة عمله، وما ينجم من عمله الذي باشره بنفسه وهو حيّ من شرّ ولو بعد موته إلا تجدد له إثم يُضاف إلى صحيفة عمله، إنسان اخترع شيئاً يُفسد العلاقة بين الزوجين، إذا شخص من بعده طوّر هذا الاختراع، فهذا التطوير في صحيفة الأول الذي باشره بنفسه، هذا من آثار اختراعه الأول، الدليل النصي قول النبي عليه الصلاة والسلام: ((**إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**)).

و: ((**من سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ**)).

ويقول عليه الصلاة والسلام: **وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا، وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ أَوَّلا.**

صحيح البخاري

ابن آدم الأول، الحكم الثاني؛ أول حكم إذاً أخطر شيء أنك محاسب على آثار أعمالك، إنسان مثلاً عنده بنت، جاءه خاطب، شكل، غنى، سأل عنه قالوا: آدمي، زوّجها له، إذا بهذا الشاب منحرف السلوك، وكلمة آدمي ليس لها معنى، أخي والله آدمي لا معنى لها، سافر بزوجته إلى بلاد الكفر، أنا أعرف رجلاً عنده

فتاة ديّنة صالحة، جاءه خاطب مقيم في أمريكا، وافق بسذاجة، ذهبت محجبة وعادت بلا أكمام، مسؤول، كيف اخترت لها هذا الزوج؟ هل سألت عنه ملياً؟ هل عرفت أخلاقه؟ هل عرفت دينه؟ هذه أول نقطة، كل أعمالنا محاسبون عن آثارها، لو فرضنا هذا الزوج هو وزوجته انحرفا، وضلّا سواء السبيل، وفعلا من المعاصي ما يشاءان، كل هذا في صحيفة الأب الذي وافق على زواج ابنته من هذا الشاب، لذلك لا تنتهي مسؤولية الأب إلا إذا أحسن اختيار الشاب، **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ.**

صحيح الترمذي

أقام إنسان في بلاد الكفر، وجد أن المعيشة سهلة جداً، فيلا بثلاثين ألفاً لثلاثين سنة تقسيطاً مع مسبح، ما هذا الكلام؟ نعم والله، والأسعار رخيصة جداً، وثمن السيارة النوع الفخم خمسة آلاف، صفيحة البنزين رخيصة جداً، ذهب إلى هناك أقام، بناته كبرن، دخل إلى البيت فوجد مع ابنته شاباً، وابنته تسبح على الشاطئ، هكذا العادة هناك، طبيعي جداً، ما نجحت معه، لو كان البيت هناك رخيصاً لم يفِ معه هذا بالغرض إذا ابنته نشأت على معصية، ولها أصدقاء، إذا سقطت في وحل الزنا، البلاد خضراء كلها، لا يوجد سنتمتر بني كله أخضر، نريد أن يكون القبر أخضر أيضاً، لذلك هذه الأعمال كلها في صحيفة الأب، يوم القيامة تقف البنت تقول: يا رب لا أدخل النار حتى أُدخل أبي قبلي، لأنه هو الذي زوجني، هو الذي أسكننا بهذه المنطقة، هكذا العادات والتقاليد، إباحية مطلقة، انحراف أخلاقي، الزنا على قارعة الطريق، فالإنسان إذا كان في بلده، تُقام شعائر الله، يحضر مجالس العلم، يوجد بقية حياء، يوجد بقية تديّن، هناك شيء اسمه "عيب" في بلده، هذه بلدة مباركة.

## 2 ـ كل إنسان مسؤول عن كسبه فلا يتحمل أوزار الآخرين إلا إذا كان له تسبُّب فيها:

الحكم الثاني أن كل إنسان مسؤول عن كسبه فلا يتحمل أوزار الآخرين إلا إذا كان له تسبُّب فيها، عندنا آية كريمة:

**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)**

سورة الإسراء

**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40)**

سورة النجم

**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)**

سورة غافر

**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)**

سورة البقرة

**وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21)**

سورة الطور

**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)**

سورة المدثر

مبدأ هائل جداً، ومُريح، الزوج سيئ، والزوجة صالحة، لا يوجد علاقة بينهما، قال تعالى:

**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آَمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (11)**

سورة التحريم

**﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا اِمْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (10)﴾**

سورة التحريم

**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم–حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ : (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا–اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.**

رواه البخاري ومسلم

أبوها، لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم.

**عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه عِلمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا مِن طُرقِ الجنَّةِ ومَن أبطأ به عمَلُه لَمْ يُسرِعْ به نسَبُه .**

صحيح ابن حبان أخرجه في صحيحه

الأب صالح، الابن سيئ، كل واحد يحاسب على عمله، الزوج صالح الزوجة سيئة، قال لنا أخ: إنسان تزوج من امرأة فاضلة، ابنة عالم، ذات دين، لكن الشاب يريدها غير ذلك، يريد أن تسايره في اختلاطه، ورحلاته، وندواته، وسهراته، يريد أن تبرز لأصدقائه في سهرة مختلطة، طبعاً هذه رفضت بإصرار، فلما كان رفضها مع إصرار، أشارت عليه أمه أن يضايقها، لأن مهرها المتأخر مئة ألف، ضايقها إلى أن طلبت المخالعة من دون شيء، في هذه الفترة كان الأب غير راضٍ على هذا التصرف، الأب مزعوج أن الحق عليكم، هذا ظلم، الأم والابن على خط واحد، بعد ذلك طلبت المخالعة وخُلعت منه بلا شيء، طلبت النجاة بجلدها منه، لكنه ضايقها مضايقة شديدة، إهمال، وضرب، وشتم، وما شاكل ذلك، تزوج امرأة ثانية، له بيت في بعض المصايف، عاد بسيارته، كان يركب في محل القيادة، وإلى جانبه زوجته، وخلفه أمه، وخلف زوجته أبوه في المقعد الخلفي، صار حادث، مات هو وأمه، ونجت الزوجة وأبوه، ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأب لم يكن

راضياً عن هذا التصرف، أما الأم فهي المحرضة، قصة طويلة لكن هذا ملخصها، كلما نجا يقول لها: نجونا من هذه السيارة كما نجونا من مهر فلامة، آخر الطريق عمل حادثاً، أي مات حتف أنفه هو وأمه، قال تعالى:

**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (49)**

سورة القمر

المُحرضة على ظُلم هذه الفتاة لقيت حتفها، أما الذي كان يُنْكر ذلك نجاه الله عز وجل، فكل إنسان مُحاسب عن عمله، ولا يتحمل أوزار الآخرين، إلا إذا كان له سبب فيها، كالإغواء، والإضلال، أو إهمال واجب النصيحة والإرشاد، هذا كله يتضح من هذه الآيات، لذلك قال عليه الصلاة والسلام للأقربين من عشيرته: اعملوا لأنفسكم لا أُغني عنكم من الله شيئاً، وقال يا فاطمة بنت محمد اعملي لنفسك ((**لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**)).

والحمد لله رب العالمين

## الدرس 49-63: أحكام المسؤولية

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### ملخص فكرة أحكام حدود المسؤولية في الدرس الماضي:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع والأربعين من دروس العقيدة.

لا زلنا في موضوعات تمهيدية للإيمان باليوم الآخر، وقد بيّنتُ في الدرس الماضي أن: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ، صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ.**

**صحيح الجامع**

وأنّ هذا الحديث يُستَنبَط منه أن الإنسان يُحاسَب لا على عمله فحسب، بل على آثار عمله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فعَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ،** لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا.

**صحيح ابن ماجه**

هناك آية تؤكد هذا المعنى:

**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85)**

**سورة النساء**

أي مسؤول، هنا نصيب وهنا كفالة، وشتان بين النصيب والكفالة، في معرِض الربح النصيب، وفي معرض الغُرمِ الكفالة.

## أحكام حدود المسؤولية:

### 1- لا يستفيد الإنسان من أعمال الآخرين الصالحة إلا إذا كان له يد فيها:

الحكم الثاني أن كل إنسان مسؤول عن كسبه، فلا يتحمل أوزار الآخرين:

**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى (38)**

**سورة النجم**

إلا إذا كان له تسبُّب فيها، كالإغواء، والإضلال، وإهمال الواجب، وإهمال النصيحة، وإهمال الإرشاد، أو أن يكون الإنسان مُطاعاً في قومه فلا ينصحهم، يقلدوه في ضلالة، ويتبعوه في معصية، هذا كله يُحاسب عليه الإنسان لا على أنه ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ لأنه سبب في هذه المعصية، أي إن كان هناك انقطاع كلي بينك وبين هذه المعصية لا تُحاسب عنها ولو اقترفها أقرب الناس إليك، أما إذا كان هناك تسبُّب في هذه المعصية لك شأن كبير وأنت مُطاع في أسرتك، ورأيت معصية فلم تُنبه عليها، لم تأمر بالمعروف، لم تنه عن المنكر، فالإضلال والإغواء وإهمال الواجب وإهمال النصيحة وإهمال الإرشاد، أو أن تكون ذا كلمة مسموعة وترى المُنكر فلا تُحَذر منه عندئذ تنتقل الآثام التي ارتكبت إلى المُسبب.

شيء آخر؛ لا يستفيد الإنسان من أعمال الآخرين الصالحة، كما أن الأخطاء لا يتحملها ما دام ليس سبباً في فعلها، كذلك أعمال الآخرين الصالحة لا يأخذ منها شيئاً لقوله تعالى:

**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى (39) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى (40) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى (41)**

**سورة النجم**

فالسعي كل إنسان له سعيه الخاص، وعمله الخاص، ومكانته الخاصة، إلا أنك إذا كنت السبب في هذه الأعمال الطيبة عندئذٍ لك الأجر كالتربية على الفضيلة، هؤلاء الذين ربيتهم كل أعمالهم في صحيفتك، والأدق من ذلك كل الأعمال التي قاموا بها بسبب توجيهك إيّاهم لك مثل أجرهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء، وكتعليم أمور الدين، وكالأمر بالمعروف، وكالنهي عن المنكر، وأن يكون الرجل مطاعاً في قومه فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويكون لهم قدوة صالحة، عندئذ أعمال الأتباع في صحيفة المتبوع.

## أدلة الكتاب والسنة بشأن الحِكْم السابق:

نستخلص من هذه الفقرة أو من هذا الحكم الثاني أنه ﴿**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ كل إنسان مسؤول عن كسبه إلا في حالتين؛ إذا كنت سبباً في الأعمال السيئة للآخرين فعليك وزرٌ مثل ما عليهم، وإن كان لك سبب في الأعمال الصالحة للآخرين فلك أجر على هذه الأعمال مثل ما لهم أجر، الآن الدليل، الدليل النقلي وهو القرآن الكريم، بسم الله الرحمن الرحيم:

**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13)**

**سورة الإسراء**

كان العرب في الجاهلية إذا مَرّ من عن شمالهم طير يتشاءمون، وإن مرّ من عن يمينهم طير يستبشرون، تشاؤمهم واستبشارهم لا أساس له من الصحة، ربنا سبحانه وتعالى ردّ عليهم فقال:

**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا (13) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)**

**سورة الإسراء**

هذا الكتاب، كتاب الأعمال، أي كل صغيرة، وكل كبيرة، كل هذا مسجل في صحيفة أعمالك، يوم القيامة تبرز هذه الصحيفة، في بعض الآيات:

## كِتَابٌ مَرْقُومٌ (9)

**سورة المطففين**

والمفسرون فسروا كلمة مرقوم في بابين من باب الرَّقْمِ، وهو النقش، ومن باب الرَّقَم، أي الكتاب مُرقَّم لا تنزع منه صفحة، مُرقَّم ومختوم، ومن باب الرَّقْم أن كل عمل مع صورته، الأعمال بيان بها مع صور لها، قال تعالى:

اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14) مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى **وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)**

**سورة الإسراء**

﴿**تَزِرُ**﴾ أي تحمِلُ، وَزَرَ يَزِرُ ومن الوِزر، الوازرة: الحاملة، الوزر: الحِمل، أي لا تحمل نفسٌ حِمْل نفس أخرى، كل إنسان يحمل عمله: ﴿**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ هذه الآية أصلٌ في أن كل إنسان مسؤول عن كسبه، أي الأب لا يُحاسَب عن ابنه إذا قدّم له النصيحة الكاملة، واعتنى به عناية فائقة، وبعد ذلك أصرّ على طريق غير مستقيم، والابن لا يُحاسَب عن أبيه إذا استنفذ نصحه، والزوج لا يُحاسَب عن زوجته إذا نصحها إلى أقصى حد، والزوجة لا تُحاسَب عن زوجها، كل إنسان يُحاسب عن عمله، الآية الثانية في سورة النجم: ﴿**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى* وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى**﴾ ليس للإنسان إلا ما سعى، أي ليس لك في الآخرة إلا العمل الذي كنت قد عملته في الدنيا، شيء آخر لا يوجد.

الآية الثالثة:

**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)**

**سورة غافر**

الآية الرابعة:

**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)**

**سورة البقرة**

هذه الآية مطلقة، ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾ من هنا قال النبي عليه الصلاة والسلام: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ –أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا– اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، **يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ، **وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ** سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي **لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**.

**رواه البخاري ومسلم**

لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه عِلمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا مِن طُرقِ الجنَّةِ، **ومَن أبطَأ به عمَلُه لَمْ يُسرِعْ به نسَبُه .**

**صحيح ابن حبان أخرجه في صحيحه**

آية خامسة تؤكد هذه الحقيقة:

**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (21)

**سورة الطور**

آية سادسة:

**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38)**

**سورة المدثر**

الآن نحن في الدنيا، إذا تورط إنسان وخالف القوانين، وحُجِزت حريته، أصبح رهين عمله السيئ، أو رهين مخالفته، هذا في الدنيا فكيف في الآخرة؟ لهذا قال النبي عليه الصلاة والسلام للأقربين من عشيرته: ((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ –أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا–**اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**، يَا

بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا)) تعقيباً على هذا الحكم الثاني قيل: الذنب شؤم على غير صاحبه، كيف شؤم؟ الآن قلنا: الإنسان مسؤول عن كسبه فقط، وأكدنا في آيات كثيرة أنه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ فكيف يُقال: الذنب شؤم على غير صاحبه؟ فصّل؛ قال: إن ذَكَرَهُ فقد اغتابه، وإن رضّي به فقد شاركه في الإثم، وإن عيّره ابتُلي به، فليحذر أحدنا إن رأى أخاً له قد وقع في ذنب فليحذر أن يُشهِّر به، يكون قد وقع في الغيبة، وليحذر أن يرضى عن هذا العمل، يكون قد وقع في إثم المشاركة، وليحذر أن يعيره، عندئذ يُعاقب الذي يُعيِّر أخاه بذنب أن يُبتلى به.

## 2- الإنسان مسؤول عن آثار كسبه الإرادي الخيّر:

الحكم الثالث؛ الإنسان مسؤول عن آثار كسبه الإرادي ومحاسب عليه، مثلاً له ثواب الصدقة الجارية، ولو بعد موته، هذه الآثار، لأن استمرار الاستفادة منها في أبواب الخير من آثار كسبه، له ثواب العلم النافع الذي يقوم ببثه ونشره، أو التأليف فيه، فما ينجم عنه من نفع ولو بعد موته إلا كان له منه أجر، لأن استمرار الانتفاع به كان لكسبه تأثير فيه، كذلك كل من ساهم بنشر هذا العلم النافع فله عند الله أجر، وفضل الله واسع، لا يُنقِص أحد من أجر الآخر شيئاً مهما كَثُر المساهمون.

أنت كإنسان تعطي على صنع باب ألف ليرة، ألفين، أما تدفع مئة مليون على صُنع باب واحد؟ هذا مستحيل، ربنا عز وجل العمل الصالح من دلّ عليه؟ من ساهم فيه؟ من عاون؟ كل من له علاقة بهذا العمل ينال مثل أجر الأول، هذا من باب كرم الله عز وجل.

وينفعه أي وينفع الإنسان بفضل الله دعوة ولده الصالح، هذا الابن حينما يقول: ربي اغفر لي ولوالدي، الواحد يكون صار شاباً، وتزوج، وعنده أولاد، أي لولا تربية أبيه وأمه حينما كان صغيراً، العناية الطبية والصحية والاجتماعية، والتربية، وضعه في المدارس، وتحمّل نفقاته، وتطبيبه إذا مرض، وهذا الحرص، وهذا القلق، إلى أن صار إنساناً سوياً، هذا إذا قال في صلاته:

**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ** وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28)

**سورة نوح**

وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ **رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (24)**

**سورة الإسراء**

يأتي الأب من الأجر بسبب هذا الدعاء بقدر ما لهذا الابن من فضل، لذلك تربية الأولاد عمل عظيم كبير، لا يزهد بها أحد، وينفعه بعد موته دعوة ولده الصالح له، لأن صلاح الولد في الغالب ثمرةٌ من ثمرات تربية أبيه له، وذلك من آثار كسبه، إلا في حالة واحدة، إذا كان الأب يريد لابنه طريق الشر، طريق البعد عن الدين، يمنعه من الدين، يغريه بالدنيا، بالانغماس في ملذاتها، والابن منصرف إلى الدين، هذا العمل الطيب للابن ليس في صحيفة الأب، لأن الأب ما أراد ذلك بل أراد عكس ذلك.

وله أجر كل من اهتدى بهديه من أتباعه، أو أتباع أتباعه، أو أتباع أتباع أتباعه، إلى يوم القيامة، هذا شيء عظيم،**((يا علي لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس))**.

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِي اللَّه عَنْه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ فَأْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَ بَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا فَقَالَ: انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّهِ فِيهِ **فَوَاللَّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ** "

**رواه البخاري ومسلم**

**((خير لك من الدنيا وما فيها))** هذا كلام له أبعاد، مِن الدنيا وما فيها، تصور أن رجلاً يملك كل الشركات في العالم، وكل الأراضي، وكل الأبنية، وكل المشاريع، وكل المستشفيات، وكل المشاريع الناجحة، كل أرباحها له، لو أنه مَلَكَها، ووافته المنية تركها بلا شيء، أما إذا كنت مُساهماً في هداية إنسان، فهذا الإنسان إذا سَعِد في الآخرة إلى الأبد أنت كنت السبب، لذلك **((يا علي لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها))**.

## 3- الإنسان مسؤول عن آثار كسبه الإرادي السيئ:

بالمقابل الحكم الثالث تحمُّل تبِعة العمل كما يتحمل تبِعة السيئة الجارية ولو بعد موته، لأن استمرارها قد كان لكسبه أثر فيه، يتحمل تبِعة العلم الضار، أقنع الطلاب أن الإنسان أصله قرد، وهذه قصة آدم وحواء كلها خرافات، يأتي هذا الشاب يقرأ القرآن:

**فَتَلَقَّى آَدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (37)**

**سورة البقرة**

يقول له: هذا كله خلط، تعلمنا أن الإنسان أصله قرد، إذا الواحد هو الحقيقة صار قرداً، ليس كان إنما صار، حينما ترك الله عزّ وجل، وانغمس في الدنيا، مسخه الله قرداً، أي صار حيواناً، الإنسان من دون قِيَم حيوان، يتحمل الإنسان تبِعة العلم الضار الذي يبثه وينشره في الناس ولو بعد موته، لأن كسبه في حياته كان له أثر في استمرار الضلالة فيه، بث فكرة غلطاً، نظرية فاسدة، قضية من أجل مصلحة طارئة مادية تُعَلِّم الناس طريق الشر، تُقنعهم بالانحراف، من أجل تغطية نفسك، من أجل تبرير عملك تأتي بحكم فقهي مزوّر وتقنع الناس فيه، فحينما تبث علماً ضاراً، أو ضلالة، أو جهلاً، أو انحرافاً، كل من عمِل بهذا التوجيه إلى يوم القيامة يجب أن تتحمل وزره.

أو إذا استفتي الإنسان فأفتى فتيا لا يبتغي بها وجه الله، يبتغى بها وجه زيد أو عُبيد، كل مَن عمل بهذه الفتوى سوف يتحمل الذي أفتى بهذا الوزر، لذلك هناك من يُفتي فيجعل من رقبته جسراً إلى النار، والإنسان إذا كان لا يعرف فليقل لا أعرف، نصف العلم لا أدري، وكلما كنت جباناً في الفُتيا كنت أقرب إلى الله عزّ وجل، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي جَعْفَرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **أَجْرَؤُكُمْ عَلَى الْفُتْيَا أَجْرَؤُكُمْ عَلَى النَّارِ.**

**السيوطي:الجامع الصغير: مرسل**

تريّث، لست متأكداً اسأل، طالع، قل له: أمهلني، لأن الفتيا مشكلة هو يفعل هذا اعتماداً على فتياك.

الآن ويتحمل من أوزار ولده الذي أساء تربيته، ودفعه إلى سلوك سبيل الشر كما يتحمل من أوزار كل مَن تأثر بإضلاله مِن أتباعه، أو أتباع أتباعه، أو أتباعِ أتباع أتباعه إلى يوم القيامة، الذين كان له كسبٌ في توجيههم وجهة الضلالة والشر.

## أدلة الكتاب والسنة على أن الإنسان مسؤول عن آثار عمله الإرادي:

الآن الأدلة، هذا الحكم الثالث، يقول الله عزّ وجل:

**لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (25)**

**سورة النحل**

الآية واضحة كالشمس، دليل آخر:

**وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا (67) رَبَّنَا آَتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا (68)**

**سورة الأحزاب**

دليل ثالث يقول الله عز وجل:

**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآَثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ (12)**

**سورة يس**

فالله تبارك وتعالى يكتب ما قدّم الناس من أعمال الخير وأعمال الشر ليُحاسبهم عليها، ويكتب أيضاً آثار أعمالهم ولو ظهرت الآثار بعد انتهاء آجالهم في حياتهم الدنيا، إذا اخترع شخص اختراعاً، كل مفسدة تحققت على وجه الأرض إلى يوم القيامة سوف يتحمل إثمها ووزرها، سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في دليل خامس أرسل كتاباً إلى هرقل ملك الروم: عن أبي سفيان بن حرب بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، من مُحمَّدٍ عبدِ اللهِ ورسولِه إلى هِرَقلَ عَظيمِ الرُّومِ ، سلامٌ علَى من اتَّبعَ الهُدى، **أمَّا بعدُ**، فإنِّي أدعوكَ بدِعايةِ الإسلامِ، **أَسلِمْ تَسلَمْ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرَّتينِ؛** فإن تولَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثمَ الأريسيِّينَ ويَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إلى قولِهِ اشْهَدُوْا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ.

**صحيح الأدب المفرد:** خلاصة حكم المحدث : **صحيح**

لماذا مرتان؟ هذا جزاء القدوة، مرة لأنه أسلم، وأنه حينما أسلمَ أسلم أتباعه، فالذين لهم مكانة اجتماعية؛ الأب، المعلم، مدير المدرسة، كل إنسان له مكانة اجتماعية، له مركز قيادي، صاحب محل عنده ثمانية موظفين، إذا صلى الظهر أمامهم شجعهم على الصلاة، إذا غضّ بصره عن امرأة دخلت المحل شجعهم على طاعة الله، فكل إنسان له مكانة بين عشرة من الناس، إذا استقام على أمر الله له الأجر مرتين، مرة لأنه استقام، ومرة لأنه شجَّعَ الآخرين على الاستقامة، قال له: **((أَسلِمْ تَسلَمْ؛ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَك مرَّتينِ؛ فإن تولَّيْتَ فإنَّ عليكَ إثْمَ الأريسيِّينَ))** أي أتباعك، أتباعك إثمهم جميعاً في رقبتك إن لم تُسلم، إذاً القانون الثالث، الحكم الثالث: الإنسان مسؤول عن آثار كسبه المادي.

الحكم الثاني: كل إنسان مسؤول عن كسبه، ولا يتحمل وزر الآخرين.

الحكم الأول: إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث ذكرناها.

## 4- الإنسان مسؤول عن خواطره إذا أراد العزم والقصد أما غير ذلك فلا:

الآن إلى الحكم الرابع والأخير، إنّ الخواطر التي تخطر على فكر الإنسان دون أن تتحول بإرادته إلى عزم وتصميم لا تدخل في باب المسؤولية والمحاسبة، فإن تحولت بالإرادة إلى عزم وتصميم دخلت في باب المسؤولية والمحاسبة، ويُسمى هذا الخاطر عندئذٍ هماً، الهم يعني التصميم، العمل القلبي الذي يسبِق العمل المادي، فالإنسان خواطره غير محاسب عليها، لكن أقول لكم هذه الملاحظة: لو أن الإنسان أعطى لخواطره العنان، يُخشى أن تتحول هذه الخواطر إلى أعمال، لو أن واحداً تخيل المعصية، وسبح بها، إذا لم يقف عند حدّ ربما انقلبت هذه الخواطر إلى أعمال، فلذلك المؤمن لا يسمح لنفسه أن يسبح في خواطر لا تُرضي الله عزّ وجل، مبدئياً الإنسان لا يُحاسب إلا على أعماله المادية، لكن نخشى أن يسترسل الإنسان في هذه الخواطر فتنقلب إلى أعمال مادية، فالأفضل والأولى أن الإنسان كلما خطر في باله شيء لا يُرضي الله عزّ وجل أن يبتعد عنه، أو أن يقطع هذه الخواطر.

## فضل الله على المؤمنين:

آخر فقرة في هذا الباب؛ وقد تفضّل الله علينا فجعل الهمّ بفعل الحسنة حسنةً يُثاب عليها الإنسان، ولو لم يعملها، أي شاهدت إنساناً واقفاً في الطريق، فأنت وقفت له من أجل أن توصله إلى بيته، قال لك: شكراً، والله أنا أنتظر إنساناً هنا، هناك موعد مع شخص بعد ربع ساعة، شكراً، أنت هممت أن توصله إلى البيت وبيته بعيد، هممت بهذه الحسنة فلم تفعلها كُتبت لك عند الله حسنة، هذا من كرم الله عز وجل، وقد تَفَضّل الله علينا فجعل الهمّ بفعل الحسنة حسنةً يُثاب عليها الإنسان، أي والدتك تحتاج لدواء الساعة الواحدة، عندهم في البيت أقراص دواء لكنها ضائعة، أنت نويت أن ترتدي الثياب، وأن تذهب إلى طرف المدينة لشراء هذا الدواء، وأنت ترتدي الثياب قالت لك أمك: وجدت الدواء، ما ذهبت، كأنك ذهبت والأجر الذي سيُكتب لك من ذهابك كُتِب لك لأنك هممت لهذه الحسنة، وهذا يقع كثيراً، وعلى هذا فقِس آلاف الحوادث، الآن فإن عملها، هذه فهمناها؛ إن لم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشر حسنات، مرّ معنا في الدرس الماضي أقل جزاء على العمل الصالح عشرة أمثال، وأعلى جزاء على العمل السيئ مثل واحد، أقله عشرة:

**مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ** وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261)

**سورة البقرة**

سبعمئة إلى سبعة آلاف.

قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ **إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (10)**

**سورة الزمر**

لا يوجد حدّ، لا يوجد سقف، أما أقل حدّ عشرة أمثال، لكنك إذا هممت بالحسنة لك أجر، فإذا فعلتها لك عشرة أمثال هذا الأجر، ومِن فضل الله علينا جعل الهمّ بفعل السيئة، والتصميم عليها سيئة، شخص نوى أن يؤذي إنساناً بمحض إرادته، فإن لم يفعلها بإرادته، فكّر، شعر أن هناك إلهاً يُحاسب، والله عز وجل قد يعاقبه على هذا العمل، فانتهى نهياً ذاتياً، قال: فإنْ لم يفعلها بإرادته تحولت السيئة فصارت حسنة، إذا همَّ

إنسان بسيئة، ليس ولم يفعلها لأنه لم يقدر، هذا موضوع ثان، لم يفعلها بإرادته، أردت أن توقع الأذى بفلان فلم تجده في البيت، أردت أن تفعل ذلك فلم تتمكن، الإثم حاصل، لكنك إذا انتهيت نهياً ذاتياً عن القيام بعمل سيئ، هذا النهي الذاتي يجعل هذه السيئة حسنة عند الله عزّ وجل، فإن فعلها بإرادته، همّ بسيئة وفعلها كُتبت له سيئة فقط من دون مضاعفة.

إذا كان همّ بسيئة ولم يفعلها كُتِبت حسنة، فعلها كُتبت سيئة، همّ بحسنة وما فعلها كُتبت حسنة، فعلها كُتبت عشر حسنات.

وبهذا تنتهي الموضوعات التمهيدية لموضوع الإيمان باليوم الآخر، الذي هو أحد أركان الإيمان، ويليه في الترتيب والإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 50-63: الإيمان باليوم الآخر 7 - ما هي السلسلة الفكرية المنطقية التي تقودنا إلى اليوم الآخر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### الكون دليل على وجود خالق يستحيل عليه أن يخلق الناس من دون يوم للحساب:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الخمسين من دروس العقيدة.

الموضوع اليوم الإيمان باليوم الآخر، وكنّا قد مهّدنا لهذا الموضوع في دروس عديدة، الذي يبدو أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، من أسمائه العلم والقدرة والعدل والحكمة، وأنه مُنزّه عن كل نقص، لأن من أسمائه العلم والقدرة والعدل والحكمة، وأنه منزه عن كل نقص، إذاً يستحيل في حقه أن يخلق الكون عبثاً.

يستحيل على إنسانٍ عاقل يبني بناء ضخماً، يستغرق عشرات السنين، ثم يُكسى، ثم يُفرش، ثم يُجهّز بكل ما يحتاجه ساكنه، وبعد أن ينتهي يهدمه، هذا العمل يستحيل على عاقل أن يعمله، كذلك خلقُ السماوات والأرض، هذا الكون المعجز، حياة الإنسان، خُلِق الإنسان في أحسن تقويم، يعيش سنوات عديدة ويموت وانتهى الأمر؟! قد يكون هذا الإنسان معتدياً، قد يكون مظلوماً، قد يكون ظالماً، قد يكون قوياً، قد يكون ضعيفاً، فإذا خُلِق الإنسان في أحسن تقويم، وانتهت حياته على أتفه سبب، وانتهى كل شيء، فهذا نوعٌ من العبث، لذلك ربنا عزّ وجل يستحيل في حقه أن يخلُق الكون عبثاً، وأن يخلُق الإنسان سدى، قال تعالى:

**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36)**

**سورة القيامة**

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)**

**سورة المؤمنون**

لذلك التأمل في خلق السماوات والأرض يُستنبط منه أنّ لخالق الكون أسماء حسنى، وصفات فضلى، هذه الأسماء الحسنى وهذه الصفات الفضلى لا يمكن أن تدع مجالاً للاعتقاد أن هذا الكون خُلِق عبثاً، وأنّ هذا الإنسان سيُتْرَك سدى، إذاً مِن لوازم التأمل في خلق السماوات والأرض الإيمان بأن لهذا الكون العظيم خالقاً، وأنّ بعد هذه الحياة يوماً يُجازى فيه الإنسان على عمله، هذا يتضح في سورة في القرآن الكريم هي سورة النبأ، فالله سبحانه وتعالى يقول:

**عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6)**

**سورة النبأ**

النبأ العظيم يوم الجزاء، يوم القيامة، يوم الحساب، يوم الدين، يوم الدينونة، يوم الثواب، يوم العقاب، يوم الجنة، يوم النار، هذا هو ﴿**النَّبَأَ الْعَظِيمِ * الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**﴾ عند الموت ﴿**ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ**﴾ عند البعث والنشور.

## علاقة الآيات الكونية في سورة النبأ بيوم القيامة:

الآن سيأتي الدليل على النبأ العظيم، سيأتي الدليل على يوم الدين، قال تعالى:

**أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (11) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (12) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (13) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14)**

**سورة النبأ**

ثلاثة وخمسون ميليمتر نزلت في ساعتين البارحة، معدل الأمطار السنوية في دمشق مئتا ميليمتر، ربع أمطار السنة نزلت في ساعتين، هذه البارحة غير اليوم، قال تعالى:

**وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (14) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (15) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (16) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (17)**

سورة النبأ

ما علاقة هذه الآيات الكونية بيوم الفصل؟ بيوم الدين؟ هذا الكون لم يُخلق عبثاً، والإنسان لن يُترك سدى، لابد من أن يُحاسَب، لابد من أن يُجازى، لابد من أن يدفع الثمن، أما أن يموت الإنسان وانتهى الأمر؟ أن تنتهي حياته بالموت؟ هذا لا يُحَقق كمال الحكمة الإلهية، ولا كمال العدل الإلهي، لابد من تحقيق كمال الحكمة، وكمال العدل في يوم آخر، إنه يوم الدين.

الشيء الثاني؛ هو أن أركان الإيمان معلومة لديكم، الإيمان بالله، وباليوم الآخر، والملائكة، والكتاب، والنبيين، لكن إذا أردنا أن نرتب أركان الإيمان عدا الإيمان بالله من حيث الأهميةُ، يأتي الإيمان باليوم الآخر في الدرجة التي تلي الإيمان بالله، أن تؤمن بالله وباليوم الآخر، لأنه من لوازم الإيمان بالله الإيمانُ باليوم الآخر، والإيمان بالله يعني الإيمان بأسمائه، الإيمان بعدله، الإيمان بحكمته، الإيمان بعلمه، الإيمان بقدرته، فالإيمان بهذه الأسماء يقتضي كمال الحكمة، وكمال العدل لا يُحققان إلا في يوم آخر، هذا عاش ثلاثين عاماً، وهذا مات صغيراً، وهذا عمّر ثمانين عاماً، وهذا وُلِد غنياً مِن أبٍ غني ثري، وهذا وُلِد فقيراً، وهذا عاش مريضاً، وهذا عاش صحيحاً، وهذا عاش في بحبوحة، وهذا عاش في ضيق، هناك تفاوت كبير، تفاوت منقطع النظير، لابد من تحقيق العدل الإلهي، لابد من تحقيق كمال العدل الإلهي، ولابد من تحقيق كمال الحكمة الإلهية، إنها في اليوم الآخر.

## السلسلة الفكرية المنطقية التي تقودنا إلى اليوم الآخر:

### 1- الكون هو الدليل الأول لقيادة الإنسان إلى الإيمان بربه:

الآن سنورد السلسلة المنطقية الفكرية التي تقودنا إلى الإيمان باليوم الآخر.

أولاً: دراسة الكون والحياة والإنسان، تهدي إلى الإيمان بالخالق العظيم، القادر العليم، العدل الحكيم، طبعاً أسماء الله عزّ وجل كثيرة، يعنينا في هذا المجلس أو في هذا الدرس يعنينا منها أربعة أسماء،

العلم، والقدرة، والعدل، والحكمة، فالتأمل في الكون والحياة والإنسان تهدي إلى الإيمان بالخالق العظيم، القادر العليم، العدل الحكيم، هذه أول مقدمة.

## 2- الكون دليل على تدبير خالق حكيم يستحيل عليه العبث فيه:

المقدمة الثانية أنه لابد من غاية مِنَ الخلق، لا يوجد إنسان عاقل يقوم بعمل بلا غاية، لا يوجد إنسان يتحرك حركة بلا غاية، يسافر بلا غاية، يتكلم بلا غاية، يزور فلاناً بلا غاية، أن يكون للعمل غاية مِن لوازم العقلاء، فالإنسان العاقل كل أعماله مُعَللة بغاية، الله سبحانه وتعالى خالقُ الكون أيُعقل أن يخلق الكون بلا غاية؟ ما معنى بلا غاية؟ أي عبثاً، قال تعالى:

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (116)**

سورة المؤمنون

إذاً إذا تأملت في خلق السماوات والأرض وجدت أن للسماوات والأرض خالقاً عظيماً، عليماً، قديراً، عدلاً، حكيماً، من لوازم العدل والحكمة والعلم والقدرة أن يكون لأفعاله غاية، غاية نبيلة، لذلك لما ربنا عزّ وجل قال:

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآَتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (85)**

سورة الحِجر

كيف عرفنا معنى بالحق؟ من آيتين أخريين، قال تعالى:

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27)**

سورة ص

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38)**

سورة الدخان

ما دام الحق مناقضاً للعب، وما دام الحق مناقضاً للباطل، إذاً الحق هو الشيء الثابت الهادف، ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي يوجد هدف، باللعب أي بلا هدف، ﴿**بِالْحَقِّ**﴾ أي شيء ثابت، بالباطل أي شيء زائل، إذاً من خلال التأمل في خلق السماوات والأرض ومن خلال استنباط أن خالق السماوات والأرض عليم قدير عدل حكيم نستنبط أن من لوازم العدل والحكمة والعلم والقدرة أن يكون لخلق السماوات والأرض غاية سامية نبيلة، قال تعالى:

**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118) إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (119)**

**سورة هود**

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)

**سورة الذاريات**

## 3- للخالق من خلقه غاية نبيلة:

شيء آخر المقدمة الثالثة أن للخالق من خلقه غاية نبيلة.

## 4- الإنسان مخير في أي طريق يسير:

المقدمة الرابعة أن الإنسان مخير، بإمكانه أن يفعل الخيرات، وبإمكانه أن يفعل السيئات، بإمكانه أن يتّبِع الهوى، وبإمكانه أن يتّبِع العقل، بإمكانه أن يستقيم على أمر الله، وبإمكانه أن ينحرف عن أمر الله، بإمكانه أن يكون خير البرية، وبإمكانه أن يكون شرّ البرية، بإمكانه أن يفوق الملائكة المقربين، وبإمكانه أن يهوي إلى أسفل سافلين، هذا كله بإمكانه، إذاً هو مخيّر، ومعنى مخيّر أي مُمتَحن، مُبتلى، ومن لوازم الامتحان والابتلاء الجزاء.

لا ابتلاء بلا جزاء، ولا جزاء بلا ابتلاء، مادمت مبتلى إذاً هناك جزاء، الطالب بإمكانه أن يدرس أو ألا يدرس إذاً يوجد امتحان، وفي الامتحان يُكرم هذا الطالب أو يُهان، من لوازم التخيير الجزاء، إذاً الامتحان

يستلزم الجزاء، من لوازم الابتلاء الجزاء، من لوازم التخيير الحساب، النتيجة: الكون عظيم يدل على خالق عليم قدير عدل حكيم، والكون له غاية نبيلة، والإنسان مبتلى، ومن لوازم الابتلاء الجزاء.

النتيجة أننا إذا فكرنا في الحياة الدنيا وجدنا أن كمال العدل وكمال الحكمة لم تتحققا في الحياة الدنيا، إذاً لابد من حياة آخرة تتحقق فيهما العدالة المطلقة والحكمة المطلقة، إنها الحياة الآخرة، إنه اليوم الآخر، فطبيعة هذه الحياة رُتبت لتنتهي إلى حياة أبدية، تخطيط الله عزّ وجل، تصميمه، هندسة الكون تقتضي أن يكون في الكون حياة دنيا، دار ابتلاء، وحياة أخرى، دار جزاء، طبيعة الخلق تقتضي أن تكون الحياة الدنيا دار تكليف، والحياة الآخرة دار تشريف، طبيعة الحياة الدنيا تقتضي أن يكون هناك حياة آخرة تُكمّلها ويتحقق فيها كمال العدل والحكمة.

## الأدلة من الكتاب بشأن الموضوع السابق:

الآن إلى الأدلة النقلية القرآنية حول هذا الموضوع، يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ تعالى الله تنّزه الله عن أنْ يخلق الخلق عبثاً بلا غاية، هذا النص يؤكد أنه لو أن الله عزّ وجل خلق الخلق دون أن يُحاسبهم، خَلْقهم عبثاً، فهذا يتنافى مع حكمته، ومع عدالته، ومع علمه، ومع قدرته، ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ* فَتَعَالَى اللَّهُ**﴾ تعالى الله أن يخلق الخلق عبثًا ﴿**الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ ومعنى الملك الحق أي أن هذا الكون خُلِق ليبقى، وأن الإنسان خُلق ليبقى، وما الموت إلا حالة طارئة تعتريه لينتقل من دار إلى دار، ومن مجال إلى مجال، نص آخر على قوله تعالى: ﴿**فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ ولما كان احتمال العبث احتمالاً مرفوضاً عقلياً، كان لابد من وجود حياة أخرى تظهر فيها تطبيقات الغاية من الحياة الأولى، وهذه الحياة لابد أن تكون مقررة في برنامج المقادير الإلهية، إنّ الله هو الملك الحق لا إله إلا هو.

الآن دليل آخر، يقول الله سبحانه وتعالى:

**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (35) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (36)**

**سورة القلم**

وقال سبحانه:

**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (18)**

**سورة السجدة**

في الدنيا قد يستوون، قد يكون المجرم الكافر المُعْرِض في بحبوحة وغنىً ويسر، وقد يكون المؤمن في ضيق وعَنَت وفقر، ما دام الله عزّ وجل قال: ﴿**لَا يَسْتَوُونَ**﴾، ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾ لابد من أن يكون هناك فرق كبير بينهما، فمن ظروف الحياة اليومية التي نعيشها هذه الحياة تسمح للمُعْرِضين أن يعيشوا فيها عيشاً رغيداً ناعماً، يصيبون فيه المال، والجاه، واللذّات، فإذا سمحت الحياة للمُعرض أن يعيش حياة رغيدة هانئةً فيها المال الوفير، وفيها الملذات والمباهج، والشأن والقوة، إذا سمحت الحياة لهؤلاء أن يعيشوا، والآية تقول: ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ**﴾ إذاً لابد من يوم آخر تتحقق فيه هذه الآية:

**وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60) وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ (62)**

**سورة يس**

**إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (55) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (56) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (57) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (58) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ (59) أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ** يَا بَنِي آَدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (60)

**سورة يس**

معنى هذا لابدّ من يوم يمتاز فيه المجرمون عن المؤمنين، والمعرضون عن المقبلين، إذاً الدنيا التي تسوّي في المظهر بين المسلم وبين المعرض، هذه الدنيا لابد من يوم آخر يتبعها لا يستوي في هذا اليوم الآخر المجرم مع المسلم، ﴿**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ*مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**﴾ في الدنيا قد تسمح الدنيا للفاجر أن يقوى على المؤمن، قد تسمح الدنيا للمُعرض أن يرتفع عن المؤمن، لكن في الآخرة كل هذا لا يكون:

**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ (107) قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ (108) إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آَمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ (110) إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ (111)**

**سورة المؤمنون**

**﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.**

في آية أخرى:

**فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آَمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (34)**

**سورة المطففين**

لا يعقل أن تنتهي حياة الإنسان في الدنيا، واحد منحرف، واحد مقصر، واحد عاص، واحد مستقيم، كلهم يموتون جميعاً ويسوّي الموت بينهم ولا حياة بعد الحياة الدنيا؟ هذا يتناقض مع العدالة الإلهية ومع الحكمة الربانية.

دليل ثالث قوله تعالى:

**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)**

**سورة الجاثية**

أيعقل أن يكون الذين اجترحوا السيئات أن يُعَاملوا كما يعامل الذين آمنوا وعملوا الصالحات؟ **﴿سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾** قال تعالى:

**أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (39) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (40)**

**سورة القيامة**

بلى الله قادر، أي هذه الآيات تؤكد أن طبيعة الحياة الدنيا تقتضي أن يكون بعد الموت حياة أخرى، يتحقق فيها العدل الإلهي المطلق، والحكمة الإلهية المطلقة، والله سبحانه وتعالى يقول:

**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (4)**

**سورة يونس**

إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا **لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)**

**سورة طه**

يعيده لتجزى، يعيد الخلق ليجازي كلاً بعمله.

شيء آخر؛ الله عز وجل:

وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)**

**سورة الأعراف**

الله سبحانه وتعالى يقول:

**قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (110)

**سورة الإسراء**

أسماؤه كلها حسنى، من مقتضيات أسمائه الحسنى أن يثيب الصالح وأن يعاقب الطالح، من لوازم أسمائه الحسنى أن يُكْرِم المستقيم وأن يعاقب المنحرف، الدنيا لا تكفي، الدنيا فيها تفاوت كبير، لابد من حياة أخرى تتحقق فيها أسماء الله الحسنى.

## لا يمكن أن يسعد المجتمع الإنساني إلا إذا آمن أفراده باليوم الآخر:

الفكرة الأخيرة، هو أن الإيمان باليوم الآخر مبدأ ضروري لسعادة الجماعة الإنسانية، هذه أخطر فكرة في الدرس، لا يمكن لمجتمع إنساني أن يسعد إلا إذا آمن أفراده باليوم الآخر، لماذا؟ لأن الإنسان، المجتمع لا يسعد إلا إذا انضبط أفراده.

الآن الذي يبيعك حاجة، يبيعك زيتًا، ما الذي يضمن أن هذا الزيت ليس مغشوشاً؟ أنت لا تملك الإمكانية التي تكشف بها الغش، هذا الذي يعطيك هذه السلعة ما الذي يضمن أنه ليس فيها عيب؟ إذا خاف البائع من الخالق، وخاف اليوم الآخر، وخاف يوم الدين، سيستقيم معك في البيع والشراء، أما من دون إيمان باليوم الآخر، مهما وضعنا من ضوابط هذه الضوابط يتفلت الإنسان منها، الذي يضع هذه الضوابط إنسان، والذي يتفلت منها إنسان، والعملية منافسة بين الأذكى، قد يضع الضوابط إنسان ذكي، ويأتي إنسان أذكى منه فيخرق هذه الضوابط، أي كل شيء وُضع من وضع البشر أَمكن خرقه، وأمكن الاحتيال عليه، وأمكن التلاعب به، عملياً لا تصلح الحياة إلا أن يؤمن أفراده باليوم الآخر، تعامل مع طبيب، مع محام، مع بائع، مع مهندس، مع صاحب مصلحة، مع صناعي، ما الذي يضمن لك؟ أنا حدثني أخ قال لي: يمكن إضافة مواد ضارة بالصحة للمواد الغذائية من أجل أن يرتفع سعرها، ما الذي يضمن أن هذا الذي يصنع الغذاء سيضيف مواد حافظة بكميات زائدة عن الكميات القانونية؟ من أجل ضمان عدم فساد هذه المعلبات مسموح بالألف واحد يضعون بالألف ثلاثة، هذه كلها مواد مسرطنة، إذاً كيف تستقيم حياتنا؟ هذا الذي يصنع الغذاء، الذي يُعلِّب الغذاء، إذا لم يخش الله عزّ وجل، وأن الله سيحاسبه عن كل من تأذّى بهذا الغذاء لن تستقيم حياتنا.

ضوابط البشر مهما دقت لا تكفي، لأن الإنسان علمه محدود، ضوابط البشر مقيدة بالمراقبة، ويستحيل أن توجد مراقباً على كل إنسان، وقد يتواطآن، فتحتاج لمراقب ثالث عليهما، وقد يتفقوا تحتاج إلى مراقب رابع، القضية مستحيلة، مستحيل أن تضبط الأمور إلا أن تُعمّق إيمان الناس باليوم الآخر، يعرف الإنسان أن كل شيء محاسب عليه، سيقف بين يدي الله عز وجل ليحاسبه عن كل عمل اقترفه، المجتمع البشري لا يمكن أن يسعد إلا إذا آمن أفراده باليوم الآخر.

أحياناً تتلقى استشارة غير صحيحة هدفها ابتزاز المال، استشر شخصاً، تكون الاستشارة غير هادفة، غير ناصحة، استشارة يوجد لها غاية، طبعاً الأمثلة لا تُعدّ ولا تحصى، كيفما تحرك، إذا الشخص الذي تتعامل معه ليس مؤمناً بالله، ولا باليوم الآخر، مخيف، قد يحتال عليك، قد يبتز مالك، قد يغشك في صحتك، قد يغشك في طاولة، هذا شيء قد يُحَل، أما قد يغشك في صحتك، قد يقترح عليك عملية جراحية لا جدوى منها.

في المجتمعات الغربية صار هناك طبيب ليُقيّم نُصْح الطبيب، بالمجتمعات المتقدمة مادياً صار المحامي يخشى الموكل أن يتفق المحامي مع خصمه، ويأخذ مبلغاً أكبر، الآن تخشى أن يقال لك حلل كذا وكذا، وكل هذه التحاليل لا جدوى منها، لأنه لا يوجد إيمان باليوم الآخر، لا أحد يخشى، عملية كسب مال بشكل غير مشروع، هذا الذي يشكو منه المجتمع، ابن آدم خفني وخَفْ نفسك وخفْ من لا يخافني، أي مجتمع لا يصلح أفراده ولا يسعد المجتمع إلا إذا انضبطوا، وليس هناك من ضابط للأفراد إلا أن يؤمنوا أن الله عز وجل سيُحاسبهم على كل كبيرة وصغيرة.

في الدرس القادم إن شاء الله تعالى أخ من إخواننا كان يحضر معنا له عمل بلفّ المحركات، هو حدثني الحديث قال لي: يأتيني محرك، اتفق مع صاحبه على ألف وخمسمئة لألفه له، أفتح أجد فيه طاقاً مقطوعاً، ألحمه بالكاوي بخمس دقائق، يأتي ثاني يوم أو حسب الاتفاق بعد أسبوع إن شاء جاهز؟ تعال يا بني شغله، اسمح لنا بألف وخمسمئة، قال: يكلفني عمل ثوان، قال لي: بعد أن عرفت الله عز وجل، الاتفاق ألف وخمسمئة يأتي بعد أسبوع أقول له: الكلفة عشر ليرات، ما معنى عشر ليرات؟ يقول له: لم يكن فيه شيء، فككناه فإذا لم يكن فيه شيء، كان هناك طاق مقطوع لحمته، انظر إلى هذه الحادثة الصارخة، هكذا فعل قبل أن يعرف الله واليوم الآخر، وهكذا فعل بعد أن عرف الله واليوم الآخر، وعلى هذا فقس في كل نواحي حياتنا.

حدثني أخ كان يحضر معنا قال لي: إنسان أحضر لي سيارة فيها علبة السرعة تحتاج إلى تصليح، فككناها وجد فيها مسنناً مكسوراً، يوجد بالسوق مسنن ثمنه ثلاثون ليرة، ذهبت لأشتري هذا المسنن، الصانع عندي وهو ينظف علبة السرعة وقعت منه شيء انكسر وليس موجوداً منه في السوق، حاسب نفسه، أنا هذا الخطأ مني، لو أنا ضابط الموظفين الذين عندي القطعة المكسورة الذي جاء من أجلها ثمنها ثلاثون ليرة، أما

التي كسرت بسبب الموظف فغير موجود منها، فاشترى له بواط من عنده ثمنه خمسمئة وخمسون وما بلغ الزبون، قال له: خمسون ليرة فقط، هذا الانضباط.

قال لي: أينما يصلحون السيارات أول عملية يذهبون إلى خزان الوقود يفرغونه من أجل غسيل المحرك، يستعمل ربعه والباقي لسيارته، أما المؤمن فلا يأخذ كأساً ليست له، لا يقدر، هناك إله يراقبه، هذه أمثلة صارخة من حياتنا، كل مصلحة، لا يوجد إنسان له مصلحة وهو مؤمن إلا يخشى الله عز وجل، يخاف يكون هناك خطأ، هناك غش، هناك عيب ما أصلحه له، أما إذا لم يكن فيه إيمان، العملية ابتزاز الأموال بغير حساب، وأعتقد كل مصلحة، وكل حرفة، وكل عمل، حتى الموظف، حتى المهن الراقية، طبيب مثلاً، محام، مهندس، حتى المهن العادية، حتى المهن ذات الكفاءة العالية كلها تحتاج إلى إيمان بالله حتى تستقيم بمعاملتك، إذاً هذه الفكرة الثانية أن المجتمعات البشرية لا تسعد إلا إذا آمن أفرادها بالله واليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 51-63: الإيمان باليوم الآخر 8- ما دليل المسلم على إيمانه باليوم الآخر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## طريق الخبر الصادق دليل المسلم على إيمانه باليوم الآخر:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الواحد والخمسين من دروس العقيدة.

وصلنا إلى موضوع وجوب الإيمان باليوم الآخر، تحدثنا في الدرس الماضي عن ضرورة الإيمان باليوم الآخر، وها نحن ننتقل إلى موضوع وجوب الإيمان باليوم الآخر، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (136)**

**سورة النساء**

كأن الله سبحانه وتعالى وضّح في هذه الآية أركان الإيمان، وكيف أنّ الإيمان باليوم الآخر أحدُ أركان الإيمان الأساسية، فعقيدة الإيمان بالله لا تنفك عن الإيمان باليوم الآخر، لأن مِن مقتضى الإيمان بالله -دققوا-تصديقُه في جميع ما يُخبرنا به، لو سألك سائل: ما الدليل على إيمانك باليوم الآخر؟ تقول: هذا الكون كله دليل على وجود الله، فالإيمان بوجود الله إيمان تحقيقي، بعد أن عرفتَ الله، وعرفتَ أن لهذا الكون خالقاً عظيماً، وأن هذا الخالق العظيم لا يُعقل أن يترك عباده من دون إرشاد، وأنه أنزل على رسله كُتُباً، ليُعرفّهم بحقيقة وجودهم، وحقيقة المهمة التي خُلِقوا من أجلها، وأن الله عزّ وجل أخبرنا بهذه الكتب أن هناك يوماً آخر.

فمِما يقتضي، مما يلزم الإيمان بالله عزّ وجل الإيمان باليوم الآخر، لأن الله عزّ وجل أخبرنا في كتبه بأن هناك يوماً آخر، القضية سلسلة، الإيمان بالله إيمان تحقيقي عن طريق النظر في الكون، وعن طريق

الاستدلال العقلي اليقيني، وقد ذكرت لكم من قبل أن مسالك اليقين أربعة مسالك، هناك مسلك اليقيني الحسّي، أنت تشعر، أنت تُحسّ بعينيك أن هذا المصباح متألق، وأن هذا كتاب، وأن هذا كأس، وأن هذه يد، فهناك مسلك اليقين الحسي، وهناك مسلك اليقين الاستدلالي، الأثر يدل على المُؤثر، والنظام يدل على المُنظم، والخلق يدل على الخالق، والوجود يدل على الموجد، أفسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدلان على العليم الخبير؟ هذا مسلك اليقين الاستدلالي.

وهناك الشيء الذي غابت عينه وبقيت آثاره، مسلك اليقين به اليقين الاستدلالي، الشيء الذي ظهرت عينه حسياً مسلك اليقين به اليقين الحسي، الشيء الذي غابت عينه وغابت آثاره مسلك اليقين به اليقين الإخباري، فعالم الأزل، وعالم الأبد، والملائكة، والجن، واليوم الآخر، والجنة، والنار، والبرزخ، ويوم البعث والنشور، هذه الأشياء المُغيّبة عنّا مسلك اليقين بها اليقين الإخباري، الله عز وجل أخبرنا أن هناك يوماً آخر، إيمانك بالله إيمان تحقيقي، يقينك بوجوده يقين استدلالي، لكن يقينك باليوم الآخر يقين إخباري لأن الله عز وجل أخبرنا عن طريق الوحي وفي الكتب المُنزَّلة أن هناك يوماً آخر، فهذا الدليل الأول.

## من ضمن ما أخبرنا الله به عن اليوم الآخر ذكر الوعد والوعيد:

وقد أخبرنا باليوم الآخر في وعده ووعيده، وما أعدّ الله في هذا اليوم من نعيم للمؤمنين المتقين، وما أعتد، الوعيد غير الوعيد، الوعد بالخير، الوعد بالثواب، والوعيد بالعقاب، وما أعدّ من الوعد، وما أعدّ الله في هذا اليوم مِن نعيم مقيم، وما أعتد من الوعيد في هذا اليوم من عذاب للمجرمين، ولقد قرر الله سبحانه وتعالى حقيقة الحياة الثانية بعد الموت، وأنها حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني في الخلائق، الحياة الأولى حياة الابتلاء والحياة الثانية حياة الحساب والجزاء، وإقامة العدل الرباني في الخلائق، وأنها حياة أخرى خالدة، الحياة الدنيا حياة ابتلاء مؤقتة، حياة ابتلاء فانية، والحياة الآخرة حياة جزاء خالدة، حياة ابتلاء فانية وحياة جزاء خالدة، بعد هذه الحياة الأولى الفانية القصيرة المدى التي هي حياة الامتحان والابتلاء المحاطة بظروف الامتحان اللازمة على أتمّ وجه وأدقه، أي طبيعة هذه الحياةِ مصممة بشكل دقيقٍ دقيق على أن تكون حياة ابتلاء، هناك تفاوت في المستوى المعاشي، هذا الغني أيشكر؟ وهذا الفقير أيصبر؟ هناك ابتلاء في قوة

الجسد وضَعفه، أهذا الصحيح أيشكر؟ وهذا السقيم أيصبر؟ ربنا عز وجل جعل الحياة الدنيا متفاوتة تفاوتاً كبيراً من أجل أن يكون الابتلاء صحيحاً.

ولقد قرّر الله سبحانه وتعالى حقيقة هذه الحياة الآخرة في اليوم الآخر والدار الآخرة في جميع الأديان السماوية، وأنزلها على جميع رسله عليهم الصلاة والسلام، هذه نقطة مهمة جداً أن اليوم الآخر أحد أركان العقيدة في كل الديانات السماوية، ما من دين سماوي إلا وأحد أركان الإيمان فيه الإيمان باليوم الآخر.

## أسلوب القرآن المتنوع في تقريب حقيقة وجوب الإيمان باليوم الآخر إلى الأذهان:

لكن ربنا عزّ وجل في معرِض وجوب الإيمان باليوم الآخر يُنوّع وسائل العرض، فتارة يأمر بالإيمان باليوم الآخر، وتارة ينهى عن الكفر به، وتارة يصرّح بحيث لا يدع شُبُهة في التصريح، وتارة يُرغِّب في الجنة، وتارة يُرهِّب من النار، وتارة يشير ويُلمّح في مقام حثّ المؤمنين على العمل الصالح، وتارة يُمثِّل، قال تعالى:

**وَاضْرِبْ لَهُمْ** مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا (45)

**سورة الكهف**

وتارة بالتمثيل والتشبيه لتقريب حقيقة هذه الحياة الثانية إلى الأذهان، وتارة بإقامة البراهين والحجج المنطقية الدامغة في مناقشة منكري البعث، وتارة بوصف ما في هذه الدار الآخرة من نعيم مقيم، وعذاب أليم، وجنة، ونار، وعرض، وحساب، وميزان، وصراط، إلى غير ذلك مِن مَشاهد وصور، لا يخفى على متعهد كتاب الله بالتلاوة أو بالسماع كثرةُ الآيات الكريمة التي تُنَوِّهُ بالبعث من مختلف أطرافه، وبالحياة الآخرة من مختلف ألوانها، فعقيدة الإيمان باليوم الآخر وما في هذا اليوم من حقائق ثابتة عقيدة معلومة مِن الدين بالضرورة.

## الترابط المتلازم بين عقيدة الإيمان وبين السلوك:

بينت لكم من قبل أن هناك مجموعة عقائد يجب أن تُعلَم بالضرورة، ولا يُعفى أي مسلم من مغبة الجهل بها، لا عذر للجاهل، التبحر في بعض العلوم فرض كفاية، لكن هناك بعض الحقائق، بعض المعتقدات

الأساسية يجب أن تُعلَم بالضرورة، إذاً حضور مجالس العلم يرقى إلى مستوى الفرض، من أجل أن تعرف العقائد التي لابد من أن تعتقد بها، لأن هذه العقائد أساسية في تحرك الإنسان.

من كانت عقيدته صحيحة كان عمله صحيحاً، ومن كانت عقيدته زائغة كان عمله زائغاً، والدليل ناصع كالشمس، هذا الذي يأكل مالاً حراماً لماذا أكل مالاً حراماً؟ لأنه اعتقد أن الحياة هكذا، خُلِق الإنسان بلا مسؤولية، أما إذا عَلِمَ عِلمَ اليقين أنه سيحاسب عن هذا المال الحرام حساباً عسيراً، إذا اعتقد أن هذا المال ربما تلف وأتلف صاحبه ابتعد عن الحرام، أي هنالك علاقة أساسية وعلاقة خطيرة جداً بين المعتَقَد وبين السلوك، خذا هذا في أمور أخرى، هذا الذي يعتقد اعتقاداً جازماً أن كثرة ملح الطعام يُسبِّب ارتفاع الضغط، وأن ارتفاع الضغط مرض خطير قاتل، إذا بلغ علمه حدّ اليقين في خطورة ملح الطعام يعزف عن الطعام المالح ولو كان من أشهى أنواع الطعام، يقول: لا، مُنِعت عن الملح، قناعته اليقينية من أن ملح الطعام يُسبِّب له متاعب لا حصر لها تمنعه من تناول ملح الطعام، هذا على المستوى الصحي، فإذا كان جاهلاً ولم يعرف خطورة هذه المادة، وأثرها في رفع الضغط، وفي حبس السوائل في الجسم، وفي إرهاق القلب، تناول من الملح بشكل يُرضي ذوقه، يقول لك: هذا الطعام لا يؤكل، أَضِفْ أضف الملح حتى نستسيغ طعامه.

إذاً العقيدة لها علاقة بالسلوك، كلما ارتقى مستوى اليقين كلما سما العمل، إذاً لا يمكن لإنسان أن يستقيم على أمر الله إلا إذا صحت عقيدته، فإذا لم تصح فهو يقترف من الآثام، ويقتنص من الشهوات، وينغمس في الملذات، بحيث يبدو وكأن عقيدته غير سليمة.

لذلك يُعلن المسلم دائماً وفق عقيدته التي متى أخلّ بها كفر، أي إذا الإنسان اعتقد أن هذه الصلاة لا لزوم لها، إنها حركات لا معنى لها، إنها عبء على الإنسان، لابس مرتاح، اخلع حذاءك واخلع ثيابك وتوضأ وصلِّ، أي هذه الصلاة عبء، إذا اعتقدت أنها عبء وأنها لا لزوم لها فهذا كفر، قد يترك المرء الصلاة إنكاراً لحقها فيكفر، وقد يتركها تهاوناً فيفسق، المعتقد شيء مهم جداً، إذا اعتقدت أنه لابد من أكل الربا، هكذا الحياة، هذا المال لا ينبغي أن يبقى مُجمداً، لابد من أن يُستثمَر بربح مضمون، من دون قلق، لابد مِن وضعه واستثماره بفائدة عالية، إذا اعتقد الإنسان هذا مستحلٌ للربا فقد كفر، أما إذا غُلِب أي بريق الذهب أغراه في أن

يستثمر ماله، إذا غُلِب معتقداً حُرمة الربا فهذا فسق، الفرق بين الكفر والفسق فرقٌ بين صحة العقيدة وبين زيغ العقيدة.

## عقيدة المؤمن راسخة في إيمانه باليوم الآخر:

إذاً المسلم يعلن دائماً أنه يؤمن باليوم الآخر، ولا يُنكر شيئاً من أحوال الآخرة وحقائقها التي جاء الإخبار عنها بطريق يقيني صادق، فلا ينقص منها شيئاً، أي إذا قرأ الإنسان بكتاب أن الإنسان أصله قرد، وأن هذا الذي جاء في كتاب الله ليس صحيحاً أنّ الإنسان أصله من آدم، وأنه كان في الجنة مع حواء، وأنهما هبطا منها، هذه القصة التي وردت في القرآن الكريم إذا اعتقد أنها غير صحيحة وقع في الكفر، إذاً ما موقفه من هذه النظرية؟ لابد من أنْ يأخذ منها موقفاً واضحاً، يجب أن يدحَضها بالدليل العقلي والنقلي، أي أن يبقى في ذهنه صحة هذه النظرية، وصحة هذه السورة التي وردت فيها قصة سيدنا آدم مستحيل، لابد من أن يأخذ موقفاً عقائدياً صحيحاً، إما أن يؤمن بالله وكتبه وفي مقدمة كتبه القرآن الكريم، وإما أن يُعدّ في عقيدته زائغاً وكافراً.

إذاً فلا ينقُص منها شيئاً، ولا يزيد عليها شيئاً من محض الخيال والتصور، لأنها مِن أمور الغيب التي لا يستطيع العقل أن يعرف عنها أية صورة، هذا الشيء أُلح عليه كثيراً، أمور الغيب، عالم الأزل، وعالم الأبد، عالم الموت، عالم البرزخ، عالم البعث، عالم النشور، عالم الجنة، عالم النار، عالم الملائكة، عالم الجن، هذه الأشياء المُغيبة عنّا، لا سبيل للعقل لمعرفتها عن طريق الاستدلال أبداً، لابد من الاستسلام لِما جاء الإخبار عنها، وهذه عقيدة المؤمن الصحيحة، يجب أن يكون إيمانك بالله إيماناً تحقيقياً، أمّا الذي أخبرك الله عنه فالإيمان به إيمان تصديقي.

## أسماء اليوم الآخر كما وردت في الكتاب:

### 1- أسماء بحسب الظرف الزماني:

الآن لليوم الآخر أسماء كثيرة وردت في كتاب الله، وهناك فروق في دلالاتها، فلقد جاء في القرآن الكريم تسمية اليوم الآخر بعدة أسماء أخذاً مما يجري فيه، ومن أسمائه يوم البعث، لأن فيه البعث إلى الحياة الجسدية بعد الموت، يوم البعث إشارة إلى أن الإنسان يُبْعَث بعد أن يموت.

ويوم الخروج لأن فيه خروج الناس من قبورهم إلى الحياة الأخرى:

**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (42)**

**سورة ق**

ويوم القيامة لأن فيه قيام الناس إلى حساب الله سبحانه وتعالى.

ويوم الدين لأن فيه إدانة الخلائق ومجازاتهم على أعمالهم.

ويوم الفصل:

وكل يدَّعي وصلاً بليلى      وليلى لا تقر لهم بذاكا

**أبو العتاهية**

**فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (53)**

**سورة المؤمنون**

كل أناس يعتقدون أنهم على حق، وأن غيرهم على الباطل، كل فرقة، وكل جماعة، وكل مذهب، وكل طائفة، وكل فرقة، وكل نِحلة تدّعي أنها على حق وأن ما سواها على الباطل، يأتي يومُ الفصل ليفصل في هذا الموضوع، لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل.

ويوم الحشر ويوم الجمع لأن فيه جمع الخلائق، وحشرهم في موقف الحساب.

ويوم الحساب لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم في الدنيا.

ويوم الوعيد لأن فيه تحقيقاً لوعيد الله سبحانه وتعالى:

**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ** ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ (20)

**سورة ق**

ويوم الحسرة لأن في هذا اليوم يتفطر قلب الكافر حسرةً:

**أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ** يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ (56)

**سورة الزُمر**

ويوم الخلود لأن الحياة في هذا اليوم للمُكلّفين في الدنيا حياة أبدية خالدة، الإنسان في الدنيا يخشى تقدّم السن، ومع تقدّم السن يخشى الموت، يخشى أن تمضي به الدنيا، يخشى أن يُغادِرها قبل أن يستمتع فيها، يخاف أن يشيب شعره، يحرص على شبابه الدائم، أما هذا الشعور يوم القيامة غير موجود في الجنة، أي لا يوجد تقدّم في السن، ولا يوجد ضعف في الجسم، ولا يوجد ضعف في البصر، ولا يوجد فقد للذاكرة، ولا يوجد خوف من الموت، ولا يوجد خوف من النهاية:

**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ** ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (34)

**سورة ق**

قال: إلى غير ذلك من أسماء ملاحظ فيها التسمية باليوم أخذاً من الظرف الزماني، يوم البعث، ويوم الخروج، ويوم القيامة، ويوم الدين، ويوم الفصل، ويوم الحشر، ويوم الجمع، ويوم الحساب، ويوم الوعيد، ويوم الحسرة، ويوم الخلود، كل هذه الأسماء مُضافة إلى كلمة يوم، أخذاً مِن الظرف الزماني.

## 2- أسماء بحسب الظرف المكاني:

وقد جاءت أسماء أخرى ملاحظ فيها التسمية بالدار، أخذاً من الظرف المكاني، المستلزم لهذه الحياة الثانية، من هذه الأسماء الدار الآخرة، دار الدنيا والدار الآخرة، لأن هذه الحياة الثانية حياة مادية أيضاً تستلزم مكاناً، وقد أطلق الله على مكانها اسم الدار.

ودار القرار، هنا يستقر الإنسان، الإنسان في الدنيا يغنى ويفتقر، يرتفع وينخفض، يصح ويمرض، لكنه في الآخرة يستقر على حال واحدة، دار القرار لأن فيها استقراراً دائماً بلا فناء.

ودار الخلد، لأن الإقامة فيها إقامة أبدية، لا تحتاج إلى تجديد إقامة، إذا كان الإنسان ببلد، أعماله فيه رائجة جداً، ودخله كبير، لكنه أجنبي عن هذا البلد، أهم شيء بحياته الإقامة، يقول لك: الإقامة جددتها، أعطوني تجديداً، لم يعطوني، تأخروا عليّ، يوجد قلق مستمر، لكنه إذا دخل إلى الجنة فلا يحتاج في الجنة إلى تجديد إقامة، ولا يخشى أن تُلغى إقامته فيها:

**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48)**

سورة الحِجر

## 3- أسماء لها معان أخرى:

كما وردت أسماء أخرى لليوم الآخر ملاحظ فيها معان أخرى، في الأسماء الأولى لاحظنا معنى الظرف الزماني، وفي الأسماء الثانية لاحظنا معنى الظرف المكاني، وفي الأسماء الثالثة كالواقعة مثلاً:

**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1)**

سورة الواقعة

سُمّيت واقعة أخذاً من تحقُّق وقوعها، أي لابد من أن تقع، قل تعالى:

**إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (1) لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ (2) خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ (3)**

سورة الواقعة

قد يصبح الإنسان في الآخرة في أعلى عليين، وكان في الدنيا مغموراً، وقد يصبح الإنسان في الآخرة في أسفل السافلين، وكان في الدنيا مشهوراً.

الحاقّة، لأنها تَحقّ كل مجادل ومخاصم في دين الله بالباطل، أي تغلبه، أخذاً من قولهم: حاققته فحققته، أي غالبته فغلبته:

**الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3) كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ (4)**

**سورة الحاقة**

الإنسان أحياناً يخاصم، يجادل، يدّعي المنطق، لكنه في يوم القيامة تأتيه الحجة الدامغة على أنّ الذي وَعَدَ الله به حقّ:

**قَالُوا** يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (52)

**سورة يس**

من أسماء اليوم الآخر الحاقة.

والقارعة أخذاً مما يجري فيها من قرع شديد، والقرع هو الضرب الذي يحصل فيه صوت شديد، وسُمّيت بالقارعة لأنها تقرع القلوب بأهوالها، لو إنسان طُرِق باب الساعة الثانية ليلاً بعنف بالغ، أعتقد أن قلبه ينخلع، يقول: من جاء ليأخذني؟:

**الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)**

**سورة القارعة**

والغاشية، ومن أسماء اليوم الآخر الغاشية أخذاً مما يجري فيها من غشيان عام للثقلين، الإنس والجن، يُقال: غَشِيه إذا جلّله وعممه، أحياناً يتلقى الإنسان نبأ سيئاً جداً ينسى كل أموره العادية، يكون عنده قائمة مشكلات يريد حلها، قائمة، يأتيه خبر ينسيه كل ما سواه:

**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ (1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آَنِيَةٍ (5)**

**سورة الغاشية**

لو فرضنا إنساناً نزل في فندق، لم تعجبه الغرفة، يبحث مع صاحب الفندق لينتقل إلى غرفة أجمل، مُطلّة على البحر، وهو كذلك تأتيه مخابرة أن محله قد احترق، مشكلة الغرفة هل تبقى أن الغرفة على الجبل وليست على البحر؟ هل تبقى هذه المشكلة؟ فوراً ينساها، تأتيه مشكلة أخرى.

الطامّة، وأصل الطامة الداهية التي تغلب وتفوق ما سواها من الدواهي، من قولهم طمّ الشيء إذا غمره، وكل ما علا وكَثُر حتى غلب فقد طم، وسُمّيت القيامة بالطامة لما فيها من الشمول والغلبة.

الآزفة:

**أَزِفَتِ الْآَزِفَةُ (57) لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ (58)**

**سورة النجم**

أي القريبة، وسمّيت بذلك إشعاراً بقربها بالنسبة إلى عمر الدنيا الطويل، وإعلان قربها يتضمن تحقّق وقوعها لزوماً، إلى غير ذلك من أسماء.

أخذنا الأسماء المتعلقة بالظرف الزماني، والأسماء المتعلقة بالظرف المكاني، والأسماء المتعلقة بأوقات يوم القيامة.

وسوف ننتقل في الدرس القادم إن شاء الله تعالى إلى مقدمات اليوم الآخر، أولاً: الساعة، آثارها في الكون، ووقتها، وأماراتها، قيام الساعة قبل يوم القيامة، قرب الساعة وأمارات الساعة، وننتقل بعدها إلى البرزخ، وما فيه من نعيم القبر وعذابه، وبعدئذ إلى سؤال القبر من قبل الملكين، وبعدها النفخة الأولى، والنفخة الثانية، وبعدها بعض الحقائق عن البعث واليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 52-63: مقدمات اليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## معنى كلمة الساعة في القرآن الكريم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثاني والخمسين من دروس العقيدة.

أنهينا في الدرس الماضي وجوب الإيمان باليوم الآخر، وأسماء اليوم الآخر الواردة في القرآن الكريم، والآن إلى موضوع جديد هو مقدمات اليوم الآخر.

فالحديث عن اليوم الآخر يستدعي الكلام عن أمور تجري قبل هذا اليوم كمقدمات له، ونقتصر على عرض أهم هذه الأمور مما ثبت باليقين، ونعني باليقين اليقين الإخباري، وأعلى نصّ يقيني إخباري هو القرآن الكريم، فكل فكرة مُدعّمة بآية قرآنية تُعدّ دليلاً قطعي الثبوت وقطعي الدلالة على ما يذهب إليه مُؤلِّف الكتاب.

فالساعة، آثارها في الكون، ووقتها، وأماراتها، فالحياة الثانية بوضعها الكامل، وأنظمتها التامة لا تكون إلا بعد انتهاء سلسلة هذه الحياة الأولى، فلابد من أن تنتهي حتى تبدأ الثانية، وقد جاء التعبير القرآني عن وقت انتهاء هذه الحياة الأولى بلفظ الساعة، فكلمة الساعة إذا وردت في القرآن الكريم فتعني ساعةَ انتهاء الحياة الأولى، ومتى انتهت الحياة الأولى بدأت الحياة الآخرة، يقول الله عزّ وجل:

**إِنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (15)**

**سورة طه**

كلمة: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ لابد من هذا المعنى كي يستقيم الابتلاء، توضيح هذه الفكرة أن رجلاً له محل تجاري، وفي هذا المحل موظف، لو أن صاحب المحل دخل أول الداخلين وخرج آخر الخارجين، وقبع وراء مكتبه، ووراء مكان وضع النقود، ثم سُئل هذا السؤال: هل هذا الموظف الذي عندك أمين أم خائن؟ لا يعرف، أما إذا تغافل عنه، خرج من المحل، وبقيت عينه على ما يجري في المحل لابد من أجل الامتحان من بعض التغافل، لا أقول الغفلة، أقول: التغافل، لذلك ربنا سبحانه وتعالى يقول:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ **إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)**

**سورة إبراهيم**

لا تحسبنه غافلاً لأنه قد يبدو غافلاً، يُمدّ الكافر بالأموال، والبنين، والقوة، والصحة، والجمال، والذكاء، والعشيرة، والأهل، والزوجة، والمكانة، هذا الإمداد يُوهِم الغافلين، يُوهِم السُّذج، يوهم ضيقي الأفق أن الله غافل، هذا ليس غفلة إنما هو تغافل، والتغافل من أجل أن يتحقق الابتلاء، إذاً ربنا عزّ وجل قال: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ لو أنك أشهرت على إنسان سلاحاً وأمرته أن يفعل هذا الشيء ولو لم يفعله لاستخدمت معه هذا السلاح الفعّال، إنه يفعله، هل فَعَله عن قناعة؟ فعله مُكرهاً، أما إذا لم يكن هناك ضغط مباشر عليه وفعل هذا الشيء طواعية يكون هذا الفعل مَكرُمة، وهذا الترك مكرُمة، لذلك: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ أدق ما في الآية: ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾ لأن الابتلاء لا يكون إلا بالتغافل، كما ورد في القرآن الكريم.

## أسئلة مطروحة لابد من الإجابة عليها:

### 1- إذا انتهى نظام الحياة في الدنيا هل يبقى الكون بما فيه على وضعه؟

هناك مجموعة أسئلة.

السؤال الأول: إذا انتهى نظام هذه الحياة الأولى فهل ستبقى الأرض والشمس والكواكب والنجوم على أوضاعها؟ الجواب: يأتينا الجواب من الله عز وجل، هذه الأرض قارة آسيا، إفريقيا، أوروبا، أمريكا، أستراليا، القطبين، البحار، الشمس، القمر، اليوم، السنة، الأسبوع، هذا النظام الشمسي وهذه الأرض مع قمرها،

وهذه السماوات مع مجراتها هل تبقى هي هي بعد قيام الساعة أو بعد انتهاء الحياة الأولى؟ يأتينا الجواب من الله رب العالمين فيقول:

**يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ (104)**

**سورة الأنبياء**

**إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (2) وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ (3) وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ (4) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ (5)**

**سورة الانفطار**

هذا سؤال مهم، هذا النظام، هذه الأرض، هذه اليابسة، هذه البحار، هذه الجبال، هذه المجرات، هذه الكواكب، كلها سوف تنتهي وظيفتها، فمِن شروط أو مِن لوازم انتهاء الحياة انتهاء النظام الذي هي عليه الحياة في الدنيا.

## 2 . متى ينتهي نظام الحياة الأولى أي متى الساعة؟

السؤال الثاني: متى ينتهي نظام الحياة الأولى؟ أي متى الساعة؟ ويأتينا الجواب الرباني مُبَيِّناً لنا أن وقتها من أمور الغيب، كنت قد حدثتكم من قبل أن الإمام مالك رأى في المنام مَلَك الموت، قال: يا ملك الموت كم بقي لي من عمري؟ فأشار ملك الموت كما جاء في الرؤيا، هكذا، فازداد الإمام مالك قلقاً، يا تُرى خمس سنوات أم خمسة أشهر؟ السنة مؤنث العدد يجب أن يأتي مُعاكساً للمعدود، السنوات السنة مؤنث تقول: خمس سنوات، والشهر مذكر تقول: خمسة أشهر، يا ترى خمس سنوات أم خمسة أشهر أم خمسة أسابيع أم خمسة أيام أم خمس ساعات أم خمس دقائق أم خمس ثوانٍ؟ فملك الموت هكذا أشار، الإمام ابن سيرين كان مِن المفسرين للأحلام، ذهب إليه إمام دار الهجرة الإمام مالك فقصّ عليه المنام، فقال: يا إمام، إن ملك الموت يقول لك: إن سؤالك من خمسة أشياء لا يعلمها إلا الله، فالسؤال الثاني: متى الساعة؟ يأتينا الجواب رباني مبيناً أن وقتها من أمور الغيب، التي لا يعلمها إلا الله، وقد أخفاه الله عن عباده لحكمة يعلمها، فلا سبيل إلى معرفته، قال تعالى:

يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً **يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (187)**

**سورة الأعراف**

لذلك في بعض المحاضرات التي أُلقيت في بعض الأقطار العربية عن الإعجاز الرياضي للقرآن الكريم المُحاضر شطح شطحة خرج بها عن نص القرآن، مِن إجراء حسابات معقدة تبيّن له متى بالضبط يوم القيامة، فحينما قال هذه المعلومة انسحب من القاعة معظم المشاهدين الحضور، لأن أن يعلم الإنسان متى يوم القيامة بالتحديد والتفصيل فهذا مناقض لما ورد في الكتاب الكريم، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ معنى: ﴿**أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ أي متى وقت رسوّها؟ وكأن الحياة شُبّهت بالسفينة، وانتهاء الرحلة هو عند الشاطئ، وعند الشاطئ ترسو السفينة وتستقر، هذه صورة بلاغية، ﴿**يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا**﴾ كأن الحياة الدنيا سفينة، وعندما تنتهي الحياة الدنيا تستقر هذه السفينة على شاطئ الدار الآخرة وترسو، ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾ ويبدو أنه من رحمة الله عزّ وجل علينا أنه أخفى عنا ساعة النهاية، لو أن الإنسان يعلم متى يموت لشُلَّت حركته، ولأصبحت أيامه المتبقية أياماً مِن نوع خاص لا تُحتمل، لذلك الإنسان يعيش في الأمل.

## 3- ما دلالات قُرب وقوع الساعة؟

الشيء الثاني حين الحديث عن الساعة قلنا: هناك مجموعة نقاط، الساعة، آثارها في الكون، وقتها، أماراتها، فقُربُ الساعة الله سبحانه وتعالى يبين أنها قريبة، سيدنا عليّ يقول: كلّ متوقع آتٍ، وكل آتٍ قريب.

الآن بدأنا بالشتاء، البيوت تستعد لاستقبال هذا الفصل، تضع الفرش المتعلق بهذا الفصل، تضع وسائل التدفئة، ما هي إلا أزمان يسيرة حتى يأتي الصيف، فكل واحد منا استقبل كم شتاء؟ واستقبل كم صيف؟ واستقبل كم ربيع؟ واستقبل كم خريف؟ وهكذا، قال تعالى:

**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ (1) وَإِنْ يَرَوْا آَيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ (2)**

**سورة القمر**

﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ**﴾ ما دمت أنت متحركاً، والنهاية ثابتة، فكل زمن يمضي اقتراب مِن هذه النهاية، شيء بديهي، واللهُ سبحانه وتعالى يقول:

**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)**

**سورة الأحزاب**

## مواعظ وعِبر:

كلمة على هامش الموضوع–ما من شيء والله الذي لا إله إلا هو–ما من شيء أثقل وأثمن في حياتك من الوقت، بالوقت ترقى إلى الله.

شيء آخر؛ إذا أردت التعامل مع ما في الحياة الدنيا يجب أن تُميّز بين ما يتصل منها بالآخرة، وبين ما لا يتصل، يوجد عندنا مقياس قال بعض العلماء: كل ما لا يدخل معك إلى القبر فهو من الدنيا، كل شيء يقف على شفير القبر من الدنيا، الأولاد من الدنيا يقفون على شفير القبر إلا إذا ابتغيت في تربيتهم وجه الله سبحانه وتعالى، لذلك يقف رجلان جثيا بين يدي الله يوم القيامة، فقال الله عزّ وجل لأحدهما: عبدي أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ فقال هذا العبد: يا ربّ لم أنفق منه شيئاً على أحدٍ مخافة الفقر على أولادي من بعدي، قال: ألم تعلم بأني أنا الرزاق ذو القوة المتين؟ إن الذي خشيته على أولادك مِن بعدك قد أنزلتُه بهم، وأما الثاني فقال: أعطيتك مالاً فماذا صنعت فيه؟ فقال: يا ربّ لقد أنفقتُه على كل محتاجٍ ومسكين لثقتي بأنك خير حافظاً وأنت أرحم الراحمين، فيقول الله عزّ وجل: عبدي أنا الحافظ لأولادك من بعدك.

فلذلك موضوع الساعة موضوع انتهاءِ الحياة، ثم الإنسان أحياناً يقول: متى الساعة؟ هناك سؤال أخطر متى ساعتي؟ هناك ساعة عامة تنتهي بها الحياة وهناك ساعة خاصة ينتهي بها الإنسان، والإنسان العاقل هو الذي يفكر دائماً في ساعته هو، وفي آية أخرى يقول الله عز وجل: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ**

**﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾** وقلت لكم: من قبل أنه من عدّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت.

## الموت يأتي بلا مقدمات:

وقد جاء في كلام النبي عليه الصلاة والسلام ما يُشبه هذه المعاني فقال عليه الصلاة والسلام: عن أنس بن مالك: **بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْنِ. قالَ: وضَمَّ السَّبَّابَةَ والْوُسْطَى.**

**صحيح مسلم**

الفرق بينهما قليل، **قال شعبة راوي الحديث: بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةُ كَهاتَيْنِ. قالَ شُعْبَةُ: وسَمِعْتُ قَتادَةَ يقولُ في قَصَصِهِ: كَفَضْلِ إحْداهُما علَى الأُخْرَى**، فلا أدْرِي أذَكَرَهُ عن أنَسٍ، أوْ قالَهُ قَتادَةُ.

أي كزيادة طول الأصبع الوسطى على السبابة وفي هذا إشارة إلى نسبة ما بقي من عمر الدنيا بالنظر إلى ما انصرم منها، وذلك على وجه التقريب.

أيضاً هذه الحقيقة هناك تطبيق عملي خاص بكل واحد منها، سؤال مزعج، سؤال خطير، سؤال لابد من طرحه، ليسأل أحدنا مثل هذا السؤال: هل بقي بقدرِ ما مضى؟ أي من بلغ الأربعين فقد دخل في أسواق الآخرة.

إخوة لنا أعزاء محبون كانوا معنا في الأسبوع الماضي واليوم تحت أطباق الثرى، لي صديق مؤمن خرج من بلده إلى بلد عربي ليعمل في التدريس الجامعي، مضى على خروجه عشرون يوماً، وقد وافته المنية هناك، وسنّه لا تزيد عن أربعين عاماً، حينما كان في الصيف هنا خطط لمشاريع تحتاج إلى عشرين سنة تقريباً، هل بقي بقدر ما مضى؟ سؤال، هل بقي بقدر ما مضى؟ ومن دخل في الأربعين فقد دخل في أسواق الآخرة، سبحان الله! الموت منوع، يأتي بعد مرض عضال، أو يأتي بعد مرض طويل، يقول لك: ثلاث عشرة سنة بهذا المرض، ثم وافته المنية، وقد يأتي من دون مرض، هناك حوادث كثيرة، آوى إلى فراشه، حان وقت الصلاة تفقدوه فإذا قد فارق الحياة، آوى إلى فراشه في منتصف الليل لمست يد زوجته يده فرأتها باردة،

فاستيقظت فإذا هو ميت، وهو إلى جانبها، هذا شيء فمِن حكمة الله عزّ وجل أنَّ الموت إما أن يأتي بعد مرض طويل، أو مرضٍ خطير، وإما أن يأتي بلا مقدمات، والآية الدقيقة:

**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (8)**

**سورة الجمعة**

حدثني أخ عن والده فقال: أصيب والدي بمرض خطير، فأخذ احتياطات مذهلة، نفّذ تعليمات الأطباء بدقة متناهية، حرص على أن ينجو من هذا المرض بكل وسيلة، وافته المنية بحادث سيارة، هو يظن الموت في هذا المرض، فاتّقاه بشكل مُبالغ فيه، مثل شخص يهرب من إنسان فإذا هو أمامه.

والقصة التي ذكرتها لكم كثيراً، أعيدها على سبيل الفائدة، هي قصة رمزية، أن سيدنا سليمان كان عنده رجل أمامه، من المقربين له، ودخل ملَك الموت، فجعل ملك الموت يُحِدّ النظر إلى هذا الرجل، فلما عَلِم هذا الرجل أن هذا ملك الموت فزِعَ قلبه، وارتعدت فرائصه، وألحّ على سيدنا سليمان أن يأخذه إلى أقصى الدنيا، وسيدنا سليمان أوتي بساط الريح كما تروي الكتب، فأركَبَه بساطَ الريح، ونقله إلى أقاصي الهند، وبعد أيام وافته المنية هناك، سيدنا سليمان التقى مع ملَك الموت ثانيةً، قال له: عجِبت لك لماذا كنتَ تُحِدّ النظر إليه؟ قال: واللهِ أنا الذي أعجب، أنا معي أوامر بقبض روحه في الهند، فلما رأيته عندك ازداد عجبي، لماذا هنا هذا؟ هذا مكان وفاته هناك في الهند، ﴿**قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ**﴾.

## الحكمة الإلهية من إخبار النبي عليه الصلاة والسلام عن موضوع أشراط الساعة:

قال: أما أمارات الساعة، أيْ علاماتها، أي علامات قُربها ودنو ميعادها، علاماتها كثيرة.

بادئ ذي بدء هناك علامات كبرى، وعلامات صغرى، وهناك علامات موضوعة، من وضع بعض الوضّاعين، موضوع قيام الساعة وأشراط الساعة موضوع كثير منوع فيه إضافات ليست منه، على كل كلمة لطيفة في هذا الموضوع، الأحاديث الصحيحة في أشراط الساعة ليست صريحة، والأحاديث الصريحة في أشراطها ليست صحيحة، إذا كان هناك أسماء مدن، وتفصيلات، وحوادث، ما دام هناك تصريحات دقيقة

جداً فأغلب الظن أن هذا الحديث غير صحيح، وأما الحديث الصحيح ففيه إشاراتٌ كبرى، لذلك لن نخوض في موضوع أشراط الساعة كما ورد في الكتب التي تعتمد على الحديث الضعيف، أو الحديث الموضوع، ونبقى في الإشارات والعلامات الكبرى، على كل يوجد هناك موعظة، قال ربنا عزّ وجل:

**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (26) إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (27)**

سورة الجن

معنى ذلك أن النبي عليه الصلاة والسلام حينما أخبرنا عن أشراط الساعة كان في هذا الإخبار دليل قطعي على نبوته، لأن هذا في علم الله، وقد أطلع الله عزّ وجل نبيه الكريم على بعض ما سيكون.

إذاً أولاً تمكيناً للإيمان في قلوب المؤمنين، وتنبيهاً للضالين حتى يؤمنوا، وحُجة على الجاحدين المعاندين، وبخاصة إذا مرت على الناس عصور بَعُدوا فيها عن عصر الرسالة المُحمديّة، أي هناك حكمة بالغة من أن الله عز وجل أطْلع نبيَّه الكريم على بعض أشراط الساعة، وبعض علاماتها.

## علامات الساعة أو أشراطها:

### 1- نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام:

فمن علامات الساعة أو من أشراطها نزول سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، له عودة، أي في آخر الزمان كما ورد: تمتلئ الأرض جوراً وظلماً فيأتي أخي عيسى فيملؤها قسطاً وعدلاً، وقد ثبت نزول سيدنا عيسى بدلائل من القرآن الكريم، ودلائل من الحديث الشريف الصحيح المتواتر، فمن الآيات القرآنية الدالة على نزول سيدنا عيسى في آخر الزمان وقبل قيام الساعة قوله تعالى:

**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا (159)**

سورة النساء

أي هو لم يمت بعد، بل رفعه الله إليه، وما قتلوه يقيناً:

**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ** وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ **وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157)** بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ **وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (158)**

**سورة النساء**

**إِذْ قَالَ اللَّهُ** يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ **وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (55)**

**سورة آل عمران**

**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا** فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (42)

**سورة الزمر**

وفاة نوم لا وفاة موت، الوفاة نوعان؛ وفاة نوم ووفاة موت، أما وفاة الموت فلها آية تشير إليها:

قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ **ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ (11)**

**سورة السجدة**

أمّا: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ هذه وفاة نوم، ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾، ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً**﴾ أي سيعود إلى الأرض، وسيؤمن به أهل الكتاب على أنه نبي من الأنبياء، من أُولي العزم الذين ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ففي صحيح البخاري عن سعيد بن المسيب، هنا جاء الضبط المُسَيَّب، والصواب: المُسَيِّب، وقد قال هذا التابعي الجليل: سيب الله من سيبني، مُسيِّب وليس مسيَّباً، هنا يوجد خطأ مطبعي، وعن سعيد بن المسيب عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلا** فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ **وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ** حَتَّى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، **ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: "وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا".**

**أخرجهما البخاري ومسلم في صحيحهما واللفظ للبخاري**

الآية الثانية التي تشير إلى عودته عليه السلام قوله تعالى في سورة الزخرف:

**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (61)**

**سورة الزخرف**

﴿**لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**﴾ أي من علامات قيام الساعة مجيء سيدنا عيسى عليه السلام، ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**﴾.

الآية الثالثة في سورة آل عمران:

**وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (46)**

**سورة آل عمران**

ومعنى كهلاً أيْ لم يبلغ بعد الكهولة.

## 2- كثرة الجهل وقلة العلم وتبدّل القيم وإسناد الأمر إلى غير أهله:

ومِن أشراط الساعة أيضاً كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: عن أنس بن مالك: **مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ أَنْ يَقِلَّ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرَ الْجَهْلُ، وَيَظْهَرَ الزِّنَا، وَتَكْثُرَ النِّسَاءُ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ،** حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ.

**صحيح البخاري**

أحيانًا الإنسان يجد معظمَ مَن يراهم في الطريق نساءً، أينما دخل، أينما تحرك معظم من يراهم من النساء.

وهناك حديث آخر عن أشراط الساعة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: **إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ، قَالَ؟ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ.**

**صحيح البخاري**

أيضاً مِن علامات قيام الساعة أن يكون المعروف منكراً والمنكر معروفًا، كيف بكم إذا أصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً؟ قالوا: أَوَ كائنٌ هذا يا رسول الله؟ قال: كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر ونهيتم عن المعروف؟ وهذا أيضاً من دلائل ومن أمارات ومن علامات ومن أشراط، انظر هذه مرادفات، الدلائل والأمارات والعلامات والأشراط كلها تؤدي إلى معنى واحد، الشيء الذي يأتي قبل شيء آخر.

## 3- عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً:

من علامات قيام الساعة كما روى الإمام مسلم في صحيحه، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا.**

**صحيح البخاري**

هذا الحديث فيه إعجاز علمي، لأنك إذا ذهبت إلى بلاد الغرب، وسألت أكابر علماء الجيولوجيا عن تاريخ الجزيرة العربية قبل آلاف السنين، لقالوا لك: كانت مروجاً وأنهاراً، الذي نعلمه من التاريخ القريب أن بادية الشام كان المرء يقطعها كلّها تحت ظلال الأشجار، وما نشوء تدمر في وسط البادية إلا دليل على أن هذه العاصمة لدولة عظيمة كانت وسط الجنان والبساتين، والكشوفات الأثرية في الربع الخالي من الجزيرة العربية تؤكد أن هناك مدناً ذات مجد وازدهار طوتها يد الزمن -إن صح التعبير-وغطتها الرمال، وما قامت هذه المدن إلا بسبب الخصوبة التي كانت منتشرة في الربع الخالي من الجزيرة العربية، كيف عرف هذا النبي الكريم؟ الآن الكشوف لها أسباب، المستحاثات، الحفريات، التنقيب على الآثار، بعض الصور من سفن الفضاء، هذا الذي يدل على أن هذه الأراضي القاحلة الصحراوية كانت مروجاً وأنهاراً، سمعت أن بعض العلماء الأجانب الملحدين حينما تأكدوا أن هذا القول قيل قبل ألف وخمسمئة عام أعلن إسلامه، يقول عليه الصلاة والسلام: **((لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا))** ثم إنّ بلاغة النبي عليه الصلاة والسلام منقطعة النظير **((حَتَّى تَعُودَ))** أيْ كانت، كلام فيه إيجاز،**((حَتَّى تَعُودَ))** أيْ كانت.

## 4 . مقاتلة اليهود:

ومن علامات قيام الساعة كما ورد في صحيح البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم:

**لا تَقُومُ السَّاعَة حتَّى تُقاتِلُوا اليَهُودَ**، حتَّى يَقُولَ الحَجَرُ وراءَهُ اليَهُودِيُّ: يا مُسْلِمُ، هذا يَهُودِيٌّ وَرائي فاقْتُلْهُ.

**صحيح البخاري.**

أيضاً هذه من علامات قيام الساعة.

على كل أنا لا أحبّ أن أُكثِر الحديث عن أشراط الساعة كما قلت قبل قليل لكثرة الأحاديث الموضوعة في هذا الموضوع، لكن هذه الآيات كلها قطعية الثبوت، وهذه الأحاديث كلها من صحيحي البخاري ومسلم، وهذان الكتابان أصحُ كتابين بعد كتاب الله عزّ وجل.

وفي درس قادم إن شاء الله نتحدث عن البرزخ، تحدثنا عن قيام الساعة، وكيف أن هذه الساعة ساعة نهاية الحياة الدنيا، وقد أشرت إلى أن أخطر منها ساعة انتهاء حياة الإنسان، هناك ساعة عامة وساعة خاصة.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 53-60: الإيمان باليوم الآخر 9 - عالم البرزخ ما بعد الموت المرحلة الثانية من مراحل اليوم الآخر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## عالم البرزخ هو المرحلة الثانية من مراحل اليوم الآخر وهي مرحلة ما بعد الموت:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثالث والخمسين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي في موضوع اليوم الآخر إلى المرحلة الثانية من مراحل ما بعد الموت ألا وهي البرزخ، تحدثنا عن الساعة وهي نهاية الحياة الدنيا، واليوم الآخر وهو بداية الحياة الآخرة، وبين نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة الآخرة مرحلة انتقالية سماها القرآن الكريم: البرزخ، قال تعالى في سورة المؤمنون:

**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (100)**

**سورة المؤمنون**

نهاية الحياة ويوم البعث بينهما البرزخ، ففي هذه الآية تصريح بأن ما بين الموت وبين البعث مرحلة زمنية اسمها البرزخ.

## أحوال البرزخ:

### 1 ـ نعيم مقيم أو عذاب أليم:

ماذا في البرزخ؟ في البرزخ نعيم مقيم أو عذاب أليم، أي إذا أصدر القاضي حكماً بالإعدام، ماذا بين إصدار الحكم وتنفيذ الحكم؟ هناك حالة من الشقاء النفسي، هذا الذي يصدر في حقه حكم بالإعدام إلى أن يُنفَّذ فيه الحكم يموت كل يوم ميتتين أو ثلاثًا، كلما وُضِع المفتاح في الباب يظن أنهم جاؤوا ليُنفِّذوا فيه حكم الإعدام، فهذه الفترة ما بين الموت وما بين البعث هي البرزخ إما نعيم أو عذاب أليم، ما الذي يؤكد أنها نعيم أو عذاب أليم؟ الآية التالية من سورة الجاثية وهي قوله تعالى:

**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ** سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (21)

**سورة الجاثية**

أي موت هذا ليس كموت هذا، ﴿**سَوَاءً مَحْيَاهُمْ**﴾ واضحة، حياة المؤمن غير حياة الكافر، في حياة المؤمن طمأنينة، في حياة المؤمن رضا، في حياة المؤمن استسلام، في حياة المؤمن توكّل، في حياة المؤمن تفويض، في حياة المؤمن تسليم، في حياة المؤمن سعادة، في حياة المؤمن شعور أن خالق الكون راض عنه، في حياة المؤمن تفاؤل، موعود بجنة عرضها السماوات والأرض، في حياة الكافر القلق، والقهر، والشعور بالحرمان، وخوف الفقر، أو خوف المرض، أو خوف المصيبة، فشتان بين حياة المؤمن وبين حياة الكافر، هذا لا شك فيه، هذا شيء نعرفه جميعاً ونعيشه، لكن الآية تشير إلى أنه بعد الموت هناك فرق كبير بين حياة المؤمن وبين حياة الكافر، والدليل: ﴿**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**﴾ فالتسوية بين الفريقين المذكورين في الممات مستحيلة، إذاً ممات المؤمن شيء فيه نعيم، وممات الكافر فيه جحيم.

## الأدلة الواردة من الكتاب والسنة على عذاب القبر ونعيمه:

آية أوضح من هذه الآية، يقول الله عزّ وجل في شأن آل فرعون في سورة غافر:

**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (46)**

سورة غافر

إذاً فرعون ومن معه منذ ستة آلاف عام وإلى يوم القيامة يُعرَضون على النار غدواً وعشياً، حتى الآن ستة آلاف عام اضربوها بثلاثمئة وخمسة وستين يوماً ثم اضربوا الناتج باثنين عدد مرات عرض فرعون ومن معه على النار: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آَلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ هذه الآية أصلٌ في عذاب القبر، لذلك ربنا عزّ وجل قال:

**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39)**

سورة المدثر

أصحاب اليمين أنفسهم طليقة، بينما أهل النار أنفسهم رهينة أعمالهم، أحاديث للنبي عليه الصلاة والسلام كثيرة وصحيحة تؤيد عذاب القبر أو نعيم القبر، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَمِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَيُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتَّى يَبْعَثَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.**

صحيح البخاري

الإنسان له مقعد بعد الموت، إما أن يكون هذا المقعد مقعد أهل الجنة، وإما أن يكون هذا المقعد مقعد أهل النّار، يجلس عليه إلى أن يبعثه الله يوم القيامة، وعن عبد لله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **مر بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ: إِنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا هَذَا فَكَانَ لا يَسْتَنْزِهُ مِنْ بَوْلِهِ وَأَمَّا هَذَا فَإِنَّهُ كَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ.**

صحيح البخاري

أي ما من شيء يُفتت العلاقات الاجتماعية، ويُفّرق بين الأهل، وبين الزوج وزوجته، والأخ وأخيه، والأب وابنه، والأم وابنتها مثل النميمة، وقد قيل: لعن الله من فرّق بين والدة وولدها، فأي تفريق بين متحابين،

بين زوجين، بين أخوين، بين شريكين، بين جارين، بين موظفين، بين زميلين، التفريق بينهما جرم كبير عند الله عزّ وجل، لذلك النميمة هي السلاح الفعّال لتفكيك المجتمع، لذلك قال عليه الصلاة و السلام: عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ.**

**أخرجهما البخاري ومسلم في الصحيح**

واسم النمام أيضاً هو القتّات، في المناسبة الله سبحانه وتعالى يقول:

**يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (1)**

**سورة الأنفال**

ذات البين هي النفس، وذات البين ما بينك وبين الآخرين من علاقة، لك علاقة مع أبيك، لك علاقة مع أمك، لك علاقة مع زوجتك، مع أولادك، مع إخوتك، مع جيرانك، مع زبائنك، مع من هم فوقك، مع من هم دونك، مع جيرانك، كل هذه العلاقات الثنائية يجب أن تُصلح، يجب أن تصلحها، أن تكون مبنية على المحبة والوداد والإنصاف والعدل والحكمة والتروي والحلم والصبر، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ وفي معنى آخر، ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾ أصلح أنت كل علاقة بين اثنين، لست أنت أحدهما، أصلح بين أخويك، أصلح بين جيرانك، أصلح بين أولادك، أصلح بين بناتك، فالآية دقيقة جداً: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**﴾.

فتلاحظون أن كل الذي ذكرته من تعريف البرزخ، ومن عذاب أهل الكفر في القبر، ومن نعيم أهل الجنة في القبر، هذا مؤكَّدٌ بآيات قرآنية وبأحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم.

## هل عذاب القبر ونعيمه جسماني وروحاني معاً أي على النفس والبدن؟

أما كيف يكون العذاب؟ ما طبيعة العذاب؟ هل هو عذاب مادي؟ هل هو عذاب نفسي؟ هذا لا نعرف عنه شيئاً، لأننا في هذه الموضوعات ليس لنا إلا أن نؤمن بالخبر الصادق الذي ذكره الله عزّ وجل، وما

سوى الخبر الصادق أي التحليلات، والزيادات، والإضافات هذا كله لا يُقدِّم ولا يؤخر، بل إن علماء العقيدة قالوا: أية زيادة في المُغيّبات عن الخبر النصّي هي زيادة ظنية، ليس لها مستوى اليقين.

لذلك كيف يكون العذاب؟ كيف يكون النعيم؟ هذه أمور غيّبها الله عنا، ولكن الشيء المُجدي أن يكون عملك صالحاً حتى تعرف معرفة يقينية بعد الموت كيف يكون النعيم، لكن أنا حتى أُقَرب لك الموضوع، أحياناً تؤوي إلى فراشك، وأنت في حالة عادية، ربما رأيت نفسك في الرؤيا في حالة سعيدة جداً، قد ترى رؤيا لا تحب أن تستيقظ من شدة السرور، تحسّ إن رأيت النبي عليه الصلاة والسلام فالسعادة التي تُحصّلها من هذه الرؤيا لا توصف، إن رأيت أصحاب رسول الله، إن رأيت من تحبهم مِن المؤمنين، إن رأيت نفسك قد وصلت إلى آمالك، إن الله عزّ وجل قادر على أن يسعدك سعادة ملموسة حقيقية لا توصف وأنت في فراشك، وبالمقابل الله سبحانه وتعالى قادر على أن يذوق الإنسان في أثناء النوم مِن ألوان العذاب، ومن ألوان الخوف، ومن ألوان الاضطهاد، ومن ألوان القلق ما لا سبيل إلى وصفه، يسمونها كوابيس، اللهُ عزّ وجل جعل النوم مثلاً لنا، كيف أنه يمكن أن يُعذَّب الإنسان عذاباً شديداً من دون أن يكون للجسد أثرٌ فيه، في النوم طبعاً، لكن عذاب الآخرة عذاب مادي قولاً واحداً وعذاب نفسي، عذاب مادي قال تعالى:

**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)**

**سورة المؤمنون**

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)**

**سورة النساء**

طبيعة العذاب في القبر، لم يرِد فيها نص قرآني يوضح طبيعة العذاب، العذاب موجود، والنعيم موجود، طبيعة العذاب وطبيعة النعيم تُترك إلى حينه.

## 2- بيان سؤال منكر ونكير مع الدليل:

الآن يوجد عندنا شيء سؤال القبر من قِبَل الملكين المنكر والنكير، وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن الإنسان المُكلّف إذا مات جاءه ملكان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما: المُنكَر، ويقال للآخر: النكير، فيسألانه الأسئلة التالية: من ربك؟ قد يقول أحدكم: الجواب سهل، أقول: الله ربي، ما دينك؟ الإسلام ديني، ماذا تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم أي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام؟ هو نبي الرحمة، هو نبي، ولكن الحقيقة هذه اللغة التي تستخدمها في الدنيا لا تستطيع أن تستخدمها في القبر، أنت في القبر لا تنطق إلا بلغة الحال، فمَن كان دينه الدرهم والدينار في الدنيا، إذا سُئل: ما دينك؟ يقول: الدرهم والدينار، والذي كان دينه في الدنيا الشهوات إذا سُئل؟ يقول: النساء، والذي كان دينه الإفساد بين الناس إذا سُئل؟ يقول: ديني الإفساد بين الناس، لذلك ليس هناك كذب في الآخرة، الكذب في الدنيا، أي طبيعة اليوم الآخر لا تحتمل تزييف الحقائق، ولا تغيير الحقائق، قال تعالى:

الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ **بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)**

**سورة يس**

إذاً من ربك؟ الله ربي، كأن الله عز وجل سرّب لنا، الأسئلة التي سوف نُسأل عنها في القبر، هذه الأسئلة عرفناها في الوقت المناسب، عرفنا السؤال في أول العام الدراسي، ما قولكم؟ هذه الأسئلة حضِّروا عنها إجابات دقيقة وصادقة.

لذلك أحد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام قبل أن تدركه الوفاة طلب قميص النبي عليه الصلاة والسلام ليُكفَّن به، فقالوا: لِمَ طلبت هذا القميص؟ قال: إذا قال لي الملكان: من ربك؟ أقول: الله ربي، ما دينك؟ الإسلام ديني، ما تقول في هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ أقول: هذا قميصه، انتهت، لكن بعض المنافقين الذين كانوا يجلسون إلى جنب النبي عليه الصلاة والسلام، وكانوا رأس الفتنة في المدينة، حينما جاءتهم المنية قال عليه الصلاة والسلام: الآن استقر في جهنم حجر كان يهوي فيه سبعين خريفاً، وقد طلبوا قميص النبي، وأعطاهم النبي قميصه، وقال: ما يغنيهم قميصي من عذاب الله، أي كن موضوعياً، تعلَّق بجوهر الدين، لو أنك ارتديت قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم تكن في المستوى المطلوب ما نفعك هذا القميص.

أما المؤمن فيجيب عليها بما آمن به في الدنيا مِن حق، فيُعرَض عليه مقعده من الجنة، بعد أن يُعرَض عليه مقعده من النار لو لم يكن قد مات مؤمناً، وذلك تطميناً لقلبه، وتنعيماً له، ويُفسح له مدّ نظره، أي القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران، وأما المنافق والكافر فيقول: هاء، هاء، لا أدري، فيُقال له: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد، يصيح منها صيحة يسمعها مَن يليه غير الثقلين، أي يسمع صيحته مَن يليه من الملائكة والموتى غير الإنس والجن، كما يُضيَّق عليه تعذيباً له، يختلط عليه القبر حتى تختلط أضلاعه معه، فعَنْ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ.**

**ابن حبان في صحيحه**

أي الإنسان بعد الموت يرى كل شيء، ويسمع كل شيء، أنا أعتقد أن روح الميت تُرفرف فوق النعش، ترى المشيعين واحداً واحداً، ترى مَن يبكي، ومن لا يبكي، ترى من يعلن عن حزنه، ومن لا يُعلن، ترى أن فلانًا وفلانًا كانا يتحادثان في الجنازة، سيدنا سعد رضي الله عنه قال: ثلاثة أنا فيهن رجل وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس، ما مشيت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول، معنى ذلك أن الجنازة تقول: يا أهلي! يا ولدي! لا تلعبنّ بكم الدنيا كما لعبت بي، جمعت المال مما حلّ وحَرُم، فأنفقته في حله، وفي غير حله، فالهناء لكم، والتبعة علي، قال أصحاب النبي عليه الصلاة السلام عقِب معركة بدر الكبرى، وقد توجّه إلى قتلى بدر يخاطبهم: يا عتبة بن شيبة، بأسمائهم، يا أمية بن خلف، يا فلان، يا فلان، يا فلان، هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فإني وجدت ما وعدني ربي حقاً؟ لقد كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وخذلتموني ونصرني الناس، دُهش أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام، قالوا: **يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ تُكَلِّمُ قَوْمًا جَيَّفُوا؟ فَقَالَ: مَا أَنْتُمْ بِأَفْهَمَ لِقَوْلِي مِنْهُمْ أَوْ لَهُمْ أَفْهَمُ لِقَوْلِي مِنْكُمْ.**

**أخرجهما البخاري ومسلم عن عائشة في الصحيح**

لستم أنتم وأنتم أحياء أشدّ استماعاً لي من هؤلاء الموتى، لذلك عن أنسٍ رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: **الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ فَيَقُولانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**

**فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ أَوِ الْمُنَافِقُ فَيَقُولُ: لا أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لا دَرَيْتَ وَلا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلا الثَّقَلَيْنِ.**

**ابن حبان في صحيحه**

وقد حدثتكم من قبل عن أن أول ليلة يُوضع الميت فيها في قبره هي أصعب ليلة، تصور إنسانًا يسكن في بيت، ينام على فراش وثير، عليه مِلاءة بيضاء ناصعة كالثلج، وقد تكون معطرة أحياناً، يجلس إلى طاولة ليتناول الطعام، على هذه الطاولة ما لذّ وطاب، حوله زوجته، أولاده، قد يأتيه ضيف يُعظّمه، ويُبجّله، قد يُدعى إلى سهرة، إلى ندوة، إلى نزهة، فما قولكم إذا سُحب هذا الرجل ليوضع في حفرة لا نور ولا دفء ولا اتساع فيها؟ لذلك الإنسان حينما يُوضع في قبره أول ليلة، يقول الله عزّ وجل: عبدي رجعوا وتركوك، وفي التراب دفنوك، ولو بقوا معك ما نفعوك، ولم يبق لك إلا أنا، وأنا الحي الذي لا يموت.

المفروض أنك صائر إلى الله عزّ وجل، فالمفروض أن تُحَسِّن علاقتك به منذ الآن، الناس الآن إذا كان علاقته مع إنسان مهم لا يعرفه سابقاً يضطر يعمل معه علاقة طيبة يُعَرّفه على نفسه، أي يعمل عملاً طيباً، يُقدم له عملاً يُلفت نظره، في الدنيا، أي دائرة صغيرة، راح مدير جاء مدير، تجد سبحان الله! لو يجهد الناس لإرضاء ربهم كما يجهدون لإرضاء بعضهم بعضاً لنجوا من عذاب الدنيا والآخرة، ولسعدوا في الدنيا والآخرة.

وجاء في حديث آخر أخرجه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأَحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ**، فَيَقُولانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟

**أخرجه الترمذي عن أبي هريرة في سننه : حسن**

هناك قصة رمزية أن إنسانًا غنيًا كبيراً وافته المنية، وخاف أولاده من هذه الليلة الأولى التي يُوضع فيها في القبر، فرأوا إنساناً فقيراً مُعدماً، عرضوا عليه أن ينام هذه الليلة مع أبيهم، ويعطونه مبلغاً كبيراً، وهذا فقير مدقع، محروم، بائس، رضي معهم، هي قصة رمزية، فجلس أو نام إلى جنب هذا الميت الغني، جاء الملَكان رأوا منظراً غريباً، وجدوا اثنين، بالعادة يُدفَن واحد في القبر، والآن يوجد اثنان، فارتعب هذا الرجل فحرّك

قدمه، فقال: عجيب حيّ أيضاً هذا، تعال نبدأ به، أجلساه، كان له حبل قد ربط ثوبه المهترئ بها، فسألاه: مِن أين لك هذا الحبل؟ فقال: وجدتها، أين وجدتها؟ قال: في بستان، كيف دخلت إلى هذا البستان؟ ماذا أكلت من هذا البستان؟ استأذنت من صاحب البستان؟ سؤال وراء سؤال ثم انهالوا عليه ضرباً، فلما جاء الصباح خرج من هذا القبر وهو لا يلوي على شي، ويقول: أعان الله أباكم.

فلذلك موضوع عذاب القبر شيء مخيف: **((إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ أَوْ قَالَ أَحَدُكُمْ أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لأحَدِهِمَا الْمُنْكَرُ وَالآخَرُ النَّكِيرُ))** وهو حديث طويل، وفي حديث آخر أخرجه البخاري ومسلم عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ أن النبي عليه الصلاة والسلام قال: **(يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ) قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ.**

**أخرجهما البخاري ومسلم**

يُقال من ربك؟ فيقول: الله ربي، ومحمد عليه الصلاة والسلام نبيي، والأحاديث في هذا الباب متعددة يُكمِّل بعضها بعضاً، على كل الأسئلة معروفة، الأسئلة قد سرِّبت إلينا، ما علينا إلا أن نُعِدّ العدة للإجابة عن هذه الأسئلة، والإجابة لا تكون باللسان بل بلسان الحال.

## 2- للنفخ في الصور حالتان:

### 1- النفخة الأولى:

ثالثاً: هنالك النفخة الأولى، والنفخة الثانية، كل هذه الحقائق، وكل هذه المعلومات مأخوذة من كتاب الله سبحانه وتعالى، لقد أخبرنا الله تعالى بأنه ستحدث نفختان في الصور، وعندها تكون ساعة إنهاء النظام القائم في الحياة الأولى، وقد جاء التعبير عن وقت هذا الإنهاء بالساعة، يوجد عندنا أول نفخة تنتهي بها الحياة الدنيا، ويُصعق كل مَن عليها، لو فرضنا فرضاً أتى يوم القيامة، والناس في بيوتهم، وفي الشوارع، وفي الطرقات، وفي محلاتهم التجارية، وفي النزهات، وفي المصايف، وبعضهم على البحر، وآخرون على الجبل، وأناس يعملون سهرات، كيف يموتون؟ يموت الناس كلهم دفعة واحدة بهذه النفخة الأولى، قال تعالى:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)**

**سورة الحج**

أي ما من عاطفة على وجه الأرض أشدّ وأبلغ من عاطفة الأم على ابنها، ولا تكون هذه العاطفة في أعلى درجاتها إلا في أثناء الإرضاع، لم يقل الله عزّ وجل: يوم تذهل كل مرضع، لو قال الله عز وجل: يوم تذهل كل مرضع، المرأة المرضع التي هي في طور الإرضاع، أي بعد أن تولد خلال سنتين ثدياها يدران الحليب، نقول: هذه امرأة مُرضع، لأن كل صفة خاصة بالنساء لا تؤنث، تقول: معلم ومعلمة، لماذا تؤنث معلم؟ لأن في الحياة معلماً ومعلمة، عامل وعاملة، حامل وحاملة، ما دامت الصفة يمكن أن يشترك بها الذكر والأنثى تؤنث عندئذٍ، أما إذا انفردت الأنثى بصفة ما فهذه الصفة لا تُؤنث، تقول: امرأة بكر، وامرأة ثيب، وامرأة طالق، وامرأة حامل، فكل صفة خاصة بالنساء لا تؤنث، تُذكَّر، أما الفرق بين امرأة حاملة وامرأة حامل فرق دقيق، الرجل يحمل مع المرأة، فإذا قلت: امرأة حاملة، أي على ظهرها، وإذا قلت: امرأة حامل، أيْ في بطنها، هذه التاء المربوطة، إذا قلت: امرأة حاملة، أي على ظهرها، إذا قلت، امرأة حامل أي في بطنها، ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ**﴾ هي في الأساس مرضع، بل لأن المرأة الآن تحمل هذا الغلام، وتضعه على صدرها، وهذا بإمكانه أن يفعله الرجل، إذاً: هذه مرضعة، أي الأم في أثناء إرضاع ابنها لشدة الخوف والهول تلقيه ولا تلقي له بالاً: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**﴾ هذه النفخة الأولى نفخة الصعق التي تُنهي الحياة على وجه الأرض.

## 2- النفخة الثانية:

أما النفخة الثانية وهي نفخة البعث إلى الحياة بعد الموت، وقد جاء التعبير عن الوقت الذي يحدث فيه البعث العام إلى الحياة بعد الموت بالساعة قال تعالى:

**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (55)**

**سورة الروم**

لدينا في هذه الجملة لون بلاغي اسمه: الجناس، الجناس: تشابه كلمتين في اللفظ، واختلافهما في المعنى، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ**﴾ يقيني بالله يقيني، هذا جناس، أي يقيني بالله أي إيماني بالله يحفظني، المرء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه، هذا جناس، ويدل على حدوث هاتين النفختين قوله تعالى في سورة النازعات:

**يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)**

**سورة النازعات**

نفختان، وعن ابن عباس قال: الراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية، وقوله تعالى في سورة الزمر:

**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)**

**سورة الزمر**

﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**﴾ هذه الأولى، واضحة كالشمس، نفختان، الأولى يصعق لها من في السماوات والأرض، والثانية: ﴿**فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ**﴾ وهذه النفخة جاءت تسميتها في القرآن بالناقور، قال تعالى:

**فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (8)**

**سورة المدثر**

وقد ورد أن الملك المُوكّل بنفخ الصور تنفيذاً لأمر الله هو إسرافيل عليه السلام، كما سبق ذلك في مبحث الإيمان بالملائكة، قال تعالى:

**وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ (87)**

**سورة النمل**

﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ استثناءهم من الموت بهذه النفخة لأن الله يتولى قبض أرواحهم بدون نفخة الصور كإسرافيل الموكل بنفخه، طبعاً: ﴿**إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ**﴾ الموكل بهذه النفخة يميته الله عزّ وجل مباشرة،

حتى ملك الموت يقول له: مُت يا ملك الموت، من دون نفخة، ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ وبالنفخة الثانية يبعث الله الناس إلى الحياة الثانية ليَتِم فيها نظام الجزاء الأكمل بالثواب أو بالعقاب.

## وضع الكون بعد البعث:

أما وضع الكون بعد البعث فقد جاء وصفه في قوله تعالى في سورة إبراهيم:

**يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (48)**

**سورة إبراهيم**

البطولة أن تكون في هذا الموقف مع الفائزين، أو مع الناجين، أو مع الناجحين.

وفي درس قادم إن شاء الله تعالى نتابع الحديث عن البعث واليوم الآخر، نتحدث عن الدنيا والآخرة، وعن أن البعث ممكن عقلاً، وعن أن البعث حقيقة لا شك فيها، وعن الحياة في اليوم الآخر، حياة مرافقة للتجسد المادي، إلى ما هنالك من بحوث في الإيمان باليوم الآخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 54-63: الإيمان باليوم الآخر 10- من مراحل اليوم الآخر البعث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## تتمة مراحل اليوم الآخر:

### 1 . البعث:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الرابع والخمسين من دروس العقيدة.

وصلنا في الدرس الماضي في موضوع الإيمان باليوم الآخر إلى حقائق عن يوم البعث واليوم الآخر، يبدأ اليوم الآخر بالبعث الذي تعود فيه الحياة المادية للمخلوقات الحية التي قرر الله عودة الحياة إليها، استكمالاً لأنظمة الله في الخلق، وليُقيم الله في هذه الحياة الثانية عدله، هذه فكرة مهمة جداً، وليُقيم الله في هذه الحياة الثانية عدله، ويتمم فضله، ويحقق الثمرة الفضلى للابتلاء الذي جُعِل ميدانه في الحياة الأولى الفانية.

فنحن في الحياة الفانية حياة الابتلاء، وفي الحياة الثانية حياة الجزاء، وحياة إقامة العدل، وحياة تتميم الفضل، وفي المعتقدات الإسلامية حقائق كثيرة عن البعث وأحوال اليوم الآخر جاءت في الكتاب المجيد، والسنة المطهّرة.

أي الذي أريده ثانية أن أوضحه أنّ الأمور المتعلقة باليوم الآخر أمور نعرفها من خلال الخبر الصادق، وليس هناك مصدر آخر، لذلك لا نستطيع أن نزيد على النصوص القطعية الثبوت، القطعية الدلالة، هذه النصوص التي وردت في كتاب الله وحدها وفي الأحاديث الصحيحة المتواترة وغير المتواترة، من خلال هذه النصوص نستشف أحوال اليوم الآخر.

## قضى الله بعلمه المسبق خلق الدنيا والآخرة لحكمة أرادها:

أولاً: الدنيا والآخرة، لقد تمت إرادة الله المرافقة لعلمه وحكمته، أُلح على هذا، إرادة الله إرادة وفق علمه، ووفق حكمته، لا تستطيع ولا في لحظة واحدة أن تنفي عن إرادة الله العلم الذي لا حدود له، والحكمة التي لا حدود لها، فقد تمت إرادة الله عزّ وجل المرافقة لعلمه وحكمته أن يخلُق عالمين، عالماً فانياً وهو عالم الدار الدنيا التي نحن فيه الآن، وهو دار الامتحان، وعالماً آخر خالداً هو عالم الدار الآخرة، وهي دار الجزاء.

وكما تمت إرادته تعالى بأن يضع فضله ورحمته وعدله في مواضعها، فمن أحسن فآمن بالله، وأطاعه، واستقام على شريعته في الدنيا دار الامتحان فقد أعدّ الله له في الدار الآخرة دار الجزاء السعادة الأبدية الخالدة، والنعيم الباذخ المقيم مكافأة منه وفضلاً، ومن أجرم فكفر بالله، وعصى في دار الامتحان، فقد أعتدَ الله له في الدار الآخرة العقوبة والانتقام جزاء منه وعدلاً، والدليل قال تعالى:

**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآَخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآَخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ (20)**

**سورة الشورى**

إذاً تمت إرادة الله أن يكون هناك عالمان، عالم دنيوي فيه امتحان، وعالم أخروي فيه الجزاء والفضل، ففي الدنيا من عرف الله وأطاعه واستقام على أمره وعمل صالحاً استحق النعيم المُقيم، ومن أجرم فكفر وعصى وأساء استحق العذاب الأليم.

## البعث من الأمور الممكنة عقلاً الذي يستحيل إنكاره:

الآن البعث ممكن عقلاً، وحيث كان البعث إعادة بناء الأجساد بعد فنائها، وإعادة الحياة لها بعد سلبها منها، فإن كل عقل سليم يدرك بداهة أن البدء والإعادة أمران متساويان، فمن يبدأ الخلق ثم يُفنيه قادر على إعادته وبعثه لا محالة، والدليل قال تعالى في سورة الروم:

**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)**

**سورة الروم**

يبدأ الخلق في الدنيا، ثم يعيده في الآخرة، ﴿**وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**﴾ أي كلما فكرت في عظمة الله عزّ وجل رأيت أن إعادة الخلق هينة عليه جل وعلا، ﴿**وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

قدرة الله جلّ وعلا لا تقف دونها حدود في مجال الأمور الممكنة عقلاً التي لا استحالة فيها، هذه القدرة قادرة على أن تحيي الموتى حياة مادية جسدية وروحية، لتسوقهم إلى العالم الآخر عالم الجزاء وإقامة العدل الإلهي، أَو ليس مَن خلق السماوات والأرض دون أن يجهد بخلقهن بقادر على إحياء الموتى وإعادة الحياة مرة ثانية؟! إنه قادر على كل شيء، إنما أمرُه إذا أراد أن يخلق شيئاً مهما كان دقيقاً أو عظيماً أن يقول له كن فيكون، قوله تعالى:

**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33)**

**سورة الأحقاف**

إذًا البعث ممكن عقلاً.

## البعث أمر واقع في وقته المحدد في علم الغيب:

البعث حقيقة لا شك فيها، لقد أخبرنا الله تعالى بأن البعث للدار الآخرة في يوم الجزاء حقيقة مقررة في قضاء الله وقدره، ستوضع موضع التنفيذ إذا جاء أجلها المحدد في علم الله، فالبعث أمرٌ واقع لا محالة، ستعود فيه الحياة إلى الأجساد التي رمّت وبليت، وليس ذلك على الله ببعيد ولا مستغرب على قدرته الذي خلق السماوات والأرض، وخلْقُهن أكبر من خلق الناس، أَوَ ليس الذي ابتدع خلْقَ الإنسان على غير مثال سابق بقادر على إعادة كل فردٍ من أفراد نوعه بعد موته وفناء جسده؟ بلى إنه لقادر، قال تعالى:

**وَأَنَّ السَّاعَةَ آَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ (7)**

**سورة الحج**

## وهمٌ يستطرق بعض الأذهان:

هناك وَهْم يقع فيه بعض المتعلمين، هذا الوهم هو أن الحياة الآخرة حياة روحية فقط، حياة روحية وليس فيها حياة مادية، لكن القرآن الكريم، والنص فيه قاطع الثبوت، قاطع الدلالة، يؤكد أن الحياة في اليوم الآخر حياة مادية روحية في وقت معاً، فلما كان مصدر إيماننا بالحياة الثانية بعد الموت النصوص الدينية القاطعة وجب علينا أن نتقيد بدلائل هذه النصوص في نوع هذه الحياة الثانية.

أي الإنسان ليس له حقّ يتصور ويحلل ويفكر في بُعْد عن النصوص، النصوص القرآنية لا تدعُ مجالاً للشك في أن الحياة الآخرة حياة مادية روحية معاً، فقد جاءت النصوص الكثيرة الصريحة القطعية في القرآن والسنة دالة على أن الحياة الثانية حياة روحية وجسدية معاً بحيث لا تدع شُبهة لمرتاب، فمِن المقرر في أصول العقيدة الإسلامية أنّ علمَ الله بما سيكون في مخلوقاته لا يكون إلا وفق مراده، ومراده تعالى مساير لحكمته العظيمة، ومن المقرر أيضاً في أصول العقيدة الإسلامية أن إخبار الله في نصوص دينية قاطعة التي بلغها أنبياءه ورسله لا تكون إلا وفق علمه، وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن الحياة الثانية حياة مادية مشابهة للحياة الأولى، فأيّ مبرر للفِرار من مدلولات أخبار الله القاطعة التي بلّغها إلينا أنبياؤه ورسله السابقون.

## الأدلة الواردة من الكتاب حول بحث البعث روحاً وجسداً:

إنما بقليل من التأمل لا نجد من المبررات شيئاً إلا مجرد التعنت على الله فيما أخبرنا به، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (23)**

**سورة الحج**

**يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (71)**

**سورة الزخرف**

آيات كثيرة لو رجعنا إليها، لو رجعنا إلى مشاهد يوم القيامة في القرآن الكريم، إلى ألوان النعيم في الجنة، إلى ألوان العذاب في النار، وجدنا أن هناك عذاباً مادياً محضاً، قال تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)**

**سورة النساء**

**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104) أَلَمْ تَكُنْ آَيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ (105) قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (106)**

**سورة المؤمنون**

أي نصوص قرآنية صريحة واضحة كثيرة قطعية الدلالة تؤكد أن الحياة في الدار الآخرة حياة مادية وروحية في وقت واحد، فمَن يُنكر الجانب المادي منها فقد كفر بآيات الله القاطعة.

## ينبغي على من يريد الرد على حقائق الغيب أن يكون قائده العلم والدليل لا الهوى:

من وقع في توهمه أنه يريد أن يُنزّه الله تعالى عن أن يجعل حياتنا الثانية الأبدية غير مصاحبة لجسد مادي فبماذا يجيب عن نظام الخلق الأول وهو نظام مادي نعيش في شروطه وظروفه؟ لذلك يجب علينا شرعاً أن نعتقد بهذه الحقيقة من حقائق الحياة الثانية اتباعاً لنصوص الشريعة القاطعة المنتشرة في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

أي كلما قرأت آية أو آيات عن نعيم أهل الجنة فينبغي أن تعتقد أن هناك نعيماً مادياً ونعيماً روحياً في وقت واحد، فإذا أنكرت أحدهما فقد أنكرت كتاب الله عزّ وجل، وحيثما قرأت في القرآن الكريم عن ألوان العذاب الذي يذوقه أهل النار فيجب أن تعتقد اعتقاداً جازماً أن العذاب في جهنم عذاب مادي بالدرجة الأولى وعذاب نفسي، فإذا أنكرت أحدهما فقد أنكرت بعض آيات القرآن الكريم.

هذه النقطة أردت أن أثيرها، وأن أُلح عليها ليُنتزع من أذهان بعض الناس أن الحياة الآخرة حياة روحية محضة، وأن العذاب عذاب نفسي، بل إن العذاب عذاب مادي ونفسي، والنعيم نعيم مادي ونفسي، والآيات التي توضح وتؤكد ذلك لا تُعدّ ولا تحصى كثيرة جداً.

## 2 . الحشر:

من الحقائق الثابتة عن اليوم الآخر موضوع الحشر، فالحشر هو الجمع، وبعد البعث إلى الحياة الأخرى يوم القيامة يَتِم حشر الخلائق لموقف الحساب، وقد تظاهرت الآيات القرآنية تثبت حقيقة الحشر، وتعرض طائفة من الصور التي ستكون في ذلك اليوم الرهيب، وذلك لتقريب حقيقة ما سيجري فيه إلى الأذهان.

### صفة أرض المحشر وأهله:

من ذلك تشقق الأرض عن الخلائق يوم القيامة لبعثهم عَقِب النفخة الثانية التي مرت بنا في الدرس الماضي، فيخرجون منها سِراعاً إلى موقف الحشر، قال تعالى:

**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ (44)**

**سورة ق**

من ذلك تسوية أرض المحشر فتكون كلها بارزة، لا جبال فيها، ولا وديان، قال تعالى:

**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (47)**

**سورة الكهف**

أي الأرض صفحة مستوية، لا جبل ولا واد ولا تل، ولا شيء من هذا القبيل، ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾ وقد جاء من كلام النبي عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري ومسلم جاء توضيحاً لما جاء في كتاب الله، وردت صورة في حديث النبي عليه الصلاة والسلام، فعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ** قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ **لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ.**

**متفق عليه**

قرصة النقي أي كرغيف الخبز الأبيض المنخول، **((يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ))**، **((لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لأَحَدٍ))** أي ليس فيها علامة لأحد، أرض منبسطة.

من ذلك أن الحشر يعمّ الإنس، والجن، والملائكة، وكل دواب الأرض، وطيورها، أما حشر الجن والإنس فلأنهم مكلفون، وأما حشر الملائكة فليقوموا بوظائفهم وفق سنة الله في خلقه، وأما دواب الأرض وطيورها فقد جاء في إثبات حشرها قوله تعالى:

**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (38)**

**سورة الأنعام**

الدواب في الأرض، والطيور في السماء، وقد جاء في كلام النبي عليه الصلاة والسلام ما يدل على الفائدة من حشرها، فمن ذلك القصاص مِن البهائم الظالمة في الدنيا للمظلومة منها، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: **لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنَ الْقَرْنَاءِ تَنْطَحُهَا.**

**صحيح مسلم**

لو أن شاة قرناء نطحت شاة جلحاء بلا قرون لاقتُصّ من القرناء يوم القيامة، فإذا كان الحساب على هذا المستوى فويل للإنسان الذي يعتدي على حقوق الآخرين، وفي بعض الأحاديث أن الطير الذي اصطاده الصياد للتسلية لا ليأكله يأتي يوم القيامة وله دوي كدوي النحل، يقول: يا ربي سله فيمَ قتلني؟ قد يذهب بك الظن أن الصيد مباح على إطلاقه، لا يا أخي، مباح إذا كنت مسافراً، وانتهى زادك، وخشيت على نفسك الهلاك، لك أن تصطاد، وأن تأكل، فأنت مُكرمٌ على الله عزّ وجل، والصيد مباح، أما أن يُتّخذ الصيد هواية لقتل البهائم، قتل الطيور بلا سبب، مجرد الهواية، هذا في حكم الشرع محرمٌ قطعاً، يا ربي سله لمَ قتلني؟ إذا قتلت طائراً اصطدته لمأكلة هذا مباح، أنت مُكرم على الله وهو قد قدم لك جسده طعاماً، هو خُلِق مسخراً لك، أما أن تُسَخِّر له أدوات الصيد للتسلية والهواية فهذا شيء أقرّ العلماء جميعاً أنه محرم، في بحث الصيد

هناك الصيد المحرم والمباح والواجب والمكروه، ومن ذلك تأديتها وظيفة الشهادة على الناس بحسب مشاهدتها في الدنيا، وتسخيرها لتعذيب العُصاة الذين عصوا الله بها في الدينا حينما كانت مذللة لهم، مسخرة لمصالحهم وحاجاتهم، أي هذه الدواب التي خلقها الله لنا لها وظيفة ثانية في الحشر أولاً يُقتصّ منها، وثانياً تؤدي الشهادة، من ركب دابة لمعصية تشهد عليه يوم القيامة، قال تعالى:

**وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)**

سورة فصلت

الإنسان جلده يشهد عليه، يده تشهد عليه، أعضاؤه تشهد عليه، جوارحه تشهد عليه، البهائم التي عصى الله فيها تشهد عليه، ومن ذلك أن المجرمين يُحشرون يوم القيامة مُكبّين على وجوههم عمياً وبكماً وصماً، قال تعالى:

**وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (97)**

سورة الإسراء

هذا كله في المحشر، لا زلنا في موضوع الحشر.

من ذلك ما يصيب أهل الموقف من فَزَع عام، يصدر فيه الناس أشتاتاً، قال تعالى:

**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**

سورة الزلزلة

ومن ذلك ما يصيب الناسَ يوم الحشر من شدة تتفاوت بتفاوت أحوالهم في الدنيا، إلى غير ذلك من صور فيها إكرام للمؤمنين المتقين، وفيها إهانة للمجرمين الظالمين.

ومن ذلك أن الناس يوم القيامة يُحشرون حفاة عراة غُرلاً، والغُرل جمع أغرل، والأغرل الذي لم يُختن، وفي بعض الأحاديث أَنَّ السيدة عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرلا، قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: الأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ.**

**متفق عليه**

الأمر أفظع من أن يعنيهم ذلك.

## صفة هول المحشر:

في بعض الأحاديث التي كنت أرويها في مناسبات أخرى أن السيدة عائشة رضي الله عنها سألت النبي عليه الصلاة والسلام: أيعرف بعضنا بعضاً يوم القيامة؟ لو أن إنساناً له جار، له زميل، له قريب، له ابن، له أب، له أخ، له زميل في العمل، هل إذا رآه يوم الحشر يعرفه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

**عن عائشة رضي الله عنها، قالت: ذكرت النار فبكيت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ما لك يا عائشة؟ قالت: ذكرت النار فبكيت** فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أما في ثلاث مواطن فلا يذكر أحد أحداً، **حتى يعلم** أيخف ميزانه أم يثقل، وعند الكتب **حتى يقال: هاؤم اقرؤوا كتابيه، حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أو من وراء ظهره**، وعند الصراط **إذا وضع بين ظهري جهنم حافتاه كلاليب كثيرة وحسك كثير يحبس الله بها من شاء من خلقه حتى يعلم أينجو أم لا.**

حديث صحيح إسناده على شرط الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة

عند فتح الصحف، وعند نصب الميزان، وعند السير على الصراط، في مثل هذه المواقف الثلاث لا يعرف أحد أحداً إطلاقاً، وفي غير هذه المواقف قد تقع عين الأم على ابنها -أقرب مِن هذا لا يوجد-تقول: يا ولدي جعلت لك صدري سقاء، وحجري وطاء، وبطني وعاءً، فهل من حسنة يعود عليّ خيرها اليوم؟ أي أتعطيني بعض حسناتك يا ولدي؟ كنت أمك في الدنيا، جعلت لك صدري سقاء، وحجري وطاء، وبطني وعاءً-

أي فراش–فهل من حسنة يعود عليّ خيرها اليوم؟ فيقول الابن لأمه: ليتني أستطيع ذلك يا أماه، إنما أشكو مما أنت منه تشكين، هذا من أهوال يوم الحشر.

## الأدلة الواردة من السنة على يوم الحشر:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللّهم عَنْهمَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللَّهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلا، ثُمَّ قرأ: (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) وأَوَّلَ من يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أناساً من أصحابي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: أصحابي أصحابي، فَيُقَول: إِنَّهم لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: (وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ...** إلى قوله الحكيم).

**صحيح البخاري**

أنا كما ترون أُحب أن نبقى في القرآن، وكل حقيقة تُليت في القرآن، وفي أحاديث النبي العدنان عليه الصلاة والسلام ما كان منها صحيحاً، ما كان منها متواتراً، ما جاءت بها كتب الصحاح، إذا بقينا في القرآن وهذه الأحاديث الصحاح كان الذي نقوله حقاً وصدقاً، فكل حقيقة وردت يجب أن تدعمها آية أو حديث صحيح، وهذا الموضوع كله موضوع إخباري، لا مجال للتفكر، ولا للتحليل، ولا للزيادة، ولا للتعديل إطلاقاً، إنها حقائق وردت من خلال الآيات القرآنية، والأحاديث الصحيحة.

## 3 . العرض والسؤال والحساب:

ثم بقي العرض والسؤال، والحساب والميزان، وكتب الأعمال، وشهادة الجوارح، هذه أيضاً من لوازم يوم القيامة، ولا يتم تنجيز المرحلة الأخيرة من العقاب أو الثواب قبل اجتياز مرحلة الحساب، وذلك للفصل بين الخلائق، ولإقامة الحُكم بالعدل، ولتقرير مرتبة الإكرام والفضل تمهيداً لمقتضى الجزاء المقرر بموجب قانون الجزاء الرباني، قال تعالى في سورة الغاشية:

**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**

**سورة الغاشية**

هناك حساب، ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾ ويسبق الحساب عرض فسؤال، قال تعالى مبيناً مرحلة العرض في سورة الكهف:

**وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (48)**

**سورة الكهف**

الخلائق كلها عُرِضت على الله عزّ وجل، وقد لبست ثوب عملها، كل إنسان يرتدي يوم القيامة ثوب عمله، وقال تعالى مبيناً السؤال في سورة الحجر:

**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)**

**سورة الحِجر**

لمَ فعلت كذا؟ لمَ أكلت مال فلان؟ لِمَ احتلت على فلان؟ لِمَ كنت عاقاً لوالديك؟ لِمَ ظلمت زوجتك؟ لِمَ غششت الناس؟ لِمَ قهرتهم؟ العرض، ثم السؤال، ثم الحساب.

## 4- الميزان:

لإقامة العدل في الحُكم عند الحساب يوم القيامة ميزانُ حقّ لا يظلم مثقال ذرة، قال تعالى في بيان هذا الميزان في سورة الأنبياء:

**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)**

**سورة الأنبياء**

الذين يعرفون الخردل يعرفون معنى هذه الآية، ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ لو أنك نظرت نظرةً خلاف ما أمر الله عزّ وجل، هذه النظرة مُسجلة، سوف تُحاسب عليها، لو أن طبيباً يعالج امرأة، ونظر إلى عضو لا تشكو منهَ:

**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)**

**سورة غافر**

العين تخون أحياناً هذا مُسجل، لو أنك قسمت شيئاً بينك وبين أخيك، وأخذت أكثر مما أخذ شيئاً طفيفاً لسُجِّل عليك يوم القيامة، هذه الآية تكفي، والله هذه الآية تقصم الظهور، والذي لا يخاف الله عزّ وجل أحمق وغبي، **﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾** هذه في سورة الأنبياء، الآية السابعة والأربعون.

## وسائل الإثبات لإدانة المكلف في يوم المحشر:

### 1- شهادة كتب الأعمال مع الموكلين في تسجيلها وهم الملائكة:

الآن العرض ثم السؤال ثم نصب الميزان، الآن الأدلة، الإثبات، أما وسائل الإثبات لإدانة المكلف فهي شهادة كتب الأعمال، الإضبارة، هاتوا إضبارة فلان، كل حركاته، كل سكناته، كل أمواله، بيعه، شراؤه، علاقاته الخاصة والعامة، زواجه، طلاقه، تربيته لأولاده، علاقته بجيرانه، اغتصابه لأموال الآخرين، تطاوله عليهم، أكله لحقوقهم، كل أعمال الإنسان، في آيات أخرى هذا كتاب الأعمال تحدثنا عنه يوم الجمعة، قال تعالى:

**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)**

سورة الكهف

تصور رجلاً عاش سبعاً وستين سنة، كل يوم حوالي عشرين ثلاثين صفحة، دخل إلى البيت تصرف تصرفاً قاسيًا مع زوجته بلا سبب، مسجلة عليه، أكل طعاماً ونسي الطرف الآخر، مسجلة عليه، طُرق الباب، طُلب منه مساعدة، قال لهم: لا يوجد عندي، رفض أن يساعد، مسجلة عليه، جاءت امرأة إلى البيت فنظر إليها، سُجلت، أي كل حركة وكل سكينة مُسجلة، قال له: إذا كان كل يوم يوجد خمسون أو ستون صفحة على سبع وستين سنة هذه صارت مجلدات.

أطلعني أخ منذ يومين قال لي: انظر إلى هذه الصورة صورة سيارته، قال لي: خالفوني وأنا أمشي بسرعة زيادة، الصورة بالألوان مع التاريخ مع السرعة، بين الزاوية السوداء، الإنسان المخالفة مع صورة، أليست

هذه سيارتك؟ جهاز الكتروني سجّل السرعة، يمشي تسعين على هذا الشارع، هذه صورتك السيارة والرقم الخاص بها، فهناك آيات أخرى تؤكد أن كتاب الأعمال مرقوم، معنى مرقوم لها معنيان، المعنى الأول: صفحاته مُرَقّمة ومختومة، رجاءً هذه الصفحة انزعها لي، هذه في الدنيا تقع، تنزع صفحة، تضيف صفحة، لا نستطيع أن ننزع صفحة، كله مختوم، كل صفحة مختومة، ثم إن هذا الدفتر مئة وسبعون صفحة، توقيع: الموظف، هل تستطيع أن تنزع صفحة؟ مع الإنسان مع موظف المالية تستطيع أن تنزع صفحة من دفترك المختوم؟ هذا معنى كتاب مَرْقوم، فأول معنى أنه مَرقوم أي له أرقام ثابتة.

المعنى الثاني: من الرَّقْم وهو الوشم، أي كل مخالفة مع صورتها، كل عمل وصورته، صورة ملونة أيضاً، ألم تفعل هذا العمل؟ هذه إدانة، فأكبر دليل يوم القيامة شهادة كُتُب الأعمال التي سُجّلت فيها أعماله وأقواله في الحياة الدنيا، قال عز وجل:

**اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (14)**

**سورة الإسراء**

**﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾** أنت بالدنيا إذا طلبك رئيسك بالعمل، واتصل بالذاتية أعطونا الإضبارة، آخذ إجازة ومدّع أنك متمارض، وهناك كتاب توبيخ، وهناك نقص في المستودع، أطلعك عليهم واحدًا واحدًا، إذا قرأها على مسامعك فقط بماذا تحسّ؟ في الدنيا، ثم تأتي شهادة الملائكة الكرام الكاتبين الذين قاموا بوظيفة تسجيلها في الدنيا، الكتاب مع الذي سجله، هذه ليست واضحة، اقرأ له هذه، جاء الكاتب، صار الكتاب مع الكاتب، الملائكة، شهادة كتب الأعمال التي سُجلت فيها أعماله وأقواله في الحياة الدنيا وشهادة الملائكة الكرام الكاتبين الذين قاموا بوظيفة تسجيلها في الدنيا.

## 2- تسليم المكلفين كتبهم:

يُسلَّم المكلفون كتب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم إذا كانوا من أهل اليمين:

**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19) إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24)**

سورة الحاقة

إذاً يُسَلّم المكلفون كُتُب أعمالهم يوم القيامة بأيمانهم إذا كانوا من أهل اليمين في الحياة الدنيا، وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، أو بشمائلهم، ومن وراء ظهورهم إذا كانوا من أهل الشمال في الحياة الدنيا، وهم الذين كفروا وعملوا السيئات، قال تعالى:

**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (7) فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا (8) وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا (9) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (10) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (11) وَيَصْلَى سَعِيرًا (12)**

سورة الانشقاق

يوجد آيتان، الكافر:

**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (13)**

سورة الانشقاق

كان في غفلة، بيته فخم، وسيارته، وأموال، وطعام، وعزائم، وسهرات حمراء وخضراء، واعتداء على الأعراض، ظنّ نفسه لا أحد يحاسبه، لا أحد في مستواه، ﴿**إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا**﴾ أما المؤمن: ﴿**وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً**﴾ مثل الطالب جاء إلى البيت، ومعه جلاؤه، وقد نال الدرجة الأولى، يأتي فَرِحاً، بين أن ينقلب إلى أهله مسروراً وبين أنه كان في أهله مسروراً فرق كبير جداً.

وكتاب عمل الإنسان الذي يتسلمه يوم القيامة: ﴿**لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا**﴾ قلنا عن ذلك.

## الأدلة إذا اعترف أو أنكر الإنسان أعماله:

### 1- شهادة الإقرار بالنفس:

إذاً أولاً شهادة كتب الأعمال، والملائكة الذين سجلوا هذه الأعمال، هذه الكتب تُسلَّم إلى أصحابها، أهل الإيمان باليمين، قال تعالى:

**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (28) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (29) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33)**

**سورة الحاقة**

الآن الأدلة؛ شهادة الإنسان على نفسه بإقراره واعترافه بجرمه، والاعتراف في القضاء سيد الأدلة، إذا إنسان يجب أن نُقيم عليه حد الزنا، الرجم، لابد من أربعة شهود رأوه رأي العين، فإذا جاء الزاني المحصن وأقرّ على نفسه، ليس هناك حاجة للشهود، انتهى، لأن الاعتراف سيد الأدلة، والصلح سيد الأحكام.

### 2- شهادة الأعضاء:

الدليل الثاني؛ شهادة الإنسان على نفسه بإقراره واعترافه بجرمه، فإن كذب لسانه خُتِم على فمه، لو فرضنا يريد أن يكذب يُختم على فمه، قال تعالى:

**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)**

**سورة يس**

لو حاول الإنسان يوم القيامة أن يكذب يُختم على فمه، وتنطق أعضاؤه بجرمه، أما في الدنيا قد يكذب المتهم، فتنطق بإذن الله وقدرته شاهدة عليه، قال تعالى:

**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (24)**

**سورة النور**

وقال تعالى: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: **كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضَحِكَ فَقَالَ هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟ قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى، قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلا شَاهِدًا مِنِّي، قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا، قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلامِ، قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ.**

**صحيح مسلم**

أي أعضاؤه، جوارحه، جلده، يداه، رجلاه، لسانه، عينه، أذنه، كلها تشهد عليه.

صار عندنا العرض، والسؤال، والحساب، والميزان، وكُتب الأعمال، وشهادة الملائكة والجوارح، وفي درس قادم إن شاء الله نصل إلى الصراط، ثم إلى الجنة والنار –طبعاً في الموضوعات– وأوصاف أهل الجنة والشفاعة، وثبوت الشفاعة يوم القيامة، وما إلى ذلك من موضوعات.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 55-63: الإيمان باليوم الآخر 11- الصراط والجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### تتمة مراحل الإيمان باليوم الآخر:

### 1- الصراط والحكمة منه:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الخامس والخمسين من دروس العقيدة.

تحدثنا في الدرس الماضي عن العرض والسؤال، والحساب والميزان، وكتب الأعمال، وشهادة الجوارح، واليوم إلى الصراط المستقيم.

بعد موقف الحساب مرور على الصراط، وهو طريق على متن جهنم، يسلكه الناس، فالمؤمنون أهل الجنة يجتازونه إلى جنة الخلد بسرعات تتفاوت على مقدار تفاوت الإيمان والأعمال الصالحة، وأهل النار تجذبهم كلاليب جهنم فيسقطون فيها.

هذه الفكرة مبسطة لكن الحكمة أن أهل الجنة مما يزيد سعادتهم في الجنة أن يروا العذاب الأليم الذي كانوا سيقعون فيه، لو لم يسلكوا سبيل الحق في الدنيا، لو أن إنساناً في الدنيا دُعي إلى معصية فأبى، ثم رأى مصير الذي لبى هذه المعصية، يزيد سعادتَه أن يرى مغبة الأعمال السيئة، أي حكمة الصراط المستقيم أن أهل الجنة يعرفون مقدار عذاب أهل النار فيما لو لم يسلكوا سبيل الجنة في الدنيا، مما يزيد سعادة الإنسان في الآخرة أن يعرف أن الذين تنكبوا الصراط المستقيم في الدنيا سوف يُعذبون عذاباً أليماً، لذلك حينما تقرأ في الفاتحة قوله تعالى:

**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)**

**سورة الفاتحة**

دائماً يجب أن تلحظ وأنت في الدنيا في كل حركة، في كل سكنة، في كل تصرف، في كل سلوك، في كل نشاط، أن تلحظ الصراط المستقيم الذي نهجه الله لنا:

**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ** ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153)

**سورة الأنعام**

إنسان ضاقت به الدنيا ما الصراط المستقيم؟ أن يصبر، وأن يتجمّل، إنسان جاءه المال ما الصراط المستقيم؟ أن ينفقه على كل محتاج ومسكين، وأن يشكر الله رب العالمين، ففي كل موقف هناك طريق سنّه النبي عليه الصلاة والسلام، المؤمن يسير على خط مستقيم، يسير على منهج حكيم، يسير على سنة نبوية، النبي عليه الصلاة والسلام كان فيها قدوة، فالصراط إذاً حكمة المرور فوق جهنم أن يرى المؤمن مقدار العذاب الذي يتحمله العصاة في الدنيا، عندئذ يزيد شعور المؤمن بالفوز.

## 2- الجزاء:

أما الجنة والنار، أما المرحلة الأخيرة التي يتم فيها الثواب الأكبر والعقاب الأكبر فقد جعل الله لها دارين: داراً للنعيم، اسمها الجنة، وداراً للعذاب، اسمها النار، وقد أخبرنا الله جلّ وعلا بأن الجنة في الآخرة هي مأوى المؤمنين والمسلمين، وأنها مراتب ودرجات:

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا **وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (132)**

**سورة الأنعام**

في الجنة درجات بعدد المؤمنين، كل منا له درجة.

**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (54) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ (55)**

**سورة القمر**

وأنها مراتب ودرجات تتناسب مع مستوى الإيمان، والمعرفة، والخشية، والعمل الصالح، الذي قدمه مستحقها في الحياة الدنيا، كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى بأن النار في الآخرة هي مأوى الكافرين والمستكبرين عن طاعته وعبادته، وأنها منازل ودركات، لا تقولوا: درجات، الدرجات في الجنة، والدركات في النار، وأنها دركات تتناسب مع مستوى الإجرام والمعصية، والله سبحانه وتعالى يخبرنا أيضاً بأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وقد أشار القرآن الكريم، وأخبر الرسول الكريم بأن المؤمنين العصاة إن لم يشملهم عفو الله فإنهم يدخلون النار لتعذيبهم فيها على مقدار معاصيهم، هناك مؤمن له معصية، له مخالفة، هذا المؤمن إن لم يشمله عفو الله عز وجل لابد من أن يدخل النار ليُعذّب فيها على مقدار معصيته، ثم يُخرَجون منها إلى الجنة بفضل الإيمان بالله الذي كان في قلوبهم، قال تعالى مبيناً عذاب النار ونعيم الجنة في سورة هود:

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (106) خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (107)

**سورة هود**

أي إلا الذين سبقت لهم معرفة بالله، واستقامة على أمره، سبق لهم عمل صالح ثم صدرت منهم مخالفات، هم يدخلون النار ليُعذبوا جزاء مخالفاتهم ومعاصيهم ثم يُخرَجون منها إلى الجنة نظير إيمانهم وعملهم الصالح، هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً الله سبحانه وتعالى أعلم بهم، إن لم يشملهم عفوه يذوقون النار حِقباً من الزمن، وبعدها يدخلون الجنة، يا ترى مليون سنة، مليونين، خمسة ملايين، حقب، ﴿**فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ* خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ هذه ﴿**إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ تعني أن من أهل النار من يخرج منها إلى الجنة بفضل إيمانه السابق، وعمله الطيب، لذلك قيل: ركعتان من ورع خير من ألف ركعة من مُخَلّط، المُخلّط هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، وعامة المسلمين مُخلِّطون، مؤمن مؤمن، مسلم مسلم، مستقيم مئة بالمئة، يقول لك: الله يعفو عنا، الله يتغمدنا برحمته، نحن عبيد إحسان، لسنا عبيد امتحان، اللهُ عزّ وجل يتولانا، هذا كلام لطيف، لكن الدليل أنه ليس مستقيماً، نفسه غالبته، قال أحد الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم: عظني وأوجز يا رسول الله؟ قال: قل: آمنت بالله ثم استقم، قال له: أريد أخفّ منها، قال له: إذاً فاستعد للبلاء، مؤمن يصلي لكن له مخالفات، لابأس، الآية تقول: هناك من يدخل النار ليُعذب فيها بقدر معاصيه وبعدها يخرج منها إلى الجنة، قال تعالى:

**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (108)**

**سورة هود**

## جهنم يستحقها أهلُها بمحض العدل بينما الجنة يستحقها أهلُها بمحض الفضل::

هنا سؤال كبير، ما معنى قوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ**﴾ هذه الآية فسرتها بتفصيل شديد حينما فسرت بفضل الله تعالى سورة هود قديماً، هذه الآية تعني أن أهل الجنة استحقوا الجنة بفضل الله عزّ وجل، وأنهم في الجنة لا بحكم عملهم في الدنيا فقط، بل برحمة الله عزّ وجل، أي مشيئة الله لا تُحَد، لكن الله عزّ وجل أخبرنا في آيات أخرى أنهم ليسوا منها بمُخرجين، هذا مبدأ ثابت، من دخل الجنة فلن يخرج منها، وليس معنى هذا أنه استحقها بعمله، ولن يخرج منها ما دام عمله طيباً، لا، استحقها برحمة الله، وقد فصلتُ في هذا أيضاً في درس سابق، جهنم يستحقها أهلُها بمحض العدل، بينما الجنة يستحقها أهلُها بمحض الفضل.

## أدلة أهل العلم على أن المؤمن العاصي لا يخلُد في النار:

وفي الاستدلال القرآني على خروج عصاة المؤمنين من النار استدلّ أهل العلم بقوله تعالى:

**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7)**

**سورة الزلزلة**

قالوا: والإيمان خير، فلابد أن يلاقي الأجر عليه، الإيمان خير: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ**﴾ رجل آمن، صلى، وارتكب معصية، المعصية يُعذَّب وفقها في النار، لكن الإيمان بالله لابد مِن أن يناله خيره في الآخرة، فلابد أن يلاقي الأجر عليه، ويجب أن يكون ذلك بعد تطهيره بالعذاب، لأنه إذا أُثيب على إيمانه قبل دخول النار فلا يكون ذلك إلا بدخول الجنة، لكنه إذا دخل الجنة امتنع أن يخرج منها، لقوله تعالى:

**لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (48)**

**سورة الحجر**

لذلك إنسان إذا عمل عملاً صالحاً، وآخر سيئاً، يُعذب أولاً، ثم يدخل إلى الجنة، فيبقى فيها إلى أبد الآبدين، لأن المبدأ الأساسي: ﴿**وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ**﴾ ويشهد لهذا الاستدلال القرآني أحاديث كثيرة تبين خروج العصاة المؤمنين من عذاب النار، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، **وَلا يَدْخُلُ النَّارَ رَجُلٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ إِيمَانٍ.**

**صحيح الترمذي**

## الجنة والنار وما جاء في وصفهما:

في القرآن الكريم والسنّة المطهرة جملة من أوصاف الجنة والنار يطول الحديث عنها، ولا تخفى على مُتتبع كتاب الله بالتلاوة، وهي في جملتها تُثبت –دققوا في هذه الكلمات– أن في الجنة أنواعاً لا تُحصى من النعيم المادي والروحاني، وأن فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأن عرضها كعرض السماوات والأرض، أعدت للمتقين، وأن فيها الفردوس الأعلى، المعد لأكرم الخلق عند الله، إلى غير ذلك من أمور كثيرة.

المعلومات كلها معلومات مِن اليقين الإخباري، الذي أخبرنا الله عنه، نؤمن به وكفى، وأن في النار أنواعاً رهيبة من العذاب المادي، العذاب المادي عذاب النار، قال عز وجل:

**تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ (104)**

**سورة المؤمنون**

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآَيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (56)**

**سورة النساء**

وأن في النار انواعاً رهيبة من العذاب المادي والروحاني، وأنها دركات ووديان، بعضها أشدّ عذاباً من بعض، وأن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، إلى غير ذلك من أمور نعوذ بالله أن نكون من أهلها.

## أنواع الشفاعة في الدنيا:

### 1- شفاعة حيّ لحيّ:

ثم هناك موضوع دقيق هو موضوع الشفاعة التي وردت فيها بعض الآيات، وبعض الأحاديث الصحيحة، ويدخل ضمن قاعدة:

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)**

**سورة النساء**

يدخل في هذه الآية باب الشفاعة، فلله تعالى أن يقبل دعوة من يشاء من عباده إذا دعاه، أن يُنزل خيراً على عبد آخر من عبيده، أو أن يدفع عنه ضراً، أو أن يغفر له من خطيئاته، سواء أكان ذلك في الحياة الدنيا من الحيّ للحي، أو من الحي للميت، أو كان ذلك يوم القيامة، ودعاء الأخ لأخيه نوعٌ من الشفاعة فيه عند الله، فلا مانع من أن يمنح الله فضله لعبدٍ من عباده إكراماً لشفاعة يوجهها عبد آخر مقربٌ عنده، أشرح لكم ذلك، ربنا سبحانه وتعال كمبدأ عام ممكن يقبل دعاء إنسان في حق إنسان، أسرع الدعاء إجابة دعاء أخ بظهر الغيب، أي الله عز وجل في الدنيا إذا الإنسان دعا ربه عز وجل أن يُنَجي أخاه من شر فالله سبحانه وتعالى قد يقبل هذا الدعاء، أو أن يَخُصه برحمة، فالله سبحانه وتعالى يقبل هذا الدعاء، فدعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب لا يُرَد، هذا الدعاء في الدنيا من أخ لأخيه أحد أنواع الشفاعة، فالشفاعة في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا من حيّ لحي، أو من حيّ لميت، وفي الآخرة بين المؤمنين.

### 2- شفاعة الحيّ للميت:

أحياناً الله عز وجل يُكرّم إنساناً، أي يسمح له، يقبل بدعائه شفاعته لإنسان.

## أنواع الشفاعة في الآخرة:

### 1- المشرك لا يدخل في موضوع شفاعة النبي بينما المُوحد يدخل فيها:

أما المشكلة أن شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لا يستحقها إلا من مات لا يشرك بالله، هذه النقطة المهمة لأن هناك آيات تنفي الشفاعة، وهناك آيات تُثبتها، قال تعالى:

**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)**

سورة الزمر

الإنسان إذا مات مشركاً لأن الله عز وجل يقول:

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (48)**

سورة النساء

الآية واضحة، الذي يموت مشركاً لا يستحق شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، والذي يموت مُوَحّداً يستحقق شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، صار الشفاعة هناك عمل، أنت قمت بعمل، مات الإنسان وهو مؤمن مُوَحّد لم يمت مشركاً، إذاً لأنه مات موحداً استحق أن يشفع النبي له أيضاً وفق شروط سوف تأتي بالتفصيل.

### 3- شفاعة المؤمن للمؤمن وأعظمها بركة شفاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام:

هناك معنى آخر للشفاعة أنك إذا لازمت أخاً مؤمناً قد تستفيد من علمه، قد تستفيد من خُلُقه، قد تستفيد من أحواله، قد تستفيد من إقباله، قد تستفيد من ورعه، قد تتعلم منه، قد تتخلق بأخلاقه، قد ترقى به، قد تنجو من عذاب النار بدلالاته، بدعوته، فهذا نوع من أنواع الشفاعة في الدنيا.

أي إذا شخص لازم مجلس علم، واستمع إلى الحق، وطبقه في البيت، كلما سمع توجيهاً قرآنياً طبَقه، كلما سمع نهياً عن معصية ابتعد عنها، دُعِي إلى إتقان الصلاة فأتقنها، دُعِي إلى العمل الصالح فعمل الصالحات، دُعِي إلى ذكر الله فذكر الله كثيراً، هذا الذي لازمته شفع لك في الدنيا، فشخص جالس عالماً،

جالس تاجراً، علّمه أصول التجارة، أصول البيع، كيف يُسجّل الحسابات، كيف يتسوق البضاعة، كيف يكون لطيفاً مع الزبائن، طبقت هذه الإرشادات صرت تاجراً كبيراً، معنى هذا أن هذا التاجر الأول شَفِع لهذا التاجر الثاني، هذا معنى لطيف جداً ودقيق، أي أنت في الدنيا إذا جالست أهل الحق شفعوا لك، بمعنى أنهم نهضوا بك بعلمهم، وأحوالهم، وأخلاقهم، ودلالتهم، وإقبالهم، هذا المعنى الإيجابي للشفاعة، المؤمن يشفع للمؤمن، والنبي عليه الصلاة والسلام في حياته شفع لكل أصحابه، بمعنى أنه علمهم، وهذبهم، وأرشدهم، وسما بهم، وأسعدهم، وأكرمهم، هذا المعنى واسع جداً للشفاعة، أي كل إنسان مدعو أن يلازم أهل الحق، قال تعالى:

مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا **وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85)**

**سورة النساء**

إذا أنت صاحبك أخ، صاحبك صديق، صاحبك جار، دللته على الله، دعوته للتفكر في آلاء الله، دعوته لحضور مجالس العلم، دعوته للعمل الصالح، دعوته لغض بصره، دعوته لإقامة الإسلام في بيته، دعوته للإحسان إلى الخلق، فطبق دعوتك واستجاب لك فسعد بهذه الدعوة، أي أنت شفعت له: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا**﴾ كل أعمال أخيك في الدنيا التي فعلها استجابة لك في صحيفتك، هذا المعنى الإيجابي الواسع معنى يدفعنا جميعاً إلى الدعوة إلى الله، أي أنت كما قال بعضهم: لا تصاحب من لا ينهض بك إلى الله حاله ولا يدلك على الله مقاله، هذه شفاعة.

هذا المؤمن بدعوته الطيبة واستجابتك له شَفِع لك، فكل أعمالك في صحيفته، هذا في الدنيا كما قلنا شفاعة حيّ لحي، الآن شفاعة حيّ لميت، إنسان ربّى ابناً صالحاً، هذا الابن بعد موت أبيه دعا إلى الله، أحسن للناس، صار خيرُه عميماً، كل هذه الخيرات في صحيفة الأب، فكأن هذا الابن شفع لهذا الأب، بمعنى أنّ الأب ربّى هذا الابن ومات، أعمال هذا الابن الطيبة في صحيفة الذي ربّاه، إذاً إنسان مشى في جنازة، فاتعظ بها أشد الموعظة، واستقام من فوره على أمر الله، استقامته بسبب هذا الميت، فكأن هذا الذي سار في الجنازة شَفِع لهذا الميت، هذه شفاعة حيّ لميت، قرأت القرآن على روح فلان فتأثرت بهذه الآية، واستفدت منها، وطبقتها، وسعدت بها، مَن السبب؟ الميت، شفاعة حيّ لميت.

خطر في بالي مثل يوضح الفكرة، لو فرضنا أن أباً أراد أن يعطي ابنه مبلغاً من المال، الأب كله حكمة وعلم، أراد أن يعطي ابنه مبلغ ألف ليرة لسبب ما استحقاقاً فجعل هذا المبلغ عن طريق الأم تمتيناً للعلاقة بينها وبين ابنها، واضح المثل؟ هؤلاء استحقوا الجنة لأنهم ماتوا غير مشركين بالله، فربنا سبحانه وتعالى يجعل هذا العطاء عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام، هذا معنى آخر من معاني الشفاعة.

إذاً الشيء الدقيق أن الله سبحانه وتعالى يقبل دعوة من يشاء من عباده إذا دعاه، أن يُنْزِل خيراً على عبد آخر من عبيده، أو أن يدفع عنه ضُراً، أو أن يغفر له من خطيئاته، سواء كان ذلك في الحياة الدنيا من حيّ لحيّ أو من حيّ لميت، أو كان ذلك يوم القيامة، ودعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب نوعٌ من الشفاعة عند الله، فلا مانع من أن يمنح الله فضله لعبدٍ من عباده إكراماً لشفاعة يُوَجهها عبد آخر مقربٌ عنده.

## الشفاعة السيئة:

إذاً من حيّ لحيّ في الدنيا، أي إذا لازمت المؤمن يشفع لك: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا**﴾ يتحمل، صار عندنا شفاعة سلبية، شخص دلّ الثاني على طريق الانحراف، دلّ الثاني على كسب المال الحرام، أقنع الثاني بقبول مال غير مشروع، أقنع الثاني ببعض المباهج المحرمة، بعض الملذات المحرمة فأفسده، فسقط في هاوية المعاصي، هذه شفاعة لكن من نوع آخر، الأول يتحمل كل الوزر الذي فعله الثاني، إذاً الآية الدقيقة: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا**﴾ كل هذا يتم بإذن الله لقوله تعالى:

**اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ** مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (255)**

**سورة البقرة**

الشفع الزوج، لا يستطيع إنسان أن يصيب خيره إنساناً آخر إلا بإذن الله، ولا يستطيع إنسان آخر أن يصيب شره إنساناً آخر إلا بإذن الله، فالشفاعة:

**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26)**

**سورة النجم**

## شروط الشفاعة:

### 1- الشفاعة تدخل في باب فضل الله:

أما في الآخرة تكريماً لهذا النبي العظيم يجعل بعض العطاءات عن طريقه للمؤمنين.

شيء آخر في الشفاعة، إنّ قبول الشفاعة إنما يدخل في باب الفضل الذي يُكْرِم الله به عباده، والله سبحانه وتعالى لا حجر عليه في فضله:

مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ** وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)

**سورة البقرة**

دخل رجل مِن الأعراب على النبي الكريم عليه أتمّ الصلاة والتسليم، يبدو أنه عمل عملاً ليس لائقاً، فأصحاب النبي الكريم أحدّوا إليه النظر فخاف، وسعه النبي عليه الصلاة والسلام أي أكرمه ففرح، وقال: عن أبي هريرة رضي الله عنه: قَمَ رَسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم في صلاةٍ وقُمْنا معه، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وهو في الصَّلاةِ: **اللَّهُم ارْحَمْني ومُحمَّدًا، ولا تَرْحَمْ معنا أحَدًا. فَلَمَّا سَلَمَ النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلم قَالَ لِلأَعْرَابِيّ: لَقَدْ حَجَّرْتَ واسِعًا**، يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ.

**صحيح البخاري**

رحمة الله واسعة، فالشفاعة تدخل في باب الفضل.

### 2- لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك به:

الآن كل آية في القرآن تنفي الشفاعة، قال تعالى:

**فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48)**

**سورة المدثر**

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)**

**سورة البقرة**

مثل هذه الآيات التي تنفي الشفاعة معنى ذلك أن فلاناً الذي رُفِضت أو رُفِض أن يُشفع له مشرك، مات مشركاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ فالقاعدة الثانية، لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك به، أو جحوده، وإنكار ألوهيته وربوبيته سبحانه وتعالى: ﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ**﴾ إذا نُفِيت الشفاعة فلأن الذين رُفِضت الشفاعة فيهم ماتوا مشركين بالله عزّ وجل، جاحدين لفضله، كافرين به، هؤلاء لا تنالهم شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام.

في بعض الأحاديث أن النبي عليه الصلاة والسلام يوم القيامة ينظر فيرى بعضاً من أمته يساقون إلى النار، فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَقُولُ **أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَقِيلَ: إِنَّكَ لا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، قَالَ: فَأَقُولُ: بُعْدًا بُعْدًا أَوْ قَالَ: سُحْقًا سُحْقًا** لِمَنْ بَدَّلَ بَعْدِي.

**صحيح مسند أحمد**

هؤلاء الذين ماتوا مشركين بالله، هؤلاء لا تنالهم شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام وفي حديث آخر:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ – أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا –اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، **وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.**

**رواه البخاري ومسلم**

لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه عِلمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا مِن طُرقِ الجنَّةِ **ومَن أبطَأ به عمَلُه لَمْ يُسرِعْ به نسَبُه** .

**صحيح ابن حبان أخرجه في صحيحه**

**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)**

**سورة الزمر**

صار عندنا قانون، حينما تُرفض أو تُنفى الشفاعة فلأن الذي رُفضت في حقّه مشرك، فإذا قُبِلت الشفاعة فلأن الذي قُبِلت في حقه مات موحداً، مات غيرَ مشرك، فأمر الشفاعة في ذلك أي شفاعة الغفران عن الشرك به لا مطمحَ فيه لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ**﴾ وقد أعلن الله عن عدم قبول الشفاعة إذا كانت من هذا القبيل في عدة آيات، منها قوله تعالى:

**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)**

**سورة غافر**

واضحة مثل الشمس.

## 3- قبول الشفاعة في غير الشرك بالله أمر منوط بمشيئة الله:

الشيء الثالث في الشفاعة، أما قبول الشفاعة في غير الشرك بالله أو جحوده فهو منوط بمشيئة الله تعالى، إنْ شاء قَبِلَها، وإنْ شاء رَفَضَها، قال تعالى:

**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (118)**

**سورة المائدة**

هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً هؤلاء متروكون لرحمة الله، إما أن يقبل فيهم الشفاعة، أو لا يقبل لحكمة بالغة هو يفعلها، قال تعالى:

**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)**

**سورة مريم**

هؤلاء الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وماتوا مؤمنين موحّدين، هؤلاء متروكون لأمر الله، والشفاعة كما قلنا قبل قليل محضُ فضل: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يملك الناس في ذلك اليوم أن تُقبل شفاعة أحد فيهم، إلا من اتّخذ منهم عند الرحمن عهداً، وذلك بالإيمان به، وبما جاء مِن عنده، فإنه قد يناله فضل من الله بقبول الشفاعة فيه، والعفو عنه، والله أعلم.

## 4- لا تُقبل الشفاعة إلا ممن أَذِن له الرحمن:

رابعاً: والشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا إذا كانت ممّن أذِن له الرحمن، ورضي له قولاً، قال تعالى:

**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)**

**سورة طه**

أي يومئذ لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعة من أَذِن له الرحمن بالشفاعة، ورَضِي له قولاً، فإن شفاعته قد تنفع إذا شاء استجاب، هناك إنسان يستحق الشفاعة، وهناك إنسان تُقبَل شفاعته، يوجد شيئان، أولاً: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ هؤلاء الذين تُطلب الشفاعة لهم يجب أن يتخذوا في الدنيا عند الرحمن عهداً، بمعرفتهم بالله، واستقامتهم على أمره، وطاعتهم له، وتوحيدهم إياه، وشكرانهم على نعمه: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْداً﴾ هؤلاء الذين تُقبل الشفاعة فيهم أما الذين تقبل شفاعتهم هم فيجب أن يأذن لهم الرحمن وأن يرضى لهم قولاً، عندك المُشَفَّع به والمُشَفِّع: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ إذاً فالشفاعة كالغفران تدخل في باب الفضل إن شاء قَبِلها وإن شاء لم يقبلها.

## ملخص بحث الشفاعة:

صار الموضوع في مجمله أنّ الشفاعة بمعناها العام تعني أن تستفيد من إنسان، إن لازمت مؤمناً، صاحبته، استمعت إلى أقواله، طبقت دِلالته، عملت بتوجيهاته، استفدت من أخلاقه، سَمَوْت بدعوته، معنى ذلك أنه شَفِع لك في الدنيا، أيْ أعطاك كل خبراته، وكل أحواله، وكل علمه، وسلكك بالطريق، فكل إنسان سلك إنساناً بطريق الإيمان شَفِع له بالدنيا، هذه شفاعة حيّ لحيّ في الدنيا، وأعظم شفاعة شفاعةُ النبي عليه الصلاة

والسلام حينما كان بين أظهر الناس، تعلّموا من أخلاقه، من أحواله، من إقباله، من ورعه، من حلمه، من عفوه، من كرمه، شفاعة حيّ لحيّ أن تسلُك معه فتتعلم منه وتسمو بأخلاقك وفق دعوته.

وشفاعة حيّ لميت أن تعمل عملاً صالحاً كان هو السبب فيه، فقد شَفِع هذا الحي لذاك الميت.

أما في الآخرة معنى الشفاعة أن الله عزّ وجل يعطي عباده عن طريق النبي عليه الصلاة والسلام إكراماً لنبيه عليه الصلاة والسلام، هذه المعاني المُجملة، ثم إنّ الشفاعة لها قوانين، أول قانون: إنما تدخل في باب الفضل، والثاني: لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك بالله، والثالث: قبول الشفاعة في غير الشرك بالله مَنُوط بمشيئة الله سبحانه وتعالى، إن شاء قَبِلها، وإن شاء رفضها، رابعاً: الشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا إذا كانت ممن ﴿أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ والآيات حول هذا الموضوع كثيرة، والأحاديث كثيرة، نرجو الله تعالى أن يوفقنا إلى معالجة الموضوع بشكل موسع في وقت آخر.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 56-63: الإيمان باليوم الآخر12- الشفاعة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## عقدة التشابه بين المسلمين لمفهوم الشفاعة وبين مفهوم اليهود بالنسبة لعقائدهم:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السادس والخمسين من دروس العقيدة.

في الدرس الماضي وصلنا في كتاب العقيدة إلى موضوع الشفاعة، وقد تحدثت كما ورد في هذا الكتاب كتاب العقيدة الإسلامية، وأردت أن أزيد هذا الموضوع توسيعاً وتعميقاً من خلال كتب أخرى، ومن خلال آيات وأحاديث تُغني الموضوع.

فبادئ ذي بدء، إن تعطيل قوانين الجزاء، للجزاء قوانين، يوم الجزاء يوم الدين يوم القيامة، إن تعطيل قوانين الجزاء بالنسبة لأتباع نبي ما أي نبي شيء غير مقبول لقوله تعالى:

**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**

**سورة الزلزلة**

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لا أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، **وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لا أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.**

**صحيح البخاري**

لا يأتيني الناس بأعمالهم وتأتوني بأنسابكم.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه عِلمًا سهَّل اللهُ له به طريقًا مِن طُرقِ الجنَّةِ **ومَن أبطَأ به عمَلُه لَمْ يُسرِعْ به نسَبُه.**

**صحيح ابن حبان أخرجه في صحيحه**

وفَهم الشفاعة فهماً سطحياً ساذجاً بمعنى أن الإنسان يفعل ما يشاء من المعاصي، والآثام، والموبقات، هذا الفهم الساذج غير مقبول لدى جميع العلماء قديمهم وحديثهم، بل إن هذه العقيدة بمعنى أن الإنسان لن يُحَاسب على أعماله، ولن يُعمَل بقوانين الجزاء، إن هذه العقيدة عقيدة اليهود، فقال تعالى:

**فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآَخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (169)**

**سورة الأعراف**

أي التكاليف غير الصعبة يأخذون بها، أما التكاليف الصعبة فيخالفونها، ويقولون: ﴿**سَيُغْفَرُ لَنَا**﴾ والله سبحانه وتعالى يقول:

**لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (123)**

**سورة النساء**

والآية التي تأتي مراراً في كتاب الله:

**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا (15)**

**سورة الإسراء**

## بيان عقائد اليهود والرد الإلهي على هذا المفهوم الخاطئ:

من عقائد اليهود:

**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (80) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (81)**

سورة البقرة

آية أخرى تصف عقائد اليهود:

**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)**

سورة آل عمران

وفي آية أخرى:

**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (111)**

سورة البقرة

وقال الله تعالى:

وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ **يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (18)**

سورة المائدة

هذه كلها آيات قرآنية ترينا كيف أن اليهود اعتقدوا بسذاجة أنهم لن يدخلوا النار، وإن دخلوها لن تمسهم إلا أياماً معدودات، وسمّى الله هذا غروراً وافتراءً، وسمّى الله هذا كلاماً لا يقف على قدميه، يحتاج إلى برهان، ﴿**قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ ثم عقّب الله تعالى فقال: ﴿**بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾ أي المفهوم: الشفاعة حقّ وسوف أتحدث عنها بالتفصيل، ولكن المفهوم العامي مفهوم عامة الناس، مفهوم الجُهلاء، مفهوم ضيقي الأفق، مفهوم الغارقين في المعاصي والآثام، هؤلاء يتعلقون ببعض ما يعتقدون أنه من الشفاعة، وهو أن يفعلوا من المعاصي والآثام ما يستطيعون ويعقِدون الآمال على شفاعةٍ ما أنزل الله بها من سلطان، هذه الحقائق وردت في كتاب الله بشكل أو بآخر في أماكن عدة.

إذاً لن تُعطَّل قوانين الجزاء يوم القيامة، وأن الذي يغتر بأنها تُعطَّل، وأنها لن يُعمل بها فهو مغرور، وقد افترى على الله الكذب.

## الشفاعة الحسنة والسيئة والفرق بينهما:

لكن في القرآن الكريم قوله تعالى:

**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا (85)**

**سورة النساء**

هذه الآية تعني أن الإنسان إذا أراد أن يجلِب لمسلم خيراً، أو أن يدفع عنه ضُرّاً، ويبتغي بهذا وجه الله، وكان هذا الخير في أمر جائز، ولم يأخذ عليه مالاً، ولم يكن هذا الأمر في حدّ من حدود الله، ولا في حقّ من الحقوق الواجبة، هذه شفاعة حسنة يُؤجر عليها المسلم في الدنيا، قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ أَبِيهِ رَضِي اللَّه عَنْه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ **اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا** وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ "

**صحيح البخاري**

الشفاعة الحسنة هي التي يراعى فيها أداء حقّ لمسلم، أو دفع الشر عنه، أو جلب الخير إليه، وابتغي بها وجه الله، ولم يؤخذ عليها مال، وكانت في أمر جائز، وليست في حدّ من حدود الله، ولا في حقّ من الحقوق الواجبة، هذا تعريف الشفاعة الحسنة، وقد قال عليه الصلاة والسلام: **((اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا))** وقد ورد في الأحاديث الشريفة أن امرأة اسمها بريرة جاءت النبي عليه الصلاة والسلام تشكو زوجها وتطلب الفراق منه:

عن ابن عباس أن مغيثا كان عبداً فقال: يا رسول الله اشفع لي إليها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **يا بريرة اتقي الله، فإنه زوجك وأبو ولدك، فقالت: يا رسول الله أتأمرني بذلك؟ قال: لا إنما أنا شافع**، فكان دموعه تسيل على خده، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس: ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغضها إياه.

**صحيح أبي داود**

وفي رواية: إنما أنا أشفع له.

هذه الشفاعة الحسنة كل من يشفع شفاعة حسنة في الدنيا له نصيب منها، والنصيب لا حدود له، يزداد بزيادة حجم الشفاعة، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كِفل منها، من دلّ إنساناً على معصية، أو من حرم حقاً، أو من أدى إلى ظلم، كل ضرر يحصل بسبب شفاعة سيئة يكن له كِفل منها، وأصل الشفاعة في اللغة من الشفع، وهو الزوج، قال تعالى:

**وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3)**

**سورة الفجر**

لأن الذي يشفع يصير مع المشفوع فيه زوجاً، والشفع في اللغة ضمُّ واحد إلى واحد، أنت إذا شَفِعت إلى فلان ضممت مكانتك ووجاهتك إليه فلعل الخير يصيبه من هذه الشفاعة، وشفاعة الناس فيما بينهم لحوائجهم، فمن يشفع لينفع فله نصيب، ومن يشفع ليضر فله كِفل، ومِن معاني الشفاعة الحسنة الدعاء للمسلمين، والشفاعة السيئة الدعاء عليهم، ومن دعا لأخيه بظهر الغيب استُجيب له، وقال الملَك: آمين، ولك مثل ذلك، هذه المعاني مستفادة من قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا**﴾ هذه المعاني مستنبطة من تفسير القرطبي لهذه الآية الكريمة.

## الفرق بين مفهوم اليهود لقوانين الجزاء وبين مفهوم الشفاعة في ديننا الإسلامي:

الآن نعود إلى الدرس الذي بدأناه في الأسبوع الماضي، قبل كل شيء إن اليهود –كما قلت لكم–فهموا فهماً ساذجاً وسقيماً فهموا أن قوانين الجزاء لن تُقام عليهم يوم القيامة، وأنهم: ﴿**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾.

﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ**﴾، ﴿**وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ وقالوا أيضاً: ﴿**وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾.

أما الشفاعة في ديننا الحنيف فهي داخلة في قوله تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116)**

**سورة النساء**

فالشفاعة حقّ، وهي في ضمن هذه الآية الكريمة، فلله تعالى أن يقبل دعوة من يشاء من عباده إذا دعاه أن يُنْزِل خيراً على عبد آخر من عباده، أو يدفع عنه ضَرّاً، أو يغفر له من خطيئاته، سواء كان ذلك في الحياة الدنيا من حيّ لحيّ أو من حيّ لميت، أو كان ذلك يوم القيامة، ودعاء الأخ لأخيه نوع من الشفاعة عند الله، فلا مانع من أن يَمنح الله فضله لعبد من عباده إكراماً لشفاعة عبد آخر مُقرب إليه، واضحة كالشمس، أي عبد سأل الله عزّ وجل لأخيه خيراً فالله سبحانه وتعالى قد يستجيب وقد لا يستجيب وفق حكمة بالغة، ووفق شروط سوف تمر معنا، شفاعة حيّ لحيّ وحيّ لميت، والشفاعة يوم القيامة، هذه كلها لها شروط سوف تأتي بالتفصيل.

## قوانين الشفاعة:

### 1 . قبول الشفاعة إنما يدخل في باب الفضل الذي يُكْرِم الله به عباده:

القانون الأول للشفاعة محدد في نصوص الشريعة بما يلي: إن قبول الشفاعة إنما يدخل في باب الفضل الذي يُكْرِم الله به عباده:

**مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (105)**

**سورة البقرة**

مَن مِنَ العباد يستطيع أن يَحُدّ من فضل الله؟ قانون الشفاعة يدخل في باب الفضل الإلهي، الذي هو فضل عظيم وفضل عميم، والشفاعة كما قلنا أن يسأل عبد ربه أن يُنْزِل خيراً على عبد آخر، فالله سبحانه

وتعالى يقبل أو لا يقبل لحكمة بالغة، والله سبحانه وتعالى لا حِجر عليه في فضله فهو يختص برحمته من يشاء، هذه القاعدة الأولى.

## 2 . لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك به أو جحوده:

أما القاعدة الثانية لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك به، أو جحوده، وإنكار ألوهيته وربوبيته سبحانه وتعالى، جميع الآيات في القرآن الكريم التي تنفي الشفاعة إنما تنفي الشفاعة لأن الذين نُفيت في حقهم متلبسون بالكفر، والشرك، وإنكار الربوبية، وإنكار الألوهية، هؤلاء لا تنالهم شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، ولا شفاعة من سواه، الآيات التي توضح هذا، ربنا سبحانه وتعالى يقول:

**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (48)**

**سورة البقرة**

**آية ثانية في البقرة:**

**وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ (123)**

**سورة البقرة**

آية ثالثة:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (254)**

**سورة البقرة**

إذاً لا يقبل الله شفاعة الغفران عن الشرك به، أو جحوده، أو إنكار ألوهيته، أو ربوبيته سبحانه وتعالى:

**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)**

**سورة غافر**

وقوله تعالى:

**أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (19)**

**سورة الزمر**

وقوله تعالى:

**كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (45) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (46) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (47) فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (48)**

**سورة المدثر**

وقوله تعالى:

**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (6) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**

**سورة الزلزلة**

إذاً لا تُقبل شفاعة الغفران في المشركين والملحدين والذين أنكروا الألوهية والربوبية، والآيات تؤكد ذلك.

## 3 . الشفاعة في غير الشرك بالله أو جحوده منوط بمشيئة الله تعالى:

القاعدة الثالثة، إن قبول الشفاعة في غير الشرك بالله، أو جحوده منوط بمشيئة الله تعالى، إنْ شاء قَبِلها، وإنْ شاء رَفَضها، قال تعالى:

**وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا (86) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (87)**

**سورة مريم**

شفاعة غير الشرك منوطة بأمر الله إن شاء قَبِلها وإن شاء لم يقبلها، ومعنى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ﴾ أي لا يملك الناس في ذلك اليوم أن تُقبل شفاعة أحد فيهم: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ وذلك بالإيمان به، وبما جاء من عنده، فإنه قد ينال فضلاً من الله عزّ وجل بقبول الشفاعة فيه، والعفو عنه، والله أعلم.

ويقول عليه الصلاة والسلام دققوا في هذا الحديث رواه الشيخان البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا.**

**متفق عليه**

الذي مات مشركاً لا تناله شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، أما من مات لا يُشرك بالله شيئاً فقد تناله شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام في نص هذا الحديث الذي رواه الشيخان.

## 4 . الشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا إذا كانت ممن أَذِن له الرحمن ورَضِي له قولاً:

شيء آخر؛ ورابعاً إن الشفاعة يوم القيامة لا تنفع إلا إذا كانت ممن أَذِن له الرحمن، ورَضِي له قولاً، قال تعالى في سورة طه:

**يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (109)**

**سورة طه**

أي يومئذٍ لا تنفع الشفاعة أحداً إلا شفاعة مَن أَذِن له الرحمن بالشفاعة، ورَضِي له قولاً، فإن شفاعته قد تنفع إذا شاء الله استجابتها، والآية الكريمة في سورة النجم:

**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى (26)**

**سورة النجم**

## ما ورد في شرح الإمام المناوي حول مفهوم الحديث عن شفاعة النبي لأهل الكبائر:

الشفاعة إذاً كالغفران تدخل في باب فضل الله تعالى إن شاء قَبِلها وإن شاء لم يقبلها، وقد ورد في بعض الأحاديث الشريفة عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي.**

**أخرجهما الترمذي وأبو داود بسند صحيح**

وقد شرح الإمام المناوي هذا الحديث الذي ورد في الجامع الصغير فقال: ثم يشفع الرسول من بعد أن يأذن الله له، وبعد انتهاء مدة العذاب في خروج العاصي من النار، فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم يشفع لأهل الكبائر بعد دخولهم النار، فيقبل الله شفاعته فيهم، ويُخرجهم منها، وتكون الشفاعة إظهاراً لكرامة الشافع عند الله، يقول عليه الصلاة والسلام: عَنْ عِمْرَانَ ابْنِ حُصَيْنٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **يَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُسَمَّوْنَ الْجَهَنَّمِيِّينَ.

**أخرجه البخاري في الصحيح**

أي إذا دخلوا النار، وأمضوا المدة الكافية، واستحقوا بعد ذلك الخروج منها، يأتي هذا الخروج على يد النبي عليه الصلاة والسلام تكريماً له، وإظهاراً لفضله، وقال بعضهم: هذا هو المقام المحمود.

الآن إذا رجعنا إلى نصوص الشريعة نراها تُثبت الشفاعة العامة يوم القيامة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك ضِمن الحدود المأذون بها، كما تثبت الشفاعات الجزئية لغيره صلوات الله عليه، والأحاديث الصحيحة في ثبوت الشفاعة كثيرة، منها ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **((شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي)).**

وقد ورد أيضاً في شرح هذا الحديث: ولا يرتضي الله الشفاعة إلا لمن يستحقون العفو على مقتضى العدل الإلهي، وتكون الشفاعة لإظهار كرامة الشافع ومنزلته عند ربه، تنفيذاً للإرادة الإلهية عَقِب دعائه، وطلبه من الله عز وجل، وليس فيها ما يدعو إلى الغرور أو التهاون من ترك إيمان كُلف به العبد حتى تزكو به نفسه، وترك عمل صالح يوصل الإنسان إلى كماله المنشود،

## شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لمن أحبّ أهل بيته:

إذاً الأحاديث الصحيحة في ثبوت الشفاعة كثيرة منها هذا الحديث، وهناك أحاديث أخرى، شفاعتي لأمتي من أحبّ أهل بيتي، إنك إذا أحببت النبي عليه الصلاة والسلام، وأحببت أهل بيته الكرام نالتك شفاعته، إن هذا الحب يَصِل بينك وبينه، هذا الحب بينك وبين النبي عليه الصلاة والسلام تأتيك من أنواره، ويأتيك من بركاته، ويأتيك من تجلياته، وهذا المعنى أثبته شفاعتي لأمتي من أحبّ أهل بيتي، و شفاعتي يوم القيامة حقّ، فمن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها، وهذا الحديث أيضاً يوجب علينا أن نؤمن بشفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن وفق هذه الشروط التي ذكرناها.

## أقسام الشفاعة:

### 1- الشفاعة العظمى:

قسّم العلماء الشفاعة إلى أقسام عدة، الشفاعة العظمى؛ وهي لجميع الخلائق بإراحتهم من هول الموقف، وتعجيل الحساب، ونحو ذلك، وهذا هو المقام المحمود كما قلت قبل قليل، تدعون في الصلاة وتقولون:
عن جابر بن عبد الله: **اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت سيدنا محمدًا صلى الله عليه وسلم الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته.**

**أخرجه البخاري في الصحيح**

وارزقنا زيارته وشفاعته، وقول الله عزّ وجل:

**أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآَنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآَنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (78) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (79)**

**سورة الإسراء**

فالشفاعة العظمى هذه لجميع الخلائق بإراحتهم من هول الموقف.

## 2- الشفاعة لمن استحق بعض العذاب يخرج من النار بموجب العدل الإلهي:

الشفاعة الثانية هي التي تُخرج بعض مَن استحقوا النار مِن النار، بموجب العدل الإلهي، وتكون الشفاعة هذه لإظهار كرامة الشافع، ومنزلته عند ربه، تنفيذاً للإرادة الإلهية عقب دعائه صلى الله عليه وسلم وطلبه من الله، ولا يخلو قبول الشفاعة أو رفضها مِن حكمة يعلمها الله تعالى، وتدخل الشفاعة في قانون فضله، أو قانون عدله.

## ملخص مفهوم الشفاعة لمن يستحقها:

إذاً من هذا الموضوع يتضح أن الشفاعة حقّ، وأنه من لم يؤمن بها فليس من أهلها، وأن الشفاعة لا تصيب إلا من مات غير مشرك بالله عزّ وجل، **((لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍّ دَعْوَتَهُ وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا))**.

وتَبَيّن أيضاً أن الشفاعة بمعنى مِن معانيها أنك إذا أحببت النبي عليه الصلاة والسلام، وأحببت أهل بيته الكرام، كما ورد: شفاعتي لأمتي من أحبّ أهل بيتي، هذه الشفاعة بمعنى: ونالك من تجلياته وشعرت بسعادة لا توصف.

وأما شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام لأهل الكبائر فتعني أن هؤلاء إذا استوجبوا دخول النار ودخلوها يكون إخراجهم منها على يد النبي عليه الصلاة والسلام تبياناً لفضله، وإظهاراً لكرامته على الله عزّ وجل.

## الأدلة الواردة في الكتاب حول موضوع الشفاعة:

جمعت لكم بعض الآيات التي تتحدث عن الشفاعة بشكل عام، يقول الله عز وجل:

**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (53)**

**سورة الأعراف**

**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ (26) لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ (27) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ (28)**

**سورة الأنبياء**

**تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101)**

**سورة الشعراء**

**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (51)**

**سورة الأنعام**

**وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (70)**

**سورة الأنعام**

**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (3)**

**سورة يونس**

**وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (18)**

**سورة غافر**

**أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ (43)**

**سورة الزمر**

## مواعظ وعبر من الآية التالية:

أي الذي أريده أن نفهم قوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ (5)**

سورة فاطر

أن تغركم الحياة الدنيا بمعنى لا تروا الدنيا بحجم فوق حجمها، لا تروها شيئاً ثميناً، لا تبذلوا من أجلها الغالي والرخيص، والنفس والنفيس، لا ترتكبوا المعاصي من أجلها، لا تدعوا مجالس العلم من أجلها، لا تُقَصِّروا في واجباتكم الأخروية من أجلها، ﴿**فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ**﴾ الغرور قد يأتي أي الشيطان قد يأتي ويُوهم الإنسان أن الله عزّ وجل لن يحاسبه على أعماله، كما قال اليهود: ﴿**لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ**﴾ قد يأتي الغرور وهو الشيطان فيطمئن الإنسان اطمئنانًا ساذجاً، قال تعالى:

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ **إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)**

سورة إبراهيم

فالإنسان لا ينبغي أن يغترّ بكلام الشيطان، الشيطان قد يأتي عن أيمان الإنسان، وعن شمائله، عن أيمانه هناك آية قد يُضلِّه عن طريق فهم خاطئ وساذج وقاصر للشفاعة التي ثبتت بنص القرآن الكريم، ونص الأحاديث الشريفة، ولكن لمن مات لا يشرك بالله عزّ وجل.

## خطورة حمل الأمانة في عنق الإنسان إذا لم تُنفَّذ:

الله سبحانه وتعالى قال:

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72) لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ**

**وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (73)**

**سورة الأحزاب**

أي هذه الأمانة شيء عظيم جداً، بصرف النظر عن معانيها الدقيقة هي شيء عظيم، لأن السماوات والأرض والجبال أشفقن منها، وأبين أن يحملنها، وحملها الإنسان.

شيء آخر؛ هو أن نهاية الآية تقول: ﴿**لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ بمعنى أن موقف الإنسان من هذه الأمانة قد يضعه في زمرة المؤمنين، أو في زمرة المنافقين، أو في زمرة المشركين، فالأمانة إذاً شيء خطير جداً يزيد عن ان نفهمها أن مبلغاً من المال أو حاجة أُودِعت عندك فأديتها بالتمام والكمال في الوقت المحدد، هي أمر أخطر من ذلك، لأن موقفك من الأمانة يجعلك في زمرة المؤمنين، أو في زمرة المنافقين، أو في زمرة المشركين.

وشيء آخر؛ هو أن هذه الأمانة جاء بعدها قوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ أي حينما لا يحملها الإنسان كما أراد الله عزّ وجل يكون ظلوماً جهولاً، متى يكون بحملها ليس ظلوماً وليس جهولاً؟ إذا كان عالماً وعادلاً، أي إذا عرف الإنسان اللهَ عزّ وجل، وعمل صالحاً، من استقامة على أمره وفعلِ للخيرات، إذا كان كذلك ليس ظلوماً ولا جهولاً، عالماً عادلاً.

إذاً هذه الأمانة التي حملها الإنسان مع أن السماوات والأرض والجبال استنكفت عن حملها، وأشفقت منها، هذه الأمانة كما فسرها العلماء هي التكليف، ومعنى التكليف أن الإنسان أودع الله فيه هذا العقل ليهتدي به إلى الله عزّ وجل عن طريق الكون، وبعث الأنبياء والرسل، وأنزل معهم الكتاب ليكون هذا الكتاب منهجاً لنا، ودستوراً، وتشريعاً يضبِط أفعالنا، حتى نسعد في الدنيا والآخرة.

إذاً بعقلك تستطيع أن تؤمن بالله عن طريق الكون، وبالشرع تستطيع أن تكون عبداً لله عز وجل عن طريق الانصياع لأمره انصياعاً تاماً، إذاً العقل والشرع والكون والشهوة التي اودعها الله فيك وحرية الاختيار هذه كلها تضافرت فكوّنت التكليف وهي الأمانة، أي أن الله عزّ وجل وضع نفسك أمانة عندك، فإذا عرّفتها بربها، وإذا طهرتها من الدنس، وإذا زكيتها بالفضائل أسعدتها في الدنيا والآخرة.

## ينبغي على المسلم أن يكون واعياً حول مفهومه لبحث الشفاعة:

لذلك: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ الذي أريد من هذا الموضوع موضوع الشفاعة أن يقف الإنسان على الحدود الصحيحة لهذا الموضوع، فلا يكون إيمانه بالشفاعة مدعاة للاغترار بالله عزّ وجل، وترك طاعته، والقعود عن العمل الصالح، وخرق استقامته، تعلقاً بآمال واهية قد يُفاجأ الإنسان أن هذه الآمال كانت متعلقة بشيء غير صحيح، لا ينبغي أن نفهمها فهماً قاصراً ساذجاً يدعو إلى القعود والتواكل وعدم السعي لرضاء الله عز وجل.

الشيء الثاني؛ أن الذي يموت غير مشرك بالله عزّ وجل، هذا تناله شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام، وهل هذا الشرط سهل؟ هل تظنون أنه من السهل أن يموت الإنسان موحداً غير مشرك؟ قيل: أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الخفي، أما إنكم لستم تعبدون صنماً ولا حجراً ولكن شهوة خفية وأعمال لغير الله، هذا هو الشرك الخفي، فمن مات غير مشرك بالله عزّ وجل نالته شفاعة النبي عليه الصلاة والسلام التي هي حق، ومن لم يؤمن بها لم يكن من أهلها.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 57-63: الإيمان باليوم الآخر13- منكرو البعث والرد الإلهي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## ارتباط الإيمان بالله مع الإيمان باليوم الآخر:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس السابع والخمسين من دروس العقيدة.

الفصل الخامس من باب الإيمان باليوم الآخر، وربما يسأل أحدكم هذا السؤال: لماذا أَطلنا في موضوع الإيمان باليوم الآخر؟ الجواب عن هذا السؤال هو أن الإيمان باليوم الآخر ركن أساسي جداً من أركان الإيمان، لأنك إذا آمنت بالله واليوم الآخر استطعت أن تجيب عن أسئلة كثيرة جداً، كل الأسئلة، كل الاستفهامات، كل الفجوات، كل الحيرة تتلاشى إذا آمنت باليوم الآخر، فإذا أغفلنا الإيمان باليوم الآخر تنشأ الأسئلة، والاستفهامات، وعلامات التعجب، وعلامات الحَيرة على وجوه الناس، فلذلك حينما يؤمن الإنسان باليوم الآخر ينقل اهتماماته كلها إلى الدار الآخرة، فإذا نقلها كلها إلى الدار الآخرة بثّ الله في قلبه طمأنينة لا يعرفها إلا من ذاقها، إذا آمنت بالله واليوم الآخر وقفت عند كل موقف، هل يُرضي الله هذا الموقف؟ عند كل تصرف، عند كل كلمة، عند كل حركة، عند كل سكنة، عند كل مبلغ تقبضه، عند كل مبلغ تنفقه، عند كل نظرة، عند سماع كل كلمة، إذا آمنت باليوم الآخر ضبطت نشاطك كله، ضبطت طاقاتك، ضبطت قُدراتك، ضبطت أموالك، فلذلك في أكثر الآيات التي تذكر أركان الإيمان يأتي الإيمان باليوم الآخر مع الإيمان بالله، هذا هو السبب في الإطالة في هذا الموضوع.

## البعث حقّ:

بادئ ذي بدء، لقد أجمع أهل الملل والشرائع السماوية بحسب أصولها الصحيحة على أن البعث حق، ما معنى البعث حق؟ أي لابد من أن يبعثنا الله عزّ وجل، معنى حق أنه محقق وقوعه لا شك فيه، والبعث كما تعلمون من أول دروس العقيدة أمر جائز الوقوع عقلاً، عندنا واجب الوجود، ومستحيل الوجود، وجائز الوجود، فالبعث جائز الوجود عقلاً، وقد جاءت جميع الأخبار الربانية الصريحة والصحيحة والقاطعة في جميع الأصول الصحيحة للأديان والشرائع السماوية بأن البعث من الأمور المقررة المَقْضِي بها بقضاء الله وقدره، كل الأديان السماوية في أصولها الصحيحة تُقرر أن البعث حق، أي أن الله عزّ وجل لابد من أن يبعث عباده جميعاً ليحاسبوا عن كل ما اقترفوه إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

## الدليل العقلي على البعث:

لذلك البعث ممكن الوقوع عقلاً، والنقول الصحيحة تؤكد وقوعه، كما أن المفكرين الذين أعملوا فكرهم، وحكّموا عقلهم في الأمور يستنبطون بالدليل العقلي -الإيمان باليوم الآخر له دليل نقلي ودليل عقلي- بالدليل العقلي عرفت الله عزّ وجل، وهذا الذي عرفته يُخبرك في كتابه القطعي الثبوت، القطعي الدلالة أنه لابد من يوم يُبعث الناس فيه ليحاسبوا على أعمالهم، أقوى دليل عقلي على الإيمان باليوم الآخر أن في هذه الحياة الدنيا فيها مظلوم وفيها ظالم، فيها فقير وفيها غني، فيها قوي وفيها ضعيف، فيها صحيح وفيها مريض، فيها مُعذَّب وفيها مُرفَّه، وأن كثيراً من الناس يأتيهم الموت قبل أن ينالوا حقهم، وبما أن الخالق العظيم لابد من أن يكون عادلاً، ولابد من أن يكون حقاً، أي اسمه الحق، لابد من أن يعطي كل ذي حقّ حقه، لأن الله عز وجل هذا الكون العظيم المُعجز يؤكد أنه كامل، وأن أسماءه حسنى، وأن صفاته فُضلى، وهناك حالات في الدنيا كثيرة جداً أن الإنسان يأتيه الموت ولا ينال حقه، إذاً لابد من حياة آخرة توزع فيها الحظوظ توزيع جزاء، بعد أن وُزِّعت في الدنيا توزيع ابتلاء، معنى الحظوظ كلمة واسعة هذه، المال حظ، الزوجة الصالحة حظ، هناك زوجة صالحة، هناك زوجة مشاكسة، هناك زوجة مريضة، هناك زوجة صحيحة، هناك أولاد أبرار، هناك أولاد عاقون، هناك دخل كبير، هناك دخل قليل، هذه الحظوظ وُزِّعت في الدنيا توزيع ابتلاء ولابد من أن توزع ثانيةً

في يوم آخر توزيع جزاء، فالذي نلته في الدنيا إنما نلته لتُمتحن به، وسيأتي يوم تُجازى على عملك، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

## منكرو البعث ثلاث فرق:

### 1- الفئة التي أنكرت وجود الخالق:

الحقيقة هناك من أنكر البعث، ونعني بالبعث اليوم الآخر، الذين أنكروا البعث فِرق ثلاثة، الفرقة الأولى أنكروا الخالق، ومن باب أولى أنهم يُنكرون مع الخالق اليوم الآخر، ربنا عزّ وجل وصف هؤلاء فقال:

**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24)**

سورة الجاثية

طبيعة، خلية حيوانية معقدة جداً، نَمَت في الرحم أصبحت إنساناً له شهوات، له مطامح، له لذائذ، يقضيها وتنتهي الحياة، قال تعالى:

**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (24) وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (25) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (26)**

سورة الجاثية

هذه الفرقة الأولى أنكرت وجود الله عزّ وجل، وأنكرت بالتالي يوم الحساب واليوم الآخر، هذه أنكرت بلا دليل، نظرية ساذجة بدائية تقول: إن الإنسان شكل من أشكال المادة المُعقدة، الإنسان مادة معقدة، كيف أن الخشب مادة، والحديد مادة، النبات مادة أكثر تعقيداً، الحيوان مادة أكثر تعقيداً، الإنسان أرقى أنواع المواد المُعقدة، ﴿**مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾.

أيها الإخوة؛ هذه العقيدة عقيدة الملحدين، لكن لا تنسوا أن أناساً كثيرين يحسبون أنهم ينتمون إلى الدين، وهم في الحقيقة في الحياة الدنيا يتصرفون وكأن الحياة الدنيا هي كل شيء، هذه نقطة مهمة جداً، أي قلّما تجد في العالم الإسلامي من يُنكر لك بلسانه أنه لا إله، ولا يوم آخر، ولا شيء، قلّما، ولكن معظم الناس لا أقول معظم المسلمين، لا، حاشا لله، معظم الناس يتصرفون، ويتعاملون، ويأخذون، ويدفعون، وكأن الدنيا هي كل شيء، وليس بعدها شيء، ﴿مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ تملك قرشاً فقيمتك قرش، لا تملك قرشاً لا قيمة لك، هكذا يقول الناس، الدنيا هي كل شيء، الدراهم مراهم، هذه كلمات مألوفة لكن لو تعمقنا بها إننا بهذه الكلمات نُنْكِر وجود يوم آخر يُحاسب فيه الناس حساباً دقيقاً، أي هذا الذي يأخذ ما ليس له، لو أنه آمن أن هناك يوماً آخرَ سيُحاسب فيه الإنسان حساباً عسيراً ما فعل هذا، هذا الذي يعتدي على أعراض الناس، هذا الذي يعتدي على أموالهم، هذا الذي يبني مجده على أنقاضهم، هذا الذي يبني غناه على فقرهم، لو عرف أن هناك إلهاً سيوقفه يوم القيامة، ويحاسبه عن كل درهم، قال عز وجل:

**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)**

سورة الحجر

**اعملوا ما شئتم، عن سهل بن سعد أنه جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، واعمل ما شئت فإنك مجزى به، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، وأعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس.**

رواه الطبراني رواه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

إذاً النقطة الدقيقة أن هناك أناساً كثيرين يتصرفون ويتحركون وكأن الحياة الدنيا هي كل شيء، هذا التكذيب عملي، هناك تكذيب اعتقادي وهناك تكذيب عملي، فالتكذيب العملي خطر، خطير جداً، لأنه في النهاية يُحْدِث النتيجة التي يُحدثها الإنكار الاعتقادي، عندنا إنكار اعتقادي أن تقول: أنا لا أؤمن باليوم الآخر، هذا إنكار اعتقادي، وهناك انكار عملي.

## 2- الفئة التي تعترف بوجود الخالق وتُنكر البعث:

الفرقة الثانية، يعترفون بوجود الخالق، ولكهم يشركون به، وينكرون البعث، قال تعالى يصف حالهم:

**بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (2) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (3)**

سورة ق

مستحيل، شيء عجيب أن يخلقنا الله مرة ثانية، أن يبعثنا من جديد.

## 3- الفئة التي تعترف بوجود الخالق ولكنها تنكر الطبيعة المادية للبعث:

الفرقة الثالثة تعترف بوجود الخالق ووحدانيته، ولكنها تُنْكِر البعث الجسدي، أن الآخرة حالات نفسية، ليس هناك حياة مادية ثابتة، حالات نفسية، دلهم عقلهم، بالمناسبة لا يجوز –دققوا في هذه الكلمات– لا يجوز للعقل أن يُحكّم في الأمور الاعتقادية، العقل ليس من إمكاناته، ولا من اختصاصه أن يُثبت أو أن ينفي شيئاً في العقيدة، ولا أن يثبت ولا أن ينفي شيئاً في العبادات، لأنه قد يَضِل، وقد يغفل، وقد يُعطَّل، وقد يُزوِّر، فالعقيدة تثبت بالنقل من خلال الكتاب والسنة، والعبادات تثبت بالنقل، لكن العقل مفوض أن يفهم العقيدة، وأن يفهم العبادة، وأن يستنبط الأحكام التفصيلية من الأحكام الكلية، مهمة العقل في الدين أن يفهم العقيدة الصحيحة التي وردتنا عن طريق النقل، وأن يفهم العبادات وأحكامها التي وردتنا عن طريق النقل، وأن يستنبط الأحكام التفصيلية من النصوص الكلية التي وردت في آيات الأحكام.

أما أن يُفكّر الإنسان أن يستخدم عقله ليُثبت شيئاً أو أن ينفيه هذا ليس من اختصاص العقل، لذلك هؤلاء بعقولهم القاصرة نفوا أن تكون هناك حياة بعد الموت مادية جسدية.

## كيف ردّ البيان الإلهي على منكري البعث؟

### 1- لفت نظر هؤلاء إلى خلق السماوات والأرض:

ربنا سبحانه وتعالى مع أن هذه الإنكارات الثلاث إنكارات تافهة، لا تقف على قدميها، إنكارات ليست ذات أساس متين، ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى جلّ في علاه ناقشهم في القرآن الكريم بأسلوبه الحكيم الرائع، فكشف مصادر أوهامهم، وأظهر فساد تفكيرهم، وردّهم بالحُجة الدامغة، فهؤلاء الوجوديون الماديون الذين ينفون الخالق واليوم الآخر، كيف ردّ الله عليهم؟ أولاً: رد الله عليهم بأن لفت نظرهم إلى خلق السماوات والأرض، أي يُعَدّ الإيمان باليوم الآخر بالنسبة لمنكري وجود الله عزّ وجل شيئاً ثانوياً، ربنا عزّ وجل ترك موضوع الإيمان باليوم الآخر، ولفت نظرهم إلى خلق السماوات والأرض، فإذا أيقنت بأن السماوات والأرض لابد لها من خالق عظيم، عليم، حكيم، رحيم، لطيف، عندئذ إذا أخبرك هذا الخالق العظيم أنه لابد من حياة أخرى عندئذٍ يكون إيمانك باليوم الآخر إيماناً تصديقياً، بعد أن كان إيمانك بالله إيماناً تحقيقياً، وفرق كبير بين الإيمان التحقيقي المبني على الحجة والاستدلال والبرهان والدليل القطعي، وبين الإيمان التصديقي المبني على التسليم لمن آمنت بوجوده.

فالحقيقة الأولى حقيقة وجود الخالق العظيم، الأحد الصمد، الذي:

**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)**

سورة الإخلاص

### 2- نفي العبث في الكون:

الحقيقة الثانية، ارتباط وجود الله سبحانه وتعالى بقدرته القادرة، وعلمه المحيط بكل شيء، وصدق وعده ووعيده، وصفة عدله بين خلقه، وحكمته العظيمة التي منها أنه لم يخلق هذا الكون عبثاً:

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)**

سورة المؤمنون

ومتى حصل التسليم بهاتين الحقيقتين، حقيقة وجود الخالق العظيم، وحقيقة أسمائه الحسنى، وصفاته الفضلى، حصل العلم بأخبار الله الثابتة التي بلّغها الرسل المؤيدون بالمعجزات الباهرات، عندئذٍ وصلنا إلى الإيمان باليوم الآخر، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ (5) أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6)**

سورة ق

ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية بيننا وبين أحدث مجرة اكتُشفت قبل سنوات، تقدير أولي لعلماء الفلك أن هنالك مليون مليون مجرّة، وفي كل مجرّة مليون مليون نجم، وأن سرعات هذه المجرات تقترب من سرعة الضوء، بحيث إن هذه المجرات بأكملها تدور حول نقط وهمية في الفضاء الخارجي بسرعة تزيد عن مئتين وأربعين ألف كيلو متر بالثانية، هذه المجرات، قال تعالى:

**أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (6) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (7) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ (8) وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ (9) وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ (10) رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ (11)**

سورة ق

وهكذا تُبعثون يوم القيامة، ربنا عز وجل لفت نظر هؤلاء الملحدين لا إلى إثبات اليوم الآخر مباشرةً بل لفت النظر إلى خلق السماوات والأرض، هذا الخالق العظيم قادر على أن يخلقكم كما خلق السماوات والأرض، قال تعالى:

**أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (27) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (28)**

سورة النازعات

## أسئلة المتوهمين حول موضوع البعث والرد عليهم من القرآن:

### التوهم الأول إن القدرة التي خلقت الإنسان تعجز عن إعادته مرة ثانية:

هناك من توهم أن القدرة التي قدرت على ابتداء خلق الإنسان لا تقدر على إعادته كَرَّة ثانية، انظر إلى هذا الوهم السخيف، وهذا التوهم أن إعادة الخلق بعد فنائه أصعب من ابتدائه.

## الرد الإلهي على هذا التوهم:

### 1- إن إعادة الخلق أو تكوينه شيء يسير على الله بل الإعادة أهون:

الله سبحانه وتعالى ردّ على هؤلاء بأكثر من دليل، ردّ عليهم بالدليل الأول وهو أن هناك واقع التساوي بين الإعادة والبدء، بل إن الإعادة أهون، من هؤلاء الذين تكلموا في شأن الإسلام الوليد ين المغيرة، فقال لهم أبي بن خلف: ألا ترون إلى ما يقول محمد: إن الله يبعث الأموات؟ ثم قال: واللات والعزى لأصيرن إليه ولأخاصمنه، وأخذ عظماً بالياً فجعل يفته بيده، ويقول: يا محمد أترى الله يحيي هذا بعدما رم؟ فقال عليه الصلاة والسلام: نعم يحييه، ويبعثك، ويدخلك جهنم، فأنزل الله تعالى في إقامة الحجة على هؤلاء قوله في سورة يس، قال تعالى:

**وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (78) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (79)**

سورة يس

إذاً من توهّم أن الإعادة أصعب من البدء ردّ اللهُ عليه بهذه الآية، وبآية ثانية، قال تعالى:

**وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَئِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (66) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (67)**

سورة مريم

ردّ ثان، ردّ ثالث:

**وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (27)**

سورة الروم

طبعاً بحقّ البشر يصح أن نقول: إن صُنْعَ الشيء مرة ثانية أهون مِن صنعه للمرةِ الأولى، لكن بحق الله عزّ وجل:

**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)**

سورة يس

لذلك فسّر بعضهم هذه الآية الكريمة أنه كلما فكرت في ملكوت السماوات والأرض، وعرفت طرفاً من عظمة الله عزّ وجل، بدا لك أن الإعادة أهونُ مما كنت تعرف من قبل: ﴿**وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

## 2- لفت نظرهم إلى أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق الإنسان أو بعثه:

الطريق الثاني في الرد على هؤلاء أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلقهم، أو مِن بعثهم، أو مِن إعادة خلقهم:

**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (33)**

سورة الأحقاف

إذاً في آية وآية وآية، في أربع آيات ردّ الله عز وجل على هؤلاء الذين توهموا إن إعادة الخلق شيء أصعب من بدئه.

## التوهم الثاني: إن الخالق قد أصابه الإعياء بعد الخلق:

التوهم الثاني الذي ورد في القرآن الكريم أن بعضهم توهم أن خلق السماوات والأرض وخلق الأحياء قد أصاب الخالق بالإعياء، أي تعب، قال تعالى:

**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (43)**

سورة الإسراء

## الرد الإلهي على هذا التوهم بكل بساطة ووضوح:

ردّ القرآن الكريم على هذا التوهم ببساطة ووضوح فقال: ﴿وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ﴾ لم يتعب، وقال سبحانه:

**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ (15)**

سورة ق

**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (82)**

سورة يس

عبدي خلقت لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن، أفيعييني رغيف أسوقه لك كل حين؟ خلق المجرات أصعب أم خلق القمح؟ أم إنزال الأمطار؟ أم إنبات الأرض؟ هؤلاء المتشائمون الذين يصدقون ما يقولون، أو ما يسمعون، أو ما يقرؤون من أن هناك تفجراً سكانياً في الأرض، وأن كميات الغذاء سوف تنقص، وأن هناك مجاعة عظمى سوف تعاني منها البشرية، وأن الأمور تزداد تعقيداً، هؤلاء ما عرفوا الله، خلقت لك السماوات والأرض، ولم أعي بخلقهن، أفيُعييني رغيف أسوقه لك كل حين؟! وعزتي وجلالي إن لم ترضَ بما قسمته لك فلأسلطنّ عليك الدنيا، تركض فيها ركض الوحش في البرية، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي، وكنت عندي مذموماً، لي عليك فريضة، ولك عليّ رزق، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك،

**عن أبي ذر الغفاري عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ فِيما رَوَى عَنِ اللهِ تَبارَكَ وَتَعالَى، أنَّهُ قالَ: يا عِبادِي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ علَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فلا تَظالَمُوا، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ ضالٌّ إلَّا مَن هَدَيْتُهُ، فاسْتَهْدُونِي أهْدِكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ جائِعٌ إلَّا مَن أطْعَمْتُهُ، فاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ، يا عِبادِي، كُلُّكُمْ عارٍ إلَّا مَن كَسَوْتُهُ، فاسْتَكْسُونِي أكْسُكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيْلِ وَالنَّهارِ، وَأَنا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فاسْتَغْفِرُونِي أغْفِرْ لَكُمْ، يا عِبادِي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي، يا عِبادِي، لو أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كانُوا علَى أتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ مِنكُمْ؛ ما زادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، كانُوا علَى أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ واحِدٍ؛ ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبادِي، لو أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ، قامُوا في صَعِيدٍ واحِدٍ فَسَأَلُونِي، فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسانٍ مَسْأَلَتَهُ؛ ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبادِي، إنَّما هي أعْمالُكُمْ أُحْصِيها لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاها، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ. وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبادِي، فلا تَظالَمُوا.**

صحيح مسلم

ذلك لأن عطائي كلام، كن فيكون، وأخذي كلام، زل فيزول.

## التوهم الثالث إن الإنسان بعد موته يفنى ولا أثر لجسده في الأرض:

التوهم الثالث، أن من يموت مِن الناس يَضِلّ في الأرض، ينتهي، يفنى، انتهى هؤلاء رواد المركبة الفضائية تشالنجر، الذين احترقوا بعد سبعين ثانية من إطلاق المركبة ما عُثِر لهم على شيء أصبحوا رماداً، هؤلاء الذين يموتون حرقاً، أو غرقاً، أو اختناقاً، أو في الزلازل، أو في الحروب، وتفنى جثثهم، ويصبحون كالرماد، بعضهم يتوهم أن هؤلاء انتهوا، من يبعثهم؟

## الجواب الإلهي:

قال تعالى:

**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)**

سورة السجدة

أي دُفنا فيها، وفنيت أجسامنا، وتفتت عظامنا، وأصبحنا تراباً، وانتهى الأمر، قال المعري:

خفف الوطء ما أظن أديم　　　　الأرض إلا من هذه الأجسادِ

المعري

﴿**أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ**﴾ في آية ثانية:

**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ (4)**

سورة ق

لو أنهم فنيت أجسامهم عندنا كتاب حفيظ، لابد من أن نبعثهم من جديد:

**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (3)**

سورة سبأ

## بحث علمي له علاقة بالموضوع السابق:

في إثبات إحاطة علمه تعالى بكل صغيرة وكبيرة ردّ على هذا التوهم، قال تعالى:

**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16)**

سورة ق

في مراقبة الله تعالى لهذا الإنسان:

**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (18)**

سورة ق

بحث علمي له علاقة بالموضوع، أثبتت البحوث العلمية الكونيـة وجود سجل كوني كبير، تُسجَّل فيـه الأعمال كلها، والأقوال، والخواطر، والوساوس، فكل حرف نقوله، وكل عملٍ يصدر عنا بكل تفاصيله يُسجَّل في الأثير، هذه الموجات الضوئية التي تخرج من منابعها، أو من الأجسام التي تعكس الضوء، هذه الموجات تسير عبر الفضاء الخارجي بسرعة الضوء، فلو تخيلنا أننا سرنا بمركبة بأسرع من الضوء، والتقطنا هذه الأمواج لرأينا الآن معركة بدر الكبرى، ومعركة أحد، ومعركة الخندق، ومعركة القادسية، ومعركة اليرموك، نظرياً بحسب النظرية النسبية هذا شيء يمكن أن يقع، لكنه في علم البشر نظري، لكنه في علم الخالق عملي.

إذاً كل عملٍ يصدر عنا بكل تفاصيله يُسجَّل في الأثير، ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات، الإنسان الآن تمكن أن يُسجل الصورة مع الصوت، يقول لك: معي شريط، الحفلة سجلناها، إذا كان الإنسان قادراً على تسجيل حفلة بكل تفاصيلها، بكل أصواتها، بكل ألوانها، بكل حركاتها، بكل سكناتها، أليس خالقنا العظيم بقادر على أن نأتي يوم القيامة لنرى أعمالنا كلها مُسَجّلة صوتاً وصورة وحركة على سجل دقيق؟ إذاً ويمكن عرضه في أي وقت من الأوقات متى تهيأت الأجهزة القادرة على كشف ما في هذا السجل الكبير، والتحكم بموجاته، فصور كل كائن من القرون الأولى، وأصوات كل كائن مسجلة تسجيلاً كاملاً منذ أول وجوده حتى آخر وجوده، لحظة بلحظة، لا يضيع منها شيء صغيراً كان أو كبيراً، في النور أو في الظلمات، هذه الأجهزة أثناء الظلام أتصور أيضاً أنها تُسجل، إذا إنسان دخل إلى بيته وكان هناك ظلام دامس، كل حركاته وسكناته مسجلة لذلك قيل: من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله.

## التوهم الرابع هو أنه ينبغي عدم التسليم للأشياء التي لا نراها بالحواس:

التوهم الرابع، هو أن الأشياء التي لا يشاهدونها بالحواس ينبغي ألا يُسلِّموا بها، وألا يصدقوها، أي الشيء الذي نراه بحواسنا نصدق بوجوده، لا نراه بحواسنا لا نصدق بوجوده.

## الرد العلمي الذي يسلم للبيان الإلهي في الرد على هؤلاء:

مع أن الإنسان في حياته المادية كثيراً ما يُصَدِّق بأشياء لا يراها، تركيب الذرة الكيميائي هذا تركيب استنتاجي، لفترة بسيطة جداً عن طريق المجاهر الإلكترونية شاهدوا تركيب بعض الذرات، لكن قبل هذه المجاهر

تركيب الذرة كان استنتاجياً، الكهرباء لا نرى إلا آثارها، أما هي فلا نراها، ومع ذلك نؤمن بوجودها، وجود الضوء، وجود الحركة، وجود الصوت، وجود الحرارة.

روح الإنسان لا نراها، نحكم على إنسان أنه حيّ من حركته، من نطقه، من بيانه، من تفكيره، من تصرفاته، فإذا فقد الروح نحكم على أنه مات، هل رأينا الروح يوم كانت ويوم خرجت؟ لا والله، فالإنسان بحياته مواقف كثيرة، يؤمن بشيء دون أن يراه، يؤمن به استنتاجاً، فهؤلاء الذين لا يؤمنون إلا إذا رأوا، هؤلاء ضعاف العقول:

**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (5) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (6)**

سورة الحج

ومع ذلك ربنا سبحانه وتعالى إكراماً لنا، وتبياناً لنا، ضرب لنا أمثلة من التاريخ، فحادثة أهل الكهف، كيف أن الله سبحانه وتعالى ضرب على آذانهم في الكهف سنين عدداً، ثلاثة قرون، ثلاثمئة عام وتسع سنوات على التقويم الهجري، كيف بقي هؤلاء على ما هم عليه ثم بُعِثوا؟ هذه أمثلة، هذه الأمثلة كي نعرف أن الله عزّ وجل قادر على كل شيء، قال تعالى:

**وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (21)**

سورة الكهف

﴿لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ ضربنا هذا مثلاً.

منها قصة العزيز.

**أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آَيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (259)**

سورة البقرة

قرية أموات، هذا العزير من بني إسرائيل، ومنها إماتة ألوف من بني إسرائيل حين أُمِروا بالقتال، فخرجوا من ديارهم فارين من مقابلة العدو حَذَر الموت، ثم بعد هذه الإماتة الجماعية أحياهم الله ليعلموا أن الفِرار من القتال لا يحمي من الموت، وليعلموا أن البعث حقّ:

**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)**

سورة البقرة

منها قصة إحياء قتيل بني إسرائيل في سورة البقرة:

**فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آَيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)**

سورة البقرة

ميت قُتِل بجريمة فأمر الله عز وجل بني إسرائيل أن يذبحوا بقرة وأن يضربوا هذا الميت ببعض أعضاء البقرة، فلما ضربوه بأعضائها عاد حياً وقال: قتلني ابن أخي، ومنها قصة إحياء الطيور الأربع لسيدنا إبراهيم عليه السلام، لما طلب من الله تعالى أن يُريه كيف يحيي الموتى، ومنها معجزة سيدنا عيسى إذ كان يحيي الموتى بإذن الله، إلى غير ذلك من الأمثلة التاريخية الثابتة.

## التوهم الخامس هو أن مراد الخالق في إبداع الحياة لا يتعدى حدودها:

التوهم الخامس، هو أن مراد الخالق في إبداع الحياة لا يتعدى حدود هذه الحياة الأولى، وأن كل حكمته من الخلق تتم فيها، أي ينتهي مراده في هذه الدنيا، وتنتهي حكمته في هذه الدنيا، وأنه لا حياة بعد هذه الدنيا، هذا توهم خامس.

## الرد الإلهي على هؤلاء الجاحدين:

رد الله عليهم فقال:

**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (115)**

سورة المؤمنون

هل من الممكن أن ننشئ جامعة تكلفنا ألف مليون، بعد أن تنتهي نفتتحها عاماً دراسياً واحداً ثم نأتي بالجرافات ونهدمها؟ ليس معقولاً، هذه خُلِقت لتبقى، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ قال تعالى:

**إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ (34) إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ (35) فَأْتُوا بِآَبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (36) أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (37) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ (40)**

سورة الدخان

## التوهم السادس هو أن هذه الأخبار التي جاء بها الرسل غير صحيحة:

التوهم السادس والأخير:

**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ (7)**

سورة سبأ

إن هذه الأخبار غير صحيحة، فالرسل ليسوا قادرين على معرفة ما سيكون، هؤلاء بشر.

## الرد الإلهي على هؤلاء المنكرين:

﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ هذا القول استهزاء، قال تعالى:

**أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ (8)**

سورة سبأ

﴿**أَمْ بِهِ جِنَّةٌ**﴾ أي مختلّ، التوهم الخامس أن هذه الأخبار التي جاء بها الرسل ليست صحيحة إنها كاذبة، نوع من التوهم، نوع من الجنون، ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ* أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ**﴾. آية ثانية:

**وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (21)**

سورة الفرقان

أي إنهم ما صدقوا الرسل، هذا الذي قاله الرسل ما صدقوه، قال تعالى:

**وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آَمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (17)**

سورة الأحقاف

أخشى أن أكون قد أثقلت عليكم، ستة أوهام توهمها المنكرون للبعث، وقد ردّ الله عليها بطرق عديدة، وبأدلة أكيدة، وبحجج دامغة، وبأسلوب حكيم.

طبعاً هذه التوهمات حاشا لله أن يعتقد بها أحد، لكننا نستأنس حينما يرد الله عزّ وجل على هؤلاء المتوهمين، وعلى هؤلاء الظانين أن الله عزّ وجل لن يبعث عباده ليحاسبهم على أعمالهم.

## تكذيب الإنسان بيوم الدين:

بقي موضوع قصير جداً لا يزيد عن صفحتين نُنهي بهما هذا الفصل.

لماذا يكذب الإنسان بيوم الدين؟ إذا طالب غير مستعد للمذاكرة، يميل إلى تكذيب موعد المذاكرة، كل إنسان إذا كان مقصراً، مخطئاً، مسرفاً، مجرماً، كل إنسان له انحرافات في سلوكه هذا أميل إلى أن يُكَذِّب بيوم الدين، والدليل:

**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10)**

سورة المطففين

أرجو أن تدققوا في هذه الآيات، قد نقرؤها نحن هكذا، ولكن يوجد فيها معان دقيقة جداً:

**وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ (11) وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)**

سورة المطففين

لماذا يكذب بيوم الدين؟ لأنه معتد أثيم يخشى الحساب، يخشى العذاب، يخشى المسؤولية، يخشى التبِعة، إذًا هو يكذّب بهذا اليوم:

**إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آَيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13)**

سورة المطففين

هذه خرافات، هذه غيبيات، هذا ما وراء الطبيعة، نحن واقعيون، نريد أن نتعامل مع الواقع، هذه تحليقات، هذه أخيلة، هكذا يقولون، قال تعالى:

**وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)**

سورة المطففين

أعمالهم السيئة، عدوانهم، انحرافاتهم، سقوطهم، هذه الأعمال السيئة غطت عليهم الحقيقة، كانت كأنها ران على قلوبهم، آية ثانية:

**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1)**

سورة الماعون

هل تعرفه؟

**فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)**

سورة الماعون

دعَّ اليتيم أي ضربه، في هذه الآية دقة بالغة، أشدّ الأشخاص حاجة إلى العطف هو اليتيم، فإذا تخليت عن مساعدته فأنت مُقصّر، فإذا آذيته كان ذلك أشدّ فظاعة، فربنا عزّ وجل جاء بمثل حاد قال تعالى:

**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2) وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)**

سورة الماعون

﴿**فَذَلِكَ**﴾ هو نفسه.

**فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8)**

سورة التين

أي هذا الذي يكذب بالدين ألا يعرف أن الله سيحاسبه حساباً عسيراً؟ قال تعالى:

**إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (22) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (23)**

سورة النحل

الكِبر هو الذي حال بينهم وبين الإيمان بيوم الدين.

سبب آخر؛ الفجور، الانغماس في الشهوات، قال تعالى:

**بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5)**

سورة القيامة

يسأل مستهزئاً، قال تعالى:

**يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)**

سورة القيامة

متى يا أخانا الذي تتكلمون عنه اليوم الآخر؟ أنا لا أقبضها والله، هكذا يقول، لأنه غارق في الفجور، ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ* يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ قال تعالى:

**وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآَخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ (74)**

سورة المؤمنون

ليسوا مستقيمين، لو أنهم استقاموا لآمنوا، لأنهم غير مستقيمين كفروا، قال تعالى:

**وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (75) وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ (76) حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (77)**

سورة المؤمنون

## خلاصة البحث:

هذا الفصل عنوانه: عقائد الناس بالبعث والجزاء يوم القيامة والرد على المنكرين، كيف أن البرهان على يوم القيامة برهان عقلي، وبرهان نقلي، وكيف أن الشرائع السماوية كلها في نصوصها الصحيحة وأصولها الثابتة تؤكد أنه لابد من يوم يُبعث فيه الناس مرة ثانية، ليُلاقوا نتائج أعمالهم، وكيف أن الناس في إنكار البعث ثلاث فرقٍ، فرقة أنكرتْ وجود الله واليوم الآخر، فرقة أنكرتْ اليوم الآخر فقط، وآمنت بالله، وفرقة أنكرت اليوم الآخر بطبيعته المادية.

وكيف أن الله سبحانه وتعالى ردّ على كل المتوهمين، ستة توهمات ردّ الله عليهم في آيات كثيرة.

والحمد لله رب العالمين

# الدرس 58-63: أسباب الضلالات الاعتقادية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## أسباب الضّلال في الأرض:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثامن والخمسين من دروس العقيدة.

وصلنا إلى موضوع دقيق جداً وهو أسباب الضلالات الاعتقادية، أي في الأرض ضلال، إذا عرفنا أسباب هذا الضلال أمكننا تجَنبه، فمعرفة السبب مهم جداً لتجنب النتيجة، فإذا كان في الأرض ضلالٌ، هذا الضلال مِن أين أتى؟ ما أسبابه؟ ما علته؟ كيف كُرِّس هذا الضلال؟ كيف انتشر؟ هذا ما يدور حوله موضوع اليوم.

الحقيقة هناك ثلاثة أسباب كبرى للضلال؛ السبب الأول: الانحراف الفكري، والسبب الثاني: الانحراف النفسي، والسبب الثالث: الضعف النفسي.

انحراف فكري وانحراف نفسي وضعف في الإرادة، هذه الأسباب الثلاث الكبرى تؤدي إلى الضلال الذي هو أخطر شيء في حياة الإنسان، أن يكون الإنسان فقيراً ومهتدياً فهو من الناجحين، أن يكون مريضاً ومهتدياً فهو من الفائزين، أما أن يكون ضالاً فهذا الضلال مؤدّاه إلى النار، الضلال هو الهلاك.

## ينبغي على المسلم أن يكون سلاحه الكتاب والسنة حتى يرجع إلى الصواب:

من باب التذكير أننا في مطلع دروس العقيدة، أي تَوَضَّح لكم أن العقيدة الصحيحة لها مسالك، لها منافذ، لها طرق، مِن هذه المسالك اليقين الحسي، فأنا أعتقد أن الشمس ساطعة، لأنني أراها بعيني، الكل أكبر من الجزء، هذا الإنسان يراه بعينه، فاليقين الحسي هذا شيء بديهي واقعي لا سبيل إلى الزيغ عنه، هذا مسلك.

المسلك الثاني مسلك اليقين الاستنتاجي، اليقين العقلي.

والمسلك الثالث مسلك اليقين الإخباري.

والمسلك الرابع مسلك الإشراق الروحي، بشرط أن يوافق الأصول الشرعية للدين.

الإنسان أحياناً تبرق في ذهنه بارقة، تأتيه خاطرة، يفكر في موضوع، يتوهم نتيجة، قد يعتقد بهذه الفكرة أنها صحيحة من دون أن يضعها على المِحَك، من دون أن يمتحنها، هل كان استنتاجه صحيحاً؟ هل كانت المقدمات التي وصل بها إلى النتائج صحيحة؟ من هنا قد تأتي الإنسان فكرة دون أن يُمحّصها، دون أن يمتحنها، دون أن يضعها على محك الواقع والتجربة، وعلى محك اليقين الاستدلالي أو اليقين الإخباري، يقبلها، وهذه الفكرة قد تَرُوج في مجتمع ما، أي فكرة لم تُمحّص، فكرة لم تُمتَحن، فكرة لم تخضع لمقاييس الشرع، فكرة لم تخضع لأصول الفهم، فكرة لم تخضع لمقاييس العقيدة الصحيحة، هذه الفكرة تروج وتنتشر، وفي النهاية تصبح بعد عشرات السنين عقيدة ضالة يعتنقها أناس كثيرون.

أخطر شيء في حياة المسلم أن تكون بعض معتقداته ضلالاً، أن يتوهم أن هذا الشيء حقّ وهو باطل، أن يعتقد أنه صحيح وهو غير صحيح، لذلك العقيدة أخطر شيء في حياة الإنسان، إن صحت صحّ عمله، وإن فسدت فسد عمله، والعقيدة لا تُؤخذ إلا من كتاب الله، القطعي الثبوت، القطعي الدلالة، ولا تؤخذ إلا مما تواتر من حديث رسول الله عليه الصلاة والسلام، العقيدة فقط، الأحكام الشرعية تؤخذ من الأحاديث الآحاد، لكن العقيدة التي يجب أن تُعْلَم بالضرورة والتي إذا أنكرها الإنسان وقع في الكفر، هذه العقيدة تؤخذ من كتاب الله ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة المتوافر منها، فأية فكرة ليس لها أصل في كتاب الله أو

أصل في سنة رسول الله المتواترة، أي فكرة تُخالف ما جاء عن طريق النقل الصحيح عن كتاب الله وسنة رسول الله فهي فكرة ضالة بعيدة عن الواقع.

## أسباب ضلال الانحراف الفكري:

### 1- أخذ الأشياء على ظواهرها من دون تمحيص علمي:

سؤال؛ ما منا واحد إلا ويتكلم، راقب نفسك هذه الفكرة التي تقولها للناس ما مصدرها؟ ما الدليل عليها؟ هل هي صحيحة؟ أمعك عليها دليل من كتاب الله ومن سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام؟ من قال هذا؟ أما أن نأخذ الأشياء على عواهنها، إنسان تكلم، مثقف قال، كتاب قُرِئ، مقالة قرئت، واعتنقنا شيئاً، هذا الدواء يزيد في العمر، هناك آية قرآنية:

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34)﴾

سورة الأعراف

هذه المقالة التي قرأتها في هذه المجلة كلام باطل، وعقيدة ضالّة، وفكرة واهمة، لأنها تُناقض آية صريحة في كتاب الله، قد يقول لك قائل: إن الله عزّ وجل يُدْخِل الناس الجنة بلا عمل، إذاً بالأمل؟! قال تعالى:

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (92)عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (93)﴾

سورة الحجر

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (32)﴾

سورة النحل

أية فكرة إياك أن تقبلها ما لم تكن صحيحة وفق كتاب الله، والإنسان عليه أن يسأل أهل الذكر إن كان لا يعلم، هكذا قال الله عزّ وجل:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)﴾

سورة النحل

أنت عود نفسك، في العقيدة لا يجوز التقليد، لك أن تُقلِّد الصالحين في أعمالهم، لك أن تُقلد في الأعمال، الصالح يُقلَّد، العالم يُقلَّد، من قَلَّد عالماً جاء يوم القيامة غانماً، لكن في العقيدة لا يُقبَل التقليد، لأنك إذا قلّدت في العقيدة لا تملك البرهان، قد يأتي إنسان فيقنعك بعكسها، العقيدة يجب أن تؤخذ بالدليل القطعي الساطع، لذلك الأشياء التي يجب أن تعتقد بها بالضرورة هي أخطر ما في الجانب العقيدي في الإنسان.

إذاً أن تأتيك خاطرة، أن تُفكر في موضوع، أن تصل إلى شيء، أن تقرأ مقالة، أن تجلس إلى رجل يقول لك كذا وكذا، من دون أن تطالبه بالدليل النقلي من كتاب الله، ومن الحديث الشريف المتواتر، من دون أن تطالبه بالدليل فقد تتسرب إليك عقيدة ضالة، لذلك أحياناً الأفكار المنحرفة تَرُوج بين البسطاء، وبين أنصاف المثقفين، وبين العامة، لأن هذا العامي لا يطالبك بالدليل، ليس في إمكانه أن يناقشك، ليس في مقدوره أن يسألك: من أين جئت بهذه الفكرة؟ هو يسكت، قد يأخذ الفكرة من قائلها إذا كان عظيماً، أو إذا كان مُفوَّهاً، أو إذا كان متكلماً، أو إذا كان وجيهاً، يأخذها على عواهنها هذا خطر كبير.

## 2- اعتبار العقل هو الميزان لا الشرع:

أحياناً العقل كما قلت لكم الدين بالنقل، وبالعقل الموافق للنقل، نحن بالنقل نعتقد، وبالعقل نفهم ما نعتقد، بالنقل نعتقد وبالعقل نفهم ما نعتقد، العقل قوة إدراكية لفهم ما جاءنا بالنقل عن الله عزّ وجل، وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلذلك حينما يُعتَمد على العقل وحده، قد يضعف العقل، وقد يضلّ العقل، وقد يتيه العقل، وقد يغلو العقل، وقد ينحرف العقل، لذلك الله عزّ وجل وضع الشرع ميزاناً للعقل، وضع العقل ميزاناً للكون، ووضع الشرع ميزاناً للعقل، قال تعالى:

**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (7)**

**سورة الرحمن**

فالعقل ميزان، والشرع ميزان على الميزان، فالفكرة التي تتطابق مع كلام الله ومع المنطق ومع الواقع، هذه مقاييس ثلاث أن تؤيدها الأدلة النقلية، وأن تؤيدها الأدلة العقلية، وأن تؤيدها الأدلة الواقعية.

## 3- التقليد الأعمى للآباء:

أحياناً التقليد أعمى، هذا مرض خطير، قال تعالى:

بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)

**سورة الزُخرُف**

سمّوه علماء الاجتماع قوة الاستمرار، مجتمع نشأ على تقديس البقر مثلاً، كما في الهند، البقرة شيء مقدس، هناك مجاعات، مئات الألوف يموتون جوعاً، وأكبر قطيع من الأبقار في العالم في الهند، البقر لا يُذبح إلى أن يموت وبعدها يُدفن ويُقدّس، فكيف انتشرت هذه الضلالات؟ بحكم التقليد، جيل عن جيل، جيل عن جيل وَرِث هذه المقدسات وتابعها، فالإنسان ينبغي أن يكون حرّ التفكير، أن يبني بنيانه الفكري على بينة، على أدلة، على واقع، فالتقليد الأعمى سبب خطير جداً من أسباب الضلالات، الكلام الشائع الآن بين الناس: هكذا نشأنا، هكذا ربينا، هكذا كان آباؤنا، هكذا فعلنا، ومن قال لك ذلك؟ أحياناً يقول لك: هكذا ربينا، كنت مرة في قرية، يأتي البدوي يحتاج إلى ثمن علف، يضطر إلى أن يبيع الصوف، الذي سوف ينبت على ظهور أغنامه في الموسم القادم بثمن بخس، يقول لك: بيع السلم، بيع السلم حقّ، لكن أن ينقلب بيع السلم إلى ربا فاحش، سعر رطل الصوف مثلاً ثلاثون تشتريه بخمسة عشر، تدفع له مقدماً ثمن الرطل خمسة عشر لتأخذه في موسمه بهذا الثمن البخس، هذا أحد أنواع الربا، المظهر مظهر بيع سَلَم، أما الحقيقة فهو ربا، يقول لك: هكذا نشأنا، هكذا تربينا، هكذا نفعل جميعاً.

كل اعتقاد، أو كل سلوك، أو كل علاقة مالية، أو اجتماعية مبنية على سبب واه هي ضلالة، أحياناً ينشأ بحياتنا الاجتماعية اختلاط، يقول لك: هكذا ربينا، هكذا نشأنا، هكذا أبونا علمنا، على هذه الطريقة كبرنا، هذا كلام مرفوض، لأن المسلم يبني عقيدته على الوضوح والأدلة، فكل سلوك منحرف مرفوض ولو أن الناس مشوا عليه أجيالاً إثر أجيال، قال تعالى:

**وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آَبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آَبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (170)**

**سورة البقرة**

أي دعوا في أذهانكم موضوع التقليد الأعمى، التقليد الأعمى أحد أسباب الضلال، لا ينبغي أن تُتابع الناس على ضلالهم، ولا أن تَرِث منهم ضلالهم، ولا أن تنشأ كما نشؤوا، ولا أن تنحرف كما انحرفوا، ولا أن تزيغ كما زاغوا، الله سبحانه وتعالى يُحاسبك وحدك يوم القيامة، حينما تأتيه فرداً، لا مُعين ولا نصير، قال تعالى:

**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (94)**

**سورة الأنعام**

## 4- الغلو في تقديس الأشخاص:

لا تنسوا أن السبب الأول هو الغرور بالنفس، اعتقدت عقيدة ما وضعتها على المحك، ولا على قوانين الشرع، ولا على أدلة العقل، اعتقدت بها من دون تمحيص، بدافع الغرور هذا سبب، والسبب الثاني: العقل الذي اعتمدت عليه وحده قد يضعف، وقد يضلّ، وقد يزلّ، وقد ينحرف، وقد يغلو، وقد يُقَصّر، هذا سبب ثان، والتقليد الأعمى سبب ثالث لتسرب الضلال إلى عقيدة الإنسان.

أحياناً المبالغة في تقديس بعض الناس، الإنسان له حجم، أغلب الظن أن المعتقدات الباطلة قد تتأتى من إنسان عظَّمه الناس فوق ما ينبغي، هؤلاء الصالحون قد يموتون ويعظّمهم الناس إلى درجة أنهم يُصبغون عليهم صفات فوق صفات البشر، ويُعزون كل خرافة، وكل شطحة، وكل انحراف إليهم، فالمبالغة في تقديس بعض الناس أحد أسباب الضلال، أنا دائماً أردد هذه الآيات، النبي صلى الله عليه وسلم، سيد الخلق، وإمام المرسلين، وسيد الأنبياء، وأول خَلْقِ الله، وأعظم إنسان على وجه الأرض، ومع ذلك له حجم، من ملامح حجمه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى:

**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (188)**

**سورة الأعراف**

الآن أي ولي يدّعي الولاية، ويقول لك: أنا أملك لك نفعاً أو ضراً، هذا ضلال، إذا كان النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الأنبياء والمرسلين، وسيد الأولياء والصالحين، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، إذا كان عاجزاً عن أن يملك لنفسه النفع والضر أفيكون قادراً على أن يملك لك النفع والضر؟ من باب أولى لا، إذا كنت أنا لا أستطيع أن أفعل هذا لنفسي أفبإمكاني أن أفعله لكم؟ انظر هذه الآية ما أجملها! ﴿**قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلَا ضَرّاً**﴾ حينما تعزو بعض الأعمال الخارقة لإنسان هذا اعتقاد باطل، النبي عليه الصلاة والسلام لا يملك لكم نفعاً ولا ضراً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي اللَّه عَنْهم قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حِينَ أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) قَالَ: (يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ -أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا- اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ، لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ لاَ أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، يَا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُغْنِي عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَيَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، **وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي لاَ أُغْنِي عَنْكِ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا.**

**رواه البخاري ومسلم**

حجم آخر:

**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (50)**

**سورة الأنعام**

سيد العالمين، سيد ولد آدم ولا فخر، سيد الأنبياء والمرسلين، صاحب الخلق العظيم لا يعلم الغيب، فأي إنسان ادّعى علم الغيب فهو كاذب، وهو منحرف، وهو ضال.

حجم ثالث، قال تعالى:

**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آَيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآَنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (15)**

**سورة الأنعام**

ممكن أن يكون وليّاً مقيماً على معصية؟ هذا الولي لا تضره هذه المعصية، هذا الكلام ليس صحيحاً، هذا الكلام يتناقض مع كلام الواحد الديان، يقول لك: قل يا محمد لهم: ﴿**إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾ إذاً هذا النبي الكريم يخاف المعصية، ولا يملك النفع والضر لنفسه، فضلاً عن الآخرين، ولا يعلم الغيب، فأي إنسان مهما علا شأنه إذا ادّعى علم الغيب أو ادّعى أن بيده النفع والضر، أو ادّعى أن المعصية لا تضره، هو إنسان ضالّ كاذب، هذه مقاييس أضعها بين أيديكم، مقاييس مستنبطة من كتاب الله.

فلذلك المبالغة في تقديس بعض العلماء من الناس، وأن تنسب كل انحراف، أو فكرة ضالة، أو شطحة إليهم، هذا من الضلال، هل يمكن أن يكون الولي فوق النبي؟ هل يمكن أن نقبل أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء؟ هل يمكن أن نقبل من يقول: إنني خُضت البحر الذي وقف بساحله الأنبياء؟ لا، أعظم الأولياء دون آخر الأنبياء، هذا مقياس، فالإنسان عندما يسمع قصصاً، يُنقح، يمحص، يدقق، يحقق، يطلب الدليل، يقرأ كتاب الله، قبل كل شيء أطمئنكم أن كتاب الله هو كتاب عقيدة، هذا الكتاب الذي أُدرِّسه كل فكرة فيه معتمدة على آية قرآنية، هذه الفكرة وهذه الآية، إذاً أنت إذا قرأت القرآن الكريم، واستمعت إلى تفسيره، وتابعت دروس التفسير، مع مرور الأيام والأسابيع والأشهر والسنوات كأنك تعرف حقيقة العقيدة، لأن الله عز وجل كل شيء يجب أن نعتقد به ورد ذكره في القرآن الكريم، فقراءة هذا الكتاب العظيم هو كتاب عقيدة، وكتاب أحكام، وكتاب سير، وكتاب مواعظ، وكتاب قصص حكيمة ذات عبرة بليغة، وكتاب آيات كونية، لذلك تجد كتاباً شهيراً جداً: تفسير آيات الأحكام، تفسير الآيات الكونية في القرآن، القصص في القرآن، هذه كلها، مشاهد القيامة في القرآن، فهذا القرآن العظيم يمكن أن تُستنبط منه كتب كثيرة، كتب العقيدة تأخذ من القرآن، كتب قصص الأنبياء تأخذ من القرآن، وهكذا.

## 5- الاعتماد على الفلسفة وحدها:

شيء آخر ؛ لا زلنا في الانحراف الفكري، هناك فلسفات ناقصة، هذه الفلسفات الناقصة هي تُسَبِّب بعض الضلالات الاعتقادية، أي الفلسفة التي تعتمد على العقل وحده هذه فلسفة ناقصة، العقل وحده ليس مؤهلاً أن يُثبِت شيئاً في الدين أو أن يرفضه، لكن العقل مسموح له أن يفهم ما ورد بالنقل الصحيح، فحينما نعتمد على العقل وحده وهذا ما فعله المعتزلة حينما اعتمدوا على العقل وحده في إثبات أو نفي حقائق الدين، العقل قد يَضِل، العقل كأنه عين النفس، هذه العين تحتاج إلى نور، كذلك العقل يحتاج إلى هدى، العقل من دون هدى أعمى، والعين من دون ضوء عمياء، فالفلسفة التي تعتمد على العقل وحده فلسفة ضالة، كل فلسفة تُحكِّم العقل من دون أن تنظر إلى ما ورد بالنقل هذه الفلسفة لابد من أن تنحرف.

إن عقولنا لا تستطيع وهي مستقلة أن تُدرك شيئاً من الحقائق الثابتة لذواتي ولصور الأشياء الداخلة في عالم الغيب، إذا إنسان ذكي جداً مهما كان عبقرياً من دون نقل، من دون كتاب الله، كيف يعرف ما سيكون يوم القيامة؟ البرزخ وعذاب القبر والحشر والميزان والصراط والجنة والنار والعفو والشفاعة، هذه الأمور الدقيقة أنى للعقل أن يعرفها من دون هدى؟ من دون نقل؟ وما كان في عالم الأزل، هذا كله من الضلال أن تعتقد أن العقل وحده من دون اعتماد على النقل الصحيح يصل العقل إلى الحقيقة، العقل عين تحتاج إلى نور، العقل عين تحتاج إلى هدى.

إذاً من أسباب الضلال أيضاً أن تعتمد بعض الفلسفات على جانب دون آخر، فالذين اعتمدوا على عقولهم وحدها أحياناً وقعوا في التشبيه، أي شبهوا الإله العظيم ببعض مخلوقاته، وهذا زيغ كبير في العقيدة، وبعضهم وقع في التعطيل، أي عطل التشابيه، أو عطل المجازات القرآنية التي وردت في حقّ الله عزّ وجل، هناك من عطلها، وهناك من جسدها، وكلاهما اعتماداً على عقله وحده وقع في ضلال.

ولو أن جميع الذين ضلّوا في عقائدهم بسبب تحكيم عقولهم في أمور الغيب رجعوا إلى عقولهم ببصر نافذ، وإذعان للحق، واعتراف بالعجز، لقالوا: إن عقولنا محدودة بحدود المحسوسات، فلا يمكن أن نعرف بها بشكل مستقل صورة ظاهرة من صور الغيب يمكن أن نتخيلها.

طبعاً دائماً اعترف أن عقل الإنسان مثل الميزان، له حدود قصوى، هناك ميزان مكتوب عليه: خمسون كيلو، لو فرضنا وضعت فوقه طرداً وزنه خمسمئة كيلو فكُسر الميزان، هل تتهم هذا الميزان أنه سيئ؟ لا، هذا الميزان حينما صُنِع وُضِعت حدود دقته في حدود استعمال الخمسين كيلو، أما أكثر من ذلك يتحطم، كذلك هذا العقل حينما وهبنا الله إياه وُضِع بطريقة أنه يُستخدم استخداماً رائعاً في الاستدلال الحسي، أي تستطيع أن تأخذ من الواقع دليلاً على شيء مُغَيب عنك، أبسط شيء أنك إذا رأيت المصباح الكهربائي متألقاً هذا العقل يحكم بشكل قطعي على أن في الأسلاك كهرباء، ولو أنك لا تراها، هنا دائرة العقل، الاستدلال بشيء محسوس عن شيء مغيب، أما عالم الأزل وعالم الأبد وعالم ما قبل الحياة وما بعد الموت لا يوجد شيء محسوس نتخذه أساساً للاستنتاج، فلذلك استخدام العقل وحده في المغيبات أحد أنواع الضلال.

يوجد عندنا فلسفات تافهة، وناقصة تعتمد على الحس وحده، كل شيء غير مادي، غير حسي، غير صحيح، هذه الفلسفة الوجودية المادية التي لا تعتمد إلا على الحس، كل شيء مُغَيّب عنا يُنكره المنكرون، ويجحده الجاحدون، إذاً هذه الفلسفات التافهة والناقصة أيضاً فلسفات تُسبّب الضلال الاعتقادي.

الذي نؤكده أن البند الثاني مهم جداً في هذا الموضوع وهو أحد أسباب الضلال الاعتقادي الانحراف النفسي، هذه مهمة جداً، أول سبب: الانحراف الفكري، فلسفة تافهة، فلسفة ناقصة، مبالغة في تقديس بعض الناس، ضعف العقل، التقليد الأعمى، الغرور بالنفس، هذه كلها أسباب فرعية لسبب كبير وهو الانحراف الفكري عن منهج التفكير السليم.

## أسباب ضلال الانحراف النفسي:

### 1- اتباع الهوى والشهوات:

أما الشيء الخطير الآن أن الانحراف النفسي عن منهج الخلق القويم أحد أسباب الضلال الاعتقادي، مثلاً إذا إنسان شهواني، يحب الاختلاط، هذا الإنسان حينما اتبع شهوته حدث في نفسه خلل، اختلال توازن، هذا الخلل كيف يُرمّم؟ يُرمم بالاعتقاد الفاسد، يقول لك: هذا لابد منه من أجل تهذيب المشاعر، وتنقية الأجواء، وتلطيف الأجواء، يأتي بالاختلاط ليجعل منه طريقاً إلى سمو النفس، لأن تعلقه بالاختلاط هو

انحراف في الشهوة، هذا الانحراف سبّب اختلالاً في التوازن النفسي، هذا الاختلال يُرمم هكذا، الذي يأكل الربا تراه يعتقد أن قوله تعالى:

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130)**

**سورة آل عمران**

يقول لك: الذي حرمه الله عزّ وجل هذه الفوائد المُركبة الكبيرة جداً، هذا فقط محرم، وهذه الآية، إذاً كيف ضلّ عقله في فهم هذه الآية؟ لأنه منحرف في أكل الربا، أكله للربا جعله يعتقد أن هذه الآية تعني كذا وكذا، هذه نقطة خطيرة جداً، الإنسان الذي يعاني انحرافاً أخلاقياً، أو واقعاً في معصية مُصرّ عليها، أو له زيغان عن الحق، هذا الانحراف الأخلاقي يدفعه شاء أم أبى إلى تَخيُّل عقيدة فاسدة.

شخص يغش: يقول لك: يا أخي أنا عندي أولاد، والعمل عبادة، ولا أقدر أن أضيع أولادي، فأنا مضطر أن أعمل ذلك، يستحلّ الغش ليُبرر عمله السيئ، والذي يأكل أموال الناس بالباطل، يستحلّ أكل أموال الناس بالباطل ليغطي انحرافه السلوكي، هذه نقطة مهمة جداً، أي أربعة أخماس الضلال الاعتقادي سببه الانحراف الأخلاقي، كل منحرف أخلاقياً في كل شأن من شؤون الحياة، فيما يتعلق بكسب المال أو في الشهوات، هؤلاء المنحرفون أخلاقياً يتعلقون بعقائد ضالة وزائغة، لأن هذه العقائد الضالة الزائغة تغطي انحرافهم.

مثلاً المقيم على معصية، الذي يأكل المال الحرام، هذا يعتقد بمفهوم ساذج للشفاعة، لماذا هذا المفهوم الساذج غير الصحيح؟ هذا يُنَجيه من عذاب النار، يتعلق بهذا المفهوم حتى يستعيد التوازن الذي اختلّ في هذه المعصية، لو أن طالباً أمضى العام الدراسي كله من دون دراسة، شاعر بخلل داخلي، فإذا سمع هذا الطالب مِن طالب آخر أن الأستاذ يمكن أن يعطي الأسئلة في آخر العام مقابل مبلغ ضخم، الفكرة هذه خرافة، تراه يصدقها، ويطمئن لها، ويتمسك بها، لأن هذه الفكرة الخرافية الضالة تُعيد له التوازن الذي اختلّ بعدم الدراسة، كل إنسان ينحرف اخلاقياً بشكل أو بآخر يتعلق باعتقاد زائغ، باعتقاد ضال، لذلك قال تعالى:

**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)**

**سورة الماعون**

هو نفسه، آية ثانية:

**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ** وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (50)

**سورة القصص**

إن لم يستجب، إذا أصرّ على عقيدة ضالة، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم، هذه حقيقة مهمة جداً أتمنى عليكم أن تكون دائماً في أذهانكم، أن الذي تُناقشه إذا أصرّ على الضلال، أصرّ على الزيغ والانحراف، يجب أن تعلم علم اليقين أنه يدافع عن أخطائه، وعن انحرافه، عن ضلاله السلوكي، يدافع عن ضلاله السلوكي بالضلال الاعتقادي.

والإنسان دائماً يعتقد عقيدة تغطي انحرافه، هؤلاء الذين أباحوا لأنفسهم أن يفعلوا كل شيء غير صحيح، العقيدة التي تُناسب هذا الانحراف الخطير أن تُنكر وجود الله عزّ وجل، وتنكر المسؤولية كلها، لذلك العقيدة تَضِلّ وتنحرف تماماً بنسبة انحراف السلوك، كلما كانت زاوية الانحراف كبيرة كلما كانت زاوية انحراف العقيدة كبيرة، فإذا كان الانحراف شاملاً كان الإلحاد شاملاً، إذاً: ﴿**أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ**﴾، ﴿**فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ**﴾ هناك آية دقيقة جداً أخذناها في الدرس الماضي:

**بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (5) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (6)**

**سورة القيامة**

هذا الفاجر المنحرف هو الذي يُنكِر أو يسارع في إنكار يوم القيامة، هناك آية ثانية:

**وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12)**

**سورة المطففين**

فالتكذيب بالعقيدة الصحيحة سببه الانحراف الخطير.

## 2- أمراض القلب ويشمل الحسد والحقد والكِبر والنوازع النفسية المتنوعة:

الشيء الآخر؛ الحسد أحد أسباب الضلال، أنت حينما تستمع إلى الحقيقة من إنسان تحسده تردها عليه، وتُصرّ على الباطل حسداً من عند النفس لردّ هذا الذي يقول لك الحقيقة الصافية، أحياناً الحسد يُسَبب الضلال الاعتقادي، قال تعالى:

**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ (87)**

**سورة البقرة**

**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (109)**

**سورة البقرة**

لماذا؟ ﴿**حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ إذاً دافع الحسد قد يُسبّب الاعتقاد الضلالي، والانحراف النفسي عن منهج الخلق القويم أيضاً يسبب الضلال الاعتقادي، والنوازع النفسية الرامية إلى تحقيق مطالبها بالشذوذ، شخص يبتغي الغنى السريع بأقرب وقت ممكن، الغنى السريع لا يكون بالطرق المشروعة، إلا أن يلجأ إلى طرق غير المشروعة كالاحتكار، والاستغلال، والغش، وما شاكل ذلك، فالذي يستبيح الاحتكار، ويستبيح الغش، هو انحراف خطير أراد به أن يصل إلى هدفه بأقرب وقت، فاعتقد ضلالاً أن بعض الأشياء المحرمة ليست محرمة، وقع في الضلال أيضاً.

والكبر أيضاً أحد أسباب الانحراف الاعتقادي، أي يعتقد فكرة حمقاء، أو ساذجة، أو ضالة، أو زائغة، ولا يتراجع، يُصرّ عليها بدافع الكبر، وهذا أيضاً أحد الأسباب التي تُسبب الهلاك.

وكذلك الأحقاد المتوارثة أيضاً تُسبب بعض الضلال الاعتقادي، هذا بين الملل والنِّحل إذا كان بينها أحقاد متوارثة، هذه أيضاً سبب من أسباب الضلال الاعتقادي.

## 3- ضعف الإرادة:

قد يكون السبب الأخير كما قال الله عز وجل ضعف الإرادة، قال تعالى:

**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ (54)**

**سورة الزُخرُف**

الإنسان أحياناً تضعف إرادته عن أن يُجابه الباطل، فيعتقد بالباطل ابتغاء السلامة، وخوفاً من المضايقات، فهذا الضعف النفسي أدّى به إلى اعتقاد ضلالي، وهذا سبب أخير من أسباب الضلالات، كما قلت قبل قليل: أخطر ما في حياة المسلم أن يكون مُعتقداً عقيدة ضالة، وأسبابها كما قلت: انحراف عن منهج الفكر السليم، أو انحراف نفسي، أو ضعف إرادي، أسباب ثلاث فُصِّلت في هذا الموضوع.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 59-63: المكفرات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## من أنكر شيئاً من مُسَلمات الدين فقد كفر:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس التاسع والخمسين من دروس العقيدة.

وصلنا في موضوعات العقيدة إلى موضوع دقيق هو موضوع المُكفِّرات، لأن المسلمين فيما بينهم قد يقعون في منزلق خطير، وهو أن الذي يخالفهم يُكَفِّرونه، فالتكفير شيء خطير جداً، فمن كَفَّر مسلماً فقد كَفَر، لذلك يجب أن نعلم ما حدود الكفر وما حدود الإيمان.

في هذا الفصل حديث عن المُكفِّرات، وقبل الخوض في هذا الموضوع لابد من تقديم قصير.

كنا قد شرحنا سابقاً أن الإسلام هو انقياد كلي للشريعة الإلهية، فالذي ينقاد بجوارحه، وحواسه، وكل حركاته وسكناته، ويؤدي العبادات، ويُطبق المنهج الرباني، هذا يسمى مسلماً، لأنه استسلم لهذا الشرع الحنيف، فإذا خرج عن هذا المنهج يُسمى فاسقاً، لأن فسق بمعنى خرج، أما الإيمان فشيء آخر، الإيمان تصديق أولاً، وإقبال على الله ثانياً، من علامات التصديق أنك تُقْبِل على الله عز وجل، بينما الكفر تكذيب وإدبار، الإيمان تصديق وإقبال والكفر تكذيب وإدبار، فحينما يُنكِر الإنسان أحد العقائد التي يجب أن تُعلَم بالضرورة فقد كفر، إذا أنكرها، لذلك الكفر كما تعلمون نقيض الإيمان، والكفر إذاً هو عدم التصديق ولو بشيء مما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ووصل إلينا بطريق يقيني قاطع، الشيء الذي وصل إلينا بطريق يقيني قاطع هذا إذا أنكرناه فقد كفرنا.

والإمام الرازي في تفسيره الكبير يقول: الكفر عدم تصديق الرسول بشيء مما عُلِم بالضرورة مجيئه به.

أقول هذا الكلام مراراً، هناك مجموعة من العقائد يجب أن تُعلَم بالضرورة، فالاعتقاد بها إيمان، وإنكارها كفران، والكفر هو إنكار عقيدة وصلت إلينا بطريق قطعي الثبوت، قطعي الدلالة، يقيني، فالإيمان لا يَتِم إلا بالتصديق بجميع ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام، لأن جميع أركانه مع فروعها وِحْدة متماسكة تماسكاً تاماً.

## العقائد التي يجب أن تُعلَم بالضرورة تصديقها إيمان وإنكارها كُفران:

الإسلام كلّ لا يتجزأ، فيجب أن تؤمن بكل عقائد الإسلام إيماناً تاماً، فلو اختلّ شيء من هذه العقائد ولم تؤمن به بل أنكرته فهذا هو نوع من أنواع الكفر، ما الدليل على ذلك؟ طبعاً يَكفر من ردّ العقائد التي يجب أن تُعلَم بالضرورة، ويَكفُر من ردّ بعضها، والدليل قول الله عزّ وجل مخاطباً اليهود في سورة البقرة:

**ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (85)**

**سورة البقرة**

إذاً مجموعة العقائد التي يجب أن تُعلَم بالضرورة تصديقها إيمان، وإنكارها كُفران، وإنكار بعضها كفران، فالذي يُنْكِر فرضية الصلوات الخمس، هذا كافر، ليس الذي يترك الصلاة، من ترك الصلاة تهاوناً لا يسمى كافراً، لكنه من أنكر فرضيتها وقال: لِمَ الصلاة؟ ما فائدتها؟ هذه لا جدوى منها، من قال كذلك فقد كفر، أو أنكر شيئاً من القرآن الكريم الثابت بالتواتر، أو اعتقد إباحة الزنا، وقد حرمه الله عزّ وجل، أو اعتقد إباحة الخمرة، وقد حرمها الله عزّ وجل، إذاً كل شيء معلوم من الدين بالضرورة إنكاره كُفر.

## النقيضان لا يجتمعان:

هناك موضوع دقيق هو من آمن بشيء فقد كَفَر بنقيضه، والشيئان النقيضان يعنيان أن أحدهما ينْقُض وجود الآخر، فالضوء ينقض الظلمة، والظلمة تنقض الضوء، إثبات الظلمة هذا الإثبات يُنكر وجود الضوء، وإثبات الضوء يُنكر وجود الظلمة، فالضوء والظلمة شيئان متناقضان، والإيمان والكفر شيئان متناقضان،

فمن آمن بشيء فهو كافر بنقيضه، ومن كفر بشيء فهو مؤمن بنقيضه، هذه قاعدة مُسَلّم بها، دليلها مِن كتاب الله قول الله عزّ وجل:

**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)**

**سورة البقرة**

إذاً الإيمان بالشيء يقتضي الكفر بنقيضه، مثلاً: عن عبد الله بن مسعود: **مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَو ساحراً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.**

**همام بن الحارث: ابن كثير: إسناده جيد**

أُنزل على محمد هذا القرآن، وكل هذا القرآن يؤكد أنه لا إله إلا الله، فإذا اعتقدت أن الكاهن يعلم الغيب فهذا كفر، قال الله تعالى:

وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ **وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)**

**سورة هود**

فإذا اعتقدت أن الكاهن يعلم الغيب اعتقادك بهذا ينتج عنه كفر يقيني بالله عز وجل، **((مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَو ساحراً فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ))** إذاً الإيمان بالشيء يقتضي الكفر بنقيضه.

## أصول المُكفّرات:

المُكفّرات لها أصول، هذه الأصول مأخوذة من: الإيمان ما وقر في القلب، وأقرّ به اللسان، وصدقه العمل، نحن كبشر عاجزون عن أن نعلم ما في القلوب، ما في القلوب لا يعلمه إلا علّام الغيوب، ونحن البشر نحكم بالظاهر، والله يتولى السرائر، والحديث الشريف الشهير حينما عاتب النبي عليه الصلاة والسلام أحد أصحابه الكرام في بعض المعارك حيث قتل رجلاً، وقبل أن يُقتل شهد أنه لا إله إلا الله، قال: يا رسول الله قالها ليتقي القتل، عن أسامة بن زيد رضي الله عنه: فقال عليه الصلاة والسلام: **أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى** تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟ !فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَومَئِذٍ. "

**صحيح مسلم**

لا يعلم ما في القلوب إلا علّام الغيوب، أما البشر فنحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

## أنواع المُكفّرات:

### 1- المكفرات الاعتقادية:

ما دام الإيمان شيئًا وقر في القلب، وأقرّ به اللسان، وصدقه العمل فهناك المُكفرات الاعتقادية، وهناك المُكفرات القولية، وهناك المُكفرات العملية، أي هناك اعتقاد يُكفّر صاحبه، وهناك قول يُكفّر صاحبه، وهناك عمل يُكفّر صاحبه، فإنكار الخالق جلّ وعلا كفر ما بعده كفر، وهذا يسمى أيضاً بالإلحاد، إنكار وجود الخالق، إنكار صفات الكمال فيه، قال تعالى:

**وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (180)**

سورة الأعراف

من يُنكر رحمته، أو حكمته، أو عدالته، أو لطفه، أو قدرته فقد كفر، من أنكر وجوده فقد كفر، ومن أنكر صفات الكمال فيه فقد كفر، أو من وصفه بما هو مُنَزه عنه فقد كفر، مَن قال إنه غير محيط علماً بكل شيء فقد كفر، من قال إن الله لا يعلم بما سيكون فقد كفر، لأن الله عَلِم ما كان وعَلِم ما يكون وعَلِم ما سيكون وعَلِم ما لم يكن لو كان كيف كان يكون، إذا أنكر المرء وجوده أو أنكر علمه أو أنكر حكمته، لم هذا الزلزال؟ لم هناك مجاعة في الأرض؟ إنك بهذا تُنكر حكمته، من أنكر علمه أو حكمته أو عدالته أو رحمته أو قدرته فقد كفر.

من نفى عنه كمال القدرة، لم ينفِ قدرته، لكنه نفى كمال قدرته، أو كمال علمه، أو كمال عدله فقد كفر، لذلك موضوع العقيدة أخطر موضوع في الدين، يجب أن تعلم علم اليقين ما ينبغي أن تعتقد به.

من أنكر إرسال الأنبياء أو بعث الرسل فقد كفر، من كذبهم فيما نقلوا عن الله عزّ وجل فقد كفر، من أنكر نبياً واحداً منهم فقد كفر، من أنكر رسالة واحد منهم فقد كفر، من أنكر الأمور الغيبية التي نُقِلت لنا عن طريق الكتب السماوية القطعية الثبوت، القطعية الدلالة التي جاءتنا عن طريق التواتر، وتعريف التواتر ما

رواه الجمع عن الجمع من العدول الثقاة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب، فمن أنكر الملائكة فقد كفر، لأن الله عزّ وجل في القرآن الكريم ذكر الملائكة، من أنكر الجِن فقد كفر، من أنكر الكتب السماوية إجمالاً فقد كفر، من أنكر بعض الكتب السماوية فقد كفر.

بعض أنواع المُكفرات الاعتقادية يتعلق بالله عزّ وجل، وبأسمائه الحسنى، وبعض هذه المكفرات يتعلق بالأنبياء، وبعض هذه المكفرات يتعلق بالغيبيات، وبعض هذه المكفرات يتعلق بالأحكام الشرعية، فمن زعم أن الصلاة غير واجبة فقد كفر، من أنكر تحريم المحرمات، وزعم أنها غير مُحرمة، الله عز وجل لم يحرم الخمر، هكذا يقول بعضهم، من أنكر تحريم الزنا، أو أنكر تحريم الربا، أو عقوق الوالدين، أو أكْل أموال الناس بالباطل، أو القتل بغير الحق، من اعتقد أن الزواج لا جدوى منه، السفاح أفضل من الزواج، هذا كافر.

بمعنى أي شيء شرعه الله لنا بالدليل القاطع إنكار الذي أُمرنا به كفر، وتحليل الذي حُرّم علينا كفر، إذاً هذه المكفرات الاعتقادية، من قال بلسانه: أنا أعتقد كذا وكذا من هذه البنود فهذه مكفرات اعتقادية، فالإباحيون قطعاً كفار، أصحاب الأهواء الشهوانيون الذين يعيشون للذاتهم ولا يبالون كيفما اقتنصوا هذه اللذات، أمن طريق مشروع أم من طريق محرم؟ هؤلاء بالنص الدقيق هم كفار.

## 2- المكفرات القولية:

أما المكفرات القولية، من استهزأ بالدين، أو استهزأ بعقائده، سُباب الخالق جلّ وعلا، سُباب الرسل الكرام، سُباب الكتب السماوية، سُباب الدين، هذه كلها مُكفّرات قولية، الاعتراض على عدالة الله عزّ وجل، الاعتراض على قضاء الله وقدره، هذا كله من المكفرات القولية، لكن هذه المكفرات القولية لا تكون مكفرات قولية إلا بشرط أن تكون في حالة يؤاخذ فيها الرجل على إقراره، فلو كان مكرهاً، أو لو كان غائباً عن الوعي، فلا يُكفّر بهذه الأقوال، لو كان كافراً أصلياً وقال هذه الأقوال فهو قد عَبّر عن كفره، ومن كان مسلماً وقال مثل هذه الأقوال فقد ارتد عن دينه، على كلّ كما قال عليه الصلاة والسلام: عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ **تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ.**

**أخرجه ابن ماجه : صحيح**

بعض أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام عليهم رضوان الله في وضع صعب جداً بين أيدي كفار مكة وهم يعذبونه، أكرَهوه على أن ينطق بكلمة الكفر، فلما جاء النبي عليه الصلاة والسلام، خفف عنه، وقال: لا عليك فإن عادوا فعد، ونزل قوله تعالى:

**مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (106)**

**سورة النحل**

## 3- المكفرات العملية:

المكفرات العملية طبعاً الأعمال تُعبّر عما في القلوب، والأقوال تُعبر عما في القلوب، وإذا عبرت عما في قلبك بلسانك فهذه كلها مكفرات، تمزيق المصحف هذا من المكفرات، إلقاؤه في القاذورات، السجود لصنم، هذا من المكفرات، من أتى فعلاً من هذه الأفعال، وقامت القرائن على أنه غير معذور، ولا مضطر، ولا مُكره، وليس جاهلاً بهذا، طبعاً هذا ينسحب عليه حكم الكفر.

يتضح من هذه المُكفّرات أن الإنسان لا يُكفَّر إلا إذا صرح، أو قال، أو عمل عملاً من لوازم الكفر، أما أن نحكم به ظناً فهذا من الكبائر، تكفير المسلم من الكبائر، مسلم قائم بواجباته، قائم بعباداته، يؤدي ما عليه، لأنه اختلف معك في الرأي في الفروع ولا في الأصول تُكفره؟! هذا من الكبائر، الإمام الذهبي في كتاب الكبائر عدّ تكفير المسلمين من الكبائر، فلذلك الإنسان هذا الموضوع له هدفان، الأول أن يعلم ما المُكفرات الاعتقادية؟ وما المكفرات القولية؟ وما المكفرات العملية؟ من أجل ألا يتورط في اتهام الناس بالكفر، حتى لو اتهمتهم بالكفر في نفسك وقعت في الكبائر، الغيبة في بعض حدودها غيبة القلب، إذا اعتقدت أن هذا الذي أمامك ليس مؤمناً من دون دليل قطعي فهذا كفر، وهو من الكبائر.

## أصناف أهل الكفر:

### 1- الكافرون الضالون:

صُنِف الكفار على أربعة أصناف، الصنف الأول: الكافرون الضالون، وهم الذين يُنكرون الله بألسنتهم، لأنهم لا يعلمون وجوده في قلوبهم، وقد أشار كتاب الله عزّ وجل إلى هذا النوع في سورة الفاتحة فقال:

**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (5) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (6) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (7)**

سورة الفاتحة

الضالون الذين أنكروا وجود الله بألسنتهم لأنهم ما عرفوه في قلوبهم، قال تعالى:

**أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (19)**

سورة الرعد

### 2- الكافرون الجاحدون:

الصنف الثاني الكافرون الجاحدون، وهم الذين يُنكرون الله بألسنتهم مع أنهم يعلمون وجوده في قلوبهم، ككفر بعض كفار قريش، كفر بعض اليهود الذين عرفوا أن النبي محمداً عليه الصلاة والسلام هو رسول الله، ومع ذلك أنكروا رسالته، الذي يعرف في قلبه ويُنكر في لسانه هذا كافر جاحد، والذي يُنكر بلسانه ولا يعرف في قلبه فهذا كافر ضال.

### 3- الكافرون المعاندون:

أما الصنف الثالث فهم الكافرون المعاندون، وهم الذين يعرفون الله في قلوبهم، ويعترفون به بألسنتهم، قال تعالى:

**وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (61)**

**سورة لقمان**

ومع ذلك فهم يعاندون في الإيمان برسله، واتباع شريعته، ويستكبرون عن عبادته، لأسباب كثيرة، منها الحسد والبغي، ومنها الكِبر، ومنها الطمع، ومنها الرغبة في اتباع الشهوات، ونحو ذلك، بعضهم قال:

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية ديناً
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

أبو طالب

لكن يخشى على مكانته، أو يخشى على مصالحه، أو يخشى على شهواته، هؤلاء الكافرون المعاندون.

## 4- الكافرون المنافقون:

الصنف الرابع هم الكافرون المنافقون، الذين يتظاهرون بالاعتراف في ألسنتهم، وقلوبهم مُنكرة غير معترفة، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، الإيمان درجات، والكفر دركات، والكفار المنافقون في الدرك الأسفل من النار، قال تعالى:

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (90)**

**سورة آل عمران**

الكفار مُخلدون في العذاب، ولقد قرر القرآن الكريم أن الكفار غير المعذورين بكفرهم هم من أهل النار في الدار الآخرة، وأنهم مخلدون في العذاب، وأن الله لا يغفر لهم كفرهم، وإشراكهم به، بخلاف غيرهم من عصاة المؤمنين، فقد تشملهم رحمة الله بالعفو والمغفرة، كرماً منه وفضلاً إذا شاء الله ذلك، قال تعالى:

**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (116)**

**سورة النساء**

وقال الله تعالى في سورة آل عمران:

**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (91)**

**سورة آل عمران**

## خطورة البحث وأهميته:

هذا الموضوع أردت أن أقرره لكم لخطورته، أولاً: من أجل أن تعرف حدود الإيمان، وكيف أن الإنسان إذا خرج عن هذه الحدود فقد وقع في الكفران، ومن أجل ألا تتورط في كبيرة، ألا وهي تكفير المسلمين المؤمنين الصادقين.

بقي علينا في موضوع العقيدة الإيمان بالقضاء والقدر، وهو الركن الخامس من أركان الإيمان، سوف نأخذه إن شاء الله تعالى في الدرس القادم بحول الله وقوته.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 60-63: الإيمان بالقضاء والقدر 1

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين, اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم, اللهم علمنا ما ينفعنا, وانفعنا بما علمتنا, وزدنا علماً, وأرنا الحق حقاً, وارزقنا اتباعه, وأرنا الباطل باطلاً, وارزقنا اجتنابه, واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه, وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### أهمية القضاء والقدر في حياة الإنسان:

أيها الأخوة, قد أنهينا بفضل الله وكرمه في الدروس السابقة الإيمان بالله، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، والكتاب، والنبيين، ووصلنا إلى الإيمان بالقضاء والقدر، والقضاء والقدر كما تعلمون ركن من أركان الإيمان، بل إن سلوكك في الحياة يبنى على نوع فهمك للقضاء والقدر، فإذا توهم الإنسان أنه مجبور على أفعاله، وأنه لا اختيار له, وأنه كريشة في مهب الريح، وأن كل شيء قد انتهى، إذا توهم الإنسان ذلك شلت قدرته، وقعد، واستسلم، وصار إنساناً سلبياً، ليس هذا الفهم حقيقة القضاء والقدر, وإذا ظن الإنسان متوهماً أنه يخلق عمله، وأن بإمكانه أن يفعل كذا وكذا، علا في الأرض، وطغى، وبغى، كذلك هذا الفهم بعيد عن حقيقة القضاء والقدر لذلك الشيء المهم جداً، وهو من العقائد التي يجب أن تعلم بالضرورة، أن تعرف حقيقة القضاء والقدر، هل أنت مخير بلا حدود؟ هل أنت مسير بلا شروط؟ كيف الحال؟ أرجو الله عزّ وجل أن يمكنني من توضيح بعض هذه الحقائق.

### تعريف القضاء والقدر لغة:

كلمة القضاء والقدر، كثيراً ما تدور على الألسنة، نتحدث عنها كثيراً، بادئ ذي بدء ماذا تعني كلمة القضاء والقدر؟ قال علماء اللغة: القضاء بالمد، يعني بالألف الممدودة، مصدر قضى يقضي قضاء، وهو في معناه اللغوي الجامع: إتمام الشيء قولاً كان، أو فعلاً، أو إرادة، أو غير ذلك, فمثال القضاء في القول, قول الله تعالى في سورة الإسراء:

**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً (23)**

سورة الإسراء

خلاصة قول الله عزّ وجل: ألا تعبدوا إلاّ إياه، إتمام القول، هذا هو المعنى الأول اللغوي للقضاء، أي أتم الله سبحانه نهيه عن عبادة غيره، ومثال القضاء في الفعل، قوله تعالى في سورة فصلت:

**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (12)**

سورة فصلت

يعني أتم خلقهن سبع سموات في يومين, ومثال القضاء في الإرادة قول الله عزّ وجل في سورة البقرة:

**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (117)**

سورة البقرة

فإذا تمت إرادته تعالى في تكوين أمر، فإنما يأمره بـ (**كُنْ**)، أمر تخليق، فيكون ذلك المراد.

أما معنى القدَر, بفتح الدال هو تبيين كمية الشيء، وهو مصدر قدر، يقدُر بضم الدال, وقدِر بكسر الدال, وهو تعيين كمية الشيء، من المقدار، وأما قدر على الشيء بمعنى ملك قوة التصرف بما يريد منه، فمصدره قُدرَةً، وقَدارةً، وقُدُورَةً.

## تعريف القضاء والقدر شرعاً:

القضاء عند علماء العقيدة: هو إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه في وجودها الحالي، أراد الله خلق الكون فكان، هذه إرادة الله الأزلية المتعلقة بالأشياء على وفق ما توجد عليه، أراد الله خلق الإنسان، فكان الإنسان، أراد الله خلق السموات والأرض، فكانت السموات والأرض.

أما القدر: هو إيجاد الله الأشياء على مقاديرها المحدودة بالقضاء، أي التنفيذ، قضى الله أن يكون الإنسان ذا سمع، وبصر، وإرادة، وعقل، ونفس, فكان كما قدّر.

والمعنى الآخر للقضاء والقدر، كما بينه علماء آخرون في العقيدة الإسلامية: القضاء هو الخلق الراجع إلى التكوين، والقدر هو التقدير، أي جعل الشيء بالإرادة على مقدار محدد قبل وجوده، ثم يكون وجوده.

هذه التعاريف الشرعية للقضاء والقدر، تلتقي في مفهوم موحد ملخصه: القضاء والقدر إرادة الله أن يوجد الأشياء على وجه مخصوص، ثم إيجادها فعلاً على وفق المراد.

قضى, بمعنى أراد أن يخلق الإنسان على وجه مخصوص، فقدر، فخلق الإنسان على هذا الوجه المخصوص، أراد أن يخلق السموات والأرض على وجه مخصوص، فخلق السموات والأرض على هذا الوجه المخصوص، أراد أن يكون الإنسان حراً، فكان الإنسان حراً، أراد أن يكون الإنسان ذا عقل، فكان الإنسان ذا عقل، أراد أن يكون الإنسان ذا شهوة، فكان الإنسان ذا شهوة، أراد أن يجمع الناس ليوم الحساب، فكان ذلك يوم الحساب.

هذا أدق تعريف شرعي للقضاء والقدر، لهذا يجب الإيمان بالقضاء والقدر، يجب أن تعتقد بالقضاء والقدر، إذ هو من العقائد التي يجب أن تعلم بالضرورة، ومن قصر في فهم القضاء والقدر، انعكس هذا التقصير خللاً، وانحرافاً على سلوكه.

## الفهم المغلوط لموضوع القضاء والقدر يضل الإنسان عن الحق:

شيء خطير، ربما كان تساهل الناس في المعاصي انعكاساً لفهمهم الخاطئ للقضاء والقدر، يعني أن يقول الإنسان الساذج: كاسات محدودة، في أماكن معدودة, لا تعترض فتنطرد، هذا فهم سقيم للقضاء والقدر، من هنا يتوهم الإنسان أن المعصية مقدرة عليه، شاء أم أبى، وأنه لا حيلة له في تجنبها، إذًا: يقعد, ولا يتوب، ولا يتحرك نحو الأفضل، ولا ينطلق إلى طاعة الله، ولا يسعى إلى كسب رضوانه، يقول لك: أنا لعله كُتب علي أن أكون شقياً، ولا حيلة لي في تغيير هذا القضاء والقدر، ربما كان انحراف الناس، وانغماسهم في المعاصي، وابتعادهم عن التوبة، وسيرهم في طريق هلاكهم، بسبب هذه العقيدة الزائغة التي ما أرادها الله عزّ وجل، والدليل قول الله تعالى:

**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)**

سورة الأنعام

هذه عقيدة المشركين، عقيدة الجبر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له    إياك إياك أن تبتل بالماء

الحلاج

سلبه حرية الإرادة، وجعله ريشة في مهب الرياح، وكتب عليه أن يعصيه، ثم سيحاسبه على هذه المعاصي، وسيجعله في جهنم أبد الآبدين، هذه العقيدة عقيدة الجبر، إنها عقيدة زائغة، إنها عقيدة ضالة. والزيغ الأخير من يعتقد أن الإنسان يخلق أفعاله، كعقيدة المعتزلة الضالة، وأن الإنسان فوضه الله، الجبريون يقولون: أكرهه الله وأجبره, والمعتزلة يقولون: أعطاه الله القدرة، أو فوضه، فالإنسان يخلق أفعاله, إذًا: سيطغى، وسيبغي، وسيعصي، وسيتجبر، وسيقول: أنا أخلق أفعالي، وهذه عقيدة لا تقل خطراً.

لذلك الحق، كما قيل: وسط بين الطرفين، بين الجبر، وبين التفويض، بين أن ترى نفسك مجبراً على فعل أي شيء، وبين أن تظن أنك قادر على أن تفعل كل شيء, لا هذه، ولا تلك، الحق وسط بين طرفين. لذلك من هنا جاءت خطورة هذه العقيدة, يجب وجوباً عينياً أن تطلب العلم، أيها الأخوة ليس فرض كفاية، إياكم أن تظنوا أن طلب العلم، ولاسيما العلم الذي لا بد من أن تعلمه هو فرض كفاية، العلم الذي يجب أن تعلمه هو الحد الأدنى من العلم، الذي يقيك الزلل، والخلل، والانحراف، هذا العلم فرض عين، كن من شئت، كن طبيباً، كن تاجراً، أي إنسان يجب أن يطلب العلم، ليقي نفسه الزلل، والخلل، والخطأ.

## وجوب الإيمان بالقضاء والقدر:

فالقضاء والقدر من أركان العقيدة الإسلامية، قَالَ: **فَأَخْبِرْنِي عَنْ الْإِيمَانِ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.**

أخرجه مسلم عن عمر في الصحيح

وهذا بفضل الله وتوفيقه, أمضينا في الإيمان بالله تسعة وخمسين درساً، الإيمان بالله, أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.

**وعن عمر أيضاً رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أخبرني عن الإيمَانُ قَالَ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَالْحِسَابِ وَالْمِيزَانِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ.**

أخرجه البيهقي في شُعب الإيمان عن عمر

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد.**

أخرجه الديلمي عن أبي هريرة

أنت توحد، تقول: لا إله إلا الله، لا حركة، ولا سكنة، ولا فعل، ولا قوة، ولا حدث، ولا رفع، ولا خفض، ولا إعطاء، ولا منع، ولا عز، ولا ذل إلا بالله، هذا هو التوحيد، نظام التوحيد القضاء والقدر، ((**الإيمان بالقدر نظام التوحيد**)).

**وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: الإيمان بالقدر يُذهب الهم والحزن.**

ورد في الأثر

هذا الذي وقع، لا بد من أن يقع، تعلقت إرادة الله أن يقع، إذن فلا بد أن يقع، ولو لم يقع لكان نقصاً في علم الله، وحكمته، وإرادته، إذا عرفت أن الذي بيده الأمر، له الأسماء الحسنى، عليم، حكيم، رحيم، لطيف، غني، عادل، من بيده كل شيء، من بيده ملكوت السموات والأرض، من بيده الأمر كله، هذه العقيدة وحدها تُشفي من آلاف الأمراض النفسية, قال تعالى:

**وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (123)**

سورة هود

لذلك يقول الإمام علي كرّم الله وجهه: " لو كُشف الغطاء ما ازددت يقيناً "، وقال علماء الأصول: إن الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين، أن ترضى بمكروه القضاء فهذا دليل معرفتك بالله عزّ وجل,

**وقال عليه الصلاة والسلام: لا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِأَرْبَعٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ بَعَثَنِي بِالْحَقِّ وَيُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَبِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَيُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ.**

أخرجه الترمذي في سننه

## موقف أهل السنة والجماعة من مسألة الاختيار والكسب:

فإذا قلت: إن الإنسان ليس له إرادة، مسلوب الإرادة، ريشة في مهب الريح، علماً أن الإنسان مكلف, فهذا التكليف غير صحيح, كيف يصح التكليف والإنسان مجبر؟ كيف تحاسب إنساناً على فعل أجبرته أنت عليه؟ التكليف لا يصح، والاختيار لا يصح، وحمل الأمانة لا تصح إذا أجبرته, فإذا فوضته، ربما لا يكون الذي فوضته رحيماً، وقد يظلم الآخرين، إذا أعطيت إنساناً قوة كبيرة، وأطلقت يده، هذا قد يؤذي الآخرين، و قد يستطيل عليهم، ويعتدي عليهم، فالتفويض انحراف في العقيدة.

الجبريون انحرفوا، فنفوا عن الإنسان إرادته الحرة، وكسبه للأفعال، واختياره، وتكليفه، والمعتزلة عزوا الفعل إلى الإنسان، ونسوا أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الأفعال كلها، فقدْ وقف أهل السنة والجماعة موقفاً متوسطاً، فاختاروا الاحتمال الوسط، الذي ليس فيه شطط ولا انحراف، والذي لا يتنافى مع صحة التكليف، ومفهوم العدل والحكمة من جهة، كما لا يتنافى مع النصوص الشرعية من جهة أخرى، ووفقوا بين ذلك توفيقاً يقبله العقل، وتحتمله نصوص الشرع من دون تكلُّف.

ملخص اعتقادهم, أن الإنسان مخلوق وهبه الله العقل، والإرادة الحرة، والقدرة المستعدة للتنفيذ في حدود الإمكان الموهوب له، ولكن عمل قدرة الإنسان في آثارها، إنما هو عمل الأسباب في مسبباتها، لا عمل المؤثرات الحقيقية، هذا سأوضحه بمثل دقيق، حيث إن المؤثر الحقيقي هو قدرة الله سبحانه وتعالى، فأفعال العباد مخلوقة لله تعالى، بالنظر للمؤثر الحقيقي، وهي أفعال العباد بالنظر لصور الأسباب الظاهرة، وقد وجه العباد إرادتهم إلى فعلها باختيارهم الحر، وبذلك يصح ابتلاؤهم، وامتحانهم، وبذلك يصح في العقل وفي العدل أن يترتب على أفعالهم المدح والثواب، أو الذم والعقاب.

شيء دقيق جداً، هو أنك إذا أمرت إنساناً أن يفعل كذا، فهذا اعتراف منك أنه مخير، إذا قلت لموظف في محلك التجاري: تعال غداً في الساعة السابعة، ألا يعني هذا الأمر أنه بإمكانه أن يأتي أو لا يأتي؟ شيء بدهي، فمجرد الأمر يعني أن المأمور مخير، ومجرد النهي يعني أن المنهي مخير.

## موقف علماء العقيدة في مسألة التسيير والتخيير من منطلق بحث القضاء والقدر:

### 1-من واقع حال الإنسان:

صفوة القول في هذا الموضوع، كما يقول علماء العقيدة: أننا يجب أن نبحث القضاء والقدر من زوايا ثلاث:

1- من واقع حال الإنسان.

2- من منطلق العقل السليم.

3- من منطلق النصوص الشرعية الصحيحة.

لنأخذ حال الإنسان, يبدو لنا كما نشعر من أنفسنا، أن أموراً تجري في الحياة من دون أن يكون لإرادتنا دخل في ذلك، نحن ولدنا مثلاً في زمن معين، هذا الزمن لم يكن له علاقة باختيارنا، ولدنا من أب وأم معينين، ولدنا في ظرف معين، في بيئة معينة، كان جسمنا قوياً أو ضعيفاً، كان في صحتنا خلل أو استقامة، ولدنا من أب غني, الأمور كلها ميسورة، أو من أب فقير, شعرنا بالحرمان، هذا كله ليس لنا فيه حول، ولا طول، ولا اختيار، إذًا: فهناك أشياء في حياتنا نحن مسيرون فيها كل التسيير، وهناك أشياء أخرى نحن مخيرون فيها، فأن تأتي إلى هذا المسجد أو لا تأتي، أن تصلي أو لا تصلي، أن تطلق البصر في الحرام، أو أن تغض البصر عن محارم الله، أن تأخذ حقك فقط، أو أن تأخذ فوق هذا الحق، أن تعامل من حولك معاملة طيبة رحيمة، أو أن تعاملهم معاملة قاسية، أن تكون رحيماً أو قاسياً، عادلاً أو ظالماً، منصفاً أو مجحفاً، أن تكون خيراً أو بخيلاً, هذه كلها أعمال داخلة في دائرة الاختيار.

نورد مثالاً على ذلك: هناك قفص فيه عصفور وعصفورة، فيه صحن للطعام، وإناء للماء، هذا العصفور بإمكانه أن يأكل أو لا يأكل، أن يشرب أو لا يشرب، بإمكانه أن يلاطف أنثاه أو أن ينقرها، لكن

صاحب القفص، حمل هذا القفص وسار به، فحركة القفص ليست باختيار هذا العصفور، لو أن صاحب القفص غمسه في الماء، ليس باختياره ذلك، لو أنه وضعه في مهب رياح باردة، ليس له ذلك، فهذه الأشياء لا علاقة للعصفور بها، أما معاملته لأنثاه، وتناوله للطعام أو عدم تناوله، أن يرمي الإناء أو لا يرميه، فهذه الأعمال كلها باختيار العصفور، وسيحاسب عليها.

فهناك دائرة تُحاسب عليها، هناك دائرة أنت فيها حر، وحريتك فيها ظاهرة، وسوف تحاسب عليها، وهذه الأعمال مكلف بها، وهناك دائرة أخرى لست محاسباً عليها، إنما أنت في هذا مسير، ولست مخيرًا.

فواقع حال الإنسان، كل واحد منا بإمكانه أن يصلي أو لا يصلي، يحضر مجلس علم أو لا يحضر، أن يكون قاسياً مع والدته أو أن يكون لطيفاً، يعامل زوجته بالرحمة أو بالعنف، أن يكون كريماً أو بخيلاً، هذا كله باختياره، أما كونه صحيحَ الجسم، قلبه متين، صحته جيدة، ابن رجل غني، جاء من أب فقير، جاء من أسرة عالية النسب، من أسرة وضيعة النسب, هذه الأشياء كلها، لا علاقة له باختيارها.

إذاً: أنت بحسب الواقع بين دائرتين، دائرة أنت مخير فيها، ومحاسب على كل أعمالك، ودائرة ثانية، أنت فيها مسير، هذا الواقع.

## 2- من منطلق العقل السليم:

يقضي العقل بأن المسؤولية عن العمل لا بد أن تكون منوطة باستطاعة الإنسان على الفعل أو الترك، متى أكون مسؤولاً أمام أي جهة في الأرض؟ إذا كنتُ مخيراً، إذا كنت مستطيعاً أن آتي إلى المدرسة الساعة الثامنة، وجئت الساعة التاسعة، فأنا مسؤول عن هذا التأخر، أما إذا كان بعد المدرسة عن البيت 100 كم، فكيف أتخطى هذه المسافات في ربع ساعة؟ مستحيل، فالعقل يقول: لا بد أن تكون المسؤولية عن العمل منوطة باستطاعة الإنسان على الفعل أو الترك، أما من لا يملك هذه الاستطاعة فلا يصح أن تتوجه إليه المسؤولية أصلاً.

هل أستطيع أن أحاسب مستخدماً على باب المستشفى عن فشل عملية جراحية؟ يجيبك أنا لا أحسن إجراء العملية الجراحية، أنا لا أستطيع أن أفتح البطن، تحاسب الطبيب المتعلم، الذي يملك الأدوات، وعنده علم، ومعه قدرة، ومعه أدوات, إذًا: مِن زاوية العقل، ومن زاوية الواقع أنت مخير، وهذا شيء نشعر به.

لماذا يلقى القبض على المجرم؟ وإذا وقف المجرم أمام القاضي، وقال له سيدي: أنا مجبور على ذلك، فلا تؤاخذني، لقد قدّر الله علي أن أكون كذلك, هل يُقبل منه هذا الكلام؟ هل يصدر قرار بالعفو عنه لأنه قال: إنني مجبر؟

جاء إلى سيدنا عمر رجل شارب للخمر، فقال: أقيموا عليه الحد، فقال الرجل: والله يا أمير المؤمنين، إن الله قدّر عليّ ذلك، فقال رضي الله عنه: أقيموا عليه الحد مرتين، مرة لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله، قال له: ويحك، إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، أنت مخيّر، ولست مجبرًا، إذًا: من زاوية المنطق والعقل، فالمسؤولية لا تصح إلا إذا كنت مخيراً، مستطيعاً، لذلك إذا أخذ ما وهب أسقط ما أوجب، المجنون لا يحاسب، والمكره لا يحاسب، فإذا أُكرِهت على فعلٍ ما، لا تحاسب عليه, **عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ رفع عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ.**

أخرجه ابن ماجة عن أبي ذر الغفاري في سننه

**إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (173)**

سورة البقرة

إذا واجه سيل أحد الأشخاص، وهدم بيته، هل يُساق ليحاكم؟ لا، ليس له اختيار في الموضوع، داهم السيل بيتَه، وهُدم بيته، ومات فيه خمسة أطفال، أيُساق إلى المحكمة ليحاكم عن قتل الأطفال؟ أبداً، أما إذا قتل إنسان إنساناً آخر بمحض اختياره، أليس يحاسب على ذلك؟ هذه من زاوية العقل.

## 3- من زاوية النصوص الشرعية الصحيحة:

في الدائرة التي أنت مسير فيها، اعلم علم اليقين أن كل ما يجري في حقك مسيرًا به، إنما هو لمصلحتك، وهي محض رحمة، ومحض فضل، أن تكون من أب فقير، فهذا لمصلحة إيمانك، وأن تكون بهذا الجسم العليل، فهذا لمصلحة إيمانك، وأن تكون من هذه الأسرة، فهذا لمصلحة إيمانك، كل شيء أنت مجبر عليه هو لمصلحتك، وأما الذي أنت فيه مخير، فإما أن تفعل ما هو خيّر، فتثاب على هذا العمل، وإما أن تفعل ما هو شر، فتجازى على هذا العمل.

أوضحت النصوص الشرعية الإسلامية مذهب أهل السنة والجماعة، إذ أثبتت أن للإنسان كسباً اختيارياً، يحاسب عليه، ويعتبر مسؤولاً عنه، ويتوجه إليه التكليف الشرعي ضمن حدوده، وما ليس للإنسان فيه كسب اختياري، فلا مسؤولية عليه فيه، ولا يحاسب عليه، ولا يترتب له أو عليه ثواب ولا عقاب.

## من لوازم القضاء والقدر:

منح الله سبحانه وتعالى الإنسان إرادة حرة، يكسب بها أعماله الاختيارية، ومنح الإنسان بالإضافة إلى ذلك سائر شروط امتحانه، من عقل يدرك به التكاليف الربانية، وقدرة ظاهرة على تنفيذ ما يكلفه من أعمال جسدية أو نفسية، وبذلك تكون مسؤوليته, وحين تختل الشروط اللازمة لامتحانه أو تكليفه ترتفع مسؤوليته.

ولما توجهت إرادة الله لمنح الإنسان الإرادة الحرة، استحال في الوقت نفسه أن تتوجه لسلبه هذه الإرادة، وجعله مجبراً، نظراً إلى أنه يستحيل أن تتناقض إرادة الله عزّ وجل، فما دامت إرادة الله تعلقت أن يجعلك مختاراً، لن تكون هناك إرادة تناقض هذه الإرادة، تعلقت إرادة الله أن يجعلك مختاراً، فكنت كذلك.

## الأدلة من الكتاب على موضوع الإنسان مسير ومخير بآن واحد:

بعض الآيات القرآنية تؤكد ما ينمو إليه هذا الكتاب، قال تعالى:

**لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (225)**

سورة البقرة

كسبت قلوبكم, أنت لك كسب، تكسب العمل الطيب، وتكسب العمل السيء, قال تعالى:

**ادْعُوهُمْ لِآَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً (5)**

سورة الأحزاب

**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)**

سورة البقرة

قال تعالى:

**لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آَتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آَتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً (7)**

سورة الطلاق

هذه الآيات كلها تؤكد الحقيقة الأساسية، في أن الإنسان مخير في دائرة، ومسير في دائرة أخرى

## قول الحسن بن علي رضي الله عنه حول مسألة القضاء والقدر:

كتب الحسن البصري إلى الحسن بن عليٍ يسأله عن القضاء والقدر، فكتب الحسن بن علي إلى الحسن البصري ما نصه: " من لم يؤمن بقضاء الله وقدره، خيرِهِ وشرهِ فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر".

دققوا، إذا قلت لإنسان: لماذا أنت في المعصية؟ يجيبك: إن الله قدر عليّ ذلك، إيّاك، هذا كلام كفر, هو الذي رتب لك أن تعصيه, هو الذي أمرك بالزنا, هو الذي أمرك بالسرقة, هو الذي أمرك بالكذب؟ قال تعالى رداً على هؤلاء وأمثالهم:

**وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آَبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (28)**

سورة الأعراف

" من لم يؤمن بقضاء الله وقدره، خيرِهِ وشرهِ فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر، وإن الله تعالى لا يطاع استكراهاً " أنت لست مكرهاً على الطاعة، لو أنك مكره لما كان لك ثواب، " إن الله تعالى لا

يطاع استكراهاً، ولا تعصيه قهراً، ولا يُعصى بغلبة، لأنه تعالى مالكٌ لما مّلكهم، وقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يحل بينهم وبين ما عملوا، إن عملوا بالمعصية فلو شاء لحال بينهم وبين ما عملوا، فإن لم يفعل فليس هو الذي جبرهم على ذلك "، قولاً واحداً, إن الذي يعصي الله إنما يعصيه بمحض اختياره، " لو أنه أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أنه أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب " كلام واضح كالشمس, " لو أنه أجبرهم على الطاعة لأسقط الثواب، ولو أنه أجبرهم على المعصية لأسقط العقاب، ولو أهملهم لكان ذلك عجزاً في القدرة, فإن عملوا بالطاعة فله المنة والفضل, أعطاهم القوة على أن يطيعوه, هم أرادوا أن يطيعوه، أعطاهم القوة على ذلك, وإن عملوا بالمعصية فله الحجة عليهم, والسلام ".

هذا ملخص الملخص, كلام الإمام الحسن بن علي يجيب عن سؤال حول القضاء والقدر للإمام الحسن البصري رحمهما الله تعالى.

## قول سيدنا علي رضي الله عنه رداً على سائل أساء الفهم للقضاء والقدر:

سأل شيخ شامي الإمام علي رضي الله عنه بعد الانصراف من صفين قائلاً: أكان المسير إلى الشام بقضاء الله وقدره؟ فقال علي كرم الله وجهه: والذي فلق الحب، وبرأ النفس، ما وطئنا موطئاً، ولا هبطنا وادياً، ولا علونا تلة, أي مرتفعاً, إلا بقضاء الله وقدره.

فقال الشيخ: عند الله أحتسب خطاي، ما أرى لي من الأجر شيئاً, مادام القضية كلها مرتبة، وأنا مسير , مالي أجر.

فقال له: أيها الشيخ، عظم الله أجركم في مسيركم، وأنتم سائرون، وفي منصرفكم، وأنتم منصرفون، ولم تكونوا في شيء من حالاتكم مُكرهين، ولا إليه مضطرين.

فقال الشيخ: كيف والقضاء والقدر ساقنا؟ هنا بيت القصيد، فقال الإمام علي كرم الله وجهه: ويحك، لعلك ظننت قضاء لازماً, أي إجباريًا، وقدراً حاسماً, لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، فلم تكن لائمة للمذنب، ولا محمدة للمحسن، ولما كان المحسن أولى بثواب الإحسان من المسيء، ولا المسيء أولى بعقوبة الذنب من المحسن، تلك مقالة عبدة الأوثان، وحزب الشيطان، وشهود الزور، أهل العمى عن الصواب, إن الله تعالى أَمر تخييراً، ونهى تحذيراً، وكلّف يسيراً، ولم يكلّف عسيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم

يُطع مُستكرهاً، ولم يرسل الرسل إلى خلقه لعباً، ولم يُنزل الكتب عبثاً، ولم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، ذلك ظن الذين كفروا، فويل للذين كفروا من النار.

## ملخص القول:

هذا إن شاء الله, له توضيح في دروس قادمة، ولكن لا يستحسن للإنسان أن يخوض إلى أعماق هذا الموضوع، لأن النبي عليه الصلاة والسلام فيما روي عنه، قال فيما معناه: إذا ذُكر القضاء والقدر فأمسكوا, يجب أن تعلم أنك حر في دائرة، وأنك محاسب فيما أعطيت من حرية، وأنّ الشيء الذي لا حرية لك به لا تحاسب عنه، هذا ملخص قولنا ذلك.

وسوف ننتقل إلى الآيات الدقيقة المتعلقة في هذا الموضوع، نظراً لأهميتها، فقد أُفردت في موضوع مستقل، وسوف نأخذها في الدرس القادم إن شاء الله تعالى.

# الدرس 61-63: الإيمان بالقضاء والقدر2، المحاور التي تدور عليها الآيات حول موضوع القضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## المحاور التي تدور عليها الآيات حول موضوع القضاء والقدر:

### 1- محور هداية الناس جميعاً:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الحادي والستين من دروس العقيدة.

أيها الإخوة الأكارم؛ هناك خمس مجموعات من آيات القرآن الكريم تتعلق بالقضاء والقدر، خمس مجموعات، كل مجموعة تتمحور حول محور، فالمجموعة الأولى مثلاً بيّن الله فيها أن:

**وَلَوْ أَنَّ قُرْآَنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْئَسِ الَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ** لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا **وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (31)**

**سورة الرعد**

وفي آيات أخرى قال تعالى:

وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا **وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)**

**سورة السجدة**

وفي آيات أخرى قال تعالى:

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً **وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ (118)**

**سورة هود**

هذه الآيات ومثيلاتها، قال تعالى:

**وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآَيَةٍ** وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى **فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (35)**

**سورة الأنعام**

**﴿لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾:**

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (99)**

**سورة يونس**

قد يأتي سائل ويسأل: لماذا لم يشأ ذلك؟ سؤال.

هذه الآيات أيها الإخوة؛ من الآيات المتشابهات التي تحتاج إلى تأويل، وتفسير، وتوضيح، وتبيين، فالله سبحانه وتعالى يقول:

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ **كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (39)**

**سورة يونس**

ويقول في آية أخرى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ** فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

**سورة النحل**

فماذا قال أهل الذكر عن هذه الآيات؟ الآية الأولى في سورة السجدة:

**وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (13)**

**سورة السجدة**

وفي سورة يونس: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ**﴾.

وفي سورة هود: ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾.

**وفي سورة المائدة:**

**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آَتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (48)

**سورة المائدة**

أيها الإخوة؛ هذه الآيات دقيقة جداً، كما قلت قبل قليل من الآيات المتشابهات، ومعنى المتشابهات التي يجب أن تسأل عنها، لئلا يتبادر إلى ذهنك فهم سطحي ساذج محدود من أن الله عزّ وجل لم يشأ الهداية، أراد أن يجعل الناس ضالين مُضلين: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ ما الذي حصل؟ هذه لو حرف امتناع لامتناع، أي امتنعت هداية الخلق لامتناع مشيئة الله، ليس هذا هو المعنى.

## احتمالات ثلاث للمشيئة الربانية:

أولاً: إذا تأملنا في واقع الأمر يتبين لنا احتمالات ثلاث للمشيئة الربانية؛ الاحتمال الأول أن تكون مشيئة الله في جعل الناس مجبرين على سلوك طريق الهداية، دون أن يستطيعوا غير ذلك، أي الله سبحانه وتعالى قادر على أن يُجبر الناس على طاعته، وقادر على أن يجبر الناس على سلوك طريق الهدى، شيء بسيط جداً، ضمن قدرته جلّ وعلا أن يجبر الناس على طاعته، فمشيئة الله عز وجل يمكن أن تكون هكذا ولكنها لم تكن، ويمكن لمشيئة الله عز وجل أن تُجبر الناس على سلوك الضلالة دون أن يستطيعوا غير ذلك، ويمكن أن تشاء الله أن يُضلّ الناس جميعاً، ويُمكن أن تكون مشيئة الله في جعل الناس مجبرين على سلوك

طريق الضلالة، ويمكن أن تكون مشيئة الله عزّ وجل في أن يجعل الناس مخيرين، فمن شاء منهم اختار بإرادته الحرة طريق الخير، ومن شاء منهم اختار بإرادته الحرة طريق الشر.

هناك ثلاثة احتمالات لمشيئة الله عزّ وجل في هذا الموضوع، إما أن يشاء الله أن يُجبر عباده على طاعته، وإما أن يشاء الله أن يُجبِر عباده على معصيته، وإما أن يشاء الله أن يمنح عباده مشيئة حرة يختارون هم طريق الهداية أو طريق الضلال.

فالله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يُجبِر عباده على طريق الطاعة، فإذا كان لم يشأ أن يُجبِر عباده على أن يسلكوا سبيل الطاعة كذلك لم يشأ أن يُجبِر عباده على سلوك سبيل المعصية، إذا لم يشأ أن يُجبِر عباده على طاعته ليس معنى هذا أنه شاء أن يجبرهم على معصيته، لا، ليس هذا هو البديل، ليس هذا هو المقابل، ليس هذا هو الاستنباط العكسي، هذا فهم ساذج، إن كان الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يُجبر عباده على طاعته، ليس معنى هذا أنه شاء أن يجبرهم على معصيته إن لم يجبرهم على طاعته بل شاء لهم أن تكون لهم مشيئة حُرة، يختارون بها طريق الهداية، أو طريق الضلال، أخطر ما في الموضوع أن تفهم من هذه المجموعة من الآيات أن الله لم يشأ أن يجبر الناس على طاعته، ولكن شاء لهم أن يجبرهم على معصيته، لا، ليس هذا هو البديل، ليس هذا هو المقابل، ليس هذا هو الاستنباط العكسي، لم يشأ أن يجبرهم على طاعته بل شاء أن يجعلهم أحراراً في اختيارهم.

## أمثلة للتوضيح:

أضرب بعض الأمثال، الجامعة بإمكانها وببساطة وضمن حدود قدرتها أن تجعل جميع الطلاب ينجحون بعلامات تامة، شيء في منتهى البساطة، تُوزِّع على الطلاب أوراق الأسئلة، وأوراق الإجابة مطبوع عليها الإجابة الكاملة، وما على المدرس إلا أن يضع على كل ورقة بشكل آلي مئة من مئة، فقد يقول رئيس الجامعة: لو شئت لجعلت جميع الطلاب ينجحون نجاحاً ممتازاً، ولكن لو فعلت الجامعة ذلك أين قيمتها؟ هل لها قيمة؟ هل لهذا النجاح قيمة عند الطلاب؟ هل لهذا النجاح قيمة عند إدارة الجامعة؟ هل لهذا النجاح قيمة عند الناس؟ هل لهذه الشهادة التي يحملها خريجو هذه الجامعة لها قيمة دنيا؟ بإمكان هذه الجامعة أن تُنَجِّح جميع الطلاب بيسر شديد، ورقتان؛ ورقة الأسئلة وورقة الإجابة مطبوعة بأكمل الأجوبة، فربنا سبحانه وتعالى

لو أجبر عباده على طاعته لأصبح التكليف باطلاً، وأصبح الابتلاء باطلاً، وأصبح الامتحان باطلاً، وصار مجيئنا إلى الدنيا عبثاً، ولبطل الثواب، وسقط العقاب، وبطل الوعد والوعيد، وعُطِّلت نواميس الكون، وسقط الإنسان، وصار في مستوى الحيوان، قال تعالى:

**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (72)**

**سورة الأحزاب**

ما الذي حمله؟ حمل الأمانة، ما الأمانة؟ التكليف، أي أن الله عز وجل كلّف الإنسان أن يعرفه، وأن يطيعه، وأن يتقرب إليه، وأن يُزكِّي نفسه، يزكو بنفسه، كلفه ذلك وأعطاه المؤهلات، قال تعالى:

**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (9) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (10)**

**سورة الشمس**

إذاً الله سبحانه وتعالى من الممكن أن يجبر الناس على طريق الهدى ولكنه لم يفعل لأنه لو فعل لبطل التكليف.

مثل آخر؛ لو أن مدرساً متفوقاً في الرياضيات، وله ابن طالب عنده، فسأله: يا أبت حلّ لي هذه المسألة؟ أليس في إمكان الأب ان يحلها له في لمح البصر؟ فيذهب الطالب إلى المدرسة يعرِضُها على أستاذه يأخذ علامة تامة، ما قيمة هذه العلامة التامة؟ ما قيمة هذا التفوق؟ لا شيء، بمجرد أن يُجبِر الله الناس على طاعته سقط التكليف، وانتهى الابتلاء، وتعطلت نواميس الكون، وأصبح إرسال الأنبياء عبثاً، ودعوة العلماء باطلاً، وأصبح الثواب لعباً، والعقاب مُزاحاً، فربنا عز وجل قال: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾ ولكننا لم نفعل، مشيئتنا لم تكن كذلك، كان من الممكن أن تكون هذه مشيئتنا، ولكن هذه المشيئة لم تتعلق بها حكمتنا، ليس من الحكمة أن نشاء ذلك، فالله سبحانه وتعالى إن لم يشأ أن يجبر عباده على طاعته لم يشأ قطعاً أن يجبرهم على معصيته، ولكنه شاء لهم أن يكونوا أحراراً في مشيئتهم، شاء لهم هم أن يختاروا طريق الهدى أو طريق الضلال، فإذا خَفِي على الإنسان الاحتمال الثالث، هذا القرآن يحتاج إلى من يعلمك إياه، يحتاج إلى من يفسره لك، ﴿**فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ الفهم الساذج، الأولي، البدائي، المحدود، ﴿**وَلَوْ شِئْنَا**

﴿لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ ولكننا لم نشأ، إذاً شئنا أن نجعلهم ضالين؟ لا، ليس هذا هو المعنى، شئنا أن نجعلهم أحراراً في مشيئتهم، فآية السجدة مثلاً: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي ولو شئنا أن تكون الأنفس كلها مفطورة على سلوك سبيل الهداية فقط لسلبناها مِنحة الاختيار، ممكن نوزع مذياعاً له محطة واحدة، لا يوجد إبرة، هل لك خيار أنت؟ أما إذا كان هناك اختيار، هذا استمع إلى القرآن، وهذا استمع إلى الغناء، أصبح هناك اختيار، كُشفت النفوس، أما بمحطة واحدة لم يعد هناك خيار، إذاً ولو شئنا أن تكون الأنفس كلها مفطورة على سلوك سبيل الهداية فقط لسلبناها مِنحة الاختيار، وقدرة الكسب، ولجعلناها أنفساً مُجبرة لا اختيار لها، ولو أنا جعلناها كذلك لكان من مقتضى الحكمة أن نؤتي كل نفس هداها، لو أننا أردنا أن نسلبها حرية الاختيار لكان مقتضى الحكمة أن نؤتي كل نفس هداها، ولكن حيث تمت الحكمة بأن توهب هذه الأنفس الاختيار الحر، والقدرة على الكسب، ضمن دائرة التكليف فقد حقّ القول مني أن الذي يختار سبيل الشر وطريق المعصية فسوف يدخل النار، الاختيار فيه مسؤولية، أنت حينما تجبر الإنسان على فعل معين لن تستطيع أن تحاسبه إطلاقاً، أما إذا خيّرته عندئذٍ تأتي المسؤولية، ويأتي الحساب، ويأتي الجزاء، ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ لأن مشيئة الله عزّ وجل شاءت أن يكون الإنسان ذا مشيئةٍ حرة، إن اختار طريق الخير سَعِد في الدنيا والآخرة، وإن اختار طريق الشر دخل جهنم، وخلُد بها إلى أبد الآبدين، ﴿ولكن حق القول مني﴾ لأنني منحت الإنسان مشيئة حرة ﴿حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هذه الآية واضحة.

## الحكمة في اختلاف الناس فيما بينهم طالما كانوا أحراراً في الاختيار:

الآية الثانية: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ﴾ يا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.

**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (256)**

**سورة البقرة**

إذاً:

إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ **وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (56)**

**سورة القصص**

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ **وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (272)**

**سورة البقرة**

**بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ** وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (86)

**سورة هود**

**وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (107)

**سورة الأنعام**

**لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ (23)**

**سورة الغاشية**

**وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ** فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)**

**سورة الكهف**

آيات واضحة كالشمس، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ لِمَاذا هم مختلفون؟ قد يتوهم الإنسان: يا ربي جلت حكمتك لماذا أردت البشر أن يكونوا كذلك مختلفين دائماً؟ مذاهب واتجاهات ونظريات وخصومات ومشاحنات لماذا؟ الجواب: هذا هو الاختيار، لأنني منحتهم حرية الاختيار، الاختلاف فيما بينهم نتيجة طبيعية لمنحهم حرية الاختيار، لماذا هم مختلفون؟ لأنهم مخيرون، حينما تُجبر الناس على سلوك معين لا تجد اختلافاً فيما بينهم، أما إذا منحتهم حرية الاختيار هذا يختار كذا وهذا يختار كذا، هذا يلوم هذا على اختياره، وهذا يلوم هذا على اختياره، تنشأ الخلافات، هذه الخلافات من لوازم حرية الاختيار، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**﴾ لأن الاختلاف من طبيعة حرية

الاختيار، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ لو أن الله سبحانه وتعالى أجبر عباده على طاعته لألغي التكليف، ألغي الابتلاء، ولكن لم يشأ ذلك، لماذا؟ ﴿ليبلوكم﴾ ليمتحنكم، ليكشف خبايا نفوسكم، ليميز الخبيث من الطيب، قال تعالى:

**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2) وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ (3)**

**سورة العنكبوت**

إذاً الفتنة إظهار ما في النفس، إذاً حرية الاختيار من أجل الابتلاء، أي الامتحان، أي التكليف، ومن لوازم حرية الاختيار الاختلاف بين الناس، وحرية الاختيار تنفي الإكراه في الدين، وحرية الاختيار تقتضي المسؤولية، هذه المجموعة الأولى من الآيات تُبين أن الله عز وجل لم يشأ أن يجبرنا على طاعته، ولم يشأ أن يجبرنا على معصيته، ولكنه شاء أن نكون أصحاب مشيئة حرة نتحمل نتائج أعمالنا، ونُمتحن، ونُبتلى، فإذا نجحنا في هذا الامتحان دفعنا ثمن السعادة الأبدية التي نحيا بها إلى الأبد، هذه هي المجموعة الأولى.

## 2- محور عقيدة أهل الشرك:

أما المجموعة الثانية فقد أورد القرآن الكريم تعلل المشركين بمشيئة الله تعالى في إشراكهم، وفي عبادتهم لغير الله، أي المشركون يعتقدون أنّ الله خلقهم مشركين، أجبرهم على الشرك، هذه العقيدة عقيدة أهل الشرك، هذه الآية التي سأتلوها عليكم تنفي الجبر، أي أن الإنسان ريشة في مهب الرياح، يقول ربنا سبحانه وتعالى:

**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)**

**سورة الأنعام**

ألا تستمعون إلى أكثر الناس يقولون: يا أخي هذا أضله الله، ما هذا الكلام؟ هكذا، خلقه الله كافراً، خلقه مشركاً، خلقه ضالاً، طاسات معدودة بأماكن محدودة، مكتوب عليه سلفاً يجب أن يشرب الخمر، ﴿سَيَقُولُ

**الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾** ليس بيدنا شيء، ترتيب سيدك هكذا يقول، **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾** ربنا سبحانه وتعالى سمّى هذه العقيدة كذباً، سماها تكذيباً، وأوعد هؤلاء المكذبين أن يعاقبهم على هذا التكذيب، **﴿كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾** ما الدليل؟

أيها الإخوة الأكارم؛ لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، منهج البحث في الإسلام: إن كنت ناقلاً فالصحة، وإن كنت مبتدعاً فالدليل، هؤلاء الذين يزعمون أنهم أشركوا لأن الله خلقهم هكذا، خلقهم مشركين، أجبرهم على ان يكونوا مشركين، فربنا عزّ وجل يطالبهم بالدليل: **﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾** سوف تأتيكم الحجة الداحضة لافتراءاتكم وكذبكم، قال تعالى:

**قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (149)**

**سورة الأنعام**

لم تتعلق مشيئته أن يجبركم، ولكن مشيئته تعلقت بأن يجعلكم مُخيّرين.

مرة ثانية، **﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ*قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** هذه الآية محكمة، صريحة، واضحة في نفي الجبر عن الإنسان.

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له: إياك إياك أن تبتل بالماء

**امرؤ القيس**

آية أخرى تنفي الجبر عن الإنسان، قال تعالى:

**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ** نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)

**سورة النحل**

نحن حينما نعبد هؤلاء الأصنام إنما هي مشيئة الله، هو الذي قدّر علينا ذلك، هو الذي أجبرنا، هو الذي دفعنا إلى ذلك، هو الذي كتب علينا ذلك، ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾.

أيها الإخوة الأكارم؛ هاتان الآيتان تُشكلان المجموعة الثانية المتعلقة بالقضاء والقدر، والتي هي صريحة أشدّ الصراحة في نفي الجبر عن الإنسان، وفي منحه حرية الاختيار، والدليل تتمة الآية الأولى: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ معنى هذا أنه أجبركم، وإذا أجبركم بَطَلَ الثواب، وإن أجبركم كما تزعمون على المعصية والشرك بطل العقاب، له الحجة البالغة عليكم لأنه خيَّركم، ربنا عز وجل قال: هذا القول عقيدة أهل الشرك، وكل من قال كذلك فقد انتمى إليهم، وبيّن الله عز وجل أن هذا القول كَذِب صريح، بل هو أشدّ أنواع الكذب، وأنه يفتقر إلى الدليل، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ وتوعّد هؤلاء المفترين الأفاكين بأنه سيحاسبهم وسيعذبهم عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة، وأكد لهم أن الله سبحانه وتعالى تعلقت مشيئته الحكيمة بأن تكونوا مخيرين لذلك له الحجة البالغة عليكم.

## 3- محور المشيئة الربانية:

المجموعة الثالثة من الآيات المتعلقة بالقضاء والقدر قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً﴾.

الآية الثانية:

**إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (29) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (30) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (31)**

**سورة الإنسان**

أي أنت تشاء يا إنسان، أنت مُخير، فإذا شئت طريق الحق فطريق الحق سالكة أمامك، ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ لكن: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ لهذه الآية معنيان؛ الأول أن مشيئة الإنسان هي مشيئة اختيار، ولكن مشيئة الواحد القهّار هي مشيئة فحص واختبار، فإذا شئت أنت طريق الجنة يتفحص الله سبحانه وتعالى صدقك، وإمكاناتك، والثمن الذي تدفعه لهذه المشيئة، فإذا كان الثمن وافياً، والصدق كافياً، والأهلية تامة، شاء لك ما تشاء، الذي شئته أنت، وإن لم تكن صادقاً في هذه المشيئة، ولم تدفع ثمن الهداية، ولم تؤد ما عليك من موجباتها، عندئذٍ مشيئة الله عزّ وجل لا تشاء لك هذه المشيئة الكاذبة، هذا معنى أولي، لكن المعنى الذي هو ألصق بدرسنا هو المعنى الثاني: ﴿**فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾ لكن هذه المشيئة الحرة التي مُنحتم إياها، والتي هي سبب سعادتكم، وسبب رُقيكم في الآخرة، هذه المشيئة الحرة من خَلْقِ الله عزّ وجل، لولا المشيئة الحرة لما ارتقيتم إلى الله عزّ وجل، إذاً: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ**﴾ لولا أن الله شاء لكم هذه المشيئة الحرة لما نعمتم في الجنة، ولما ارتقيتم إلى رب الأرض والسماوات.

أيها الإخوة الأكارم؛ بقي علينا مجموعتان مهمتان من الآيات القرآنية المتعلقة بالقضاء والقدر، أنهينا منها ثلاث مجموعات في هذا الدرس، وسوف ننهي المجموعتين الأخريين في الدرس القادم إن شاء الله تعالى، وإذا تفضّل علينا بذلك.

**والحمد لله رب العالمين**

# الدرس 62-63: الإيمان بالقضاء والقدر 3- تتمة محاور القرآن الكريم التي تتعلق بالقضاء والقدر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

## تتمة محاور القرآن الكريم التي تتعلق بالقضاء والقدر:

### محورا الهدى والضلال:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثاني والستين من دروس العقيدة.

في الدرس السابق هناك مجموعة من الآيات الكريمة صُنّفت في خمس مجموعات، هذه المجموعات الخمسة تتعلق بالقضاء والقدر، وقد تمّ بفضل الله ورحمته توضيح معاني المجموعات الثلاثة الأولى، وبقي علينا اليوم المجموعة الرابعة والخامسة من آيات القضاء والقدر، الحقيقة أن آيات الهدى والضلال:

**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (8)**

**سورة فاطر**

هذه الآيات من الآيات التي تحتاج إلى دقة في الفهم، فلو أن الإنسان فهمها فهماً محدوداً أو سريعاً، أو أخذها على ما يبدو له من معانيها، واعتقد أن الله سبحانه وتعالى هدى فلاناً، وأضلّ فلاناً، وانتهى الأمر، وفلان لا حيلة له في هذا ولا ذاك، هذا فهم خطير، لذلك الآيات المتشابهات آيات ينبغي أن يُسأل عنها أهل العلم، وقد قال الله تعالى:

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ** فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (43)

**سورة النحل**

ليس للإنسان الحق أن يعتمد على فهمه وحده في فهم آيات القرآن الكريم، قد يكون فهمه محدوداً، ومعلوماته حول هذه الآية محدودة، فآيات: ﴿**يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ**﴾ فهمها يحتاج إلى دقة بالغة.

## الاستعمالات التي وردت في القرآن الكريم في معاني الهدى والضلال:

لدى تَتَبُّعي نصوص القرآن الكريم نلاحظ أنه قد ورد فيها استعمال الهداية والضلالة في أربعة معان؛ فالمعنى الأول: الهداية بمعنى الدلالة، والإرشاد، والتعليم، والضلالة بمعنى الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها، هذا هو المعنى الأول، فمثلاً يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة البقرة:

**الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2)**

**سورة البقرة**

إن هذا القرآن العظيم يدل المتقين على طريق ســــعادتهم ﴿**الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾ في آية أخرى في سورة الضحى:

**وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى (7)**

**سورة الضحى**

أي وجدك غافلاً عن طريق هداية الناس فهداك، فالمعنى الأول من معاني الهداية والضلالة أن الهداية هي الدلالة والإرشاد والتعليم، والضلالة هي الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها.

آية ثالثة في سورة الحج:

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (3) كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ **وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ (4)**

**سورة الحج**

من تولاه الشيطان ﴿**فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ**﴾ أي يبقيه جاهلاً، يغطي عليه الحقائق ﴿**وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ أي يُسَلِّكه في طريق العذاب عذاب السعير، لازلنا في المعنى الأول من معاني الهداية والضلال، إنها الدلالة، والإرشاد، والتعليم، والضلالة هي الجهل بالحقيقة والعمى عن طريقها.

المجموعة الثانية من معاني الهداية والضلال الهداية بمعنى وجود الشيء والعثور عليه، والضلالة بمعنى الضياع، يؤكد هذا المعنى الثاني قوله تعالى:

**وَقَالُوا أَئِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ (10)**

**سورة السجدة**

معنى ﴿**ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ**﴾ أي ضعنا في الأرض، تفتت أجزاؤنا، أنخلق خلقاً جديداً؟ قال الله عزّ وجل في آيات أخرى يخاطب الكفار يوم القيامة:

**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ** أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (62)

**سورة القصص**

**فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآَيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (37)**

سورة الأعراف

أي ضاعوا عنا، فالهداية بالمعنى الثاني وجود الشيء والضلال الضياع عنه، لذلك حينما يُضِلّ الله الإنسان بمعنى أنه يُبعده عن شركائه، يُضلّه عن الشركاء، لا يُضلّه عن ذاته، إنما يُضلّه عن شركائه، هذا هو المعنى الثاني، فحيثما وجدت أنّ الله عز وجل أضلّ فلاناً، أي فلان اعتمد على غير الله، وضع ثقته به، جعله إلهاً من دون الله، عندئذ في ساعات الشدة يبحث عنه فلا يجده، وهذا شيء معروف عند المؤمنين، لمجرد أن تضع ثقتك في مخلوق وتنسى الله عز وجل، لمجرد أن تعتمد على شيء؛ على علم أو على مال أو على جاه أو على قوة أو على جهة أو على شريك، لمجرد أن تعتمد على جهة من دون الله وتضع كل ثقتك بها يُضلّك الله سبحانه وتعالى، بمعنى يُضلك عن هذا الشريك، تبحث عنه في الوقت العصيب فلا تجده، وهذا

من رحمة الله عزّ وجل، لو أنك وجدته في الوقت العصيب لعبدته من دون الله، وكان هذا طريق الهلاك، فالإنسان إذا اتّكل على نفسه أوكله الله إياها.

هناك من يعتمد على علمه فيقع في حماقة ما بعدها حماقة، هناك من يعتمد على قوته فيفضحه الله عزّ وجل في أضعف خلقه، هناك من يعتمد على ماله فتأتيه مصيبة لا علاقة لها بالمال إطلاقاً، لا تحُلّها الأموال الطائلة، هناك من يعتمد على مكانته، يتعامل مع إنسان لا يعرفه إطلاقاً، ولا يقيم له وزناً، فكل من اعتمد على جهة غير الله عزّ وجل، ووضع ثقته فيه أضلّه الله عنه، هذا المعنى الثاني من معاني الضلالة.

المعنى الثالث: تُستعمل كلمة الهدى بمعنى أثبت الهداية وحكم بها، وتستعمل كلمة أضلّ بمعنى أثبت الضلالة وحكم بها، فلان هداه الله بمعنى أنه حكم عليه بالهداية، أضلّه الله حكم عليه بالضلالة، هذا هو المعنى الثالث من معاني الهداية والضلالة، مثلاً يقول الله عزّ وجل:

**فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا (88)**

**سورة النساء**

حكم بعض المؤمنين على بعض المنافقين بالإيمان، والله سبحانه وتعالى حكم عليهم بالضلالة: ﴿**أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً**﴾ هذه الآية تعني أن المؤمن ظنّ بهذا المنافق ظناً حسناً فحكم عليه بالإيمان، والله سبحانه وتعالى لأعماله وبعده وعداوته حكم عليه بالضلالة.

آية أخرى تؤكد المعنى الثالث من معاني الهداية والضلالة:

**بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (29)**

**سورة الروم**

أي هذا الذي ضلت نفسه عن الله عزّ وجل فحكم الله عليه بالضلالة، أنت إذا رأيت إنساناً تائهاً ضائعاً تقول: هذا ضال، بمعنى أنك حكمت عليه بالضلال.

## مصير إرادة الإنسان أمام إرادة الله:

هناك نقطة مهمة جداً في أمور العقيدة، هو أن الفعل بيد الله، فإذا عُزِي الفعل إلى الله عزّ وجل بمعنى أنه سمح بحدوثه، الله سبحانه وتعالى منذ خلقنا أخذ على نفسه عهداً أن يعطينا سؤلنا، فكل إنسان أعطاه الله مشيئة حرة، هذه المشيئة الحرة تحتاج إلى قدرةٍ كي تتحقق، والقدرة هي قدرة الله عزّ وجل، فإذا أراد الإنسان بمشيئته الحرة أن يكون ضالاً فلابد بحكم الأمانة التي أوكلنا الله إياها، والتي هي التكليف، لابد من أن يُمدّ الله الإنسان بقدرةٍ يُحقق بها اختياره، هذا هو المعنى الذي يُستفاد من كلمة أضلّه الله، أي اختار الضلالة بمشيئته الحرة والله سبحانه وتعالى بحكم أن الإنسان في الدنيا مخير، وأنه مكلف، وأنه مختار، عندئذ أمدّه الله بالقدرة المادية التي يُحقق بها اختياره الحر، فإذا عُزيت الهداية والضلالة إلى الله عزّ وجل فمن باب أن كل شيء لا يحدث إلا بأمر الله، ولا يحدث إلا بإرادته، وأنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن نكون أحراراً في مشيئتنا، فإذا شاء أحدنا الهداية هداه الله، بمعنى أنه وفَّقه على الوصول إليها، وإذا شاء أحدنا الضلالة –لا سمح الله– أضلّه الله بمعنى يسّر له، أو أمده بالقدرة اللازمة لتحقيق مشيئته الحرة، هذا هو المعنى الثالث من معاني الهداية والضلالة، قال تعالى:

**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (115)**

**سورة التوبة**

إذاً الهداية والإضلال بالمعنى الثالث أن الإنسان أُعطي حرية الاختيار، فإذا اختار الهداية وفَّقه الله إليها، وإذا اختار الضلالة وأصرّ عليها بحكم أنه قد حُمّل الأمانة، وأن نفسه أمانة بين يديه، وأن الله سبحانه وتعالى:

**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (20)**

**سورة الإسراء**

إذاً لابد من أن يُمدّه بالقدرة اللازمة على تحقيق إرادته الحرة في أن يكون ضالاً، إذاً إذا أضلّ الله العبد بمعنى أن فعل الضلالة لابد من إرادة الله عز وجل، فإذا عُزِي الفعل إلى الله عز وجل فبمعنى أنه سمح بحدوثه، هذا معنى دقيق جداً.

لأن الله عز وجل لا يقع في الكون شيء إلا إذا أراد ذلك، وإذا أراد شيئاً لابد من أن يقع، كل شيء وقع لابد من أن يكون الله قد أراده، وإذا أراد الله شيئاً لابد من أن يقع، هناك ترابط دقيق بين إرادة الله في حدوث شيء وبين حدوثه.

لذلك يؤمن المؤمن أن كل شيء وقع أراده الله، وكل شيء لم يقع لم يُرده الله، وأنّ كل ما أراده الله لابد من أن يقع، وأنّ إرادة الله متعلقة بحكمته، ومتعلقة بعلمه، ومتعلقة برحمته، ومتعلقة بعدالته، فهذا الشيء الذي وقع لابد من أن يكون حكيماً، ومعنى أنه حكيم أي أن هناك خيارات عديدة، الذي وقع هو أفضل هذه الخيارات، الذي وقع هو أحسن هذه الخيارات، كل شيء وقع تعلقت به إرادة الله التي تعلقت بحكمته، وتعلقت برحمته، وتعلقت بعلمه، وتعلقت بعدالته.

قال بعضهم توجيهاً آخر لهذه الآيات هو أن الله عز وجل إذا عزا الهدى والضلال إليه فهذا هو الهدى الجزائي والضلال الجزائي، قال تعالى:

**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ** فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ **وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (5)**

**سورة الصف**

اختاروا الضلالة فجازاهم الله أن يكونوا بحالة الضلال، اختاروا الهداية فأكرمهم الله عزّ وجل بأن جعلهم مهتدين، إذاً هذه الآيات التي مُفادها أن الله يهدي من يشاء ويُضلّ من يشاء تؤكد أنك حرّ في مشيئتك، وأن الله عز وجل هو الذي يحقق هذه المشيئة، إن كانت خيراً وإن كانت شراً، فإذا عُزِي الفعل إلى الله مباشرةً فلأنه هو الفاعل، ولأنه سمح بحدوث هذا الفعل، وإذا عُزِي الفعل إلى الإنسان فلأنه هو الذي اختار، أي بشكل مبسط غير معقد لكم أن تقولوا: إن مدير المدرسة هو الذي رسّب الطالب الكسول، ولكم أن تقولوا: لقد رسب هذا الطالب، فإذا عزوت فعل الرسوب إلى الطالب فلأنه هو السبب، ولأن إهماله، وكسله، وتوانيه عن الاجتهاد هو الذي جعله يرسب، وإذا عزوت فعل الرسوب إلى الإدارة، فلأنها هي التي نفّذت، وأقرّت، ووافقت وفق مبادئ العدالة والرحمة، إذًا يمكن أن تعزو الفعل إلى الله عزّ وجل، بمعنى أنه سمح بحدوثه، وأن كل فعل لا يقع إلا إذا أراده الله، وإذا عزوت الفعل إلى الإنسان فبمعنى أن هذا من كسبه، وهو المسؤول عن ذلك، هذا ملخص

الملخص، أي إذا قلت: إن الله قد هدى فلاناً، فلأنه اختار الهدى، وإن الله قد أضلّ فلاناً، فلأنه اختار الضلال، وأنه من سار على الدرب وصل، وأن الأمور لها مقدمات ولها نتائج، فمن سلك في المقدمات وصل إلى النتائج، هذا شيء بسيط جداً، فآيات الهدى والضلال يجب أن تُفهم على حقيقتها، أما أن تلتقي بإنسان، وتقول له: أخي لماذا لا تصلي؟ يقول لك: الله ما هداني، ما الدليل؟ يهدي من يشاء، ويُضلّ من يشاء، هذا هو الفهم الخطير الساذج المحدود الذي ما أراده الله عزّ وجل، لذلك يجب على الإنسان أن يتعلم المعاني الدقيقة التي جاءت في كتاب الله.

## الرد من الكتاب على من يزعم بأن الله هو الذي يضلّ الإنسان:

شيء مهم جداً؛ أي ما أكثر الآيات في كتاب الله المتعلقة بالهدى والضلال، فالإنسان دائماً إذا فعل المعاصي والموبقات، وانحرف في سلوكه، وأخذ ما ليس له، واعتدى على أموال الناس، وعلى أعراضهم، يميل دائماً إلى أن يحمل فجوره على ربه، يميل دائماً إلى أن يعزو هذه الضلالات إلى الله:

**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آَبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (148)**

**سورة الأنعام**

﴿**قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ**﴾ أين الدليل؟ ﴿**فَتُخْرِجُوهُ لَنَا**﴾ أُذكّركم مرة ثانية بقول الإمام الحسن بن عليّ رضي الله عنه إذ يقول: ((من أنكر القضاء والقدر فقد كفر، ومن حمل ذنبه على الله فقد فجر، إنّ الله تعالى لا يُطاع استكراهاً، ولا يُعصى بغلبة، فإن العباد أطاعوه لم يَحُلْ بينهم وبين طاعتهم، وإن عصوه فليس هو الذي أجبرهم على المعصية، لو أجبرهم على الطاعة سقط الثواب، ولو أجبرهم على المعصية سقط العقاب، ولو تركهم هَملاً لكان هذا عجزاً في القدرة، إنهم إذا أطاعوه فله المِنةُ والفضل، وإن هم عصوه فعليهم الحجة الدامغة)).

هذه عقيدة أهل السنة والجماعة في موضوع الاختيار والتسيير، الإنسان مُخيّر أرادت مشيئة الله أن تكون ذا مشيئة أيها الإنسان، فالذي تفعله تُحاسب عليه، لأنك مخير في فعله أو عدم فعله.

## توضيح معنى المصيبة والهدف منها:

شيء آخر متعلق بالمجموعة الخامسة من الآيات المتعلقة بالقضاء والقدر، وهو قوله تعالى:

**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)**

سورة الحديد

هذه الآية دقيقة جداً لأن بعض الناس يفهمونها فهماً مغلوطاً، فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ**﴾ المصيبة هنا نكرة، ومعنى التنكير هو الشمول، أي كل أنواع المصائب على وجه الأرض من دون استثناء؛ مصيبة في المال، مصيبة في الأموال، مصيبة في الصحة، مصيبة في الأولاد، مصيبة مادية، مصيبة معنوية، مصيبة طفيفة، مصيبة كبيرة، مصيبة فردية، مصيبة جماعية، ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ**﴾ الزلزال مصيبة، والفيضان مصيبة، والقحط مصيبة، والمرض مصيبة، والشقاق الزوجي مصيبة، والولد العاق مصيبة، وفقد المال مصيبة، والمرض الخطير مصيبة، والمرض الطفيف مصيبة، والهم والحَزَن مصيبة، ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ**﴾ آفة زراعية قضت على المحصول كله، صقيع جاء لدقائق معدودة فقضى على موسم الفاكهة في هذه المنطقة كلها، هذه مصيبة، قال تعالى:

**فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19)**

سورة القلم

فهذه المصيبة مصيبة بمعنى أنها تُصيب الهدف، أصاب يصيب إصابة ومصيبة، فحينما سُميت مصيبة لأنها تصيب مكان الداء، فالمتكبر قد تأتيه مصيبة تُذِّل كبرياءه، والمُبذر قد تأتيه مصيبة تُفقره ليعرف قيمة المال، والذي يعتدي على أعراض الناس قد تأتيه مصيبة فيها عدوان على عرضه، فمعنى مصيبة أنها مُحكمة، وأنها مُسَددة، وأنها صائبة، وأنها من يدٍ خبيرة، عليمة، حكيمة، بصيرة، عادلة، هذا معنى مصيبة.

## الحكمة من المصائب:

يغفل الإنسان أحياناً عن معنى الكلمة، يقول لك: مصائب، يا أخي مصائب كثيرة، كلها أصابت الهدف، كم من إنسان لولا هذه المصيبة لما توجه إلى القبلة؟! لولا هذه المصيبة لما كفّ عن أعماله السيئة، لولا هذه المصيبة لما نجا من عذاب النار، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ**﴾ هنا دقة المعنى أي كل إنسان له عند الله صحيفة أعمال، كما لو أن الطبيب مرّ على المرضى في المستشفى، فكان على كل سرير لوحة فيها أحدث الفحوص، ضغطه، حرارته، نسبة الشحوم في الدم، نسبة بعض المواد في الدم، يُلقي الطبيب على هذه الورقة، أو على هذا الكتاب، أو على هذه الإضبارة نظرة ويقرر العلاج المناسب، فكل مصيبة وقعت في الأرض مبنية على حالة راهنة تلبّست بها النفس، قال تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾ أي قبل أن تقع هناك حكيم قررها، وهناك عليم قررها، وهناك خبير سمح بها، وهناك إله عادل أراد أن يُنزلها، لا يوجد شيء يأتي اعتباطياً، لا يوجد شيء ارتجالي، غلط لا يوجد عند الله عز وجل، بالخطأ، لا يوجد عند الله عز وجل شظية طائشة، كل الشظايا عند الله مفيدة وليست طائشة، حادث مثلاً كان في ساعة غفلة، الغفلة مقصودة، فربنا عزّ وجل يقول: ﴿**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا**﴾ أن نبرأ هذه المصيبة، قبل أن تقع المصيبة هناك تعلقت إرادة الله عزّ وجل التي تعلقت بحكمته، ورحمته، وعدالته، وعلمه، وخبرته أن تقع هذه المصيبة، ﴿**إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ طبعاً يسير هو خالق الأكوان، لكن بعض العلماء قالوا: معنى يسير هنا أي على رحمته، هل يُرضي الأب الشفيق أن يسيل الدم من جسم ابنه؟ نعم يرضيه ذلك، إذا كان هناك التهاب بالزائدة الدودية، والآلام لا تحتمل، ولهذا الالتهاب مضاعفات، والأب طبيب جرّاح بيده يشقّ البطن ويفتحه، وتسيل الدماء لأن الأب رحيم، عليم، طبيب وأب، إذاً المصيبة هنا بمعنى أنها أصابت الهدف، وأنه يسير على الله عزّ وجل أن يُنْزِل بعباده مصيبة تمحق أموالهم من أجل أن يهتدوا إليه، لأنه أعدّ لهم في الآخرة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

## الحظوظ في الدنيا توزّع توزيع ابتلاء لا توزيع جزاء:

هذه نقطة مهمة جداً؛ نحن لماذا نُسمّي هذه مصيبة أوشراً؟ ولكن إذا علمت علم اليقين أن الله سبحانه وتعالى قد خلقك لحياة أبدية، وأن في هذه الحياة ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، قال تعالى:

**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (17)**

**سورة السجدة**

عندئذ هانت عليك مصائب الدنيا.

يقول سيدنا علي كرم الله وجهه لسيدنا الحسن: **((يا بني ما خير بعده النار بخير، وما شرّ بعده الجنة بشر، وكل نعيمٍ دون الجنة محقور، وكل بلاءٍ دون النار عافية))** أي الحظوظ في الدنيا موزعة توزيع ابتلاء، فليس الغني مُكرّماً عند الله لأنه غني، إذا أنفق ماله في طاعته عندئذ هو مكرم، وليس الفقير مُهاناً عند الله لأنه فقير، إن حظّ المال، وحظّ العلم، وحظّ الجاه، وحظّ الصحة، وحظّ الجمال، موزعة توزيعاً في حكمة وعدالة بحيث يُبتلى كل إنسان بهذا الحظ، لكن هذه الحظوظ سوف تُوزّع على البشر توزيعاً جزائياً يوم القيامة وإلى الأبد.

بقي علينا إن شاء الله تعالى درس أخير من دروس العقيدة حول ما تجري به المقادير الربانية، مما ظاهره شرّ وهو في حقيقة أمره خير، وبقي علينا مسؤولية الإنسان عن أعماله الإرادية، والتوكل والاعتماد على الله، وأثر الإيمان بالقضاء والقدر في حياة المؤمن، هذه موضوعات كلها متممات.

وهذا الدرس الذي سوف نأخذه إن شاء الله تعالى هو الدرس الأخير من دروس العقيدة، وبعدها ننتقل إلى موضوعات أخرى.

**والحمد لله رب العالمين**

## الدرس 63-63: الإيمان بالقضاء والقدر 4- الحكمة من المصائب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### أفعال الله في الأرض تدل على حكمته:

أيها الإخوة المؤمنون؛ مع الدرس الثالث والستين وهو الدرس الأخير من دروس العقيدة.

أولاً: كلنا يعلم أن الله سبحانه وتعالى حكيم، والحكمة من أسمائه الحسنى، ومعنى أنه حكيم أي أن أفعاله كلها حكيمة، إذاً لابد من أن يكون قضاؤه وقدره حكيماً، والحكمة لا تكون إلا في الخير، ليس هناك حكمة في الشر، إذاً هو حكيم وأفعاله حكيمة، والقضاء والقدر من أفعاله، إذاً قضاؤه وقدره حكيم، والحكمة متعلقة بالخير، من هنا يأتي قوله تعالى:

قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (26)

**سورة آل عمران**

إيتاء المُلك، ونزع المُلك، والإعزاز والإذلال كله خير، لكن -والفكرة هنا دقيقة جداً- ما هو خير في حقيقته قد يبدو لبعض الناس بحسب مقاييسهم الدنيوية، أو بحسب تصوراتهم، قد يبدو لهم أنه شر، والأمثلة على هذه الفكرة أكثر من أن تُحصى، حينما يُفتَح بطن المريض لتُستأصل الزائدة الدودية، منظر فتح البطن وهو مُخَدّر على طاولة العمليات، والدم ينزف منه، والأربطة، هذا العمل يبدو أنه شرّ في حقّ المريض، ولكن

الذي يعلمون في نظر الطبيب، ونظر العقلاء هو خير، هذا مثل، وهناك آلاف الأمثلة، مِن هنا يأتي قوله تعالى:

**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ** وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (216)

**سورة البقرة**

يجب أن نؤمن أيها الإخوة؛ أن الله حكيم، والحكيم أفعاله حكيمة، والقضاء والقدر من أفعاله، إذاً القضاء والقدر محْضُ الحكمة، ومادام القضاء والقدر محض الحكمة إذاً هو في جانب الخير، من هنا يأتي القول: الإيمان بالقدر يُذْهِب الهم والحزن.

## الشرّ خلق من مخلوقات الله يؤدب به من يستحق من عباده:

ما هو الشر؟ كل شيء يقع على وجه الأرض لابد من أن يكون الله قد أراده، كل شيء يقع على وجه الأرض وفي أي مكان وفي أي زمان في ملكوت الله، لابد من أن يكون الله قد أراده، لأن الأفعال كلها من خلْقِ الله، أين الشر إذاً؟ قال علماء التوحيد: الشر في النفوس فقط.

أي هذا السارق حينما تعلقت مشيئته الحرّة أن يسرق، هذا هو الشر، لكن الله سبحانه وتعالى يسوقه إلى من يستحق السرقة، فهو قد خرج ما في نفسه مِن شر، ولكن هذا الذي يبدو للناس شراً قد وُظِّف لصالح المسروق منه، فالظالم سوط الله ينتقم به، ثم ينتقم منه، شرّ أبداً لا يوجد في الكون، الشر في النفوس، هذا الذي يريد أن يؤذي تعلق إرادته بالأذى من الشر، لكن حينما تَوَجّه شره إلى مخلوق تولّى الله عز وجل توجيه هذا الشر إلى من يستحق الشر ليكون الشر الأول تأديباً للثاني، والدليل:

**وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (129)**

**سورة الأنعام**

قد يُؤَدِّب الله الزوجة المقصّرة بزوج ظالم، فهذا الزوج الظالم الشر في نفسه، مِن أين جاءه؟ مِن البُعد عن الله عزّ وجل، لكن هل تجاوز الحدود؟ لا، إنه سُلِّط على امرأة، هذا التسليط عليها في ظاهره شر، ولكن في باطنه خير.

## تفسير النعم الباطنة:

لقد فسر بعض العلماء علماء التوحيد النعم الباطنة بما يبدو للناس من شر، حيث قال الله عزّ وجل:

**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ (20)**

**سورة لقمان**

فالنِّعم الظاهرة هي النِّعم التي نراها ونتعرفها جميعاً، وأما النعم الباطنة فهي المصائب، فكم من مصيبة انتهت إلى توبة؟! وكم من ذلّ انتهى إلى طاعة؟! وكم من فقر انتهى إلى أداء الصلاة؟! كل الذي يحصل في الكون محض خير على تفاوت في شكله، إما أن يكون ظاهره خيراً محضاً، وإما أن يكون ظاهره بحسب مقاييس البشر أو بحسب تصوراتهم خيراً محضاً، لو أن رجلاً جاءته الدنيا كما يشتهي من كل جانب، وهو في غفلة شديدة، وفي بُعد شديد، ولو مات على هذا الحال لاستحق جهنم خالداً مُخلّداً، قد يأتيه مرض عضال يجعله ينسحق انسحاقاً، هذا المرض العضال إذا انتهى به إلى توبة نصوح، في ظاهره مرض، ولكنه في باطنه سلسلة ساقته إلى الجنة، قال عليه الصلاة والسلام: **عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: عَجِبَ اللَّهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاَسِلِ.**

**صحيح البخاري**

والمصائب هي السلاسل، كان سيدنا عمر رضي الله عنه إذا أصابته مصيبة قال: الحمد لله ثلاثاً؛ الحمد لله إذ لم تكن في ديني، والحمد لله إذ لم تكن أكبر منها، والحمد لله إذ أُلهمت الصبر عليها، ما من عثرة، ولا اختلاج عِرق، ولا خدش عود إلا بما قدمت أيديكم، وما يعفُو الله أكثر، دخل النبي عليه الصلاة والسلام

على بعض أصحابه وكان مريضاً، فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرحمني؟ فقال النبي الكريم: يا رب ارحمه، فقال الله عز وجل: كيف أرحمه مما أنا به أرحمه؟ وعزتي وجلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحبّ أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقماً في جسده، أو إقتاراً في رزقه، أو مصيبة في ماله أو ولده، حتى أبلغ منه مثل الذر، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه، لابد يوم القيامة من أن يكشف الله لنا كل ما ساقه إلينا في الدنيا من محن، ومن أزمات، ومن خوف، ومن نقص في الأموال، ونقص في الثمرات، ونقص في الأولاد، لابد من أن نقول بكل جارحة وبكل خلية: الحمد لله رب العالمين، قال تعالى:

**دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ** وَآَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (10)

**سورة يونس**

## من لم تُحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر:

إذاً والشر الوحيد في الوجود هو ما يصدر من المخلوق حينما يخالف أوامر الله عزّ وجل ونواهيه ووصاياه لعباده، الشر في النفوس في الحيز المادي ليس إلا الخير إما ظاهراً وهو ما تعارف الناس على أنه خير، وإما باطناً وهي النعم الباطنة، أي المصائب، هذه المصائب إذا أمكنك أن تُفسرها تفسيراً صحيحاً حُلّت مشكلتك مع الله عزّ وجل، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَقُولُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثٍ قَالَ: **لا يَمُوتُ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ.**

**صحيح مسلم**

وقد قيل: من لم تُحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر، أي أيها الأخ الكريم؛ يجب أن تعلم علم اليقين أن ما يسوقه الله لعباده في الدنيا من مصائب هي محض خير، يراها الكافر شراً، ولكن المؤمن الذي يعرف الله عزّ وجل يرى ما انطوى فيها من خير، لذلك المؤمن حَسَنُ الظن بالله، فهذه المصائب كما قلنا في الدرس السابق:

مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ **مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22)**

**سورة الحديد**

قضية مدروسة دراسة عميقة، قال تعالى:

**مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ** مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (22) لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آَتَاكُمْ **وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (23)**

**سورة الحديد**

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةٌ وَمَا بَلَغَ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الإِيمَانِ حَتَّى يَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَهُ، وَمَا أَخْطَأَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ.**

**أحمد: الهيثمي: مجمع الزوائد: رجاله ثقات**

## الحكمة من المصائب:

### 1- الابتلاء :

الإيمان بالقدر نظام التوحيد، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، يجب أن نعلم علم اليقين أن المصائب التي يسوقها الله لعباده تنطوي على خير كبير، أول أنواع هذا الخير هو الابتلاء، أي هذه المركبة ذات المحرك القوي، هذا المحرك القوي لا تبدو قوته في الطريق المنبسطة، ولا في الطريق الهابطة، لا تبدو قوته إلا في الصعود الشديد، لذلك مهمة الابتلاء فرز الناس، والكشف عن خباياهم، وامتحان نفوسهم، قال تعالى:

**أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آَمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)**

**سورة العنكبوت**

مستحيل، لابدّ من أن نُمتحن، لابد من أن نُبتلى، وكأن الدنيا كلها إنما خُلِقت من أجل أن نُمتحن، قال تعالى:

**الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (2)**

**سورة الملك**

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ **وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ (30)**

**سورة المؤمنين**

مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179)**

**سورة آل عمران**

أول هدف كبير من أهداف المصائب الابتلاء، أي هذا المؤمن على هذا الدخل الكبير، وعلى هذه المكانة، وعلى هذه الصحة، وعلى هذا البيت المريح، وعلى هذه الزوجة المطيعة، وعلى هؤلاء الأولاد الأبرار، هو مُحب لله عزّ وجل، ما مصير هذه المحبة إذا قلّ دخله؟ أو مرضت زوجته؟ أو فُصِل من عمله؟ أو أُصيب بمرض شديد؟ ما مصيرها؟ لابد من أن تأتي المصيبة لتمتحن صدقك في الطلب، لابد من أن تأتي المصيبة لتكشف عن معدنك، الناس معادن، لابد من أن تأتي المصيبة لتفرزك أمع المؤمنين أنت أم مع غير المؤمنين؟

فأصحاب النبي عليه الصلاة والسلام كلهم يحبونه، وكلهم طامع بمودته، وكلهم متعلق به، وكلهم يرجو النصر من الله، جاءت معركة الخندق، طوّقهم الكُفار، أخلف اليهود عهدهم، انكشفوا من ظهورهم، جاءهم الأعداء من كل حدب وصوب، حتى إن أحدهم قال: أيعدنا صاحبكم أن تُفتح علينا بلاد قيصر وكسرى وأحدنا لا يأمن أن يقضي حاجته؟

**هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (11)**

**سورة الأحزاب**

**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)**

**سورة الأحزاب**

وبعض المنافقين الضعاف قالوا:

وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ **مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (12)**

**سورة الأحزاب**

فكانت معركة الخندق وسيلة فعّالة ودقيقة لكشف خبايا المؤمنين، امتُحنوا بهذا الضيق الشديد، إلى أن عَلِم الله المؤمنين من غير المؤمنين أرسل الرياح الهوجاء فقلبت قدورهم، واقتلعت خيامهم، ودخلت الريبة فيما بينهم، قال تعالى:

**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (25)**

**سورة الأحزاب**

أما في حُنين فقد بلغ عدد أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام عشرات الآلاف، فقالوا في أنفسهم أو بألسنتهم: لن نُغلَب اليوم من قلة، امتحنوا بالضعف، وامتحنوا بالقوة، ويا أيها الإخوة الأكارم؛ أنت مُمتحن قبل الزواج، مُمتحن بعد الزواج، مُمتحن في الصحة، مُمتحن في المرض، مُمتحن في الغنى، مُمتحن في الفقر، مُمتحن وأنت قوي، قد تكون في عمل يدك تطول، وتُمتحن وأنت ضعيف، فلابد من الامتحان، فأحد حِكَم المصائب الابتلاء، أي الكشف عن حقيقة النفس، لا ليعلم الله، فالله عليم، ولكن لتعلم أنت من أنت، لتعلم أنت أيها المؤمن من أنت؟ وليعلم الناس من أنت، لابد من أن يكشف الله الناس على حقيقتهم، قال تعالى:

**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ (35)**

**سورة الأنبياء**

هذه آية واضحة.

آية ثانية:

**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (155)**

**سورة البقرة**

قد يُصاب الإنسان بمصيبة طفيفة فيسب الدين، وقد تأتي مصيبة تسحق المؤمن سحقاً فيقول: الحمد لله رب العالمين، هذا امتُحن، وهذا امتُحن، هذا امتُحن فكُتب قوله:

**لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)**

**سورة آل عمران**

وهذا امتُحن فكُتِب قوله، أي إذا ابتُلينا بمصيبة وقلنا: الحمد لله رب العالمين، فقد نجحنا في الامتحان، وبعدئذ يتولى الله عزّ وجل أن يُذهبها عنا، لذلك المؤمن: عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَجِبْتُ لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ لَيْسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ وَكَانَ خَيْرًا، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ وَكَانَ خَيْرًا.**

**صحيح مسلم**

## 2- التربية والتأديب:

العلة الثانية للمصائب: التربية والتأديب، فقد تقتضي الحكمة أن يُطهّر هذا المؤمن من هذا المرض النفسي، مرض الكِبر، فيبتلى بمصيبة من نوع التحجيم، يوضع في موقف حرج، يُضطر إلى أن يسأل، إلى أن يرجو، إلى أن يستعطف، هذا التحجيم بسبب الكِبر، مرض استوجب علاجاً، هذه هي التربية.

قد يُضيّق على المُسرِف فيعرف قيمة المال الذي يحتاجه الناس جداً، هو ينفقه بلا حساب، والناس في حاجة ماسّة إليه، يذيق الله هذا المُسرف الضيق المادي، هذا علاج، هذه تربية، هذا تأديب، العلة الأولى الابتلاء، الامتحان، نريد أن نرى قوة محرك هذه المركبة، هي جيدة جداً، نصعد بها في طريق صاعدة، تصمد وتنطلق ولا تقف، عرفنا، مصيبة الابتلاء من أجل أن تعرف قدرة هذا المحرك، لكن المصيبة الثانية مصيبة التربية والتأديب، فلذلك إذا كان هناك تقصير، إذا كان هناك غلط، إذا كان هناك خطأ، إذا كان هناك مخالفة، معصية، تجاوز، عدوان في الأموال، في غير الأموال، يأتي التأديب، فأنت يجب أن تفهم على الله عزّ وجل، هل هذه المصيبة من أجل أن تُمتحن؟ قد تكون مستقيماً استقامة تامة، وأنت على علم يقيني بأنه لا انحراف، ولا خلل، ولا زلل، لِمَ المصيبة؟ من أجل أن تُمتحن، فإن كانت المصيبة قد رافقها خلل وانحراف وتقصير ومعصية فهذه من نوع ثان، هذه من أجل التأديب، قال تعالى:

**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (25)**

سورة التوبة

صار هناك عُجب، صار هناك كبر، نحن أقوياء، نحن نَعدّ عشرات الآلاف، إذاً جاءت هوازن وقذفت في قلوبهم الرعب، وتفرقوا شذر مذر، ﴿**فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ**﴾ إلا النبي عليه الصلاة والسلام: سأل رجل البراء رضي الله عنه فقال: يا أبا عمارة أوليتم يوم حنين؟ قال البراء وأنا أسمعَ أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَفِرَّ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ وَإِنَّهُ لَعَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ آخِذٌ بِلِجَامِهَا وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **أَنَا النَّبِيُّ لا كَذِبْ أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب.**

صحيح البخاري

كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله صلى الله عليه وسلم.

## 3- الجزاء المُعجَّل:

أما العلة الثالثة للمصيبة فهي الجزاء المُعجّل، هذه حكمة الله العظيمة، لو أن كل الجزاء في الآخرة، وكل الثواب في الآخرة، لا يوجد شيء في حياتنا يدفعنا إلى الطاعة، ولا يوجد شيء في حياتنا يخيفنا من المعصية، هذا الذي حدثتكم عنه يوم الجمعة في جامع الحاجبية، صاحب أكبر معمل حلويات في قطر عربي مجاور، صادراته اليومية طائرة مُحمّلة ببضاعته، تطير يومياً إلى أقطار مجاورة من دول النفط، ويأتيه دخل فوق الخيال، بلغ به الكِبر أوْجَه، دخل على معمله متفقداً، رأى عاملاً لا يُحسِن عجن العجين، فأخذ هذه القطعة من العجين ووضعها على الأرض وعركها بقدميه وحذائه، وعلّم عامله كيف يُعجن العجين، أصاب قدميه الاثنتين مرض بسيط مرض الموات الغرغرين، وقطعت قدماه، وهو الآن موجود في لندن عند أولاده، هذا جزاء مُعجَّل.

شخص يقود سيارته يمشي بطريق المطار، الدنيا شتاء والبرد شديد، وجد كلباً قابعاً على طرف الزفت، حاجزاً منه حوالي أربعين سنتيمتراً، يبدو أن الزفت لونه أسود، يمتص الحرارة، فهو أكثر دفئاً من التراب، هذا الكلب يبدو أنه جرو قابع على طرف الطريق، أراد هذا السائق أن يتسلى فانحرف بمركبته وداس

يدي هذا الجرو الصغير فقطعهما، وأطلق ضحكة هستيرية، وكأنه فعل شيئاً عظيماً، إنه يُحسِن القيادة، استطاع أن يقطع رجليه فقط دون أن يدهسه، قال لي من شهد هذه الحادثة وكان يركب معه، قال: والله الذي لا إله إلا هو في يوم السبت القادم، مضى سبعة أيام، كان السائق وحده في سيارته، في المكان نفسه أصاب عجلة السيارة بعض العطب، رفع السيارة بالجهاز الرافع، وفكّ هذه البراغي، وسحب العجلة، أصاب الجهاز الرافع الخلل، وقعت السيارة فوق العجلة، والعجلة فوق يديه الاثنتين فقطعتهما، وبقيتا على اللحم، وحينما وصل إلى المستشفى لابد من قطع اليدين، بعد أسبوع، هذا الجزاء المعجل ردع لنا، طبعاً الجزاء المعجل الكامل يوم القيامة، أما ربنا عزّ وجل يُكافئ المحسن تشجيعاً للمحسنين، ويعاقب المسيء ردعاً للمسيئين، ترى المرابي فلّس، والذي يعتدي على أعراض الناس أصابه مرض خبيث، والذي يأكل مالاً حراماً مُحِق ماله، والذي يكذب زُلزِلت مكانته، والخائن مُحتقر بين الناس، هذه العقوبات المُعجلة هدفها ردع المسيئين.

لكن الذي أريد أن أقوله لكم: إياكم أن تظنوا أن الذي لا يأتيه العقاب سينجو، الله عزّ وجل لحكمة يريدها يختار بعض المذنبين في الدنيا، ويُعجل لهم العقاب، وأما الذين بقوا في صحتهم ومكانتهم، وهم غارقون في المعاصي، ما شأنهم؟ قال تعالى:

وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ **فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ (46)**

**سورة يونس**

لابد من أن ترى مصيرهم يوم القيامة، قال تعالى:

**قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ** إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (51) يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (52) أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَدِينُونَ (53) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (54) فَاطَّلَعَ فَرَآَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (55) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ (56) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ (57)

**سورة الصافات**

لابد من أن ترى مصير المنحرفين يوم القيامة في جهنم، لابد، لأن اسم الله الحق لابد من أن يتحقق يوم القيامة، الآن الحبل مُرخى، قد يسيء المسيء ولا يعاقب لحكمة يريدها الله عزّ وجل، وقد يسيء

ويعاقب، لكن أغلب الظن أن الذي يُعاقب فيه خير، عَلِم الله أن بهذا العقاب ربما تاب، وأن الذي لا يُعاقب أغلب الظن أنه ميئوس منه، لقوله تعالى:

**فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (44)**

**سورة الأنعام**

الكافر تأتيه ضربة واحدة قاصمة، والمؤمن تأتيه آلاف المصائب لترقى به، الكافر لتقصمه، أما المؤمن لترقى به، إذاً العلة الأولى الابتلاء، والعلة الثانية التربية والتأديب، والعلة الثالثة الجزاء المُعجّل في الدنيا، هذا التوجيه يتناسب مع رحمة الله، ومع حكمته، ومع عدالته.

## موعظة وعبرة:

يا أيها الإخوة الأكارم؛ يجب أن تعلموا علم اليقين أن أفعال الله كلها فيها رحمة، وفيها حكمة، وفيها عدالة، وفيها قدرة، أي لا يوجد فعل عشوائي، قال تعالى:

**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16)**

**سورة الأنبياء**

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا **ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا** فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (27)

**سورة ص**

**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا** وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ (47)

**سورة الأنبياء**

والله الذي لا إله إلا هو سورة الزلزلة لو نعقِلها لحُلّت كل مشكلاتنا، خالق الكون يقول لكم:

**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (8)**

**سورة الزلزلة**

**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آَيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آَمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)**

**سورة فصلت**

عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارق، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، لذلك عندما يعقل الإنسان هذه الحقيقة يستقيم حباً بذاته، إن لكل حسنة ثواباً، ولكل سيئة عقاباً.

## سبب تخلف المسلمين عن مسؤولياتهم هو سوء الفهم للقضاء والقدر:

الموضوع الثاني أن الإنسان مسؤول عن أعماله الإرادية، أي كلما رأيت إنساناً اقترف معصية يقول لك: ترتيبه، هكذا قدّر الله عليّ، هذا إنسان أحمق وغبي إذا كان بحسن نية، أو خبيث وكذّاب إذا كان بسوء نية، أعمالك الاختيارية ما قدّرها عليك أحد، الله سبحانه وتعالى أعطاك مشيئة حرة وامتحنك بها، أما أن تقول: إن الله قدّر عليّ شرب الخمر، أو اقتراف الزنا، أو أكل المال الحرام، لا، جاء لأمير المؤمنين شارب خمر مقيد، قال: أقيموا عليه الحد، قال: إن الله قدّر عليّ ذلك، قال: أقيموا عليه الحد مرتين، مرة لأنه شرب الخمر، ومرة لأنه افترى على الله، قال له: ويحك إن قضاء الله لم يخرجك من الاختيار إلى الاضطرار، أنت مخير، فلذلك الإنسان مسؤول يهمل معالجة ابنه ينتقل المرض من مرض بسيط إلى التهاب سحايا، أخي هذا ترتيبه، لا، هذا تقصير، أمرك الله عزّ وجل بالتداوي، هناك أشياء عندما يقصّر الإنسان فيها لا تقل: هذا قضاء وقدر، قل: هذا جزاء التقصير، وهذا جزاء الإهمال، لا يدرس، أخي الله لم يكتب لي النجاح، من قال لك ذلك؟ الدراسة ضمن دائرة الاختيار، تختار صفقة سيئة جداً، أسعارها مرتفعة تفلس منها، أخي هكذا الله كتب لي، لا ليس صحيحاً، أين فكرك؟ أنت مخيّر، جاء إنسان مصاب بعاهة ولادية، فعلاً هكذا الله كتب له، الشيء الذي لا حيلة لك به هذا الذي يُنسب إلى القضاء والقدر، أما الشيء الذي ضِمن دائرة الاختيار هو من فعل الله لكن أنت محاسب عنه ومسؤول، هذا الذي جعل المسلمون يتخلفون، طبعاً لو أن العدو احتلّ أرضنا، ماذا نقول؟ هكذا كتب الله لنا؟ هل هذا الفهم للقضاء والقدر يرضي الله عزّ وجل؟ قال تعالى:

**فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (4)**

**سورة محمد**

امتحان لنا، قال تعالى:

**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآَخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60)**

**سورة الأنفال**

فلذلك يأخذ بعض الناس على المسلم المحدود الساذج أنه يعزو أخطاءه كلها إلى القضاء والقدر، من حمل ذنبه على الله فقد فَجر، إن الله لا يُطاع استكراهاً، ولا يُعصى بغلبة، فإذا أطاع العباد ربهم لم يحُلْ بينهم وبين طاعتهم، وإن عصوه فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، لو أنه أجبرهم على الطاعة لسقط الثواب، لو أنه أجبرهم على المعصية لسقط العقاب، لو أنه تركهم هَمَلاً لكان عجزاً في القدرة، إن أطاعوه فله المنة والفضل، وإن عصوه فعليهم الحُجة البالغة.

## ما ينبغي أن يكون عليه الفهم للقضاء والقدر:

مثلاً شخص نام على سطح لا سور له فوقع، يموت عاصياً، قيل: من كانت ناقته حرون فلا يصحبنا في الجهاد، يوجد أسباب، الناقة خطيرة، إنسان يركب سيارة لا يوجد بها مكابح؟ أخي قل يا رب، هذا كلام الجهل.

شخص يأكل تفاحة من دون غسيل، يقول له: أخي سمِّ الله وكُلْ، ما هذه السخافة؟ قيل: من أكل التراب فقد أعان على قتل نفسه، ما معنى من أكل التراب؟ أي فاكهة غير مغسولة، أو عليها دواء، قل: باسم الشافي وكُل، هذه سذاجة، هذه ليست إيماناً، الإيمان أن تأخذ بالأسباب، ثم تتوكل على رب الأرباب، فكل شيء يقع ضمن دائرة مسؤوليتك، إنسان وضع مادة سامة للفئران وضعها في متناول الأطفال، فابنه أكل منها

ومات، أخي هكذا الله كاتب له، لا، محاسب هذا الأب حساباً عسيراً، طبيب نسي أن يسأل المريض: هل يوجد عندك تحسس ضد الصدمة، أعطاه إبر جاءته الصدمة، انتهى للموت، يقول: منته أجله، ما هذا الكلام؟ يُحاسب هذا الطبيب على أنه قاتل، لأن الإنسان محاسب عن الشيء الذي وُكِّل أمره إلى اختياره، هذا هو الفهم الإسلامي للقضاء والقدر، أما متى تقول: هذا مكتوب عليّ؟ إذا كان الشيء خارجاً عن دائرة الاختيار، إنسان زوجته حامل تناولت حبوباً على كيفها من دون استشارة طبيب فجاء المولود مشوهاً، أخي هكذا نصيبها، هذه هكذا نصيبها، وهكذا الله كاتب لها، وهكذا الله مقدر عليها، وليس لنا حيلة، والأقدار تجري، وترتيب سيدك، ولا دخل لنا، كله كلام هذا في الدين مرفوض، يجب أن تأخذ بالأسباب وإلا فأنت مُقصر، في عملك، في تجارتك، في زراعتك، في صناعتك، في دراستك، في وظيفتك، خذ بالأسباب، والذي يأتي بعد أخذك بالأسباب هو القضاء والقدر الذي ينبغي أن تستسلم له، أي إذا جاءت الأمور على غير ما يجب أن تكون لا ينبغي أن تستسلم، يجب أن تنهض، يجب أن تصحح.

أكثر المسلمين الجاهلين قد تأتي الأمور على غير ما ينبغي أن تأتي فيعزون هذا إلى القضاء والقدر ويجلسون، سيدنا عمر رضي الله عنه سأل أناساً فقراء جداً كسالى، من أنتم؟ قالوا: نحن المتوكلون، قال: كذبتم، المتوكل من ألقى حبة في الأرض ثم توكل على الله، قم، تحرّك، جالس يريد فقط خيرات الناس، وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: **قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ: اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ.**

**صحيح ابن حبان**

اعمل للمركبة صيانة وسافر فيها، من دون صيانة أخي توكلنا على الله، من دون صيانة أخي توكلنا على الله، عندك خلل تعمل حادثاً يموت خمسة أشخاص، هذا ليس توكلاً، هذا عين الجهل، لذلك لا ينبغي أن يُستغل القضاء والقدر للتحلل من المسؤوليات والواجبات، كلما رأيت خللاً تقول:هكذا الله يريد، هكذا أراد الله، هكذا ترتيبه، هكذا مشيئته، هذا الشيء الذي وُكِل إليك مُحاسب عنه.

قال لي شخص راكب سيارته بالصحراء بالصيف اضطر أن يغير الزيت بمحطة، هذا المعلم كلف صانعاً صغيراً قال له: غيّر له الزيت، هذا البرغي ما أخذ وضعه التمام، أثناء الطريق تسرب الزيت، المحرك احترق، صاحب السيارة الحر شديد، درجة الحرارة خمسة وستون، نزل تعطل المكيف مات، أنا أعتقد أن هذا

صاحب المحطة يُحاسب على أنه قاتل، أخي منته أجله، هذه منته أجله ليس عملك، هذا عمل الله عز وجل، أما هذا مات بسبب تقصيرك، كثير منهم يقول: ركّب يا بني ركّب، هذا طفل، يشد البرغي نادى عليه صديقه: تعال كُلْ، فلم يشده، قال له: خالصة تعال استلم هذه السيارة، فهذه كلها يُحاسب الإنسان عليها، بالتمديدات، بالكهربائيات مثلاً، تيار عال، أشياء من نوع الكهرباء، من نوع الغاز، هذا كله تقول لي: قضاء وقدر، قضاء وقدر ليس عملك، الله عز وجل يُحاسب على التقصير، هو يوظف تقصيرك لمصلحة الآخرين، لكن أنت ليس لك علاقة بالموضوع الثاني، الله عز وجل يوظف تقصيرك لصالح الآخرين لكنك تُحاسب على هذا التقصير بكل المهن، بكل الحِرف.

أما بعد أن تأخذ بالأسباب الذي يحصل هو القضاء والقدر، ونحن مستسلمون له، أخذته إلى الطبيب، نفذتَ التعليمات بحذافيرها، والشفاء تأخر، هذا قضاء وقدر، لكن أهملت العلاج، المرض تفاقم، أخي هكذا كتب الله له، هذا كلام مرفوض، لم تلقحه ضد الشلل، صار معه شلل، لا، هذا تقصير، وهذا فيه مسؤولية كبيرة، يلقح الابن ضد كل الأمراض وبعدها توكل على الله عز وجل.

آخر حديث شريف في هذا الموضوع، عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ.**

**صحيح مسلم**

وبهذا انتهينا من موضوعات العقيدة لننتقل بعدها إلى موضوعات أخرى إن شاء الله تعالى، بلغت دروس العقيدة ثلاثة وستين درساً بعمر النبي عليه الصلاة والسلام.

**والحمد لله رب العالمين**